

# بُلُوغُ الْأَدَبِ فِي مَعْرِفَةِ أَسْمَاءِ الْأَحْوَالِ الْعَرَبِيَّةِ

تَأَلِيفُ  
السَّيِّدِ مُحَمَّدٍ شَكْرِ الْأَعْيُنِ  
الْبَغْدَادِيِّ

عُني بِشَرْحِهِ وَتَصْحِيحِهِ وَضَبْطِهِ  
مُحَمَّدُ بَهْجَةُ الْأَثَرِيِّ

الجزء الثالث

دار الكتب العلمية  
بيروت - لبنان

جميع الحقوق محفوظة

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قد سبق في اواخر الجزء الثانى من هذا الكتاب نبذة مما كان يعتقد به بعض العرب من النكت الممتعة ولم نستوف ذكرها هناك ملاحظة ان يخرج حجم الجزء عن مشاكلة امثاله فاقتضى ايراد تنمة ذلك البحث في هذا المقام حرصاً على ما انطوى عليه من الادب فنقول متمسكين بحبل التوفيق .

ما ثبت عنهم في الغائب اذا لم يقفوا على خبره

كانوا اذا غُم<sup>(١)</sup> عليهم أمر الغائب ولم يعرفوا له خبراً جاءوا الى أثر عادية (أى مظلمة بعيدة القعر وبالتشديد منسوبة الى عاد كناية عن قدمها) أو جاءوا الى حفر قديم ونادوا فيه : يا فلان ، أو يا أبا فلان ثلاث مرات ويزعمون أنه إن كان ميتاً لم يسمعوا صوتاً وإن كان حياً سمعوا صوتاً ربما توهموه وهماً أو سمعوه من الصدى فبنوا عليه عقيدتهم . قال بعضهم :

دعوت أبا المنوار فى الحفر دعوةً فما آصّ صوتى بالذى كنتُ داعياً  
أظنُّ أبا المنوار فى قعر مظلم تجر عليه الدارياتُ السوافيا<sup>(٢)</sup>  
ومعنى آصّ : رجع . وقعر مظلم : كناية عن القبر . وقال آخر :  
وكم ناديتُه والليل ساجٍ<sup>(٣)</sup> بعاذى البِثار فما أجابا  
وقال آخر :

ألم تعلمى أنى دعوت مجاشعاً من الحفر والظلماء باد كسورها  
فجاوبنى حتى ظننت بأنه سيطلع من جوفاء صعب حدودها

---

(١) بالبناء للمفعول أى خفى . (٢) الداريات : الرياح الهائجة والسوافى جمع سافية وهى هنا التراب .

(٣) يقال سجا الليل يسجو سجوا : أى سكن . ومنه قوله تعالى : والليل إذا سجا . قال الزجاج وابن الأعرابى : أى سكن . وقال الفراء : سجا الليل ركذ واظلم ومعنى ركذ سكن . وفى المصباح : سجا الليل ستر بظلمته .

لقد سكنت نفسي وأيقنت أنه سيقدم والدنيا عجابُ أمورها  
والسكور : الأرض ذات صعود ونزول . والجوفاء : شجرة ذات جوف  
وأراد بها البئر التي صاح ونادى فيها . ومعنى حدودها : الانحدار إليها . وقال آخر :  
دعوانه من عادية نَضَبَ ماؤها وهدم جاليتها اختلافُ عصور  
فرد جواباً ما شككتُ بأنه قريبُ إلينا بالإيابِ بصير<sup>(١)</sup>  
أقوى<sup>(٢)</sup> في البيت الثاني وسكن (نضَب) ضرورة كما قال « لو عصر منه  
البانُ والمسك انعصر »<sup>(٣)</sup> ومعنى جاليتها : جوانبها . وقال آخر :  
غاب فلم أرج له إياباً والحفر لا يرجع لي جواباً  
وما قرأت مذ نأى كتابها حتى متى استنشد الركاباً  
\* عنه وكل يمنع الخطابا \*

(ومن مذاهب العرب وأعاجيبها) أنهم كانوا في الحرب ربما أخرجوا النساء  
فبلنَ بين الصفتين يرون أن ذلك يطغى نار الحرب ويقودهم إلى السلم . قال بعضهم :  
لقونا بأبوال النساء جهالةً ونحن نلاقيهم ببيض قواضب  
والبيض : السيوف . والقواضب : القاطعات . وقال آخر :

(١) نضَب الماء نضوباً من باب قعد : غار في الأرض ، ونضَب بالكسراغة .  
وسكن الضاد للضرورة ومن هذا القبيل الشاهد الذي أورده الأستاذ .  
والإياب : الرجوع . (٢) أقوى : أي خالف قوافيه برفع بيت وجر آخر .  
والأقواء من عيوب القافية ، مأخوذ من قولهم حبل قو بمعنى مختلف القوى  
أي الطاقات من عدم احكام قتله بأن تقتل إحدى الطائفتين على اليمين والآخرى  
على اليسار ثم إذا جمعت بينهما لا يقتل هذا الحبل للمخالفة بل ينفك .  
سمى العيب المذكور بذلك لما فيه من المخالفة بين القافيتين أو مأخوذ من قولهم :  
أقوى الربع إذا تغير و خلا من سكانه لأن الروى تغير و خلا عن حركته الأولى  
.. وقلت قصيدة لشعراء الجاهلية ينشدونها بلا أقواء ثم لا يستنكرونه لأنه  
لا يكسر الشعر وايضاً فان كل بيت منها كأنه شعر على حياله ، كذا في  
التاج . ولنا هنا بحث لا يسمه مثل هذا المقام وتجده في كتابنا ( العروض  
والقوافي ) . (٣) هذا الشطر لأبي النجم المعجلى وقبله :

كانما في نشرها إذا نشر فغمة روضات تردين الزهر  
هيجها نفع من الطل سحر وهزت الريح الندى حتى قطر  
قال البطليوسي : ويروى ( لو عصر منها ) فمن انت الضمير اعاده على  
المرأة التي تغزل بها . ومن ذكر الضمير اعاده على الفرع المذكور قبل هذا  
البيت في قوله :

بيضاء لا يشبع منها من نظر خود يعطى الفرع منها المؤنزر



بالت نساء بني خراشة خيفة منا وأدبرت الرجال شلالاً<sup>(١)</sup>  
وقال آخر:

بالت نساؤهم والبيض قد أخذت منهم ما أخذ يستشفى بها الكلب<sup>(٢)</sup>  
وهذان البيتان يمكن أن يراد بهما أن النساء بُلْنَ خفيفة وذعراً لا على المعنى  
الذى نحن في ذكره فحينئذ لا يكون فيهما دلالة على المراد .  
وقال الآخر:

هيهات رد الخيل بالأبوال إذا غدت في صور السعال<sup>(٣)</sup>  
وقال آخر:

جعلوا السيوف المشرفية منهم بول النساء وقل ذاك غناء<sup>(٤)</sup>  
فأما مذهبهم في الخرزات والأحجار والرقى والعزائم فمشهور  
فمن خرزتهم ( السلوانة ) ويقال لها السلوة وهي خرزة يسقى العاشق منها  
فيسلو في زعمهم وهي بيضاء شفافة . قال الراجز:  
لو أشرب السلوان ماسليت ماى غنى عنكم وإن غنيت  
السلوان جمع سلوانة . وقال اللحياني : السلوانة تراب من قبر يسقى منه العاشق  
فيسلو . قال عروة بن حزام<sup>(٥)</sup> :

---

(١) قال الزبيدي : ذهب القوم شلالاً أى انشلوا مطرودين وجاؤا شلالاً  
إذا جاء يطرودون الأبل والنلال القوم المتفرقون . قال ابن الدميني :  
أما والذي حجت قريش قطينه شلالاً ومولى كل باق وهالك  
(٢) الكلب : داء يعرض للإنسان من عض الكلب فيصيبه شبه الجنون فلا  
يعض أحداً إلا كلب وتعرض له أعراض رديئة ويمتنع من شرب الماء حتى  
يموت عطشاً . وزعمت العرب أن دواءه قطرة من دم ملك يخلط بماء  
فيسقاه ، ومنه يقال كلب الرجل إذا أصابه ذلك . (٣) هيهات : بعد .  
والسعالى جمع سعللة وهي أخبث الغيلان وقيل نوع من التشيطنة مغايرة  
للغول . وقد ذكرها العرب في شعرهم كثيراً . وقال بعضهم : لم تصف  
العرب بالسعللة إلا العجائز والخيل . (٤) المشرفية بفتح الميم المنسوبة إلى  
مشارف وهي قرى من أرض العرب تدنو من الريف ، وقيل هذا خطأ بل هي  
نسبة إلى موضع من اليمن . (٥) هو أحد المثيمين الذين قتلهم الهوى . قيل  
لا يعرف له شعر إلا في ( عفراء ) ابنة عمه عقاب بن مهاضر . وفي الأغاني طرف  
من أخباره مع عفراء . وأبياته هذه من قصيدة له رنانة ، ذكرها أبو علي  
الغالي البغدادي في نوادره . ( راجع ذيل الامالى والنوادر ص ١٥٩ من طبعة  
المطبعة الكبرى الاميرية سنة ١٣٢٤ ) .

جعلتُ لعراف اليمامة حُكمه وعراف نجد إن هما شَقِيَانِي<sup>(١)</sup>  
فَقَالَا : نَعَمْ نَشْفِي مِنَ الدَّاءِ كُلِّهِ وَقَامَا مَعَ الْعَوَادِ يَبْتَدِرَانِ  
فَمَا تَرَكَا مِنْ رُقِيَّةٍ يَعْرِفَانَهَا وَلَا سُلُوءٍ إِلَّا وَقَدْ سَقِيَانِي  
وَقَالَ آخِرُ :

سَقَوْنِي سُلُوءًا فَسَلَوْتُ عَنْهَا سَقَى اللَّهُ الْمُنِيَّةَ مِنْ سَقَانِي  
أَي سَلَوْتُ عَنِ السُّلُوءِ وَاشْتَدَّ بِي الْعَشَقُ وَدَامَ . وَقَالَ الشَّعْرَدُلُ :  
وَلَقَدْ سُقِيتُ بِسُلُوءٍ فَسَكَا نَمَا قَوْلُ الْمُدَاوِي لِلْخِيَالِ بِهَا أَزْدَدَ  
وَمِنْ خُرَزَاتِهِمْ (الْهَيْئَةُ) وَهِيَ خُرْزَةُ يَجْتَلِبُ بِهَا الرِّجَالُ وَيَسْتَمْطِفُ بِهَا قُلُوبَهُمْ  
فِيَا يَزْعُمُونَ . وَرُقِيَّتُهَا : أَخَذَتْهُ<sup>(٢)</sup> بِالْهَيْئَةِ ، بِاللَّيْلِ زَوْجَ وَبِالنَّهَارِ أُمَّةً ، وَمِنْهَا (الْفَطْسَةُ  
وَالْقَبْلَةُ . وَالدَّرْدِيْسُ) وَكُلُّهَا لَاسْتِجْلَابِ قُلُوبِ الرِّجَالِ . قَالَ الشَّاعِرُ :

جَمْعُنَ مِنْ قَبْلِ لَهْنٍ وَفَطْسِيَّةٍ وَالدَّرْدِيْسُ تَمَائِمًا فِي الْمَنْظَمِ<sup>(٣)</sup>  
فَانْقَادَ كُلُّ مُشْدَبٍ مَرَسِ الْقَوَى لِحِبَالِهَا وَكُلُّ جَلْدٍ شَيْظَمٍ<sup>(٤)</sup>

وَقِيلَ : الدَّرْدِيْسُ خُرْزَةُ سُودَاءٍ يُتَحَبَّبُ بِهَا النِّسَاءُ إِلَى بَعُولَتَيْنِ تَوْجِدُ  
فِي الْقُبُورِ الْعَادِيَةِ وَرُقِيَّتُهَا : أَخَذَتْهُ بِالْدَّرْدِيْسِ ، تَدْرُّ الْعَرَقَ الْيَبِيْسَ وَتَذَرُّ الْجَدِيدَ  
كَالدَّرِيْسِ<sup>(٥)</sup> . وَأَنْشَدَ :

قَطَعْتَ الْقَيْدَ وَالْخُرَزَاتِ عَنِي فَمَنْ لِي مِنْ عِلَاجِ الدَّرْدِيْسِ  
وَأَصْلُ الدَّرْدِيْسِ فِي اللُّغَةِ الدَّاهِيَةِ وَنَقَلْتُ إِلَى هَذِهِ الْخُرْزَةِ لِقُوَّةَ تَأْثِيرِهَا بِزَعْمِهِمْ .  
وَمِنْ خُرَزَاتِهِمْ (الْقِرْزُخْلَةُ) أَنْشَدَ ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ :  
لَا تَنْفَعُ الْقِرْزُخْلَةُ الْعَبَّائِثَا إِذَا قَطَعْنَا دُونَهَا الْمَقَاوِزَا<sup>(٦)</sup>

(١) قَالَ ابْنُ خُلْدُونٍ : عَرَافُ الْيَمَامَةِ هُوَ رِبَاحُ بْنُ مَجْلَةٍ ، وَعَرَافُ الْإِبِلِ  
الْأَسَدِيُّ . وَالْعَرَافَةُ : سَيَانِي الْكَلَامِ عَنْهَا فِي هَذَا الْجُزْءِ (٢) أَي رُقِيَّتُهُ . (٣)  
الْقَبْلُ : جَمْعُ قَبْلَةٍ وَالْقَبْلَةُ وَالْفَطْسَةُ خُرَزَتَانِ . وَالْمَنْظَمُ : الْحَيْطُ يَنْظُمُ الْخُرَزِيَّةَ ؛  
وَقَوْلُهُ « تَمَائِمًا » يَرُودُ أَيْضًا « مُقَابِلًا » .

٤ (٤) الْمَشْدَبُ : الشَّارِدُ ، وَالْمَشْدَبُ الطَّوِيلُ الْحَسَنُ الْخُلُقِ . وَالْمَرَسُ :  
الشَّدِيدُ الْمَرَّاسُ . وَالشَّيْظَمُ : الطَّوِيلُ الْجَسِيمُ الْفَتَى مِنَ النَّاسِ (٥) الدَّرِيْسُ :  
الْقَدِيمُ الْبَالِي مِنَ الثِّيَابِ (٦) الْمَقَاوِزُ جَمْعُ مَفَازَةٍ وَهِيَ الْمَوْضِعُ الْمَهْلِكُ مَاخُوذٌ مِنْ  
فَوْزٍ - بِالتَّشْدِيدِ - إِذَا مَاتَ لِأَنَّهَا مَظْنُةُ الْمَوْتِ وَقِيلَ مِنْ فَازَ إِذَا نَجَا وَاسْلَمَ  
وَسَمِيَتْ بِهِ تَفَاوُلًا بِالسَّلَامَةِ

وهي من خرز الضرائر ، إذا لبستها المرأة مال إليها بعلمها دون ضررتها .  
ومنها خرزة ( العقرة ) تشدها المرأة على حَقْوَيْهَا<sup>(١)</sup> فتنمى الحبلى ذكر ذلك ابن  
السكيت في ( إصلاح المنطق ) . ومنها ( الينجلب ) ورقيتها : أخذته بالينجلب فلا  
يَرِمُ ولا يَئِبُ ، ولا يَزَلْ عند الطُغْب . ومعنى لا يرم لا يبرح من مكانه وذكر الأزهري  
هذه الخرزة في الرابعي قال : ومن خرزات الأعراب الينجلب وهو الرجوع بعد الفرار  
والمغلف بعد البغض . ومنها ( كَرَار ) مبنية على الكسر . ورقيتها : يا كَرَار كُرِّيهِ  
إن أقبل فسُريهِ ، وإن أدبر فُضْريهِ ، من فرجه إلى فيهِ . ومنها ( الهمرة )<sup>(٢)</sup> ورقيتها  
ياهمرة أهمرية ، من استه إلى فيه ، ومالهو بنيه . ومنها ( الخصة ) وهي خرزة للدخول على  
السلطان والخصومة تجعل تحت فص الخاتم أو في زرّ القميص أو في حائل السيف قال بعضهم :  
يعلق غيري ( خصمة ) في لقائمهم ومالي عليكم خصمة غير منطقي  
ومنها ( الوجيبة ) وهي كالخصمة حمراء كالعقيق . ومنها ( العطفة ) وهي  
خرزة العطف ، والكحلة خرزة سوداء تجعل على الصبيان لدفع العين عنهم .  
والقبة خرزة بيضاء تجعل في عنق الفرس من العين . والنطسة خرزة يمرض  
بها العدو ويقتل . ورقيتها : أخذته بالنطسة ، بالثُوب<sup>(٣)</sup> والعطسة ، فلا يزل  
في نَفسه ، من أمره ونكسه ، حتى يزور رمسه . . ( ومن رقام للحب ) هوابه  
هوابه<sup>(٤)</sup> ، البرق والسحابة ، أخذته بمزكن<sup>(٥)</sup> ، فبه تمكن ، أخذته بإبره ،  
فلا يزل في عَبره ، جلبته بإشقى<sup>(٦)</sup> فقلبه لا يهدأ ، جلبته بمبرد ، فقلبه لا يبرد .  
وترقى الفارك<sup>(٧)</sup> زوجها إذا سافر عنها فتقول : بأفول القمر ، وظل الشجر ،

(١) الحقو : موضع شدة الأزار وهو الخاصرة . ثم توسعوا حتى سموها الأزار  
الذي يشد على العورة حقوا والجمع أحق وحقي مثل فلس وأفلس وفلوس  
(٢) قال في اللسان : الهمرة خرزة الحب يستعطف بها الرجال . يقال :  
ياهمرة أهمرية ، وياهمرة أهمرية ، إن أقبل فسريه ، وإن أدبر فضريه .  
(٣) الثوباء بالمد فترة تعترى الشخص فيفتح عندها فمه . وهي هنا  
بالقصر مراعاة لوزن المنهوك ( التاج ) . (٤) الهواة : النار الملهبة والشمس  
المتوهجة . « عن كتاب المرأة العربية للعفيفي » (٥) المكن : أمانة تغسل فيها  
الثياب ونحوها . (٦) الاشقى : بالكسر والقصر ، المثقب يكون للأساكفة .  
(٧) الفارك : المرأة التي تبغض زوجها .

شمال تشمله<sup>(١)</sup>، ودَبُور تدبره<sup>(٢)</sup> ونسكباء<sup>(٣)</sup> تنسكبه ، شيك فلا انتقش<sup>(٤)</sup> .  
ثم ترمى في أثره بحصاة ونواة وروثة وبجرة . وتقول : حصاة حصت أثره ، ونواة  
نأت داره ، وروثة راثت خبره ، لغمته<sup>(٥)</sup> ببعره . . وقالت فارك في زوجها —  
والفارك هي المبعضة لزوجها :

أتبعته إذ رحل العيس ضحى      بعد النواة روثه حيث انتوى  
\* الروث للريث وللنأى النوى<sup>(٦)</sup> \*

وقال آخر :

رمت خلفه لما رأت وشك بينه      نواة تلتها روثه وحصاة  
وقالت : نأت منك الديار فلا دنت      وراثت بك الأخبار والرجعات<sup>(٧)</sup>  
وحصت لك الآثار بعد ظهورها      ولا فارق الترحال منك شتات  
وقال آخر يخاطب امرأته :

لا تغدنى خلفي إذا الركب اغتدى      روثه عير وحصاة ونوى  
لن يدفع المقدار أسباب الرق      ولا التهاويل على جنّ الفلا<sup>(٨)</sup>  
هذا الرجز أوردته الخالغ في هذا المعرض وهو بأن يدل على عكس هذا المعنى  
أولى لأن قوله :

لن يدفع المقدار أسباب الرق      ولا التهاويل على جنّ الفلا  
كلام يشعر بأن قذف الحصاة والنواة خلفه كالعوضة له لا كما تفعله الفارك

(١) الشمال : الريح تقابل الجنوب . (٢) الدبور : وزان رسول ريح تهب  
من جهة المغرب تقابل الصبا ، ويقال تقبل من جهة الجنوب ذاهبة نحو المشرق .  
وفي الحديث : نصرت بالرعب واهلكت عاد بالدبور . (٣) هي ريح انحرفت  
ووقعت بين ريحين أو بين الصبا والشمال .

(٤) الانتقاش : استخراج الشوك من الرجل ومنه حديث أبي هريرة (رض) :  
وإذا شيك فلا انتقش أى دخلت فيه الشوكة فلا خرجت وهو دعاء عليه .  
(٥) كذا ويظهر أن في العبارة سقطا . (٦) انتوى : قصد ، والريث : الإبطاء ،  
والنأى : البعد . (٧) رثت : أبطأت

(٨) التهاويل جمع تهويل وهو ما هول به الانسان . والفلا : جمع فلاة  
وهي الأرض التي لا ماء فيها ، والعير : الحمار وغلب على الوحش .

التي تتمنى الفراق . وقد أبطل الشرع ذلك كله والأحجار لا تنفع ولا تضر في مثل ما سبق من الأمور . ومثل ذلك النشر والتائم ، ففي سنن أبي داود عن جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنه قال سألنا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عن النشرة فقال : هي من عمل الشيطان . والنشرة ضرب من الرقية والعلاج يعالج به من كان يظن أن به مس الجن . وقيل سميت نشرة لأنه ينشر بها عنه أى يحل عنه ما خمره من الداء . وعن الأصمعي قال : النشرة من السحر . وأنشد من قول جرير :

أدعوك دعوةً ملهوفٍ كأنَّ به مساً من الجنِّ أو ريحاً من النَّشرِ

وعن عبد الله بن عمر قال : سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول : ما أبالي ما أتيت إن أنا شربت ترياقاً أو تعلقت تميمة أو قلت الشعر من قبل نفسي قال الخطابي : ليس شرب الترياق مكر وهماً من أجل أن التداوى محظور ، وقد أباح رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم التداوى والعلاج في عدة أحاديث ولكن من أجل ما يقع فيه من لحوم الأفاعي وهي محرمة . والترياق أنواع فإذا لم يكن فيه لحوم الأفاعي فلا بأس بتناوله والله أعلم . والتميمة يقال إنها خرزة كانوا يعلقونها يرون أنها تدفع عنهم الآفات ، واعتقاد هذا الرأي جهل وضلال إذ لا مانع ولا دافع غير الله سبحانه ، ولا يدخل في هذا التعوذ بالقرآن والتبرك والاستشفاء به لأنه كلام الله سبحانه ، والاستعاذة به ترجع إلى الاستعاذة بالله سبحانه . . ويقال بل التميمة قلادة تعلق فيها العوذ . قال أبو ذؤيب :

وإذا المنية أنشبت أظفارها أقيمت كل تميمة لا تنفع<sup>(١)</sup>

(١) البيت من شواهد التلخيص ، والشاهد فيه الاستعارة بالكناية والاستعارة التخيلية فهو هذا شبه في نفسه المنية بالسبع في اغتياله النفوس بالقهر والغلبة من غير تفرقة بين نفع وضرار ولا رقة لمرحوم فأثبت لها الأظفار التي لا يكمل الاغتيال في السبع بدونها تحقيقاً للمبالغة في التشبيه فتشبيه المنية بالسبع استعارة بالكناية واثبات الأظفار لها استعارة تخيلية . والبيت من قصيدة لأبي ذؤيب - واسمه خويلد بن خالد بن محرث بن ربيد ( بالراء المهملة ) بن مخزوم ، ينتهي نسبه لنزار - قالها وقد هلك له خمس بنين في عام واحد وكانوا فيمن هاجر إلى مصر فرثاهم بهذه القصيدة وأولها :

وقال آخر :

بلادٌ بها عقّ الشباب تميمي<sup>(١)</sup> وأول أرض مسّ جلدي ترابها  
وقد قيل إن المسكروه من العوذ هو ما كان بغير لسان العرب فلا يفهم معناه  
ولعله قد يكون فيه سحر ونحوه من المخطور وتمام الكلام في الرق والتعاويذ يطلب  
من كتب العقائد ونحوها والله أعلم .

### ومن مذاهب العرب في الجاهلية الوشم

وهو على ما ذكره أهل اللغة أن يغرز في العضو إبرة<sup>(٢)</sup> ونحوها حتى يسيل  
الدم ثم يحشى بنورة<sup>(٣)</sup> أو نحوها فيخضر وكانوا يقصدون بذلك التزين فينقشون  
به غالب أبدانهم أنواعا من النقوش من صور حيوانات وغيرها وكذلك الشفاه

- 
- |  |  |
|--|--|
| والدهر ليس بمعتب من يجزع<br>مند ابندلت ومثل مالك ينفع<br>الا اقض عليك ذاك المضجع<br>اودى بنى من البلاد فودعوا<br>عند الرقاد وعبرة لا تفلح<br>كحلت بشوك فهي عورى تدمع<br>واخال انى لاحق مستنعب<br>فتخرموا ولكل جنب مصرع<br>فاذا المنية اقبلت لا تدفع<br>الفيت كل تمينسة لا تنفع<br>انى لريب الدهر لا اتضعع<br>بصفا المشرق كل يوم تفرع<br>جون السحاب له جدائد اربع | امن المنون وريبها تتوجع<br>قالت امامة ما اجسمك شاجبا<br>ام ما لجسمك لا يلائم مضجعا<br>فاجبتها ارثى لجسمى انه<br>اودى بنى فاعقبونى حسرة<br>فالعين بعدهم كان حداقها<br>فغبرت بعدهم بعيش ناصب<br>سبقوا هوى واعنقوا لهواهم<br>ولقد حرصت بان ادافع عنهم<br>واذا المنية انشبت اظفارها<br>وتجلدى الشسامتين اريهم<br>حتى كانى للحوادث مروءة<br>والدهر لا يبقى على حدثانه . |
|--|--|
- (١) يقال للعصبى اذا نشامع حتى حتى شب وقوى فيهم فمقت تميمته في بنى فلان  
والاصل في ذلك ان العصبى ما دام طفلا تعلق امه عليه التمايم تعوده من العبن  
فاذا كبر قطعت عنه . ووقع في خطبه المطول للسعد بلاد بها نعلت على تمايم  
وما ذكره الاستاذ هو الاصح . راجع تاج العروس ج ٧ ص ١٨  
(٢) الصواب ان يقال : ( أن يغرز ) أى ينخس العضو بإبرة ونحوها الخ .  
(٣) كذا الصواب « ثم يحشى بنور أو نحوه » والنور كصبور النيلج  
ودخان النسخ وحصاة كالأمد تدق فتسفعها اللثة .

فترى شفاه غالب نساءهم زرقاً ، وأما الرجال فكانوا يستعملون الوشم في بعض المواضع من الجسد يزعم أنه يقوى المفصل الذي وشم عليه . والأطفال منهم يوشمون في بعض الحال من وجوههم لقصد الزينة ، وهو مذهب باطل وعادة مستقبحة جداً فلذلك أبطلته الشريعة الحمديد لما فيه من تغيير خلق الله . ففي الحديث : لعن الله الواشمات والمستوشمات والمتنمصات والمتفلجات للحسن المغيرات لخلق الله . والمتنمصات جمع متنمصة . وحكى ابن الجوزى : متنمصة وهى التى تطاب النماص والنامصة هى التى تفعله والنماص إزالة شعر الوجه بالمنقاش وبسمى المنقاش ناصاً لذلك وهى حديدة يؤخذ بها الشعر ويقال إن النماص مختص بإزالة الشعر من الحاجبين لبرقةهما أو ليسويهما . والمتفلجات جمع متفلجة والفالج تباعد ما بين الثنايا والرابعيات بهرد ونحوه والحاصل أن كل ما فيه تغيير خلق الله حرام .

ومن مذاهبهم النياحة على الهالك منهم والندب ونحو ذلك

كان العرب فى الجاهلية يوصون أهليهم بالبكاء والنوح عليهم إذا ماتوا وكان ذلك مشهوراً من مذاهبهم وهو موجود فى شعرهم كقول طرفة بن العبد :

فإن مت فأنمى بما أنا أهله وشقى على الجيب يا ابنة معبد<sup>(١)</sup>

وقال لبيد لابنتيه لما حضرته الوفاة :

تمتى ابنتائى أن يعيش أبوما وهل أنا إلا من ربيعة أو مضر؟<sup>(٢)</sup>

فقوموا وقولا بالذى تعلمانه ولا تخمشا وجهاً ولا تحلقا شعر

وقولا : هو المرء الذى لا صديق له أضاع ولا خان الأمين ولا غدر

(١) النعى : اشاعة خبر الموت . والجيب من القميص هو الذى يدخل منه الرأس . وابنة معبد : ابنة أخيه معبد . (٢) قال السيد المرتضى فى أماليه : أراد هل أنا إلا من أحد هذين الحيين فسبلى أن أفنى كما فنى وإنما حسن ذلك لأن قصده الذى أجرى إليه وغرضه الذى نجاه هو أن يخبر بكونه ممن يموت ويفنى ولا يخل به أجمال ما أجمل من كلامه فأضرب عن التفصيل لأنه لا فائدة فيه ولأنه سواء كان من ربيعة أو مضر فموته واجب . . .

إلى الحول ثم اسم السلام عليكما ومن يبك حولا كاملا فقد اعتذر<sup>(١)</sup>  
وبعد وفاته كانتا تلبسان ثيابهما في كل يوم وتأتیان مجلس جعفر بن كلاب  
قبياته فترثيانه ولا تعولان فأقامتا على ذلك حولا كاملا ثم انصرفتا . ومعنى  
قوله : وهل أنا الخ أن جميع آبائي من ربيعة أو مضر قد ماتوا ولم يسلم أحد منهم  
من الموت فكذلك أنا لا بد لي من الموت . وإنما قال إلى الحول لأن الزمان  
ساعات وأيام وجمع وشهور وسنن والسنون هي النهاية فالحول والسنة مدة هي  
نهاية الزمان في التقسيم إلى أجزائه ويمكن أن يكون ذلك لما روى في بعض الآثار  
أن أرواح الموتى لا تنقطع من التردد إلى منازلهم في الدنيا إلى سنة كاملة فكأنه  
إنما أمرها بما ذكر من الذكر والدعاء وغير ذلك ليشاهد ذلك منهما . ولذلك قال  
ومن يبك حولا الخ . وقال بعضهم إنما وقت بالحول لأنه مدة عزاء الجاهلية وهذا  
لا يصح هنا لأن قائله صحابي ومثل هذا كثير في أشعارهم وقد أبطلت ذلك الشريعة .  
وفي الحديث : إن الميت ليعذب ببكاء أهله . قال أهل الحديث : الميت إنما  
تلزمه العقوبة في ذلك بما تقدم من أمره إلام بذلك وقت حياته وإن لم يأمرهم  
لا يلحقه عقوبة ( ولا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ) والوزر إنما هو على من نأح  
وأظهر الجزع من تلقاء نفسه . وفي الحديث : « ليس منا من لطم الخدود وشق الجيوب  
ودعا بدعوى الجاهلية » . وفي الصحيحين عن أبي موسى الأشعري أن رسول  
الله صلى الله تعالى عليه وسلم « برىء من الصالقة والحالقة والشاقة » . والصالقة :  
هي التي ترفع صوتها بالنياحة . والحالقة : هي التي تخلق شعرها عند المصيبة . وفي  
الصحيحين أيضا عن أم عطية قالت : « أخذ علينا رسول الله صلى الله تعالى عليه

(١) هذا البيت يورده بعض النحاة على أن لفظ (اسم) مقحم . قال ابن  
جنى : هذا قول أبي عبيدة ، وكذلك قال في بسم الله . ونحن نحمل الكلام  
على أن فيه محذوفا ، قال أبو علي : وإنما هو حد حذف المضاف أي ثم اسم  
معنى السلام عليكما واسم معنى السلام هو السلام وكأنه قال ثم السلام  
عليكما فالعنى لعمرى ما قاله أبو عبيدة لكنه من غير الطريق التي اتاه هو  
منها ! إلا تراه هو اعتقد زيادة شيء واعتقدنا نحن نقصان شيء ؟



وسلم في البيعة أن لا ننوح « وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة يرفعه : « اثنتان في الناس هما بهم كفر الطعن في النسب والنياحة على الميت » . والنياحة : رفع الصوت بالندب . والندب : تعديد النادرة بأعلى صوتها محاسن الميت وقيل هو البكاء مع تعديدها وأما البكاء على الميت لركة ورحمة خاليا عما ذكر فلا محذور فيه فإن الله تعالى أودع الرحمة في قلوب عباده وإنما يرحم الله من عباده الرحماء .

(ومن عوائدهم في هذا الباب ) ما حكاه الأصمعي قال : كانت العرب إذا مات فيهم ميت له قدر ركب راكب فرسا وجعل يسير في الناس ويقول : نعاء فلانا أي انعه وأظهر خبر وفاته وهي مبنية على الكسر مثل نزال وعلى ذلك قول المتنخل الهذلي :

أقول لما أتاني الناعيان به : لا يبعد الرمح ذو النصلين والرجل  
رمح لنا كان لم يفلن نئوء به توقي به الحرب والضراء والجلل  
رَبَّاءَ شَمَاءَ لا يَأْوِي لِقَلَّتْهَا إِلَّا السَّحَابُ وَإِلَّا الْأَوْبُ وَالسَّيْلُ<sup>(١)</sup>  
أي هو رباء لأصحابه بالهمز إذا صار ريثة لهم أي طليعة فوق شرف وموضع  
مرتفع والشماء مؤنث أشم من الشم وهو الارتفاع أراد هضبة شماء تخذف الموصوف  
بدليل القلة وهي رأس الجبل . والهضبة الجبل المنبسط على وجه الأرض . ومن  
المعلوم أيضا أن التي لا يأوي إلى قلاتها إلا السحاب والمطر لا تكون إلا هضبة .  
والأوب قال الخوارزمي : هو المطر لأنه بخار ارتفع من الأرض ثم آب إليها أي  
رجع ولذلك سمي رجما فسموه أوبا ورجعا تفاؤلا ليرجع ويثوب . وقيل لأن الله  
تعالى يرجعه وقتنا فوقتنا وإليه ذهب صاحب الكشف عند قوله تعالى ( والسماء  
ذات الرجع ) وأنشد هذا البيت على أن المطر يسمى رجعا كما في الآية وأوبا

---

(١) هذا الشعر من قصيدة طويلة يرثى بها ابنه أميلة ( مصفرا ) قتلتها  
بنو سعد بن فهم بن عمرو بن قيس عيلان بن مضر . راجع الاغانى ج ٢٠ ص  
١٤٥ من طبعة الساسي . وقوله : ذو النصلين ، النصل جديدة السهم والنصلان  
مثنى عبارة عن النصل والزج . ومعنى تنوء : تنهض . والجلل محركة الامر  
المعظيم والصغير ضد والمراد هنا الأول .

كما في البيت تسمية بمصدرى رَجَعَ وآبَ ، وذلك أن العرب كانت تزعم أن السحاب يحمل الماء من البحر ثم يرجعه إليه . والسَّبَل بفتحين المطر المنسبل أى النازل .  
 ( ومن مذاهبهم ) أنهم يقولون للميت إذا مات لا تبعد : قالت الخرنق<sup>(١)</sup> :  
 لا يَبْعَدُنْ قَوْمِي الَّذِينَ هُمُ سُمُّ الْمُدَاةِ وَأَفَةُ الْجُزْرِ  
 النَّازِلِينَ بِكُلِّ مُعْتَرِكٍ وَالطَّيِّبُونَ مَعَاقِدَ الْأُزْرِ  
 وفي كتاب اللب : أن العرب قد جرت عاداتهم باستعمال هذه اللفظة في الدعاء للميت ولهم في ذلك غرضان . أحدهما : أنهم يريدون به استعظام موت الرجل الجليل وكأنهم لا يصدقون بموته وقد بين هذا المعنى زهير بن أبى سلمى بقوله :  
 يقولون حصن ثم تأبى نفوسهم وكيف بحصن والجبال جنوح  
 ولم تلفظ الموتى القبور ولم تزلْ نجوم السماء والأديم صحيح  
 يريد أنهم يقولون مات حصن ثم يستعظمون أن ينطقوا بذلك ويقولون كيف يجوز أن يموت والجبال لم تنسف والنجوم لم تنكدر والقبور لم تخرج موتاها وجرم العالم صحيح لم يحدث فيه حادث . والغرض الثانى : أنهم يريدون الدعاء له بأن يبقى ذكره ولا يذهب لأن بقاء ذكر الإنسان بعد موته بمنزلة حياته ألا ترى إلى قول الشاعر :

فأثنوا علينا ( لا أبا لأبيكم ) بأفعالنا إن الثناء هو الخلد  
 وقال آخر يرثى يزيد بن الشيبانى :  
 فإن تك أفتته الليالى فأوشكت فإن له ذكراً سيفنى الليالى

(١) هى بنت بدر بن هنان بن مالك وهى أخت طرفة لأمه . . وهذان البيتان أوردهما سيبويه فى باب الصفة المشبهة : قال الاعلم ، الشاهد فيه ( أى البيت الثانى ) نصب معاقد الأزر بقولها الطيبون تشبيهاً بالمفعول به لانه معرفة باضافته الى الأزر فهو كقولك الحسنون أوجه الاخ . وصفت قومها بالظهور على العدو ونحر الجزر للاضياف والملازمة للحرب والعفة عن الفواحش فجعلت قومها لاعدائهم يقضى عليهم ، وآفة للجزر لكثرة ما ينحرون منها . والمعترك : موضع ازدحام فى الحرب . ويقال فلان طيب معقد الأزار اذا كان عقيفا لا يحله لفاحشة .

وقال المتنبي وأحسن :

ذكر الفتي عمره الثاني وحاجته ما فاتهُ وفضول العيش أشغال<sup>(١)</sup>  
وقد بين مالك بن الريب المزني ما في هذا الحال من قصيدة تقدمت على غيرها :  
يقولون لا تبعُدْ وهم يَدْفَنُونِي وأين مكان البعد إلا مكانيا<sup>(٢)</sup>  
وقال الفرار السلمي<sup>(٣)</sup> :

ما كان ينفعني مقالُ نساءهم وَقَتِلْتُ دون رجالهم لا تبعُدْ<sup>(٤)</sup>

### ومن مذهبهم جز النواصي

كانت العرب إذا أنعمت على الرجل الشريف بعد أسره جزؤا ناصيته وأطلقوه  
فتكون الناصية عند الرجل يفخر بها والنواصي جمع ناصية وهي الشعر في مقدم الرأس  
فوق الجبهة . قال بشر بن أبي خازم الأسدي :

وإذ جزت نواصي آل بدر فأدوها وأسرى في الوثاق  
وإلا فاعلموا أنا وأتم بُعَاةٌ ما بقينا في شقاق<sup>(٥)</sup>  
وسبب هذا الشعر أن قوماً من آل بدر الفزاريين جاوروا بني لأم من طيء  
فعمد بنو لأم إلى الفزاريين فجزوا نواصيهم وقالوا : قد مننا عليكم ولم تقتلکم

---

(١) قال ابن القطاع : صحف الرواة هذا البيت فرووه ( فاته ) بالفاء  
والصواب بالقاف وعليه فسر الواحدي فقال : إذا ذكر الإنسان بعد موته كان  
ذلك حياة ثانية له وما يحتاج إليه في دنياه قدر القوت وما فضل من القوت  
فهو شغل كقول سالم بن وابصة :

غنى النفس ما يكفيك من سد حاجة فان زاد شيئاً عاد ذلك الغنى فقرا  
(٢) البيت من قصيدة له قالها وهو مريض يذكر مرضه وغرته . وقد  
أوردها القالي في أماليه ( ج ٣ ص ١٢٧ ) . (٣) اسمه حيان بن الحكم :  
حيان فعلان من الحياء . والسلمي منسوب إلى سليم بالتصغير (٤) وقتلت  
دون رجالها جملة وقعت حالا وجملة لا تبعُد وقعت مقول القول . يقول :  
ما ينفعني أن يندبني ويقلن لا تبعُد وقد بعدت (٥) البغاء جمع باغ وهو الظالم من  
البغي وهو الطلب لأنه يطلب ما ليس له بحق . والشقاق العداوة لأن كل  
واحد من المتعاديين يفعل ما يشق على الآخر ، أو من الشق بمعنى الجانب لأن  
كل واحد يكون في طرف غير طرف الثاني . وفي البيت شاهد العطف على محل  
اسم أن بعد مضى الخبر تقديره .

وبنو فزارة حلفاء بنى أسد ففضب بنو فزارة لأجل ما صنع بالبدرين فقال بشر  
هذين البيتين من قصيدة يذكر فيها ما صنع بنى بدر ويقول للطائين فإذا قد جززتم  
نواصيهم فاحلوا إلينا وأطلقوا من قد أسرتم منهم وإن لم تفعلوا فاعلموا أنا نبغيكم  
ونطلبكم فإن أصبنا أحداً منكم طلبتمونا به فصار كل واحد منا يبغي صاحبه فنبقى في  
شقاق وعداوة أبداً . . وربما جزت ناصية مطلق الأسير شريفاً كان أم لا ، وأخذ  
الافتخار والعرب متفاوتون في المذاهب . وقال زهير من قصيدة مدح بها هرم بن  
سنان المرى أحد الأجواد في الجاهلية :

حَدَّبَ عَلَى الْمَوْلَى الضَّرِيكَ إِذَا نَابَتْ عَلَيْهِ نَوَائِبُ الدَّهْرِ  
عَظُمَتْ دَسِيعَتُهُ وَفَضَّلَهُ جَزَ النَّوَاصِي مِنْ بَنَى بَدْرٍ  
أَيَّامَ ذُبْيَانَ مِرَاغِمَةً فِي حَرْبِهَا وَدِمَاؤُهَا تَجْرِي  
وَمُرْهَقِ النَّيْرَانِ يَطْعَمُ فِي الْأَوَاءِ غَيْرَ مُلَمَّنٍ الْقَدَرِ

الحذب : المشفق . والمولى : ابن العم . والضريك : الفقير المحتاج .  
والدسيسة : العطية الجزيلة . وجز النواصي تقدم معناه . وراغهم : نابذهم وهجرهم  
وعاداهم . ومرهق النيران : أى تغشى ناره يقال رهقت الرجل إذا غشيته وأحطت  
به والمشدد للتكثير : يصف أنه يوقد النار بالليل للطبخ وإطعام الناس وليعشو إليها  
الضيف والغريب . وكثرة النيران للأخبار عن سعة معرفة . والأواء شدة  
الزمان والقحط . وقوله : غير ملعن القدر أى لا يؤكل ما فيها دون الضيف  
والجار واليتيم والمسكين فهو محمود القيدر لا مذمومها وأوقع اللحن على القدر مجازاً ،  
وهو يريد صاحبها . . وما أحسن قول الخنساء في هذا الباب مفتخرة بقومهم  
على الأصحاب :

جَزَزْنَا نَوَاصِي فُرْسَانِهِمْ وَكَانُوا يَظُنُّونَ أَنْ لَا تُجَزَّأُ  
وَمَنْ ظَنَّ مَنْ يَلَاقِي الْحُرُوبَ بِأَنْ لَا يَصَابَ فَقَدْ ظَنَّ عَجْزاً<sup>(١)</sup>

(١) تقول : أن من دخل الحرب وقارع الإبطال ، وظن أنه لا يصاب بشيء .  
فقد ظن ظناً باطلاً وسمته عجزاً تجوزاً .

نضيف ونعرف حق القرى . ونتخذ الحمد ذخراً وكنزاً  
ونلبس في الحرب سرد الحديد وفي السلم خزاناً وعصباً وقزاً<sup>(١)</sup>

### ومن مذاهب العرب شد اللسان

كان من مذاهب العرب أنهم إذا أسروا أسيراً وكان شاعراً ربطوا لسانه بنسعة  
وعلى ذلك قول عبد يغوث القحطاني الحارثي اليميني من قصيدة :

أقول وقد شدوا لساني بنسعة : أمعشر تيمٍ أطلقوا عن لسانيا  
أمعشر تيمٍ قد ملكتكم فأسججوا فإن أخاكم لم يكن من بوائيا  
فإن تقتلونني تقتلوا بي سيداً وإن تطلقوني تحرّبوني بماليا

النسعة بكسر النون : سير منسوج . وأسججوا بتقديم الجيم على الحاء المهملة  
بمعنى سهلوا ويسروا . والبواء : السواء أي لم يكن أخاكم نظيراً لي فأكون بواء له  
وتحرّبوني تسلّبوني وتغلبوني . وبما ذكرنا من المذهب فسر البيت جمع وقالوا :

إنهم شدوا لسانه بنسعة حقيقة وإليه ذهب الجاحظ في البيان والتبيين والأصفهاني في  
الأغاني وحكاة أيضاً ابن الأنباري بأنهم ربطوه بنسعة مخافة أن يهجوم وكانوا سمعوه  
ينشد شعراً فقال أطلقوا لي عن لساني أذم أصحابي وأنوح على نفسي . فقالوا : إنك  
شاعر ونحذر أن تهجوننا فعاهدهم أن لا يهجوم فأطلقوا له عن لسانه .

قال الجاحظ : وبلغ من خوفهم من الهجاء أن يبقى ذكرهم في الأعقاب  
ويسب به الأحياء والأموات أنهم إذا أسروا الشاعر أخذوا عليه المواثيق وربما  
شدوا لسانه بنسعة كما صنعوا بعبد يغوث بن وقاص الحارثي حين أسرته تيم يوم

---

(١) السرد : نسج الدرع واسم للدروع وسائر الحلق . والخز : قال  
الفيومي ، اسم دابة ثم أطلق على الثوب المتخذ من وبرها . والقزمعرب قال  
الليث هو ما يعمل منه الابريسيم ولهذا قال بعضهم القز والابريسيم مثل الحنطة  
والدقيق . والعصب : مثل فلس برد يصيغ غزلة ثم ينسج .  
( ٢ — ثالث )

الكلاب . وفي تفسير شد اللسان قول آخر وهو : إن هذا مثل وذنب إليه شراح أبيات الشعراء والقالى فى أماليه ، وحكاى ابن الأبارى فى شرح المفضليات وقال : لأن اللسان لا يشد بنسعة وإنما أراد افعلوا بى خيراً لينطلق لسانى بشكركم وإنكم ما لم تفعلوا فلسانى مشدود ولا أقدر على مدحكم . والموجه ما تقدم فإن الحقيقة هى الأصل !

### ومن مذاهبهم خضاب النحر

كانت العرب فى الجاهلية تعيش فى الغالب بلحوم الصيد وكانت خيلهم لجودتها وعراقها تسهل عليهم ما يراه غيرهم من الصعوبة فى ذلك وتعينهم على نيل مقاصدهم فكانت عندهم من أعز الأموال ، تلحظ لديهم كما يلحظ العيال ، وكان السابق منها يرفع له فى الفخر رايات ، وتوضع عليه لأجل المباهاة علامات ، ولذلك كان من ديدنهم وعوائدهم أنهم إذا ساقوا الخيل على الصيد وأغاروها نحوه فالسابق على غيره فى الوصول إليه يخضبون نحره بدم ما يسكونه من الصيد علامة على كونه لا يدرك فى الغارات ، وأنه سباق غايات ، وقد بطلت بعد ظهور الإسلام هذه العادة ولم يعرفها سكان البوادرى من العرب اليوم ، غير أن لأعراب الحجاز عادة قريبة من ذلك وهى أنهم إذا نزل بهم ضيف يعنى بشأنه ذبحوا له أو نحرروا فإذا سافر منهم وترحل عنهم لطخوا طرفى سنام بعيره بدم ما ذبحوه على شكل المثلث إيذاناً بأنه من الرجال المعنى بشأنهم بين قبائل العرب ومن الأماجد الأعزة الحرة بأن يعز .

### ومن مذاهبهم التعتية

قال أبو العباس ثعلب . التعتية سهم الاعتذار : وقال ابن الأعرابى : أصل هذا أن يقتل الرجل رجلاً من قبيلته فيطلب القاتل بدمه فيجتمع جماعة من الرؤساء إلى أولياء المقتول بدية مكحلة ويسألونهم العفو وقبول الدية فإن كان أولياؤه ذى قوة أبوا ذلك وإلا قالوا لهم : بيننا وبين خالقنا علامة للأمر والنهى .

فيقول الآخرون : ما علامتكم ؟ فيقولون أن تأخذ سهمها فترمي به نحو السماء فإن رجع إلينا مضرجا بالدم فقد نهينا عن أخذ الدية وإن رجع كما صعد فقد أمرنا بأخذها وحينئذ مسحوا لحاهم وصالحوا على الدية وكان مسح اللحية علامة الصالح . قال الأشعر<sup>(١)</sup> الجعفي :

عَمَّوْا بِسَهْمٍ نَّمَّ قَالُوا : سَالَمُوا يَالَيْتَنِي فِي الْقَوْمِ إِذْ مَسَحُوا اللَّحَى !  
قال ابن الأعرابي : ما رجع ذلك السهم قط إلا نقياً ولكنهم يعتذرون به عند الجهال . ومن شعر الهذلي ما أنشده أبو عبيد البكري في شرح نوادر القالي :

لا ينسى الله منا معشراً شهدوا يوم الأملج لا عاشوا ولا مرحوا<sup>(٢)</sup>  
عقوا بسهم فلم يشعر به أحد ثم استفاءوا وقالوا حبذا الوضخ<sup>(٣)</sup>

قال البكري : هذا من شعر يهجو به ناساً من قومه كانوا مع أبيه حجاجاً<sup>(٤)</sup> يوم قتل وقوله لا ينسى الله أى لا يؤخر الله موتهم من الإنساء وهو التأخير . وعقوا بضم القاف وفتحها لأنه جاء من باين فإنه يقال عق بالسهم إذا رمى به نحو السماء وذلك السهم يسمى عقيقة بقافين ويقال له أيضاً سهم الاعتذار فعقوا بضم القاف . ويقال عقى بسهمه تعقبة إذا رماه في الهواء فعقوا بفتح القاف . وكانت العرب تعيب على من يأخذ الدية ويرضى بها من درك ثأره وشفاء غيظه كقول قائلهم يهجو من أخذ الدية من الإبل :

وإن الذى أصبحتم تحلبونه دمٌ غير أن اللون ليس بأشقرا

(١) هكذا بالشين المعجمة ومثله في التاج ( مادة عق ) وصوابه « الاسعر » بالسين المهملة كما ورد في كتب الأئمة ، ومنهم الأصمعي في مختاراته ( الأصمعيات ) المطبوعة في ( ليبسك ) . وقد ورد صحيحاً في موضع آخر من التاج ( مادة سحر ) قال : والاسعر لقب مرثد بن أبي حميران الجعفي الشاعر ، سمي بذلك لقوله :

فلا تدعنى الأقوام من آل مالك إذا أنا لم أسسعر عليهم وانقب  
(٢) الأملج ، موضع في بلاد هذيل كانت به وقعة . ومعنى لا مرحوا لا جرحوا . يقول لم يغيبوا فنكفى أن يؤسروا أو يقتلوا ولا جرحوا أى ولا قاتلوا إذا كانوا معنا . عن اللسان .

(٣) أخبر أنهم آثروا ابل الدية والبانها على دم قاتل صاحبهم ، والوضخ ههنا اللبن .

(٤) في بعض الكتب ( كانوا مع ابنسة « حجاج » ) . ولا أعلم أن كان له . ابن يعرف بهذا الاسم . .

وقال جرير يعير من أخذ الدية فاشترى بها نخلا :  
ألا أبلغ بنى حجر بن وهب بأن التمر حلو في الشتاء  
وقال آخر :

خليلان مختلف شكلنا أريد العلاء وتبغى السمن  
أريد دماء بنى مالك ورأى المولى بياض اللبن  
ولهذا كان يأبى أولياء المقتول عن قبول الدية إذا كانوا أقوياء . هذا وإن  
كانت الشريعة قد أبطلته وجاءت بما هو خير منه وأصلح في المعاش والمعاد من  
تخيير الأولياء بين إدراك الثأر ونيل التشفى وبين أخذ الدية فإن القصد به أن العرب  
لم تكن تعير من أخذ بدل ماله ولم تعده ضعفاً ولا عجزاً البتة بخلاف من أخذ  
بدل دم وليه .

ومن مذاهبهم حمل الملوكة على الأعناق إذا مرضوا  
قال أبو عبيدة : وكانت ملوك العرب إذا مرض أحدهم حملته الرجال على  
أكتافها يتعاقبون له لأنه عندهم أوطأ له من الأرض<sup>(١)</sup> .  
قال النابغة الذبياني :

ألم أقسم عليك أن تخبرني أمحول على النعش الهمام<sup>(٢)</sup> ؟  
فأنى لا ألومك في دخول ولكن ما وراءك يا عصام<sup>(٣)</sup> ؟

(١) معنى أوطأ له من الأرض : أن ذلك أسهل له وأكثر راحة مما لو وضع  
على الأرض .

(٢) المراد بالنعش هنا مركب شبه الهودج . والهمام : الملك العظيم الهمة  
ويطلق أيضاً على السيد الشجاع السخي . (٣) قوله : ما وراءك يا عصام مثل  
يضرب في استعلام الخبر . قيل أول من قاله الحرث بن عمرو ملك كندة  
وذلك أنه لما بلغه جمال ابنة عوف بن محلم الشيباني وكمالها وقوة عقلها دعا  
امرائه من كندة يقال لها (عصام) ذات عقل واسنان ، وأدب وبيان ، وقال لها  
أذهبي حتى تعلمي لى علم ابنة عوف فمضت فدخلت إليها فنظرت الى مالم  
ترقط مثله فخرجت وهي تقول : ترك الخداع ، من كشف القناع ، فأرسلتها  
مثلاً ثم انطلقت الى الحرث فلما رآها مقبلة قال لها . ما وراءك يا عصام . . ؟  
الخ . وقيل أن المثل على التذكير وقائله النابغة الذبياني قاله (العصام ابن  
شهبز) حاجب النعمان . . ويجوز أن يكون أصل المثل ما ذكر أولاً ثم اتفق  
الاسمان فخطب كل بما استحق من التذكير والتأنيث . ومعنى البيت :  
لست ألومك بمنعك إياي من الدخول ولكن أعلمنى حقيقة خبره .



فإن يَهْلِكْ أبو قابوسَ يَهْلِكْ ربيعُ الناسِ والشَّهرُ الحرامُ؟<sup>(١)</sup>  
ونأخذُ بعدهُ بذنابِ عيشٍ أَجَبَ الظَّهرَ ليس له سَنَامٌ<sup>(٢)</sup>

ومن حديث هذه الأبيات أن النابغة كان عند النعمان ملك العرب بالحيرة كبيراً عنده خاصاً به وكان من ندمائه وأهل أنسه فحسد على منزلته منه فاتهموه بأمر فغضب عليه النعمان وأراد البطش به وكان للنعمان بواب يقال له عصام ابن شهبر الجرمي قال للنابغة إن النعمان موقع بك فانطلق فهرب النابغة إلى ملوك غسان ملوك الشام فكان يمدحهم وترك النعمان فاشتد ذلك عليه وعرف أن الذي بلغه كذب فبعث إليه : إنك لم تعتذر من سخطة إن كان بلغتك ولكننا تغيرنا لك عن شيء مما كنا لك عليه ولقد كان في قومك ممقنع وحسن فتركته ثم انطلقت إلى قوم قتلوا جدى وبنى وبينهم ما قد علمت وكان النعمان وأبوه وجده

(١) أبو قابوس كنية النعمان بن المنذر . وقابوس ممنوع من الصرف العلمية والعجمة لأنه معرب كابوس كذا في القاموس وغيره . ونرى أنه عربى مأخوذ من القبس وهو النار أو الشعلة من النار ، والقابوس لغة ، الرجل الجميل الوجه الحسن اللون ، ومنعه من الصرف يجوز أن يكون للعلمة وشبه العجمة . وقوله « ربيع الناس والشهر الحرام » يريد أنه كالربيع في الخصب لمجتيده وكالشهر الحرام لجاره لا يوصل إلى من أجاره كما لا يوصل في الشهر الحرام إلى أحد .

(٢) قوله (نأخذ) قال النحويون : ( روى بالجزم عطفًا على جواب الشرط ، والرفع استئنافًا ، والنصب بأن مضمرة وجوبًا ) . والذنب بالكسر خيط يشد به ذنب البعير لئلا يخطر بذنبه فيلطح راكبه ، ومن كل شيء عقبه ومؤخره . والأجب المقطوع ، وقد شبه العيش بجمل أجب الظهر أى مقطوعه بمعنى أنه لا سنام له . فهو يقول أنا بعده سنكون في ضيق من العيش كمن يمسك بذناب بعير لا سنام له وذلك أن البعير إذا قطع سنامه أو أكله الرجل لا ينمو فكأنه كان لعيشهم بمنزلة السنام للبعير فإذا ذهب سنامه لم يرج منه خير . والظهر يروى بالرفع والنصب والجزم . قال الامام ابن مالك في ( الكافية ) في باب الصفة المشبهة باسم الفاعل :

والرفع والنصب حكوا والجرا في قول من قال : أجب الظهر  
قال في شرحها — قال النابغة :

ونأخذ بعده بذناب عيش أجب الظهر ليس له سنام  
يروى أجب الظهر بالرفع وهو نظير قولنا جميل الوجه . ويروى أجب الظهر على الإضافة وهو نظير قولنا جميل الوجه انتهى . وفي حاشية الصبان على شرح الاشموني على الفية ابن مالك : وروى في أجب الجر صفة لعيش وجره بالكسرة ان أضيف إلى مابعده والا فبالفتحة نيابة عن الكسر لأنه ممنوع من الصرف للوصفية ووزن الفعل والرفع خبرا لمبتدأ محذوف والنصب حالا .

قد أكرموا النابغة وشرفوه وأعطوه مالا عظيماً وبلغ النابغة أن النعمان ثقل من مرض أصابه حتى أشفق عليه منه فأتاه النابغة فألفاه محمولاً على رجلين ينقل ما بين الغمر وقصوره التي بين الحيرة فقال لبوابه عصام « ألم تقسم عليك لتخبرني » الأبيات المذكورة ، فمافاه الله وعفا عن النابغة . قال حسان بن ثابت : وفدت إلى النعمان فحسدت النابغة على ثلاث لا أدري على أيتهن كنت أشدَّ حسداً : أعلى إثناء النعمان له بعد المياعدة ومسامرته له وإصغائه إليه ؟ أم على جودة شعره ؟ أم على مائة بعير من عسافيره <sup>(١)</sup> أمر له بها ؟ قال أبو عبيدة : قيل لأبي عمرو ؛ أمن مخافته امتدحه وأتاه بعد هربه منه أم لغير ذلك ؟ قال : لا لعمر الله ما لخافته فعل . إن كان إلا آمناً من أن يوجه إليه النعمان جيشاً . وما كان النابغة يأكل ويشرب إلا في آنية الذهب والفضة من عطايا النعمان وأبيه وجده ولا يستعمل غير ذلك .

### ومن مذاهبهم في دية الملوك وغيرهم

كان عامة العرب يأخذون في دية النفس مائة من الإبل وكان هذا الحكم جارياً بين قبائلهم . وقد ذكرنا سابقاً أول من سن لهم ذلك ولما كان الملوك ممتازين عندهم في كثير من الأحكام جعلوا دية أحدهم إذا قتل ألف بعير . قال قراد بن حنش الصاردي <sup>(٢)</sup> :

(١) في الصحاح : عسافير المنذر ابل كانت للملوك نجائب . وفي التهذيب : روى أن النعمان أمر للنابغة بمائة ناقة من عسافيره ، قال بن سيده : اظنه أراد من فتايا نوقه . وقال الازهرى : كان للنعمان بن المنذر نجائب يقال لها عسافير النعمان قال حسان بن ثابت : فما حسدت أحدا حسدى للنابغة حين أمر له النعمان بن المنذر بمائة ناقة بريشها من عسافيره وحسام وآنية من فضة . قوله بريشها : كان عليها ريش ليعلم أنها من عطايا الملوك . كذا في اللسان .  
(٢) هو قراد بن حنش بن عمرو بن عبد الله بن عبد العزى بن صبيح بن سلامة . من بني صاردة بتقديم الراء على الدال . قال في التاج : ( وبنو الصاردة جى من بني مرة بن عوف بن غطفان وهو لقب واسمه سلامة . قال ابن دريد : هو من صرد السهم أو من صرد الرجل من البرد ) .

ونحنُ رَهْنًا القوسُ ثمت فوديتْ بَأَلْفٍ عَلَى ظَهْرِ الْفَزَايِ أَقْرَعَا<sup>(١)</sup>  
 بعشر مئتين للملوك سَمَى بِهَا لِيُوفَى سِيَارَ بَنِ عَمْرُو فَأَسْرَعَا  
 قال ابن عبد ربه في العقد الفريد : إن سيار بن عمرو بن جابر الفزاري  
 احتمل للأسود بن المنذر دية ابنه الذي قتله الحرث بن ظالم ألف بعير وهي دية  
 الملوك ورهنه بها قوسه فوفى . وكان هذا قبل قوس حاجب بن زوارة . وقال  
 أبو عبيدة في مقاتل الفرسان : إن أخا سيار لأمه الحرث بن سفيان الصارديّ  
 تكفلها للأسود فقام منها بثمانمائة ثم مات فوهن سيار قوسه على المائتين الباقيتين  
 لا غير فلما مدح قراد بن حنش بنى فزارة جعل الجمالة<sup>(٢)</sup> كلها لسيار . ومثل  
 هذا ما قاله الفرزدق من قصيدة طويلة :

فدى لسيوف من تميم وُفَى بِهَا رِدَائِي وَجَلَّتْ عَنْ وَجْهِهِ الْأَهَاتِمُ<sup>(٣)</sup>  
 شفين حزازات الصدور ولم تدع علينا مقالا في وفاء للأئم<sup>(٤)</sup>  
 أبانا بهم قتلى وما في دمائهم وفاء وهن الشافيات الحوائم<sup>(٥)</sup>  
 جزى الله قومي إذ أراد خفارتى فقيمة سعى الفضلين الأكارم  
 هم سمعوا يوم المحصب من منى ندائى إذا التفت رفاق المواسم<sup>(٦)</sup>

(١) ألف أقرع أى تام . يقال : سقت اليك ألفا أقرع من الخيل وغيرها أى  
 تاما وهو لكل ألف كما أن هتيدة اسم لكل مائة كما في الصحاح قال الشاعر :  
 قتلنا أو أن القتل يشفى صدورنا بتدبر ألفا من قضاة أقرعا  
 وقال آخر :

ولو طلبوني بالعقوق أنيتهم بألف أؤديه إلى القوم أقرعا  
 والألف مذكر ولذلك قالوا ألف أقرع ولم يقولوا قرعاء . وقيل : لو أنث  
 باعتبار الدراهم لجاز بمعنى هذه الدراهم ألف . (٢) الجمالة : كسحابة ،  
 الدية يحملها قوم عن قوم . (٣) قال البغدادى في الخزائنة : قال العيني -  
 الرداء في البيت بمعنى السيف وأنشد عليه بيتا . . . وجلت بالتشديد بمعنى  
 جلت بالتخفيف من جلا القوم عن البلد يجلون بالضم إذا جلوا وخرجوا ،  
 والمعنى كشفت ردائى حين وفيت بدية الملوك الثلاثة هم ذلك وتمادى الحروب  
 عن أميان الاهاتم وكبرائهم فافهم ، هذا كلامه وهو كلام من لم يصل إلى  
 العنقود . أهـ (٤) حزازات الصدور : غيظ الصدور .

(٥) قوله : أبانا بهم ، يقال أبأت فلانا بفلان فباء به إذا قتله به ولا يكاد  
 يستعمل هذا إلا والثاني كفاء الاول . والحوائم من الابل العطاش التى تحوم  
 حول الماء (٦) المحصب : موضع رمى الجمار بمكة ، ومنى : قال ياقوت بالكر  
 والتنوين في درج - الوادى الذى ينزله الحاج ويرمى فيه الجمار من الحرام  
 سمى بذلك لما يمتنى به من الندماء أى يراق

وقصة رداء الفرزدق رواها أبو عبيدة قال : كان الفرزدق بالمدينة حين جاءت وقعة وكيع ، وحج سليمان بن عبد الملك فبلغه بمكة وقعة وكيع بقتيبة فخطب الناس بمسجد عرفات فذكر غدر بني تميم ووثوبهم على سلطانهم وإسراهم إلى الفتن وأنهم أصحاب فتن وأهل غدر وقلة شكر فقام إليه الفرزدق فقال وفتح رداه : يا أمير المؤمنين هذا ردائي رهن لك بوفاء بني تميم والذي بلغك كذب . فقال الفرزدق في ذلك حيث جاءت بيعة وكيع لسليمان تلك الأبيات . يعنى بالأهاتم الأهم بن سنان بن خالد بن منقر بن عبيد بن الحرث بن عمرو بن كعب ابن سعد بن مناة بن تميم فعرف أن الأهم ليس لقباً لسنان بن خالد . والحوائم : العطاش التي تحوم حول الماء .

ومن مذاهبهم تحريم الخمر على نفوسهم إلى أن يأخذوا بتأمرهم  
كانت العرب تحرم الخمر على أنفسهم في مدة طلبهم لأنها مشغلة لهم عن  
كريم الأخلاق والإقبال على الشهوة . قال الشنفرى يرى خاله تأبط شراً ويذكر  
إدرا كه ثأره من قصيدة له <sup>(١)</sup> :

(١) نسبة القصيدة التي منها هذان البيتان إلى الشنفرى وانه رثى خاله تأبط شراً غير صحيحة لأن الشنفرى مات قبل تأبط شراً ورثاه تأبط شراً بأبيات مشهورة ومن رواها أبو الفرج الاصبهاني وابن الانباري وأولها : على الشنفرى صوب الغمام ورائح غزير الكلى وصيب الماء باكر — ولان تأبط شراً ليس بخال للشنفرى . والصحيح ان هذا الشعر مولد . قال أبو زكريا الخطيب في شرح ديوان الحماسة : « وذكر انه لخلف الأحمر وهو الصحيح وقيل : قال ابن أخت تأبط شراً . قال النمرى : ومما يدل على انها لخلف الأحمر قوله فيها ( جل حتى دق فيه الاجل ) فان الاعرابي لا يكاد يتغفل الى مثل هذا . قال أبو محمد الاعرابي : هذا موضع المثل : ليس هذا بعشك فادرجى ليس هذا كما ذكره بل الاعرابي قد يتغفل الى أرق من هذا لفظاً ومعنى وليس من هذه الجهة عرف ان الشعر مصنوع لكن من الوجه الذي ذكره لنا أبو الندى قال : مما يدل ان هذا الشعر مولد انه ذكر فيه ساعاً وهو بالمدينة وابن تأبط شراً من ساع . وانما قتل في بلاد هذيل ورمى به في غار يقال له رخمان وفيه تقول اخته تربيته :

نعم الفنى غادرتم برخمان بنابت بن جابر بن سفيان  
من يقتل القرن ويروى الندمان » .

فأدر كنا الثأر منهم ولما ينج من لحيان إلا الأقل<sup>(١)</sup>  
 حلت الخمر وكانت حراماً وبلاى ما ألفت تحل<sup>(٢)</sup>  
 وفي كتاب (مساوى الخمر) غزا امرؤ القيس بنى أسد ثائراً بأبيه وقد  
 جمع جموعاً من حمير وغيرهم من ذؤبان العرب وصعاليكها<sup>(٣)</sup> وهرب بنو أسد  
 من بين يديه حتى أنضوا<sup>(٤)</sup> الإبل وحسروا<sup>(٥)</sup> الخيل ولحقهم فظفر بهم وقتل  
 بهم مقتلة عظيمة وأبار<sup>(٦)</sup> حلة بن أسد ومثل في عمرو وكاهل ابني أسد وذكر  
 السكابي عن شيوخ كنفدة أنه جعل يسم<sup>(٧)</sup> أعينهم ويحى الدروع فيلبسهم  
 إياها . وروى أبو سعيد السكري مثل ذلك وأنه ذبحهم على الجبل ومزج الماء  
 بدمائهم إلى أن يبلغ الحضيض<sup>(٨)</sup> وأصاب قوماً من جذام كانوا من بنى أسد .  
 وفي ظفره بنى أسد يقول :

قولا لدودان عبيد العصا : ما غرّكم بالأسد الباسل ؟  
 إلى أن قال :

لا تسقيني الخمر إن لم يروا قتلى فثاماً بأبي الفاضل  
 حتى أبيض الحى من مالك قتلاً ومن يشرف من كاهل  
 ومن بنى غنم بن دودان إذ نقذف أعلامهم على السافل  
 نعلوهم بالبيض مسنونة حتى يروا كالخشب الشائل  
 حلت لي الخمر وكنت امرءاً عن شرمها في شغل شاغل

(١) أدركنا أخذنا . ومن لحيان صوابه ملحيين أى من الحييين (٢) قوله :  
 ما ألفت يجوز أن تكون (ما) صلة ويجوز أن تكون مع الفعل بعده في تقدير  
 المصدرية ، يريد ، بلاى - أى يبطء - ألفت حلالاً أو المامها حلالاً . والامام :  
 الزيارة الخفيفة وتوسع فيه فاجرى مجرى حصلت (٣) ذؤبان العرب :  
 لصوصها . والصعاليك جمع صعلوك وهو الفقير  
 (٤) يقال : أنضى الرجل بعيره إذا هزله بالسير فذهب لحمه (٥) حسرت  
 الدابة : أتعينها .  
 (٦) أى أهلك (٧) سمل عينه سملاً من باب قبل : فقاهها بحديدة محمأة  
 (٨) هو القرار في الأرض :

فاليوم أشرب غير مستحقب إنما من الله ولا واغل<sup>(١)</sup>  
 قوله قولاً لدودان الخ دودان بالضم هو ابن أسد بن خزيمية ، وأراد القبيلة  
 وكان أبو امرئ القيس إذا غضب على أحد منهم ضربه بالعصا فسموا عبيد  
 العصا أى يعطون على الضرب والهوان . وأراد بالأسد الباسل أباه ، والفئام بكسر  
 الفاء بعدها همزة ممدودة : الجماعة . وأبير : أفنى . ومالك : هو ابن أسد وأراد  
 بمن يشرف من كاهل علياء بن الحرث من بني كاهل بن أسد . وقوله : نقذف أى  
 نرمى بعضهم على بعض إذا قتلوا . والمسئونة المحدودة . والشائل الساقط . وقوله :  
 ( حلت لى الخمر الخ ) قال السمعاني فى مساوىء الخمر : إنما قال هذا لأنه لم يكن  
 حضر قتل أبيه وكان أبوه أقصاه لأنه كره منه قول الشعر وإنما جاءه الأعور العجلي  
 يخبره وهو يشرب فقال : ضيعنى صغيراً ، وحلنى ثقل الثأر كبيراً ، اليوم خمر ،  
 وغداً أمر<sup>(٢)</sup> ، لاصحو اليوم ولا سكر غداً ، ثم شرب سبعة ، ثم لما صحا  
 حلف أن لا يفسل رأسه ولا يشرب خمرأ حتى يدرك ثأره فذلك قوله :  
 حلت لى الخمر . وهذا معنى ما زالت العرب تطرقه . قال إسماعيل بن هبة الله  
 الموصلى فى كتاب الأوائل : أول من اخترع هذا المعنى امرؤ القيس  
 فى هذا الشعر . وقوله فاليوم أشرب الخ المستحقب المكتسب وأصله من

(١) يستشهد النحويون بهذا البيت على تقدير رفع الحرف الصحيح  
 كما فى - أشرب - فالباء حرف صحيح وظاهر كلام السيوطى فى الهمع أن  
 ذلك لغة وهو الصحيح لتبوت القراءات التى أشارت إليها . وقال سيبويه :  
 انه ضرورة ، وانكر المبرد هذه الرواية وزعم ان الرواية : - فاليوم فاشرب -  
 وتبعه السيد المرتضى وبعض المعاصرين . . قال ابن جنى : اعتراض أبى  
 العباس المبرد هنا على الكتاب إنما هو على العرب لا على صاحب (الكتاب)  
 لأنه حكاه كما سمعه ولا يمكن فى الوزن أيضاً غيره ، وقول أبى العباس « إنما  
 الرواية : فاليوم فاشرب » فكانه قال لسيبويه : كذبت على العرب ولم تسمع  
 ما حكيتهم عنهم ، وإذا بلغ الأمر هذا الحد من السرف فقد سقطت كلفة القول  
 معه . وكذلك انكاره عليه قول الشاعر ( وقد بداهنك من المئزر ) فقال : إنما  
 الرواية ( وقد بدا ذلك من المئزر ) وما أطيب العروس لولا النفقة ، ولو كان  
 الى الناس تخير ما يحتمله الموضع لكان الرجل اقوم من الجماعة به وأوصل  
 الى المراد منه . (٢) قال الميدانى : « أى يشغلنا اليوم خمر وغدا يشغلنا أمر  
 الحرب ومعناه اليوم خفض ودعة وغدا جد واجتهاد وهو يضرب للدول  
 الجالبة للمحسوب والمكروه .

استحقب أى وضع فى الحقيقة وهى خرج يربط بالسرج خلف الراكب . واثماً مفعول، مستحقب كأن شربها بعد وفاء النذر لا إثم فيه بزعمه ، والواغل : الذى يأتى شراب القوم من غير أن يدعى إليه وهو مأخوذ من الوغول وهو الدخول ومعناه أنه وغل فى القوم وليس منهم ، والله أعلم بحقائق الأمور .

### ومن مذاهبهم فى الخليع والرجل اللعين

كانت العرب فى الجاهلية إذا قال قائل منهم : هذا ابنى قد خلعته كان لا يؤخذ بجريته وذنبه . وقال الفاضل الزوزنى فى شرح معلىة امرئ القيس عند الكلام على قوله :

وَوَادٍ كَجَوْفِ الْعَيْرِ قَفَرٍ قَطَعَتْهُ بِهِ الذُّبُّ يَعْوَى كَالْخَلِيعِ الْمَعِيلِ<sup>(١)</sup>

الخليع الذى قد خلعه أهله لخبثه ، وكان الرجل منهم يأتى بابنه إلى الموسم ويقول : ألا إبنى قد خلعت ابنى هذا فإن جرّ لم أضمن وإن جرّ عليه لم أطلب فلا يؤخذ بجرائره انتهى . وفى كتاب فتح البارى : الخليع فعيل بمعنى مفعول يقال تخالغ القوم إذا نقضوا الحلف فإذا فعلوا ذلك لم يطالبوا بمجانيته فكأنهم خلعوا اليمين التى كانوا لبسوها معه ومنه سمي الأمير إذا عزل خليعاً ومخلوعاً . وقال أبو موسى فى اللعين خلعه قومه أى حكموا بأنه مفسد فنبأوا منه ولم يكن ذلك فى الجاهلية يختص بالخليف بل كانوا يخلعوا الواحد من القبيلة ولو كان من

---

(١) الجوف : باطن الشيء . والعير : الحمار والقفر : المكان الخالى . والمعيل : الكثير العيال . وقد عيل تعيلاً فهو معيل والعواء صوت الذئب وما أشبهه : زعم صنف من الأئمة أنه شبه الوادى فى خلائه عن الأنس بطن العير وهو الحمار الوحشى إذا خلا من العلف . وقيل : بل شبهه فى قلة الانتفاع به بجوف العير لأنه لا يركب ولا يكون له در . وزعم صنف منهم أنه أراد كجوف الحمار فغير اللفظ إلى ما وافقه فى المعنى لأقامة الوزن . والخبيع زعم الأئمة أنه فى هذا البيت المقامر . والمعنى : ورب واد يشبه وادى الحممار والخلاء من النبات والأنس أو يشبه بطن الحممار فيما ذكرنا طويته سيرا وقطعة وكان الذئب يعوى فيه من فرط الجوع كالمقامر الذى كثر عياله ويطلبه عياله بالنفقة وهو يصيح بهم ويخاصمهم إذ لا يجد ما يرضيهم به . انتهى ملخصاً من شرح الزوزنى .

صميمها إذا صدرت منه جناية تقتضى ذلك وهذا مما أبطله الإسلام من حكم الجاهلية . وفى البخارى : وقد كانت هذيل خلعوا خليعاً لهم فى الجاهلية فطرق أهل بيت مز، اليمن بالبطحاء فانتبه له رجل منهم فحذفه بالسيف فقتله فجاءت هذيل فأخذوا اليماني فرفعوه إلى عمر بالموسم وقالوا : قتل صاحبنا . فقال : إنهم قد خلعوه فقال يقسم خمسون من هذيل ما خلعوا ، قال : فأقسم منهم تسعة وأربعون رجلاً وقدم رجل منهم من الشام فسأله أن يقسم فافتدى يمينه منهم بألف درهم فأدخلوا مكانه رجلاً آخر فدفعه إلى أخى المقتول فقرنت يده بيده . قال : قالوا : فانطلقنا والخسون الذين أقسموا حتى إذا كانوا ( بنخلة ) أخذتهم السماء فدخلوا فى غار فى الجبل فانهمج الغار على الخمسين الذين أقسموا فأتوا جميعاً وأفلت القرينان واتبعهما حجر فكسر رجل أخى المقتول فعاش حولاً ثم مات . وحاصل القصة : أن القاتل ادعى أن المقتول لص وأن قومه خلعوه فأنسكروا هم ذلك وحلفوا كاذبين فأهلكهم الله بحنث القسامة وخلص المظلوم وحده . وهذيل : القبيلة المشهورة وهم ينتسبون إلى هذيل بن مدركة بن إلياس بن مضر . ويسمى الخليع الرجل اللعين أيضاً . قال أبو عبيد البكري فى شرح أمالى القالى : كان الرجل فى الجاهلية إذا غدر وأخفر الذمة جعل له مثال من طين ونصبه ؟ وقيل إلا إن فلاناً قد غدر فالعنوه كما قال الشاعر :

فلنقتلن بخالد سرواتكم ولنجعلن لظالم تمثالا

فالرجل اللعين هو هذا التمثال . وبعضهم يقول الرجل اللعين هو نفس الخليع . وقد اختاب أهل اللغة فى المراد بقول الشماخ بن ضرار فى مدح عرابة بن أوس من قصيدة :

وماء قد وردت لوصل أروى عليه الطير كالورق اللجين<sup>(١)</sup>

(١) اللجين : الخطب الملجون . قال الليث هو ورق الشجر يخطط بدقيق أو شعير فيملف الأبل وكل ورق أو نحوه فهو ملجون أو لجين وفى الصحاح : اللجين الخطب وهو ما سقط من الورق عند الخطب .



ذعرت به القطا ونفيت عنه مقام الذنب كالرجل اللعين  
فقالوا : يريد بقوله ذعرت به القطا الخ أنه جاء إلى الماء متذكراً وذعرت.  
خوفت ونفرت ونفيت طردت وخص الذنب والقطا لأن القطا أهدى الطير  
والذنب أهدى السباع وهما السابقان إلى الماء قال شارح الديوان : أى ذعرت القطا  
بذلك الماء ونفيت عن ذلك الماء مقام الذنب أى وردت الماء فوجدت الذنب  
عليه فنجيته عنه أراد مقام الذنب كالرجل اللعين المنفى المتصى انتهى . فاللعين  
على هذا بمعنى الطريد وهو وصف للرجل . وهو ما ذهب إليه ابن قتيبة فى أبيات  
المعاني : قال اللعين المطرود وهو الذى خلمه أهله لكثرة جنائياته . وقال بعض  
شراح أبيات المفصل : اللعين المطرود الذى يلعبه كل أحد ولا يؤويه أى هذا  
الذنب خليع لا مأوى له كالرجل اللعين وقال صاحب الصحاح : الرجل اللعين  
شئ ينصب فى وسط الزرع يستطرد به الوحوش وأنشد هذا البيت . وقد سبق  
قول أبى عبيد البكرى فى شرح أمالى القالى فى ذلك وقد أغرب فإنه لم يظهر  
للبيت معنى على قوله . وعلى كل حال فهذا المذهب للعرب يدل على أنهم قد بلغوا  
فى الجاهلية إلى غاية الغايات ، فى ميلهم لحاسن الأخلاق وجميل الصفات ، حتى  
أنهم تجاوزوا الحد فى ذلك فبلغوا إلى درجة العقوق ، وعدم المبالاة بما يجب للأقارب  
والبنين من الحقوق ، حثاً على اجتناب كل ما يشين من الأخلاق الذميمة ،  
وزجراً عن تعاطى سفاسف الأمور والجرائم العظيمة ، وانخلاء كانوا قد خلموا  
عنهم لباس المروءة والإنصاف ، وتجرؤوا بأردية الجور والظلم والاعتساف ، فلذلك  
عوملوا بهاتيك المعاملة ، ولم تراع فيهم غفود الموافقة والمسالمة ، ولما كان كل أمر  
تجاوز الحد ، انقلب بما يستنتج من المفساد إلى الضد ، نهى الشرع عن كل  
ما يستوجب المفساد ، وأمر — والحمد لله تعالى — بما يستحق الحمد من المقاصد .

### ومن مذاهب العرب : المعاقرة

وهو أن يتبارى الرجلان كل منهما يجادل صاحبه فيعقر هذا عدداً من إبله ويقر صاحبه فأيهما كان أكثر عقراً غلب صاحبه ونفره . وفي شرح سنن أبي داود للخطابي عند الكلام على قوله نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن معاقرة الأعراب وكره أكل لحومها لثلاث يكون مما أهل لغير الله ، ثم قال : وفي معناه مما جرت به عادة الناس من ذبح الحيوان بحضرة الملوك والرؤساء عند قدومهم البلدان وأوان حدوث نعمة تتجدد لهم ونحو ذلك من الأمور انتهى . وقد وقعت معاقرة عظيمة في صدر الإسلام من غالب أبي الفرزدق الشاعر الشهير وذلك في خلافة الإمام على كرم الله تعالى وجهه ، وإليها الإشارة بقول جرير من قصيدة يهجو بها الفرزدق :

تعدون عقراً النيبَ أفضلَ مجدكم    بنى ضوطرى لولا الكميّ المفنعا<sup>(١)</sup>  
يعنى أنكم تعدون عقر الإبل المسنة التي لا ينتفع بها ولا يرحى نسلها أفضل  
مجدكم هلا تعدون قتل الشجعان ، ومنازلة الأقران . . وقضية عقر الإبل هذه  
مشهورة في التواريخ محصلها : أنه أصاب أهل الكوفة مجاعة فخرج أكثر الناس  
إلى البوادي وكان غالب أبو الفرزدق رئيس قومه فاجتمعوا في أطراف السماوة<sup>(٢)</sup>  
من بلاد كلب على مسيرة يوم من الكوفة فعقر غالب لأهله ناقة صنع منها طعاماً  
وأهدى إلى قوم من تميم جفاناً وأهدى إلى سحيم جفنة فكفأها وضرب الذي  
أتى بها وقال أنا مفتقر إلى طعام غالب ! ونحر سحيم لأهله ناقة ، فلما كان من  
الغد نحر غالب لأهله ناقتين ونحر سحيم ناقتين ، وفي اليوم الثالث نحر غالب

(١) معنى تعدون : تجعلون وتحسبون ولهذا عداه الى مفعولين . والنيب جمع ناب وهي الناقة المسنة . وعقر الناقة اذا ضرب قوائمها بالسيف ، وربما قيل عقر الناقة بمعنى نحرها . ويقال للقوم الذين لا يفنون غناء بنو ضوطرى . وقوله : لولا الكمي يريد هلا الكمي - وهو الشجاع او لابس السلاح . والمقنع : الذي على رأسه البيضة والمففر . وقد زعم ابن السجري ان البيت الاشهب ابن زميلة وليس ذلك بصواب . (٢) يقال لهذا المحل الذي اجتمعوا فيه ( صوار ) .

ثلاثا فنحمر سحيم ثلاثا ، فلما كان اليوم الرابع نحر غالب مائة ناقه ولم يكن لسحيم هذا القدر فلم يعقر شيئا . فلما انقضت الجماعة ودخل الناس الكوفة قال بنو رياح لسحيم : جررت علينا عار الدهر ! هلا نحررت مثل ما نحر غالب ! وكنا نعطيك مكان كل ناقه ناقتين ! فاعتذر أن إبله كانت غائبة ونحر نحو ثلثائة ناقه . وكان في خلافة علي ابن أبي طالب رضى الله تعالى عنه فنع الناس من أكلها . وقال : إنها مما أهل لغير الله به ولم يكن الغرض منه إلا المفاخرة والمباهاة فجمعت لحومها على كناسة الكوفة فأكلها الكلاب والعقبان والرخم<sup>(١)</sup> . وقد أورد القالى هذه الحكاية في ذيل أماليه<sup>(٢)</sup> . بأبسط مما ذكرناه وأورد ما قيل فيها من أشعار ما مدح به غالب وهجى به سحيم والله أعلم . ومن مذاهبهم تفرد العزيز منهم بالحجى<sup>(٣)</sup>

كان من عوائد العرب في الجاهلية أن ينفرد العزيز منهم بالحجى لنفسه كالذى كان يفعله كليب بن وائل فإنه كان يوافى بكلب على نشاز من الأرض —

(١) العقبان بكسر العين المهملة جمع عقاب بالضم طائر . والرخم كقصب جمع رخمة كقصبه طائر يأكل العذرة وهو من الخبائث وليس من الصيد . (٢) ص ٥٣ طبعة بولاق .

(٣) الحمى بالكسر والقصر وأصله في اللغة الموضع فيه كالأحمى من الناس أن يرعوه أى يمنعونهم يقال حميت الموضع إذا منعت منه وأحميته إذا جعلته حمى لا يقرب . قال الأصمعى : الحمى حميان ، حمى ضرية وحمى الربدة . قال ياقوت الحموى البغدادي (٣-٣٤٦) : ووجدت أنا ، حمى فيد وحمى النير وحمى ذى الشرى وحمى النقيع — فاما حمى ضرية فهو أشهرها وأسيرها ذكرنا وهو كان حمى كليب بن وائل فيما زعم لى بعض أهل بادية طيبى . قال : ذلك مشهور عندنا بالبادية يرويه كابونا عن كابر . قال : وفي ناحية منه قبر كليب معروف أيضا إلى اليوم وهو سهل الموطى كثير الخلّة وأرضه صلبة ونباته مسمنة وبه كانت ترعى إبل الملوك . . . وحمى الربدة أيضا أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله : لنعم المنزل الحمى لولا كثرة حياته . . . وحمى النير بكسر النون . قال ياقوت ، وفيه قبر كليب بن وائل على ما خبرنا فاما في أشعار كلب فهو بلادهم قريب من المدينة بينها وبين عرب . . . وحمى النير بكسر النون . قال قوت ، وفيه قبر كليب بن وائل على ما خبرنا بعض طيبى على الجبلين قال وهو قرب ضرية (٨-٣٥٦) . . . وحمى الشرى : كانوا قد حموه لى الشرى وهو صنم كان لدوس (٥-٢٤٦) . . . وحمى النقيع : حماه عمر بن الخطاب رضى الله عنه لخيّل المسلمين وهو من أودية الحجاز يدفع سيله إلى المدينة يسلكه العرب إلى مكة منه وهو على عشرين فرسخا أو نحو ذلك من المدينة (٨-٣١٢) والعرب في الحمى أشعار كثيرا ما يعنون بها حمى ضرية . انتهى ماخصا من معجم البلدان .

وهو المكان المرتفع — ثم يستعويه ويحمي ما انتهى إليه عواؤه من كل الجهات  
ويشارك الناس فيما عداه حتى كان ذلك سبب قتله . وفيه يقول العباس بن مرداس  
من قصيدة :

كما كان يبغيها كليبٌ بظلمِهِ من العزّ حتى طاحَ وهوَ قتيلاًها  
على وائلٍ إذ يترك الكلب ناجماً وإذ يمنع الأفتاء منها حلولها<sup>(١)</sup>  
« قال الميداني » في تفسير المثل الدائر على ألسنة العرب (أعزُّ من كليب وائل)  
هو كليب بن ربيعة بن الحرث بن زهير وكان سيد ربيعة في زمانه وقد بلغ من عزه  
أنه كان يحمي الكلاب<sup>(٢)</sup> ، فلا يُقرب حماءه ويحير الصيد فلا يُهاج وكان إذا سرت  
بروضة أعجبته أو غدير ارتضاه كنع<sup>(٣)</sup> كليباً ثم رمى به هناك فحيث بلغ عواؤه كان  
حمى لا يُرعى . وكان اسم كليب بن ربيعة وائل فلما حمى كلبه المرمى الأكلاء قيل :  
أعز من كليب وائل ثم غلب هذا الاسم عليه حتى ظنوه اسمه . وكان من عزه (أنه  
لاتوقد نار مع ناره ولا يستبق أحد إلى الورد إلا بأمره) ولا يتكلم أحد في مجلسه  
ولا يحتج<sup>(٤)</sup> أحد عنده . ولذلك قال أخوه مهلهل بعد موته :

نُبِئْتُ أن النارَ بعدك أوقِدَتْ واستبَّ بعدك يا كليبُ المجلسُ<sup>(٥)</sup>  
وتكلموا في أمرٍ كل عظيمٍ لو كنت شاهدَهُم بها لم يَنْدَبُوا<sup>(٦)</sup>

(١) طاح : سقط . والافتاء من الناس الاخلاط (٢) الكلاب مهموز العشب  
رطباً كان أو يابساً (٣) أي شد وطرح (٤) احتبى بالثوب : اشتمل أو جمع  
بين ظهره وساقيه بعمامة ونحوها وقد يكون الاحتباء باليدين عوض العمامة  
أو النوب . ومنه : الاحتباء حيطان العرب أي ليس في البراري حيطان فإذا  
أراد أن يستند احتبى لأن الاحتباء يمنعهم من السقوط ويصير لهم كالجدار  
« التاج » . (٥) قال التبريزي : كان كليب وائل لا توقد مع ناره للضيغان نار  
في أحماؤه وفيما يقرب من منزلة وأوطانه وكان إذا حضر مجلسه الناس  
لا يجسر أحد أن يفاخر أو يسابه أعظاماً لقدره فلما فقد تجرأوا على الكلام  
(٦) لم يندبوا : لم يتكلموا ، وهذا نحو قول صفية ابنة عبد المطلب  
ويروى لغيرها :

قد كان بعدك انباء وهنبشة لو كنت شاهدتها لم تكثر الخطب  
الهنايب : الأمور الشداد . راجع شرح ديوان الحماسة لأبي زكريا الخطيب  
التبريزي ج ٢ ص ١٩٧ .

وفيه أيضاً يقول معبد بن سَعْنَةَ التميمي: <sup>(١)</sup>

كفعل كليب كنت خبرت أنه يخططُ أ كلاء المياه ويمنع  
يحير على أفناء بكر بن وائل أرانب ضاحٍ والظباء فترتع <sup>(٢)</sup>

وكليب هذا هو الذي قتله جساس بن مرة الشيباني انتهى . وقال الإمام  
الخطابي في شرح سنن أبي داود عند الكلام على قوله صلى الله تعالى عليه وسلم  
لا حي إلا لله ولرسوله : قال ابن شهاب بلغني أن رسول الله صلى الله تعالى عليه  
وسلم حمى النقيع . قال الخطابي : قوله لا حي إلا لله ولرسوله يريد لا حي إلا على  
معنى ما أباحه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وعلى الوجه الذي حماه . وفيه  
إبطال ما كان أهل الجاهلية يفعلونه من ذلك ، وكان الرجل العزيز منهم اذا  
انتجع <sup>(٣)</sup> بلداً مخصباً أوفى بكلب على جبل أو على نَشَر <sup>(٤)</sup> من الأرض ثم  
استعوى الكلب ووقف له من يسمع منتهى صوته بالعواء فحيث انتهى صوته  
حماه من كل ناحية لنفسه ومنع الناس منه . فأما ما حماه رسول الله صلى الله تعالى  
عليه وسلم لمهازيل الصدقة واضعفى الخليل كالنقيع وهو مكان معروف مستنقع  
للمياه ينبت فيه الكلاء . وقد يقال إنه مكان ليس بجحد واسع يضيق بمثله على  
المسلمين المرعى ، فهو مباح . والأئمة أن يفعلوا ذلك على النظر مالم تضق منه على  
العامّة المراعى والله أعلم ، وهذا الكلام الذي سقته معنى كلام الشافعي في كتبه  
انتهى كلام الخطابي . وقد علم منه أن الشريعة أبطلت هذا المذهب الذي كان  
عليه أهل الجاهلية وأن المشروع ما كان على عهد الرسول عليه الصلاة والسلام .

(١) في القاموس وشرحه : ابن سَعْنَةَ شاعر جاهلي واسمه معبد ضبة انتهى  
وورد في ( تهذيب الالفاظ — ص ٢١٦ — طبعة المطبعة الكانولبيكية في بيروت )  
« معبد بن شعبة » بالشين المعجمة والباء الموحدة وهو تصحيف فاحذره .  
(٢) الخط الأرض التي تنزلها ولم ينزلها نازل قبلك وقد خطها واختطها  
أي اتخذها لنفسه وأعلم عليها علامة بالخط ليعلم أنه قد احتازها ليسببها داراً .  
والأفناء : مر تفسيره قريباً . وضاح : موضع غربي سلمى فيه ماء يقال لها  
مخربة . وقيل رملة . وقيل واد في ديار كلاب . (٣) انتجع : طلب الكلاء في  
موضعه . (٤) النشر : المكان المرتفع .

وفي كتاب ( الأحكام السلطانية ) للإمام الماوردي أنتم تفصيل لهذه المسئلة . فقد قال<sup>(١)</sup> : قد حمى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بالمدينة وصعد جبلا بالنقيع — قال أبو عبيدة النقيع بالنون وقال هذا حمى وأشار بيده الى القاع وهو قدر ميل في ستة أميال حماه لخييل المسلمين فأما حمى الأئمة من بعده فإن حموا به جميع الموات أو أكثره لم يحز وإن حموا أقله لخاص من الناس أو لأغنيائهم لم يحز وإن حموه لسكافة المسلمين أو للفقراء والمساكين ففي جوازه قولان « أحدهما » لا يجوز ويكون الحمى خاصاً لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ( الرواية صعب بن جثامة أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ) حين حمى النقيع قال : لا حمى إلا لله ولرسوله . « والقول الثاني » أن حمى الأئمة بعده جائز كجوازه له صلى الله تعالى عليه وسلم لأنه كان يفعل ذلك لصالح المسلمين لا لنفسه فكذلك من قام مقامه في مصالحهم . قد حمى أبو بكر رضي الله تعالى عنه بالربذة لأهل الصدقة واستعمل عليه مولاه أبا سلامة . وحمى عمر رضي الله تعالى عنه من السرف<sup>(٢)</sup> مثل ما حماه أبو بكر من الربذة وولى عليه مولى له يقال له هنى . وقال يا هنى : ضم جناحك عن الناس واتق دعوة المظلوم فإن دعوة المظلوم مجابة وأدخل ربّ الصرّية<sup>(٣)</sup> ورب الغنيمة ، وإياك ونعم

(١) — ص ١٦٤ . (٢) السرف : بفتح أوله وكسر ثانيه : موضع على عشرة أميال من مكة وقيل أقل أو أكثر قرب التنعيم تزوج به رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ميمونة بنت الحرث وبنى بها بسرف وكانت وفاتها أيضا بسرف ودفنت هنالك . . قال القاضي عياض : وأما الذي حمى فيه عمر (رض) فجاء فيه أنه « حمى السرف والربذة » كذا عند البخارى بالسسين المهملة : وفي موطأ ابن وهب « الشرف » بالشين المعجمة وفتح الراء وكذا رواه بعض رواة البخارى وأصلحه وهذا الصواب وأما سرف فلا يدخله الالف واللام . (انظر معجم البلدان : ج ٥ ص ٧١ ، وفتح البارى بشرح صحيح البخارى ج ٥ ص ٣٥ ) . (٣) تصغير الصرمة وهي بالكسر القطعة من الأبل واختلفت في تحديدها فقليل هي نحو الثلاثين كما في الصحاح وقيل هي ما بين العشرين الى الثلاثين أو ما بين الثلاثين الى الخمسين والأربعين فإذا بلغت الستين فهي الصدعة ، أو ما بين العشرة الى الأربعين أو ما بين عشرة الى بضع عشرة كأنها اذا بلغت هذا القدر تستقل بنفسها فيقطعها صاحبها عن معظم ابله .

ابن عفان وابن عوف فإنهما إن تهلك ماشيتهما يرجعان إلى نخل وزرع وإن رب الصريمة ورب النعمة يأتياى بعيالهما فيقولان . يا أمير المؤمنين أفتاركهم أنا لا أبالك فالكلاً أهون على من الدينار والدرهم ، والذي نفسى بيده لولا المال الذى أحمل عليه فى سبيل الله ما حميت عليهم من بلادهم شهراً . فأما قول رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم : لا حمى إلا لله ولرسوله : فعناه لا حمى إلا على مثل ما حماه الله تعالى ورسوله للفقراء والمساكين ، ولمصالح كافة المسلمين ، لا على مثل ما كانوا عليه فى الجاهلية ثم قال : وإذا جرى على الأرض حكم الحمى استبقاء لمواتها سابلاً ومنعاً من إحيائها ملكاً روعى حكم الحمى فإن كان للكافة نساوى فيه جميعهم من غنى وفقير ومسلم وذمى فى رعى كلهم بخيلهم وماشيتهم . فإن خص به المساكين اشترك فيه أغنياؤهم وفقراؤهم ومنع منه أهل الذمة ، وإن خص به الفقراء والمساكين منع منه الأغنياء وأهل الذمة ولا يجوز أن يخص به الأغنياء دون الفقراء ولا أهل الذمة دون المسلمين ، وإن خص به نعم الصدقة أو خيل المجاهدين لم يشركهم فيه غيرهم ، ثم يكون الحمى جارياً على ما استقر عليه من عموم وخصوص فلو اتسع الحمى لخصوص لعموم الناس جاز أن يشتركوا فيه لارتفاع الضرر عن خص به ، ولو ضاق الحمى العام عن جميع الناس لم يجوز أن يختص به أغنياؤهم وفى جواز اختصاص فقراؤهم به وجهان . وإذا استقر حكم الحمى على الأرض فأقدم عليها من أحيائها ونقض حمائها روعى الحمى ، فإن كان مما حماه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كان الحمى ثابتاً والإحياء باطلاً والمتعرض لإحيائه مردوداً مزجوراً لا سيما إذا كان سبب الحمى باقياً لأنه لا يجوز أن يعارض حكم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بنقض ولا إبطال . وإن كان من حمى الأئمة بعده فى إقرار إحيائه قولان « أحدهما » لا يقر ويجرى عليه حكم الحمى كالذى حماه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لأنه حكم نفذ بحق « والقول الثانى » يقر الإحياء ويكون حكمه أثبت من الحمى لتصريح رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بقوله : « من أحيأ أرضاً مواتاً فهي له . ولا يجوز لأحد

من الولاية أن يأخذ من أرباب المواشى عوضاً عن مراعى موات أو حى لقول رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم : المسلمون شركاء في ثلاث في الماء والنار والكلاء . انتهى . والمقصود من هذه النقول أن ما كان عليه أعزاء العرب وأقويائهم من التفرد بالحلى على الوجه الذى ذكرنا مما أبطله الشرع وهدمه .

### مذهب العرب فى البحيرة والسائبة أيام الجاهلية

اعلم أن هذا المذهب من مبتدعات عمرو بن لى الخزاعى أيضاً ، حمل العرب على التدين به فى جملة ما أحدث من المنكرات التى لم يكونوا يعلمونها من شريعة إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام وقد أبطلته الشريعة الإسلامية . قال تعالى : « مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ » أما البحيرة فهى فعيلة بمعنى مفعولة من البحر وهو الشق والتاء للنقل إلى الاسمية ألحذف الموصوف . قال الزجاج : كان أهل الجاهلية إذا نتجت الناقة خمسة أبطن آخرها ذكر بحروا أذنبا وشقوها وامتنعوا من نحرها وركوبها ولا تطرد عن ماء ولا تمنع عن مرعى وهى البحيرة وعن قتادة أنها إذا نتجت خمسة أبطن نظر فى الخامس فإن كان ذكراً ذبحوه وأكلوه وإن كان أنثى شقوا أذنبا وتركوها ترعى ولا يستعملها أحد فى حلب وركوب ونحو ذلك . وقيل البحيرة هى الأنثى التى تكون خامس بطن وكانوا لا يحملون لها ولبنها للنساء ، فإن ماتت اشترك الرجال والنساء فى أكلها . وعن محمد بن إسحق ومجاهد أنها بنت السائبة وستأنى إن شاء الله تعالى قريباً وكانت تهمل أيضاً . وقيل هى التى ولدت خمساً أو سبعمائة وقيل عشرة أبطن وتترك هملاً وإذا ماتت حل لها للرجال خاصة . وعن ابن السيب إنها التى منع ابنها للطواغيت فلا تحلب . وقيل هى التى ولدت خمس إناث فشقوا أذنبا وتركوها هملاً . وجعلها فى القاموس على هذا القول من الشاء خاصة وكما تسمى بالبحيرة تسمى بالعزيزة



أيضاً . وقيل هي السقب الذى إذا ولد شقوا أذنه وقالوا : اللهم إن عاش فعبي وإن مات فذكى فإذا مات أكلوه . وقيل هي التى تترك فى المرعى بلا راع ولما كان مذهب العرب مختلفاً فيها اختلف أئمة اللغة فى تفسيرها . وكل قول يرجع إلى مذهب وبذلك يجمع بين الأقوال .

( وأما السائبة ) فهي فاعلة من سببته أى تركته وأهملته فهو سائب وهي سائبة أو بمعنى مفعول كهيشة راضية . واختلف فيها فقيل هي الناقة تبطن عشرة أبطن إناث فتهمل ولا تتركب ولا يجرز وبرها ولا يشرب لبنها إلا ضيف ونسب إلى محمد بن إسحق . وقيل هي التى تسبب للأصنام فتعطى للسدنة ولا يطعم من لبنها إلا أبناء السبيل ونحوهم . وروى ذلك عن ابن عباس وابن مسعود رضى الله تعالى عنهم . وقيل هي البعير يدرك نتاج نتاجه فيترك ولا يركب . وقيل كان الرجل إذا قدم من سفر بعيد أو نجت دابته من مشقة أو حرب قال هي سائبة أو كان ينزع من ظهرها فقارة أو عظماً وكانت لا تمنع عن ماء ولا كلاً ولا تتركب وكأنه كان هذا نذراً من نذورهم إذا قدم الرجل منهم من سفر أو شفى من مرض وهذا الوجه مروي عن أبي عبيدة . وقيل هي ماترك ليحج عليه . وقيل هي التى تركت لأهلهم فقد كان الرجل يحج بماشية فيتركها عندها ويسبل ابنها . وقيل هي العبد يعتق على أن لا يكون عليه ولاء ولا عقل<sup>(١)</sup> ولا ميراث وهو وجه غريب .

( وأما الوصيلة ) فهي فعيلة بمعنى فاعلة . وقيل مضمولة . والأول أظهر كما ينبغي عن ذلك بيان المراد بها واختلف فيه فقال الفراء : هي الشاة تنتج سبعة أبطن عناقين عناقين وإذا ولدت فى آخرها عناقا وجدياً قيل وصلت أخاها فلا يشرب ابن الأم إلا الرجال دون النساء وتجري مجرى السائبة . وقال الزجاج : هي الشاة إذا ولدت ذكراً كان لأهلهم وإذا ولدت أنثى كانت لهم وإن ولدت ذكراً وأنثى قالوا وصلت أخاها فلم يذبجوا الذكر لأهلهم . وقيل هي الشاة تلد ذكراً ثم أنثى فتصل أخاها

---

(١) العقل : دية المقتول .

فلا يذبحون أخاها من أجاها وإذا ولدت ذكراً قالوا هذا قربان لأهتنا . وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما هي الشاة تنتج سبعة أبطن فإن كان السابع أنثى لم ينتفع النساء منها بشيء إلا أن تموت فيأكلها الرجال والنساء وكذا إن كان ذكراً وأنثى قالوا وصلت أخاها فتترك معه ولا ينتفع بها إلا الرجال دون النساء فإن ماتت اشتركوا فيها . وقال ابن قتيبة : إن كان السابع ذكراً ذبح وأكلوا منه دون النساء وقالوا خالصة لذكورنا محرمة على أزواجنا وإن كانت أنثى تركت في الغنم وإن كان ذكراً وأنثى فكقول ابن عباس رضى الله تعالى عنه . وقال محمد بن إسحق : هي الشاة تنتج عشر إناث متواليات في خمسة أبطن فما ولدت بعده للذكور دون الإناث فإذا ولدت ذكراً وأنثى معاً قالوا وصلت أخاها فلم يذبحوه لمساكنها . وقيل هي الشاة تنتج خمسة أبطن أو ثلاثة فإن كان جدياً ذبحوه وإن كان أنثى أبقوها وإن كان ذكراً وأنثى قالوا وصلت أخاها . وقال بعضهم : الوصلة من الإبل وهي الناقة تبكر فتلد أنثى ثم تنثى بولادة أنثى أخرى ليس بينهما ذكر فيتزكونها لأهتهن ويقولون قد وصلت أنثى بأنثى ليس بينهما ذكر . وقيل هي الناقة التي وصلت بين عشرة أبطن لا ذكر بينهما .

(وأما الحامى) فهو فاعل من الحمى بمعنى المنع واختلف فيه أيضاً فقال القراء : هو الفحل إذا لقح ولد ولده فيقولون : قد حمى ظهره فيحمل ولا يطرده من ماء ولا مرعى . وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنه وابن مسعود وهو قول أبى عبيدة والزجاج : إنه الفحل يولد من ظهره عشرة أبطن فيقولون : حمى ظهره فلا يحمل عليه ولا يمنع من ماء ومرعى . وعن الشافعى إنه الفحل يضرب في مال صاحبه عشر سنين . وقيل : هو الفحل ينتج له سبع إناث متواليات فيحمى ظهره . والجمع بين الأقوال المتقدمة في كل من تلك الأنواع بأن العرب كانت تختلف أفعالهم فيها كما سبق (ومعنى الآية السابقة) ما جعل الله من بحيرة الخ ما شرع . ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب حيث يفعلون ما يفعلون ويقولون الله

سبحانه وتعالى أمرنا بهذا وإمامهم عمرو بن لحي فإنه في المشهور أول من فعل تلك الأفاعيل الشنيعة . أخرج ابن جرير وغيره عن أبي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول لا أكتم بن الجون : يا أكتم عرضت على النار فرأيت فيها عمرو بن لحي بن قمة بن خنيد يجر<sup>(١)</sup> قصبه في النار فما رأيت رجلا أشبهه برجل منك به ولا به منك فقال أكتم أخشى أن يضرني شبهه يا رسول الله فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لا إنك مؤمن وهو كافر إنه أول من غير دين إبراهيم عليه الصلاة والسلام وَبَحَرَ الْبَحِيرَةَ وَسَيَّبَ السَّائِبَةَ وَحَمَى الْحَامَى وجاء في خبر آخر عن ابن عباس رضي الله تعالى عنه ووصل الوصيلة . وأخرج عبد الرزاق وغيره عن زيد بن أسلم قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم إني لأعرف أول من سيب السوائب ونصب النصب وأول من غير دين إبراهيم عليه الصلاة والسلام قالوا : من هو يا رسول الله ؟ قال عمرو بن لحي أخو بني كعب لقد رأيته يجر قصبه في النار يؤذى أهل النار ريح قصبه وإني لأعرف أول من بحر البحائر قالوا : من هو يا رسول الله ؟ قال عليه الصلاة والسلام : رجل من بني مدلج كانت له ناقتان فجذع أذنيهما وحرم ألباسهما وظهورهما وقال هاتان لله ثم احتاج إليهما فشرب ألباسهما وركب ظهورهما فلقد رأيته في النار وهما تقضمانه بأفواههما : واستدل بالآية على تحريم هذه الأمور وهو ظاهر ، واستنبط منه تحريم جميع تعطيل المنافع . واستدل ابن الماجشون بها على منع أن يقول الرجل لعبد أنت سائبة وقال لا يعتق بذلك . وجعل بعض العلماء من صور السائبة إرسال الطير ونحوه وصرح بعض العلماء أنه لا ثواب في ذلك ولعل الجاعل لا يكتفي بهذا القدر ويدعى الإثم فيه والناس عن ذلك غافلون وأكثرهم لا يعقلون إن ذلك افتراء باطل فما تقدم فعل الرؤساء وهذا شأن الأتباع وهم المراد بالأكثر وظاهر سياق النظم الكريم أنهم المقلدون لأسلافهم المقتدرين من معاصري رسول

(١) القصب بالضم : المعى .

الله صلى الله تعالى عليه وسلم ، وهذا بيان لقصور عقولهم وعجزهم عن الاهتداء بأنفسهم . والحاصل أن المراد بالآية رد ما ابتدعه أهل الجاهلية وأبطاله .

### مذهبهم في الفرع والعتيرة

( أما الفرع ) فهو أول النتأج وهو بفتح الفاء والراء بعدها مهملة . وفي المحكم الفرع أول نتاج الإبل والغنم كان أهل الجاهلية يذبحونه لأصنامهم ثم يأكلونه ويلقى جلده على الشجر ويقال إن الفرع ذبح كانوا إذا بلغت الإبل ما تمناء صاحبها ذبحوه وكذلك إذا بلغت مائة يعتر منها بعيراً كل عام ولا يأكل منه هو ولا أهل بيته ويطلق أيضاً على الطعام الذي يصنع لنتاج الإبل كالخرس للولادة . وفي كتاب ضروب الأمثال للميداني عند الكلام على قولهم ( أول الصيد فرع ) ما نصه : الفرع أول ولد تنتجه الناقة كانوا يذبحونه لألهتهم يتركون بذلك وكان الرجل يقول إذا أتمت إبل كذا نحرت أول نتيج منها وكانوا إذا أرادوا نحرة زينوه وألبسوه ولذلك قال أوس يذكر أزيمة في شدة برد :

وَشُبَّهَ الْهَيْدَبُ الْعَبَامُ مِنْ آلِ أَقْوَامٍ سَقَبًا مَجْلَلًا فَرَعًا<sup>(١)</sup>

الهيدب العمام : العى الثقيل . والسقب : الذكر من ولد الناقة . قال أبو عمرو : ويضرب عند أول ما يرى من خير في زرع أو ضرع وفي جميع المافع . ويروى أول الصيد فرع ونصاب . وذلك أنهم يرسلون أول شئ يصيدونه يتيمنون به ويروى أول صيد فرعه أى أراق دمه يضرب لمن يرى<sup>(٢)</sup> منه خير قبل فعلته هذه انتهى . ولعل هذا الاختلاف مبنى أيضاً على اختلاف مذاهب العرب فيه فإنهم قلما يتوافقون في العوائد والأعمال .

---

(١) أى مجللاً جلد فرع فاختصر الكلام . والبيت من قصيدة يمدح بها فضالة بن كلفة في حياته ويرثيه بعد وفاته قال الأصمعى : لم يبتدىء أحد من الشعراء مرثية أحسن من ابتداء مرثية أوس بن حجر وهو :  
( أيتها النفس اجملى جزعا أن الذى تحدرين قد وقعنا )  
وقد ساق القالى القصيدة في ذيل النوادر ص ٣٢ فراجعها . (٢) في فرائد ذيل النوادر ص ٣٢ فراجعها . (٢) في فرائد اللال ( ج ١ ص ٢٥ ) يضرب اللال ( ج ١ ص ٢٥ ) يضرب لمن لم ير منه خير الخ ..

وأما ( العتيرة ) فهي بفتح المهملة وكسر المثناة بوزن عظيمة ذبيحة كانوا يذبحونها في الجاهلية في رجب يتقربون بها لأصنامهم وهي الرجبية قاله أبو عبيد . وقال غيره : العتيرة نذر كانوا يذرونه من بلغ ماله كذا أن يذبح من كل عشرة منها رأساً في رجب . وفي الصحاح : العتيرة هي أن الرجل كان يقول في الجاهلية إن بلغ إلى مائة عثرت منها عتيرة في رجب . ونقل أبو داود تقييدها بالعشر الأول من رجب .

وروى الحميدى أنها الشاة التي تذبح عن أهل بيت في رجب وسميت بذلك لذبحها وهو العترة فهي فعيلة بمعنى مفعولة . واعلم أن الشريعة الإسلامية قد أبطلت كلاً من الفرع والعتيرة ، ففي الحديث الصحيح : لا فرع ولا عتيرة . وهذا النهي محمول على ما إذا كان الذبح لغير الله تعالى كصنيع الجاهلية فإنهم كانوا يذبحونه لطواغيتهم . وأما إذا كان الذبح لله تعالى فهو جائز جمعاً بين هذا الحديث وبين حديث « الفرع حق » روى الحاكم أنه سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الفرع فقال : الفرع حق وإن تركه حتى يكون بنت مخاض أو ابن لبون<sup>(١)</sup> فتحمل عليه في سبيل الله أو تعطيه أرملة خير من أن تذبحه يلصق لحمه بوبره وتوله فاقتك . وفي حديث آخر : نادى رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم إنا كنا نعتز عتيرة في الجاهلية فما تأمرنا ؟ قال : اذبحوا لله في أي شهر كان . قال : إنا كنا نفرع في الجاهلية قال : في كل سائمة فرع تغذوه ماشيتك حتى إذا استجمل ذبحته فتصدق ببلحمه فإن ذلك خير . ففي هذا الحديث أنه صلى الله عليه وسلم لم يبطل الفرع والعتيرة من أصلهما وإنما أبطل صفة من كل منهما فن الفرع كونه يذبح أول ما يولد . ومن العتيرة خصوص الذبح في شهر رجب وكون الذبح في كل منهما لغير الله تعالى .

(١) بنت مخاض : الناقة التي دخلت في السنة الثانية سميت بذلك لأن أمها في الغالب تصير ذات مخاض أي حامل باخرى . وابن لبون : ولد الناقة في السنة الثالثة سمع بذلك لأن أمه ولدت غيره فصار لها لبن .

### ومن مذاهب العرب في الجاهلية الوأد

يقال وأد الموءودة يئدها دفنها حية والموءودة اسم كان يقع على من كانت العرب تدفنها حية من بناتها وهو وائد وهي وئيد ووءيدة وموءودة . أنشد ابن الأعرابي :

وما لقي الموءود من ظلم أمِّه كما لقيت ذهل جميعاً وعامر  
وبعضهم يقول : الموءودة من الوأد وهو النقل كأنها سميت بذلك لأنها تنقل  
بالتراب حتى تموت . وقيل الوأد مقلوب الأود وحكاة المرتضى في درره عن بعض  
أهل اللغة وهو غير مرضى عند أبي حيان لأنه لم ينقل عن أحد من أئمة اللغة ذكر  
الهيثم بن عدي على ما حكاة عنه الميداني أن الوأد كان مستعملاً في قبائل العرب  
قاطبة فكان يستعمله واحد ويتركه عشرة فجاء الإسلام . وقد قل ذلك فيها  
إلا من بنى تميم فإنهم تزايد فيهم ذلك قبل الإسلام وكانت مذاهب العرب مختلفة  
في الوأد وقتل الأولاد (فمنهم) من كان يئد البنات لمزيد الغيرة وخفاة لحوق  
العاربهم من أجلهن وهم بنو تميم وكندة وقبائل آخرون . قال الميداني :  
وكان السبب في ذلك أن بنى تميم منعوا الملك ضربة الإتاوة التي كانت عليهم فجرد  
إليهم النعمان أخاه الريان مع دؤسر « ودوسر إحدى كتابته » وكان أكثر رجالها  
من بكر بن وائل فاستاق نعيمهم وسبى ذراريهم . وفي ذلك يقول أبو المشرج  
اليشكري :

لما رأوا راية النعمان مُقبلة قالوا : ألا ليت أدنى دارنا عدنُ  
يأليت أم تميم لم تكن عرفتُ مرّاً وكانت كمن أودى به الزمن  
إن تقتلوننا فأعيارُ مجدعةٍ أو تُنعموا فقديماً منكم المينُ

فوفدت وفود بنى تميم على النعمان بن المنذر وكلوه في الذراري فحكم النعمان  
بأن يجعل الخيار في ذلك إلى النساء فأية امرأة اختارت زوجها ردت عليه فاختلغن

في الخيلار وكانت فيهن بنت لقيس بن عاصم فاختارت سابياها على زوجها فنذر قيس ابن عاصم أن يدس كل بنت تُولد له في التراب فوَاد بضع عشرة بنتًا . و بصنيع قيس ابن عاصم وإحيائه هذه السنة نزل القرآن في ذم واد البنات . و روى أن أول قبيلة وأدت من العرب ربيعة وذلك أنهم أغير عليهم فنهبت بنت بنت لأمير لهم فاستردها بعد الصلح فحسرت رضى منه بين أبيها ومن هي عنده فاختارت من هي عنده وآثرته على أبيها فغضب وسن لقومه الواد ففعلوه غيرة منهم وخافة أن يقع لهم بعد مثل ما وقع وشاع في العرب غيرهم والله تعالى أعلم بصحة ذلك . وغالب قبائل العرب كان غرضهم من الواد ما ذكر .

وكيفية الواد كما ذكر غير واحد أن الرجل منهم كان إذا ولدت له بنت فأراد أن يستحييها ألبسها حبة من صوف أو شعر ترعى له الإبل والغنم في البادية وإن أراد قتلها تركها حتى إذا كانت سداسية فيقول لأهلها طيبوها وزيئها حتى أذهب بها إلى أحماؤها وقد حفر لها بئرًا في الصحراء فيبلغ بها البئر فيقول لها أنظري فيها ثم يدفعها من خلفها ويهيل عليها التراب حتى تستوى البئر بالأرض . و روى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنه أنه قال : كانت الحامل إذا قربت ولادتها حفرت حفرة فمخضت على رأس تلك الحفرة فإذا ولدت بنتًا رمت بها في الحفرة وإذا ولدت ولدًا حبسته .

(ومنها) من كان يثد من البنات من كانت زرقاء أو شياء أو برشاء أو كسحاء<sup>(١)</sup> تشاؤمًا منهم بهذه الصفات . ومن هذا حديث سودة بنت زهرة بن كلاب وذلك أنها لما ولدت على بعض هذه الصفات وراها أبوها كذلك أمر بوأدها فأرسلها إلى الحُجُون لتدفن هناك فلما حفر لها الحافر وأراد دفنها سمع هاتفًا يقول : لاتئد الصبية . وخلصها البرية . فالتفت فلم ير شيئًا فعاد لدفتها فسمع الهاتف يسجع بسجع آخر في المعنى فرجع إلى أبيها فأخبره بما سمع فقال : إن لها لشأنا

(١) الشيماء : السوداء والبرشاء : من البرش وهو بياض يظهر في الجسد مثل البرص . والكسحاء : العرجاء .

وتركها فكانت كاهنة قريش فقالت يوماً لبني زهرة إن فيكم نذيرة أو تلد نذيراً فاعرضوا على بناتكم فعرضن عليها فقالت في كل واحدة منهن قولاً ظهر بعد حين حتى عرض عليها آمنة بنت وهب فقالت هذه النذيرة أو ستلد نذيراً في خبر طويل ذكره أبو بكر النقاش وفيه ذكر جهنم ولم يكن اسمها مسموعاً عندهم يومئذ فقالوا لها : وما جهنم ؟ فقالت : سيخبركم عنها النذير . وفي السيرة الحلبية : الذي دعا عبد المطلب لاختيار آمنة من بني زهرة لولده عبد الله أن سودة بنت زهرة الكاهنة وهي عمه وهب والد آمنة كان من أمرها أنها لما ولدت رآها أبوها زرقاء شياء أى سوداء وكانوا يثدنون من البنات من كانت على هذه الصفة أى يدفنونها حية ويسكون من لم تكن على هذه الصفة مع ذل وكآبة ، وذكر الخبر السابق . وهذا المذهب كان عليه قليل من قبائل العرب ولم يأخذ به جمهورهم .

(ومنه) من كان يقتل أولاده خشية الإنفاق وخوف الفقر وهم الفقراء من بعض قبائل العرب وفيهم نزل قوله تعالى (وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةً إِمَّا لَكُمْ نَزْدُكُمْهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنْ قَتَلْتُمْهُمْ كَانَتْ خَطَاً كَبِيراً) وظاهر لفظ الآية النهي عن جميع أنواع قتل الأولاد ذكوراً كانوا أو إناثاً مخافة الفقر والفاقة . لكن روى أن من أهل الجاهلية من كان يثد البنات مخافة العجز عن النفقة عليهن فنهى في الآية عن ذلك فيكون المراد بالأولاد البنات وبالقتل الوأد والخشية في الأصل خوف يشوبه تعظيم قال الراغب : أكثر ما يكون ذلك عن علم بما يحشى منه . والإملاق الفقر كما روى عن ابن عباس وأنشد له قول الشاعر :

وإلى على الإملاق يا قوم ماجدٌ أعد لأضيافى الشَّواء المضَّهبا<sup>(١)</sup>

---

(١) الإملاق : الافتقار وفي حديث فاطمة بنت قيس : أما معاوية فرجل أملاق من المال . أى قد نفذ ماله . وأصل الإملاق الانفاق . يقال أملاق مأمعه أملاقاً وملقه ملقاً إذا أخرجه من يده ولم يجبسه والفقر تابع لذلك فاستعملوا لفظ السبب في موضع السبب حتى صار به أشهر . والمضهب كمعظم اللحم الذي شوى على حجارة محمأة أو الذي شوى ولم يبالغ في نضجه . قال امرؤ القيس :

نمشى بأعراف الجياد اكفنا إذا نحن قمنا عن شواء مضهب



وقوله سبحانه ( نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ) ضمان لرزقهم وتعليل للنهي المذكور بابطال موجب في زعمهم أي نحن نرزقهم لأنهم فلا تخافوا الفقر بناء على علمكم بعجزهم عن تحصيل رزقهم . وقوله سبحانه ( إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا ) تعليل آخر ببيان أن المنهي عنه في نفسه منكر عظيم لما فيه من قطع التناسل وقطع النوع والخطء كالإثم لفظاً ومعنى . وكان كثير من عقلاء العرب لا يرتضى هذا الفعل ، وكان جمع منهم يفتنون هذا النوع من الموءودة من أهلها ، وفي صحيح البخارى أن زيد بن عمرو بن نفيل كان يحبي الموءودة يقول للرجل إذا أراد أن يقتل ابنته لا تقتلها أنا أ كفيك مؤنتها فيأخذها فإذا ترعرعت <sup>(١)</sup> قال لأبيها : إن شئت دفعتها إليك وإن شئت كفيتك مؤنتها والاحياء هنا مجاز والمراد بإحيائها إبقاءها وكان مصعصة بن ناحية يشتري البنات ممن يريد وأدها خشية الإملاق فأحياسن وتسعين موءودة إلى زمن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم . وفي ذلك يقول الفرزدق مفتخراً :

ومنا الذى اختير الرجال سماحةً      وخيراً إذا هبَّ الرياحُ الزعازع <sup>(٢)</sup>  
ومنا الذى قاد الجيادَ على الوجى      لنجرانٍ حتى صبحتها النزائع <sup>(٣)</sup>  
ومنا الذى أعطى الرسول عطيةً      أسارى تميم والعيون دواع <sup>(٤)</sup>  
ومنا خطيب لا يعاب وحامل      أغرَّ إذا التفَّت عليه المجامع <sup>(٥)</sup>

(١) ترعرع الصبى : تحرك ونشأ . (٢) الخير بكسر المعجمة الكرم وروى بدله ( وجودا ) والزعازع جمع زعزع وهى الريح التى تهب بشدة وعنى بذلك الشتاء وفيه ثقل الالبان وتعدم الازواد ويبيخل الجواد فيقول هو جواد فى مثل هذا الوقت الذى يقل فيه الجود . (٣) الذى قاد الجياد هو الاقرع بن حابس وعمرو بن كلثوم ، وكلاهما غزوا نجران . والوجى : الحفا أو اشد منه وهو ان يرق القدم والحافر . والنزائع من الخيل التى نزعت الى اعراق من اللقاح وفى الاساس : ومن المجاز خيل نزائع غرائب نزعته عن قوم آخرين وعنده نزيعة نجيب ونجيبة من غير بلاده . (٤) قوله ومنا الذى اعطى الرسول الخ هذا يوم بنى عمرو بن جندب حين رد رسول الله صلى الله عليه وسلم سبيهم . وقال ابو عبيدة : كلم الاقرع رسول الله (ص) فى اصحاب الحجرات وهم بنو عمرو بن جندب فرد سبيهم (٥) الخطيب . هو عطارذ بن حمل الحملات يوم المرید يوم قتل مسعود بن عمرو العتكى .

ومنا الذى أحيا الوئيد وغالبٌ وحمرؤٌ ومنا حاجبٌ والأفارع<sup>(١)</sup>  
 أولئك آبائى فجننى بمنلهم إذا جَمَعْتَنَا يا جرير الجامع  
 ورأيت فى بعض كتب السير : أن صعصعة بن ناجية بن عقال كان يفتدى  
 الموءودة من القتل ولما أتى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال : يا رسول الله  
 إني كنت أعمل عملاً فى الجاهلية أفينفعنى ذلك اليوم ؟ قال : وما عملك ؟ فأخبره  
 بخبر طويل فيه أنه حضر ولادة امرأة من العرب بنتاً فأراد أبوها أن يثدها . قال  
 فقلت له أتبيعها ؟ قال : وهل تبيع العرب أولادها . قال : قلت ؛ إنما أشتري  
 حياتها ولا أشتري رقها فاشتراها منه بناقطين عشراوين وجمل وقد صارت لى  
 سنة فى العرب على أن أشتري ما يثدونه بذلك فعندى إلى هذه الغاية ثمانون  
 ومائتا موءودة وقد أنقذتها ! فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم : لا ينفعك ذلك  
 لأنك لم تبتغ به وجه الله وإن تعمل فى إسلامك عملاً صالحاً تنب عليه . وأخرج  
 الطبرانى عن صعصعة بن ناجية الجاشعى قال : قلت يا رسول الله إني عملت  
 أعمالاً فى الجاهلية فهل فيها من أجر ؟ أحييت ثلثمائة وستين من الموءودة أشتري  
 كل واحدة منهن بناقطين عشراوين وجمل فهل لى من ذلك من أجر ؟ فقال النبي  
 صلى الله تعالى عليه وسلم : لك أجره إذ من الله تعالى عليك بالإسلام وهذه  
 الرواية أصح من الرواية الأولى وقد ذكر الفرزدق إحياء جده الموءودة فى كثير من  
 شعره : كما قال :

ومنا الذى منع الوائدات وأحيا الوئيد فلم يُؤأدِ  
 « ومنهم » من كان ينذر إذا بلغ بنوه عشرة نحر واحداً منهم كما فعله عبد  
 المطلب فى قصته المشهورة وإليها أشار النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بقوله ( أنا  
 ابن الذبيحين ) يعنى أباه عبد الله وجده إسماعيل عليه الصلاة والسلام . قال الإمام

(١) الذى أحيا الوئيد هو جده صعصعة بن ناجية .

الماورديّ في كتاب أعلام النبوة<sup>(١)</sup> : حكى الزهري ويزيد بن رومان وصالح ابن كيسان أن عبد المطلب بن هاشم نذر أنه متى رزق عشرة أولاد ذكوراً ورآهم بين يديه رجلاً أن ينحر أحدهم للكعبة شكراً لربه حين علم أن إبراهيم عليه الصلاة والسلام أمر بذبح ولده تصوراً أنه من أفضل قرابة ، فلما استكمل ولده العدد وصاروا له من أظهر العدد قال لهم : يا بني كنت نذرت نذراً علمتموه قبل اليوم فما تقولون ؟ قالوا : الأمر لك وإليك . ونحن بين يديك . فقال : لينطلق كل واحد منكم إلى قدحه وليكتب عليه اسمه ففعلوا ثم أتوه بالقداح فأخذها وجعل يرتجز ويقول :

عاهدته وأنا موفٍ عهده      والله لا يحمّد شيء حمده  
إذ كان مولاي وكنت عهده      نذرت نذراً لا أحب رده  
ولا أحب أن أعيش بعده

ثم دعا بالأمين الذي يضرب بالقداح فدفع إليه قداحهم وقال حرك ولا تعجل وكان أحب ولد عبد المطلب إليه عبد الله فضرب صاحب القداح السهم على عبد الله وأخذ عبد المطلب الشفرة وأتى بعبد الله وأضجعه بين أساف ونائلة وأنشأ مرتجزاً يقول :

عاهدته وأنا موفٍ نذره      والله لا يقدر شيء قدره  
هذا بنى قد أريد نحره      وإن يؤخره يقبل عذره  
وهم بذبحه فوثب إليه ابنه أبو طالب وكان أخا عبد الله لأبيه وأمه وأمسك يد عبد المطالب عن أخيه وأنشأ مرتجزاً يقول :

كلا وربّ البيت ذى الأنصاب      ما ذبح عبد الله بالتلعاب  
يا شيب إن الريح ذو عقاب      إن لنا مرة في الخطاب  
أحوال صدق كأسود الغاب

فلما سمعت بنو مخزوم هذا من أبي طالب وكانوا أخواله قالوا : صدق ابن أختنا ووثبوا إلى عبد المطلب فقالوا يا أبا الحرث إنا لا نسلم ابن أختنا للذبح فاذبح من شئت من ولدك غيره . فقال : إني نذرت نذراً وقد خرج القدح ولا بد من ذبحه قالوا : كلا لا يكون ذلك أبداً وفيينا ذو روح وإنا لنفديه بجميع أموالنا من طارف وتالد وأنشأ المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم مرتجزاً يقول :

يا عجباً من فعل عبد المطلب وذبحه ابنك كتمثال الذهب  
كلا وبيت الله مستور الحجب ما ذبح عبد الله فينا باللاعب  
فدون ما ينبغي خطوط تضطرب

ثم وثب السادات من قريش إلى عبد المطلب فقالوا : يا أبا الحرث إن هذا الذى عزمتم عليه لعظيم وإنك إن ذبحت ابنك لم تنه بالعيش من بعده ولكن لا عليك أنت على رأس أمرك تثبت حتى نصير مملك إلى كاهنة بنى سعد فما أمرتك من شيء فامثله . فقال عبد المطلب : لكم ذاك وكانوا يرون الكهانة حقاً . ثم خرج فى جماعة من بنى مخزوم نحو الشام إلى الكاهنة فلما دخلوا عليها أخبرها عبد المطلب بما عزم عليه من ذبح ولده وارتجز يقول :

ياربّ إني فاعل لما ترد إن شئت ألهمت الصواب والرشد  
يا سائق الخير إلى كل بلد قد زدت فى المال وأكثرت العدد

فقالت الكاهنة : انصرفوا عني اليوم فانصرفوا . وعادوا من العد فقالت : كم دية الرجل عنكم ؟ قالوا : عشرة من الإبل قالت : فارجعوا إلى بلدكم وقدموا هذا الغلام الذى عزمتم على ذبحه وقدموا معه عشرة من الإبل ثم اضربوا عليه وعلى الإبل القداح فإن خرج القدح على الإبل فأنحروها وإن خرج على صاحبكم فزيدوا على الإبل عشرة عشرة حتى يرضى ربكم فانصرف القوم إلى مكة وأقبلوا عليه يقولون يا أبا الحرث إن لك فى إبراهيم أسوة فقد علمت ما كان من عزمه فى ذبح ابنه إسماعيل وأنت سيد ولد إسماعيل فقدم مالك دون ولدك . فلما أصبح

عبد المطلب غدا بابنه عبد الله إلى الذبح وقرب معه عشرة من الإبل ثم دعا بأمين القداح وجعل لابنه قدحاً وقال اضرب ولا تعجل فخرج القدح على عبد الله فجعلها عشرين فضرب فخرج القدح على عبد الله فجعلها ثلاثين فضرب فخرج القدح على عبد الله فجعلها أربعين فضرب فخرج القدح على عبد الله فجعلها خمسين فضرب فخرج القدح على عبد الله فجعلها ستين فضرب فخرج القدح على عبد الله فجعلها سبعين فضرب فخرج القدح على عبد الله فجعلها ثمانين فضرب فخرج القدح على عبد الله فجعلها تسعين فضرب فخرج القدح على عبد الله فجعلها مائة وضرب فخرج القدح على الإبل فكبر عبد المطلب وكبرت قریش وقالت يا أبا الحرث إنه قد أنهى رضاء ربك وقد نجا ابنك من الذبح . فقال : لا والله حتى أضرب عليه ثلاثاً فضرب الثانية فخرج على الإبل فضرب الثالثة فخرج على الإبل فعلم عبد المطلب أنه قد أنهى رضاء ربه في فداء ابنه فارتجز يقول :

دعوت ربى مخلصاً وجهراً      يارب لا تنحر بنى مخرا  
وفاد بالمال تجدد لى وفرا      أعطيك من كل سوام عشرا  
عفواً ولا تشمت عيوناً خزرا      بالواضح الوجه المغشى بدرا  
فالحمد لله الأجل شكراً      فلست والبيت المعطى سترا  
مبدلاً نعمة ربى كفراً      مادمت حياً أو أزور القبرا

ثم قربت الإبل وهى مائة من جلة إبل عبد المطلب فنحرت كلها فداء لعبد الله وتركته في مواضعها لا يصد عنها أحد ينتابها من دب ودرج فجرت السنة في الدية بمائة من الإبل إلى يومنا هذا وانصرف عبد المطلب بابنه عبد الله فرحاً فكان عبد الله يعرف بالذبيح . ولذلك قال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم : أنا ابن الذبيحين يعنى إسماعيل بن إبراهيم عليهما الصلاة والسلام وأباه عبد الله بن عبد المطلب ( ٤ — ثالث )

(ومنهم) من يقول : الملائكة بنات الله سبحانه عما يقولون فألقوا البنات به تعالى فهو عز وجل أحق بهن وإلى هؤلاء القوم وردهم بشير قوله تعالى : « وَيَجْمَعُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ » والله در التنزيل ما أعلى شأنه ، وأظهر برهانه ، فقد أبطل هذا المذهب الفاسد ، والاعتقاد الكاسد ، بلفظ موجز أى إجماز ، ودليل واضح أقعد أهل الإلحاد على الأعجاز ، ففي التفسير<sup>(١)</sup> « وَيَجْمَعُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ » هم خزاعة وكنانة كانوا يقولون الملائكة بنات الله تعالى . وكانهم لجهلهم زعموا تأنيثها وبنوتها . قال الإمام : أظن أنهم أطلقوا عليها البنات لاستتارها عن العيون كالنساء ولهذا لما كان قرص الشمس يجرى مجرى المستتر عن العيون بسبب ضوئه الباهر ، ونوره القاهر ، أطلقوا عليه لفظ التأنيث . ولا يرد على ذلك أن الجن كذلك لأنه لا يلزم في مثله الاطراد . وقيل أطلقوا عليها ذلك للاستتار مع كونها في محل لا تصل إليه الأغبار فهي كبنات الرجل اللاتي يغار عليهن فيسكنهن في محل أمين ، ومكان مكين ، والجن وإن كانوا مستترين ولكن لا على هذه الصورة ، وهذا أولى مما ذكره الإمام . وأما عدم التوالد فلا يناسب ذلك (سبحانه) تنزيه وتقديس له تعالى شأنه عن مضمون قولهم ذلك أو تعجب من جراتهم على التفوه بمثل تلك العظيمة وهو في المعنى الأول حقيقة وفي الثاني مجاز « وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ » يعنى البنين ، « وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ » أى أخبر بولادتها « ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا » من السكابة والحياء من الناس واسوداد الوجه كناية عن العبوس والنم والفكرة والنفرة التي لحقته بولادة الأنثى . قيل : إذا قوى الفرح انبسط روح القلب من داخله ووصل إلى الأطراف لاسيما إلى

(١) راجع ج ٤ ص ٣٩٣ من تفسير روح المعاني للإمام الكبير شيخ مشايخنا السيد محمود شهاب الدين الألوسي جد المؤلف .

الوجه لما بين القلب والدماغ من التعلق الشديد فيرى الوجه مشرقاً متلاًئلاً وإذا قوى الغم انحصر الروح إلى باطن القلب ولم يبق له أثر قوى في ظاهر الوجه فيبرد ويتغير ويصفر ويسود ويظهر فيه أثر الأرضية فمن لوازم الفرح استنارة الوجه وإشراقه ومن لوازم الغم والحزن إربداده واسوداده فلذلك كنى عن الفرح بالاستنارة وعن الغم بالاسوداد ولو قيل بالجواز لم يبعد . ( وهو كظيم ) أى مملوء غيظاً وأصل الكظم مخرج النفس يقال أخذ بكظمه إذا أخذ بمخرج نفسه ومنه كظم الغيظ لإخفائه وحبسه عن الوصول إلى مخرجه . والظاهر أن ذلك الغيظ على المرأة حيث ولدت أنثى ولم تلد ذكراً . ويؤيده ما روى الأصمعي أن امرأة ولدت بنتاً سمىها الدلفاء فمهرها زوجها فأنشدت :

ما لأبى الدلفاء لا يأتينا يَظَلُّ في البيت الذى يلينا  
يُحَرِّدُ أب لا تلد البنينا وإنما نأخذ ما يعطينا<sup>(١)</sup>

. ( يتوارى من القوم ) يستخفى من قومه ( من سوء ما بشر به ) عرفاً وهو الأذى والتعبير عنها بما لإسقاطها بزعمهم عن درجة العقلاء . ويروى أن بعض الجاهلية يتوارى في حال الطلق فإن أخبر بذكر ابتهاج أو بأنثى حزن وبقي متواريًا أياماً يدبر فيها ما يصنع ( أيسكه ) أيتركه ويريه ( على هون ) أى ذل ( أم يدسه ) أى يخفيه ( فى التراب ) والمراد يثده ويدفنه حياً حتى يموت وإلى هذا ذهب

(١) الدلفاء من أسماء نساء العرب . وأهل الدلف محرقة صغر الانف واستواء الأرنبة ، أو صفرة في دقة أو غلظ واستواء في طرفه ليس بحد غليظ . وحرد يحرد حروداً إذا تنحى واعتزل عن قومه ونزل منفرداً لم يخالطهم ، وحرد : غضب فهو حارد وحرود . . وورد في البيان والتبيين للجاحظ ( ج ١ ص ١٠٤ ) ما نصه : « وليغض البنات هجر أبو حمزة الضبى خيمة امراته ، وكان يقبل ويبست عند جيران له حين ولدت امراته بنتاً فمر يوماً بخبائها وإذا هى ترقصها وتقول : —

ما لأبى حمزة لا يأتينا يظل في البيت الذى يلينا  
غضبان أن لا تلد البنينا تالله ما ذلك فى ايدينا  
وإنما نأخذ ما أعطينا ونحن كالارض لزأرعينا  
نسبت ما قد زرعه فىنا

قال : « ففدا الشيخ حتى ولج البيت فقبل رأس امراته وابستها » .

السدىّ وقتادة وابن جريح وغيرهم . وقيل المراد إهلاكه سواء كان بالدفن حياً أم بأمر آخر فقد كان بعضهم يلقى الأتني من شاهق . روى أن رجلاً قال : يا رسول الله والذي بعثك بالحق ما أجد حلاوة الإسلام منذ أسلمت وقد كانت لي في الجاهلية بنت وأمرت امرأتى أن تزينها وأخرجتها فلما انتهيت إلى وادٍ بعيد القعر ألقىتها فقالت : يا أبتِ قتلتنى فكلمنا ذكرت قولها لم ينفعنى شيء ! فقال صلى الله تعالى عليه وسلم : ما في الجاهلية فقد هدمه الإسلام وما في الإسلام يهدمه الاستغفار . وكان بعضهم يغرقها وبعضهم يذبحها إلى غير ذلك ولما كان السكل إماتة تُفنى إلى الدفن في التراب قيل أم يدسه في التراب . وقيل : المراد إخفاؤه عن الناس حتى لا يعرف كالمسدوس في التراب . ( ألا ساء ما يحكمون ) حيث يجعلون لمن تنزه عن صاحبة الولد ما هذا شأنه عندهم والحال أنهم يتحاشون عنه ويختارون لأنفسهم البنين فمقدار الخطأ جعلهم ذلك لله تعالى شأنه مع إباؤهم إياه لا جعلهم البنين لأنفسهم ولا عدم جعلهم له سبحانه وجوز أن يكون مداره التعكيس كقوله تعالى ( تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى ) وقال ابن عطية : هذا استقباح منه تعالى شأنه لسوء فعلهم وحكمهم في بناتهم بالإمساك على هون أو الواد مع أن رزق الجميع على الله تعالى فكأنه قيل ألا ساء ما يحكمون في بناتهم وهو خلاف الظاهر جداً . وروى الأول عن السدىّ وعليه الجمهور والآية ظاهرة في ذم من يحزن إذا بشر بالأتني حيث أخبرت أن ذلك فعل الكفرة . وقد أخرج ابن جرير وغيره عن قتادة أنه قال في قوله سبحانه ( وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ) : هذا صنيع مشركي العرب أخبرهم الله تعالى بخبرته فأما المؤمن فهو حقيق أن يرضى بما قسم الله تعالى له وقضاء الله تعالى خير من قضاء المرء لنفسه . ولعمري ما ندرى أى خير ! لربّ جارية خيرٌ لأهلها من غلام وإنما أخبركم الله عز وجل بصنيعهم لتجتنبوه ولتنهوا عنه .

( والحاصل ) أن هذا الفعل الشنيع على اختلاف أنواعه قد أبطلته الآيات



القرآنية ، والأحاديث النبوية ، وأبوع النصوص الواردة في ذلك قوله سبحانه « وإذا  
 المَوْدَّةُ سُئِلَتْ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ » حيث دل على أن السؤال إنما توجه إليها لإظهار  
 كمال الغيظ على قاتلها حتى كأنه لا يستحق أن يخاطب ويسأل عن ذلك وفيه  
 تبكيت لقاتلها وتوبيخ له شديد بصرف الخطاب عنه وإسقاطه عن درجة الاعتبار  
 فإن المجنى عليه إذ سئل بمحضر الجاني ونسبت إليه الجناية دون الجاني كان ذلك  
 بعثاً للجاني على التفكر في حال نفسه وحال المجنى عليه فيرى براءة ساحته وأنه هو  
 المستحق للعتاب والعقاب وهذا نوع من الاستدراج واقع على طريق التعريض كما  
 في قوله تعالى : « أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمَّيَّ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ »  
 وهذه الطريقة أفظع في ظهور جنابة القاتل وإلزام الحجة عليه . وعدت من الوأد  
 العزل . فقد أخرج الإمام أحمد ومسلم وأبو داود وغيرهم أنه سئل رسول الله صلى الله  
 تعالى عليه وسلم عن العزل فقال : ذلك ( الوأد الخفي ) وفي حديث آخر ( تلك  
 المودة الصغرى ) وفيه تفصيل محلله كتب الفقه والتفسير . ومن الآيات الواردة في  
 هذا الباب قوله تعالى « وَكَذَلِكَ زَيْنَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتَلَ أَوْلَادِهِمْ  
 شُرَكَاءَهُمْ لِيُزْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ  
 وَمَا يَمْتَرُونَ » ومنها قوله عز وجل « تَذْخِيرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ  
 عِلْمٍ وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ افْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ » إلى غير  
 ذلك مما يطول ذكره وهكذا الأحاديث الصحيحة الواردة في إبطال هذا العمل  
 وشهرتها تغني عن ذكرها وإيرادها في هذا المحل .

### ومن مذاهب العرب في الجاهلية الميسر

الميسر القمار وهو مصدر ميمي كالموعد والمرجع من يسر ييسر يقال يسرته  
 إذا قمرته . واشتقاقه أما من اليسر لأنه أخذ مال الرجل ييسر وسهولة من غير  
 كد ولا تعب . أو من اليسار لأنه سلب يساره . وعن ابن عباس رضى الله

تعالى عنه كان الرجل في الجاهلية يخاطر على أهله وماله . قال الشاعر :

أقول لهم بالشعب إذ ييسروننى ألم تعلموا أنى ابن فارس زهَدم<sup>(١)</sup>  
 أى يفعلون بى ما يفعل الياسرون بالميسور . وقيل من يسروا الشئ إذا  
 اقتسموه وسمى المقامر ياسراً لأنه بسبب ذلك الفعل يجرى لحم الجزور . وقال  
 الواحدى : من يَسَرَ الشئ إذا وجب والياسر الواجب بسبب القِدْح . وكان  
 الميسر من مفاخر العرب لأنهم كانوا يفعلونه في أيام الشدة وعدم اللبن وأيام الشتاء .  
 قال شاعرهم :

وإذا تعذرت السواعد والتوت جال المُفدَى وسطها المضبوح  
 أغلى به رخو الإزار مُعذَل ففدا يُمار له دم مسفوح  
 السواعد مجارى اللبن في الضرع يقول إذا تعذر اللبن جال المفدى يعنى القِدْح  
 والمضبوح الذى ضبح وهو أثر النار لأنه يقوّم بالنار . وأغلى به من الغلاء أى أخذ  
 به أى بالقدح سهاما كثيرة لكثرة فوزه ولذلك سمي المفدى لما يتكرر له من الفوز .  
 ومعدل أى يعذل كثيراً على الإتفاق ففدا يعنى القدح يمار له دم الناقة التى قامر  
 عليها . وقال ليبد بن ربيعة في معلقته الشهيرة يفتخر بلعب الميسر ونجاحه فيه على  
 غيره وكرمه<sup>(٢)</sup> .

وجزورٍ يسارٍ دعوت لَحْفَها بمخالقٍ متشابهٍ أجسامها  
 أدعو بهنٍ لعافرٍ أو مُطفلٍ بذلت لجيران الجميع لحامها

(١) البيت لسحيم بن وثيل اليربوعي الرياحى . وقيل لابنه جابر بن سحيم .  
 وييسروننى هو من الميسر أى يجزوننى ويقتسموننى ، ويروى يأسروننى من  
 الأسر ، وقوله ألم تعلموا يروى بدله : ألم تياسوا والمعنى واحد . وقوله انى  
 ابن فارس زهَدم يروى ، انى ابن قاتل زهَدم وهو رجل من عبس — وزهَدم  
 اسم فرس بشر بن عمرو أخى عوف بن عمرو وعوف جد سحيم بن وثيل قاله  
 أبو محمد الأعرابى — فعلى رواية انى ابن قاتل زهَدم يصح أن يكون الشعر  
 لسحيم . قال الزبيدى : ويروى هذا البيت أيضاً في قصيدة أخرى على  
 هذا الروى :

أقول لاهل الشعب اذ ييسروننى ألم تياسوا انى ابن فارس لازم  
 وصاحب أصحاب الكنيف كأنما سقاهاهم بكفيه سمام الاراقم  
 قال : وعلى هذه الرواية أيضاً يكون الشعر له دون ولده لعدم ذكر زهَدم  
 في البيت . (٢) راجع الجزء الأول ص ٧١

فالضيفُ والجارُ الجنيبُ كأنما هبطاً تبالَةً مُخصباً أهضامها  
 الأيسار جمع يسر وهو صاحب الميسر والمغاليق سهام الميسر سميت بها  
 لأنها بها يغلق الخطر وهو السبق الذي يراهن عليه من قولهم غلق الرهن يغلق  
 غلقاً إذا لم يوجد له تخلص وفكاك . يقول : ورب جزور أصحاب ميسر دعوت  
 ندمائى لنحرها وعقرها بأزلام متشابهة الأجرام وسهام الميسر يشبه بعضها بعضها  
 حيث جعلت على قدر واحد . وتحرير المعنى : رب جزور أصحاب ميسر كانت  
 تصلح لتقامر الأيسار عليها دعوت ندمائى هلاكها أى لنحرها بسهام متشابهة .  
 قال الأئمة : يفتخر بنحره إياها من صلب ماله لا من كسب قماره والأبيات التى  
 بعده تدل عليه وإنما أراد السهام ليقرع بها بين إبله أيها ينحدر لندمائيه . ومعنى  
 البيت الثانى : إنه يقول : ادعوا بالقдах لنحدر ناقة عاقر أو ناقة مطفل تبذل لحومها  
 لجميع الجيران أى إنما أطلب القдах لأنحدر مثل هاتين وذكر العاقر لأنها أسمن  
 وذكر المطفل لأنها أنفس . . ومعنى البيت الثالث : أن الأضياف والجيران  
 الغرباء عندى كأنهم نازلون وادى (تبالَةً) وهو من أخصب أودية اليمن فى حال  
 كثرة أما كنهه المطمئنة شبه ضيفه وجاره فى الخصب والسعة بنازل هذا الوادى  
 فى أيام الربيع ، وقال عمرو بن قُتيبة صاحب امرئ القيس :

يودل<sup>(١)</sup> ما قومى على أن تركتهم سليماً إذا هبت شمال وريحها  
 إذا النجم أمسى مغرب الشمس رائباً ولم يك برق فى السماء يليحها  
 وغاب شعاع الشمس فى غير جلبة ولا هبوة إلا وشيكا مصوحها  
 وهاج غمام مُقشعر كأنه نقيلة نعل بان منها سريحها  
 إذا عدم المحلوب عادت عليهم قدود كثير فى القدور قديمها  
 يثور إليها كل ضيف وجانب كما رددهداه القلاص نصيحها

(١) قوله : « يودل » كذا هو فى الأصل ولعل صوابه « يودك » كما جاء فى بيت المرقش :

يودك ما قومى على أن هجرتهم إذا هب فى المشتاة ربح اطائف  
 انظر كتاب الميسر والقдах للإمام ابن قتيبة ( ص ٥٦ ) ومعجم البلدان  
 ( ج ١ ص ٢٨٢ )

بأيديهم مقرومة ومغالق يعود بأرزاق العباد منيحتها  
 قوله يودل الخ يريد يودل ياسليمى وما زائدة على أنك تركتهم وفارقتهم  
 وسليمى امرأته وكانت أرادت منه فراق قومه ورأباً أى مرتفعاً والنجم الثريا وأشد  
 البرد عند طلوع الثريا أول الليل ويليحها يظهرها ويضيئها والجلبسة السحابة  
 وكذلك الجلب والوشيك السريع والمصوح الذهب والهبة الغبرة ومقشعر لاءاء فيه  
 والذقيلة النعل البالية من النعال التى ينعل بها الإبل إذا حفت وجهها نقائل  
 والسريح السيور التى تشد بها النعل الواحد سريحة والقديح ما يبقى فى أسفل القدر  
 فيعرف بجهد والدهاء صفار الإبل سميت بذلك لأن الإبل إذا وردت الماء دهدتها  
 ودحرجتها والنضيج الحوض والمقرومة يعنى القداح بها علامات وليس المنيح ههنا  
 القدح الذى لا سهم له على ماسيجى وإنما المنيح ههنا الممنوح منها المعطى وهو  
 القدح الفأزر ويجوز أن يعود الهاء فى منيحتها على العباد ويكون المنيح بمعنى الفاعل  
 أى تمنحهم هذه القداح ما أصابوه من قرها . وقال شاعر آخر وهو ابن مقبل<sup>(١)</sup> :  
 يا بيت آكل هشام هل علمت إذا أمشى المراضيع فى أعناقها خضع  
 لى أنم أيسارى بذى أود من فرع شوحط ضاح ليظه قرع

(١) هو تميم بن أبى ( بالتصغير والتشديد ) بن مقبل بن عوف : شاعر مخضرم أدرك الجاهلية والاسلام ، وكان يبكى أهل الجاهلية وبلغ ( ١٢٠ ) سنة . وكان يهاجى النجاشى الشاعر فهجاه النجاشى فاستعدى عليه أمير المؤمنين عمر ( رض ) فى قصة ذكرها البغدادى فى الخزانة ( ج ١ ص ١١٣ ) ، والعسقلانى فى الاصابة ( ج ١ ص ١٩٥ ) ويضرب بقدح ابن مقبل المثل فى حسن الاثر . قال الثعالبى فى المضاف والمنسوب ( ص ١٧٣ ) : ويروى أن عبد الملك بن مروان كتب الى الحجاج : ما اعرف أن أرى مثلاً الا قدح ابن مقبل . فلم يعرف معناه واغتم لذلك حتى دخل عليه قتيبة بن مسلم — وكان راوية للشعر حافظاً عالماً به — فسأله عنه . فقال : أبشر أيها الأمير فانه قد مدحك أما سمعت قول ابن مقبل وهو يصف قدحاً له :

غدا وهو مجسود وراح كأنه من الصك والتقليب بالكف أفضح  
 خروج من الغمى اذا صك صكة بدا والعيسون المستكفة تلمح  
 انتهى المراد منه . وقد ورد البيتان مشروحين فى ( كنز الحفاظ فى تهذيب  
 الالفاظ ) ص ٥١ و ٥٢

يحدو قتائله بيض غطارفة شم الأنوف مغاليق الضحى خلع  
أولو الوفاء ولو أدوا قداحهم ولا يزال لهم من لهما قنع  
قوله بذى أود يعنى القدح وإذا كان ذا أود كان أسرع لخروجه وشوخط  
شجر تتخذ منه القسي أو ضرب من النبع وضاح ليطه ظاهر جلده وما ضحى منه  
للشمس أى برز والقتائل الأشباه وهذا قتل هذا أى شبهه والجمع أقتال . ويقال  
أيضاً فلان قتل فلان أى عدوه فقول ابن مقبل يحدو قتائله أى قتائل قدحى  
ومغاليق الضحى أى يغلزون الرهن والخطر وخلع معناه يسلبون الرجال بالقمار  
ويخلعونها . وأولو الوفاء أى يؤدون ما يلزمهم وقاؤه ولو لم يبق إلا قداحهم لأدوها  
والقنع الزيادة والكثرة ويقال هو ذو قنع أى كثير المال جواد . وقال آخر وقد  
مدح قوما بأبيات منها قوله :

أعداء كوم الذرى ترغوا أجنبها عند المجازير بين الحى والحجر  
لا يفرحون إذا ما فاز فائزهم ولا يضيق عليهم أربة العسر<sup>(١)</sup>  
هما الخضارم والأيسار إن ندبوا إذ لا تجيل قداحاً راحتا يسر  
الكوم جمع كوما وهى الناقة العظيمة السنام وهم أعداؤها لأنهم ينحرونها  
يعنى إنها تنحر وهى حوامل فيخرج الجنين حياً يرغو . وقوله لا يفرحون الخ .  
يقول إذا فازوا لم يفرحوا بذلك ولا يبطرهم الفوز ومنه قول الله عز وجل ( إن الله  
لا يحب الفرحين ) والأربة الشدة أى لا يبالون بالفرم وإن كانوا معسرين  
والخضارم الأسخياء والواحد خضرم وأصل الخضرم البحر . وقال الأعشى :  
وجزور أيسار دعوت إلى النسدى ونياط مقفرة أخاف ضلالها  
والشعر الذى فيه تفاخرهم بالميسر وتمدحهم لا يمكن استيعابه فى مثل هذا  
المقام ( وصفة الميسر ) أن يجتمع الفتيان منهم وذوو اليسار ويشترون جزوراً بما

---

(١) أورده ابن قتيبة هكذا : ( ولا ترد عليهم أربة اليسر ) وعزاه الى ابن  
مقبل راجع ص ١٤٨ و ١٤٩

بلغت ويدعون الجزار ويسمونه ( القدار ) على وزن همام فينحرجها ويجعلها عشرة أجزاء فإذا قسمت الجزور على ما تقدم حضر الأيسار ( وهم القوم المجتمعون على اليسر وواحد هم يسر ) وجيء بالقдах وهي عيدان من نبع قد سحتت وملست وجعلت سواء في الطول والنبع شجر للقسي وللسمام ينبت في قلة الجبل والنابت منه في السفح أى أصل الجبل يقال له الشريان وفي الحضيض أى القرار في الأرض وهو المظمن منها يقال له الشوخط وقولهم : لو اقتدح بالنبع لأورى ناراً مثل في جودة الرأى . وكما يقال لها القдах يقال لها الأزلام والأقلام . وهي عشرة : الفذ والتوأم والرقيب والجلس والنافس والمسبل والمعلى والمنيع والسفيح والوغد . وقد نظم أسماءها جمع من أعيان أئمة أهل الأدب منهم الإمام أبو الحسن على بن محمد الهمداني فقال :

يلى الفذ منها توأم ثم بعده رقيب وحلس بعده ثم نافس  
ومسبلها ثم المعلى فهذه الـ سهام التي دارت عليها المجالس  
وقد نظمها الشيخ ابن الحاجب على ترتيب أنصبتها أيضاً فقال :

هي فذ وتوأم ورقيب ثم حلس ونافس ثم مسبل  
والمعلى والوغد ثم منيع وسفح هذى الثلاثة تهمل  
ولكل مما سواها نصيب ضمفه إن عدت أول أول  
ونظمها بعضهم أيضاً فقال :

كل سهام الياسرين عشره فأودعوها صحفاً ممتشرة  
لها فروض ولها نصيب الفذ والتوأم والرقيب  
والجلس يتلوهن ثم النافس وبعده مسبلهن السادس  
ثم المعلى كاسمه المعلى صاحبه في الياسرين الأعلى  
والوغد والسفيح والمنيع غفل فما فيها<sup>(١)</sup> يرى ربيع

(١) في الاصل « منها »

فللأول وهو الفذ سهم إن فاز وفوزه خروجه وعليه غُرم سهم إن خاب أى لم يخرج وكذلك باقيها على الترتيب فيما له وعليه إلى المعلى وهو السابع له سبعة وعليه سبعة يفرض فى كل سهم منها بحسب ماله وعليه حز وتكثر هذه السهام بثلاثة آخر أغفال ليس فيها حزوز ولا لها علامات ليكون ذلك أنفى للثمة وأبعد من المحاباة وهى المنيع والسفيح والوغد . فإذا حضرت القداح وحضر الأيسار أخذ كل منهم من القداح على قدره وقدرته وطاقته ورياسته فمنهم من لا يبلغ حاله أكثر من الفذ فأخذه له فإن خاب غرم سهماً ورأى ذلك سهلاً . وإن فاز أخذ سهماً ورأى ذلك كافياً ، ومنهم من يأخذ المعلى ولا يبالي بالغرم إن خاب وينال النصيب الأوفر إن فاز . ومنهم من يأخذ المعلى وسهماً إن لم يحضر من يتمم السهام فيأخذ ما فضل من القداح ويقول للأيسار قد تمتكم . وفى ذلك يقول متمم ابن نويرة فى أخيه مالك :

إذا ابتدر القوم القداح وأوقدتْ لهم نار أيسارٍ كفى مَنْ تَضَجَّعَا  
يقول : من تضجع من الفتیان ولم يأخذ ما بقى أخذ هو ما بقى حتى يتممهم  
والتضجع التكاسل والإعراض عن العمل . وقال الغنوى :

إذا شهد الأيسار أو غاب بعضهم كفى الحى وضاح الجبين أريب  
وتسمى القداح مغالق لأنها تغلق الرهن إذا ضربوا بها على ما سبق .  
( والتجزئة ) التى يقسمها القدار هى أن يجعل الكتفين جزءين كل واحد منهما  
جزءاً والصدر جزءاً وهو الزور . وقال فى القاموس : الزور وسط الصدر أو ما ارتفع  
منه إلى الكتفين أو ملتقى أطراف عظام الصدر . والمعضدان : جزءان ويقال لهما ابنا  
ملاط والكاهل جزء وهو ابن مخدش . وفى القاموس : هو كمنبر ومحدث كاهل  
البعير . والملحاء وهو ما بين السنام إلى العجز جزء والعجز جزء . والفخذان كل  
واحد منهما جزء ويزاد على الفخذين خرزات العنق والطفائف وهى جمع  
طفيفة ويكسر الخاصرة أو أطراف الجنب المتصلة بالأضلاع أو كل لحم مضطرب  
أو الرخص من مرق البطن وهو الشئ الناعم . ثم يقسم على الأجزاء العشرة

ما فضل من الجنين والسنام والسكبد ومن قطع اللحم حتى تستوى فإذا استوت  
الأجزاء العشرة كلها بقي العظم الذى لا يصلح أن يكون على واحد من الأجزاء  
فإن شاء الجزار أخذه وإلا كان لأهل الفاقة والفقر من العشيرة ولا يأخذ أحد  
من الأيسار ، لأن ذلك عندهم عيب وعار ، وبسمى ذلك العظم الريم . قال  
في الصحاح : الريم عظم يبقى بعد ما يقسم الجزور . وأنشد ابن السكيت .

وكنتم كعظم الريم لم يدر جازر على أى بدأى مقسم اللحم يوضع<sup>(١)</sup>  
البدء والبدأة النصيب من الجزور والجمع أبداء وبدوء مثل جفن وأجفان  
وجفون . قال طرفة بن العبد :

وهمُ أيسارُ لقمانَ إذا أغلّتِ الشّتوةُ أبداءَ الجُزورِ<sup>(٢)</sup>

وغير يعقوب يروى بدل يوضع يجعل . وقال ابن الأعرابي الريم القبر وقال :

إذا مت فاعتادى القبور وسلمى على الريم أسقيت الغمام الغواديا<sup>(٣)</sup>

وأبو العلاء أيضاً فسر الريم فى هذا البيت بالقبر . وأظن أنه أراد الشاعر

العظم الباقي من الجسد مجازاً ، وبه قال أبو الحسن على بن أحمد السخاوى . ثم  
يبقى الرأس والقوائم يأخذها الجزار فى أجرته وتسمى الثنيا وتسمى الجزارة أيضاً  
ثم اتسعوا فى ذلك فسموا الرأس والقوائم جزارة قال ذو الرمة من قصيدة تسمى  
( المذهبة ) فى وصف نعامة :

(١) قوله ( وكنتم ) يروى بدله ( وانت ) . وقوله ( يوضع ) قال ابن  
سيده : المعروف يجعل - وهى رواية اللحياني - ولم يرد يوضع أحد غير ابن  
السكيت . . . والبيت لشاعر من حضرموت . وقال ابن برى : لأوس بن حجر  
من قصيدة عينيه وهو للطرماح الآجىء من قصيدة لامية . . وقيل لأبى شمر  
بن حجر ، قال : رصوبه يجعل وهكذا أنشده ابن الأعرابي وغيره . (٢) البيت  
من قصيدة لطرفة يصف بها أحواله فى أسفاره وتنقله فى البلاد ولهوه وقوله  
« أيسار لقمان » قال الميدانى : هو نعمان بن عاد كان من العمالة وهو اضرب  
الناس بالقداح فضرب به المثل فى ذلك وكان له أيسار يضربون معه فى ذلك وهم  
نمانية : بيض وحممة وطفيل وزفافة ومالك وفرعه وثميل وعمار فضربت  
العرب بهؤلاء الأيسار المثل كما ضربه بلقمان فيقولون للأيسار إذا شرفوهم  
كأيسار لقمان وواحد الأيسار يسر . انتهى . (٣) عزاه الجوهري فى الصحاح  
والقالى فى الامالى الى مالك بن الريب المازنى .



شخّطت الجزارة مثل البيت سائر من المسوح خدب شوقب خشب  
وقد ذكر كثير من أبيات هذه القصيدة في كتاب (مناهج الفكر . ومباهج  
العبر ) وهو على أقسام قسم منه في الطبائع الحيوانية . والأبيات في مبحث النعمة  
( أى أن الظليم المذكور هو دقيق القوائم وجسمه كثير الشعر كبيت الأعراب  
وهو أسود كالسح وهو البلاس . والخدب . الضخم . والشوقب : الطويل .  
والخشب : الجافى ) فإذا أخذ كل واحد من الأيسار قدحه دفعوا جميعها إلى رجل  
ويسمونه « الحُرْضة » قال في الصحاح : وهو الذى يضرب للأيسار بالقдах ولا  
يكون إلا ساقطاً برماً : وفسر في القاموس أنه مين المقاسرين ، ومن شأنه المعروف  
له أنه لم يأكل لحماً قط بثمن إنما يأكله عند غيره أو يهدى له الأيسار . وكانوا  
أكثر ما يجتمعون على اللبس بالليل ويوقدون ناراً لذلك ثم يؤخذ ثوب شديد  
البياض فيأف على يد الحرضة ويسمى ذلك الثوب « المِجْوَل » وإنما يجعل ذلك  
الثوب على يده ليغشى بصره فلا يعرف قدح زيد دون عمرو هذا بعد أن يلف  
كفه بقطعة من جراب لئلا يجد مس قدح يكون له مع صاحبه محابة فإذا أخذ  
القдах لم ينظر إليها وبعضهم يقول يجعلها في الرابة وهى خريطة ويجلس خلفه آخو  
ويسمى الرقيب ويسمى أيضاً رابىء الضرباء يقعد خلف ضارب قداح اللبس  
يرتبه لهم فيما يخرج من القдах فيخبرهم به ويعتمدون على قوله فيه ( وهو مأخوذ  
من ربيعة القوم وهو طليعتهم . والضرباء جمع ضريب ككريم وكرماء وهو الذى  
يضرب بالقдах وهو الموكل بها ويقال له الضارب أيضاً ) ثم يجلس الأيسار حوله  
دائرين به . ثم يفيض بالقдах فإذا نشز — أى ارتفع — منها قدح استسله الحرضة  
من غير أن ينظر إليه ثم ناوله الرقيب فينظر الرقيب لمن هو فيدفعه إلى صاحبه  
فيأخذ من أجزاء الجزور على قدر نصيب القдах منها وذلك هو الفوز . فإن شاء بعد  
ذلك أمسك . وإن شاء أعاد السهم على خِطار آخر وهو جمع خطر وجمع الجمع خطر

وهو السبق يراهن عليه وهو ما يوضع بين أهل السباق جمعه أسباق وإعادة السهم تسمى التثنية وهو مراد النابغة في قوله :

إِنِّي أَتَمُّ أَيْسَارِي وَأَمَنَّهُمْ مَثْنَى الْيَادِي وَأَكْسُوا الْجَفَنَةَ الْأُدْمَا

قال أبو عبيد : مثنى الأيادي هي الأنصباء التي كانت تفضل من الجزور في الميسر فكان الرجل الجواد يشتريها فيعطيه . وقال أبو عمرو : مثنى الأيادي \* أن يأخذ القسم مرة بعد مرة ، وأنشد بيت النابغة وهذا هو المعول عليه . فإن خرج الفذ أخذ صاحبه نصيبه وله جزء واحد كما تقدم ثم ضربوا بالقдах الباقية على التسعة الأجزاء الباقية . وإن خرج التوأم أخذ صاحبه جزءين وقعد إن شاء وضربوا بباقي القдах على السبعة الأجزاء الباقية فإن خرج المعلى أخذ صاحبه الأجزاء السبعة التي بقيت . ووقع الغرم أغنى ثمن الجزور على من لم يخرج سهمه وهم أربعة أصحاب الرقيب والجلس والنافس والمسبل . ولجلة هذه القдах ثمانية عشر سهماً فيجزأ الثمن على ثمانية عشر جزءاً ويلزم كل صاحب قدح من هذه القдах مثل ما كان نصيبه من اللحم لو فاز قدحه ، فإن لم يخرج الفذ ولا التوأم وخرج الرقيب أخذ صاحبه ثلاثة أجزاء ، ثم ضربوا ثانية فخرج المعلى أخذ صاحبه السبعة الأجزاء الباقية وهي تنمة الجزور وكانت الغرامة على من لم يخرج قدحه وهم أصحاب القдах الخمسة التي خابت وهي الفذ والتوأم والجلس والنافس والمسبل ومجموع سهامها ثمانية عشر . فإن خرج المعلى أخذ صاحبه سبعة أجزاء الجزور واحتاجوا إلى نحر جزور أخرى لأن في القдах التي خبيت المسبل وله ستة أجزاء . ولم يبق من اللحم إلا ثلاثة أجزاء ومن خاب قدحه في الجزور الأولى لم يأكل منها شيئاً وذلك عندهم قبيح يعاب . فإذا انحروا الجزور الثانية وضربوا عليها بالقдах فخرج المسبل أخذ صاحبه ستة أجزاء منها الثلاثة التي بقيت من الجزور الأولى ولزمه الغرم في الجزور الأولى ولم يلزمه في الثانية شيء . لأن قدحه قد فاز فيها وصار غرم الجزور الثانية على من لم يخرج قدحه على ما سبق من

الحساب . وبقى من الجزور الثانية سبعة أجزاء يضرب عليها القداح من بقي فإن خرج النافس أخذ صاحبه خمسة أجزاء ولم يغرم من ثمن الجزور الثانية شيئاً ولزمه الغرم في الأولى وبقى جزآن من اللحم وقد بقي من القداح الحلس وله أربعة أجزاء فاحتاجوا إلى نحر أخرى لتتمة الأجزاء الأربعة ولاياً كل من خاب في الجزور الثانية منها شيئاً فإن نحروا الجزور الثالثة وفاز الحلس أخذ صاحبه أربعة أجزاء منها جزآن من الثانية وجزآن من الثالثة ولم يغرم من ثمن الجزور الثانية شيئاً لأنه قد فاز وكان ثمنها على من خاب قدحه وبقى من الجزور الثالثة ثمانية أجزاء فيضرب عليها بالقداح من بقي حتى تخرج قداحهم موافقة لأجزاء الجزور ، فإن كانت أجزاء اللحم موافقة لأجزاء القداح لم يحتاجوا إلى نحر شيء فإن أعاد من فاز قدحه مرة ثانية فخاب غرم من ثمن الجزور التي خاب قدحه فيها على هذا الحساب ، فإن فضل من أجزاء اللحم شيء وقد خرجت القداح كلها كانت تلك الفاضلة لأهل الوبد من العشيرة ، وهم أهل الضعف وسوء الحال وشدة العيش ، ويقال رجل وبد أي سيء الحال ويستوى في الوصف به الواحد والجمع كما تقول رجل عدل ويجمع على أوباد كما يقال عدل وعدول ومنه قول عمرو بن عداء الكلبي :

سعى عقلاً فلم يترك لنا سبداً فكيف لو قد سعى عمرو عقلاًين  
لأصبح الحى أوباداً ولم يجدوا عند التفرق في الهيجا جمالين<sup>(١)</sup>

أنشدهما أبو عبيد القاسم بن سلام البغدادي في أمثاله وقال : استعمل معاوية

(١) قوله : أودباداً يروى بدله ( أوقاصاً ) وهو جمع وقص وهو ما بين الفريضتين من نصب الزكاة مما لا يجب فيه شيء . والمعنى لأصبح مال الحى أوقاصاً لا يجب فيه شيء من الزكاة . وجمالين إنما ثناها لا نه جعلها صنفين صنف يحملون عليه أفعالهم وصنف يقاتلون عليه ويوضحه رواية الأغانى . يوم الترحل والهيجا . ويستشهد النحويون بهذا البيت على جواز تشبيه الجمع على تأويل فرقتين . ومثله قول شعبة بن قميز شاعر مخضرم :  
لنا ابلان فيهما ما علمتم فعن أية ما شئتم فتنكبوا  
وقول أبي النجم العجلي :

تبقلت من أول التبقيل بين رماحي مالك ونهشل  
وقولهم : لقا حان سوداوان . وفي الحديث الشريف « مثل المنافق كالشاة العائرة بين الغنمين » إلى غير ذلك ، ولكن القياس يا إياه لان الغرض من الجمع

ابن أبي سفيان ابن أخيه عمرو بن عتبة بن أبي سفيان على صدقات كلب فاعتدى عليهم . فقال عمرو بن العداء هذا الشعر . وسعى في الموضعين من سعى الرجل على الصدقة أى الزكاة يسعى سعيًا عمل في أربابها . وعقلا وعقالين منصوبان على الظرف أراد مدة عقال ومدة عقالين والعقال صدقة عام . والسبد بفتححتين الشعر والوبر قال ابن السيد في شرح أدب الكاتب : إذا قيل ماله سبد ولا لهد فمعناه ماله ذو سبد وهى الإبل والمعز ولاذو لهد وهى الغنم . ثم كثر ذلك حتى صار مثلاً مضروباً للفقر فقيل لكل من لا ماله له أى شيء كان . يقول : تولى هذا الرجل علينا سنة فى أخذ الزكاة منا فلم يترك لنا شيئاً لظلمه إيانا فلو تولى سنتين علينا على أى حال كنا نكون . وقوله : لأصبح الحى الحى الحى القبيلة . والأوباد : جمع وابدَ بفتححتين ، قال الجوهري : الوبد بالتحريك شدة العيش وسوء الحال مصدر يوصف به فيستوى فيه الواحد والجمع ثم يجمع فيقال أوباد كما يقال عدل وعدول على توهم النعت الصحيح وأنشد البيت . وقال ابن برى . الوجه أن يكون جمع و بد وهو السيء الحال كنفخذ وأخذ وثنى الجمال لأنه جعلها صنفين صنفاً لترحالهم يحملون عليها أثقالهم وصنفاً لحرهم يركبونه إذا جنبوا خيلهم : وقد أفرد ابن قتيبة <sup>(١)</sup> للميسر كتاباً بين فيه مذاهب العرب بيانا شافياً

الدلالة على الكثرة والنشئة تدل على القلة فهما معنيان متدافعان وأولا هذا التأويل لم يسغ ذلك بحال . ومعنى بيتى عمرو : ان هذا الرجل سعى فى صدقاتنا سنة فلم يترك لنا ذات شعر ولا ذات وبر فكيف او تولى علينا سنتين اذن لا أصبح رجال الحى على أسوأ حال ولم يجدوا من صنفى الجمال شيئاً يستعينون به فى ارتحالهم وقتالهم .

(١) أقول : وقد صنف كثير من العلماء فى الميسر وأحسن ما وقفت عليه كتاب ( المسافر عن الميسر ) لشيخنا المؤلف . وكتب الامام برهان الدين البقاعى فى تفسيره نظم الدرر فى تناسب الآبى والسور ) بحثاً ممتعاً فى الميسر ، ولزبيدي شارح القاموس كتاب فيه أيضاً اسمه : نشوة الارتياح فى بيان حقيقة الميسر والقداح ) وقد ضمنه نرح عبارات البقاعى مع ايضاح ما أغفله ، وكانت هذه الرسالة بخط مؤلفها محفوظة فى احدى «مكتبات» برلين تم طبعت هناك . وصنف فيه بعض الالمانيين أيضاً كتاباً مستقلاً جمع فيه اقوال الائمة . . هذا ما كتبنا هنا منذ ثلاثة أعوام تقريباً ، وقد اطلعنا اليوم على كتاب ابن قتيبة المسمى ( الميسر والقداح ) مطبوعاً أحسن طبع بعناية صديقنا الاديب الجليل الاستاذ محب الدين الخطيب منتبىء مجلة الزهراء بمصر ، فراقنا أسلوبه ودقة نظره وحسن استخراجيه ولا بدع فان

ولم تكن نسخته عندي وما ذكرته كاف في المقصود وقد خلا عن مثله كثير من الكتب والله تعالى الحمد على ذلك ( وقد حرمته الشريعة الإسلامية وأبطلته ) وفي حكم ذلك جميع أنواع القمار من النرد والشطرنج وغيرها حتى أدخلوا فيه لعب الصبيان بالجوز والكماب والقرعة في غير القسمة وجميع أنواع المخاطرة والرهان وعن ابن سيرين كل شيء فيه خطر فهو من الميسر . وفي ذلك ورد قوله تعالى : ( يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنْفَعَةٌ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا ) فمنافع الميسر أن أهل الثروة والأجواد من العرب كانوا في شدة البرد وكلب الزمان ييسرون أى يتقامرون بالقداح فإذا قر أحدهم جعل أجزاء الجزور لذوى الحاجة وأهل المسكمة واستراش الفاس وعاشوا . وكانت العرب تمدح من يأخذ القداح وتعيب من لا ييسر وتسميه البرم . قال متمم بن نويرة يرئى أخاه مالكا : ولا برمّا تهدي النساء لعرسه إذا القشع من برد الشتاء تقفعا<sup>(١)</sup>

( وأما مفسده ) فكثيرة منها أن فيه أكل الأموال بالباطل وأنه يدعو كثيراً من المقامرين إلى السرقة وتلف النفس وإضاعة العيال وارتكاب الأمور القبيحة والذائل الشنيعة والعداوة الكامنة والظاهرة وهذا أمر مشاهد لا ينكره إلا من أعماه الله تعالى وأصمه . وفي كتاب فتح الباري : والحكمة في تحريم الميسر ما فيه من المخاطرة بالمال والتعرض للفقر واستجلاب العداوات المفضية إلى سفك الدماء وهتك الحرم وغير ذلك من المفسد التي لا يقابلها ما يترتب على الميسر من المنفعة كمصير الشيء إلى الإنسان من غير تعب ولاكد وما يحصل من السرور والأريحية عند أن يصير له منها سهم صالح ، وقد ذكر الله سبحانه في آية أخرى

---

الامام ابن قتيبة هو أبو عذرة . امثل هذا البحث العويص واليه المرجع في معرفة تاريخ العرب وأطوارهم وعاداتهم . ومن مزايا هذا الكتاب أن مؤلفه رحمه الله نهج في تأليفه منهجاً علمياً حيث جمع أبيات شعراء العرب في الميسر وجعل يتدبرها ويستدل على كنهيتها باعتبارها ثم أودع كتابه ما أدى إليه النظر ودل عليه الاستخراج .

(١) راجع الجزء الاول ص ٧١

ما فيه من المفاصد الدنيوية والدينية ، أما الدنيوية فما يوقعه الشيطان في البين من العداوة والبغضاء فقد يقامر الرجل حتى لا يبقى له شيء وتنتهي به المقامرة إلى أن يقامر بولده وأهله على ما سبق فيؤدى به ذلك إلى أن يصير أعدى الأعداء لمن قرره وغلبه . وأما المفاصد الدينية فهي الصد عن ذكر الله وعن الصلاة وغير ذلك من أفعال الخير . فإن الميسر إن كان اللاعب به غالباً انشرفت نفسه ومنعه حب الغلب والقهر والكسب عما ذكر ، وإن كان مغلوباً حصل له من الانقباض والقهر ما يحثه على الاحتيال لأن يصير غالباً فلا يكاد يخطر بقلبه غير ذلك ، وقد شاهدنا كثيراً ممن يلعب بالنرد والشطرنج ونحوها يجرى بينهم من اللجاج والحلف الكاذب والغفلة عن الله تعالى وغير ذلك من الأمور المنكرة ما يخل بالمروءة ويزرى بذوى العقول السليمة ومن عوفى من ذلك فليحمد مولاه ، ومن ابتلى به فليسال من الطافه سبحانه أن ينجيه من بلواه .

### ومن مذاهبهم المشهورة الاستقسام بالأزلام

كانت العرب في الجاهلية إذا أرادوا سفرًا أو تجارةً أو نكاحاً أو اختلفوا في نسب أو أمر قتيل أو تحمل عقل<sup>(١)</sup> أو غير ذلك من الأمور العظيمة جاءوا إلى هُبَل وهو أعظم صنم لقريش بمكة وكان في الكعبة ومعهم مائة درهم فأعطوها صاحب القداح حتى يجيأها لهم وكانت أزلامهم سبعة قداح محفوظة عند سادس الكعبة وخادماها وهي مستوية في المقدار عليها أعلام وكتابة قد كتبت على واحد منها (أمرني ربى) وعلى واحد منها (نهاني ربى) وعلى واحد (منكم) وعلى واحد (من غيركم) وعلى واحد (ملصق) وعلى واحد (العقل) وواحد عُقْل أى ليس عليه شيء فإذا أرادوا الوقوف على مستقبل الأمر الذى تصدوا له ومعرفة عاقبته أخيره هو أم شر استقسم لهم أمين القداح بقدحى الأمر والنهى فإن خرج

---

(١) العقل دية المقتول .

قدح الأمر ائتمروا وباشروا فيما تصدوا له من حرب أو سفر أو زواج أو ختان أو بناء أو نحو ذلك مما يتفق لهم وإن خرج قدح النهى أخرنا ذلك العمل إلى سنة فإذا انقضت أعادوا الاستقسام مرة أخرى . ويرى أن هذين القدحين قد كتب على أحدهما (نعم) وعلى الآخر (لا) فإذا ظهر المجدل قدح (نعم) مضوا فيما قصدوه من العمل وإذا ظهر قدح (لا) توقفوا سنة على ما سبق من البيان ، والمقصود من الروايتين واحد . وإذا وقعت منازعة في نسب أحد منهم استقسم لهم أمين القداح بالأزلام الموسومة (بمنكم . ومن غيركم . وملصق) فإن ظهر (منكم) أعزوا ذلك الرجل الذي اشتبهوا في نسبه وتنازعوا في أمره واحترموه غاية الاحترام وإن ظهر (من غيركم) نفروا عنه وتجنبوه وإن ظهر (ملصق) بقي ذلك الرجل مجهول النسب عندهم على ما كان عليه قبل فما ظهر من هذه الأزلام وجب العمل بموجب ما ظهر فيه واعتمدوا عليه كل الاعتماد . وإذا تنازعوا في العقل — وهي دية المقتول — بأن اشتبه عليهم القاتل أحضروا من الشهود بالقتل بالقدحين الموسومين (بالعقل . والغفل) واستقسم لهم الأمين فن خرج عليه العقل تحمل الدية وإن خرج الغفل أجالوا ثانياً حتى يخرج المكتوب عليه . وحكى أبو الفرج الأصبهاني : إنهم كانوا يستقسمون عند (ذى الخليفة) أيضاً وإن أمراً القيس لما خرج يطلب بثأر أبيه استقسم عنده فخرج له ما يكره فسب الصنم ورماء بالحجارة ، وأنشد :

لو كنت يا ذا الخلف الموتر لم تنه عن قتل العداة زورا<sup>(١)</sup>

قال : فلم يستقسم عنده أحد بعد حتى جاء الإسلام . والذي تحصل من كلام أهل النقل النقات أن الأزلام كانت عند العرب على ثلاثة أنحاء : أحدها : قداح الميسر العشرة وقد سبق تفصيلها على الوجه الأكمل . وثانيها : لكل أحد وهي ثلاثة على أحدها مكتوب (افعل) وعلى الثاني (لا تفعل) وعلى الثالث (غفل) وقال الفراء : كان على أحدها (أمرني ربى) وعلى الثاني (نهاني ربى) وعلى الثالث

(١) راجع ص ٢٠٧ من الجزء الثاني

( غفل ) فإذا أراد أحدهم الأمر جعلها في خريطة وهي الرابطة وأدخل يده فيها وأخرج واحداً فإن طلع الأمر فعل أو الناهي ترك أو الغفل أعاد . وثالثها : للأحكام وهي التي عند الكعبة . ذكر ابن إسحق أن أعظم أصنام قريش كان هبل وكان في جوف الكعبة يتحاكمون عنده فيما أشكل عليهم فما خرج منها رجعوا إليه ، وكان عند كل كاهن وحاكم للعرب مثل ذلك وكانت سبعة مكتوب عليها ماسبق ومعنى الاستقسام طلب معرفة ما قسم لهم دون ما لم يقسم بالأزلام ، وقد حرمه الله تعالى في جملة ما حرم فقال عز اسمه : « حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أَمْثِلَةُ الدِّمِّ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيةُ وَالنَّطِيجَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ » واستشكل تحريم ما ذكر بأنه من جملة النفاؤل وقد كان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يحب القفال . وأجيب بأنه كان استشارة مع الأصنام واستعانة منهم كما يشير إلى ذلك ما روى عن ابن عباس رضي الله تعالى عنه أنهم إذا أرادوا ذلك أتوا بيت أصنامهم وفعلوا ما فعلوا فلهذا صار حراماً . وبعض العلماء يقول : إن سبب تحريم الاستقسام بالأزلام أنه دخول في علم الغيب وضلال باعتقاد أن ذلك طريق إليه وإفتراء على الله تعالى إن أريد ( برئى ) في قولهم : ( أمرنى ربى ) الله وجهالة وشرك إن أريد به الصنم .

قال ( الجلد ) في تفسيره<sup>(١)</sup> ناقلًا عن كتاب الأحكام للجصاص : إن الآية تدل على بطلان الفرعة في عنق العبيد لأنها في معنى ذلك بعينه إذ كان فيها إثبات ما أخرجته القرعة من غير استحقاق كما إذا أعتق أحد عبده عند موته على ما بين في الفقه ، ولا يرد أن القرعة قد جازت في قسمة الغنائم مثلاً وفي إخراج النساء ؛ لأننا نقول إنها فيما ذكر لتطليب النفوس والبراءة من التهمة في إثبات البعض ولو اصطالحوا على ذلك جاز من غير قرعة . وأما الحرية الواقعة على واحد من العبيد فيما نحن فيه فغير جائز نقلها عنه إلى غيره وفي استعمال القرعة



والنقل وخالف الشافعى فى ذلك فجوز القرعة فى العتق كما جوزها فى غيره وظواهر  
 الأدلة معه وتحقيق ذلك فى موضعه . قال : والحق عندى أن الاستقسام الذى كان  
 يفعله أهل الجاهلية حرام بلا شبهة كما هو نص الكتاب وأن حرمة ناشئة من سوء  
 الاعتقاد وأنه لا يخلو عن نشاؤم وليس بتفاوتل محض وإن مثل ذلك ليس من الدخول  
 فى علم الغيب أصلاً بل هو من باب الدخول فى الظن . انتهى ما هو المقصود من  
 كلامه . ولابن القيم كتاب سماه ( الطرق الحكيمة <sup>(١)</sup> ) ذكر فيه القرعة وجعلها  
 أحد طرق الأحكام الشرعية واستدل على ذلك بقوله تعالى : « ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ  
 الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَقُولُونَ أَفَلَا مَعَهُمْ أَيْهَمُ يَكْفُلُ مَرْيَمَ  
 وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ » قال <sup>(٢)</sup> : روى عن قتادة كانت مريم عليها السلام  
 ابنة إمامهم وسيدهم فتشاح عليها بنو إسرائيل فاقترعوا عليها بسهامهم أيهم يكفلها  
 فقرع زكريا وكان زوج أختها فضمها إليه . وعن ابن عباس : لما وضعت مريم  
 فى المسجد اقترع عليها أهل المصلى وهم يكتبون الوحي فاقترعوا بأقلامهم أيهم يكفلها .  
 وبقوله تعالى : « وَإِنْ يُؤْثِرْ لَمِنْ الْمُرْسَلِينَ إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ فَسَاهَمَ  
 فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ » أى فقارع فكان من المغلوبين . قال : وقد احتج الأئمة  
 الأربعة بشرع من قبلنا إن صح ذلك عنهم . وبعد أن أورد عدة أحاديث صحيحة  
 قال : فهذه السنة كما ترى قد جاءت بالقرعة كما جاء بها الكتاب وفعلها أصحاب  
 رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بعده . قال البخارى فى صحيحه : ويذكر أن  
 توماً اختلفوا فى الأذان فأقرع بينهم سعد . وقد صنف ( أبو بكر الخلال ) مصنفاً  
 فى القرعة وهو فى جامعته . قال أحمد فى رواية الفضل ابن عبد الصمد : القرعة  
 فى كتاب الله والذين يقولون القرعة قمار قوم جهال .

وقد أطال ابن القيم فى الاستدلال على كون القرعة من الطرق الحكيمة والدلائل  
 الشرعية مما لا يسعه المقام . . ثم بين كيفية القرعة فى فصل مستقل فقال :

(١) طبع بمطبعة الاداب والمؤبد بمصر سنة ١٣١٧ هـ (٢) ص ٢٦٥

إنه يجب من القرعة ما نقل عن سعيد بن المسيب أنه كان يأخذ خواتيمهم فيضعها في كمه فمن أخرج أولاً فهو القارع . وقال أبو داود : قلت لأبي عبد الله في القرعة يكتبون رقاعاً ، قال : إن شاءوا رقاعاً وإن شاءوا خواتيمهم . وقال أبو منصور : قلت لأحمد كيف يقرع ؟ قال : بالخاتم وبالشئ . وقال إسحق بن راهويه : في القرعة يؤخذ عود شبيه بالقدح فيكتب عليه ( عبد ) وعلى الآخر ( حرّ ) . وقال بكير ابن محمد عن أبيه : سألت أبا عبد الله ! كيف تكون القرعة ؟ قال : يلقي خاتم . وعن الأثرم قلت لأبي عبد الله كيف القرعة ؟ فقال سعيد بن جبيرة يقول بالخواتيم أقرع بين اثنين في ثوب فأخرج خاتم هذا وخاتم هذا ، قال : ثم يخرجون الخواتيم ثم ترفع إلى رجل فيخرج منها واحداً . قلت لأبي عبد الله : فإن مالكا يقول : تكتب رقاعاً وتجعل في طين ، قال : وهذا أيضاً . وقيل لأبي عبد الله : إن الناس يقولون القرعة هكذا يضم الرجل أصابعه الثلاث ثم يفتحها فأنكرها وقال : ليست هكذا انتهى . . ومن أحب الوقوف على تفصيل هذا البحث ومعرفة مواضع القرعة فعليه بهذا الكتاب فإن فيه الكفاية . وعند الحكومة اليوم للقرعة طريق آخر فإنهم يستعملونها في بعض الأمور لا حاجة لنا إلى بيانها ، والله مدبر الأمور .

### ومن مذاهب العرب المشهورة النسيء

اعلم أن سني العرب كانت موافقة لسني الفرس في الدخول والانسلاخ فحدث في أحوالهم انتقالات فسد عليهم بها الكبس<sup>(١)</sup> إلى أوان السنة السادسة

---

(١) قال الشيخ سحنون الميذوي في كتابه (مفيد المحتاج في شرح السراج) للعلامة الاخضرى ( ص ١٦ ) : الكبس في اللغة هو الطي يقال الكبس فلان أى انطوى واجتمع بعضه ببعض وكبست الخرفة اذا طويتها . وفي الاصطلاح : ضم فضلات السنين بعضها لبعض حتى يجتمع منها يوم كامل أما في العجمي فيجتمع في أربع سنين يوم فيزاد في آخر دجنبر وفي السنة الكبسية فيكون من اثنين وثلاثين يوماً وكذلك كبس العربى . انتهى المقصود منه وفي التاج : . . الكبس في حسابهم في كل أربع سنين يزيدون في شهر شباط يوماً فيجعلونه تسعة وعشرين يوماً وفي ثلاث سنين بعدونه ثمانية وعشرين يوماً يقيمون بذلك كسور حساب السنة ويسمون العام الذى يزيدون فيه عام الكبس

من ملك أغسطس<sup>(١)</sup> ، وذلك بعد ذى القرنين بمائتين وثمانين سنة وأربعين يوماً فسُنوا كبس الربع من اليوم في كل سنة فصارت سنوهم بعد ذلك الوقت محفوظة المواقيت . ويقال إن العرب كانت في جاهليتها على رسم إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام لا تكبس سنيتها إلى أن جاورتهم اليهود في يثرب فأراد العرب أن يكون حجهم في أخصب وقت من السنة وأسهلها للتردد في التجارة ولا يزول عن مكانه فتعلموا الكبس من اليهود . ويقال : إن عمرو بن لحي الخزاعي أول من نسا الشهور وبحر البحيرة وسيب السائية ووصل الوصلية وحى الحامى وأول من دعا الناس إلى عبادة الأصنام وقد سبق تفصيل ذلك على أتم وجه . ومعنى النسيء تأخير حرمة شهر إلى آخر . وأصله من نسات الشيء إذا أخرته فإنهم يعتقدون أن من الدين تعظيم الأشهر الحرم وهى أربعة : المحرم ورجب وذو القعدة وذو الحجة فكانوا يتخرجون<sup>(٢)</sup> فيها من القتال ، وكانت قبائل منهم يستبيحونها فإذا قاتلوا في شهر حرام حرموا مكانه شهراً آخر من أشهر الحل ويقولون نسيء الشهر فيستحلون الحرم ويحرمون صغراً فإن احتاجوا أيضاً أحلوه وحرموا ربيعاً الأول ، وهكذا كانوا يفعلون حتى استدار التحريم على شهور السنة كلها وكانوا يعتدرون في التحريم مجرد العدد لا خصوصية الأشهر المعلومة ، وربما زادوا في عدد الشهور بأن يجعلوها ثلاثة عشر أو أربعة عشر ليتسع لهم الوقت ويجعلوا أربعة أشهر من

(١) في صبح الاعشى ( ج ٢ ص ٣٨٧ ) : « أغسطس » وفي موضع آخر منه « أغسطس »

(٢) أى يكفون أنفسهم من حرج القتال أى اسمه . وفي الحديث كنا نتخرج أن نطوف بالصف والمروة : وهذا مما ورد لفظه مخالفاً لمعناه ومنه : تحنث إذا فعل ما يخرج به عن الحنث وتأنم أى جانب الائم وتحوب أى القى الحوب — وهو الائم — عن نفسه ، وتلوم إذا تربص بالأمر يريد القاء الملامة عن نفسه قال المرقش :

يا صاحبى تلوما لا تعجلا      ان النجاح رهين ان لا تعجلا  
الى غير ذلك مما يطول إيراده . وقد ألف في هذا المتقدمون ولكن لم يصلنا — ووا اسفاه — شيء منه .

السنة حراماً أيضاً . ولذلك نص على العدد المعين في الكتاب والسنة وكان يختلف وقت حجهم لذلك ، وكان في السنة التاسعة من الهجرة التي حج بها أبو بكر رضى الله تعالى عنه بالناس في ذى القعدة ، وفي حجة الوداع في ذى الحجة وهو الذى كان على عهد إبراهيم عليه السلام ومن قبله من الأنبياء عليهم السلام ولذا قال صلى الله عليه وسلم : ألا إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض . السنة اثنا عشر شهراً منها أربعة حرم ثلاث متواليات ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب مضر الذى بين جمادى وشعبان .. زعم يوسف بن عبد الملك فى كتابه ( تفضيل الأزمنة ) أن هذه المقالة صدرت من النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فى شهر مارس وهو آذار وهو برمهات بالقبطية وفيه يستوى الليل والنهار عند حلول الشمس برج الحمل والمراد بالزمان السنة . ومعنى كهيئته أى استدار استدارة مثل حالته الأولى . والمراد باستدارته وقوع تاسع ذى الحجة فى الوقت الذى حلت فيه الشمس برج الحمل حيث يستوى الليل والنهار . وأضاف رجب إلى مضر لأنهم كانوا متمسكين بتعظيمه بخلاف غيرهم فيقال إن ربعة كانوا يجعلون بدله رمضان وكان من العرب من يجعل فى رجب وشعبان ما ذكر فى المحرم وصفر فيحلون رجباً ويحرمون شعبان ، ووصفه بكونه بين جمادى وشعبان تأكيذاً . وفى رواية أنهم كانوا يحجون فى كل شهر عامين فحجوا فى ذى الحجة عامين وفى الحزم عامين وهكذا . ووافقت حجة الصديق فى ذى القعدة من سنتهم الثانية ، وكانت حجة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى الوقت الذى كان من قبل ولذا قال ما قال .

وحكى ابن إسحق صاحب السيرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام أن أول من نسا الشهور على العرب وأحل منها ما أحل وحرم ما حرم القلمس وهو حذيفة بن قيس بن عامر بن الحرث بن مالك بن كنانة بن خزيمة ثم قام على ذلك بعده ولده عباد ثم قام بعد عباد ابنه قلع ثم قام بعد قلع ابنه أمية ثم قام بعد أمية

ابنه عوف ثم قام بمد عوف ابنه أيو ثمانية جنادة وعليه قام الإسلام فكانت العرب إذا فرغت من حجها اجتمعت عليه بمى فقام فيها على جبل عند بحيرة العقبة ، وقال بأعلى صوته : اللهم لا أعاب ولا أخاب<sup>(١)</sup> ولا مرد لما قضيت اللهم إني أحلت شهر كذا ويذكر شهراً من الأشهر الحرم وقع اتفاقهم على شن الغارة فيه وأنسأته إلى العام القابل أى أخرت تحريره وحرمت مكانه شهر كذا من الأشهر البواق فكانوا يحلون ما أحل ويحرمون ما حرم . وفي رواية عن الكلبي : أول من فعل ذلك رجل من كنانة يقال له فقيم بن ثعلبة وكان إذا هم الناس بالسدور من الموسم يقوم فيخطب ويقول لا مرد لما قضيت أنا الذى لا أعاب ولا أخاب فيقول له المشركون لبيك ثم يسألونه أن ينسئهم شهراً يغزون فيه فيقول إن صفر العام حرام فإذا قال ذلك حلوا الأوتار ونزعوا الأسنة والأزجة<sup>(٢)</sup> وإب قال حلال عقدوا الأوتار وركبوا الأزجة وأغاروا . وعن الضحاك أنه عبادة بن عوف السكذائي وكان مطاعاً في الجاهلية وكان يقوم على جبل في الموسم فينادى بأعلى صوته : إن آلهتكم قد أحلت لكم الحرم فأحلوه . ثم يقوم في العام القابل فيقول : إن آلهتكم قد حرمت عليكم الحرم فحرموه . وأخرج ابن مردويه عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال كانت النساء حياً من بنى مالك بن كنانة وكان آخرهم رجلاً يقال له القلمس وهو الذى أنسا الحرم وكان ملكاً في قومه . وأنشد شاعرهم ( ومذا ناسي الشهر القلمس ) وقال عمير بن قيس أحد بني فراس ابن غنم بن مالك بن كنانة يفخر بالنساء على العرب . ويروى إن القائل السكيت :

لقد علمت معد أن قومي كرام الناس إن لهم كراما

(١) كذا بالخاء المعجمة ؛ هنا وفي كل موضع وردت في هذا الكتاب . وفي القاموس ( مادة القلمس ) أجاب بالجيم ومثله في شرحه تاج العروس وعليهما اعتمادنا في تصحيح هذه الكلمة في ( ج ١ ص ٣٣٥ ) وقد تبين لنا الآن أن صوابها ( أحاب ) بالخاء المهملة من الحبوب وهو الاشم فمعنى لا أحاب : لا اتهم بائم . فتدبر ! (٢) الأزجة جمع زج وهو الحديد التى تتركب في أسفل الرمح وانكر الجوهرى ورود هذا الجمع . راجع التاج ج ٢ ص ٥١

فأىّ الناس فأتونا بوتر وأىّ الناس لم نملك لجاما  
ألسنا الناسئين على معدّ شهور الحل نجعلها حراماً ؟  
( وقال آخر )

أتزعم أنى من فقيم بن مالك لعمرى لقد غيرت ما كنت أعلم  
لهم ناسى يمشون تحت لوائه يحلّ إذا شاء الشهور ويحرم  
وفى القاموس : إن الناسى كان يقول اللهم إنى ناسى الشهور وواضعها  
مواضعها ولا أعاب ولا أخاب اللهم إنى قد أحلت أحد الصفرين وحرمت صفر  
المؤخر وكذلك فى الرجبين يعنى رجب وشعبان انفروا على اسم الله . وذلك قوله  
تعالى ( إنما الديسي زيادة فى السكر ) وحكى السهيلي فى الروض الأنف أن  
نسيء العرب كان على ضربين . أحدهما : تأخير شهر الحرم إلى صفر لحاجتهم إلى  
شن الغارات وطلب الثارات والثانى . تأخير الحج عن وقته تحرياً منهم للسنة  
الشمسية فكانوا يؤخرونه فى كل عام أحد عشر يوماً حتى يدور الدور فيه إلى  
ثلاث وثلاثين سنة فيعود إلى وقته فلما كانت السنة التاسعة من الهجرة حج  
بالباش أبو بكر الصديق رضى الله تعالى عنه فوافق حجه فى ذى القعدة ثم حج  
رسول الله صلى الله عليه وسلم فى العام القابل فوافق عود الحج إلى وقته فى ذى  
الحجة كما وضع أولاً فلما قضى حجه خطب فكان مما قال فى خطبته : إن الزمان  
قد استدار كهيتته يوم خلق الله السموات والأرض الحديث . يعنى أن الحج قد  
عاد فى ذى الحجة . وقال العسقلانى فى فتح البارى : كانت العرب فى الجاهلية  
على أنحاء : منهم من يسمي الحرم صفرأ فيحل فيه القتال ويحرم القتال فى صفر  
ويسميه الحرم . ومنهم من كان يجعل ذلك سنة هكذا وسنة هكذا . ومنهم من  
يجعله سنتين هكذا وسنتين هكذا . ومنهم من يؤخر صفر إلى ربيع الأول وريبعاً  
إلى ما يليه . وهكذا إلى أن يصير شوال ذا القعدة وذو القعدة ذا الحجة . ثم  
يعود فيعيد العدد على الأصل انتهى . وقد استنبط بعض العلماء دليلاً على أن

مواقيت الحج لا يجرى على حساب السنة الشمسية الذي كانت الجاهلية تعتمد من قوله سبحانه ( يسألونك عن الأهلة قل هي مواقيت للناس والحج ) فإنه جل شأنه خص الحج بالذكر دون غيره من العبادات المؤقتة بالأوقات تأكيداً لاعتباره بالأهلة . وما أحسن ما فصل أبو إسحق الصابى بين السنة الشمسية والقمرية بما يختص به كل واحدة منهما دون الأخرى . فقال : وأما العرب فإن الله تعالى فضلها على الأمم الماضية ، وورثها ثمرات مساعيها المتعبة . وأجرى شهر صيামها ومواقيت أعيادها ، وزكاة أهل ملتها ، وجزية أهل ذمتها ، على السنة الهلالية وتعبدتها فيها برؤية الهلال إرادة منه أن تكون مناهجها واضحة ، وأعلامها لأئمة فيتكافأ في معرفة الفرض ودخول الوقت الخاص العام ، والناقص الفطنة والتام ، والذكر والأنثى وذو الصغر والكبر ، فحينئذ يجوبون في سنى الشمس حاصل الغلات المنسومة وخراج الأراضى الممسوحة ويحسبون في سنة الهلال الجوالى<sup>(١)</sup> والصدقات ، والأرحاء والمقاطعات ، وسائر ما يجرى على المشاهرات انتهى

ومن النصوص الواردة في إبطال النسيء قوله عز اسمه ( إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً فى كتاب الله يوم خلق السموات والأرض منها أربعة حُرِّمَ ذلك الدين القيم فلا تظلموا فيهن أنفسكم وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة واعلموا أن الله مع المتقين ، إنما النسيء زيادة فى الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه عاماً ويحرمونه عاماً ليواطئوا عدة ما حرم الله فيحلوا ما حرم الله زين لهم سوء أعمالهم والله لا يهدى القوم الكافرين ) وما سبق من الكلام يوضح معنى الآية والدين القيم المستقيم . هو دين إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام وكانت العرب قد تمسكت به ورثة منهما . وكانوا يعظمون الأشهر الحرم حتى

---

(١) قال الخفاجى فى شفاء الغليل : قال فى الزاهر ، الجوالى هم أهل الذمة وإنما قيل لهم جوالى لانهم جلوا عن مواضعهم . اهـ . والناس الآن يتجاوزون به عن الخراج وعن الوظائف المرتبة منه وهو ليس بعربى .

إن الرجل يلقي فيها قاتل أبيه وأخيه فلا يهيجه ويسمون رجب الأصم ومنصل الأسنه حتى أحدثوا النسيء فغيروا . والمراد بظلم الأنفس فيهن هتك حرمتين وارتكاب ما حرم فيهن . ومعنى كون النسيء زيادة في الكفر الذي هم عليه لأنه تحريم ما أحل الله تعالى وقد استحلوه واتخذوه شريعة وذلك كفر ضموه إلى كفرهم . وقيل لأنه تحريم ما أحله الله وتحليل ما حرمه . وقيل إنه معصية ضمت إلى الكفر وكما يزداد الإيمان بالطاعة يزداد الكفر بالمعصية . ومعنى ليواطئوا عدة ما حرم الله ليوافقوا عدة ما حرم الله من الأشهر الأربعة أى فعلوا ما فعلوا لأجل موافقة ذلك فيحلوا ما حرم الله بخصوصه من الأشهر المعينة . والحاصل أنه كان الواجب عليهم العدة والتخصيص فحيث تركوا التخصيص فقد استحلوا ما حرم الله كل ذلك اتباعاً لشهوات أنفسهم ، وطلباً لمزيد راحتهم وأنفسهم .

#### الشهور العربية وما أخذ أسماؤها

الشهور العربية قسمان : قسم غير مستعمل وهو الذى وضعت العرب العاربة . وقسم مستعمل وهو الذى وضعت العرب منها بالاسم الذى وضع له عند استهلاك هلاله . فأما القسم الغير المستعمل فأسماء شهور كانت العرب العاربة اصطلاحوا عليها <sup>(١)</sup> وهى : مؤتمر وناجر وحوّان ( بالحاء المهملة والحاء المعجمة ) وصوان ويقال فيه وبصان ورُبى وأيّدة والأصم وعادل وناطل وواغل وورنة وبرك . وفى هذه الأسماء خلاف عند أهل اللغة . فإن منهم من يقول هى ناتق ونقيل وطلق وأسنع وأنخ وحلك وكسح وزاهر ونوط وحرف وبعش . فناتق هو المحرم ونقيل هو صفر وهكذا ما بعده على سرد الشهور . وكانت ثمود تسميها موجب وموجز ومور <sup>(٢)</sup> وملزم ومصدر وهوبر وهوبل وموها وذيمر <sup>(٣)</sup> ودابر وحيقل ومسيل

(١) اعتمدت فى تصحيح هذه الاسماء على صبح الاعشى (ج ٢ ص ٣٦٨) والقاموس وتاج العروس ، ولقطة العجلان . وقد رأيت الأستاذ نقل هذا البحث عن اللقطة بالحرف الواحد تقريباً . . .

(٢) فى لقطة العجلان « مورد » . (٣) كذا بالذال المعجمة وستأتى قريباً بالمهملة وفى اللقطة : ديمر وديمير أيضاً .



فمرجب هو الحرم وموخر صفر إلا أنهم كانوا يبدأون بالشهور من ديار وهو شهر رمضان فيكون أول شهور السنة عندهم . وبعض أولئك العرب يسميها بالأسماء الأول مع مغايرة يسيرة . ويقول هي : مؤتمر وناجر وخوان وصوان وحنتم وزبا<sup>(١)</sup> والأصم وعادل وناتق<sup>(٢)</sup> وراغل وهواع وبرك . . ومعنى المؤتمر أنه يأتى بكل شيء مما تأتى به السنة من أقضيئتها . وناجر من النجر وهو شدة الحر . . وخوان على وزن فعال من الخيانة . وصوان بكسر الصاد وضمتها فعال من الصيانة والزبا الداهية العظيمة المتكاثفة سمي بذلك لكثرة القتال فيه . ومنهم من يقول بعد صوان الزبا وبعد الزبا بائدة وبعد بائدة الأصم ثم واغل وناطل وعادل وورنة وبرك . فالباثد من القتال إذا كان يبئد فيه كثير من الناس . وجرى المثل بذلك فقالوا « العجب كل العجب بين جمادى ورجب » وكانوا يستعجلون فيه ويتوخون بلوغ الثأر والنارات قبل رجب فإنه شهر حرام . ويقولون له الأصم لأنهم كانوا يكفون فيه عن القتال فلا يسمع فيه صوت سلاح . والواغل الداخل على شرب ولم يدعوه . وذلك لأنه يهجم على شهر رمضان وكان يكثر في شهر رمضان شربهم الخمر لأن الذى يتلوه هي شهور الحج . وناطل هو مكيال الخمر سمي به لإفراطهم فيه بالشرب وكثرة استعمالهم لذلك المكيال . وأما العادل<sup>(٣)</sup> فهو من العدل لأنه من أشهر الحج وكانوا يشتهلون فيه عن الباطل . وأما الزبا فلأن الأنعام كانت تزب فيه لقرب النحر . وأما برك فهو لبروك الإبل إذا حضرت المنحر . وقد روى أنهم كانوا يسمون الحرم مؤتمر وصفر ناجر وربيع الأول وبصان<sup>(٤)</sup> وربيع الآخر خوان وجمادى الأولى حمن وجمادى الأخرى ورنه<sup>(٥)</sup> ورجب الأصم وهو شهر مضر وكانت العرب تصومه في الجاهلية وكانت تمتاز فيه وتمير أهلها وكان يأمن بعضهم بعضاً فيه ويخرجون إلى الأسفار ولا يخافون وشعبان عادل.

(١) كذا والمشهور ( ربي ) كما صححناها في أول البحث من التاج والصبح (٢) في الأصل «بايق»  
(٣) في القاموس وشرحه : « العادل » بالدال المعجمة (٤) في الأصل « نصار » (٥) في الأصل : « الرنة » .

ورمضان ناتق وشوال واغل وذو القعدة هواع وذو الحجة برك ويقال فيه أيضاً أبروك وكانوا يسمونه الميمون .

(وأما القسم المستعمل) فالحرم وصفر وربيعان وجماديان ورجب وشعبان ورمضان وشوال وذو القعدة وذو الحجة وهذه الأسماء وضعت على هذه الشهور باتفاق حال وقعت في كل شهر منها فسمى ذلك الشهر بها عند ابتداء الوضع فسموا الحرم محرماً لأنهم كانوا يغيرون فاتفق أن أغاروا في هذا الشهر فلم ينجحوا فحرموا القتال فيه فسموه محرماً وسموا صفرًا لصفر بيوتهم فيه منهم عند خروجهم إلى الغارات . وقيل لأنهم كانوا يغيرون الصفرية وهي بلاد . وشهر ربيع لأنهم كانوا يخصبون فيها بما أصابوا في صفر والربيع الخصب ، وقيل غير ذلك والذي ذكر الأبق بالتعليق حكاه ابن النحاس في كتاب (صناعة الكتاب) وجماديان من جمد الماء لأن الوقت الذي سميا فيه بهذه التسمية كان الماء جامداً . ورجب لتعظيمهم له والترجيح التعظيم وقيل رجب لأنه وسط السنة مشتق من الرواجب وهي أنامل الإصبع الوسطى ، وقيل إن العود رجب النبات فيه أي أخرجه فسمى بذلك ، وكذلك تشعب العود في الشهر الذي يليه فسمى شعبان ، وقيل سمي بذلك لتشعبهم فيه للغارات ، وسمى رمضان أي شهر الحر مشتق من الرمضاء وقد صادف ذلك وقت التسمية ، وشوال من شالت الإبل أذناها إذا حالت أو من شال يشول إذا ارتفع وذو القعدة لعودهم فيه عن القتال إذ هو من الأشهر الحرم وذو الحجة لأن الحج اتفق فيه فسمى به .

ويقال أن أول من سماها بهذه الأسماء كلاب بن مرة ، ومن مجموع هذه الأشهر أربعة حرم : ثلاثة سرد وهي ذو القعدة وذو الحجة والحرم ، وواحد فرد وهو رجب مضر على الإضافة لأن ربيعة كانت تحرم رمضان وهذا الترتيب رواه الأصمعي عن العرب ، واختار غيره أن يبدأ في العدد بالحرم ثم رجب وذو القعدة وذو الحجة لتكون الأربع كلها معدودة في سنة واحدة . وروى عن ابن عباس

رضى الله تعالى عنه ، وأبدى بعضهم لترتيب الأشهر الحرم على هذا الوجه مناسبة لطيفة حاصلها أن للأشهر الحرم مزية على ما عداها فناسب أن يبدأ بها العام وأن تتوسطه وأن تحتم به ، وإنما كان الختم بشهرين لوقوع الحج ختام الأركان الأربعة لأنها تشتمل على عمل مال محض وهو الزكاة وعمل بدن محض وذلك تارة يكون بالجوارح وهو الصلاة . وتارة بالقلب وهو الصوم لأنه كف عن المفطرات ، وتارة عمل مركب من مال وبدن، وهو الحج فلما جمعها ناسب أن يكون له ضعف ما لواحد منها فكان له من الأربعة الحرم شهران . وكانوا يعظمون هذه الأشهر ويمرمون القتال فيها حتى إن الرجل منهم لو لقي قاتل أبيه أو قاتل أخيه لم يكلمه وهم يعظمون أول يوم من رجب أوفر تعظيم حسبا يخطر بالبال ، ومن سنتهم فيه أن يصالح بين من كان بينه وبين غيره موجدة . . ومن هذه الأشهر أربعة لا تكاد العرب تنطق بها إلا مضافة وهي شهر ربيع وشهر رجب وشهر رمضان والأشهر المتفقة أوائلها<sup>(١)</sup> الحرم مثله شوال . صفر مثل رجب . ربيع الأول مثله

(١) ههنا ضابط لا ينبغي معنى هذا الكلام إلا بإيراده . وهو : أنهم وضعوا لكل شهر من شهور السنة حرفا وذلك لمن يريد أن يعرف اليوم الذي يدخل به الشهر العربي في عامه ويجمع تلك الحروف قوله (أجد وزب جهر أبا) فللمحرم الالف والصفر الجيم وهكذا . . . وكيفيتها : معرفة أول أي شهر أردت أنك تأخذ حرف شهره المجهولة رؤيته وتبدأ بالعدد من اليوم الذي دخل به عامك العربي وهو المحرم فحيث انتهى لك العدد فذلك اليوم الذي يدخل به شهره المطلوب .

مثال ذلك : ان أول المحرم من هذا العام — ١٣٤٠ — كان الاحد؛ فإذا أردت أن تعرف اليوم الذي يبتدىء به ذو القعدة مثلا فخذ حرفه وهو (الباء) وعدده بحساب الجمل (الثان) فتقول : الاحد الاثني فتقف على الاثني فإنه أول ذي القعدة وهلم جرا . . فإذا عرفت هذا الضابط الذي هو مناط الشرا على كثير من الناس تبين لك معنى قوله : والأشهر المتفقة أوائلها الحرم مثله شوال الخ . . واعلم أنك إذا ضل عنك الشهر العربي ولم تعلم في أي شهر أنت فيه من شهور العام تعد من يناير إلى الشهر العجى الذي أنت فيه واحمل على العدد سبعة أبدا فما اجتمع بدأت به من جمادى الأولى متماديا على الشهور فعلى أي شهر وقف حسابك ففيه أنت ان شاء الله . وأيضا إذا لم تعلم بأي يوم دخل فانظر بأي يوم اهل الهلال في الشهر الذي أنت فيه ثم خذ علامة ذلك الشهر وعدّها إلى وراء من اليوم الذي هل به الشهر الذي أنت فيه فحيثما انتهى حسابك فيما قبل فهو اليوم الذي يدخل به المحرم . وهناك ضوابط كثيرة مهمة من هذا القبيل تجدها في كتب الفلك والله ولى التوفيق

ذو الحجة . ربيع الآخر مثله رمضان ، جمادى الآخرة مثله ذو القعدة ، والشهور الغير المتفة جمادى الأولى وشعبان . والله ولى التوفيق وهو المستعان ، وقد أوردنا من أفعالهم وأعمالهم التى جَبَّها الإسلام وأبطلها الشرع المحمدى ما فيه الكفاية فى هذا المقام ، وأما استيعابها فيحتاج إلى كتب مفصلة ويكفى من القلادة ما أحاط بالجيد ، ومن تتبع كتب المتقدمين ، وشروح دواوين الجاهليين ، أمكنه أن يقف على أكثر مما ذكرنا .

#### ذكر ما ظن للعرب فى الجاهلية من العلوم والمعارف

قد أسلفنا فى أوائل الكتاب أن العرب كانوا على أقسام مختلفة ، وأصناف متغايرة ، وأن البائدة منهم كعاد وثمود وطسم وجديس إلى غير ذلك من الأمم قد انقرضوا وانقطعت عنا أخبارهم وتفاصيل أحوالهم . وأن غير البائدة ( وهم موضوع الكتاب ) قد تفرعوا من عدنان وقحطان : أما قحطان وهم عرب اليمن فقد كانوا على أحسن ما يكون من التمدن والغالب منهم سكن البلاد المعمورة ، وبنوا القصور المشهورة ، وشيدوا الحصون المذكورة . وكانت لهم مدن عظيمة قد شرح حالها أهل الأخبار على أتم وجه . هذه ( سبأ ) قد ذكرها الله تعالى فى كتابه الكريم فقال عز اسمه ( لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فى مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبُّ غَفُورٌ ) وكان لهم ملوك وأقيال دَوَّخُوا البلاد واستولوا على كثير من أقطار الأرض ؛ كل ذلك يدل على كمال وقوفهم على العلوم التى لا بد منها فى حفظ النظام وعليها مدارُ المعاش والانتعاش وسياسة المدن وتدير المنزل والجيوش وتأسيس المدن وإجراء المياه وغير ذلك مما لا يمكن وجوده مع الجهل وعدم المعرفة وكانت لهم أديان مختلفة وقد أرسل الله تعالى لهم من بلغهم ما أراد من الأوامر

والأحكام فآمن مَنْ آمن وكذب من كذب كبحال غيرهم من الأمم وكانت لهم اليد الطولى فى كثير من الصناعات وكانت للتبابعة والجبارة منهم مذاهب فى أحكام النجوم وغيرها : كل ذلك من المسلمات التى لا يمكن لأحد التوقف فى قبولها ولا التردد فى الإذعان لها وقد نطق متواتر الأخبار الصحيحة بها . وأما بنو عدنان ومن جاورهم من عرب اليمن بعد أن فرقتهم حادثة سيل القرم ، فكأنوا على شريعة موروثية وعلم منزل من السماء وهو ما جاء به إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام إلى أن اختل أمرهم ، وتغير حالهم ، بمرور العصور ، وتطاول الدهور ، فأهلوا ما كانوا عليه من الدين ، وتركوا شديد القوانين ، ودانوا بما وضع لهم الخزاعى <sup>(١)</sup> وابتدعه لإغوائهم من الأحكام الباطلة واقتدوا بأقواله وأفعاله ، فمن ذلك اليوم فشا الجهل بينهم وقل العلم فيهم وأضاعوا صنائعهم وتشتتوا فى الأطراف والأكناف ، ووقع التنازع والتشاجر بين القبائل وتكاثر البغضاء بينهم ، فلم يبق عندهم علم منزل ولا شريعة موروثية من نبي ولا هم أيضاً مشتغلون ببعض العلوم العقلية المحضة كالطب والحساب ونحوها إنما علمهم ما سمعت به قرائحهم من الشعر والخطب أو ما حفظوه من أنسابهم وأيامهم أو ما احتاجوا إليه فى دنياهم من الأنواء والنجوم أو من الحروب ونحو ذلك . وكانوا يقال لهم الأمة الأمية . قال تعالى ( هو الذى بعث فى الأميين رسولا منهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لى ضلال مبين ) فإن المراد من الأميين العرب والأحمر منسوب إلى أمة العرب ولما كانت علومهم الفطرية ومعارفهم الطبيعية مما تدل على حدة أذهانهم ، وقوة فطنتهم ، وكال استعدادهم وأنها تدل على أنهم فاقوا على <sup>(٢)</sup> غيرهم ، أحببت

---

(١) هو عمرو بن لحي (٢) الصواب : فاقوا غيرهم لأن فاق يتعدى بنفسه . . قال المجد : فاق أصحابه فوقاً وفوقاً علاهم بالشرف . انتهى . وفى الحديث : حبيب إلى الجمال حتى ما أحب أن يفوقنى أحد بشراك نعل . وقال الشاعر : —  
فما كان حصن ولا حابس يفوقان مرداس فى مجمع  
( ٦ — ثالث )

أن أذكر نبذة منها مع تعريفها وتوضيحها وبيان ما يناسب من الأخبار التي صحت بها الرواية ، وثبتت عن الثقات من أهل الدراية . فمن علومهم :

### علم الشعر والقريض

اعلم أن الشعرَ أكثر علم العرب ، وأوفر حظوظ الأدب ، وأحرى أن تقبل شهادته ، وتمثل إرادته ، قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم : إن من الشعر لحكمة . وقال عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه : نعم ما تعلمته العرب الأبيات من الشعر يقدمها الرجل أمام حاجته فيستنزل بها الكريم ، ويستعطف بها اللئيم ؛ مع ما للشعر من عظم المزية ، وشرف الأبيية ، وعزّ الأنفة ، وسلطان القدرة . وفي عمدة ابن رشيقي<sup>(١)</sup> : العرب أفضل الأمم ، وحكمتها أشرف الحكم كفضل اللسان على اليد ، والبعد عن امتهان الجسد ، إذ خروج الحكمة عن الذات ، بمشاركة الآلات ، فإنه لا بد للإنسان من أن يتولى ذلك بنفسه ، أو يحتاج فيه إلى آلة أو معين من جنسه ، وكلام العرب نوعان : منظوم ، ومنثور ولكل نوع منهما ثلاث طبقات : جيدة ، ومتوسطة ، ورديثة ، فإذا اتفق الطبقتان في القدر وتساوتا في القيمة ولم يكن لأحدهما فضل على الأخرى كان الحكم للشعر ظاهراً في التسمية لأن كلَّ منظوم أحسن من كل منثور من جنسه في معترف العادة . ألا ترى أن الدرَّ وهو أخو اللفظ ونسيبه وإليه يقاس وبه يشبه إذا كان منثوراً لم يؤمن عليه ولم ينتفع به في الباب الذي له كسب ، ومن أجله انتخب ، وإن كان أعلى قدراً ، وأعلى ثمناً ، فإذا نظم كان أصون له من الابتذال ، وأظهر لحسنه مع كثرة الاستعمال ، وكذلك اللفظ إذا كان منثوراً تبدد في الأسماء ، وتذحرج عن الطباع ، ولم يستقر منه إلا المفرطة في اللفظ وإن كانت أجملة ،

والواحدة من الألف وعسى أن لا تكون أفضله ، فإن كانت هي اليتيمة <sup>(١)</sup> المعروفة والفريدة الموصوفة ، فكم في سبط الشعر من أمثالها ونظائرها لا يعبا به ولا ينظر إليه ، فإذا أخذ سلك الوزن وعقدة القافية تألفت أشتاتة ، وازدوجت فرائده وبناته ، واتخذة اللابس جمالاً ، والمدخر مالاً فصار قرطة <sup>(٢)</sup> الآذان ، وقلائد الأعناق ، وأما في النفوس ، وأكالييل الرؤوس ، يقلب بالألسن ، ويخبأ في القلوب مصوناً باللب ، ممنوعاً من السرقة والنصب ، وقد اجتمع الناس على أن المنشور في كلامهم أكثر وأقل جيداً محفوظاً ، وأن الشعر أقل وأكثر جيداً محفوظاً لأن في أدناه من زينة الوزن والقافية ما يقارب جيد المنشور . وكان الكلام كله منشوراً ، فاحتاجت العرب إلى الغناء بمكارم أخلاقها ، وطيب أعراقها ، وذكر أيامها الصالحة ، وأوطانها النازحة ، وفرسانها الأنجاد ، وسمعاتها الأجواد ، تهرز أنفسها إلى الكرم ، وتدل أبناءها على حسن الشيم ، فتوهموا أعاريض جعلوها موازين الكلام ، فلما تم لهم وزنه سموه شعراً لأنهم قد شعروا به أى فطنوا . وزعم <sup>(٣)</sup> الرواة أن الشعر كله إنما كان رجزاً أو قطعاً وأنه إنما قصد على عهد هاشم ابن عبد مناف . وكان أول من قصده مهلهل وامرؤ القيس ، وبينهما وبين محبى الإسلام مائة ونيف وخمسون سنة ذكر ذلك الجمع وغيره . . وأول من طول الرجز وجعله كالتصيد الأغلب العجلى شيئاً يسيراً وكان على عهد النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ، ثم أتى العجاج فافتن فيه فالأغلب العجلى والعجاج في الرجز كامرئ القيس ومهلهل في الصيد . . وسئل أبو عمرو بن العلاء <sup>(٤)</sup> : هل كانت العرب تطيل ؟ قال : نعم ليسمع منها . قيل : هل كانت توجز ؟ قال : نعم ليحفظ عنها . ويستحب عندهم الإطالة عند الإعذار والإنذار والترغيب والترهيب والإصلاح بين القبائل كما فعل زهير والحارث بن حنظلة ومن شابههما ، وإلا فالقطع أطير في بعض المواضع والطوال للمواقف المشهورة .

(١) أى الدرة التى لانظير لها . (٢) قرطة : على وزن عنبة جمع قرط وهو ما يعلق فى شحمة الاذن (٣) العمدة : ج ١ ص ١٢٦ (٤) العمدة : ج ١ ص ١٢٤ .

### اختفاء القبائل بسعرائها

ومن مذاهب العرب أن القبيلة منهم كانت إذا نبغ فيها شاعر أتت القبائل فهنأتها بذلك وصنعت الأطعمة واجتمعت النساء يلعبن بالمزاهر كما يصنعن بالأعراس ، وتباشروا به لأنه حامية لأعراضهم ، وذبت عن أحسابهم وتخليد لما ترمي ، وإشادة بذكورهم ، وكانوا لا يهينون إلا بغلام يولد أو فرس تذبذب أو شاعر ينبغ فيهم . فمن حى قبيلته زياد الأعجم : وذلك أن الفرزدق هم بهجاء عبد القيس فبلغ ذلك زياداً — وهو منهم — فبعث إليه : لا تعجل فإني مهدي إليك هدية فانتظر الفرزدق الهدية فجاءه من عقده هجو وهو هذا :

وماترك الهاجون لي إن هجوته مصحاً أراه في أدبم الفرزدق  
ولا تركوا عظماً يرى تحت لحمه لكاسره أبقوه المتعرق  
سأكسر ما أبقوا له من عظامه وأنكت مخ الساق منه وأنتق  
فأنا وما تهدي لنا إن هجوتنا لكالبجر مهما يلق في البحر يفرق

فلما بلغت الأبيات كلف عما أراد ، وقال : لا سبيل إلى هجاء هؤلاء ما عاش (العبد) هذا فيهم . وهجا (عبد الله) بن الزبيري السهمي بنى قصي فدفعوه برمته إلى عتبة بن ربيعة خوفاً من هجاء الزبير بن عبد المطلب وكان شاعراً مفلحاً شديد المعارضة فذع الهجاء ، فلما وصل عبد الله بن الزبيري إليهم أطلقه حمزة بن عبد المطلب وكساه . فقال عبد الله :

لعمرك ما جاءت بنكر عشيرتي وإن صالحت إخوانها لا ألومها

(١) جمع مزهر كمنبر وهو العود يضرب به . (٢) عرق العظم وتعرقه : أكل ما عليه من اللحم نهشاً بأسنانه (٣) نكت العظم : أخرج مخه . ونقوت العظم وانتقيته : استخرجت مخه . قال الشاعر :  
ولا يسرق الكلب السروق نعالنا ولا ننتقى المخ الذي في الجماجم  
وفي حديث عمرو بن العاص يصف سيدنا عمر (رض) : ونقت له محنتها ،  
يعنى الدنيا يصف ما فتح له منها .



فود جُناةُ الشر أن سيوفنا بأيماننا مسلولةً لانشيمها<sup>(١)</sup>  
 فإن قصيًا أهل عزٍ ونجدةٍ وأهل فعال لايرام قديمها  
 ثم منعوا يومئذ عكاظ نساءنا كما منع الشول الهجان قرومها<sup>(٢)</sup>  
 وكان الزبير غائباً في الطائف فلما وصل إلى مكة وبلغه الخبر قال :  
 فلولا نحن لم يلبس رجال ثياب أعزق حتى يموتوا  
 ثيابهم سمالاً أو طماراً بها دسم كما دسم الحميت<sup>(٣)</sup>  
 ولسكننا خلقنا إذ خلقنا لنا الحبرات والمسك الفتيت<sup>(٤)</sup>

والأخبار في هذا الباب ، لا يحيط بها الاستقصاء والحساب ، وقد عمل بهذا المذهب إلى صدر الإسلام ، ولولا خوف التطويل لأوردنا شيئاً من ذلك في هذا المقام .

#### تنقل الشعر في القبائل

ذكر أبو عبد الله محمد بن سلام الحمصي في كتاب الطبقات وغيره من المؤلفين أن الشركان في الجاهلية في ربيعة . وكان منهم مهلهل بن ربيعة واسمه عدى . وقيل امرؤ القيس وسمى مهلهلاً لهلهلة شعره أى رقة وخفته ، وقيل لاختلافه ، وقيل بل سمي بذلك لقوله :

(١) شام سيفه يشيمه : غمده واستله ضد . (٢) يوما عكاظ : هما من أيام العرب الشهيرة ، وعكاظ سوق بصحراء بين نخلة والطائف . راجع الجزء الأول ( ص ٢٦٧ ) ، والشول جمع شائلة على غير قياس والشائلة من الأبل مائتي عليها من حملها أو وضعها سبعة أشهر فجف لبنها ، والشائل بغير هاء التى تشول — ترفع — بذنبها اللقاح ولا لبن لها أصلاً والجمع شول كرفع جمع راع . والهجان : من الأبل الخالصة اللون والعنق وهى أكرم الأبل ، والقروم : جمع القرم بالفتح — وهو الفحل (٣) قوله : سمال . يقال سمل الثوب سمولاً وسمولة ، أخلق كاسهل وسمل ككرم فهو ثوب أسمال كما يقال رمح أقصاد وبرمة أصشار ، والطمار : الثياب البالية . والدسم : الودك من لحم وشحم . والحميت : وعاء السمن كالعكة ، وقيل وعاء السمن الذى متن بالرب ، وقيل الزق الصغير أو الزق بلا شعر . (٤) الحبرة وزان عنبه ثوب يمانى من قطن أو كتان مخطط يقال برد حبرة على الوصف وبرد حبرة على الأضافة والجمع حبر وحبرات مثل عنب وعنبات . قال الأزهري ليس حبرة موضعاً أو شيئاً معلوماً إنما هو وشى معلوم أضيف الثوب إليه كما قيل ثوب قرمز بالأضافة والقرمز صبغه فأضيف الثوب إلى الوشى والصبغ للتوضيح ( المصباح ) .

لما توقل في الكراع شريدهم هلهلت أنار جابراً أو صنبل<sup>(١)</sup>  
ويروى (لما توعم<sup>(٢)</sup> في الكلاب هجينهم) قال أبو سعيد الحسن بن الحسين  
السكري : يعنى بقوله امرأ القيس بن حمام الذى ذكره امرؤ القيس فى شعره  
حيث يقول :  
عوجا على الطلل المحيل لأننا نبكى الديار كما بكى ابن حمام<sup>(٣)</sup>

(١) صنبل : قال المجد « صنبل كخندف علم رجل من تغلب » والهجين :  
قال الزبيدي « هو امرؤ القيس بن الحمام ، وجابر وصنبل من بنى تغلب » .  
وروى الجوهري « مالكا » بدل « جابرا » وهو غير صواب (٢) أى اخذ فى مكان  
وعر . (٣) البيت هو من قصيدة لامرئ القيس استشهد به صاحب الكشف  
عند قوله تعالى ( وما يشعركم أنها اذا جاءت لا يؤمنون ) بفتح الهمزة فى قراءة  
اهل المدينة بمعنى ( لعل ) كما أن ( لأننا ) فى البيت بمعنى ( لعلنا ) . قال ابن  
رشيق فى العمدة ( ج ١ ص ٥٤ ) : ( يروى فى البيت — لأننا بمعنى لعلنا وهى  
لغة امرئ القيس فيما زعم بعض المؤلفين والذى كنت أعرف ( لعلنا ) ( بالعين  
ونونين ) والمحيل : الذى اتى عليه الحول . وعوجا : أمر من عجت البعير  
أعوجه عوجاومعاجا اذا عطف رأسه بالزام . وابن حمام : شاعر قديم ، وليس  
هو ابن حذيم الطبيب المشهور الذى يضرب به المثل فى الطب فيقال ( طب  
بالكى من ابن حذيم ) كما وهم ابن الأثير فى الموضع . قال العلامة الشيخ عبد  
القادر البغدادى فى خزائن الأدب ( ج ٢ ص ٢٣٤ ) : ( جميع من ذكر ابن حذام  
الشاعر لم يقل انه هو ابن حذيم الطبيب ، وقد اختلف فى ضبط اسمه فالذى  
رواه الأمدى — ابن حذام — بمجمعتين . قال : من يقال له ابن حذام منهم  
ابن حذام الذى ذكره امرؤ القيس فى شعره وهو احد من بكى الديار قبل امرئ  
القيس ودرس شعره قال امرؤ القيس :

عوجا على الطلل المحيل لأننا نبكى الديار كما بكى ابن حذام  
قوله ( لأننا ) يريد ( لعلنا ) ذكر ذلك أبو عبيدة وقال : قال لنا أبو الوثيق  
ممن ابن حذام ؟ فقلنا ما نعرفه . فقال : رجوت أن يكون علمه بالأمصار . فقلنا :  
ما سمعنا به . فقال : بلى قد ذكره امرؤ القيس وبكى على الديار قبله فقال  
( كأنى غداة البين يوم تحملوا ) البيت انتهى . وقال ابن رشيق فى العمدة :  
الذى أعرف أن ( ابن حذام ) بذال معجمة وحاء غير معجمة كما روى الجاحظ  
وغیره . انتهى . وضبطه بعضهم ( ابن حمام ) بحاء مهملة مضمومة بعدها  
ميم غير مشددة واسمه امرؤ القيس . قال الأمدى عند ذكر المسمين بامرئ القيس :  
ومنهم امرؤ القيس بن حمام . ثم ذكر نسبه ، وقال : والذى أدركه الرواة  
من شعره قليل جدا وكان امرؤ القيس هاربا فقال مهلهل :

لما توغل فى الكراع هجينهم هلهلت أنار جابرا أو صنبل  
فى قصة المذكورة فى أخبار زهير بن جناب وبهذا البيت قيل لمهلهل (مهلهل)  
وبعض الرواة يروى بيت امرئ القيس بن حجر :  
عوجا على الطلل المحيل لعلنا نبكى الديار كما بكى ابن حمام

وكان مهلهل تبعه يوم السكلاب ففاته ابن الحمام بعد أن تناوله بالرمح وقد كان ابن الحمام أغار على بنى تغلب مع زهير بن جَنَاب فقتل جابراً وصنبلًا . وروى لأننا بمعنى لعلنا وهى لغة فيما زعم بعض المؤلفين ، وكان مهلهل أول من قصد القصائد . قال الفرزدق ( ومهلهل الشعراء ذاك الأول ) وهو خال امرئ القيس ابن حجر وجد عمرو بن كلثوم لأمه . ومنهم المرقشان والأكبر منهما عم الأصغر والأصغر عم طرفة ابن العبد واسم الأكبر عوف بن سعد وعمرو ابن قميثة ابن أخته<sup>(١)</sup> ، ويقال إنه أخوه ، واسم الأصغر حرملة ، وقيل ربيعة ابن سفيان وهذا أعرف . . ومنهم سعد ابن مالك الذى يقول :

يا يابؤسَ للحربِ التى وضعتْ أراھطَ فاستراحُوا<sup>(٢)</sup>

يعنى امرأ القيس هذا ويرى ابن خدام . انتهى . ومثله للعسكري فى كتاب التصحيف قال : ومنهم امرؤ القيس بن حمام بن عبدة بن هبل ابن أخى زهير بن جناب بن هبل ويزعم بعضهم أنه الذى عنى امرؤ القيس بقوله ( نبكى الديار كما بكى ابن خدام ) وكان يغزو مع مهلهل وإياه أراد مهلهل بقوله ( لما توغل فى الكلاب هجينهم ، البيت فالهجين هو امرؤ القيس ابن حمام وجابر وصنبل رجلان من بنى تغلب . انتهى . . . ) .

(١) فى العمدة : ( ابن أخيه ) فليحقق ، (٢) هذا البيت من قصيدة له قالها فى حرب البسوس حين هاجت بين بكر وتغلب لقتل كليب ، واعتزل الحرث بن عباد وقال هذا امرأ لاناقة لى فيه ولاجمل فعرض سعد فى هذا الشعر بقعوده وقد أوردنا القصيدة فى الجزء الثانى ( ص ١٤٩ ) فلتراجع . وقوله يابؤس للحرب اللام فيه تأكيد الأضافة وهى اضافة لاتخصص ولا تعرف وهذه اللام على هذا الحد لاتجىء الا فى بابين أحدهما فى باب النفى بلا وذلك نحو لاغلامى لك ولا أبالك وما أشبههما ، والثانى فى باب النداء فى مثل قوله يابؤس للحرب وانما المعنى يابؤس الحرب الا ترى أنه لو لم يرد الأضافة لنون يابؤس فى النصب لكونه نكرة أو كان يجعله معرفة فيبنيه على الضم وقد اتى الشاعر به فى باب النفى على أصله فى الأضافة فقال :

أبا موت السدى لا بد انى ملاقى لا أباك تخوفينى

والذى يدل على أن هذه الأضافة لاتخصص أن ( لا ) قد عمل معها وهو انما تعمل فى النكرات . وأراھط جمع ارھط جمع رهط وهو النهر من ثلاثة الى عشرة ، فإذا نصبت أراھط جعلت الحرب الفاعلة ، وإيس الوضع ههنا ضد الرفع وانما المراد انها تركتهم فلم تكفلهم القتال وانما يعنى الحرث ابن عباد ومن كان مثله فى اعتزال الحرب ، ومن رفع أراھط فالمعنى يابؤس الحرب التى وضعها أراھط وهذا اللفظ هو الأصل لأن قولك ترك بنو فلان الحرب هو واجب الكلام ، وقولك تركت الحرب بنى فلان مجاز واتسع . انتهى بتصرف من شرح ديوان الحماسة .

وطَرْفَة بن العبد بن سفيان وعمرو بن قَمَيْمَة والحِث بن سِلَازَة والمتلمس وهو خال طَرْفَة ، واسمه جرير بن عبد المسيح . والأعشى واسمه ميمون بن قيس ابن جندل . وخاله المسيب بن عَلس واسم المسيب زهير . ثم تحول الشعر في قيس فمنهم النابغة ، وزهير بن أبي سُلمى ، وابنه كعب لأنهم ينسبون في بني عبد الله ابن عَطَفَان ، واسم أبي سُلمى : ربيعة ، ولبيد ، والحطيئة ، والشماخ واسمه معقل ابن ضرار ، وأخوه مزرد واسمه جزء بن ضرار . وقيل يزيد وجزء (أخوها) وكان مزرد<sup>(١)</sup> شريفاً يهجو ضيوفه وهجا قومه عند رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال :

تعلم رسول الله أنا كأنما أفأنا بأنمار ثعالب ذى ضحل  
تعلم رسول الله لم أر مثلم أجرّ على الأدنى وأحرم للفضل  
الضحل : الماء القليل في الأرض لا عمق له جمعه أضحال . ومنهم خدش ابن زهير وكان له سبق في الشعر في وقته . ثم استقر الشعر في تميم ومنهم أوس ابن حَجَر شاعر مُضَرّ في الجاهلية ولم يتقدمه أحد منهم حتى نشأ النابغة وزهير فأخلاه وبقى شاعر تميم في الجاهلية غير مدافع . وكان الأصمى يقول : أوس أشعر من زهير ولسكن النابغة طأطأ منه وكان زهير راوية أوس ، وكان أوس زوج أم زهير وسئل حسان بن ثابت : من أشعر الناس ؟ فقال : أرجال أم حيا ؟ قال : حيا فقال : أشعر الناس حيا هذيل . وقال ابن سلام الجحى : وأشعر هذيل أبو ذؤيب غير مدافع . وقال الأصمى : قال أبو عمرو بن العلاء ؛ أفصح الناس لساناً وأعربهم<sup>(٢)</sup> أهل السروات وهن ثلاث وهى الجبال المطلة على تهامة مما يلي اليمن فأولها هذيل وهى تلى السهل من تهامة ثم بجيلة السراة الوسطى . وقد شركتهم ثقيف في ناحية أخرى منها ثم سراة الأزد أزد شنوءة وهم بنو الحرث بن كعب بن الحرث ابن نصر بن الأزد وقال أبو عمرو : أفصح الناس عليا تميم وسفلى قيس . وقال أبو زهد : أفصح الناس سافلة العالية وعالية السافلة يعنى عجز هوازن . قال ولست أقول ؛

(١) ترجمته في الاصابة للعسقلانى ج ٥ ص ٨٥ . (٢) فى العمدة (واعذبهم)

قالت العرب إلا ما سمعت منهم ، وإلا لم أقل قالت العرب . . وأهل العسالية أهل  
الدينه ومن حولها ومن يليها ومن دنا منهم ولغتهم ليست بتلك عندهم<sup>(١)</sup> . وقوم  
يرون مقدمة الشعر لليمن في الجاهلية باسمى القيس وفي الإسلام بحسان بن ثابت ،  
وفي المولدين بأبي نواس وأصحابه مسلم بن الوليد وأبي الشيص ودعبل كلهم من  
اليمن . وفي الطبقة التي تليهم بالطائيين أبو تمام والبحترى ويختمون الشعر بأبي  
الطيب وهو خاتم الشعراء لا تحالة . وكان ينتسب<sup>(٢)</sup> في كندة وهي رواية ضعيفة  
وإنما ولد في كندة بالكوفة فيما حكاه ابن جني . وإلا فكان غامض النسب  
فيقولون بدى الشعر بكندة يعنون أمراً القيس — وختم بكندة — يعنون أبا الطيب  
وزعم بعض المتأخرين أنه جمعي ، وقوم منهم صاحب بن عباد يقولون : بدى الشعر  
بملك وختم بملك . يعنون أمراً القيس وأبا فراس الحرث بن سعيد بن حمدان . وقال  
آخرون : بل رجع الشعر إلى ربعة فختم بها كما بدى بها يريدون مهلهلاً وأبا فراس  
وأشعر أهل المدر بإجماع من الناس واتفاق حسان بن ثابت . وقال أبو عمرو بن العلاء :  
ختم الشعر بذى الرمة والرجز بروثة بن العجاج . وزعم يونس أن العجاج أشعر أهل  
الرجز والقصيد . قال : وإنما هو كلام وأجودهم كلاماً أشعرهم ، والعجاج ليس في شعره  
شئ يستطيع أحد أن يقول : لو كان مكانه غيره كان أجود ، وذكر أنه صنع أرجوزته  
( قد جبر الدين الإله فخر<sup>(٣)</sup> ) فيها نحو مائتي بيت وهي موقوفة مقيدة . قال : ولو أطلقت

(١) في — ع — (عنده) (٢) في — ع — (ينسب) (٣) هذا الشطر مطلع أرجوزة  
طويلة له ، وهي — كما قال — نحو مائتي بيت مدح بها عمر بن عبيد الله بن  
معمر ، وكان عبد الملك بن مروان قد وجهه لقتال أبي فديك الحروري فأوقع  
به وبأصحابه . . وبعده :

وعور الرحمن من ولى العور  
فالحمد لله الذى أعطى الشبر موالى الحق ان المولى شكر  
الى أن قال :

واختار في الدين الحروري البطر في بشر لا حور سرى وما شعر  
والقصة في نهاية الأرب للنويري ، وخزانة الأدب الشيخ عبد القادر البغدادي  
( ج ٢ ص ٩٧ )

فيها وتباعد فيها الوزن لسكانت منصوبة كلها . وقال أبو عبيدة : إنما كان الشاعر يقول من الرجز البيتين والثلاثة ونحو ذلك إذا حارب أو شاتم أو فاخر حتى كان المعراج أول من أطله ، وقصده ، ونسب فيه ، وذكر الديار ، واستوقف الركاب عليها ، ووصف ما فيها ، وبكى على الشباب ، ووصف الراحلة ، كما فعل الشعراء بالقصيد ، فكان في الرجاز كأمري القيس في الشعراء . وقال غيره : أول من طول الرجز الأغلب العجلى وهو قديم . وزعم الجحى وغيره أنه أول من رجز ، وما أظن ذلك صحيحاً إلا أنه إنما كان على عهد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ونحن نجد الرجز أقدم من ذلك . وكان أبو عبيدة يقول : افتتح الشعر بأمري القيس وختم بان هزيمة ولم أر أنقد من الذى قال : أشعر الناس من أنت في شعره .

#### أنفة شعراء العرب من التنكسب بالشعر

كانت العرب لا تنكسب بالشعر وإنما يصنع أحدهم ما يصنع فكاهاة أو مكافأة عن يد لا يستطيع على أداء حقها إلا بالشكر إعظاماً لها . قال امرؤ القيس بن حُجر يمدح بني تميم رهط المعلى :

أقرّ حشّى امرئ القيس بن حُجر (١) بنو تميم مصاييحُ الظلام  
لأن المعلى أجاره حين طلبه المنذر بن ماء السماء فقبل لبني تميم مصاييح الظلام  
ببيت امرئ القيس . وقال أيضاً لسعد بن الضباب :

سأجزيك الذى دافعت عني وما يجزيك عني غير شكري

فأخبره أن شكره هو الغاية في مجازاته ، حتى نشأ النابغة الذبباني فمدح الملوك ، وقبل الصلة على الشعر ، وخضع للنعمان بن المنذر ، وكان قادراً على الامتناع منه بمن حوله من عشيرته أو سار إليه من ملوك غسان ، فسقطت منزلته

(١) أى سكن روعه .

وكسب مالا جزيلاً حتى كان أكله وشربه في صحاف الذهب والفضة وأوانيها من عطايا الملوك. وتكسب زهير بن أبي سلمى يسيراً مع هرم بن سنان، فلما جاء الأعشى جعل الشعر متجراً يتجر به نحو البلاد، وقصد حتى ملك العجم فأثابه، وأجزل عطيته، لعله بقدر ما يقول عند العرب، واقتداء بهم فيه، على أن شعره لم يحسن عنده حين فسر له بل استخف به واستهجنه لكنه حذاً حذو ملوك العرب، . وأكثر العلماء يقولون إنه أول من سأل بشعره وقد علمنا أن النابغة أسن منه وأقدم شعراً وقد ذكر عنه من التكسب بالشعر مع النعمان بن المنذر مع ما فيه قبيح من مجاعة<sup>(١)</sup> الحاجب، ودس الندماء على ذكره بين يديه، وما أشبه ذلك. وذكر أن أبا عمرو بن العلاء سئل: لم خضع للنعمان النابغة؟ قال: رغب في عطاياه وعصافيره وأما زهير بن أبي سلمى فما بلغ الطائي قط معرفة باجتماع من يمدحه ويدلّك على ذلك ما قاله عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه لابنة زهير حين سألتها: ما فعلت حبل هرم بن سنان التي كساها أباك؟ قالت: أبلاها الدهر. قال: لكن ما كسا أبوك هرمًا لم يبله الدهر. وقال لبعض ولد هرم بن سنان: أنشدني ما قال فيكم زهير فأنشده. فقال: لقد كان يقول فيكم فيحسن. قال: يا أمير المؤمنين إنا كنا نعطيه فنجزل. قال: ذهب ما أعطيموه وبقي ما أعطاكم. . . ثم إن الخطيئة أكثر من السؤال بالشعر وانحطاط المهمة فيه حتى مقت وذل أهله، وهلم جرا إلى أن حرم السائل وعدم المستؤل. وأما أكثر من تقدم فالغالب على طباعهم الأنفة من السؤال بالشعر وقلة التعرض به لما في أيدي الناس إلا فيما لا يزرى بقدر ولا مروءة مثل الفتنة النادرة، والمهمة العظيمة، ولهذا قال عمر رضي الله تعالى عنه: نعم ما تعلمته العرب الأبيات من الشعر يقدمها الرجل أمام حاجته. ألا ترى أن لبيد بن ربيعة لما

(١) جاعله مجاعة وجعلا: رشاه. وفي الأساس هو يجاعله أي يصانعه برشوة.

(٢) راجع صفحة ٢٢ من هذا الجزء

بعث إليه الوليد بن عقبة مائة من الإبل ينحرفها لعادته عند هبوب الصبا وقد  
أسن وأقل ، وكان يطعم الناس ما هبت الصبا ، قال لبيته : اشكرى هذا الرجل  
فإني لا أجيد نفسي تجيبي ولقد أراي لا أعيا بجواب شاعر فقالت :

إذا هبت ريارُ أبي عقيل دَعَوْنَا عند هبتها الوليداً<sup>(١)</sup>  
أغرَّ الوجهَ أبيضَ عَشْمِيًّا أعان على مروءته لبيداً<sup>(٢)</sup>  
بأمثال الهضابِ كأنَّ ركباً عليها من بني حامرِ قعوداً<sup>(٣)</sup>  
أبا وهبٍ جزاك اللهُ خيراً نحرناها وأطمعنا التريدا  
فعدُّ إن الكريمَ له مَعَادٌ وظنَى بامرٍ أروى أن يعودا

وعرضتها عليه فقال : أجدت لولا أنك استعدتِ ا كراهيةً في قولها  
( فعد إن الكريم له معاد ) ويروى : لولا أنك استزدتِ . . وقالوا : كان الشاعر  
في مبتدأ الامر أرفع منزلة من الخطيب لحاجتهم إلى الشعر في تخايد المآثر ، وشدة  
المعارضة ، وحماية العشيرة ، وتهيبهم عند شاعر غيرهم من القبائل ، فلا يقدم  
عليهم خوفاً من شاعرهم على نفسه وقبيلته ، فلما تكسبوا به وجعلوه طعمةً وتولوا  
به الأعراض وتناولوها صارت الخطابة فوقه ، وعلى هذا المنهاج كانوا حتى فشت  
فيهم الضراعة وتتطعموا أموال الناس وجشعوا فخشعوا واطمأنَّت بهم دار الذلة  
إلا من وقر نفسه وقارها ، وعرف لها مقدارها ، حتى قبض نقيّ العرض مصون الوجه  
مالم يكن به اضطرار يحل الميتة . فأما من وجد الكفاف والبلغة فلا وجه لسؤاله بالشعر

(١) هبوب الصبا : كناية عن القحط (٢) عشمياً : منسوباً الى بني عبد  
شمس . ويروى أشم الأنف أروع عشمياً (٣) بأمثال : منعلق بأعان .  
والهضاب جمع هضبة وهى ما ارتفع من الارض أو هى كل جبل منبسط .  
والمعنى : أعان بجمال ضخام أمثال الهضاب اضخامتها . وقد شبهت أسنمتها  
بقوم سود قاعدين عليها ، وضربت لسواد أسنمتها مثلاً وهم بنو حامر أى  
السودان .



### ذكر نبذة من مآثر شعراء العرب وغرر شعرهم

قد كتبت في هذا المقام عند تأليف هذا الكتاب من أخبار شعراء الجاهلية وأحوالهم ، ما كفانا عنه كتاب ( الشعر والشعراء ) لابن قتيبة وغيره من الكتب المؤلفة في هذا الشأن فأسقطته عند الطبع ، وتعرضت عنه بذكر ما انتقاه بعض الأئمة من عيون الأشعار ، وأحسنها ، وفصوصها ، وفرائدها ، والمختص من الأمثال السائرة ، والمعاني النادرة ، والألفاظ الفاخرة ، في الفنون المتغايرة ، لسجرة الشعراء وأمراء الكلام الحرّ ، من لدن امرئ القيس ، ومن يليه من فحول الجاهليين ، ومن يتلوهم من مُقلقي الحَضَرَمين وهلم جرّاً إلى أعيان الإسلاميين ، وما أورده لكل من المذكورين ، على اختلاف طبقاتهم ، وتباين درجاتهم من أمير شعره ، وواسطة عقده ، ودرة تاجه ، وغرة كلامه ، وبيت قصيده ، وفريدة قلاذته ، ليعلم الناظر في كتابنا هذا ما كان عليه القوم من المنزلة الرفيعة فيما امتاز به النوع الإنساني عن غيره ، وما أوتوه من الحكمة وفصل الخطاب ، وما توفيقى إلا بالله .

### امرؤ القيس بن صهر الكنمى

هو أمير الشعراء ، بشهادة خير الأنبياء ، وسيد الفصحاء ، صلوات الله وسلامه عليه . وذلك أنه ذكر عنده يوماً فقال صلى الله تعالى عليه وسلم ( ذلك رجلٌ مذكورٌ في الدنيا منسى في الآخرة يحى يوم القيامة ويده لواء الشعراء يقودهم إلى الدار ) فيروى أن كلاً من لبيد وحسان بن ثابت قال : لبت هذه المقالة في وأنا المدهدى فيها فيقال إن أمير شعر أمير الشعراء قوله من قصيدة :

البرّ أبحج ما طلبت به      والبرّ خيرُ حقيبة الرجل

ومن أمثاله السائرة قوله في القناعة والرضى باليسير عند تعذر الكثير :

إذا ما لم تكن لابلٍ فَمِعْزَى كَانَ قُرُونٌ جَلَّتْهَا الْعِصَى<sup>(١)</sup>  
 فتملاً بيتنا أقطاً وَسَمْنَا وحسبك من غنى شبع ورئ<sup>(٢)</sup>  
 ومما يضاد هذه الحالة من بعد الهمة والسمو إلى معالي الأمور قوله :  
 فلو أن ما أسمى لأدنى مَعِيشَةٍ كَفَانِي ولم أطلبُ قليلٌ من المال<sup>(٣)</sup>  
 ولكنما أسمى لجِدٍ مؤثِّلٍ وقد يُدركُ الجَدَّ المؤثِّلَ أمثلي<sup>(٤)</sup>  
 ومن أمثاله السائرة  
 وقام جدُّهم بيني إِيَّيْهِم وبِالأشْقَيْنِ ما حلَّ الْعِقَابُ<sup>(٥)</sup>  
 وقوله

أراهنَّ لا يحببن من قلَّ ماله ولا من رَأَيْنَ الشَّيْبَ فيه وقوَّسا  
 ألا إنَّ بعدَ العُدْمِ المرءَ قِنُوءٌ وبعدَ المشيبِ طولَ عمرٍ ومَلَبَّسًا<sup>(٦)</sup>

(١) المعزى : ذوات الشعور من الغنم : قال الامام سيبويه : معزى منون مصروف لأن الالف اللالحاق لا للتأنيث وهو ملحق بذرهم على فعلل لأن الالف الملحقه تجرى مجرى ما هو من نفس الكلم ، يدل على ذلك قولهم معيز وأريط في تصغر معزى وأرطى في قول من نون فكسروا ما بعد ياء التصغير كما قالوا دريهم ولو كانت للتأنيث لم يقبلوا الالف ياء كما لم يقبلوها في تصغير حبلى وأخرى . وقال الفراء : المعزى مؤنثة وبعضهم ذكرها . وقال ابن الاعرابي : معزى يصرف اذا شئت بمفعل وهي فعلى ولا تصرف اذا حملت على فعلى . وهو الوجه عنده . . و « جلتها » بكسر الجيم وتشديد اللام جمع جليل أى عظيم وهو فى الأصل المسن من الابل فاستعمله الشاعر فى المسن من الغنم مجازاً . ويورد العروضيون البيت ( شاهدنا فى البحر الوافر ) بهذا اللفظ : انا غنم نسوقها غزار . كان . . . الخ ( راجع المختصر الشافى ص ١٧ من طبعة المطبعة الأزهرية والحاشية الكبرى للدمنهورى ص ٤٦ ) . (٢) قوله « فتملاً بيتنا » فى رواية أخرى « فتوسع أهلها » . والأقط : بفتح الهمة وكسر القاف شئ يتخذ من المخيض الغنمى (٣) اختلف النحويون فى هذا البيت فمنهم من جعله من باب التنازع ومنهم من أم يجعله وأهم فى توجيهه كلام طويل . وفى كتاب سيبويه : ولا يكون الفعل بغير فاعل وأما قول امرئ القيس : فلو أن ما أسمى الخ فانما رفع لأنه لم يجعل القليل مطلوباً وإنما كان المطلوب عنده الملك وجعل القليل كافياً ولو لم يرد ذلك ونصب فسد المعنى . قال الاعلم : اراد كفانى قليل من المال ولم اطلب الملك وعليه معنى الشعر ولو أعمل النانى ونصب به القليل فسد المعنى . وصف بعد همته ، يقول : لو كان سعياً فى الدنيا لأدنى حظ منها كفتنى البلغة من العيش ولم أتجشم ما أتجشم . انتهى (٤) المؤثِّل : المؤصل . (٥) يروى ( كان ) بدل ( حل ) ، ( وما ) مقحمة (٦) القنوة : بالكسر والضم : الكسبة .

وقوله

وقد طوّفتُ في الآفاق حتّى رَضِيتُ من الغنيمة بالإياب

وقوله

إذا المرء لم يخزُنْ عليه لسانهُ فليس على شيء سواه بخزان<sup>(١)</sup>

وقوله

فإنك لم يفخرْ عليك كفاحي ضعيفٍ ولم يغلبك مثلُ مغلبٍ  
وقوله (جُرْحُ اللسان كجرح اليد) وقوله : إن الشقاء على الأشقيين مصبوب)

ومن قلائده الفاخرة قوله في وصف الفرس ولم يسبق إليه ، ولم يلحق فيه :  
مِكَرٌّ مِغَرٌّ مُثْمِلٌ مُذِيرٌ مَعَا كَجَلْمُودٍ صَخْرٍ حَطُّهُ السَّيْلُ من عَلٍ (٢)  
له أَيْطَلًا طَبِي وساقا نَعَامَةً وإرخاء سِرْحَانٍ وتَقْرِبُ تَتَفَسَّلُ (٣)  
وقوله في طول الليل واستعارة أوصافه من الجمل الناهض بالجلل الثقيل :

ولَيْلٍ كَمَوْجِ الْبَحْرِ أَرْخَى سُدُولَهُ عَلَى أَنْوَاعِ الْهُمُومِ لِيَتَبَسَّلَى (٤)

(١) يقول : إذا لم يخزن المرء لسانه على نفسه ولم يحفه مما يعود ضرره إليه فلا يخزنه على غيره ولا يحفظه مما لا ضرر له فيه (٢) قال أبو عبدالله الزوزنى : الكر العطف يقال كر فرسه على عدوه أى عطفه عليه والكر والكرو جميعا الرجوع يقال كر على قرنه يكر كرا وكرورا والمكر مفعول من كركر ومفعول يتضمن مبالغة كقولهم فلان مسعر حرب وفلان مقول ومصقع وإنما جعلوه متضمننا مبالغة لأن مفعلا قد يكون من أسماء الأدوات نحو المعول والمكتل والمخرز فجعل كأنه أداة للكرو وآلة لسعر الحرب وغير ذلك . ومفر : مفعول من فر يفر فرارا والكلام فيه نحو الكلام في مكر . والجلمود : الصخر العظيم . والخط : القاء الشيء من علو إلى سفلى . ومن عل : من فوق ، وفيه سبع لغات . وقوله : كجلمود صخر من إضافة بعض الشيء إلى كله مثل باب حديد وجبة خز ، أى كجلمود من صخر . انتهى باختصار . (٣) الأيطل : الخاصرة . والإرخاء : ضرب من عدو الذئب يشبه خيب الدواب . والسرحان : الذئب . والتقريب : وضع الرجلين موضع اليدين في العدو . والتثقل : ولد الثعلب . . شبه خاصرته هذا الفرس بخاصرته الطيبى في الضمر ، وساقيه بساقى النعامة في الانتصاب والطول ، وعدوه بإرخاء الذئب ، وتقريبه بتقريب ولد الثعلب فجمع أربعة تشبيهات في هذا البيت .

(٤) شبه ظلام الليل في هوله وصعوبته ونكارة أمره بأمواج البحر . والسدول : السطور الواحد منها سدل ، والإرخاء : إرسال الستر وغيره . والابتلاء : الاختبار . والباء في قوله « بأنواع » بمعنى مع .

فقلت له لما تَمَطَّى بِصُلْبِهِ وَأَرْدَفَ أُعْجَازاً وَنَاءَ بِكُلِّكِلٍ (١)  
 أَلَا أَيُّهَا اللَّيْلُ الطَّوِيلُ أَلَا انْجَلِي بِصَبْحٍ وَمَا الْإِصْبَاحُ مِنْكَ بِأَمْتَلٍ (٢)  
 أَفَاطِمَ مَهَلًا بَعْضَ هَذَا التَّدَلِّلِ وَإِنْ كُنْتَ قَدْ أَرْزَمْتَ صَرْمِي فَأَجَلِي (٣)  
 وَإِنْ كُنْتُ قَدْ سَاءَتْكَ مِنْ خَلِيقَةٍ فَسَلِّي ثِيَابِي مِنْ ثِيَابِكَ تَنْسُلِ (٤)  
 وَمَا ذَرَفَتْ عَيْنَاكَ إِلَّا لِتَضْرِبِي بِسَهْمِيكَ فِي أَعْشَارِ قَلْبٍ مَقْتَلٍ (٥)  
 لو قاله محدث في الزمان الرقيق لاستظرف ذلك منه فكيف في مثل

(١) تمطى: تمدد. والارداف: الاتباع. والاعجاز: المآخير. وناء: مقلوب نأى بمعنى بعد، كما قالوا: راء بمعنى رأى، وشاء بمعنى شأى. والكلكل: الصدر. . استعار الليل صلبا، واستعار لطوله لفظ التمطى ليلائم الصلب، واستعار لأوائله لفظ الكلكل ولأخيره لفظ الاعجاز. (٢) الانجلاء: الانكشاف، يقال: جلوته فانجلت أى كشفته فانكشف، والأمثل: الأفضل. ومنك: متعلق بأمتل والأصل «بأمتل منك». وروى: (وما الا صباح فيك) وعليها افتصر الأعلم. وبعد هذا البيت قوله:

فيا لك من ليل كأن نجومه بكل مغار الفتل شدت بيدبل  
 كان الثريا عاقت في مصابها بأمراس كتان إلى صم جندل. .  
 (٣) هذا البيت لا مناسبة له بما قبله. بل قد ذكر هو وما بعده في المعنقة قبل نحو: (٢٥) بيتا! . . رمعى مهلا: رفقا. والادل والادل: أن يثق الإنسان بحب غيره إياه فيؤذيه على حسب ثقته به. وازمعت الأمر وازمعت عليه: وطنت نفسى عليه. والصرم: يقال صرمت الرجل أصرمه صرما إذا قطعت كلامه والصرم الاسم. (٤) الخليفة: الطبيعة. والثياب: من الناس من جعلها في هذا البيت بمعنى القلب كما حملت الثياب على القلب في قوله عنتر: فشككت بالرمح الاصم ثيابه ليس الكريم على القنا بمحرم فالعنى على هذا القول: ان ساءك خلق من أخلاقى وكرهت خصلة من خصالى فردى على قلبى أفارقك. ومن الناس من حملها على الثياب الملبوسة وقال: كنى بتباين الثياب وتباعدها عن تباعدهما. . . والنسول: سقوط الريش والوبر، والصوف والشعر، يقال: نسل ريش الطائر ينسل وينسل نسولا واسم ماسقط النسل والنسالة ومنهم من رواه تنسلى وجعل الانسلاء بمعنى التنسلى. والرواية الأولى أولاها بالصواب - كما في شرح المعاني للزوزنى، وبعد البيت: ومنهم من يرويه قبله أغرك منى ان حبك قاتلى وانك مهما تأمرى القلب يفعل

(٥) ذرفت: دمعت وروى «لتقدحى» موضع «لتضربى» وهو بمعناه. وسهميك: تشنيه سهم والمراد بهما عيناهما. ومعنى في أعشار قلب: أى لتجعل عليه عشر قطع كما تخرق أعشار البرمة الا أن القلب لا ينجر والبرمة تنجر. وقيل المراد بسهميك الملقى والرقيب وهما من سهام الميسر فالرقيب له ثلاثة انصباء والملقى له سبعة لتستولى على قلبى كله. والمقتل: المذلل غاية التذليل.

ذلك الزمان ؟ وهو أول من شبه شيئين بشيئين في بيت واحد حيث قال في وصف العقاب :

كَأَنَّ قُلُوبَ الطَّيْرِ رَطْبًا وَيَاسًا      لَدَى وَكْرِهَا الْعُنَابُ وَالْحَشَفُ الْبَالِي (١)  
ويستجد من تشبيهه قوله :

كَأَنَّ عَيُونَ الْوَحْشِ حَوْلَ خَبَائِئِنَا      وَأَرْحَانَا الْجَزَعُ الَّذِي لَمْ يُثَقِّبْ (٢)  
وقد سبق إلى أشياء ابتدعها واستحسنها العرب واتبعته عليها الشعراء من استيقافه صحبه في الديار ورقة النسيب وقرب المأخذ .

زهير بن أبي سلمى (٣)

هو أحد الأربعة الذين وقع عليهم الاتفاق على أنهم أشعر العرب . وهم :  
أمرؤ القيس ، وزهير ، والنابغة ، والأعشى . فأما الاختلاف في تفضيل بعضهم

(١) البيت من شواهد التلخيص ، والشاهد فيه التشبيه المكفوف — وهو أن يؤتى على طريق العطف أو غيره بالمشبهات أولا ثم بالمشبهة بها — فهذا شبه الرطب العارى من قلوب الطير بالعناب ، واليابس العتيق منها بالحشف البالي ( وهو أردا التمر والضعيف الذي لا نوى له ) إذ ليس لاجتماعهما هيئة مخصوصة يعتد بها ويقصد تشبيهها ولذا قال الشيخ الامام عبد القاهرة : انه انما يتضمن الفضيلة من حيث اختصار اللفظ وحسن الترتيب فيه لا أن المجموع فائدة في عين التشبيه . (٢) قال الأصمعي : الغلبى والبقرة اذا كانا حيين فعيونهما كلها سود فاذا ماتا بدا بياضهما وانما شبههما بالجزع وفيه سواد وبياض بعد ما موتت والمراد كثرة الصيد يعنى مما أكلناه كثرت العيون عندنا . وبه يتبين بطلان ما قيل ان المراد انها قد اطالت مسائرتهم حتى الفت الوحوش رجالهم وأخبيتهم . والجزع : بفتح الجيم الخرز اليماني الصيني فيه سواد وبياض تشبه به عيون الوحش لكنه أتى بقوله « لم يثقب » ايافلا وتحقيقا للتشبيه ، لأن الجزع اذا كان غير مثقوب كان أشبه بالعيون . والبيت من قصيدته المشهورة التى عارض بها قصيدة علقمة الفحل . ومطلعها :

خليلى مرابى على ام جندب      نقضى آيات الفؤاد المعذب  
ومطلع قصيدة علقمة :

ذهبت من الهجران في غير مذهب      ولم يك حقا كل هذا التحجب  
وتحكيمهما لام جندب امرأة امرئ القيس وحكما لعلقمة وطلاق امرئ القيس اباهما ، وتزويج علقمة لها كله مشهور فلا تطيل به . ومن ارادة فليرجع الى الاغانى ( ج ٧ ص ١٢١ )

(٣) سلمى بضم السين وتسكين اللام وليس في العرب سلمى بالضم غيره  
( ٧ — ثلاث )

على بعض فقائم على ساق . وكان يقال : أشعر الناس امرؤ القيس إذا ركب ، وزهير إذا رغب ، والناقة إذا رهب . والأعشى إذا طرب . وكان زهير أجمع الناس للكثير من المعاني في القليل من الألفاظ ، وأحسنهم تصرفاً في المدح والحكمة . ويقال إن أبياته في آخر قصيدته التي أولها :

أَمِنْ أُمٍّ أَوْ فِي دِمْنَةٍ لَمْ تَكَلِّمْ بِحَوْمَانَةٍ الدَّرَاجَ فَالْمُتَشَلِّمِ<sup>(١)</sup>  
تُشَبِّهُ كَلَامَ الْأَنْبِيَاءِ وَهِيَ أَحْكَمُ حَكَمِ الْعَرَبِ . وَهِيَ :

وَمَنْ لَمْ يُصَانِعْ فِي أُمُورٍ كَثِيرَةٍ يُضَرِّسُ بِأَنْيَابٍ وَيُوطَأُ بِمَذْنِمِ<sup>(٢)</sup>  
وَمَنْ يَجْعَلُ الْمَعْرُوفَ مَنْ دُونَ عَرْضِهِ يَفْرُهُ وَمَنْ لَا يَتَّقِي الشَّتْمَ يُشْتَمُ<sup>(٣)</sup>  
وَمَنْ لَمْ يَذُدَّ عَنْ حَوْضِهِ بِسِلَاحِهِ يُهْذَمُ وَمَنْ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ يُظْلَمُ<sup>(٤)</sup>  
وَمَنْ يَغْتَرِبُ يَحْسِبُ عَدُوًّا صَدِيقَهُ وَمَنْ لَا يُكْرِمُ نَفْسَهُ لَا يُكْرَمُ  
وَمَنْ يَكُ ذَا فَضْلٍ فَيُبْخَلُ بِفَضْلِهِ عَلَى قَوْمِهِ يُسْتَفْنَعُ عَنْهُ وَيُذَمُّ<sup>(٥)</sup>  
وَمَهْمَا تَكُنْ عَمْدًا مَرِيًّا مِنْ خَلِيقَةٍ وَإِنْ خَالَهَا تَحْفَى عَلَى النَّاسِ تُعْلَمُ<sup>(٦)</sup>  
وَمِنْ أَمْثَالِهِ السَّائِرَةِ

وَهَلْ يُذْنِبُ الْخَطِيئُ إِلَّا وَشَيْجَةً وَتُفْرَسُ إِلَّا فِي مَنَابِتِهَا النَّخْلُ<sup>(٧)</sup>

(١) أم أوفى : اسم عشيقته . والدمنة : ماسود من آثار الدار بانبعثر الرماد وغيرهما . وحومانة الدراج والمتنلم : موضعان (٢) المصانعة : الترفق والمداورة . والضرس : العض على الشيء بالضرس والتضريس مبالغة والمنسم : خف البعير . (٣) وفرت الشيء أفره وفرا كثرته

(٤) الذود : المنع . وأراد بالحوض الحريم . (٥) يقول : من كان صاحب فضل ومال فيبخل به ويحرص عليه استغنى عنه وذم ، فأظهر التضعيف على لغة أهل الحجاز لأن لغتهم أظهر التضعيف في محل الجزم ، والبناء على الوقف . (٦) الخليقة الطبيعة . يقول : ومهما كان للانسان خلق ووطن أنه يخفى على الناس علم ولم يخف ، يعنى أن الأخلاق لا تخفى ، والتخلق لا يبقى . . قيل : أنشد سيدنا عثمان رضى الله عنه هذا البيت فقال : أحسن زهير وصدق فلو أن الرجل دخل بيتا في جوف بيت لتحدث به الناس (٧) الخطي : الرمح نسبة الى الخط وهي جزيرة في البحرين ترفأ اليها السفن . والوشيح شجر الرماح وأحدثه وشيعة . أى لا تنبت القناة الا القناة ، ولا تفرس النخل الا بحيث تنبت وتصلح ، والمراد أنه لا يلد الكرام الا الكرام .

وقوله :

والسَّترُ دونَ الفاحشاتِ ولا يَلْقَاكَ دونَ الخيرِ من سِترٍ  
وما وقع الاتفاق على أنه أمدح بيت للجاهلية قوله :

تراه إذا ما جئته مُتهللاً كأنك تُعطيه الذى أنت سائله (١)

قال ثعلب وهو من قدم زهيراً : كان أحسنهم شعراً ، وأبعدهم من سخف ،  
وأجمعهم لكثير من المعنى فى قليل من المنطق ، وأشدّهم مبالغة فى المدح ، وأكثرهم  
أمثلاً فى شعره . وقال ابن الأعرابى : زهير فى الشعر ما لم يكن لغيره ، كان أبوه  
شاعراً وخاله شاعراً وأخته سلمى شاعرة وأخته الخنساء شاعرة وابناه كعب وبجير  
شاعرين وابن ابنه المضرب بن كعب شاعراً . وهو الذى يقول :

إِنِّى لأَحْبِسُ نَفْسِي وَهَى صَابِرَةٍ (٢) عن مُضْعَبٍ وَلَقَدْ بَأَنْتَ لى الطَّرِيقِ  
رَعَوْا عَلَيْهِ كَمَا أَرَعَى عَلَى هَرِيمٍ جَدَى زَهِيرٍ وَفِينَا ذَلِكَ أُخْلِقُ  
مَدْحَ الْمُلُوكِ وَسَعَى فى مَسَرَّتِهِمْ ثُمَّ الْغَنَى وَيَدِ الْمَذْذُوحِ تَنْطَلِقُ  
وكعب هو ناظم قصيدة (بانت سعاد) فى مدح الرسول صلى الله تعالى عليه  
وسلم . قال ابن قتيبة : وكان زهير يتأله ويتعفف فى شعره ، ويدل على إيمانه  
بالبعث ، وذلك قوله :

يُؤَخَّرُ قِيُودُغٍ فى كِتَابٍ فَيُذَخَّرُ لِيَوْمِ الْحِسَابِ أَوْ يُعْجَلُ فَيَنْتَقِمُ (٣)  
وقد شبه زهير امرأة بثلاثة أوصاف فى بيت واحد فقال :

(١) المتهلل : الطلق الوجه المستبشر . يقول : هو مسرور بمن يسأله  
مستبشر به كما يستبشر الإنسان بأن يوصل ويعطى . ولم يرد أنه حريص  
على الأخذ مستبشر به ولكنه قال هذا على ما جرت به العادة من محبة  
النفس للأخذ وكراهيتها للاعطاء .

(٢) فى الأغاني ج ٩ ص ١٥١ : « صادية » . (٣) جميع الافعال بالبناء  
للمفعول ما عدا الأخير . يقال : نقم منه ( من باب ضرب ) بمعنى عاقبه وانتقم  
منه . وقد اخطأ من بناء للمفعول . ويؤخر بدل من ( يعلم ) فى البيت قبله :  
فلا تكتمن الله ما فى صدوركم ليخفى ومهما يكتنم الله يعلم  
وقيل جزم فى جواب النهى . وهو الصواب .

تَنَازَعَهَا الْمَهَاءُ شَبَّهًا وَدُرُّ الْـ نُحُورٍ وَشَاكَهَتْ فِيهَا الظُّبَاءُ (١)

ففسرهم قال :

فَأَمَّا مَا فُؤِيقَ الْعِقْدِ مِنْهَا فَمِنْ أَدْمَاءٍ مَرَّتْهَا الْخِلَافَةُ (٢)

وَأَمَّا الْمُقْلَتَانِ فَمِنْ مَهَاءٍ وَلِلدُرِّ الْمَلَاخَةُ وَالصَّفَاءُ (٣)

وقال بعض الرواة : لو أن زهيراً نظر إلى رسالة عمر بن الخطاب إلى أبي موسى

الأشعري رضى الله تعالى عنهما ما زاد على ما قال :

فَإِنَّ الْحَقَّ مَقْطَعُهُ ثَلَاثٌ يَمِينٌ أَوْ نِفَارٌ أَوْ جِلَاءُ (٤)

يعنى يميناً ، أو منافرة إلى حاكم يقطع باليمينات ، أو جلاء . وهو بيان وبرهان

— يحلو به الحق وتنضح الدعوى — وروى أن عمر رضى الله تعالى عنه قال لابن

زهير (٥) : ما فعلت الحلل التي كساها هَرِمٌ أباك ؟ قال : أبلاها الدهر ! قال : لسكن

الحلل التي كساها أبوك هَرِمًا لم يبلها الدهر ! ويستجد قوله في هرم :

قَدْ جَعَلَ الْمُبْتَغُونَ الْخَيْرَ فِي هَرِمٍ وَالسَّائِلُونَ إِلَى أَبْوَابِهِ طَرُقًا (٦)

مَنْ يَلْقَى يَوْمًا عَلَى عِلَاتِهِ هَرِمًا يَلْقَى السَّاحَةَ مِنْهُ وَالنَّدَى خُلُقًا (٧)

(١) المهاء : بقر الوحش . وشاكهت : شاكلت وشابهت . ومعنى : تنازعها المهاء شبهها أى فيها من المهاء شبه وهو حسن العينين ، وفيها من الدر شبهه وذلك صفاؤه وملاحته ، وأشبهتها الظباء في طول العنق . وأصل المنازعة مجاذبة الدلو فضربت مثلاً لكل ما أخذ فيه وتشبث به ، ومنه التنازع في الحديث . وخص در النحور لأنه أملح ما يكون إذا قلت ، ويروى در البحور بالبهاء . (٢) قوله : فأما ما فويق العقد منها ، يعنى عنقها لأن موضع العقد النحر وفوقه العنق وصغر فوق لتقارب ما بين العنق والعقد . والأدماء : الطيبة البيضاء ، والخلاء الموضع الخالى ، وإنما خص الطيبة لأنه أراد أنها إذا نقرت تجزع فتتشوف وتمد عنقها وذلك أحسن لها . (٣) المقلتان : العينان ، شبه عينيها بعينى المهاء في شدة أبيضاض بياضهما وأسوداد سوادهما . وشبهه ملاحتها وصفاءها بملاحه الدرة وصفائها . (٤) كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يعجب من حسن تقسيم هذا البيت ويردد انشاده من التعجب . ورووا عنه أنه قال : لو أدركته أوليته القضاء لعرفته بما تثبت به الحقوق . انظر شرح بابت سعاد ص ١٦ والعمدة ١ : ٣٠ والصناعين ٢٦٨ والبيان والتبيين ١ : ١٣٥ وغيرها . (٥) راجع الجزء الأول ص ٨٦ . (٦) المبتغون : الطالبون . وقوله ( في هرم ) أى عند هرم أو من هرم . وترجمة هرم في الجزء الأول من هذا الكتاب ص ٨٤ . (٧) قوله ( على علاته ) يقول : ان تلقه على قلة مال أو عدم تجده سمحاً كريماً فكيف به وهو على غير تلك الحال ؟ وورد في الجزء الأول ص ٨٥ هذا البيت :



وروى أن زهيراً كان ينظم القصيدة في شهر ، وينقحها ويهذبها في سنة ، وكانت تسمى قصائده (حوليات زهير) وقد أشار إلى هذا البها زهير في قوله من قصيدة :

هذا زهيرُك لا زهير مزينهٍ      وافاك لا هرماً على علاته  
دَعُهُ وحولياته ثم استمع      زهير عَصْرِكَ حسنَ ليلياته

وكان رأى زهير في منامه في أواخر عمره أن آتياً أتاه فحمله إلى السماء حتى كاد يمسها بيده ثم تركه فهو إلى الأرض ، فلما احتضر قصّ رؤياه على ولده كعب . ثم قال : إني لا أشك أنه كائن من خبر السماء بعدى فإن كان فتمسكوا به وسارعوا إليه . ثم توفي قبل المبعث بسنة . فلما بعث صلى الله تعالى عليه وسلم خرج إليه ولده كعب<sup>(١)</sup> بقصيدة (بانت سعاد) وأسلم . وروى أيضاً أن زهيراً رأى في منامه أن سبيلاً تدلّ من السماء إلى الأرض كأن الناس يسكونه وكلما أراد أن يسكه تقلص عنه فأوله بنبي آخر الزمان فإنه واسطة بين الله تعالى وبين الناس وأن مدته لاتصل إلى زمن مبعثه ، وأوصى بنيه أن يؤمنوا به عند ظهوره .

#### الناطقة الذبياني

واسمه زياد بن معاوية : اتفقت الآراء على أنه أحسن الشعراء ديباجة شعر ، وأكثر رونق كلام ، وكان كلامه كلام الكتاب ليس فيه تكلف ولا تعسف . ويقال إن أجود شعره ما اعتذر به إلى النعمان بن المنذر . وأما ذلك قوله :

فإنك كالليل الذي هو مدركي      وإن خلت أن المنتأى عنك واسع<sup>(٢)</sup>

متى تلاق على علته هرماً      تلق السباحة في خلق وفي خلق  
واعلمه من قصيدة له أخرى فليحقق .

(١) الذي خرج إلى النبي وآمن به هو بجير أخو كعب وأما كعب فقد أهدر النبي دمه عام الفتح ثم قدم إلى النبي ثانياً وأسلم ومدحه بقصيدة (بانت سعاد) وخلع النبي عليه برده . (٢) المنتأى : اسم موضع من انتأى عنه أي بعد . . وشبهه بالليل لأنه وصفه في حال سخطه وهوله . والمعنى أنه لا يفوت المدوح وأن أبعد في الهرب وصار إلى أقصى الأرض ، لسعة ملكه ، وطول يده ، ولأن له في جميع الآفاق مطيعاً لأوامره يرد الهارب إليه . قال أبو بكر : اعترض على هذا البيت فقيل لا معنى لتخصيص الليل لأن النهار يدركه كما يدركه الليل . قال أبو جعفر : الليل يفشى كل شيء بظلمته

ومن أمثاله المشهورة قوله :

نُبِيتُ أَنَّ أَبَا قَابُوسَ أَوْعَدَنِي وَلَا مَقَامَ عَلَى زَأْرِ مِنَ الْأَسَدِ<sup>(١)</sup>  
ويروى أن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه قال يوماً لجلسائه من القائل ؟  
حلفتُ فلم أتركْ لنفسك ريباً وليس وراء الله للمرء مذهبُ<sup>(٢)</sup>  
لئن كُنْتُ قد بُلِغْتَ عَنى جناية لَمُبْلُغِكَ الْوَاشِيُ أَغْشُ وَأَكْذَبُ<sup>(٣)</sup>  
قالوا : النابغة يا أمير المؤمنين ! قال : فهذا أشعر شعرائكم . وفي هذه القصيدة

بيته السائر :

فَلَسْتُ بِمُسْتَبْقٍ أَخَا لَا تَلْمُهُ عَلَى شَعَثِ أَى الرِّجَالِ الْمَهْذَبِ<sup>(٤)</sup>  
وبيته الفاخر :  
فإنك شمسٌ والملوك كواكبٌ إذا طلعتْ لم يَبْدُ مِنْهُنَّ كَوَكَبُ<sup>(٥)</sup>

فيصير له كالغشاء والوعاء فيمنع النصرف لسرعة انطباقه على الأرض في الأرض القريبة من خط الاستواء والنهار وأن البس كل شيء فإنه لا يمنع من النصرف والانتشار ، وأيضا فإن الليل يهاب لظلمته والنهار ليس كذلك . وقال بعض النحاة : إنما قدم الليل لأنه أول ولأن أكثر أعمالهم كانت فيه لشدة حر بلادهم فصار عندهم ذلك متعارفا . . وفي معنى هذا البيت قول على بن جبلة :

وما لأمريء حاولته منك مهرب ولو رفعتنه في السماء المطالع  
بلى هارب لا يهتدى لمكانه ظلام ولا ضوء من الصبح ساطع  
وأكثر الأدباء يرجحه على بيت النابغة ، وقد تناول الشعراء هذا المعنى وأكثروا من الأتيان به في فصائد المديح أنظر معاهد التنصيص لعبد الرحيم العباسي (ج ١ ص ١١٢) .

(١) أبو قابوس : كنية النعمان بن المنذر . وأوعدني : هددني . وزار الأسد وزئيره واحد وهو صوته . أى لا يستقر أحد بلغه أن النعمان أوعده كما لا يستقر من يسمع زئير الأسد .

(٢) الريبة : التسك . يقول حلفت بالله وليس بعد اليمين بالله يمين ولا مذهب في يمين أخرى فينبغي أن تصدقني ولا تذهب إلى ما كنت تذهب إليه من ظنك بعد أن حلفت لك بالله تعالى (٣) الواشي : الذى يزين الكذب ، ويروى ( خيانة ) موضع ( جناية )

(٤) استبقيت فلانا فى معنى أن تعفو عن زلله فتستبقى مودته . والشعث : التفرق والفساد . وتلمه : تجمعه وتصلحه . والمعنى لا تقدر على استبقاء مودة أخ حال كونك ممن لا تلمه ولا تصلحه على تفرق وذميم خصال ثم فسر فقال أى الرجال المهذب ! أى أنك لا تجد مهذباً لا عيب فيه ! (٥) قال الوزير أبو بكر : وهذا مثل أى إذا ظهرت غمرت الملوك كما يغمر ضوء الشمس النجوم

« ومن قلأئده قوله »

فإن يكُ عامرٌ قد قالَ جهلاً فإنَّ مظِنَّةَ الجهلِ الشبابُ (١)

وله في الهجاء

وكنْتَ أُمِينَةً لو لم تَخْنُهُ ولكن لا أمانة لليأى (٢)

ومن أمثاله السائرة قوله

الرفقُ يمينُ والأناةُ سعادةٌ فاستأنِ في أمرٍ تلاقٍ نجاحاً (٣)

والياسُ عما فاتَ بعقبُ راحةٍ ولربُّ مطمَنةٍ تعودُ ذُباحاً (٤)

فاستبقِ وذكُ للصديقِ ولا تسكنِ قَتَباً بعضُ بغاربٍ ملُحاحاً (٥)

وسمى النابغة لقوله ( فقد نبغت لنا منهم شؤون ) وقيل لأنه لم يقل الشعر حتى صار رجلاً . وقيل هو مشتق من نبغت الحمامة إذا تغنت . وحكى ( ابن ولاد ) أنه يقال ينبغ الماء وينبغ بالشعر فسكانه أراد أن له مادة من الشعر لا تنقطع كدابة الماء النافع .

(١) المظننة : الموضع الذي لا تكاد تطلب الشيء الا وجدته فيه . ويروى : مظنية الجهل السباب . يقول : ان كان عامر قد قال جهلاً فهو اهل ان يقول الجهل وأن ينطق به لأنه شاب والفرارة والجهل مقترنان بالشباب . قال الوزير ابو بكر : ومن رواد بالطاء ( اى مظنية ) اراد ان الجهل يمتطى الشباب اى يركبه ويصرفه حيث يشاء . (٢) البيت في هجاء يزيد بن عمرو . وقوله : ولكن . . الخ قال ابو الحسن : انما قال ذلك لأن منازل بعض بنى عامر مما يلى اليمن وكل ما كان يلى اليمن فهو يمانى . ويقال ان يزيد بن عمرو هذا المهجو كان هو وقومه منازلهم قريب من محال بنى الحرث بن كعب وهم من اليمن ، فلما سمع هذا البيت قال لقومه : اجيبوه فأجابه يزيد بأبيات لا محل لذكرها . (٣) الرفق : خلاف العنف . واليمن : البركة والأناة كقناة الحلم والوقار . (٤) قوله ( عما ) فى رواية (مما) و ( مطمعة ) فى رواية ( مطمعة ) والدباح كغراب نبت من السموم يقتل آكله ، كذا فى أساس البلاغة والقاموس وشرحه التاج . (٥) القتب : الا كاف على قدر سنام البعير ، والغارب : الكاهل او ما بين السنام والعنق ويقولون للمائح : هو قتب بعض بالغارب ، يعنى اذا يعلق بخصم لا يفصل منه حتى يؤثر كما يؤثر القتب بظهر الدابة ، وقتب ملحاح يلزق بظهر البعير فيعقره وكذلك هو من الرجال والسروج وهو مجاز .

### أوس بن مخر<sup>(١)</sup> الأسدي

قال أبو عمرو بن العلاء : كان أوس فحلَّ مُصَرَّحِي نشأ النابغة وزهير فأخلاه  
وكان زهير راوية أوس . ومن إحسان أوس المشهور قوله في المراثية التي أولها :  
أيتها النفسُ أجلى جَزَعًا    إن الذي تحذرينَ قد وَقَمَا  
وليس للعرب مطعم قصيدة في المراثية أحسن من هذا البيت . وبيت  
القصيدة قوله :

الألمعُ الذي يَظُنُّ بكَ الظنَّ    كأنَّ قَدْ رَأَى وقد سَمِعَا<sup>(٢)</sup>  
ومن أمثاله السائرة قوله  
فإنكما يا ابني جناب وجدتما    كمن دَبَّ يَسْتَخْفِي وفي الخلق جَلْبَلُ  
وقوله

ولست بخائىء لِفَدِي طَعَامَا    حِذَارَ غَدٍ لِكُلِّ غَدٍ طَعَامُ

بشر بن أبي هارم الأسدي<sup>(٣)</sup>

من أمثاله السائرة قوله .

ألم ترَ أنَّ طولَ العهدِ يُسْلِي    وينسى مثلما نسيت جُذَامَ<sup>(٤)</sup>

---

(١) حبر بفتحتين ، وليس في أسماء الأشخاص على هذا البناء غير هذا .  
(٢) الألمع واليلمع : الذكي المتوقد الذكاء . وقد تداول الشعراء معنى  
هذا البيت كثيرا قال أبو تمام :  
ولذلك قيل من الظنسون جبلة    علم وفي بعض القلوب عيون  
وقال المتنبي :

يرى قلبه في يومه ما يرى غدا    ذكى تظنيه طليعة عينه  
(٣) خازم : بالخاء المعجمة والزاي . وكان الأصل (هنا وفي غير ما موضع)  
بالحاء المهملة فصححناه (٤) يروي « طول الدهر » موضع « طول العهد »  
وجذام : كغراب قبيلة بجيل حسمى من معد . قال أبو عمرو بن العلاء .  
فحلان من فحول الجاهلية كانا يقويان : بشر بن أبي خازم . والنابغة الذبياني .  
فأما النابغة فدخل يشرب فغنى بشعره فلم يعد . وأما بشر فقال له أخوه  
سواده أنك لتقوى . قال : وما الا قواء ؟ قال قولك :

### وقوله

يكن لك في قومي يد يشكرونها وأيدى الندى في الصالحين فروض<sup>١</sup>  
ومنه أخذ الناس قولهم « الأيدى فروض » وقوله عند موته من أبيات :  
تَسَائِلُ عَنْ أَبِيهَا كُلَّ رَكْبٍ وَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ السَّهْمَ صَابَا  
فَرَجَّحِي الْخَيْرَ وَانْتَظِرِي إِيَّاي إِذَا مَا الْقَارِظُ الْعَنْزَى آبَا<sup>(١)</sup>  
وقضية القارظان مشهورة .

### الأفوه الأوردى<sup>(٢)</sup>

كان أحد الحكماء في الجاهلية . ومن أمثاله السائرة قوله :  
إِنَّمَا نِعْمَةٌ قَوْمٍ مَتَعَةٌ وَحَيَاةُ الْمَرْءِ نَوْبٌ مُسْتَعَارٌ<sup>(٣)</sup>

الم تران طول الدهر يسلى وينسى مثلما نسيت جندام  
ثم قالت :  
وكانوا قومنا فيبعوا علينا فسقناهم الى البلد الشام  
فلم يعد للاقواء . انتهى .  
(١) قوله . « القارظ العنزى » قيل هما قارظان من عنزة اكبرهما يذكر  
بن عنزة لصلبه واصغرهما رهم بن عامر وقيل هو عامر بن رهم ، يقال انهما  
خرجا في طلب القرظ يجتنيانه فلم يرجعا فضرب بهما المثل فقالوا « لا آتيك  
او يؤوب القارظان » يضرب في انقطاع الغيبة . وايابهما اراد ابو ذؤيب بقوله :  
وحتى يؤوب القارظان كلاهما وينشر في القتلى كليب ووائل  
والقرظ : محرقة ورق السلام يدبغ به كما في الصحاح . . وأورد الزبيدي  
البيت الاول هكذا :

وان الوائل اصاب قلبي بسهم لم يكن نكسا اغابا  
(٢) الأفوه لقب واسمه صلاة ( لا صلاة كما وهم صاحب مجموعة  
شعراء النصرانية ج ١ ص ٧٠ ) ابن عمرو بن مالك بن عوف بن الحرث بن  
منبه ( او ضبة ) بن اود بن صعب ابن سعد العشيرة . كان من كبار الشعراء  
القدماء في الجاهلية وكان سيد قومه وقائدهم في حروبهم ، وكانوا يصيدون  
عن رايه والعرب تعده من حكمائها . وانما قيل له الأفوه لانه كان غليظ  
الشفقين ظاهر الأسنان (٣) هذه الابيات من قصيدته التي اولها :

ان ترى راسي فيه نزع وشواتي خلة فيها دوار  
وهذه القصيدة من جيد شعر العرب ، وهي التي نهى النبي صلى الله عليه  
وسلم عن انشادها لما فيها من ذكر اسماعيل عليه السلام ، واياه عنى بقوله:  
ريشت جرهم نبلا فرمى جرهما منهن فوق وشرار

وليا ليه إلالٌ للاقوى ومدى قد تجتليها وشفار<sup>(١)</sup>  
وصروفُ الدهرِ في أطباقه خلفه فيها ارتفاع وانحدار  
بينما الناسُ على عليائها إذ هو وافي هوةٍ منها فغاروا<sup>(٢)</sup>

« وقوله وفيه حكمة باغة »

والبيتُ لا يُبتنى إلا على عمدةٍ ولا عمادٌ إذا لم تُرسَ أوتادُ<sup>(٣)</sup>  
فإن تجمّع أوتادٌ وأعمدةٌ وساكنٌ بلغوا الأصرَ الذى كادوا<sup>(٤)</sup>  
لا يصلحُ الناسُ فوضى لا سراة لهم ولا سراة إذا جهّاهم سادوا<sup>(٥)</sup>  
إذا تولى سراة الناسِ أمرهم نما على ذاك أمرُ الفوم فازدادوا<sup>(٦)</sup>  
تهذى الأمورُ بأهل الرأى ما صابحتُ فإن تواتُ فبالأشرار تنقادُ  
أمارة الغى أن تلقى الجميع لدى إبرام للأمر والأذئاب أكتاد<sup>(٧)</sup>  
كيف الرشادُ إذا ما كنت فى نفرٍ لهم عن الرشد أغلالٌ وأقيادُ  
أعطوا غواتهم جهلاً مقادتهم فكاهم فى حبالِ الغى مُنقادُ  
وهذه من أبلغ الأبيات :

(١) الإلال : جمع آلة مثل جفان وجفنة وهى الحرية العريضة النصل و  
فرق بعضهم بين الآلة والحربة فقال الآلة كلها حديدة والحربة بعضها خشب  
وبعضها حديد . والمدى : جمع مدية مثلثة وهى السكين . والشفار بالكسر  
جمع شفرة بفتح فسكون وهى السكين العظيم وما عرض من الحديد وحدد  
(٢) الهوة كقوة ما انهبط من الأرض أو الوهدة الفامضة منها .  
(٣) العمدة بفتححتين جمع عماد وهو ما يسند به والأوتاد جمع وتد بكسر  
التاء فى لغة الحجاز وهى الفصحى : وهو مازر فى الأرض أو الحائط من  
خشب . ورسا الشيء ثبت .  
(٤) معنى كادوا : أرادوا . (٥) يقال قوم فوضى إذا كانوا متساوين لارئيس  
لهم . والسراة بالفتح جمع سرى وهو الرئيس وهذا الجمع عزيز لا يكاد يوجد  
له نظير لأنه لا يجمع فعيل على فعلة وجمع السراة سروات . كذا فى المصباح  
(٦) معنى نما : زاد (٧) الامارة : العلامة وزنا ومعنى ، والإبرام أحكام العقود .  
والاكتاد جمع كتد وهو مجتمع الكتفين وبعضهم يقول ما بين الكاهل الى الظهر  
وقيل مغرز العنق فى الكاهل عند الحارك . ويروى « اقتاد » جمع قتد وهو  
خشب الرجل وقيل جميع أداته . والمعنى ظاهر

(١) عبيد بن الأبرص

هو جاهلي قديم ، وكان من فحول العرب وشعرائها المفلقين . ومن أمثاله السائرة قوله :

من يسأل الناس يُحرموه وسائلُ الله لا ينجِبُ (٢)  
وكلُّ ذى غيبة يؤوب وغائبُ الموت لا يؤوبُ  
وقوله

الخيرُ يبقى وإن طالَّ الزمانُ به والشرُّ أخْبثُ ما أوعيت من زاد  
وقوله

الخيرُ لا يأتى على عجلٍ والشرُّ يسبقُ سيله مطره  
المرفقى

كان من مُفلقى شعراء الجاهلية . ومن أمثاله السائرة قوله :  
ومن يَلقَ خيراً يَحْمَدِ الناسُ أمرَهُ ومن يَغوَ لا يَعْدَمُ على الفَى لَأَمَّا

(١) عبيد بفتح العين وكسر الموحدة لا بالتصغير كما وهم في ضبطه لويس شيخوا صاحب مجموعة شعراء النصرانية في كتاب تهذيب الالفاظ لابن السكيت ص ٢٥٨ و ٢٧٨ و ٤٥٧ ، وقد ذكر العلامة أحمد تيمور باشا المصرى الأدلة على ذلك وفصل الكلام فيه فيما كتبه على مادة (ق رح) من رسالته ( تصحيح لسان العرب ) بالقسم الاول منها ، فارجع اليها . وعبيد من فحول شعراء الجاهلية وقد عده ابن سلام في الطبقة الرابعة وقرنه بطرفة وعلقمة بن عبيد وعدى بن زيد العبادى . قال وعبيد بن الأبرص قديم عظيم الشهرة وشعره مضطرب ذاهب لا أعرف له الا قوله :

أقفر من أهله ملحوب فالقبطيات فالذنوب  
قال : ولا ادري ما بعد ذلك . وقال الجاحظ : ان عبيدا وطرفة دون ما يقال عنهما ان كان شعرهما ما في ايدي الناس فقط ، وقد اشار أبو العلاء المعرى الى اختلال باثيته بقوله :

وقد يخطيء الراى امرؤ وهو حازم كما اختلّ في نظم القربض عبيد  
(٢) قال ابن الأعرابى : هذا البيت ليزيد بن ضبة الثقفى (٣) يؤوب :

يرجع

(٤) هو الرقش الأصغر . واسمه عمرو بن حرملة وقيل ربيعة بن سفيان . والرقش الأكبر عمه وهو ( اى الأصغر ) عم طرفة بن العبد ، قال أبو عمرو : والرقش الأصغر أشعر المرقشين وأطولهما عمرا (٥) هذه الأبيات من قصيدة يقولها في قصة جرت له مع معشوقته فاطمة بنت المنذر ووليدها بيت العجلان . ومطلعها :

أخوك الذى إن أخرجتك مُلِمَّةٌ من الدهر لم يَبرح لها الدهر وإِجاءاً (١)  
وليس أخوك بالذى إن تَشَعَّبَتْ عليك أمور ظل يلحاك دائماً (٢)

مرهلل واسمه ربيعة (٣)

وهو أول من رقق الشعر فسمى مهلهلاً . ومن أمثاله السائرة قوله . وقد خطبت  
إليه بنته وهى فى دار غربة :

لو بأبائين جاء يخطبها ضرج ما أنف خاطب بدم (٤)

الأيام اسلمى لاصبرلى عنك فاطما ولا أبدا ما دام وصلك دائماً  
وقد ساق أبو الفرج الأصبهانى القصيدة فى أغانيه بيد أنه لم يذكر البيتين  
الأخيرين

(١) الملمة : النازلة ، وأخرجتك : أوقعتك فى الحرج . ويروى «أجرضتك»  
والواجم : العابس المطرق لتسدة الحزن أو الساكت على غيظ (٢) يلحاك :  
يلومك (٣) اسمه — على ما هو المشهور فى كتب الأدب — عدى بن ربيعة  
التغلبى ولكن ورد فى القاموس ما نصه «ومهلل الشاعر واسمه عدى أو ربيعة»  
لقب لأنه أول من أرق الشعر أو بقوله :

«لما توغل فى الكراع هجيتهم هلهات أنا مالكا وصنيلا» فتدبر!  
(٤) قوله ( بأبائين ) أبان جبل وهما أبانان أبان الأسود وأبان الأبيض .  
وضرج : لطح . يعنى رد عنها . وزيدت (ما) بين الفعل ومرفوعه للضرورة . .  
والبيت من أبيات له سببها أنه نزل فى آخر حرب البسوس فى جنب بن عمرو  
بن جلد بن مالك وهو مذحج وجنب حى من أحيائهم وضع فخطبوا بنته  
ومهرت أدم فلم يقدر على الامتناع فزوجها فقال :

انكحها فقدما الأراقم فى جنب وكان الحياء من أدم  
لو بأبائين جاء يخطبها ضرج ما أنف خاطب بدم  
أصبحت لا منفسا أصبت ولا أبت كريما حرا من الندم  
هان على تغلب الذى لقيت أخت بنى المالكين من جشم  
ليسوا بأكفائنا الكرام ولا يغنون من عيلة ولا عدم  
وقد أشار أبو نواس الى هذه القصة فى قصيدته التى هجا بها بنى نزار  
فقال :

وتغلب تندب الطلول ولم تشأ قتيلا على ذنائبها  
نيكت بأدنى المهور اختهم قسرا ولم تدم أنف خاطبها



وقوله

قَرَّبَا مَرْبَطَ النِّعَامَةِ مِنِّي لَقِحتُ حَرْبُ وائِلٍ عَنِ حِيَالٍ  
لَمْ أَكُنْ مِنْ جُنَاتِهَا شَهِيدَ اللَّهِ وَإِنِّي بِمَحَرِّبِهَا الْيَوْمَ صَالِي  
وقوله في مرثية أخيه كليب بن وائل :

نُبِّئْتُ أَنَّ النَّارَ بِمَدَكٍ أَوْقَدْتُ وَاسْتَبَّ بِمَدَكٍ يَا كَلَيْبُ الْمَجْلِسُ  
وَتَسْكَمُوا فِي أَمْرِ كُلِّ عَظِيمَةٍ لَوْ كُنْتُ شَاهِدَهُمْ بِهَا لَمْ يَنْدَسُوا

الأسود بن يعفر

غرة شعره قصيدته التي أولها :

نَامَ الْخَلِيُّ وَمَا أَحْسُ رِقَادِي وَالْهَمُّ مُخْتَضِرٌ لَدَيَّ وَسَادِي  
وفيه أبيات سائرة يتمثل بها في فناء السادة ومساكنهم الخاوية بعدهم  
(وهي :)

مَاذَا أَوْمَلُ بَعْدَ آلٍ مُحَرَّقِي تَرَكَوا مَنَازِلَهُمْ وَبَعْدَ إِيَادِ  
أَهْلِ الْخَوَرَنَقِ وَالسَّيْرِ وَبَارِقِ وَالْقَهْرِ ذِي الشَّرَفَاتِ مِنْ سِنْدَادِ

---

(١) النعمامة : اسم فرس . ولقحت : حملت . والحيال أن يضرب الفحل الناقة فلا تحمل وهذا مثل ضربه لأن الناقة إذا حالت وضربها الفحل كان أسرع للقاحها وإنما يعرض أمر الحرب لما تولد منه من الأمور التي لم تكن تحتسب . . وقد تقدم هذا البيت في الجزء الثاني ( ص ١١٨ ) منسوبا إلى الحرث بن عباد فتدبر ! (٢) راجع ص ١٤٩ من الجزء الثاني .  
(٣) محرق : لقب أمراء القيس بن عمرو بن عدى اللخمي وهو المحرق الأكبر وهو المراد هنا لاغيره . وإياد حي من معد . قال الزبيدي : وهم اليوم باليمن . وقال ابن دريد : هما إيادان : إباد بن نزار وإياد بن سمود بن الحجر بن عمار بن عمرو . (٤) الخورنق كقدوكس قصر بالعراق للنعمان بن المنذر . والسدير كأمير نهر بناحية الحيرة وقيل قصر قريب من الخورنق . وبارق : ماء بالعراق بين البصرة والقادسية . وسنداد ، بالكسر على الأصل والفتح فتكون النون حينئذ زائدة إذ ليس في كلام العرب فعال بالفتح نهر معروف . وفي سفر السعادة : أنه موضع وقيل اسم قصر بالعذيب وبه صدر في المراسد . وقيل هي منازل لإياد أسفل ستواد الكوفة وكان عليه قصر تحج العرب إليه .

نزلوا بأنقرة يسهل عليهم ماء الفرات يجيء من أطواد<sup>(١)</sup>  
أرض تخيرها لطيب مقيلا كعب بن مامة وابن أم دؤاد<sup>(٢)</sup>  
جرت الرياح على محل ديارهم فكانهم كانوا على ميعاد<sup>(٣)</sup>  
ولقد غنوا فيها بأنعم عيشة في ظل ملك ثابت الأوتاد  
فإذا النعم وكل ما ينهى به يوما يصير إلى بلى ونفساد<sup>(٤)</sup>

#### طرفة بن العبد

هو أجود الشعراء قصيدة وله بعد المعلقة شعر حسن وليس عند ارواة من  
شعره وشعر عبید إلا القليل<sup>(٥)</sup> . وقتل وهو ابن ست وعشرين سنة . وقاتله  
عمرو بن هند أحد ملوك الحيرة وقد ذكر القصة ابن قتبية في كتاب ( الشعر  
والشعراء ) وذكرها يعقوب بن السكيت في شرح ديوانه بأبسط من ذلك .  
ويقال إن أول شعر قاله طرفة أنه خرج مع عمه في سفر فنصب فخاً فلما  
أراد الرحيل قال :

يالك من فورة بمعم<sup>(٦)</sup> خلالك الجو<sup>(٧)</sup> فيضي واصفري ا

(١) انقرة : بالفتح ثم السكون وكسر القاف ، موضع بنواحي الحيرة  
وقيل : بل المراد هنا انقرة التي ببلاد الروم نزلتها اياد لما نفاهم كسرى عن بلاده ،  
وحسنه الحموي والله أعلم . والفرات نهر مشهور . والأطواد : الجبال  
(٢) أراد كعب بن مامة بن عمرو بن ثعلبة بن سلولة بن شيبابة الأبادي  
الذي يضرب المثل بجوده . وكان أبوه مامة ملك اياد . وابن أم دؤاد : هو  
أبو دؤاد الأبادي الشاعر المشهور . وهذا دليل على أن سنداد كانت منازل  
اياد (٣) قوله « محل » يروي بدله « عراض » ويروي أيضا « مكان »  
والمعنى : كأنهم كانوا من الفناء على وعد محقق وأجل مصدق فلما دعوا اجابوا  
ولما روسلوا استجابوا . (٤) النفاد : الفناء  
(٥) جمعت أشعار طرفة في ديوان طبع بشالون بفرنسا سنة ١٩٠٠ م بعناية  
سالكسن .

(٦) معم : موضع بعينه . وقبل المعم المنزل الذي يقال فيه . قال  
ساجهم ( يبغيك في الأرض معمرا ) . (٧) قال أبو عمرو : هذا مثل والجو  
هنا ما اتسع من الأودية ويروي عن ابن عباس قال لابن الزبير حين خرج  
الحسين إلى العراق خلالك الجو فيضي واصفري .

ونقري ما شئت أن تنقري<sup>(١)</sup> قد رُفِعَ الفخّ فماذا تحذري؟<sup>(٢)</sup>  
لا بدّ يوماً أن تُصَادِي فاصبري<sup>(٣)</sup>

ومن أمثال السائرة على الدهر :

ستبدي لك الأيامُ ما كنتَ جاهلاً ويأتيتك بالأخبار من لم تزود<sup>(٤)</sup>  
ومن أمثاله في ذم الأخلاء :

كلُّ خليلٍ كنتُ خالتهُ لا تركَ اللهُ له واضحةً<sup>(٥)</sup>  
كلهم أروغ من ثلب ما أشبه الليلة بالبارحة<sup>(٦)</sup>

ومن أمثاله السائرة لعمر بن هند :

أبا مُندِرٍ أفنيتَ فاستبقِ بعضنا حنائيكَ بعضُ الشر أهون من بعض<sup>(٧)</sup>  
وقوله :

قد يبعث الأمر العظيم صغيره حتى نظل له الدماء تصيب

(١) التنقير : البحث والطالب ، وقيل التنقير تسوية الطائر لعشه .  
(٢) الفخ : المصيدة . وقوله فماذا تحذري أي فماذا تحذرين فحذف  
الذون للضرورة . ويروى « فلا تحذري وما تحذري » . (٣) في بعض الكتب (لا بد من  
أهلك يوماً فاحذري ) . وقد روى أن هذا الرجز لكليب وائل ( راجع  
الاقتضاب ص ٣٨٢ ) لعل طرفه استشهد به (٤) يقول : ستطلعك الأيام على  
ما تغفل عنه . وسينقل اليك الأخبار من لم تزوده أي الذي لم تعطه متاع  
سفره (٥) الخليل : الصديق : وخالته : صادفته وعاشرته . والواضحة :  
الأسنان التي تبدو عند الضحك (٦) الثلب : حيوان معروف . وراغ الثلب  
روغا : ذهب يمنية ويسرة في سرعة خديعة فهو لا يستقر في جهة . وقوله  
ما أشبه الليلة بالبارحة أي ما أشبه بعض القوم ببعض وهو مثل يضرب في  
تساوي الناس في الشر والخديعة  
(٧) أبو مندر : كنية عمرو بن هند الملك . ونصب حنائيك على المصدر  
الموضوع موضع الفعل والتقدير : تحنن عليه تحننا وثني مبالغة وتكثيراً أي  
تحنن تحننا بعد تحنن ولم يقصد بهذا مقصد التثنية خاصة وإنما يراد  
به التكثير فجعلت التثنية علماً لذلك لأنها أول تضعيف وتكثير . وكذلك  
ما جاء من نحوه في الباب . والبيت من قصيدة لطرفة خاطب بها عمرو بن  
هند حين أمر بقتله وذكر قتله لمن قتل من قومه تحريضا لهم على طلب ثأره ،  
وقصته معه ومع المتلمس مشهورة

وقوله

وأعلمُ علماً ليس بالظنِّ أنه إذا ذلَّ مولى المرءَ فهو ذليلٌ<sup>(١)</sup>  
وإن لسانَ المرءِ ما لم تسكن له حصاةٌ على عوارثه لدليلٌ<sup>(٢)</sup>

ببرير بن عبد المسيح الشَّهْبَرِيَّ بِالتَّمَحُّسِ

هو شاعر مشهور و بليغ مذكوو ومن أمثاله السائرة قوله في الاحتياط :  
قليل المال تصالحه فيبقى ولا يبقى الكثير على الفساد  
وحفظ المال خير من بغاه<sup>(٣)</sup> وجول<sup>(٤)</sup> في البلاد بغير زاد  
وقوله في الإغضاء عن ذنوب الأقرباء :

ولو غيرُ أخوآلى أرادوا تقيصتى جعلت لهم فرق العرائن ميسماً<sup>(٥)</sup>  
وما كنتُ إلا مثل قاطع كفو بكفٍ له أخرى فأصبح أجذماً<sup>(٦)</sup>  
وقوله في الامتناع عن الدل :

ولا يُقيمُ على ذلٍّ يُرادُّ به إلا الأذلانِ : غيرُ الحى ، والوتد<sup>(٧)</sup>

(١) لفظة العلم قد تطلق على الظن الغالب لقيامه مقام ما هو علم في الحقيقة وأكد قوله (واعلم علماً) بقوله (ليس بالظن) وليس بالظن صفة العلم، لأنه لا يكون العلم على التحقيق إلا علم اليقين . وسمى علم الظن علماً على المجاز . والضمير من قوله ( أنه ) للأمر والشان .  
(٢) الحصاة : العقل ويقال للرجل ذى العقل انه لذو حصاة وأصاة وهو ذو حصاة إذا كان يكتنم على نفسه ويحفظ سره . والمعنى ظاهر .  
(٣) ويروى : بغاة وفناه  
(٤) وفي رواية : وضرب . (٥) العرائن : جمع عرنين وهو من كل شيء

أوله « ومنه عرنين الأنف وهو ما تحت مجتمع الحاجبين وهو موضع الشمم وقد يطلق العرنين على الأنف . يقول : أهجوهم هجاء يلزمهم لزوم الميسم في الأنف (٦) الأجذم : المقطوع اليد . يقول أو هجوت قومي كنت كمن قطع يده بيده الأخرى (٧) قوله « ذل » يروى مكانه ( خسف ) والخسف النقيصة . والعير : بفتح المهملة الحمار وغلب على الوحشى والمناسب هنا الأهلى . والاستثناء في ( الا الأذلان ) استثناء مفرغ وقد أسند اليه فعل الإقامة في الظاهر وإن كان مسنداً في الحقيقة الى العام المحذوف .

هذا على الخلف مربوطاً برُمته وذا يُشجُّ فلا يرني له أحد<sup>(١)</sup>  
 علفمة بن عبدة<sup>(٢)</sup>

من غرر شعره قوله :

فإنت تسألوني بالنساء فإنتي بصيرٌ بأدواء النساء طيب<sup>(٣)</sup>  
 إذا شاب رأسُ المرء أو قلَّ ماله فليس له في ودَّهن نصيب<sup>(٤)</sup>  
 يرذن ثراء المال حيث علمته وشرخ الشباب عندهن عجيب<sup>(٥)</sup>  
 وقوله من قصيدة أخرى :

وكل حصن وإن دامت سلامته على دعائمه لا بدَّ منهذوم<sup>(٦)</sup>  
 ومن تعرض للغربان يزجرها على سلامته لا بدَّ مشووم<sup>(٧)</sup>  
 ومطعم الغنم يوم الغنم مطعمه أن توجَّه والحروم محروم<sup>(٨)</sup>  
 وكل قوم وإن عزوا وإن كثروا عريفهم بأثافي الشرِّ مزجوم<sup>(٩)</sup>

(١) الرمة : القطعة من الجبل البالى . والضمير يعود الى العير . ويشج : يدق رأسه بالفهر

(٢) عبدة مفتوح الباء . قال ابن السيد فى الاقتضاب : ومن سكنها فقد اخطأ هذا بقوله :

اعتقت عبدي فى القريض معاً عبدة والفحل من بنى عبده  
 قال : وأما عبدة بن الطبيب فساكن الباء وقد قيد ابن الرومى هذا أيضاً بقوله :

يتباشرون بأن عبدة مقبل كلا وما جمع الحجيج الى منى  
 (٣) البصير : العالم . والطبيب : الحاذق . والأدواء : جمع داء  
 (٤) شرخ الشباب أوله

(٥) الحصن : المكان الذى لا يقدر عليه لارتفاعه . والدعائم جمع دعامة بالكسر وهى ما يستند به الحائط اذا مال يمنعه السقوط (٦) قال الضبى : هذا يمانه بالطيرة . يقول من يزجر الطير وان سلم فلا بد أن يصيبه شووم وأنشد :

امام كان اقممان بن عباد أشار له بحكمته مشير  
 تعلم انه لا طير الا على متطير وهو الشبور  
 بلى شيء يوافق بعض شيء احايينا وباطله كثير  
 قال الرستمى : يقول ، الغربان يتشاءم بها فمن تعرض لها يزجرها  
 ويطردها خوفاً أن يصيبه الشووم فلا بد أن يقع بها خاف يحذر  
 (٧) العريف كامر : من يعرف أصحابه ، والعريف رئيس القوم سمي به لانه عرف بذلك ، أو النقيب وهو دون الرئيس . والأثافي : جمع أتعيه بالضم ويكسر الحجر الذى يوضع عليه القدر

### أبو دؤاد اليبادي

قيل للحطيئة : مَنْ أشعر الناس ؟ قال : الذي يقول :

لا أعدّ الاقتار عدماً ولكن فقد مَنْ قد رزئته الإعدام<sup>(١)</sup>  
من رجالٍ من الأقارب بادوا من حذاق هم الرؤوس الكرام<sup>(٢)</sup>  
فعلى إثرهم تساقط نفسى حسرات وذكرهم لى سقام<sup>(٣)</sup>  
ومن سائط قلائده

إذا كنت مرتاد الرجال لنفهم فرش واصطنع عند الذين بهم ترمى<sup>(٤)</sup>

### لقبط بن معبر اليبادي

أمير شعره قصيدته التي كتبها إلى قومه يحذرهم جند كسرى ويحرضهم  
على الجد للمناعة والمقارعة . فمنها قوله :

قوموا قياماً على أمشاط أرجلكم ثم افزعوا قد ينال الأمر من فزع<sup>(١)</sup>  
هيئات ما زالت الأموال مذأبد لأهلها إن أصيبوا مرة تبعاً  
ومنها فى اختيار الرئيس المضطلع بقيادة الجيش وتدير الحرب وهو أحسن  
ما قيل فى معناه :

وقلّدوا أمركم لله درّكم رَحَبَ الذراع بأمر الحرب مضطاماً<sup>(٢)</sup>  
لا مُترفاً إن رخاه العيش ساعده ولا إذا عضّ مكروه به جزعاً<sup>(٣)</sup>

(١) الاقتار : الضيق فى النفقة . ورزئته : أصبت به وفقدته (٢) بادوا : هلكوا . وحذاق : يؤخذ من كلام الزبيدي فى التاج أنه حذاقة جد لأبى دؤاد أبو بطن من أباد حذف أبو دؤاد منه الهاء . وبه يتبين فساد قول من قال ( الشعر والشعراء ص ٣٨ / : أن « حذاقاً - هنا - جمع حذاقى النصيح اللسان البين اللهجة » (٣) رايش الصديق بريشه ريشاً أطمعه وسقاه وكساه . والاصطناع : المبالغة فى اصلاح الشيء (٤) الأمشاط جمع مشط وهو سلاميات ظهر القدم وهى العظام الرقاق المغترشة على القدم دون الأصابع . يقال انكسر مشط قدمه وقاموا على أمشاط أرجلهم وهو مجاز (٥) مضطلع : مفتعل من الضليع وهو الشديدي يريد أنه قوى على أمر الحرب مستقل بها . ورحب الذراع : واسع القوة عند الشدائد (٦) المترف كمكرم : المتروك يصنع ما يشاء لا يمنع منه والمنعم المتوسع فى ملاذ الدنيا وشهواتها لا يمنع من تنعمه ، والجبار . وقوله : إذا عضّ مكروه كناية عن نزول المكروه واشتداده

مازال يحلبُ هذا الدهرَ أشطره يكون متبعا طورا ومتبعا<sup>(١)</sup>  
حتى استمرت على شزرٍ مريته مستحكيم السن قحما ولا ضرعا<sup>(٢)</sup>  
أى لا شيخا خرفا ولا شابا حدا

هاتم الطائي

قد سبق له ذكرى في الأجواد<sup>(٣)</sup> واقتضى المقام إعادة ذكره فمن أمثاله  
السائرة قوله :

إذ لزم الناس البيوت رأيتهم عماء من الأخبار خرق المكاسب  
وقوله يخاطب امرأته ماوية  
أماوى إن المال غدير ورائح ويبقى من المال الأحاديث والذكر  
وقد علم الأقوام لو أن حاتما أراد ثراء المال كان له وفر  
وقوله أيضا

وأنت إذا أعطيت بطنك سؤلُه وفرجك نالامنتهى الدم أجمعا<sup>(٤)</sup>  
وقوله أيضا

أماوى ما يغنى الثراء عن الفتى إذا حشرت يوما وضاق به الصدر<sup>(٥)</sup>

عمرو بن كلثوم

هو من شعراء الجاهلية وقد حاز قصب السبق في شعره وتقدمت له ترجمة  
مفصلة في فرسان العرب<sup>(٦)</sup> فإنه كما كان متقدما في الشعر كان من أشجع الفرسان

(١) حلب الدهر أشطره : اختبر خير الدهر وشره . وقوله : يكون متبعا  
الخب أى قد اتبع الناس فعلم ما يصلح به أمر الناس ، واتبع ما يصلح الرئيس  
كما قال أمير المؤمنين عمر رضى الله عنه : قد لنا وإيل علينا أى قد اصلحنا  
أمور الناس وأصلحت أمورنا (٢) قوله على شزر مريته : مثل . يقال شزرت  
الحبل إذا كررت فتله بعد استحكامه راجعا عليه . والمريرة : الحبل . والضرع :  
الصغير الضعيف . والقحم آخر سن الشيخ (٣) ج ١ ص ٧٢ إلى ٨١  
(٤) السؤل : المسؤل وأراد به ما يشتهيه . والمعنى أن الشخص إذا أعطى  
بطنه وفرجه ما يشتهى واتبع هواه بقضاء ما تزينه له نفسه من شهواتها  
أصابه من الناس منتهى الدم والشتم (٥) ج ١ ص ٧٨ .  
(٦) ج ٢ ص ١٤١ - ١٤٣ .

وأجرأهم وهو قاتل عمرو بن هند الملك بسبب ما كان منه من الفخر والتطاول على العرب وتقدمت القصة في ترجمته . وبالجمله أنه كان من الطراز الأول من خول الشعراء ، ولم يخالف في ذلك أحد من الأدباء ، وهو صاحب المعلقة المشهورة :  
ومن أمثاله السائرة قوله

وإنَّ غَدًا وإنَّ اليومَ رَهْنٌ وَبَعْدَ غَدٍ بِمَا لَا تَعْلَمِينَا<sup>(١)</sup>  
وفي هذه القصيدة بيتان ينسبان إليه . ويقال إنهما لعمرو بن عدى كما ذكره  
الإمام الثعالبي في كتابه ( لباب الأدب ) وهما :

صَدَدَتِ الكَأْسَ عَنَّا أُمُّ عَمْرٍو وَكَانَ الكَأْسُ مَجْرَاهَا اليمِينَا<sup>(٢)</sup>  
وما شرُّ الثلاثة أُمُّ عَمْرٍو بِصَاحِبِكَ الذِي لَا تَصْبِحِينَا<sup>(٣)</sup>  
ويروى أن عاملاً للإمام عليّ كرم الله تعالى وجهه ورضي عنه قدم من عمله فأهدى  
إلى الحسينين الأحسنين رضى الله تعالى عنهما ولم يهد شيئاً إلى محمد ابن الحنفية فغضب  
على كتفه وتمثل بقول عمرو :

وما شرُّ الثلاثة أُمُّ عَمْرٍو بِصَاحِبِكَ الذِي لَا تَصْبِحِينَا  
فأهدى من الغد إلى ابن الحنفية كما أهدى إلى أخويه صلوات الله وسلامه على  
جدهم وعليهم .

#### عنزة بن شراح العبسي

كان من مشاهير شعراء الجاهلية كما كان من الفرسان المذكورين وله وقائع  
كثيرة وتقدمت نبذة من أخباره في الكلام على الفرسان<sup>(٤)</sup> . وحذاق الشعراء  
يرجعون شعر عمرو بن كلثوم على شعره على منزلته الرفيعة في البلاغة . وقد أنشد  
بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم أبياته التي يقول فيها :

(١) أى بما لا تعلمين من الخواذث . يقول فان الايام رهن بما لا يحيط  
علمك به أى ملازمة له . (٢) يروى « صبنت » موضع « صددت » أى صرفت  
(٣) يقول : ليس بصاحبك الذى لا تسقيه الصبوح شر هؤلاء الثلاثة  
الذين تسقينهم أى لست شر أصحابى فكيف آخرتنى وتركت سقى الصبوح !  
(٤) ج ٢ ص ١٢٦ - ١٢٧



بَكَرَتْ تُخَوِّفُنِي الْمُنُونُ كَأَنِّي أَصْبَحْتُ عَنْ غَرَضِ الْمُنُونِ بِمَعَزِلٍ<sup>(١)</sup>  
فَأَجَبْتُهَا : إِنَّ النِّيَّةَ مَنَهْلٌ لَا بُدَّ أَنْ أُسْقَى بِكَأْسِ الْمَنَهْلِ  
فَأَقْنِي حَيَاءَكَ ( لَا أَبَالِكَ ) وَاعْلَمِي أَنِّي أَمُرُّو سَامُوتُ إِنْ لَمْ أُقْتَلِ<sup>(٢)</sup>  
وَلَمَّا أَنْشَدَ قَوْلَهُ

وَلَقَدْ آيَيْتُ عَلَى الطَّوْى وَأَظْلُهُ حَتَّى أَنَالَ بِهِ كَرِيمٌ لِلْمَاكِلِ<sup>(٣)</sup>  
قَالَ صَلَّى اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : مَا وَصَفَ لِي أَعْرَابِي قَطُّ فَأَحْبَبْتُ أَنْ أَرَاهُ  
إِلَّا عَنْقَرَةً .

وَمِنْ أَمْثَالِهِ السَّائِرَةِ قَوْلُهُ

نُبِئْتُ عَمْرًا غَيْرَ شَاكِرٍ نَعْمَتِي وَالْكَفَرُ مَخْبِئَةٌ لِنَفْسِ الْمُنْعَمِ<sup>(٤)</sup>  
وَبَيْتُهُ الَّذِي يَنْسَبُ إِلَيْهِ  
إِنْ الْمَدُوَّ عَلَى الْعَدُوِّ لَقَائِلٌ مَا كَانَتْ لِي عِلْمٌ وَمَا لَمْ يَعْلَمْ

طَبْعُ الْغَنَوَى

كَانَ يُقَالُ لَهُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ الْحَبَّرُ أَيْ الْحَسَنُ لِحَسَنِ شَعْرِهِ . وَيُرْوَى أَنَّ أَبَا بَكْرٍ  
رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ قَالَ يَوْمًا لِلْأَنْصَارِ : زَادَكُمْ اللَّهُ عَنَا يَوْمَ مَعَشَرِ الْأَنْصَارِ خَيْرًا فَمَا مِثْلُنَا  
وَمِثْلَكُمْ إِلَّا كَمَا قَالَ طَفِيلُ الْغَنَوَى :

جَزَى اللَّهُ عَنَا جَمْعًا حِينَ أَرْزَقْتِ بِنَا نَعْلُنَا فِي الْوَاطِئِينَ فَزَلَّتِ  
أَبْوَا أَنْ يَمْلُونَا وَلَوْ أَنَّ أَمْنَا تَلَاقَى الَّذِي يَلْقَوْنَ مِنَّا لَمَلَّتِ

(١) بكرت : أسرع ولم يرد بكور الغدو . والمنون : الموت . والمنهل بفتح  
الميم والهاء المورد (٢) تقنى الحياء : لزمه وحفظه . وقناني الحياء أن أفعل  
كذا : ردني ووعظني وهو يقيني . قال الشاعر :  
وَأَنِّي لَيَقْنِيَنِي حَيَاؤُكَ كُلَّمَا لَقَيْتَكَ يَوْمًا أَنْ ابْنِكَ مَا بِيَا  
(٣) الطوى : الجوع . ويروى « كريم المطعم » موضع « كريم الماكل »  
(٤) التنبيه والتنبيه مثل الأنباء وهذه من سبعة أفعال تتعدى إلى ثلاثة  
مفاعيل . والكفر : تغطية نعم المنعم بالجحود .

ومن غرر شعره قوله

إنَّ النساءَ كأشجارٍ تَهْتَنَنَّ لَنَا      منهنَّ مرٌّ وبعضُ المرِّ ما كُولُ  
إنَّ النساءَ متى يَنْهَيْنَ عن خُلُقِي      فإنه واجبٌ لا بُدَّ مَفْعُولُ

الأصْبَطُ بن قريع السعدي

روى ابن الأنباري بإسناده قال : عاش الأصْبَطُ بن قريع مائة وخمسين سنة

ثم مات في آخر الزمان وأمير شعره قوله :

لِكُلِّ هَمٍّ مِنْ أَلْهُومٍ سَعَةٍ      وَالصَّبْحُ وَالْمُسَى لَا بَقَاءَ مَعَهُ (١)  
قَدْ يَجْمَعُ الْمَالَ غَيْرُ آكِلِهِ      وَيَأْكُلُ الْمَالَ غَيْرُ مَنْ جَمَعَهُ  
لَا تَحْقِرَنَّ الْفَقِيرَ عَلَّكَ أَنْ      تَرْكَعَ يَوْمًا وَالدَّهْرُ قَدْ رَفَعَهُ (٢)  
وَصِلْ حَبَالَ الْبَعِيدِ إِنْ وَصَلَ أَا      حَبْلٌ وَأَقْصِ الْقَرِيبَ إِنْ قَطَعَهُ (٣)  
وَأَقْبِلْ مِنَ الدَّهْرِ مَا أَتَاكَ بِهِ      مَنْ قَرَّ عَيْنًا بَعِيشَهُ نَفَعَهُ  
مَا بَالُ مَنْ سَرَّهُ مَصَابِكُ لَا      يَمْلِكُ شَيْئًا مِنْ أَمْرِهِ وَزَعَهُ (٤)  
أَذُودُ عَنْ حَوْضِهِ وَيُدْفَعُنِي      يَقُومُ مَنْ عَاذَرَنِي مِنَ الْخُلْدَةِ (٥)

(١) ويروى « والمسي والصبح لا فلاح معه » . والمسي يضم الميم وكسرهما وسكون السين اسم من الامساء . والصبح : اسم من الاصباح . والقلاخ : البقاء  
(٢) قوله « لا تحقرن الفقير » هو رواية الجاحظ في البيان والتبيين ، ورواه غيره « ولا تعاد الفقير » والرواية المشهورة عند النحاة « لا تهين الفقير » وهم يوردون البيت شاهدا على حذف نون التوكيد الخفيفة من « تهين » لانتقاء الساكنين والاصل « لا تهينن الفقير » فحذف النون وبقيت الفتحة دليلا عليها . وله نظائر كثيرة في كلام العرب . وعمل : لغة في عمل . والركوع : الانحناء والميل وأراد به الانحطاط من المرتبة والسقوط من المنزلة . (تنبيهه) زعم العيني وتبعه أناس ان هذا البيت من الخفيف وهو وهم كبير والصواب أنه من المنسرح - ويدل له القصيدة - لكن دخل في أوله الخرم ( بالراء ) بعد حُبْنِه فصار على وزن فاعلن وهذا جائز عند بعضهم وممتنع عند الخليل . انتهى باختصار من شرحنا لكتاب الضرائر تأليف الاستاذ الالوسي المؤلف من ٩٩ و ١٠٠ من طبعة المطبعة السلفية بمصر (٣) يعني : تقرب الى البعيد من النسب اذا طلب قربك وأهجر القريب من نسبك اذا هجرك .  
(٤) المصاب بالضم : المصيبة . وروى « ما بال من غيه مصيبك » . ووزعه يزعه وزعا : كفه ومنعه . وكان في الاصل « ودعه » بالدال . يقول : ما بال من تتألم لمصيبته وفقره اذا وجد شيئا من الخير كفه عنك .  
(٥) قوله « أذود عن حوضه » هذا مثل للحماية ودفع المكروه عنه .

حتى إذا ما انجلت عمايته أقبل ياحي وعيه فجعته (١)

عمى بن زيد العبادي

لا يخرج من شعر شاعر من الجاهلية من محكم الشعر وحكمه وما يصلح للمثل به من حسن الديباجة وصفاء الزجاج ما يخرج من شعر عدى، وكان يسكن الحيرة ويجاور الربف فرق شعره وعذب منطقه، وكان يونس النحوى إذا أنشد قوله في الاعتبار بذهاب القرون وذهاب الملوك يقول: لو تمنيت أن أقول شعراً ما تمنيت إلا هذا:

أيها الشامت المعير بالدهر م أنت المبرأ الموفور (٢)  
أم لديك العهد الوثيق من الأيام ؟ بل أنت جاهل مغرور !  
أين كسرى كسرى الملوك أنوشر وان أم أين قبله سابور (٣)  
وأخو (الحضر) إذ بناه وإذ دجلة تجي إليه و (الخابور) (٤)  
شاذة مرمرًا وجلله كأ ساء فلطير في ذراه وكور (٥)  
وبنو الأصفر الكرام ملوك الروم لم يبق منهم مذكور (٦)

و « الخدعة » بضم الخاء المعجمة وفتح الدال المهملة بطن من بنى سعد بن زيد مناة بن تميم وهم قومه . قاله صاحب الأغاني وغيره . وقال بعضهم : الخدعة في هذا البيت اسم للدهر لتلونه ويقال دهر خادع وخدعة وهو مجاز (١) العماية بفتح العين المهملة : الشدة التي تلتبس منها الأمور . يقال : عمى عليه الأمر إذا التبس . وأقبل : شرع . ويلحي : يلوم . والفى : الضلال . وفجعه : أصابه بمكره (٢) شمت العدو : كفرح وزنا ومعنى (٣) كسرى أنوشروان : ملك الفرس . وسابور : ذو الاكتاف ملك العجم معرب شاه بور ، معناه : ابن السلطان (٤) أخو الحضر وهو بالفتح نهم السكون اسم مدينة بازاء تكريت في البرية بينها وبين الموصل والفرات . بناها الساطرون بن أسطيرون الجرمقى . . ودجلة : اسم للنهر الذي يمر ببغداد ولا تنصرف ولا يدخلها الألف واللام . وغلط صاحب ( المنجد - المعجم المدرسى ) فأدخلها عليها كما غلط في مسائل كثيرة فيه فليحذر منه ! وتجيى : تجمع . والخابور : نهر بين رأس العين والفرات مشهور . وآخر شرقى دجلة الموصل بينه وبين الرقة عليه قرى كثيرة وبلديات (٥) شاذة : بناه . والمرمر : وزان جعفر نوع من الرخام إلا أنه أصلب وأشد صفاء . وجلله : غطاه . والكلس : بالكسر الصاروج وهو النورة . وذرى الشيء : أعلاه (٦) بنو الأصفر : الروم وقيل ملوك الروم أولاد الأصفر بن روم يعصو بن بن اسحق . وقيل الأصفر لقب روم لا ابنه . وقال ابن الأثير : إنما سموا بذلك لأن أباهم الأول كان أصفر اللون وهو روم ابن يعصو ويقال عيصون . أو لغير ذلك .

وتفكر ربّ (الخورنق) إذ أشرف يوماً ولاهدي تفكير<sup>(١)</sup>  
 سرّهُ ملكه وكثرة ما يحويه والبحر معرضاً و (السدير)  
 فارعوى قلبه فقال وما غبطة حتى إلى الممات يصبر<sup>(٢)</sup>  
 ثم أضحووا كأنهم ورّق جفّ فألوت به الصبا والدبور<sup>(٣)</sup>  
 ثم بعد الفلاح والملك والإمّة وأرتهم هناك القبور<sup>(٤)</sup>  
 ومن أمثاله السائرة

كنى واعظاً للمرء أيام دهره تروح له بالواعظات وتفتدى<sup>(٥)</sup>  
 عن المرء لا تسأل وسلّ عن قرينه فإبّ القرين بالمقارن مقتدى  
 وظلم ذوى القرى أشدّ مضاضة على الحرّ من وقع الحسام المهند<sup>(٦)</sup>  
 وقوله في حبس النعمان بن المنذر

أبلغ النعمان عني مألّكاً أنّه قد طال حبسى وانتظارى<sup>(٧)</sup>  
 لو بغير الماء حلقي شرق كنت كافتصان بالماء اعتصارى<sup>(٨)</sup>

وقوله

فهل من خالدٍ إما هلكنا وهل بالموت يا للناس عارُ

- 
- (١) الخورنق والسدير: مر ذكرهما في ص ١٠٩ من هذا الجزء .  
 (٢) ارعوى: ارتدع . والغبطة: حسن الحال وهى اسم من غبطته غبطاً  
 إذا تمنيت، مثل ما ناله من غير أن تريد زواله عنه لما أعجبك منه وعظم عندك  
 وهذا جائز فإنه ليس بحسد فإن تمنيت زواله فهو الحسد  
 (٣) ألوت به: ذهبت به . والصبا: كعصى الريح التى تهب من مطلع  
 الشمس . والدبور: كرسول الريح التى تهب من جهة المشرق تقابل الصبا .  
 ويقال تقبل من جهة الجنوب ذاهبة نحو المشرق . كذا فى المصباح  
 (٤) الأمة بالكسر النعمة . قال الأعشى :  
 واقدر جررت إلى الفنى ذا فاقة وأصاب غزوك أمة فأزالها  
 (٥) الرواح يكون بمعنى الغدو وبمعنى الرجوع وقد طابق بينهما فى قوله  
 تعالى « غدوها شهر ورواحها شهر » أى ذهابها ورجوعها .  
 (٦) المضاضة: الألم . والحسام: السيف . والمهند: المطبوع من حديد  
 الهند . ويقال سيف مهند وهندى وهندوانى إذا عمل ببلاد الهند .  
 (٧) المالك: يضم اللام الرسالة . (٨) قوله: قوله: « شرق » من شرق الماء  
 إذا غص . والفصان: الفاص بالطعام أو بالماء . والاعتصار: الملجأ . قال  
 أبو عبيدة: المعنى لو شرقت بغير الماء أسغت شرقى بالماء فإذا غصصت بالماء  
 فيما أسيفه . والبيت من شواهد النحويين .

### الحِثُّ بن مازن البشكري

قال أبو عبيدة : أجود الشعراء قصيدة واحدة جيدة طويلة ثلاثة نفر : عمرو بن كلثوم . والحِثُّ بن حلزة . وطرفة بن العبد . وزعم الأصمعي أن الحِثُّ قال قصيدته المعلقة وهو ابن مائة وخمس وثلاثين سنة ارتجالاً متوكفاً على قوسه فزعموا أنه اقتطع كفه<sup>(١)</sup> وهو لا يشعر من الغضب . وقال ابن السدي أدب الكاتب كان متكلماً على غزوة<sup>(٢)</sup> فارتزت<sup>(٣)</sup> في جسده وهو لا يشعر . قال الصولي : ما يوصف تأهب القوم للسفر وإقبالهم على جمع الآلات للارتحال بأحسن من قول الحِثُّ :

أجمعوا أمرهم عشاء فلما أصبحوا أصبحت لهم ضوضاء<sup>(٤)</sup>  
من مناد ومن مجيب ومن تصهال خيل خلال ذلك رغاء<sup>(٥)</sup>

### أمية بن أبي الصلت

له في التوحيد والحكمة شعر كثير . وفيه يقول النبي صلى الله تعالى عليه وسلم : آمن شعره وكفر قلبه . ويقال أنه أول من تطف للسؤال في قوله لعبد الله ابن جُدعان<sup>(٦)</sup> :

أذكرُ حاجتي أم قد كفاني حياؤك ؟ إن شيعتك الحياء<sup>(٧)</sup>  
وعلمك بالحقوق<sup>(٨)</sup> وأنت قرم لك الحسب المذهب والسنا<sup>(٩)</sup>

(١) اقتطع الشيء : عضه أو تناوله بأطراف أسنانه وذاقه  
(٢) هي رميح بين العصا والرمح في طرفه سنان مثل سنان الرمح .  
(٣) أي انفرزت . (٤) الضوضاء : الجلبة وهي اختلاط الأصوات .  
واجتماع الأمر : عقد القلب وتوطين النفس عليه (٥) التصهل : كالصهيل .  
والرغاء : بالضم صوت البعير . يقول : اختلطت أصوات الداعين والمجيبين  
والخيل والأبل . يريد بذلك تجمعهم وتأهبهم (٦) ترجمته في الجزء الأول  
من هذا الكتاب ص ٨٧ (٧) الشيمة : الخلق والطبع . . يعني أن حياءك  
يكفي في قضاء حاجتي (٨) أي ديكفيني معرفتك بما يجب .  
(٩) القرم : السيد المعظم ، ويروى « وأنت فرع » أي شريف قوم .  
والحسب المذهب : المنقى الخالص . والسنا : الرفعة .

كريمٌ لا يغيرُهُ صَبَاحٌ عَنْ الْخُلُقِ الْجَمِيلِ وَلَا مَسَاءُ (١)  
إِذَا أَنَّى عَلَيْكَ الْمَرْهَ يَوْمًا كَفَاهُ مِنْ نَعَرٍ ضَرِ الشَّاءِ (٢)  
ومن غرر شعره قوله

عطاؤك زينٌ لامرئٍ إِنْ حَبَوْتَهُ بِخَيْرٍ وَمَا كُلُّ الْعَطَاءِ يَزِينُ (٣)  
وليس يشين لامرئٍ بذل وجهه إليك كما بعض السَّوَالِ يشين  
وقد سبق له ذكر فيمن كان على دين أيام الجاهلية .

فمن بن ساعمة البادية

كان له باع طويل في الشعر ، والخطب ، وسأرفنون الكلام ، مع اشتغاله  
على الحكم البالغة ، والفوائد البديعة ، فمن غرر شعره :  
فِي الْذَاهِبِينَ الْأَوَّلِينَ مِنَ الْقُرُونِ لَنَا بَصَائِرُ (٤)  
لَمَّا رَأَيْتُ مَوَارِدًا لِلْعَوْتِ لَيْسَ لَهَا مَصَادِرُ (٥)  
وَرَأَيْتُ قَوْمِي نَحْوَهَا تَمْضِي الْأَصَاغِرُ وَالْأَكْبَرُ  
لَا يَرْجِعُ الْمَاضِي إِلَى وَلَا مِنَ الْبَاقِينَ غَابِرُ  
أَيَقْنَتُ أَنِّي لَا نَحَا لَهَ حَيْثُ صَارَ الْقَوْمُ صَائِرُ  
وَأُنشِدُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَذِهِ الْأَبْيَاتَ فَلَمَّا سَمِعَهَا قَالَ إِنَّهُ يَبْعَثُ أُمَّةً  
عَلَى حَذَّةٍ .

(١) يروى « خليل » موضع « كريم » والمعنى ظاهر . ويروى بعده هذا البيت :

وَأَرْضُكَ كُلُّ مَكْرَمَةٍ بَنْتَهَا بِشَوْ تِيمٍ وَأَنْتَ لَهَا سَمَاءُ  
(٢) يعنى أن المدح يكفى في نيل الحاجة منك بدون التعرض لمطالبتك .  
(٣) حبوته : أعطيته (٤) القرون : جمع قرن وهو أصل كل مدة فيها نبى  
أو طبقة من أهل العلم والفضل سواء قلت السنون أو كثرت . كذا قالوا .  
(٥) الموارِد : جمع مورد ، وهو محل الورد أى الاتيان . والمصادر : جمع  
مصدر ، وهو موضع الصدور أى الانصراف والرجوع (٦) غابر : اسم فاعل  
من غبر بمعنى مكث وبقي وبمعنى مضى أيضا فهو ضد (٧) أى أيقنت أنى  
مننقل حيث أنقل القوم ، فصائر خبر ان . وصار بمعنى انتقل . والقوم  
فاعل . ولا محالة : بفتح الميم — لا تغيير ولا تبدل . وأيقنت جواب لما فى  
البيت الثانى .

عائذ بن حصن السريبر بالطبق العبدى

ولقب بذلك لقوله فى قصيدة أولها :

أفأطلمَ قَبْلَ بَيْنِكَ مَتَعْنِي وَمَنْعِكَ مَا سَأَلْتُ كَأَنَّ تَبِينِي<sup>(١)</sup>  
ومنها (وَقَمَّيْنِ الْوَصَاوِصَ لِلْعَيُونِ<sup>(٢)</sup>) وأَمِيرُ شَعْرِهِ قَوْلُهُ فِي هَذِهِ الْقَصِيدَةِ :  
فَلَا تَمِدِّي مَوَاعِدَ كَذَبَاتٍ تَمُرُّ بِهَا رِيَّاحُ الصَّيْفِ دُوفِي  
فَلَوْ أَنِّي تُعَانِدُنِي شِمَالِي لَمَّا أَتْبَعْتَهَا أَبَدًا يَمِينِي<sup>(٣)</sup>  
إِذَا لَقَعْتُمَهَا وَلَقَلْتُ بَيْنِي كَذَلِكَ أَجْتَوِي مَنْ يَجْتَوِينِي<sup>(٤)</sup>  
فَلَيْتَا أَنْ تَكُونَ أَخِي بِحَقٍّ فَأَعْرِفَ مِنْكَ غَثِي مِنْ سَمِينِي<sup>(٥)</sup>  
وَلَا فَاطِرَ حَنِي وَأَتَحِذُنِي عَدُوًّا أَتَقِيكَ وَتَتَقِينِي<sup>(٦)</sup>  
وَمَا أَدْرَى إِذَا يَمَمْتُ أَرْضًا أُرِيدُ الْخَيْرَ أَهْمَا يَلِينِي<sup>(٧)</sup>  
الْخَيْرَ الَّذِي أَنَا أَبْتَغِيهِ أَمْ الشَّرُّ الَّذِي هُوَ يَبْتَعِينِي<sup>(٨)</sup>  
ومن أمثاله أيضا قوله

لَا تَقُولَنَّ إِذَا مَا لَمْ تُرُدْ أَنْ تَسْتَمَّ الْوَعْدَ فِي شَيْءٍ « نَعَمْ »  
حَسَنٌ قَبْلَ « نَعَمْ » قَوْلِكَ « لَا » وَقَبِيحُ الْقَوْلِ « لَا » بَعْدَ « نَعَمْ »  
إِنْ « لَا » بَعْدَ « نَعَمْ » فَاحْشَةُ (قَبْلًا) فَابْدَأْ إِذَا خَفْتَ الذَّمَّ

(١) أى منعك ما سألتك كبيتك عندي . والبين : الفراق . ويروى « ومنعك ما سألتك أن تبينى » والمعنى منعك ما سألتك لبيتك ومن أجل بينك  
(٢) قبله « ظهري بكلة وسدلي أخرى » هكذا أورده الزبيدي . وفى الصحاح والاساس « أرين محاسنا وكنن أخرى » وفى خزنة الادب للبغدادي « رددين تحية وكنن أخرى » والوصاوص جمع وصواص وهو البرقع الصغير .  
(٣) البين : الفارقة . واجتوى : ابغض (٤) قوله « فأعرف » بالنصب معطوف على تكون . والغث : من غث اللحم يغث غثاية وغثوته فهو غث وغثيث إذا كان مهزولا . وكذلك غث حديث القوم واغث أى ردؤ وفسد . والمعنى ههنا : أعرف منك ما يفسد عما يصلح . وقال الدماميني : الغث الردى ، والسمين : الجيد ، أى أعرف منك مساوئى من محاسنى فإن المؤمن مرآة أخيه أو أعرف ما يضرنى منك مما ينفعنى وأميز بينهما  
(٥) أطرحنى : أتركنى ، وهو بتشديد الطاء افتعال من الطرح  
(٦) يمممت : قصصت (٧) ويروى « أم الشر الذى لا يأتينى » أى لا يأتى فى طلبى .

واعلم بأنّ الذمّ نقصٌ للفتى ومضى لا تنقى الذمّ تدم  
أكرم الجارَ وراع حقّه إن عرفان الفتى الحق كرم  
لا ترانى راتعاً فى مجلس فى لحوم الناس كالسبع الغريم<sup>(١)</sup>  
إنّ شرّ الناس من يكشّر لى حين يلقانى وإن غبّت شتم  
وكلام سيء قد وقّرت عنه أذنانى وما بى من صمم<sup>(٢)</sup>  
فتعديت خشاة أن يرى جاهل أنى كما كان زعم  
ولبعض الصفح والإعراض عن ذى الخنى أبى وإن كان ظم<sup>(٣)</sup>

#### الممزق العبدى

واسمه شاس بن نهار بن أسود بن حريك<sup>(٤)</sup> بن حى بن غشاش<sup>(٥)</sup> وكان  
ابن أخت المنقب . وإنما لقب بالممزق لبیت قاله لبعض الملوك وكان أسيراً عنده :  
أحقاً ( أبیت اللعن ) إن ابن فرتنى على غير أجرام بريق مشرق<sup>(٦)</sup>  
فإن كنت مأكولاً فكُنْ خيرآ كلٍ وإلا فأذركنى ولما أمزق  
قال أحمد بن عبيد : إنما هو ممزق بكسر الزاى . ولقب ببيتته هذا :  
فمن مبلغ النعمان أن ابن أخيه على العين يعتاد الصفا ويمزق<sup>(٧)</sup>

(١) أكل لحم أخيه : اغتابه . والضم : الشديد النهم اخذاً من ضرم النار  
وهو الهابها . والسبع بضم الموحدة لكن سكنه للضرورة . (٢) وقّرت أذنه  
بالبناء للمفعول توقّر وقرا فهى موقر من الصمم . (٣) ذو الخنى : ذو الفحش  
(٤) فى الاصل « جريك » بالجيم والتصحيح من التاج (٥) لم يذكر الزبيدي  
هذا الاسم فى نسب الممزق الذى أورده فى مادة ( مزق ) من التاج .  
(٦) أبیت اللعن : تحية ملوك العرب فى الجاهلية - راجع الجزء الثانى من  
هذا الكتاب ص ١٩٢ والفرتنى : المرأة الزانية والامة . وابن الفرتنى هو  
ابن الامة اليفى . قال الشاعر :

مهلاً بعيث فان أمك فرتنى حمراء اثخن العلو جرداماً  
وشرق بريقه : غص .

(٧) معنى يمزق يفنى . قال المفضل : وهذا يقوى قول الجوهري فى كسر  
الزاى فى « الممزق » الا أن المعروف فى هذا البيت « يمزق » بالراء والتمريق  
بالراء الغناء فلا حجة فيه على هذا لأن الزاى فيه تصحيف . . وقال الأمدى  
فى الموازنة : الممزق بالفتح هو شاس بن نهار العبدى سمي لقوله : فان كنت  
مأكولاً البيت .



(والتزويق وعين محلم موضع بالبحرين<sup>(١)</sup>) وروى له أبو عبيدة قوله :  
هل للفتى من بنات الدهر من واقى أم هل له من حمام الموت من واقى<sup>(٢)</sup> ؟  
ومنها قوله الذى سار مثلاً

هوّن عليك ولا تولع بإشفاق فإني ما لنا للوارث الباقى  
ومن غرره قوله

لن يجمعوا أودى ومعرفى أو يجمع السيفان فى غمد<sup>(٣)</sup>

عبد قيس بن هفاف

كان من البراجم<sup>(٤)</sup> . ومن غرر مواظله ووصاياه لابنه قوله :  
فالله فاتقه وأوفى بنذره وإذا حلفت مमारياً فتحلل<sup>(٥)</sup>  
واعلم بأن الضيف مكرم أهله بمبيت ليلته وإن لم يسأل  
والضيف أكرمه فإن مبيته حق ولا تك لعنة للنزل  
وصل الموصل ما صفا لك وُدّه واحرز حبال الخائن المتبدل<sup>(٦)</sup>  
واترك محلّ السوء لا تحلل به وإذا نبا بك منزل فتحول<sup>(٧)</sup>  
دار الموان لمن رآها داره أفرحل عنها كمن لم يرحل ؟  
وإذا هممت بأمر شرّ فاتئد وإذا هممت بأمر خير فاعجل<sup>(٨)</sup>  
وإذا أتتك من العدو قوارص فاقرص هناك ولا تقل لم أفعل<sup>(٩)</sup>

(١) لينظر ما وجه ايراد هذه الجملة ههنا (٢) بنات الدهر : حوادثه ومصائبه . والواقى الحافظ . وحمام الموت بالكسر قضاؤه وقدره .  
(٣) الاود : الاموجاج . والفمد : قراب السيف (٤) البراجم قوم من اولاد حنظلة بن مالك . (٥) نذر على نفسه ينذر نذرا ونذورا : أوجه . ونذر الله سبحانه كذا . أو النذر ما كان وعدا على شرط فعلى ان شفى الله مريض كذا نذر وعلى ان اتصدق بدينار ليس بنذر . وقوله ( مमारيا ) أى شاكلا ومجادلا . وتحلل فى يمينه اذا حلف ثم استثنى استثناء متصلا .  
(٦) احرز : اقطع . (٧) نبا به المنزل : لم يوافق . (٨) اتاد وتواد : تأنى فى الامر . (٩) القوارص من الكلام هى التى تنغصك وتؤلك كالقرص فى الجسد . ولا تزال تقرصنى من فلان قارصة أى كلمة مؤذية .

### السُّقْرَى

تقدم له ذكر أيضاً وأمير شعره قصيدته التي أولها :  
إلا أمّ عمرٍ وأجمعت فاستقلت وماودعت جيرانها إذ توات  
وبيت القصيدة قوله في وصف امرأة  
فدقّت وجلّت واسبكرت وأظلمت فلو جنّ إنسان من الحسن جنّت  
أى دقت خاصرتها وجلّت<sup>(١)</sup> عجيزتها وامتد قوامها واسودّ شعرها فلو كان  
إنسان يحن من فرط الحسن لجنت هذه .

### عمرو بن الورد

أمير شعره وغرة كلامه في الخطاب بالنفس اطلب للمال قوله :  
فن يكُ مثلي ذا عيالٍ ومقتر من المال يطرحُ نفسهُ كلَّ مطرحٍ<sup>(٢)</sup>  
ليبلغ عذراً أو ينالَ رغبةً ومبلغُ نفسٍ عذرها مثل منجحٍ<sup>(٣)</sup>  
وقوله أيضاً  
إذا آدا آذاك مالك فامتنه لجاديه وإن قرع المراح<sup>(٤)</sup>  
أى إذا أعانك مالك فابذله لمن سألك إياه وإن بقيت صفراً منه .

### أفئوه النعلبي

كان بعض السكّهان أنذره بهلاكه من لدغة تصيبه ، وكان يتحرز منها بجهده  
ولا ينام إلا على ظهر راحلته . فبينما هو ذات ليلة على ناقه له ، وهى ترعى ، إذ التوت  
حيةٌ على مشفرها<sup>(٥)</sup> فاضطربت فرمت بها إليه فلدغته ، فقال في وقته :

(١) أى عظمت (٢) أى من يك مثلى معيلاً مقتراً (أى صاحب عيال فقيراً)  
يطرح نفسه في كل بلاء ومشقة (٣) يصيب رغبة : ينال مالا . والمنجح :  
الغاثم . وفي الأغاني (ج ٢ ص ١٨٩) : م(نك) بدل (مثل) . (٤) نسبة الزبيرى  
في مادة (قرع) لابن أذينة . وآداه ماله : كثر عليه فغلبه . والمراح بالضم  
الماوى ، وقرع ماوى المال ومراحه في المال قرعا فهو قرع : هلك ماتيته .  
ديروى « صغر المراح » بدل « قرع المراح » . والجادى : السائل .  
(٥) المشفر للبعير كالشفة للإنسان .

لَعَمْرُكَ مَا يَذَرِي الْفَتَى كَيْفَ يَنْتَقَى إِذَا هُوَ لَمْ يَجْعَلْ لَهُ اللَّهُ وَاقِيًا  
ثُمَّ خَرَّ مَيِّتًا لِسَاعَتِهِ .

### قيس بن الخطيم

أَمِيرُ شَعْرِهِ قَصِيدَتُهُ الَّتِي أَوَّلُهَا :  
أَتَعْرِفُ رَسْمًا كَأَطْرَادِ الْمَذَاهِبِ <sup>(١)</sup> لَعَمْرَةَ وَخَشَا غَيْرَ مَوْقِفٍ رَاكِبٌ ؟  
وَبَيْتُ الْقَصِيدَةِ قَوْلُهُ فِي وَصْفِ امْرَأَةٍ  
تَرَأَتْ لَنَا كَالشَّمْسِ بَيْنَ غَمَامَةٍ    بَدَا حَاجِبٌ مِنْهَا وَبَانَتْ بِحَاجِبِ  
وَلَمَّا رَأَيْتِ الْحَرْبَ قَدْ جَدَّ جَدُّهَا    لَبَسَتْ مَعَ الْبَرْدِ ثَوْبَ الْحَارِبِ  
يَقُولُ قَدْ جُمِعَتْ بَيْنَ ثَوْبِ الصَّلَاحِ وَثَوْبِ الْحَارِبِ لِأَنَّ كَوْنَ عَلَى بَصِيرَةٍ مِنْ أَمْرٍ  
فِي الْحَالِينَ . وَفِيهَا :  
إِذَا قَصَرَتْ أَسْيَافُنَا كَانَ وَصْلُهَا    خَطَانَا إِلَى أَعْدَائِنَا بِالتَّقَارِبِ  
وَفِيهَا  
لَوْ أَنَّكَ تَلَقَى حَنْظَلًا فَوْقَ بَيْضِنَا    تَدْحَرُجُ عَنْ ذِي سَامَةِ الْمُتَقَارِبِ

### أُمَيَّةُ بْنُ الْجُبَرِ

غُرَّةُ شَعْرِهِ الَّذِي يَتِمَثَّلُ بِهِ قَوْلُهُ :  
إِسْتَفْنِ أَوْمُتْ وَلَا يَغُرَّرْكَ ذُو نَسَبٍ    مِنْ ابْنِ عَمٍّ وَلَا عَمٍّ وَلَا خَالَ <sup>(٢)</sup>  
إِنِّي نُقِيمُ عَلَى الزُّورَاءِ أَعْمُرُهَا    إِنَّ الْحَبِيبَ إِلَى الْإِخْوَانِ ذُو الْمَالِ  
وَقَوْلُهُ

وَمَا يَذَرِي الْفَقِيرُ مَتَى غَنَاهُ    وَلَا يَذَرِي الْغَنِيُّ مَتَى يَعِيلُ <sup>(٣)</sup>

(١) أي كستاييع المذاهب وهي جلود مذهبة بخطوط يرى بعضها في أثر بعض

(٢) النسب بفتح تحتين المال والمقار (٣) يعيل : يفتقر .

### عامر بن الطفيل

هو من الشعراء المجيدين . ومن غرر شعره السأسر سير الأمثال قوله :  
إني وإن كنتُ ابنَ سيّدٍ عامرٍ وفارسها المشهور في كلِّ مَوْكَبٍ<sup>(١)</sup>  
فما سَوَّدَتْنِي عامرٌ عن وِزائِهِ<sup>(٢)</sup> أبى الله أنْ أَسْمُو بِأَمْرٍ ولا أبِ<sup>(٣)</sup>  
ولكنني أحى حماها وأتقى أذاها وأرمى مَنْ رماها بمنكبي  
ويقع قوله هذا في كل اختيار لاشتمال الحسن والجودة على لفظه ومعناه .

### أبو الطمّحان القيني

واسمه الشرقى بن حنظلة<sup>(٤)</sup> . قال دعبل : إن أمدحَ بيتَ قالته العرب في الجاهلية  
قول أبي الطمّحان :

وإنَّ بنى أوس بن لأم أرومة علتْ فوقَ صَعْبٍ لا ترامَ مَرَّاقِبُهُ  
أضاءتْ لهم أحسابُهُم ووجوهُهُم دُحى الليل حتى نظَّمَ الجَزَعُ ثاقِبُهُ<sup>(٥)</sup>  
وكان أبو بكر الخوارزمي يقول ربما أردت البكاء في بعض مواطنه فيمتنع على  
فأهو إلّا أن أنشد أبيات أبي الطمّحان القيني فيما بينى وبين نفسى حتى ينحل  
عند الدمع . وهى هذه :

ألا علّاني قبلَ صدحِ النوائجِ وقبل ارتقاء النفس فوقَ الجوانحِ<sup>(٦)</sup>  
وقبل غِدِّ يالهفَ نفسى على غِدِّ إذا راح أصحابى ولست برائح  
إذا راح أصحابى تفيضُ دموعُهُم وغودرتُ في لحدٍ على صفائحى<sup>(٧)</sup>

(١) الموكب : كمجلس اسم للجماعة من الناس ركباناً أو مشاة ، أو ركاب  
الابل للزينة والتنزه (٢) أى ما جعلتنى سيد قبيلة بنى عامر بالارث عن  
آبائهم بل سدتهم بأفعالى (٣) قوله أبى الله الخ له معنيان أحدهما بمعنى  
كره وهو المراد هنا . والثانى بمعنى امتنع و (أن اسمو) مفعوله والسمو .  
العلو ، واستشهد النحاة بهذا البيت على أن النصب على الواو يقدر كثيراً  
لأجل الضرورة (٤) الصواب « حنظلة بن الشرقى » كما تقدم في الجزء الأول  
ص ٥٥ (٥) راجع الجزء الأول ص ٥٥ و ٥٦ (٦) التعليل : تطيب النفس  
بذكر ما تحب . والجوانح : ضلوع الصدور . وارتقاء النفس : بلوغها التراقي  
(٧) غودرت : تركت . والصفائح : الحجارة العريضة الرقيقة .

يقولون : هل أصلحتم لأخيكم ؟ وما الالحد في الأرض الفضاء بصالح  
والشيء بالشيء يذكر . وذلك أن بعض الأدباء قال : إذا استجلبت ماء العين  
أيضاً في وقته فأبى أنشدت قول بعض المحدثين فيما بيني وبين نفسي فما هو إلا أن  
أمره ببالي وقد جاءت العبرات وهو هذا : —

ولتطلعنَّ الشمسُ بعد فراقنا بيضاء لم تأسفُ على فقداننا  
كم من غداةٍ يُستطاب نسيمها ويدُ البلى تقضى على أبداننا

#### الأعشى

واسمه ميمون بن قيس . وكان يقال له ( صَنَاجَةُ الْعَرَبِ ) لكثرة ما تفنن  
في شعره وهو أحد الأربعة الذين وقع الاتفاق على أنهم أشعر العرب ، وقد تقدم  
ذكرهم<sup>(١)</sup> . وهو على ساقطة الجاهليين ، ومقدمة الخضرين ، وكان قد أدرك  
المبعث ومدح النبي صلى الله تعالى عليه وسلم غير أنه لم يتوفق للإسلام . فن أمثاله  
السائرة قوله في الخمر :

وكأس شَرِبْتُ على لَذَّةٍ وأخرى تداوَيْتُ منها رَبيها  
لكي يعلم أني امرؤٌ أتيت المروءة من باريها  
وله البيت الذي وقع الاتفاق على أنه أهجى بيت في الجاهلية . وهو قوله  
في علقمة بن علاثة :

تَبَيَّنْتُ فِي الْمَشْتَى مِلَاءَ بَطُونِكُمْ وَجَارَاتِكُمْ غَرْنِي يَبْتَنُ خَائِصًا<sup>(٢)</sup>  
ويروى أن علقمة لما قرع سمعه هذا البيت بكى ، وقال : اللهم اخزه واجزه  
عني إن كان كاذباً ! ومن غرر شعر الأعشى وأبيات قصائده وواسطة قلائده قوله

---

(١) في ترجمة زهير بن أبي سلمى ج ٣ ص ٩٧ (٢) غرني : جائعة والرجل  
غرثان . والخمائص : الضامرات البطون ومفردتها خميص . . وقد كذب  
الأعشى في هجوه لعلقمة ، فإنه كان من أجواد العرب . وقد أسلم وحسن إسلامه  
( ٩ - ثالث )

وإن القريبَ مَنْ يقرب نفسه لَعَمْرُ أَيْبِكَ الخيرَ لا من تنسباً  
وَمَنْ بغترب عن قومه لا يزل يرى مَصَارِعَ مظلوم مجرّاً ومسحّباً  
وتدفن منه الصالحات وإن يسى؛ يكن ما أساء النار في رأس كَيْسِكَبَا<sup>(١)</sup>  
ومن أمثاله السائرة قوله

أَلَسْتُ منتهياً عن تَحْتِ اثْنَتَيْنَا ولست ضارّها ما أطت الإبل<sup>(٢)</sup>  
كناطح صخرةً يوماً ليقامها فلم يضرّها ، وأوهى قرنه الوعل<sup>(٣)</sup>  
وقوله

عَوَّدَتْ كندةً عادةً فاصبر لها اغفر لجاهلها ورؤ سجالها  
أو كن لها جهلاً ذلولاً ظهره واحل فأت معود تمجالها  
ومن أمثال السائرة قوله .

إذا أنت لم تر حلّ بزاد من التقى ولا قيت بعد الموت من قد تزوّدا  
ندمت على أن لا تكون كمثل فترصد للأمر الذي كان أرصدا<sup>(٤)</sup>  
ليبر بن ربيعة العامري البصري

وهو من الشعراء المخضرمين عاش في الجاهلية ستين سنة ، وفي الإسلام  
مثلاً . وكان عذب المنطق ، رقيق حواشي الكلام . وفي الخبر « أصدق كلمة  
قالها شاعر قول أبيد .

(١) كبكب كجعفر اسم جبل بمكة ولم يقيد في الصحاح بمكان وقيد  
غيره بأنه جبل بعرفات خلف ظهر الإمام إذا وقف وقيل هي ثنية . قال  
الزبيدي : وقد صرفه امرؤ القيس ، والاعتنى ترك صرفه (٢) قوله « عن  
نحت اثنتا » أي عن ذمنا والظن في حسبتنا . والاثلة هي الاصل وواحدة  
الاثل وهي شجرة الطرفاء ، ونحت الاثلة كناية عما تقدم . وضائرها : ضارا  
بها . يقال ضاره الأمر يضره بمعنى أضربه . واطت : حنت . يريد أنك  
لا تضرنا أبدا مهما تنقصتنا لأن الناس يعرفون حقيقتنا فلا يابهون لدمك .  
(٣) قوله « كناطح صخرة » يعني أنك بعمالك هذا كوعل ينطح صخرة  
ليقلعها وفي رواية « ليوهنها » أي يضعفها . والوعل : حيوان شبيه بالغزال  
ويقال هو تيس الجبل (٤) ترصد : أي تترصد وترقب .

ألا كلُّ شَيْءٍ ما خلا اللهَ باطلٌ وكلُّ نعيمٍ لا محالةً زائلٌ<sup>(١)</sup>  
 سوى جنة الفردوس إن نعيمها يدوم وإن الموت لا بدُّ نازلٌ  
 وسئل لبيد عن أشعر الناس ؟ فقال : الملك الضليل يعني امرأ القيس ، قيل :  
 ثم من ؟ قال : الغلام القليل ، يعني طرفة . قيل : ثم من ؟ قال : صاحب العكاز  
 يعني الشيخ أبا عقيل ، وهو نفسه .. وسمع الفرزدق رجلاً ينشد قول لبيد :  
 وجلاً السيول عن الطلول كأنها زُبُرٌ تجِدُّ متونهاً أفلامها<sup>(٢)</sup>  
 فسجد ! فقيل : ماهذا يا أبا فراس ؟ فقال : أتم تعرفون سجدة القرآن وأنا  
 أعرف سجدة الشعر ! وروى أنه لما أنشد قصيدته هذه في الجاهلية وبلغ قوله :  
 يعلو طريقةً متنها متواترٌ في ليلةٍ كغفر الثُجُوم غمامها<sup>(٣)</sup>  
 سجد له شعراء زمانه ! وقيل لبشار بن برد : أخبرنا عن أجود بيت قالته  
 العرب . فقال : إن تفضل بيت واحد على الشعر كله أشدُّ ، ولكن قد أحسن  
 كل الإحسان لبيد في قوله :  
 وأكذبِ النفسَ إذا حَدَّثَتْها إن صدقَ النفسَ يزري بالأمل<sup>(٤)</sup>  
 وإذا رُمْتَ رحيلاً فارتحلْ واثني ما يأمر توصيم الكسل<sup>(٥)</sup>  
 ومن أمثاله السائرة من قصيدة :  
 وما المالُ والأهلونَ إلا ودائعٌ ولا بدَّ يوماً أن تُردَّ الودائعُ  
 وما المرءُ إلا كالشهابِ وضوئه يحورُ رماداً بعد إذ هو ساطعٌ<sup>(٦)</sup>

(١) قوله « لا محالة » بفتح الميم أي لا تغيير ولا تبديل . والباطل : هو في الأصل ضد الحق ، وأراد به هنا الهالك (٢) جلا : كشف . والطلول جمع طلل وهو الشاخص من آثار الديار . والزبر : جمع زبور وهو الكتاب . وتجِدُّ متونها : تجددتها . والمتون جمع متن وهو في الأصل الظهر والمراد بها هنا الكتابة التي تكون في الزبور . ومفعول جلا محذوف والتقدير : جلت السيول التراب عن الطلول . (٣) طريقة المتن : خط من ذنبها إلى عنقها والكفر : التغطية والستر . يقول : يعلو صلبها قطر متواتر في ليلة ستر غمامها نجومها (٤) يزري يقصر (٥) التوصيم : الكسل والفترة (٦) يحور يرجع . وساطع مرتفع .

ومنها

أليس ورأى — إن تراخت منيتي لزوم العصا تحنى عليها الأصابع  
أخبر أخبار القرون التي مضت أدب كائن كلما قت راكم  
لعمرك ما يدري المسافر هل له نجاح ولا يدري متى هو راجع  
أتجزع مما أحدث الدهر بالفتى وأنى كريم لم نصبه القوارع  
ومن أمثاله السائرة قوله

ذهب الذين يعاش في أكنافهم وبقيت في خلف كجلد الأجر<sup>(١)</sup>  
وقوله

فقوماً وقولاً بالذي قد علمتماً ولا تخمسا خذاً ولا تحلقا شعراً  
إلى الحول، ثم اسم السلام عليكما ومن يبك حولاً كاملاً فقد اعتذر  
وحكى<sup>(٢)</sup> أنه لم يقل في الإسلام غير بيت واحد وهو قوله :

الحمد لله إذ لم يأتني أجلى حتى اكتسبت من الإسلام سر بالاً<sup>(٣)</sup>  
وحكى ابن دريد : أن لبيداً عاش مائة وخمساً وأربعين سنة : خمساً وخمسين  
في الإسلام ، وتسعين في الجاهلية . وقد كان معاوية هم بأن ينقص عطاءه فأرسل  
إليه : « إنما أنا هامة اليوم أو غدا<sup>(٤)</sup> » فأعزني اسمها فلعلني أن لا أقبضها » فمات قبل  
أن يقبضها . وكانت ابنتاه تأتيان مجلس أبي جعفر فتؤبناه<sup>(٥)</sup> فلا تألوان فبقيتا  
على ذلك حولاً كاملاً ثم كفتا . وله أخبار طيبة ذكرها ابن قتيبة في كتاب

(١) يقال فلان في كنف فلان أى في ناحيته وخيره . يقول ذهب الكرام  
الذين ينتفع بهم وبقيت في قوم لا خير فيهم كجلد الأجر وجلد الأجر  
من الجمال لا ينتفع به (٢) هذه الحكاية التي تناقلها المؤلفون خلفاً عن سلف  
لا تصح بحال . كيف وقد خاطب لبيد حين حضرته الوفاة ابنتيه بأبيانه  
الشهيرة التي أورد منها المؤلف ههنا بيتين وهما قوله فقوماً وقولاً بالذي  
تعرفانه الخ .؟ (٣) السريال : مايلبس من قميص أو درع وقد عزا المحققون  
هذا البيت الى رجل سلولى من المعمرين . (٤) يقولون هو هامة اليوم أو الغد  
أى يموت اليوم أو غدا (٥) التأبين : الشاء على الشخص بعد موته .



الشعر والشعراء وابن عبد البر في الاستيعاب وأبو حاتم السجستاني في كتاب  
المعمرين .

### كعب بن زهير بن أبي سلمى

هو من المخضرمين . وكان له عند النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ذنب وحين  
أوعده عليه السلام فقدم عليه وأنشده قصيدته التي يقول فيها .

نُبِّئْتُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ أَوْعَدَنِي وَالْعَفْوُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ مَأْمُولُ  
إِنَّ الرَّسُولَ لَنُورٌ يُسْنِضَاهُ بِهِ وَصَارُمٌ مِنْ سُيُوفِ اللَّهِ مَسْلُولُ

رضى عنه وكساه بردته التي اشتراها ( معاوية ) من ورثته بستائة دينار ، وهي  
البردة التي كانت عند الخلفاء يلبسونها في العيدين . ويقال إن أمير شعره وغرة كلامه  
قوله ، ويقال إنه لأبيه :

إذا أنت لم تعرض عن الجهل والخنى<sup>(١)</sup> أصبت لثيماً أو أصابك جاهل

### العلاء بن الحضرمي

وفد العلاء على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال له : أتقرأ شيئاً من  
القرآن ؟ فقرأ سورة عبس ، ثم زاد فيها من عنده : ( وهو الذي أخرج من الحبلى  
نَسَمَةً تسمى بين شراسيف وحشى<sup>(٢)</sup> ) فقال له رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم :  
كُفَّ فَإِنَّ السُّورَةَ كَافِيَةٌ : ثم قال : أتقول شيئاً من الشعر ؟ فأنشده :  
وحى ذوى الأضغان تسب قلوبهم تحييتك الأذنى فقد يدبغ النعل<sup>(٣)</sup>

(١) الخنى : الفحش (٢) النسمة : بفتحتين نفس الريح لم سميت بها  
النفس بالسكون . والشراسيف : جمع شرسوف وهو غصن معلق بكل ضلع  
أو مقطع الضلع وهو الطرف المشرف على البطن . (٣) حى : أمر من حياه تحية  
واصله الدعاء بالبقاء والحياة ومنه التحيات لله أى البقاء وقيل الملك ، ثم كثر  
حتى استعمل في مطلق الدعاء ثم استعمله الشرع في دعاء مخصوص وهو  
سلام عليك . وحى على الصلاة ونحوها دعاء . والأضغان : الاحقاد .

فإن دحسوا بالكراه فاعفُ تسكرماً وإن أخنسوا عفك الحديث فلا تسل<sup>(١)</sup>  
فإن الذى يؤذيك منه استماعه وإن الذى قالوا وراءك لم يقل  
فقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم : « إن من البيان لسحراً ، وإن من  
الشعر لحكماً » .

### (٢) النمر بن تولب العكلى

عمر فى الجاهلية وأدرك الإسلام وقد خرف ، وكان شاعراً فصيحاً شجاعاً  
جواداً كريماً . وكان هجيراً<sup>(٣)</sup> فى خرفه أصبحوا الضيف أغبقوا الضيف<sup>(٤)</sup>  
كعادته التى كان عليها . وكانت امرأة فى زمانه خرفت أيضاً فكان دأبها أن  
تقول : خضبوني كحلوني زوجوني رجلوني . وبلغ عمر بن الخطاب رضى الله تعالى  
عنه ذلك ، فقال : لما لهج به أخو عكل أكرم مما لهجت به خرفة بنى فلان  
ومن أمثاله قوله :

يود الفتى طول السلامة جاهداً وكيف يرى طول السلامة يفعلُ  
وقوله:

خاطرُ بنفسك كى تنالَ رغبةً إن القعودَ مع العيال قبيحٌ<sup>(٥)</sup>  
إن الخاطرَ مالكٌ أو هالكٌ والجدَّ يُجدي مرةً فيريحُ

(١) دحسوا بالكراه : دسوا بالشر . وأخنسوا : سكتوا وانقبضوا .  
(٢) قال المبرد فى الكامل ( ج ١ ص ١٠٣ - طبعة التقدم العلمية ) : « كل  
نمر فى العرب كالنمر بن قاسط وغيره مكسور النون مجزوم الميم الا النمر بن  
تولب عن ابن دريد . قال أبو حاتم يقال النمر بفتح النون . وسكون الميم ولا  
يقال النمر » . وفى الاقتضاب ( ص ٣٠٣ ) « كان أبو حاتم يقول النمر بسكون  
الميم ويزعم أن العرب لا تقولوه الا هكذا وهذا الذى ذكره . غير معروف »  
(٣) أى دأبه وشأنه (٤) صبحه : سقاه صبوحة وهو ما أكل أو شرب  
غدوة . وغبقه سقاه غبقوا وهو ما يشرب بالعشى .. (٥) الرغبة : الرغبة . الامر  
المرغوب فيه والعطاء الكثير .

وقوله :

ومتى تُصْنِبِكَ خَصَاصَةً<sup>(١)</sup> فَارْجُ الْغَنَى      وإلى الذى يَهَبُ الرِّغَائِبَ فَارْغِبِ<sup>(٢)</sup>  
لَا تَغْضِبَنَّ عَلَى أَمْرٍ<sup>(٣)</sup> فِي مَالِهِ      وعلى كرائم أصل مالك فاغضب

حسان بن ثابت

كان شاعراً النبی (صلى الله تعالى عليه وسلم) والمناضل عنه ، وله قال (أهيج  
مشرکى قریش ومعك روح القدس والله إن كلامك لأشدّ عليهم من وقع السهام  
في غلّس الظلام) . ومن غرر شعره قصيدته التي يقول فيها :

إذا ما الأشرباتُ ذُكِرْنَ يوماً      فهُنَّ لطيبِ الراحِ الفِدَاءِ<sup>(٢)</sup>  
وأنشربنَّها فتتُرُكنا ملوكاً      وأسنداً ما ينهنهها اللقاء<sup>(٣)</sup>

ولما أشدها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وانتهى إلى قوله :

هجوتَ (محمداً) فأجبتُ عنه      وعند الله في ذاك الجزاء<sup>(٤)</sup>

قال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (جزاؤك على الله الجنة) فلما انتهى إلى قوله :

فإن أبى ووالدهُ وعرضى      لعرض (محمداً) منكم وقاء<sup>(٥)</sup>

قال عليه الصلاة والسلام (وقاك الله هول المطلاع) فلما انتهى إلى قوله :

---

(١) الخصاصة : انقصر والحاجة . والرغائب جمع رغبة وهى العطاء الكثير  
(٢) الاشربات جمع اشربة وهو جمع شراب وهو ما يشرب من أى نوع  
كان وعلى أى حال كان . والراح الخمر وكان حسان (رض) قد ابتدا هذه  
القصيدة في الجاهلية ثم اكملها في الاسلام من قوله «عدمنا خيلنا ان لم تروها»  
فلا اعتراض عليه من أنه كيف يذكر في شعره الخمر ويمدحها . فافهم !  
(٣) ينهنهها : يكفها ويذجرها . وهذا البيت آخر ما قاله رضى الله عنه  
من هذه القصيدة في الجاهلية وقد عابه عليه بعض الادباء فرعم أنه فيه قصر  
في الفخر فانهم اذا كانت الخمر تجعلهم ملوكا وأسدا فليس في ذاتهم سيادة  
وشجاعة وانما استفادوا ذلك من الشرب ! والجواب : أن المقام مقام صفة  
الخمر لا مقام الفخر فالمطلوب هنا انما هو توفيتها حقها واستيفاء صفتها  
وتعديد ما يأتى له مدحها به ولكل مقام مقال ، وكما قيل ان الخمرة تظهر  
الشجاعة في الشجاع ولا تحدثها في الجبان . كذا قالوا . (٤) يخاطب به  
أبا سفيان بن الحارث فانه كان قبل اسلامه يهجو رسول الله صلى الله عليه  
وسلم والجزاء المكافاة على الشيء بالخير أو الشر . قال الله تعالى « وجزاء  
سيئة سيئة مثلها » (٥) الوقاء : بالفتح والكسر ما وقيت به الشيء .

أَتَهْجُوهُ وَأَسْتَلَهُ بِفِدَى قَسْمُ كَمَا نَحْسِرُ كَمَا الْفَدَاءُ (١)  
قال من حضر : هذا والله أنصف بيت قالته العرب . وكان في الجاهلية مداحاً  
لبني جَفْنَةَ ملوك غسان . ويقال إن من غرر شعره قوله فيهم :

أَوْلَادُ جَفْنَةَ حَوْلَ قَبْرِ أَبِيهِمْ قَبْرِ ابْنِ مَارِيَةَ الْكَرِيمِ الْمُفَضَّلِ (٢)  
بِيضُ الْوُجُوهِ نَقِيَّةٌ أَحْسَابُهُمْ شَمُّ الْأَنْوْفِ مِنَ الطَّرَازِ الْأَوَّلِ (٣)  
يُغَشُّونَ حَتَّى مَا تَهَرُّ كَلَابُهُمْ لَا يَسْأَلُونَ عَنِ السَّوَادِ الْمُقْبِلِ (٤)

(١) الذئد : بالكسر المنل ولا يكون الذئد مخالفاً . والاستفهام للانكار أى ما كان ينبغي لك أن تهجوه ولست من أكفائه ونظرائه فلم تنصفه . وقوله فسر كما لخير كما الفداء مع علمه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خير منه بلا ريب جار على أسلوب الكلام النصف وهو أن ينصف المتكلم من نفسه أو ممن يتكلم من جهته فيضطر السامع إلى الازدعان له ولا يجد سبيلاً لانكاره والمنازعة فيه نحو « وأنا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين » فإن من المعلوم أن المتكلم ومن معه على هدى وأن المخاطبين في ضلال . وإنما أبهم الأمر بين الفريقين ليكون ادعى المخاطب إلى الازدعان للحق وترك العناد حيث يرى المتكلم ساوياً بينه وبين نفسه وانصفه . (٢) جفنة أبو ملوك التمام وهو جفنة بن عمرو مزريقاء بن حارثة بن امرئ القيس بن نعلبة بن عمرو بن جفنة . وأراد بأولاد جفنة أولاد الحرث الأعرج بن مارية ، وهم النعمان بن المنذر والميذر وجبله ، وأبو شمر ، وهؤلاء كلهم ملوك وهم أعمام جبله بن الأبيهم ، ومارية هى بنت أرقم بن نعلبة بن عمرو بن جفنة . هذا قول أبى عبيدة وقال ابن الكلبي مثل قوله ثم قال وقالت كندة جمعاء هى مارية بنت ظالم بن وهب بن الحرث بن معاوية بن ثور بن كندة وقال القعنبى بنت ظالم بن وهب بن الحرث . وقال ابن السكيت هى مارية بنت أرقم بن نعلبة . وأراد بقوله حول قبر أبيهم أنهم في مساكن آبائهم ورباعهم التى كانوا ورثوها عنهم . (٣) النسم ارتفاع أرنبة الأنف وورودها يقال رجل أشم وامرأة شماء وقوم شم والنسم الارتفاع فى كل شئ فيحتمل أن يكون أراد بشم الأنوف ما ذكرناه من ورود الأرنبة لأن ذلك دليل العتق والنجابة عندهم . ويجوز أن يريد بذلك الكناية عن نزاهتهم وتباعدهم عن دنيا الأمور ورذائلها وخص الأنوف بذلك لأن الحمية والغضب والانفة تكون فيها ولم يرد طول انفهم وهذا أشبه أن يكون مراده لأنه قال بيض الوجوه ولم يرد بياض اللون فى الحقيقة ، وإنما كنى بذلك عن نقاء أعراضهم . وجميل أخلاقهم وفعالهم ، كما يقول القائل جاءنى فلان بوجه أبيض وقد بيض فلان وجهه بكذا وكذا وإنما يعنى ما ذكرناه كما قال ذلك المرتضى . وقوله من الطراز الأول أى أفعال آبائهم وسلفهم وأنهم لم يحدثوا أخلاقاً مذمومة لا تشبه نجادهم وأصولهم (٤) يغشون بالبناء للمفعول أى يتردد إليهم من غشيه إذا جاءه . وهو الكلب إذا صوت وهو دون النباح يعنى أن منازلهم لا تخلو من الأضياف والفقراء فكلاهم لا تهر على من يقصد منازلهم لاعتيادها بكثرة التردد إليها من الأضياف وغيرهم وقوله لا يسألون أى هم فى سعة لا يسألون كم نزل بهم من الناس ولا يهولهم الجمع الكثير ( وهو السواد ) إذا قصدوا نحوهم .

ومن أمثاله السائرة قوله :

رُبَّ عِلْمٍ أَضَاعَهُ عَدَمُ الْمَالِ وَجَهْلُ غَطْيٍ عَلَيْهِ النَّعِيمُ

ومنها :

مَا أَبَالَى أَنْبَ بِالْحَزَنِ تَنِيْسُ أَمْ لِحَانِي بِظَهْرِ غَيْبٍ لَثِيمُ<sup>(١)</sup>

وواسطة قلادة شعره قوله :

وإنَّ امْرَأً يُمْنِي وَيُصْبِحُ سَالِمًا مِنْ النَّاسِ إِلَّا مَا جَنَى سَعِيدُ

فأجازه ابنه (عبد الرحمن) بقوله :

وإنَّ امْرَأً ذَلَّ الْغَنَى ثُمَّ لَمْ يَنْدِلْ صَدِيقًا وَلَا ذَا حَاجَةٍ لَزَّهَيْدُ

ثم أجازها (سعيد بن عبد الرحمن) بقوله :

وإنَّ امْرَأً قَدْ عَاشَ سَبْعِينَ حِجَّةً وَلَمْ يَرْضَ فِيهَا رَبُّهُ لَطَرِيدُ

ثم أجازها (أبو الحسن الحسنى) بقوله :

وإنَّ امْرَأً عَادَى أَنَاسًا عَلَى الْغَنَى وَلَمْ يَسْأَلِ اللَّهَ الْغَنَى لَحْسُودُ

#### النايعة الجعدى

اختلف في اسمه على أقوال أصحها أن اسمه قيس بن عبد الله بن وحوح بن عدس ابن ربيعة بن جعدة . وإنما لقب بالنايعة لأنه قال الشعر في الجاهلية ، ثم أقام نحو ثلاثين سنة لا يقول الشعر ثم نبغ فيه فقاله فسمى النايعة . وهو أسن من النايعة الذياني لأن الذياني كان مع التعمان بن المنذر . وكان التعمان بن المنذر بعد المنذر بن محرق وقد أدرك النايعة الجعدى المنذر بن محرق وناداه . ذكر عمرو بن شبة أنه عمر مائة وثمانين سنة ، وأنه أشد عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه :

لَبِستُ أَنَاسًا فَأَفْنَيْتُهُمْ وَأَفْنَيْتَ بَعْدَ أَنَاسٍ أَنَاسًا

ثَلَاثَةَ أَهْلِينَ أَفْنَيْتَهُمْ وَكَانَ الْإِلَهُ هُوَ الْمُسْتَأْسَا<sup>(٢)</sup>

(١) يقول : قد استوى عندى نبيب التيس بالحزن ونيل اللثيم من عرضي بظهر الغيب ونبيب التيس صوته عند هبابه للسفء . والحزن ما غلظ من الأرض وخصه لأن الجبال ثم اخصب للمعز من السهول (٢) المستأس : المستعاض

فقال له عمر : كم لبثت مع كل أهل ؟ قال : ستين سنة ! وقال ابن قتيبة : عمر الجعدي مائتين وعشرين سنة . ومات بأصبهان . ولا يدفع هذا ماسر فإنه أفنى ثلاثة قرون في مائة وثمانين سنة . ثم عمر إلى زمن ابن الزبير وبعده . قال الثعالبي في كتابه لباب الأدب : قيس بن عبد الله من المحضرين المعمرين . وأمير شعره قصيدته التي يقول فيها للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم :

أتيت رسول الله إذ جاء بالهدى      ويتلو كتاباً كالجرة نيرا (١)  
بلغنا السماء نجدنا وجدودنا      وإنا لمرجوفون ذلك مظهرًا  
ولا خير في حلم إذا لم يكن له      بوادر تحمي صفوه أن يكدرًا (٢)  
فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم : إلى أين يا أبا ليلى ؟ فقال : إلى الجنة  
فقال عليه الصلاة والسلام : إن شاء الله ! ويروى أنه عليه الصلاة والسلام لما أنشده  
البيتين قال : « لافض الله فاك » فعمر وهو أحسن الناس ثغراً على كبره ولم تنفض له  
سن . ومن غر شعره قوله في مريثة صديق له :

فتى كان فيه ما يسر صديقه      على أن فيه ما يسوء الأعاديا (٣)  
فتى كملت أخلاقه غير أنه      جواد فما يبق من المال باقيا (٤)

#### الخطبة

واسمه جرّول بن مالك . كان راوية زهير فنجم مقبول الكلام شرود القافية  
خبث اللسان حتى كان لسانه مقراض الأعراض حتى إنه هجا أباه وأمه وزوجه  
ونفسه . فمن قوله لأبيه :

(١) النير المضيء . والمجرة البياض المعترض في السماء والنيران من جانبيها  
(٢) البوادر : جمع بادرة وهي ما يبدر من حدثك في الغضب من قول أو  
فعل وبدأت منه بوادر غضب أي خطأ وسقطات عندما احتد .  
(٣) فتى منصوب على الاختصاص ولما كان قوله « فيه ما يسوء صديقه »  
يعلم منه أن في الناس من يجمع الخير دون الشر وخشي أنه إذا سكنت على  
هذه الجملة ظن به القصور من التمام فلا تكون فيه النكاي في الإعداء والإساءة  
اليهم فتم وصفه بأن قال على أن فيه ما يسوء الأعاديا (٤) المعنى : واذكر  
فتى جمع الأخلاق الفاضلة وكمّلها فما كان يعاب بشيء سوى أنه لم يستبق  
من ماله شيئاً لما فيه من كثرة الجود وهو كمال على كماله الأول .

لَحَاكَ اللَّهُ ثُمَّ لَحَاكَ حَقًّا أَبَا وَلَحَاكَ مِنْ عَمٍّ وَخَلٍ (١)  
فَنِعِمَّ الشَّيْخُ أَنْتَ لَدَى الْخَازِي وَبِئْسَ الشَّيْخُ أَنْتَ لَدَى الْعِيَالِ  
جَمَعْتَ الْاَوَمَ لَا حَيَّاكَ رَبِّي بِأَنْوَاعِ السَّفَاهَةِ وَالضَّلَالِ

وقوله لأمه

فَهَا مِنْ أَقْعَدَى مِنْهَا بَعِيداً (٢) أَرَاكَ اللَّهُ مِنْكَ الْعَالَمِينَ  
أَغْرَبَالاً إِذَا اسْتَوْدِعْتَ سِرّاً وَكَانُونَا عَلَى الْمُبْتَذَنِينَ (٣)  
ومن قوله لامراته

أَطُوفُ مَا أَطُوفُ ثُمَّ آتَى إِلَى بَيْتِ قَعِيدَتُهُ لِكَاعٍ (٤)  
ومن قوله لنفسه

أَبَتْ شَفَتَايَ الْيَوْمَ إِلَّا تَسْكُمًا بَشَرٌ فَمَا أُدْرَى لِمَنْ أَنَا قَائِلُهُ  
أَرَى لِي وَجْهًا شَوْهَ اللَّهِ خَلَقَهُ فَقُبِّحَ مِنْ وَجْهِهِ وَقُبِّحَ حَامِلُهُ  
وصب الله به سوط عذاب على الزبرقان بن بدر فإنه أمضه بهجائه إياه وأبكاه  
وأقلعه وأحرقه وسير فيه قصيدته السائرة الطليارة التي يقول فيها :

وَقَدْ مَرَيْتُكُمْ لَوْ أَنَّ دِرَّتَكُمْ يَوْمًا يَحْيَى بِهَا مَسْحَى وَإِسَاسِي (٥)  
أَزْمَعْتُ يَأْسًا مَرْبَعًا مِنْ تَوَالِكُمْ وَلَنْ تَرَى طَارِدًا لِلْحَرِّ كَالْيَاسِ (٦)

(١) لحاه الله : لعنه (٢) ويروى «تنحى فاجلسى منى بعيداً» . (٣) الغربال :  
بالكسر ما ينخل به ، يريد أنها نمامة فتاتة . والكانون : قيل هو الثقليل :  
وقيل الذى اذا دخل على القوم كنوا حديثهم منه وقيل هو المصطلى وقيل انه  
هو كانون النار لأنه يؤذى ويحرق . (٤) أطوف : أكثر الطواف أى الدوران .  
وآوى مضارع آوى الى منزله اذا اقام به وانضم ولجأ . وقعيدة الرجل : امراته  
وهى فعيل بمعنى فاعل . ولكاع : خبيثة أو سيئة الخلق أو وسخه وهذا بيت  
مفرد . والمصراع الأول من قول قيس بن زهير ابن جذيمة :

أطوف ما أطوف ثم آوى الى جار كجار أبى دؤاد

(٥) مريتكم : طلبت ما عندكم . وأصله من مريت الناقة وهو أن يمسح  
ضرعها لتدر . والدرة بالكسر اللبن . والابساس : صوت تسكن به الناقة عند  
الحلب . يقال بس بس .

(٦) الازماع : تصميم العزم . والبيت من شواهد « مغنى اللبيب » أورده  
على أن بعضهم قال (من) متعلقة بقوله (يأساً) والصواب تعلقها بيئست  
محدوفة لأن المصدر لا يوصف قبل أن يأتى معموله .

من يفعل الخَيْرَ لا يَعمَدُ جَوَازِيَهُ لا يَذْهَبُ العُرفُ بينَ الله والناس (١)  
دَعِ المكارمَ لا تَرْحَلْ لِبَغِيَّتِها واقْعُدْ فانتَ لِعَمري طاعمٌ كاسي (٢)  
ومن غرره في المدح قوله

أَقِلُّوا عَلَيْهِم ( لا أبا لأبيكُم ) من اللوم أو سُدُّوا المكانَ الذي سَدُّوا  
أولئك قومٌ إن بَنَوْا أَحْسَنُوا المِنا وإن عاهدوا أَوْفَوْا وإن عَقَدُوا شَدُّوا (٣)  
أَبُو ذُوَيْبِ الرَهْزَلِي

كان يقال هذيل أشعر القبائل وأبو ذؤيب أشعرها . وأمير شعره قصيدته  
في المراثية التي أولها :

أَمِنَ المُنُونِ ورَيْنِهِ تَتَوَجَّعُ والْدَهْرُ ليس بمعتبٍ مَنْ يَجْزَعُ ؟ (٤)  
وَتَجَلَّدِي لِلشَّامَتِينَ أَرِيهِمْ أَنِي لِرَيْبِ الدَّهْرِ لا أَتَضَعُّعُ (٥)  
وبيت القصيدة ( وكان الأصمعي يقول : هو أبرع بيتٍ قالته العرب ) :  
والنفس راغبة إذا رغبتها وإذا تردَّ إلى قليل تنقعُ  
ومن غرر هذه القصيدة قوله

وإذا المنيَةُ أنشَبَتْ أَظْفارها أَلْفَيْتَ كُلَّ تَمِيمَةٍ لا تَنْفَعُ

أَبُو مُرَاسِي الرَهْزَلِي

هو من الشعراء المفلّطين . وكان له أخ يسمى عروة فقال أبو خراش يَحْمَدُ الله  
على تخليص ابنه من الأسر وهو أحسن ما قيل في التنسلي :

(١) الجوازي : جمع جازية أو جاز أو جزاء وبكل فسر قول الحطيئة كذا  
قال الزبيدي في التاج

(٢) أورده الفراء في معاني القرآن في سورة هود على أن الكاسي بمعنى المكسو  
كما أن العاصم في قوله تعالى « لا عاصم اليوم » بمعنى المعصوم . قال ولا  
تنكرون أن يخرج المفعول على فاعل ألا ترى أن قوله « من ماء دافق » بمعنى  
مدفوق و « عيشة راضية » بمعنى مرضية ، ويستدل على ذلك بأنك تقول  
رضيت هذه المعينة ودفق الماء وكسى العريان بالبناء للمفعول ولا تقول ذلك  
بالبناء للفاعل والرواية المشهورة في السطر الثاني « واقعد فانك انت الطاعم  
الكاسي »

(٣) شدوا : ونقوا (٤) المنون : المنية . وجزع ضعفت منته عن حمل  
ما نزل به ولم يجد صبرا  
(٥) الشامت : الذي يفرح ببليّة العدو . وتضعضع : خضع وذل وافتقر



تَحَدَّثْتُ إِلَهِي بَعْدَ عُرْوَةٍ إِذْ نَجَا خِرَاشٌ وَبَعْضُ الشَّرِّ أَهْوَنُ مِنْ بَعْضِ (١)  
فَوَاللَّهِ لَا أُنْسَى قَتِيلًا رُزْنَتُهُ بِجَانِبِ قَوْسِي مَا مَشَيْتُ عَلَى الْأَرْضِ (٢)  
عَلَى أَنَّهَا (٣) تَعْفُو الْكُلُومَ وَإِنَّمَا نُوكِّلُ بِالْأَدْنَى وَإِنْ جَلَّ مَا يَمْنَعُنِي (٤)  
وَلَمْ أَذِرْ مَنْ أَلْقَى عَلَيْهِ رِذَاءَهُ عَلَى أَنَّهُ قَدْ سَلَّ عَنْ مَا جَدَّ مُحْضُ (٥)  
وَلَمْ يَكُنْ مِثْلُوَجَ الْفُؤَادِ مُهَيَّجًا أَضَاعَ الشَّبَابَ فِي الرِّبِيلَةِ وَالْخَفْضِ (٦)  
وَلَكِنَّهُ قَدْ نَازَعَتُهُ مَجَاوِعٌ عَلَى أَنَّهُ ذُو مِرَّةٍ صَادِقُ النَّهْضِ (٧)

وتزعم الرواة أنها لا تعرف رجلاً مدح من لا يعرف غير أبي خراش وشرح  
هذه الأبيات مفصل في شرح ديوان الحماسة ، وكذا في الجزء الثاني من كتاب  
خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب .

### المتنخل الهندي

أمير شعره قوله :

أَبُو مَالِكٍ قَاصِرٌ فَقْرَهُ عَلَى نَفْسِهِ وَهُشِيعٌ غِنَاهُ (٨)

(١) عروة أخو الشاعر . وخراش : ابنه ، والمعنى : أشكر الله بعد ما أنقذ  
من قتل عروة على نجاة خراش وبعض الشر أخف من بعض وكنت اعتقد  
قتلهما معا (٢) رزنته : فجعت به . وقوسي : اسم مكان بالسراة وبه قتل عروة  
عروة أخوه . (٣) هذا الكلام يجري مجرى الاعتذار منه والاستدراك على  
نفسه فيما أطلقه من قوله « لا أنسى قتيلا رزنته مدة حياتي » والضمير في  
( أنها ) للقصة وخبر أن الجملة بعدها . (٤) العفاء : الدروس والذهاب ،  
والكلوم : جمع كلم وهو الجرح وجل : عظم : ، وموضع « على أنها » نصب  
على الحال . وأراد بهذا تقادم العهد وتطاول الزمن . (٥) من استفهامية وعلى  
أنه في موضع الحال . والمعنى — لم اتحقق الذي اهتدى لهذه المكرمة فنزع  
رداءه وألقاه على أخى مع كونه مسئولا عن كريم خالص النسب (٦) مثلوج  
الفؤاد : بارده . والمهيج : الذي استرخى لحمه وتغير لونه . والربيصة :  
السمن يقول : أنه كان ذكي الفؤاد شهما لم يكن ممن ضيع شبابه في الخفض  
والدعة وصلاح بدنه . (٧) المجاوع : جمع مجاعة وهي السنة التي يكون  
فيها الجوع . وأراد منها هنا المخامض جمع مخمصة وهي خلو البطن من  
الطعام جوعا . وإنما ائثرت فيه المجاوع لأنه إذا سافر أثر صحبه على نفسه  
بزاده فيجوع ويشبعهم . والمرة : القوة . وقوله صادق النهض يريد النهوض  
الى الكارم والمعالى لا يكذب فيها إذا نهض اليها (٨) أبو مالك : هو أبو الشاعر  
واسمه عويمر لأن المتنخل اسمه مالك بن عويمر والمتنخل لقبه ، ولم يصب

إِذَا سَدَّتْهُ شُدَّتْ مِطْوَاعَةٌ وَمِهَا وَكَلَّتْ إِلَيْهِ كَفَّاهُ (١)

أَبُو صَخْرٍ الرَّهْدِيُّ

يقال إن أغزل شعر العرب قوله :

أَمَا وَالَّذِي أَبْكِي وَأَضْحَكُ وَالَّذِي أَمَاتَ وَأَحْيَا وَالَّذِي أَمَرُهُ الْأَمْرُ (٢)  
لَقَدْ تَرَكْتَنِي أَحْسَدُ الْوَحْشِ أَنْ أَرَى الْيَفِينَ مِنْهَا لَا يَرُوءُهُمَا الذُّعْرُ  
فِي أَحْبَابِهَا زَنْزَنِي جَوَى كُلِّ لَيْلَةٍ وَيَا سَلْوَةَ الْأَيَّامِ مَوْعِدًا كِ الْحُشْرُ (٣)  
عَجِبْتُ لِسَعْيِ الدَّهْرِ بَيْنِي وَبَيْنَهَا فَلَمَّا انْقَضَى مَا بَيْنَنَا سَكَنَ الدَّهْرُ (٤)

ابن قتيبة في ( الشعر والنسراء ) في زعمه أنه يرثي أخاه أبا مالك عويمر . وقاصر من القصر وهو الحبس . ومشيع من الأشاعة وهي الاذاعة - يريد أنه إذا افتقر أخفى فقره وإذا ائثرى أذاع غناه ليقصد من جهة وهذا من شرف النفس .

(١) معنى سدته من المساودة التي هي المساررة والسواد هو السرار أيضا كأنه قال إذا ساررت طوعك وساعدك ويروى سستته موضع سدته من سست الرعية سياسة . قال المرتضى : ولم أجد ذلك في رواية ! قلت هذه الرواية أثبتتها أبو تمام صاحب الحماسة في مختار أشعار القبائل . والمطواع الكثير الطوع أى الانقياد والناء تأكيد المبالغة . وقد روى هذا البيت في مختار أشعار القبائل لدى الأصبع العدواني « مع بيتين آخرين وهما :

وَمَا أَنْ أَسِيدَ أَبُو مَالِكِ بَوَانٍ وَلَا بَضْعِيفَ قِسْوَاءِ  
وَأَكْنَسَهُ هَيْنَ لَيْلٍ كَعَالِيَةِ الرَّمَاحِ عَرْرَنْسَاهِ  
فَانْ سِسْتَهُ سِسْتِ مِطْوَاعَةٍ وَمِهَا وَكَلَّتْ إِلَيْهِ كَفَّاهِ

وأسيد يفتح الهمزة وكسر السين المهملة . والعمر الشديد . والنساء : مقصور عرق يخرج من الورك فيستبطن الفخذين ثم يمر بالعرقوب حتى يبلغ الحافر فإذا سمت الدابة انفلقت فخذها بلحمتين عظيمتين وجرى النساء بينهما واستبان وإذا هزلت الدابة اضطربت الفخذان ، وماجت الربلتان ، وخفى النساء . وإذا قالوا أنه لشديد النساء فأنما يراد به النساء نفسه . وقال السكري أراد غلبت موضع النساء . (٢) تكرار القسم للتفخيم ولذلك كان الجواب واحدا وقوله لقد تركتني هو الجواب . والضمير لجبيته . وراعه أفرعه والدحر الخوف . (٣) حرقه البعد

(٤) عجبت لسعي الدهر : يجوز أنه يريد به سرعة تقضي الأوقات مدة الوصال بينهما فيكون المعنى أنى متعجب من الدهر حيث أسرع بتقضي الأوقات مدة الوصال بيننا فلما انقضى الوصل عاد إلى حالته في السكون والبطء وهذه عادتهم في استقصاء أيام الوصل واستطالة أيام الفراق ويجوز أنه يريد بسعي الدهر سعاية أهل الدهر بالنائم والوشايات وأنه لما ارتفع مرادهم فيما طلبوه من الفساد بينهما سكنوا وكما أراد على هذا بسعي الدهر أهله كذلك يسكون الدهر . وقد روى بعد هذه الأبيات بيت وهو :

وَمَا هُوَ إِلَّا أَنْ أَرَاهَا فَجَاءَةً فَأَبْهَتَ لَأَعْرِفَ لَدَى وَلَا تَنْكَرُ

نميم بن مقبل (١)

هو مُحَضَّرٌ معدود في الفحول . ومن غرر شعره ما أنشد له دعبل :  
فأخلف وأتلف إنما المال عارةٌ وكلُّهُ مع الدهر الذي هو آكلُهُ  
وأيَسَرُ مَفْقُودٍ وأهونُ هالكٍ على الحى مَنْ لا يبلغُ الحى نائِلُهُ  
وقوله

خليلي لا تستعجلا وانظرا غداً عسى أن يكون الرفق في الأمر أرشداً

عبد بن الطيب

من مُقَلَّتِي الحُضْرَمِينَ . وأمير شعره لاميته التي أولها :  
هَلْ حَبْلُ خَوْلَةٍ بعد الهجر موصولٌ أم أنت عنها بَعِيدُ الدار مشغولٌ ؟  
والمرء ساعٍ لأمرٍ ليس يُدْرِكُهُ والعيش شحٌّ وإشفاقٌ وتأميلٌ  
وكان عمر رضى الله تعالى عنه يتعجب من جودة هذا البيت وحسن تقسيمه .  
ومن أمثاله السائرة قوله في مراثية قيس بن عاصم :  
وما كان قيسٌ هُلْكُهُ هُلْكٌ واحدٍ ولكنَّهُ بَنِيانٌ قومٌ تَهْدَمُ (٢)

صهيد بن نور

كان من فحول الحُضْرَمِينَ والعَمَرِينَ وأمير شعره قوله :  
أرى بَصْرِي قد رابني بعد صبحٍ وحسبك داءٌ أن تصبحَ وتسقما  
ولن يَلْبَثَ العَصْرانِ يوماً وليلةٌ إذا طلبا أن يُدْرِكَا ماتِيَعَمًا (٣)  
وما هاجَ هذا الشَّوْقُ إلاَّ حَماةً دَعَتْ ساقَ خَرٍّ ترُحَةً وترَئِماً (٤)

(١) في كتاب الشعر والشعراء نميم بن أبي مقبل ، وهو من بنى العجلان الذين هجأهم النجاشي وكان جاهلياً إسلامياً . (٢) الهلك : الموت . (٣) أى ما قصداً .

(٤) ساق حر ذكر القمادى سمي لحكاية صوته فإنه يقول ساق حر ساق حر وقد وهم من قال أنه الهديل — راجع الجزء الثانى ص ٤٠٤

ومنها في وصف القمرية :

عَجِبْتُ لَهَا أَنِّي يَكُونُ غَنَاؤُهَا فَصِيحًا وَلَمْ تَفْغُرْ بِمَنْطِقِهَا (١)  
ومن نكت شعره قوله في وصف الذئب  
يَنَامُ بِإِحْدَى مَقْلَتَيْهِ وَيَتَقَى ۖ أَعَادَى بِأُخْرَى فَهُوَ يَقْظَانُ هَاجِعُ (٢)

صنم بن نورية

غرة شعره قصيدته التي يرثي بها أخاه مالكا . وغرتها قوله :

وَقَالُوا أَتَبْكِي كُلَّ قَبْرِ رَأَيْتَهُ إِقْبَرِ ثَوَى بَيْنِ اللَّوَى فَالدَّكَادِكُ (٣)  
فَقُلْتُ لَهُمْ إِنَّ الْأَسَى يَبْعَثُ الْأَسَى ذَرُونِي فِيْ هَذَا كُلُّهُ قَبْرُ مَالِكِ (٤)  
وقوله في قصيدته التي يرثي بها مالكا أيضا :  
وَكُنَّا كَنُذْمَانِيْ جَذِيْمَةً حَقِيْقَةً مِنْ الدَّهْرِ حَتَّى قِيلَ لَنْ يَتَصَدَّعَا  
فَلَمَّا تَفَرَّقْنَا كَأَنِّي وَمَالِكَا لَطُولِ اجْتِمَاعِهِ لَمْ نَبْتَ لَيْلَةً مَعَا (٥)

درب بن الصمة

أمير شعره قوله :

أَمْرُهُمْ أَمْرِيْ بِمَنْعَرَجِ اللَّوَى فَلَمْ يَسْتَبِينُوا الرُّشْدَ إِلَّا ضَحَى الْغَدِ (٦)  
وَهَلْ أَنَا إِلَّا مِنْ غَزِيَّةٍ إِنْ غَوَتْ غَوَيْتُ وَإِنْ تَرَشَّدُ غَزِيَّةٌ أُرْشِدِ (٧)

(١) فغر فاه كمنع ونصر فغرا وفغورا : فتحه . ويعنى بالمنطق بكاءها .  
(٢) أى هو حذر أو هاجع بين اليقظة والهجوم . وروى «يقظان نائم» ولكنه يخالف أبيات القصيدة  
(٣) ثوى بالمكان : أقام به . واللوى والدكادك : اسما موضعين (٤) الاسى : الحزن (٥) ندمانا جذيمة هما مالك وعقيل . ويقال انهما نادماه اربعين سنة ولهما حديث مشهور وفيهما يقول أبو خراش :  
ألم تعلمي أن قد تفرق قبلنا خليلا صفاء مالك وعقيل  
والحقبة المدة من الزمان . (٦) المنعرج : اللوى ما التوى واسترق من الرمل يقول أديت لهم رأيي بمنعرج اللوى ليكونوا على حذر فلم يظهر لهم رشد قولي الا حين أن دهمهم العدو في الضحى . (٧) هل للنفي وغزية قومها ، والمعنى ما أنا الا من غزية في حالتى النفى والرشد فغوايتى ورشادى متعلق بغوايتهم ورشادهم .

قال يونس النحوى : هذا أحزم بيت قالته العرب . وقوله :

ما إِنْ رَأَيْتُ وَلَا سَمِعْتُ بِهِ كَالْيَوْمِ هَانِيٍّ أَيْنَقِ جَرْبٍ  
مَتَبَذَلًا تَبْدُو مُحَاسِنُهُ يَضَعُ الْهِنَاءَ مَوَاضِعَ الْغَيْبِ<sup>(١)</sup>

سويد بن أبي لهل

غرة كلامه وشعره قوله<sup>(٢)</sup> :

رُبَّ مَنْ أَنْضَجَتْ غَيْظًا قَلْبَهُ قَدْ تَمَنَّى لِي مَوْتًا لَمْ يُطْعَ<sup>(٣)</sup>  
وِيرَانِي كَالشَّجَا فِي حَلْقِهِ عَسْرًا مَخْرَجُهُ مَا يَنْتَزِعُ<sup>(٤)</sup>  
مُزَبَدٌ يَخْطُرُ مَا لَمْ يَرْتَنِي فَإِذَا أَسْمَعْتُهُ صَوْتِي انْقَمَعَ<sup>(٥)</sup>  
قَدْ كَفَانِي اللَّهُ مَا فِي نَفْسِهِ وَمَتَى مَا يَكْفُ شَيْئًا لَمْ يَضَعْ

(١) هانئ اسم فاعل من هنا الابل يهناها ويهنئها ويهنؤها هنا وهناء بكسر الهاء أى طلالها بالهناء وهو ضرب من القطر أن . وأينق جمع ناقة وجرب جمع أجرب المذكور وجرباء اللانثى والأجرب من به جرب وهو بنور تعلق ابدان الناس والابل . والمعنى ما رأيت هانئ أينق جرب كالذى رأيت اليوم ولا سمعت به . وكان رأى الخنساء أخت صخر تهنا أبلالها فقال فيها ذلك ، ثم خطبها من أبيها فعرض عليها ذلك فقالت ماكنت تاركة بنى عمى كأنهم عوالى الرماح ومرتة تسيخ بنى جشم هامة اليوم أو غد . (٢) هذه الأبيات من قصيدة طويلة عدتها مائة بيت وتمانية أبيات له مسطورة في المفضليات ويقال لها ( اليتيمة ) مطلعها : —

بسطت رابعة الجبل لنا فوصلنا الجبل منها ما اتسع  
(٣) انضاج اللحم : جعله بالطبخ مستويا يمكن أكله ويحسن وهو هنا كناية عن نهاية الكمد الحاصل للقلب ، أو استعارة شبه تحسير القلب وإكμάده بانضاج اللحم الذى يؤكل . وغيطا : مصدر غاظه إذا اغضبه . . والنحويون يوردون هذا البيت شاهدا على أن جملة « أنضجت » فى موضع جر على أنها صفة لمن لأنها تكرة بمعنى انسان بدليل دخول (رب) عليها . وروى البيت أيضا : —

ربما أنضجت غيظا قلب من قد تمنى لى موتا لم يطع  
فلا شاهد فيه . وما حينئذ كافة مهيئة لدخول رب على الجملة ومجرور رب هنا فى محل رفع على الابتداء والخبر أما جملة قد تمنى ولم يطع خبر بعد خبر وأما لم يطع وجملة قد تمنى صفة ثانية  
(٤) الشجا : الغصص ونحوه مقصور يكتب بالالف . (٥) مزبد : من أزيد . وأصل الخطر فى الناس تحريك اليد فى المشى والاختيال بهما . وانقمع : دخل بعضه فى بعض .

لم يضرنى غير أن يحسُدنى فهو يزقو مثل ما يزقو الضوع<sup>(١)</sup>  
ويحيينى إذا لاقيته وإذا يخلو له لحي رتع<sup>(٢)</sup>  
كيف يرجون سقاطى بعد ما جلل الرأس مشيب<sup>(٣)</sup> وصلح<sup>(٤)</sup>

### النجاشى الحرلى

هو شاعر أمير المؤمنين على رضى الله تعالى عنه . وأما شعره قوله :  
إنى امرؤ قلما أثنى على أحدٍ حتى أرى بعض ما يأتى وما يذرُ  
لا تمدحنّ امرأ حتى تجربته ولا تذهبنّ من لم يبله الخبرُ  
وهذا من أحسن الإحسان .

### السمّاح بن ضرار

هو من فحول الخضرمين . ومن أمثاله السائرة قوله :  
لمال المرء يصلحه فينقى مفارقة أعف من القنوع  
وغرة شعره قوله فى عرابة الأوسى :  
رأيتُ عَرَابَةَ الأوسى يسمو إلى الخيرات منقطع القرين .  
إذا ما راية رفعت لجدي تلقّاها عَرَابَةُ باليين  
عمرو بن سعد بكرب

من أمثاله السائرة قوله :

إذا لم تستطعُ امرأ فدعه وجاوزهُ إلى ما تستطيعُ<sup>(١)</sup>

وقوله

ليس الجمالُ بمثزِرٍ فاعلم وإن ردّيتَ بُردا

(١) الضوع : طائر من طيور الليل كالبومة إذا أحس بالصباح صدح .  
قال الأعشى يصف فلاة :

لا يسمع المرء فيها ما يؤنسه بالليل الا نثيم اليوم والضوعا  
ويزقو - يصيح . (٢) رتع : أكل . (٣) السقاط : الفترة . يقول على  
طريق التعجب كيف يؤملون فترتى وسقطى وقد بلغت هذه السن ! (٤) راجع  
الجزء الاول ص ١٦٧ :

إن الجمال مآثرٌ ومناقبٌ أورثنَ مجداً<sup>(١)</sup>

وقوله

ظَلَمْتُ كَأَنِّي لِلرَّماحِ دَرِيَّةٌ أَقَاتِلُ عَنْ أَبْناءِ جَرَمٍ وَفَرَّتِ<sup>(٢)</sup>  
فَلَوْ أَنَّ قَوْمِي أَنْطَقَتْنِي رَمَاحُهُمْ نَطَقْتُ وَلَكِنْ الرَّمَّاحُ أَجَرَّتِ<sup>(٣)</sup>

عمرو بن الاضمر

أمير شعره ، وغرة كلامه ، قوله :

لَعَمْرُكَ مَا ضَاقَتْ بِلَادُ أَهْلِهَا وَلَكِنْ أَخْلَقَ الرِّجَالِ تَضِيقُ

سحيم عبد بنى الحساس<sup>(٤)</sup>

أحسن شعره قصيدته التي أولها :

عَمِيرَةٌ وَدَّعْ إِنَّ تَرَحَّلْتَ غَادِيَا كَفَى الشَّيْبُ وَالْإِسْلَامُ لِلْعَرَّةِ نَاهِيَا

وقوله

أَشْعَارُ عَبْدِ بَنِي الْحَسَّاسِ قُمْنَ لَهُ يَوْمَ الْفَخَارِ مَقَامَ الْأَصْلِ وَالْوَرَقِ<sup>(٥)</sup>  
إِنْ كُنْتُ عَبْدًا فَنَفْسِي حَرَّةٌ كَرَمًا أَوْ أَسْوَدَ الْخَلْقِ إِنْ أَيْضَ الْخَلْقِ

أبو محجن الثقفي

ليس له أحسن وأغزر من قوله :

لَا تَسْأَلِ النَّاسَ عَنْ مَالِي وَكَثْرَتِهِ وَسَائِلِي النَّاسَ عَنْ بَأْسِي وَعَنْ مُخْلَقِي  
هَلْ أَطْعَمَ الطَّعْمَةَ النُّجْلَاءَ عَنْ عَرَضٍ وَأَكْتَمُ السَّرَّ فِيهِ ضَرْبَةَ الْعُنُقِ<sup>(٦)</sup>

(١) يقول - ليس الجمال فيما تلبسه من الثياب بل أن جمال الانسان في أصوله الزكية ، وأفعاله الكريمة ، التي تورث الشرف والمجد . (٢) دريئة : عرصة . وفرت : هربت وجرم : بالفتح قبيلة . (٣) أجرت من الأجرار وهوان يشق لسان الفصيل ويجعل فيه عود لئلا يرضع أمه . يقول - لو أنهم ابلوا في الحرب بلاء حسنا لمدحتهم وذكرت بلاءهم ، ولكنهم قصروا فاجبروا لساني فما أنطق بمدحهم والافتخار بهم . (٤) راجع الجزء الثاني ص ٣٢٢ (٥) الورق عند العرب المال من الابل والغنم ، والورق الفضة . (٦) النجلاء : الواسعة الجرح .

كعب بن سعد

أحسن شعره قوله :

وما أنا للشيء الذى ليس نافعى ويغضبُ منه صاحبي بِقَوُولِ  
ولست بمبدٍ للرجالِ سَرِيرَتِي<sup>(١)</sup> ولا أنا عن أسرارهم بِسَوُولِ

معن بن أوس

كان من الإسلاميين وأمير شعره قوله :

وفى الناس إن رثتُ حبالكَ واصلٌ وفى الأرض عن دار القلي مُتَحَوِّلٌ  
إذا انصرفتُ نفسى عن الشيء لم تكسِدْ إليه بوجهٍ آخرَ الدهرِ نُقِيلُ<sup>(٢)</sup>  
ومن أمثاله السائرة قوله

أَعْلَمُهُ الرمايةَ كلَّ يومٍ فلما اشتدَّ ساعِدُهُ رمانى<sup>(٣)</sup>  
أعلمه الروايةَ كلَّ يومٍ فلما قال قافيةً هجاني

كعب بن جعيل

من الإسلاميين المغلقين كان شاعر معاوية ، ومن غرر شعره قوله :

نَدِمْتُ على شتمى العشيرة بعدما مضى واستنبتت للرواة مذهبهُ  
فأصبحتُ لا أسطيعُ ردًّا لما مضى كما لا يرد الدَّرُّ فى الضرعِ حالِبُهُ<sup>(٤)</sup>

(١) السريرة : كالسر . (٢) رثت : ضعفت والقلى : البغض ، والمعنى واضح .  
والبيتان من قصيدة له قالها يستعطف بها صديقا له آلى أن لا يكلمه أبداً وكان  
معن قد تزوج بأخته فاتفق أنه طلقها ! (٣) قوله « أششد »  
بالشين المعجمة ليس بشيء والرواية المشهورة « استد » بالسين المهملة أى  
استقام . قال ابن برى : هذا البيت ينسب الى معن بن أوس قاله فى ابن أخت  
له . وقال ابن دريد : هو لمالك بن فهم الأزدي وكان اسم ابنه سليمة رماه بسهم  
فقتله فقال البيت . قال ابن برى : ورأيت فى شعر عقيل بن علفة يقوله فى ابنه  
عميس حين رماه بسهم وبعده :

فلا ظفرت يمينك حين ترمى وشلت منك حامله البنان  
(قلت) — والمشهور أنه لمعن كما عزاه إليه كثير من الأئمة منهم الجاحظ  
فى البيان والتبيين ( ج ٣ ص ١١٨ — طبعة الفتوح الأدبية بمصر ) . (٤) البيتان  
— على ما فى كتاب الشعر والشعراء — لأخيه عمير لا له وذلك أنه هجا قومه  
بشعر ثم ندم فقال : ندمت على شتمى العشيرة . . . الخ . .



زياد بن زبير العزري

أمير شعره قوله :

ولست بمفرايح إذا الدهر سرتني ولا جازع من صمّ فيه المتقلب  
ولا أتمنى الشرّ والشرّ تاركى ولكن متى أحل على الشرّ أركب  
وقوله

هل الدهر والأيام إلا كما ترى رزية مالٍ أو فراق حبيب !

أبو الأسود الدؤلى

بعد في التابعين والشيعة والفصحاء وأصحاب النحو وفي البخلاء وفي المفاليح  
ومن غرر شعره في عبيد الله بن زياد وقد كساه جبة خز :

كسائى ولم أستكسه فحمدته أنخ لي يعطينى الجزيل وناصر  
وإن أحت الناس إن كنت مادحاً بمدحك من أعطاك والوجه وافر  
ومن أمثاله السائرة قوله

لا تنهى بعد إذ أكرمتني فشدّيد حالة منزعّة  
لا يكن برقك برقاً خلّباً إن خير البرق ما الغيث معه (١)

زفر بن الحرث

غرة شعره قوله في انهزامه يوم مرج راهط :

أيذهب يوم واحد إن أسأته بصالح أيامي وحسن بلائيا  
ولم ير منى زلة قبل هذه فرارى وتركى صاحبي من ورائيا  
وقد ينبت المرعى على دمن الثرى وتبقى حزازات النفوس كما هي (٢)

---

(١) الخلب : المطمع الخلف . (٢) الدمن . ما تلبد من السرجين وفي الحديث « اياكم وخضراء الدمن » يريد المرأة الحسناء في منبت السوء أى لا تتزوجوها . والثرى : التراب الندى . وحزازات النفوس غيظها

عبد الله بن قيس الرقيات

أمير شعره قوله في مصعب بن الزبير :

إنما مُصْعَبٌ شهابٌ من اللا      تجلّت عن وجهه الظالماء  
يتقى الله في الأمور وقد أله      لمح من كان همّه الإتهاء  
ملكه ملك رافة ليس فيه      جبروت منه ولا كبرياء

المتوكل اللبي

غرّة شعره الذي يتمثل به قوله :

أبدأ بنفسيك فانهما عن غمّيها      فإذا انتهت عنه فأنت حكيم  
فهناك تعذر إن وعظت ويقتدا      بالقول منك وينفع التعليم  
لا تنه عن خلقي وتأتى مثله      عارّ عليك إذا فعلت عظيم<sup>(١)</sup>  
وقوله أيضاً

لسنا وإن أحسابنا كرمّت      يوماً على الأحساب نتكل  
نبى كما كانت أوائلنا      تبني ونفعل مثل ما فعلوا

هذا آخر ما أحببت ذكره ، من مشاهير الشعراء ، ودرر قلائدهم ، وواسطة عقد منظومهم ، معرضاً عن استيفائهم ، واستقصاء أحوالهم وذكر قصائدهم المنتخبة ، وأسماء مقاطيعهم المعجبة ، حيث قد قضى الأئمة منه الوطر ، واستوعبوا النقاط هاتيك الدرر ، مثنياً عنان القلم إلى ذكر ما لهم من العوائد في الخطب والوصايا ، وما لهم من البيان القصيح لدى الخطوب والرزايا ، فقد كان ذلك عندهم من أهم العاوم ، وأعظم ما يتنافس به المتنافسون بعد الشعر المنظوم ، فإن فيه

(١) هذا المعنى من قوله تعالى «أنأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم ؟» . والبيت وجد في قصيدة للأخطل ، وفي أخرى لأبي الأسود الدؤلى . ونسبته الحاتمي لسابق البربري ، ونقل السيوطي عن تاريخ ابن عساكر أنه للطرماح . قال اللخمي في شرح أبيات الجمل : الصحيح أنه لأبي الأسود ، فإن صح ما ذكر عن المتوكل فانما أخذه من شعر أبي الأسود والشعراء كثيراً ما تفعل ذلك . .

دقائق أنظارهم ، ونتائج أفكارهم ، ومنه تعلم منزلة القوم في غور عقولهم ، وعلو درجاتهم في سعة أذهانهم ، ومن الله ( عز اسمه ) استمد التوفيق .

## الخطب والوصايا وما كان من عوائد العرب فيها

من العلوم ما كان عليه العرب أيام جاهليتهم من الأنفة ، والتفاخر بالأحساب والأنساب ، والحفاظ على شرفهم ، وعلو مجدهم وسؤددهم ، حتى حدث ما حدث بينهم من الوقائع والأيام ، والخطوب والمهام ، ولا شك أن كل قوم يتفق لهم مثل ذلك هم أحوج الناس إلى ما يستنهض همهم ، ويوقظ أعينهم ، ويقم قاعدتهم ، ويشجع جبناتهم ، ويشد جنانهم ، ويثير أشجانهم ، ويستوقد نيرانهم ؛ صيانة لعزهم أن يستهان ، ولشوكتهم أن تستلان ؛ وتشفيأ بأخذ النار ؛ وتحرزأ من عار الغلبة وذل الدمار : وكل ذلك من مقاصد الخطب والوصايا ، فكانوا أحوج إليها بعد الشعر لتخليد مآثرهم ، وتأيد مفاخرهم ، وهم أقوم الناس قيلا ، وأقوام قبيلا ، وأفصحهم لسانا ، وأوضحهم بيانا ، وأهداهم سبيلا ، وأسطمهم برهانا ودليلا ؛ كما أنهم أعلام قدرأ ، وأغلام درا ، وأسماهم مبنى ، وأسماهم معنى ، وأدقهم فكرا ، وأرقهم سراً ، وأعرقهم نسباً ، وأعرفهم أبا ، ولذلك كثرت فيهم الخطب والخطباء حتى كان لكل قبيلة من قبائلهم خطيب ، كما كان لكل قبيلة شاعر على ما ذكره الجاحظ في كتاب البيان والتبيين . ولهم خطب يضيق عنها نطاق الحصر ؛ وقد ألف فيها كتب كثيرة : منها كتاب ( غاية الأدب <sup>(١)</sup> في كلام حكماء العرب ) وهو ثلاثة مجلدات ، وكتب أخرى لا يحصرها العدد ، وذكر الجاحظ في البيان نبذة من خطب الجاهلية والاسلام ، وذكر أن العرب من خطبهم ( المعجوز ) وهي خطبة لآل ربيعة ، ومتى تسكلموا فلا بد لهم منها أو من

(١) لعله « الارب » .

بعضها ، و ( المذراء ) وهى خطبة قيس بن خارجة لأنه كان أباً عذرها <sup>(١)</sup> ؛ و ( الشوها ) وهى خطبة سبحان وائل ، وقيل ذلك لها من حسننها ؛ وذلك أنه خطب بها عند معاوية فلم ينشد شاعر ، ولم يخطب خطيب ! والخطب . والوصايا متقاربان فى المفهوم بيد أن الخطب إنما يقصد بها قوم لاعلى سبيل التعيين والتخصيص بخلاف الوصايا ، وإن الخطب إنما تكون فى المشاهد ، والجامع ، والأيام ، والمواسم والتفاخر ، والتشاجر ، ولدى الكبراء والأمراء ، ومن الوفود فى أمر مهم ، وخطب لم ؛ والوصايا بخلافها فى كل ما ذكر فلا تكون إلا لقوم مخصوصين فى زمن مخصوص ، على شىء منصوص ؛ وكثيراً ما كانت تصدر من شخص لعائلة أو سيد لقبيلته عند حلول مرض مخاطر ، أو محاولة نقله ، أو شابه ذلك .

وكان للعرب اعتناء بالخطب فى جاهليتهم أكثر من اعتنائها بها فى إسلامهم ، وكانت لهم فيها عوائد غريبة ، وشئون عجيبة ؛ فمن عوائدهم فيها أنهم كانوا يتخيرون لها أجزل المعانى ، وينتخبون لها أحسن الألفاظ ؛ تحصيلاً لغرضهم ، ونيلاً لمقصدهم ، فإن الألفاظ الرائقة ، والمعانى الجزلة ، أوقع فى النفوس ، وأشد تأثيراً فى القلوب ، وأيقظ للهمم ؛ ولذلك ورد « إن من البيان لَسِحْرٌ » على ما سبق . والأذن للكلام البليغ أصغى وأوعى ، والطبع السليم إلى كل مستحسن أميل ، والترغيب فى العاجل ، والترهيب فى الآجل ، اللذان هما من أهم مقاصد الخطابة ومطالبها العالية إذا لم يكونا بعبارات تحلب القلوب ، وتأخذ بجماعها ، فلا تأثير فيها ولا فائدة منها .

ومن عوائدهم فيها أن الخطيب منهم إذا خطب فى تفاخر وتفاخر وتشاجر ، رفع يده ووضعها ، وأدّى كثيراً من مقاصده بحركات يده ، فذاك أعون له على غرضه ، وأرهب للسامعين له ، وأوجب لتيقظهم ، وهو التمشير المذكور فى قول لمبيد :

(١) أى أول من افتضها ، وهو مجاز .

غَلَبَ تَشَدُّرُ بِالذُّحُولِ كَأَنَّهَا جِئْتُ الْبَدِيَّ رَوَاسِيًا أَقْدَامُهَا  
التشذر رفع اليد ووضعها كما سبق . والذحول جمع ذَحَل بفتح الذال المعجمة  
وسكون الحاء المهملة وهو الحقد . يقول : هم رجال غلاظ الأعناق كالأسود ،  
أى خلقوا خلقة الأسود يهدد بعضهم بعضاً بسبب الأحقاد التى بينهم . ثم سبهم  
بجن ذلك الموضع فى ثباتهم فى الخصام والجدال : يمدح خصومه وكلما كان الخصم  
أقوى وأشد ، كان قاهره وغالبه أقوى وأشد .

ومن عوائدهم فيها أخذ المِخَصْرَةَ بأيديهم ، وهى ما يتوكأ عليه كالعصا ونحوه  
أو ما يأخذ الملك يشير به إذا خاطب ، والخطيب إذا خطب ، فلا يخطبون إلا  
بالمخاصر ؛ وكانوا يعتمدون على الأرض بالقسي ، ويشيرون بالعصا والقنا ؛ ومنهم  
من كان يأخذ المخصرة فى خطب السلم ، والقسي فى الخطب عند الخطوب  
والحروب . واستشهد الجاحظ فى كتاب البيان ما ذكرناه بكثير من شعرهم .

واستحسن العرب فى الخطيب أن يكون جهير الصوت ، ولذلك مدحوا  
سعة الفم ، وذموا صغره ، حتى قيل لأعرابي : ما الجمال ؟ قال : طول القامة ، وضخم  
المهامة <sup>(١)</sup> ، ورحب الشدق <sup>(٢)</sup> ، وبعد الصوت . وسئل أبو المخشن عن ابنه  
المخشن <sup>(٣)</sup> وكان جزع عليه جزعاً شديداً فقال : كان أشدق خُرْطَانِيًّا <sup>(٤)</sup> سائلاً لعابه  
كأنما ينظر من قلبين . كأن ترقوته بوان أو خالفة <sup>(٥)</sup> كأن منكبه كركرة جمل  
نقال <sup>(٦)</sup> ، فقا الله عيني إن كنت رأيت قبله أو بعده مثله . وقيل لأعرابي :  
ما الجمال ؟ قال غُور العينين ، وإشراف الحاجبين ، ورحب الشدقين . وقال  
الشاعر فى عمرو بن سعيد الأشدق :

تَشَادَقَ حَتَّى مَالٍ بِالْقَوْلِ شِدْقُهُ وَكُلُّ خَطِيبٍ (لَا أَبَالِكَ) أَشَدُّ

(١) الرأس (٢) جانب الفم — يالفنح والكسر ١٣١ فى نسخة أبو المخشن عن  
ابنه المخشن

(٤) كبير الأنف (٥) الترقوة : العظم الذى بين تفرقة النحر والعانق .  
والبوان : عمود الخيمة . والخالفة : عمود من أعمدة البيت فى مؤخره .

(٦) المنكب : مجتمع رأس الكتف والعضد . والكركرة : رضى زور البعير .  
وجمل نقال : بطيء لعله لضخم جسمه .

وأنشد أبو عبيدة :

وَصُلَعَ الرُّؤُوسُ عِظَامُ الْبُطُونِ رِحَابُ الشَّدَاقِ طَوَالَ الْقَصْرِ<sup>(١)</sup>

وقال العجير السلولى في شدة الصوت :

وَمِنْهُمْ قَرَعَى كُلَّ بَابٍ كَأَمَّا بِهِ الْقَوْمُ يَرْجُونَ الْأَذِينَ نَشُورُ<sup>(٢)</sup>

فَجَثَتْ وَخَضَمَى يَضْرِفُونَ نِيَّوَهُمْ كَمَا قُصِبَتْ بَيْنَ الشَّفَارِ جَزُورُ<sup>(٣)</sup>

لَدَى كُلِّ مَوْثُوقٍ بِهِ عِنْدَ مِثْلِهَا لَهُ قَدَمٌ فِي النَّاطِقِينَ خَطِيرُ

جَبِيرُ وَمَمْتَدُّ الْعِنَاكِ مُنَاقِلُ بَصِيرُ بِعُورَاتِ الْكَلَامِ خَبِيرُ

فَظُلُ رِداءِ الْعَصَبِ مَلَقَى كَأَنَّهُ سَلَى فَرَسٍ تَحْتَ الرِّجَالِ عَقِيرُ<sup>(٤)</sup>

وَلَوْ أَنَّ الصَّخُورَ الصَّمَّ يَسْمَعْنَ صَلَاقَنَا لُرُحْنَ وَفَى أَعْرَاضِهِنَّ فُطُورُ<sup>(٥)</sup>

وقال مهلهل :

وَلَوْلَا الرِّيحُ أَسْمَعُ أَهْلَ نَجْدٍ صَلِيلَ الْبَيْضِ تُعْرَعُ بِالذُّكُورِ<sup>(٦)</sup>

وَكَانَ شَبِيبٌ يَصِيحُ فِي جَنْبَاتِ الْجَيْشِ إِذَا آتَاهُ فَلَا يَلُوى أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ وَقَالَ

الشاعر فيه :

إِنْ صَاحَ يَوْمًا حَسِبْتَ الصَّخْرَ مُنْهَدِرًا وَالرِّيحَ عَاصِفَةً وَالْمَوْجَ يَلْتَلِطُ

وَالشَّعْرَ فِي ذَلِكَ كَثِيرٌ . وَالْمَقْصُودُ أَنَّ جَهَارَةَ الصَّوْتِ مِمَّا يَمْدَحُ بِهِ الْخَطِيبُ

وَتَكُونُ مِنْ مَحَاسِنِهِ .

(١) صُلَعَ : جمع أصْلَع وهو الذى انحسر شعر رأسه عن مقدمه ، والقصر : الأعناق .

(٢) يقال أذن له فى النىء أذنا وأذينا أى أباحه له - يقول : كأنما القوم نشور يرجون الأذن .

(٣) النيوب : الأسنان خلف الرباعية واحدها ناب ، والصريف : صوت احتكاكها . وقصبت : قطعت . والجزور : الناقة التى تنحر . والشفار بالكسر جمع شفرة بالفتح وهى المدية .

(٤) العصب برد يصبغ ثم ينسج . والسلى : الجلد التى يكون فيها الولد من الناس والمواشى وأن تقطع فى البطن هلكت الأم وهلك الولد . (٥) الصلق : شدة الصوت . والفطور : التسقوق .

(٦) قوله « أهل نجد » يروى موضعه « أهل حجر » حجر قصبه اليمامة . والصليل : الصوت . والذكور : السيوف التى عملت من حديد غير أنيث . ويروى « نقاف البيض يقرع بالذكور » : ويقال : أول كذب سمع فى الشعر هذا والبيت : من قصيدة للمهلهل أوردناها فى الجزء الثانى ص ١٥٤ و ١٥٥

ومن عوائدهم في الخطابة أن يكون الخطيب على زى مخصوص في العامة واللباس تنويراً بشأنه وأدخل في تحصيل الغرض والمقصود . وقد أطنب الجاحظ القول في كتاب البيان على خطب العرب ، وبيان عوائدهم فيها ، وما أورده من الشعر شاهداً على دعواه مما يغني عن ذكره في هذا المقام .

### ذكر نبذة من خطباء العرب في الجاهلية

خطباء العرب أيام الجاهلية كثيرون كثرة شعرائهم ؛ غير أن البعض منهم كان يغلب عليه قول الشعر فيعد في الشعراء ، وينتظم في سلكهم ، وآخرين يغلب عليهم منشور الكلام ، وفصيح البيان ، فيعد من رجال الخطابة شأن كل من غلب عليه معرفة فن من الفنون . فن نظم الشعر لا يعجزه إنشاء الخطب ، وكذلك كثير من الخطباء يعدون من مُفلقى الشعراء . ولما كان أولئك الخطباء لا يحيط بهم نطاق العد والإحصاء ؛ ذكرت بعض أفراد منهم هم كالأمثلة لمن سواهم مع ذكر شيء من مستحسن كلامهم . فمنهم :

#### فسي بن ساعدة الأيادي

هو من أشهر الخطباء ذكراً ، وأرفعهم قدراً قدراً ، حيث روى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كلامه ، وموقفه على جملة الأوراق<sup>(١)</sup> ، وموعظته . وعجب من حسن كلامه وكفى بذلك فخراً له ولقومه على مدى الأيام : فإن هذا شرف تنحط دونه رؤوس الأعلام . وفي الحديث : « يرحم الله قساً ! إني لأرجو يوم القيامة أن يبعث أمة وحده » . وبذلك يعلم أنه لم يكن على دين من الأديان المشهورة ومن نسبته إلى يهودية أو نصرانية فقد لحن في مقاله ، وانحرف عن جادة الصواب وقد سبق له ذكر فيمن كان على التوحيد من العرب ، ونقل شيء من كلامه ، وكذلك مع الشعراء ومنهم .

---

(١) الذي لونه كلون الرماد .

### سحبان وائل الباهلي

هو سحبان بن زُفَر بن إياس الوائلي : وائل باهلة خطيب يضرب به المثل في البيان ، فكانوا إذا أرادوا مدح إنسان بذلك قالوا « هو أخطب من سحبان وائل » أدرك الجاهلية ، وأسلم ، ومات سنة أربع وخمسين ، وحكى الأصمعي قال كان إذا خطب يسيل عرقاً ، ولا يعيد كلمة ، ولا يتوقف ، ولا يقعد حتى يفرغ . وقدم على معاوية وفد من خراسان فيهم سعيد بن عثمان فطلب سحبان فأنى به ، فقال : تكلم ! فقال : انظروا إلى عصا تقوّم من أودي<sup>(١)</sup> ! فقالوا : وما تصنع بها وأنت بحضرة أمير المؤمنين ؟ قال : ما كان يصنع بها موسى وهو يخاطب ربه وعصاه في يده ! فضحك معاوية ، قال : هاتوا عصاه ! فأخذها ، ثم قام فتكلم من صلاة الظهر إلى أن قامت صلاة العصر ما تنحنح ، ولا سعل ، ولا توقّف ، ولا ابتداء في معنى فخرج منه ، وقد بقي عليه شيء فما زالت تلك حالته حتى أشار معاوية بيده فأشار إليه سحبان : أن لا تقطع على كلامي ! فقال معاوية : الصلاة ! فقال : هي أمامك ، ونحن في صلاة وتحميد ، ووعده ووعيد ، فقال معاوية : أنت أخطب العرب ! فقال سحبان : والعجم والإنس والجن ! وما روى من خطبه البليغة : إن الدنيا دار بلاغ ، والآخرة دار قرار ، أيها الناس فخذوا من دار ممركم ، لدار مقرم ، ولا تهتكوا أستاركم ، عند من لا تحفى عليه أسراركم ، وأخرجوا<sup>(٢)</sup> إلى الدنيا قلوبكم قبل أن تخرج منها أبدانكم ، ففيها حبيتم ، ولغيرها خلقتكم ، إذا هلك ، قال الناس : ما ترك ؟ وقالت الملائكة : ما قدم ؟ قال حمزة الأصبهاني في أمثاله في قولهم « هو أبلغ من سحبان وائل » : كان من خطباء العرب وبلغائها ، وفي نفسه يقول :

لقد علم الحىّ اليمانون أننى إذا قلتُ أما بعد أنى خطيبها<sup>(٣)</sup>

(١) اعوجاجى (٢) قوله : وأخرجوا إلى الدنيا قلوبكم . هكذا في الأصل ولعل صحة العبارة : وأخرجوا حب الدنيا من قلوبكم . وذلك ليستقيم المعنى اهـ مصححه (٣) وروى صدره « وقد علمت قيس بن عيلان أننى » وقيس : قبيلة كبيرة ولهذا أنث « علمت » له ، وهو في الأصل أبو قبائل شتى وهو لقب واسمه (الناس) بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان . . . وقد



وهو الذى قال لطلحة الطلحات (١) الخزاعى :

يا طلح أكرم مَنْ بها حَسَبًا وأعظام لتألد (٢)  
منك العطاء فأعطنى وعلى مدحك فى المشاهد

فقال له طلحة : احتكم ١ فقال : برذونك الورد (٣) ، وغلامك الخباز ،  
وقصرك يزرنج (وهى مدينة بسجستان) وعشرة آلاف درهم ١ فقال طلحة : أفـ  
لك ١ لم تسألنى على قدرى وإنما سألتنى على قدرك ، وقدر باهلة (٤) ، ولو سألتنى كل  
قصرلى ، وعبد ، ودابة لأعطيتك ١ ثم أمر له بما سأل ، ولم يزد عليه شيئاً وقال :  
تالله ما رأيت مسألة محكم الأثم من هذا ١ ومنهم :

دوير بن زبير

ابن نهد بن ليث بن أسود بن أسلم الحميرى

كان من الفصحاء ، ومشاهير الخطباء ، وأوصى بنيه وخطبهم فقال : (أوصيكم  
بالناس شراً لا ترحموا لهم عبرة ، ولا تُقبلوا لهم عثرة (٥) ، قصرُوا الأعنة ، وأطيلوا  
الأسنة ، واطعنوا شزراً (٦) ، واضربوا هبراً (٧) ، وإذا أردتم المحاجزة ، فقبل  
المناجزة (٨) ، والمرء يعجز لا محالة بالجد لا بالسكد (٩) ، التجلد ولا التبلد (١٠)

اختلف العلماء فى أول من نطق بأما بعد اختلافا طويلا لا أرى له محلا من  
الأعراب ١ ومن أراداه فليطلبه من الشروح والحواشى القديمة ١

(١) هو أحد الأجواد المشهورين فى الاسلام ، واسمه طلحة بن عبد الله بن  
خلف الخزاعى ، وأضيف الى الطلحات لأنه فاق فى الجود خمسة أجواد اسم  
كل واحد منهم طلحة ، وهم : طلحة الخير وطلحة الفياض ، وطلحة الجود ، وطلحة  
الدراهم ، وطلحة الندى . وقيل : كان فى أجداده جماعة اسم كل طلحة .  
كذا قال ابن الحاجب فى شرح المفصل . والتفصيل فى « خزنة » الامام  
البغدادى ، وغرر الخصائص . (٢) التألد : كل مال قديم . (٣) البرذون :  
التركى من الخيل ، والورد : بين الكميت والاشقر . (٤) قبيلة من اخس قبائل  
العرب — راجع الجزء الثانى ص ١٠٩ (٥) يقال : أقال الله عثرته ، اذا رفعه  
من سقوطه . (٦) معنى الشزرا أن يطعنه من احدى ناحيتيه قال الأصمعى :  
نظر الى شزرا اذا نظر من عن يمينه وشماله وطعنه شزرا كذلك .

(٧) قال ابن دريد يقال هبرت اللحم أهبره هبرا اذا قطعتة قطعا كبيرا .  
(٨) المناجزة فى الحرب المبارزة . (٩) أى يدرك الرجل حاجته وطلبته  
بالجد وهو الحظ

(١٠) أى تجلدوا ولا تبلدوا .

والمنية ولا الدنية<sup>(١)</sup>، ولا تأسوا على فائت وإن عز فقده، ولا تحنوا إلى ظاعن وإن ألف قربه، ولا تطعموا فتطعموا<sup>(٢)</sup>، ولا تهنوا فتخرعوا<sup>(٣)</sup>، ولا يكونن لكم المثل عسوء «إن الموصين بنو سهوان<sup>(٤)</sup>» إذ امت فارحبوا خط مضجعي<sup>(٥)</sup> ولا تضنوا<sup>(٦)</sup> إلى برحب الأرض، وما ذلك بمؤد إلى روحاً<sup>(٧)</sup>، ولكن حاجة نفس خامرها للإشفاق<sup>(٨)</sup>، ثم مات . قال أبو بكر بن دريد في حديث آخر إنه قال :

اليوم يُبْنَى لِلدَّوْنِ بَيْتُهُ<sup>(٩)</sup> يَارُبَّ نَهَبٍ صَالِحٍ حَوَيْتُهُ  
وَرُبَّ قَرْنٍ بَطَلَ أَرْدِيَّتُهُ وَرُبَّ غَيْلٍ حَسَنٍ لَوَيْتُهُ<sup>(١٠)</sup>  
وَمِعْصَمٍ<sup>(١١)</sup> مُخَضَّبٍ ثَلَاثَتُهُ لَوْ كَانَ لِلدَّهْرِ بَلَى أْبَلِيَّتُهُ  
أَوْ كَانَ قَرْنِي وَاحِداً كَفَيْتُهُ

ومن قوله :

أَلْقَى عَلَى الدَّهْرِ رِجْلاً وَيَدَا      والدهر ما أصلح يوماً أفسدا  
يُصْلِحُ مَا أَفْسَدَهُ الْيَوْمَ غَدَا

قال أبو حاتم السجستاني . عاش دويد بن زيد أربعمائة سنة وستاً وخمسين سنة وقال ابن دريد : إن دويد بن زيد كان من المعمرين . قال : ولانعد العرب معمرأ إلا من عاش مائة وعشرين سنة فصاعداً . ومنهم :

(١) أى اختار الموت على العار . وهو مثل - قاله أوس بن حارثة - يضرب لمن يختار التلف على قبح الأحدونة . (٢) الطبع : الدنس . (٣) الوهن الضعف . والخراع والخراعة : اللين ، ومنه سميت الشجرة الخروع للينها . (٤) صوب الميداني في معنى هذا المثل أن يقال : أن الذين يوصون بالشيء يستولى عليهم السهو حتى كأنه موكل بهم ، وهو يضرب لمن يسهو عن طلب شيء أمر به . والسهوان : السهو ، ويجوز أن يكون صفة موصوف محذوف أى رجل سهوان وهو آدم عليه السلام حين عهد إليه فسها ونسى . والمعنى أن الذين يوصون لا بدع أن يسهوا لأنهم بنو آدم عليه السلام . وكذا قالوا واكّل وجهه (٥) أرحبوا وسعوا . وخط المضجع : القبر . (٦) أى لا تبخلوا . (٧) راحة (٨) أى خالطتها المحاذرة والخوف . (٩) المراد بالبيت القبر (١٠) القرن : من يقاومك في علم أو قبال أو غير ذلك . والغيل : بالفتح الساعد الريان الممتلىء (١١) المعصم : موضع السوار من اليد .

### زهير بن جناب بن هبل الحميري

كان سيداً مطاعاً شريفاً في قومه عاش مائتي سنة وعشرين سنة ، وأوقع مائتي وقعة . ويقال كانت فيه عشر خصال لم يجتمعن في غيره من أهل زمانه : كان سيد قومه ، وشريفهم ، وخطيبهم ، وشاعرهم ، وأوفدهم إلى الملوك ، وطبيبهم ( والطب في ذلك الزمان شرف ) وحازي<sup>(١)</sup> قومه ( والحزاة الكهان ) وفارس قومه ، وله البيت فيهم والعدد منهم . وأوصى إلى بنيهِ وخطبهم فقال : يا بنيّ إني قد كبرت سنّي وبلغت حرساً<sup>(٢)</sup> من دهرى فأحكمتني التجارب والأمور تجربة واختيار ، فاحفظوا عني ما أقول وعوه : إياكم والخور<sup>(٣)</sup> عند المصائب ، والتوكل عند النوائب<sup>(٤)</sup> ، فأن ذلك داعية للغم ، وشماتة للعدو<sup>(٥)</sup> ، وسوء ظن بالرب ، وإياكم أن تكونوا بالأحداث مغترين ، ولها آمنين ، ومنها ساخرين ، فإنه ما سخر قوم قط إلا ابتلوا ولكن توقعوها . فإن الإنسان في الدنيا غرض<sup>(٦)</sup> تعاوره<sup>(٧)</sup> الرماة فقصر دونه ، ويجاوز لموضعه ، وواقع عن عيینه وشماله ، ثم لا بد أن يصيبه .

وكان زهير بن جناب على عهد كليب بن وائل ؛ ولم يكن في العرب أنطق من زهير ولا أوجه عند الملوك منه ، وكان لسداد رأيه يسمى كاهناً ، ولم تجتمع

(١) في الصحاح : الحازي الذي ينظر في الاعضاء وفي خيلان الوجه يتكهن انتهى . وقال ابن شميل الحازي أقل علماً من الطارق والطارق يكاد يكون كاهناً والعائف العالم بالأمور والعراف الذي يسم الأرض فيعرف مواقع المياه ويعرف بأي بلد هو . وقال الليث : الحازي النكاهن حزا يحزو يحزى وتحزى وأنشد :

ومن تحزى عاطساً أو طرقة

(٢) قال الزبيدي : الحرس بالفتح الدهر وقيل وقت الدهر دون الحقب وهو مجاز . قال الراجز : « في نعمة عشنا بذلك حرساً » والجمع أحرس بضم الراء انتهى . وقال السيد المرتضى في أماليه ( ج ١ ص ١٧٣ ) : قوله ، حرساً من دهرى — يريد طويلا منه والحرس من الدهر الطويل . قال الراجز « في سنيه عشنا بذلك حرساً » والسنية المدة من الدهر

(٣) الخور : الجبن والضعف .

(٤) التواكل : أن يكل القوم أمرهم إلى غيرهم من قولهم رجل وكل إذا كان لا يكفي نفسه ويكل أمره إلى غيره ويقال رجل وكله تكلة . والنوائب : المصائب .

(٥) الشماتة : اسم من شمت به كفرح يشمت : إذا فرح بمصيبة نزلت به .

(٦) الغرض كل ما نصبته للرعى . (٧) أي تداوله .

قضاةُ إلا عليه وعلى رزاح بن ربيعة . وسمع زهير بعض نسائه تتكلم بما لا ينبغي لامرأة أن تتكلم عند زوجها به فنهاها ، فقالت له : اسكت غنى وإلا ضربتك بهذا العمود : فوالله ما كنت أراك تسمع شيئاً ولا تعقله ! فقال عند ذلك :

ألا يا لقومي لا أرى النجم طالماً ولا الشمس إلا حاجتي يميني  
مُعزَّبتي عند القفا بعمودها تسكون نكيري أن أقول ذريتي<sup>(١)</sup>  
أميناً على سرِّ النساء وربما أكون على الأسرار غير أمين  
فلدموت خير من حجاج مؤطأ مع الغان لا يأتي الحل الحيني<sup>(٢)</sup>

وهو القائل

أبني إن أهلك فقد أورثكم مجداً بذية  
وتركتكم أبناء سا دات زنادكم وريّة<sup>(٣)</sup>  
من كل ما نال الفتى قد نلتُهُ إلا التحية<sup>(٤)</sup>  
ولقد رحلت البازل الكوماء ليس لها وليّة<sup>(٥)</sup>  
وخطبت خطبة حازم غير الضعيف ولا العيية

(١) قوله : معزَّبتي — يعني امراته . يقال معزبة الرجل وحليته وزوجته : كل ذلك امراته . والسر : خلاف العلانية ، والسر أيضاً النكاح . قال الحطيئة : ويحرم سر جارتهم عليهم ويأكل جارهم انف القصاص وقال امرؤ القيس :

الا زعمت بسباسة اليوم اننى كبرت والا يحسن السر امثالى  
وكلام زهير يحتمل الوجهين جميعاً لأنه اذا كبر وهرم لا تنهيه النساء ان تتحدث بحضرته بأسرارهن تهاونا به وتعويلاً على ثقل سمعه وكذلك هرمه وكبره يوجبان كونه أميناً على نكاح النساء اعجزه عنه . (٢) الحجاج : مركب من مراكب النساء . والظعن والاطعان : الهودج ، والظعينة : المرأة في الهودج ولا تكون ظعينة حتى تكون في هودج والجمع ظعائن . وانما خبر عن هرمه وان موته خير من كونه مع الظعن في جملة النساء . (٣) يروي بدل أبناء (ارباب) والزناد جمع زند وزندة وهما عودان يقدح بهما النار ( راجع ص ١٦٧ من الجزء الثاني ) وكنى بزنادكم وريّة عن بلوغهم مأربهم . تقول العرب : وريت بكم زنادى اى بلغت بكم مأحب من النجج والنجاة . ويقال للرجل الكريم وارى الزناد . (٤) التحية : الملك فكانه قال : من كل مانال الفتى قد نلتها الا الملك ، وقيل التحية ههنا الخلود والبقاء (٥) البازل الناقة التى بلغت تسع سنين فهى أشد ما تكون ولفظ البازل في الناقة والجمل سواء . والكوماء : العظيمة السنم . والولية : بردعة تطرح على ظهر البعير تلى جلده .

فالموتُ خيرٌ للفتى فليهلِكَنَّ وبه بقيةُ  
من أن يرى الشيخ البجاء ل وقد يهادى بالمشية<sup>(١)</sup>  
وهو القائل :

ليتَ شعري والدهرُ ذو حَدَثَانٍ أَى حينٍ مَنيتى تُلغاني  
أُسباتٌ على الفراش خفَاتَ أم بكفتى مَفجَعٌ حرَّان<sup>(٢)</sup>  
وقال حين مضت له مائتا سنة من عمره :  
لقد عُمِّرْتُ حتى لا أبالي أحتفى في صباحي أم مساءً<sup>(٣)</sup>  
وحق لمن أنت مائتان عاماً عليه أن يَمِلَّ من النَّوَاء<sup>(٤)</sup>  
ومنهج :

### مرثد الخبير الحميري

وهو مرثد الخبير بن يَنسَكف بن نوف بن مَعْدِيكَرِب بن مُضَنجى . وكان  
قِيلاً تَحَدِّباً على عشيرته ، مُحِبّاً لصلاحهم . وكان من أفصح الفصحاء ، وأخطب  
الخطباء . قال أبو بكر بن دريد : وكان سُكْبَنج بن الحرث أخو عَلس وعَلس هو  
ذو جَدَن ، وميثم بن مَثُوب بن ذى رُعَيْن تنازعا الشرف حتى تشاكنا<sup>(٥)</sup> وخيف  
أن يقع بين حَيَّيْهِمَا شرٌّ فَيَتَفَانِي جَذْمَاهُمَا<sup>(٦)</sup> فبعث إليهما مَرْتَدًا فأحضرهما ليُصْلِحَ  
بينهما ! فقال لهما : إنَّ التَّخَبُّطَ<sup>(٧)</sup> وامتطاء الهجاج<sup>(٨)</sup> ، واستحقاق اللجاج<sup>(٩)</sup> ،

(١) البجاء : كسحاب ، المبجل أو هو الشيخ الكبير السيد العظيم مع جمال ونبل . ويهادى . بماشية الرجال فيستدونه لضعفه والتهادى المنى الضعيف . (٢) السبات : سكون الحركة . والخفات : الضعيف أيضا يقال : خفت الرجل اذا اصابه ضعف من مرض أو جوع . والحران : العطشان الملهب وهو ههنا المحزون على قتله . (٣) الحنف : الهلاك . (٤) الإقامة . (٥) من التشاحن وهى العداوة . (٦) الجذم : الاصل . (٧) قال أبو بكر : التخطيط ركوب الرجل رأسه فى الشر خاصة . (٨) قال المجد : ركب هجاج كقطام ويفتح آخره - ركب رأسه . (٩) الاستحقاق : استفعال من الحقيبة أو من الحقاب فأما الحقيبة فما يجعل فيه الرجل متاعه من خرج أو غيره وحقيبة الجمل التى تكون وراء الرجل تحشى تبنا أو حشيشا . وهذا مثل اما ان يكون أراد أنه احتزم بالهجاج ، أو جعله فى وعائه .

سَيَفْسِكُنَا عَلَى شَمَا هُوَ . فِي تَوَرُّدِهَا بَوَارُ الْأَصِيلَةِ<sup>(١)</sup> ، وانقطاع الوَسِيلَةِ .  
فَتَلَايَا أَمْرًا قَبْلَ انْتِكَاثِ الْعَهْدِ<sup>(٢)</sup> ، وانحلال الْعَقْدِ ، وَتَشَتَّتِ الْأَلْفَةُ ، وَتَبَايَنَ  
السُّهُمَةُ<sup>(٣)</sup> ، وَأَتَمَّا فِي فُسْحَةِ رَافَةِ<sup>(٤)</sup> ، وَقَدَمِ وَاطِدَةٍ<sup>(٥)</sup> ، وَالْمُودَةِ مُثْرِيَةٍ<sup>(٦)</sup> . وَالبَقِيَا  
مُعْرُضَةٍ<sup>(٧)</sup> ، فَقَدْ عَرَفْتُمْ أَنْبَاءَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ مِنَ الْعَرَبِ مِنْ عَصَى النَّصِيحِ ، وَخَالَفَ  
الرَّشِيدَ ، وَأَصْنَى إِلَى التَّمَاطُعِ ، وَرَأَيْتُمْ مَا آلَتْ إِلَيْهِ عَوَاقِبُ سُوءِ سَعْيِهِمْ ، وَكَيْفَ  
كَانَ صَيُورُ<sup>(٨)</sup> أُمُورِهِمْ فَتَلَايَا الْقَرْحَةَ قَبْلَ تَفَاقُمِ النَّأْيِ<sup>(٩)</sup> ، وَاسْتَفْجَالَ الدَّمَاءِ<sup>(١٠)</sup> ،  
وَإِعْوَاظِ الدَّوَاءِ ، فَإِنَّهُ إِذَا سُفِكَتِ الدَّمَاءُ ، اسْتَحْكَمَتِ الشَّحْنَاءُ ، وَإِذَا اسْتَحْكَمَتِ  
الشَّحْنَاءُ ، تَقْضَيْتْ عَرَى الْإِبْقَاءِ<sup>(١١)</sup> ، وَشَمِلَ<sup>(١٢)</sup> الْبَلَاءُ فَقَالَ سَبَّيْعُ : أَيُّهَا الْمَلِكُ !  
إِنْ عَدَاوَةُ بَنِي الْعَلَاتِ<sup>(١٣)</sup> ، لَا تُبْرِئُهَا الْأَسَاةُ<sup>(١٤)</sup> ، وَلَا تَشْفِيهَا الرُّفَاقَةُ ، وَلَا تَسْتَقِيلُ<sup>(١٥)</sup>  
بِهَا السُّكْفَاءُ ، وَالْحَسَدُ السَّكَّامُنَ ، هُوَ الدَّمَاءُ الْبَاطِنُ ، وَقَدْ عَلِمَ بَنُو أَيْبِنَا هَؤُلَاءِ أَنَّا لَمْ  
رَدُّهُ<sup>(١٥)</sup> إِذَا رَهَبُوا ، وَغِيثَ إِذَا أُجْدَبُوا ، وَعَصُدُ إِذَا حَارَبُوا ، وَمَفْزَعُ إِذَا مُسْكَبُوا  
وَأَنَا وَإِيَاهُمْ كَمَا قَالَ الْأَوَّلُ وَهُوَ أَوْسُ بْنُ حَجَرٍ :

إِذَا مَا عَلَوْا قَالُوا أَبُونَا وَأَمْنَا      وَإِسْ لَمْ عَالِينَ أُمُّ وَلَا أَبُ

فَقَالَ مَيْثَمُ : أَيُّهَا الْمَلِكُ ! إِنْ مِنْ نَفْسٍ عَلَى ابْنِ أَبِيهِ الرَّطَامَةُ ، وَجَدَّ بَهُ فِي  
الْمَقَامَةِ<sup>(١٦)</sup> وَاسْتَكْثَرَتْ لَهُ قَلِيلُ الْكَرَامَةِ ، كَانَ قَرِيفًا<sup>(١٧)</sup> بِالْمَلَامَةِ ، وَمُؤَنِّبًا عَلَى تَرْكِ  
الِاسْتِقَامَةِ ، وَإِنَّا وَاللَّهِ مَا نَعْتَدُّ لَهُمْ يَدًا إِلَّا وَقَدْ نَالَهُمْ مَنَا كِفَاؤُهَا ، وَلَا نَذْكُرُهُمْ حَسَنَةً  
إِلَّا وَقَدْ تَطَّلَعَ مِنْهَا إِلَيْهِمْ جَزَاؤُهَا وَلَا يَنْتَفِيأُ لَهُمْ عَلَيْنَا ظُلٌّ نَعْمَةٍ إِلَّا وَقَدْ قَوَّيْهِمْ

(١) شفا البئر والوادي والقبر وما أشبهها : حافته ، والهوة ما انهبط من الأرض أو الوهدة الفامضة منها . والبوار الهلاك . والأصيلة والاصل واحد .  
(٢) الانتكاث : الانتقاض . (٣) القرابة . (٤) أى ناعمة من الرفاهية .  
(٥) ثابتة (٦) أى متصلة مأخوذة من الشرى وهو التراب الندى ، يقال : تربت بك : أى كثرت بك (٧) أى ممكنة قد امكنت من عرضها أى جنبها وناحيتها (٨) الصيور : الأمر الذى يرجع إليه (٩) القرحة : الجرح . ويقال : تفاقم الشئ بينهم إذا وقعت بينهم جراحات وقتل (١٠) اشتداد الدماء .  
(١١) تقضيت : قطعت (١٢) هم (١٣) بنو العلات : بنو أمهات شتى من رجل واحد لأن التى تزوجها على أولى قد كانت قبلها ناهل ثم عل من هذه (١٤) الأطباء واحدهم آس . (١٥) عون (١٦) جذبه : عابه ، والمقامسة : المجلس والمجلس : الناس . (١٧) خليقا .

بَشَرُواها<sup>(١)</sup> ، ونحن بنو فحل مَقْرَم<sup>(٢)</sup> لم تَعُدْ بنا الأمهات ولا بهم ، ولا تَنْزِغْنَا  
أعراق السوء ولا إيام ، فَعَلَّامَ مَطَّ الحدود ، وَخَزَرُ العيون<sup>(٣)</sup> ، والجخيف  
والتصعير<sup>(٤)</sup> . والبأؤ والتكبر ؟ الكثرة عَدَد ، أم لفضل جَلَد . أم لطول مقتعد ؟  
وإننا وإيام لكما قال الأول ( وهو ذو الأصبع العذاني ) :

لَا إِبْنَ عَمَّكَ لَا أَفْضَلْتَ فِي حَسَبٍ عَنِّي وَلَا أَنْتَ دَيَّانِي فَتَخْزُونِي<sup>(٥)</sup>  
ومقايطع الأمور ثلاثة : حربٌ مبيرة ، أو سلمٌ قريرة ، أو مُدَاجَاةٌ وَغَفِيرَةٌ<sup>(٦)</sup> ،  
قال الملك : لَا تَنْدَشِطُوا<sup>(٧)</sup> عَقْلَ الشَّوَارِدِ ، وَلَا تُلْفَحُوا الْعُونَ الْقَوَاعِدَ<sup>(٨)</sup> ،  
وَلَا تُؤَرِّثُوا<sup>(٩)</sup> نِيرَانَ الْأَحْقَادِ ، ففها المثلقةُ المستأصلةُ ، والجائحةُ والأليلة<sup>(١٠)</sup> .  
وَعَفَّوْا بِالْحِلْمِ ، أَبْلَادُ<sup>(١١)</sup> الْكَلَمِ ، وَأَنْبِئُوا إِلَى السَّبِيلِ الْأَرْشَدِ ، وَالْمَنْهَجِ  
الْأَقْصَدِ ، فَإِنَّ الْحَرْبَ تُقْبِلُ بِزَبْرِجِ الْغُرُورِ<sup>(١٢)</sup> وَتُدْبِرُ بِالْوَيْلِ وَالثُبُورِ ، ثُمَّ  
قال الملك :

أَلَا هَلْ أَتَى الْأَقْوَامَ بِذُلَى نَصِيحَةً حَبَوْتُ بِهَا مَنِي سُبُنِيْعًا وَمِيْمًا<sup>(١٣)</sup>  
وَقُلْتُ أَعْلَمَا أَنَّ التَّدَابُرَ غَادَرَتْ عَوَاقِبُهُ لِلذُّلِّ وَالْقُلِّ جُرْمُهَا<sup>(١٤)</sup>  
فَلَا تَقْدَحَا زَنْدَ الْعُقُوقِ وَأَبْقِيَا عَلَى الْعِزَّةِ الْقَعْمَاءِ أَنْ تَهْتَدِمَا<sup>(١٥)</sup>  
وَلَا تَجْنِيَا حَرْبًا تَجْرُ عَلَيْكُمَا عَوَاقِبُهَا يَوْمًا مِنَ الشَّرِّ أَشْمَا

(١) بمثلها (٢) أى سيد شريف والمقرم فى الاصل البعير الذى لا يحمل  
عليه ولا يدال وانما هو للفحلة (٣) الخزر : أن ينظر الرجل الى أحد عرضيه  
يقال انه ليتخازر لى اذا نظر اليه بمؤخر عينه وام يستقبله بنظره .  
(٤) الجخيف : التكبر ومثله البأؤ ، والتصعير : هو أن يعرض المرء بوجهه  
عن الناس فى ناحية من الكبر (٥) راجع الجزء الأول من هذا الكتاب ص ٣٣٨  
(٦) المداجاة : المساترة ، والغفيرة الغفران والعرب تقول ليست فيهم  
غفيرة أى لا يغفرون (٧) لا تحلوا (٨) هذا مثل وأصله فى الأبل يقال لقحت  
الناقة اذا حملت والقحها الفحها ثم ضرب ذلك مثلاللحرب اذا ابتدأت ، وللعون :  
جمع عوان وهى الشيب ويقال الحرب عوان اذا كان قد قوتل فيها مرة بعد مرة  
(٩) أى لا تذكروا (١٠) الجائحة : الاستئصال . والأليلة : الشكل .  
(١١) الأبلاد : الآثار وأحدها بلد ، وللكلم : الجرح (١٢) الزبرج بالكسر  
الزينة من وشى أو جوهر (١٣) حبوت : أعطيت (١٤) الذل : الدلة ،  
والقل : القلة (١٥) القعساء : الثابتة .

فان جُناة الحرب للحين عُرْضةٌ تفوقهم منها الذُّعافُ المَقْشَمُ<sup>(١)</sup>  
 حَذَارٍ فلا تَسْتَنْبِثُوهَا فإنها تغادرُ ذا الأنفِ الأشمَ مَكْشَمًا<sup>(٢)</sup>  
 وقالوا : لا أيها الملك ! بل تَقَبَّلْ نُصْحَكَ ، ونطيع أمرك ، ونُطْفِئُ الشَّائِرَةَ<sup>(٣)</sup>  
 ونَحْلُ الضَّغائن . ونثوبُ إلى السلم . ومنهم :

### الحِثُّ بن كعب المزهمي

كان الحِثُّ هذا من أفصح خطباء زمانه ، قد سلم له طول بابه في البلاغة  
 وعلو شأنه . قال أبو حاتم السجستاني : جمع الحِثُّ بن كعب بنيه لما حضرته  
 الوفاة فقال « يا بني قد أتت عليّ ستون ومائة سنة ما صالحت يميني يمين غادر  
 ولا قنعت نفسي بحلة فاجر ، ولا صبوت بابنة عم ولا كُفَّة<sup>(٤)</sup> ولا طرحت عندي  
 مومسة قناعها<sup>(٥)</sup> ، ولا أبحت لصديق بسر ، وإني لعلّ دين شعيب النّبي ( عليه  
 السلام ) وما عليه أحد من العرب غيري وغير أسد بن خزيمه وتميم بن مر ،  
 فاحفظوا وصيتي ، وموتوا على شريعتي . . . إلهكم فاتقوه يكفيكم المهم من أموركم ،  
 ويصلح لكم أعمالكم . وإياكم ومعصيته لا يحل بكم الدمار<sup>(٦)</sup> ، ويوحش منكم  
 الديار . . . يا بني كونوا جميعاً ولا تفرقوا فتكونوا شيعاً ، وبزوا قبل أن تُبْزُوا ،  
 وإن موتاً في عز ، خير من حياة في ذل وعجز ، وكل ما هو كائن كائن ، وكل جمع  
 إلى تباين ؛ والدهر ضربان : فضرب رخاء ، وضرب بلاء ، واليوم يومان : فيوم  
 حبرة<sup>(٧)</sup> ويوم عبدة ، والناس رجلان : فرجل معك ورجل عليك . . وزوجوا  
 الأَكفاء ، وليستعملن في طيبهن الماء ، وإياكم والورهاء<sup>(٨)</sup> فإنها أدوا الداء ،

(١) تفوقهم : تسقيم الفواق وهو ما بين الحلبتين كأنه يحلب حلبه ثم يسكت ثم يحلب أخرى ، والذعاف بالضم السم ، والمقشم : المخلوط ،  
 والحين : الهلاك (٢) قوله ولا تستنبثوها ، مثل ، أي لا تخرجوا نبيثها وهو  
 ما يخرج من البئر اذا حفرت . يريد لا تشيروا الحرب ، والمكشم : المقطوع .  
 (٣) الهائجة (٤) الضبوة : رقة القلب ، والكنة : امرأة اخي الرجل  
 وامرأة ابن أخيه (٥) المومسة : الفاجرة البغي وأراد أنه لم تبذل عنده  
 وتنبسط كما تفعل مع من يريد الفجور بها (٦) مثل الهلاك وزنا ومعنى .  
 (٧) فرح وسرور (٨) الحمقاء .



وتجنبوا الحقاء ، فإن ولدها إلى أفن يكون<sup>(١)</sup> إلا إنه لا راحة لفاطم القرابة ، وإذا اختلف القوم أمكنوا عدوهم منهم ، وآفة العدد اختلاف الكلمة ، والتفضل بالحسنة يبق السيئة والمكافأة بالسيئة دخول فيها . وعمل السوء يزيل النعماء ، وقطيعة الرحم ، تورث الهم ، وانتهاك الحرمه ، يزيل النعمة ، وعقوق الوالدين يُعقب النكد ، ويمحق العدد ، ويخرب البلد ، والنصيحة تجر الفضيحة ، والفضيحة<sup>(٢)</sup> والحقد يمنع الرشد<sup>(٣)</sup> ولزوم الخطيئة ، يعقب البلية ، وسوء الرعة<sup>(٤)</sup> ، يقطع أسباب المنفعة ، والضغائن تدعو إلى التباين ، يا بني إني قد أكلت مع أقوام وشربت ، فذهبوا وغبرت ، وكأني بهم قد لحقت . ثم أنشأ يقول :

« أكلت شبابي فأفنيته<sup>(٥)</sup> وأنصيت من بعد دهري دهورا<sup>(٦)</sup>  
ثلاثة أهلين صاحبهم فبادوا وأصبحتُ شيخاً كبيراً<sup>(٧)</sup>  
قليل الطعام عسير القيام قد ترك الدهر خطوي قصيرا  
أيت أراعي نجوم السماء أقلبُ أمري بطونا ظهورا  
ومنهم :

#### قيس بن زهير العبسي

كان هذا أيضاً من ذوى الفصاحة والبيان ، وعذوبة المنطق وذرب اللسان<sup>(٧)</sup> ومن أخباره ومستحسن كلامه ، مارواه ابن الكلبي ، قال : لما كان بعد يوم الهباءة جاور قيس بن زهير العبسي النمر بن قاسط ، فقال لهم « إني جاورتكم ، واخترتكم ، فزوجوني امرأة قد أدبها الغنى . وأذلها الفقر ، في حسب وجمال ، فزوجوه ( ظبية ) ابنة ( الكيس النمري )<sup>(٨)</sup> » وقال لهم « إن فيّ خلافاً ثلاثاً :

(١) الافن : الحمق (٢) هذا يشبه أن يكون معناه ان النصيح اذا نصح لمن لا يقبل نصيحته ، ولا يصغى الى موعظته ، فقد افتضح عنده لأنه افضى اليه بسرّه « وابعاح بمكنون صدره (٣) العطاء (٤) يقال فلان حسن الرعة والتورع أى حسن الطريقة (٥) انصيت ابليت (٦) بادوا: ذهبوا وانقطعوا (٧) أى فصاحة اللسان (٨) يأتى ذكره فى النسايين قريبا .

إني غيور ، وإني فخور ، وإني آنف . ولست أخفر حتى أبداً ، ولا أغار حتى أرى  
ولا آنف حتى أظلم « فرضوا أخلاقه - فأقام فيهم حتى ولد له . فلما أراد الرحيل عنهم  
قال : « إني موصيكم بخصال وناهيك عن خصال : عليكم بالأناة فإن بها تدرك الحاجة  
وتفال الفرصة ، وتسويد من لا تعاون بتسويده ، وعليكم بالوفاء فإن به يعيش الناس  
وبإعطاء من تريدون إعطاءه قبل المسألة ، ومنع من تريدون منعه قبل الإلحاح  
وإجارة الجار على الدهر ، وتنفيس المنازل عن بيوت اليتامى ، وخلط الضيف  
بالعيال ، وأنها كم عن الغدر ، فإنه عار الدهر ، وعن الرهان فإن به تشكلت مالسكاً  
أخى ، وعن البغى فإنه قتل زهيراً أبى ، وعن الإعطاء في الفضول فتعجزوا عن  
الحقوق ، وعن السرف في الدماء فإن يوم الهباءة ألزمنى العار ، ومنع الحرم إلا  
من الأكفاء ، فإن لم تصيبوا لمن الأكفاء فإن خير منا كعبن القبور أو خير  
منازلها ؛ واعلموا أنى كنت ظالماً مظلوماً : ظلمنى بنو بدر بقتلهم مالسكاً أخى  
وظلمتهم بأن قتلتم من لا ذنب له »

ثم رحل عنهم إلى غمار فتنصر بها وعف عن المال كل حتى أكل الحنظل  
إلى أن مات . ومنهم :

### الربيع بن ضبيع<sup>(١)</sup> الفزاري

كان من الخطباء الجاهليين ، وقد أدرك زمن الإسلام لأنه كان من المعمرين .  
ويقال إنه بقى إلى أيام بنى أمية . وروى أنه دخل على عبد الملك بن مروان فقال  
له : يا ربيع ! أخبرنى عما أدركت من العمر والمدى ورأيت من الخطوب الماضية .  
فقال أنا الذى أقول :

ها أنا ذا آمُلُ الخلودَ وَقَدْ أَدْرَكَ عَقْلِي وَمَوْلَدِي حُجْرًا<sup>(٢)</sup>

فقال : قد رويت هذا من شعرك وأنا صبيّ ! قال : وأنا القائل :

(١) كذا ، وفي الإصابة « طبعة السعادة » ضبيح ، وفي الاقتضاب ص ٣٦٩  
وإمامى المرتضى ج ١ ص ١٨٣ والدرر اللوامع ج ١ ص ٢١٠ : ( ضبيح ) .  
(٢) يريد بحجر أبا امرئ القيس .

إذا عاش الفتي مائتين عاماً فقد ذهبَ اللذاذَةُ والفتَاةُ<sup>(١)</sup>  
 قال : قد رويت هذا من شعرك وأنا غلام ! وأبيك يا ربيع لقد طلبك جد غير  
 عائر ، ففصل لي عمرك ! قال : عشت مائتي سنة في فترة عيسى عليه السلام ،  
 وعشرين ومائة في الجاهلية ، وستين في الإسلام ! قال : أخبرني عن فتية في قریش  
 متواطئ الأسماء ! قال : سل عن أيهم شئت ! قال : أخبرني عن عبد الله بن عباس .  
 قال : فهم وعلم ، وعطاء جذم<sup>(٢)</sup> ، ومقرى ضخم<sup>(٣)</sup> . قال : فأخبرني عن عبد الله بن  
 عمر . قال : حلم وعلم ، وطول كظم ، وبعد من الظلم قال فأخبرني عبد الله بن  
 جعفر . قال : ريحانة طيب ريحها ، لين مسما ، قليل على المسلمين ضررها . قال :  
 فأخبرني عن عبد الله بن الزبير ، قال جهل وعز ، ينحدر منه الصخر ، قال : لله درك  
 يا ربيع ما أعرفك بهم ! قال : قرب جوارى ، وكثرة استخبارى . . قال السيد  
 المرتضى في كتابه غرر الفوائد : إن كان هذا الخبر صحيحاً فيشبهه أن يكون سؤال  
 عبد الملك له إنما كان في أيام معاوية لا في ولايته ، لأن الربيع يقول في الخبر عشت  
 في الإسلام ستين سنة وعبد الملك ولى في سنة خمس وستين من الهجرة فإن كان  
 صحيحاً فلا بد مما ذكرناه ، فقد روى أن الربيع أدرك أيام معاوية . ويقال إن الربيع  
 لما بلغ مائتي سنة قال :

ألا أبلغُ بنيَّ بني ربيع فأشرارُ البنينَ لكم فداء  
 باني قد كبرتُ ودقَّ عظمي فلا تشغلُّكمُ عني النساءُ  
 فإنَّ كُنائتي للنساءِ صدقٍ وما آلى<sup>(٤)</sup> بني ولا أساؤا  
 إذا كانَ الشتاءُ فأدفئوني فإنَّ الشيخَ يهدِّمُهُ الشتاءُ<sup>(٥)</sup>

(١) قوله « مائتين عاماً » الوجه حذف النون وخفض عام إلا أنها شبيهة  
 للضرورة بالعشرين ونحوها مما يثبت نونه وينصب ما بعده ، وروى أيضاً  
 « تسعين عاماً » ولا ضرورة فيه على هذا ، ولكنها رواية لا تصح . .  
 (٢) سريع ، وكل شيء تسرعت فيه فقد جدمته (٣) المقرى : الاناء الذي  
 يقرى فيه (٤) ما قصر (٥) يستشهد النحاة بهذا البيت على مجيء (كان)  
 في حال تمامها بمعنى حدث . ويهدمه من هدمت البناء ويروى يهرمه أى يضعفه

وَأَمَّا حِينَ يَذْهَبُ كُلُّ قُرٍّ      فَيَرَبَّالَ خَفِيفٌ أَوْ رِدَاءُ<sup>(١)</sup>  
إِذَا عَاشَ الْفَتَى مَائَتَيْنِ عَامًا      فَقَدْ ذَهَبَ اللِّذَازَةُ وَالْفَتَاةُ

وقال حين بلغ مائتين وأربعين سنة :

أَصْبَحَ مِنِّي الشَّبَابُ قَدْ حَسِرًا      إِنْ كَانَ وَلَّى فَقَدْ نَوَى عُصْرًا  
وَدَعَانَا قَبْلَ أَنْ نُودَّغَهُ      لَمَّا قَضَى مِنْ جَاعِنَا وَطَرًا  
هَإِنَّا ذَا آمَلُ الْخُلُودَ وَقَدْ      أَدْرَكَ عَقْلِي وَمَوْلَى حُجْرًا  
أَبَا امْرِئِ الْقَيْسِ هَلْ سَمِعْتَ بِهِ      هِيَهَاتَ هِيَهَاتَ ! طَالَ ذَا مُعْمَرًا<sup>(٢)</sup>  
أَصْبَحْتُ لَا أَحِلُّ السِّلَاحَ وَلَا      أَمْلِكُ رَأْسَ الْبَعِيرِ إِنْ نَفَرَا  
وَالذُّبُّ أَخْشَاهُ إِنْ مَرَزْتُ بِهِ      وَحْدَى وَأَخْشَى الرِّيحَ وَالْمَطَرَا  
مِنْ بَعْدِ مَا قُوَّةُ أَسْرُ بِهَا      أَصْبَحْتُ شَيْخًا أَعَالِجُ الْكِبَرَا  
قوله عطاء جذم : أى سريع وكل شيء أسرع فيه فقد جذمته ، وفي الحديث : إذا أذنت فترسل وإذا أقت فأجذم . والمقرى الإناء الذى يقرى فيه . وقوله : ما آلى بنى ولا أساءوا ، أى لم يقصروا والآلى المقصر . ومنهم :

أَبُو الطَّمْحَانِ الْقَيْنِ

واسمه حنظلة بن الشرقى من بنى كنانة بن القين . قال أبو حاتم : عاش أبو الطمجان القين مائتي سنة فقال فى ذلك :

حَنَنْتْنِي حَانِيَاتُ الدَّهْرِ حَتَّى      كَأَنِّي خَانِلٌ أَدْنُو لِحَصِيدِ  
قَرِيبُ الْخَطْوِ يُحْسِبُ مِنْ رَأْنِي      وَلَسْتُ مُقَيَّدًا — أَنَّى بَقِيدِ  
قال أبو حاتم السجستاني : وحدثني عدة من أصحابنا أنهم سمعوا يونس بن حبيب ينشد هذين البيتين ، وينشد أيضاً :

تَقَارَبَ خَطَاؤُ رَجُلِكَ يَا دَرِيدَ<sup>(٣)</sup>      وَقَيَّدَكَ الزَّمَانُ بِشَرِّ قَيْدِ

(١) القر : البرد . والسربال بالكسر ما يلبس من قميص أو درع  
(٢) أى ما أطول هذا العمر (٣) فى أمالى المرتضى (ج ١ ص ١٨٦) : «ياسويد»

« وهو القائل »

ولمّا من القوم الذين همُّ همُّ  
نجومُ سماءٍ كلّما غابَ كوكبٌ  
إذا ماتَ منهم سيّدٌ قامَ صاحبهُ  
بدأ كوكبٌ تأوى إليه كواكبهُ<sup>(١)</sup>  
أضاءتْ لهم أحسابهم ووجوههم  
دجى الليل حتى نظمَ الجزعَ ثاقبهُ<sup>(٢)</sup>  
وما زال منهم حيث كان مُسوّداً  
تسيرُ المنايا حيث ساررتْ كتابتهُ

ومعنى البيتين الأولين يُشبه قول أوس بن حجر<sup>(٣)</sup> :

إذا مُقرّمٌ منّا ذرّاً حدّةً نابِه  
تخمطُ فينا ناب آخر مُقرّم<sup>(٤)</sup>

ولطفيل الغنوى مثل هذا المعنى وهو قوله :

كواكبٌ دجنٌ كلّما انقضَّ كوكبٌ  
بدا وانجلّتْ عنه الدُجْنَةُ كوكبٌ<sup>(٥)</sup>

وقد أخذ هذا المعنى الخزيمى فقال :

إذا قرّ منّا تغورٌ أو خبّا  
بدا قرّ فى جانب الأفق يلمعُ

ومثل ذلك

خِلافَةُ أهلِ الأرضِ فينا وِرائَةُ  
إذا ماتَ منّا سيّدٌ قامَ صاحبهُ

ومثله

إذا سيّدٌ منّا مَضَى لسبيله  
أقامَ عمودُ الملكِ<sup>(٦)</sup> آخرُ سيّدٍ

ومنهـم :

ذو الرصبع العمروالى

قد ذكرنا نبذةً من أحواله فى الكلام على حكام العرب<sup>(٧)</sup> ، وكما كان من

(١) راجع ص ١٢٨ من هذا الجزء (٢) راجع الجزء الأول ص ٥٦

(٣) بفتححتين وليس فى اسماء الاشخاص على هذا البناء غير هذا

(٤) المقرم : الرجل الشريف ، والتخمط : الاخذ والقهر بغلبة كذا فى التاج ، وفى الاساس : تخمط ناب البعير ظهر وارفع . والنشد البيت

(٥) الدجن والدجنة : الظلمة . وانقض : سقط .

(٦) فى نسخة « الدين » (٧) ج ١ ص ٣٣٥

حكاهم فهو من أفصح خطبائهم ؛ فلذلك اقتضى المقام إيراد شيء من مستحسن كلامه . قال أبو الفرج الأصبهاني في كتابه الأغاني : ولما احتضر ذو الأصبغ دعا ابنه أسيد فقال له : « يا بني إن أباك قد فني وهو حي ، وعاش حتى سيم العيش ؛ وإني مؤصيك بما إن حفظته بلغت في قومك ما بلغته فأحفظ عني ؛ ألن جانبك لقومك يُحبوك ، وتواضع لهم يرفعوك ، وابسط لهم وجهك يطيعوك ، ولا تستأثر عليهم بشيء يسودوك ، وأكرم صغارهم كما تكرم كبارهم يكرمك كبارهم ويكبر على مودتك صغارهم ، واسمح باللك ، واحم حريمك ، واعزز جارك ، وأعن من استعان بك ، وأكرم ضيفك ، وأسرع النهضة في الصريخ ، فإن لك أجلاً لا يعدوك . وصن وجهك عن مسألة أحد شيئاً فبذلك يتم سؤددك » ثم أنشأ يقول

أسيدُ إن مالا ملكنا      تَفسِرُ به سِيراً جميلاً  
آخ الكرام إن استطعت م إلى إخوانهم سيلاً  
واشرب بكأسهم وإن شربوا به السُّمَّ الثمِلاً<sup>(١)</sup>  
أهين اللئام ولا تكن لإخوانهم جلاً ذلولاً  
إن الكرام إذا تواخيمهم وجدت لهم قبولاً  
ودع الذي يعد المشير      أن يسيل وان يسيلاً  
أبني إن المال لا يهكي إذا فقد البخيلاً

ومنههم :

الأوس بن حارثة

قال أبو بكر بن دريد : حدثني عمي عن أبيه عن هشام بن محمد بن السائب الكلبي عن عبد الرحمن بن أبي قيس الأنصاري قال . عاش الأوس بن حارثة دهنراً وليس له ولد إلا مالك وكان لأخيه الخزرج خمسة أولاد : عمرو . وعوف .

(١) المنقح

وجشم . والحرق . وكعب . فلما حضره الموت قال له قومه : قد كنا نأمرك بالتزوج في شبابك فلم تتزوج حتى حضرك الموت ا فقال الأرس : لم يهلك هالك ترك مثل مالك ، وإن كان الخزرج ذا عدد ، وليس لمالك ولد ، فلعل الذي استخرج العذق من الجريمة <sup>(١)</sup> ، والنار من الوثيمة أن <sup>(٢)</sup> يجعل للمالك نسلا ، ورجالاً <sup>(٣)</sup> يا مالك ! النية ولا الدنية <sup>(٤)</sup> والعقاب قبل العقاب <sup>(٥)</sup> ، والتجلد لا التبلد ، واعلم أن القبر ، خير من الفقر ، وشر من الكرم <sup>(٦)</sup> ، وأقبح طاعم المقتف <sup>(٧)</sup> وذهاب البصر خير من كثير من النظر ، ومن كرم الكريم ، الدفاع عن الحريم ، ومن قل ذل : ومن أمر فل <sup>(٨)</sup> ؛ وخير الغنى القناعة ، وشر الفقر الضراعة . والدهر يومان : فيوم لك ويوم عليك ، فإذا كان لك فلا تبطر ، وإذا كان عليك فاصبر ، فكلأهما سينحسر ، وإنما تعز من ترى ويعزك من لا ترى ولو كان الموت يشتري لسلم منه أهل الدنيا ، ولكن الناس فيه مستنون : الشريف الأبلج . واللئيم المملع <sup>(٩)</sup> ، والموت المفيت ، خير من أن يقال لك : هبيت <sup>(١٠)</sup> وكيف بالسلامة ، لمن ليست له إقامة ، وشر من المصيبة سوء الخلف ، وكل مجموع إلى تلف ، وحياك إهلك » : فنشر الله من مالك بعدد بني الخزرج أو نحوهم .  
ومنهم :

(١) العذق : النخلة نفسها بلغة أهل الحجاز ، والجريمة النواة .  
(٢) قال أبو علي القالي : هي الموشومة المربوطة يريد به قدح حوافر الخيل النار من الحجارة . والعرب تقسم بهذا الكلام فنقول : لا والذي أخرج العذق من الجريمة والنار من الوثيمة لا فعلت كذا وكذا انتهى ، والعرب في الجاهلية إيمان كثيرة الف فيها النجيم رسالة ، نشرت مؤخرا في المجلد الأول من مجلة ( الزهراء ) في القاهرة (٣) البسل : الشجمان (٤) راجع ص ١٥٢ من هذا الجزء (٥) مثل يضرب في النهي عن التسرع إلى الشر . (٦) المستقصى (٧) الأخذ بمجلة . (٨) يعني : من قل أنصاره غلب ، ومن كثر أقرباؤه فل أعداءه . . يقال أمر القوم إذا كثر عددهم (٩) هو المناهى في الدناءة واللؤم . (١٠) الهبيت : الأحمق الضعيف .

### أَكْثَمُ بْنُ صَيْفَى الْقَيْمِي

قد ذكرت نبذة لطيفة من ملحه ، وفصيح كلامه ، عند الكلام على  
حكام العرب . وقد اقتضى المقام إيراد شيء من كلامه ، المزرى بعقد الدرّ ونظامه  
فمن ذلك قوله يخاطب قومه بنى تميم ويوصيهم : يا بنى تميم لا يفوتنكم وعظي إن فاتكم  
الدهر بنفسى ، إن بين حَيَزُومِي<sup>(١)</sup> وصدري لكلاماً لا أجِدُ له مواقع إلا أسمعكم  
ولا مقارّاً إلا قلوبكم ، فتلقوه بأسماع مصغية ، وقلوب واعية ، تحمدوا مغبته<sup>(٢)</sup>  
الهوى يقظان ، والمقل راقد ، والشهوات مطلقة ، والحزم معقول ، والنفس مُهملة  
والروية مقيدة ، ومن جهة التواني وترك الروية يتلف الحزم ؛ ولن يعدم المشاور  
مرشداً ؛ والمستبدُّ برأيه موقوف على مداحص الزلل ، ومن سمع سمع به ،  
ومصارع الرجال تحت بروق الطمع ؛ ولو اعتبرت مواقع الحن ما وجدت إلا  
مقائل الكرام ، وعلى الاعتبار طريق الرشاد ، ومن سَلَكَ الجَدَدَ أَمِنَ العِثَارَ<sup>(٣)</sup>  
ولن يعدم الحسود أن يتعب قلبه ، ويشغل فكره ، ويورث غيظه ، ولا تجاوز  
مضرته نفسه ، يا بنى تميم ! الصبر على جرع الحلم أعذب من جناء ثمر الندامة ،  
ومن جعل عرضه دون ماله استهدف<sup>(٤)</sup> للذم ؛ وَكَلِمُ اللِّسَانِ أَنْكَى مِنْ كَلِمِ  
السِّنَانِ<sup>(٥)</sup> ؛ والكلمة مرهونة ما لم تنجم<sup>(٦)</sup> من القم ، فإذا نجمت فهي أسد  
مَحْرَبٌ<sup>(٧)</sup> ، أو نار تلهب ؛ ورأى الناصح اللبيب دليل لا يجوز ، ونفاذ الرأى  
فى الحرب ، أجدى من الطعن والضرب .

وكان ( يريد بن المهلب ) يسلك طريقة الأكثم بن صيفى فى خطبه ووصاياه  
وحكمه ونصائحه فإنها أحسن مسالك البلاغ ، وأرشق أساليب الفصحاء ، فمن ذلك

(١) الحيزوم : الصدر أو وسطه (٢) أى عاقبته (٣) مثل يضرب فى طلب  
العافية والجدد : الأرض المستوية (٤) أى انتصب كالغرض يرمى بالاقاويل  
(٥) أنكى : أشد نكابة أى جرحاً وإفخافاً ، وكلم السنان : جرحه وهو نصل  
الرمح (٦) تنجم : تخرج (٧) بكسر الميم شديد الحرب .



ما أوصى به ابنه مخلداً حين استخلفه على جرجان<sup>(١)</sup> ، وهو قوله : يا بنى إني قد استخلفتك على هذه البلاد ، فانظر هذا الحى من اليمين فسكن لهم كما قال الشاعر :

إذا كنتَ مرتادَ الرجالِ لنفهمهم      قرش واصطنع عند الذين بهم ترمى<sup>(٢)</sup>

وانظر هذا الحى من ربيعة فإنهم شيعتك وأنصارك ، فاقض حقوقهم ، وانظر هذا الحى من تميم فأمطرم ولا تزه لهم ، ولا تدنهم فيطمعوا ، ولا تقصمهم فيقطعوا وانظر هذا الحى من قيس فإنهم أكفاء قومك فى الجاهلية ، ومناصفهم المنابر فى الإسلام ، ورضاهم منك البشر . يا بنى ! إن لأبيك صنائعَ فلا تفسدها فإنه كفى بالمرء نقصاً أن يهْدِم ما بنى أبوه ! وإياك والدماء فإنها لا بُقْيَة معها ، وإياك وشتم الأعراض فإن الحرَّ لا يرضيه عن عرضه عوض ، وإياك وضرب الأَبْشار فإنه عارٌ باقى ووتر مطلوب ؛ واستعمل على النجدة والفضل دون الهوى ، ولا تعزل إلا عن محبٍ أو خيانة ، ولا يمتنعك من اصطناع الرجل أن يكون غيرك قد سبقك إليه ، فإنك إنما تصطنع الرجال لفضلها ، وليكن صنيعك عند من يكافئك عنه العشائر ، احمل الناس على أحسن أدبك يكفوك أنفسهم ، وإذا كتبت كتاباً فأكثر النظر فيه ، وليكن رسولك فيما بينى وبينك من يفقه عنى وعنك ، فإن كتاب الرجل موضع عقله ، ورسوله موضع سره ، وأستودعك الله فلا بد للمودع أن يسكت ، وللمشييع أن يرجع ، وماعف من المنطق وقل من الخطيئة ، أحب إلى أهلك ! وكذلك سلك هذا المسلك المحمود .

ومنهم :

#### قيس بن عاصم النقرى

فمن خطبه الرشيقه ، ووصاياه الأنيقه ، قوله يوصى بنيه : يا بنى خذوا عنى فلا أحد أنصح لكم منى ؛ إذا دفتمونى فانهضوا إلى رحالكم فسودوا أكبركم فإن القوم إذا سودوا أكبرهم خلفوا أباهم ، وإذا سودوا أصغرهم ازدري ذلك بهم

(١) مدينة مشهورة عظيمة بين طبرستان وخراسان .

(٢) راجع ص ١١٤ من هذا الجزء .

في أكتفائهم ؛ وإياك ومعصية الله وقطيعة الرحم ؛ وتمسكوا بطاعة أمرائكم ، فإنهم من رفعوا ارتفع ، ومن وضعوا اتضع ؛ وعايكم بهذا المال فأصلحوه فإنه منبهة للكريم ، وجُذَّةٌ لعرض اللئيم<sup>(١)</sup> ، وإياكم والمسألة فإنها آخر كسب الرجل وأن أحداً لم يسأل إلا ترك الكسب . وإياكم والنياحة فإنى سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ينهى عنها ؛ وادفنوني في ثيابى التى كذت أصلى فيها وأصوم ، ولا يعلم بكربن وائل بمدفنى ؛ فقد كانت بينى وبينهم مشاحنات فى الجاهلية والإسلام ، وأخاف أن يدخلوا عليكم بى عاراً ، وخذوا عنى ثلاث خصال : إياكم وكلّ عرق لئيم أن تلبسوه فإنه إن يسرركم اليوم يسؤمكم غداً ، واكظموا الغيظ ، واحذروا بنى أعداء آبائكم فإنهم على منهاج آبائهم ! ثم قال :

أخيا الضغائن آبالا لنا سلفوا فلن تبديد وللآباء أبناء<sup>(٢)</sup>

قال ابن الكلبي : فيحكى الناس هذا البيت سابقاً للزبيرى وما هو إلا لقيس ابن عاصم . ومنهم :

### عمرو بن كلثوم الغلبى

فإنه كما كان يعد من فحول الشعراء ، كذلك كان من مصاقع الخطباء ؛ وله فى هذا الباب كلام حسن ، على أسلوب مستحسن ، من ذلك قوله يخاطب بنيه : يا بنى إني قد بلغت من العمر ما لم يبلغ أحد من آبائى وأجدادى . ولا بد من أمر مقتبل ، وأن ينزل بى ما نزل بالآباء والأجداد ، والأمهات والأولاد فاحفظوا عنى ما أوصيكم به : إني والله ما عيرت رجلاً قطُّ أمراً إلا عير بى مثله ؛ إن حقاً فحقاً وإن باطلاً فباطلاً ، ومن سبَّ سبَّ ؛ فكفوا عن الشتم فإنه أسلم لأعراضكم وصلوا أرحامكم تعمرداركم وأكرموا جاركم يحسن ثنائكم ، وزوجوا بنات العم بنى العم ، فإن تعديتم بهن إلى الغرباء ، فلا تألوا بهن الأكفاء ؛ وأبعدوا بيوت

(١) الجنة : كل ما وقى . (٢) الضغائن : الاحقاد . وتبديد : تنقطع .

النساء من بيوت الرجال فانه أغض للبصر ، وأعف للذكر ، ومتى كانت المعايضة واللقاء ، ففي ذلك داء من الأدواء ، ولا خير فيمن لا يغار لغيره كما يغار لنفسه ، وقل من انتهك حرمة لغيره إلا انتهكت حرمة ، وامنعوا القريب ، من ظلم الغريب ، فإنك تذلل على قريبك ، ولا يحمل بك ذل غريبك ، وإذا تذازعتم في الدماء ، فلا يكن حثكم للقاء ، فرب رجل خير من ألف ، وود خير من حلف ، وإذا حُدثتم فَمُوا . وإذا حُدثتم فأوجزوا ، فإن مع الإكثار ؛ يكون الإهذار ، وموت عاجل ، خير من ضئى أجل ، وما بكيت من زمان ، إلا دهاى بعده زمان ، وربما شجاني ، من لم يكن أمره عناني ، وما عجبت من أحداثه ، إلا رأيت بعدها أعجوبة . واعلموا أن أشجع القوم العطوف ، وخير الموت تحت ظلال السيوف ، ولا خير فيمن لا روية له عند الغضب ، ولا فيمن إذا عوتب لا يعتب ، ومن لا يرجى خيره ، ولا يخاف شره . فبكؤه خير من درّه <sup>(١)</sup> ، وعقوقه خير من مره ، ولا تبرحوا في حبكم فإنه من أبرح في حب آل ذلك إلى قبيح بغض . وكم زارنى إنسان وزرته ، فانقلب الدهر بنا فبرته . واعلموا أن الحليم سليم ، وأن السيف كلیم ، إني لم أمت ولكن هَرِمْتُ ، ودخلتني ذلة فسكت ، وضعف قاي فاهترت <sup>(٢)</sup> ، سلمكم ربكم وحياكم ا

وقد ذكرت نبذة من غرر شمائل عمروالمذكور عند ذكر شعراء العرب

ومنهم : نعيم <sup>(٣)</sup> بن ثعلبة الكنانى

كان يخطب العرب في الموسم ، وينقادون لأوامره ويمثلونها ويتنهون عما نهى عنه . وهو أول من نسا الشهور . قال أبو بكر الأنبارى : كانوا إذا صدروا من (منى) قام رجل يقال له نعيم بن ثعلبة من بنى كنانة . فقال : أنا الذى لأعاب

(١) يقال : بكأت الناقة بكا وبكاء وبكوا وبكاء اذا قل لبنها . والدر : اللبن .

(٢) أهتر : خرف وذهب عقله من كبر أو مرض أو حزن .

(٣) لم أقف فيما بين يدي بين الامهات والاصول على ما يؤيد صحة هذا الاسم الا فى امالى القالى . وورد فى بعضها فقيم بالفاء فليحقق .

ولا يردلى قضاء ! فيقولون : أنسئنا شهراً أى آخر عنا حرمة المحرم فاجعلها فى صفر .  
وذلك أنهم كانوا يكرهون أن تتوالى عليهم ثلاثة أشهر لا يمكنهم الإغارة فيها  
لأن معاشهم كان من الإغارة فيحل لهم المحرم ويحرم عليهم صفرأ ، فإذا كان فى السنة  
المتبلة حرم عليهم المحرم وأحل لهم صفرأ . فقال الله عز وجل « إنما النسيء زيادة  
فى الكفر »

وقال الشاعر :

أَلَسْنَا النَّاسِئِينَ عَلَى مَعَدَّةٍ شُهُورَ الْحَلِّ نَجْعَلُهَا حَرَامًا ؟  
وقال آخر

وَكُنَّا النَّاسِئِينَ عَلَى مَعَدَّةٍ شُهُورَهُمُ الْحَرَامَ إِلَى الْحَلِيلِ  
وقال آخر

نَسَأُوا الشُّهُورَ بِهَا وَكَانُوا أَهْلَهَا مِنْ قَبْلِكُمْ وَالْعِزُّ لَمْ يَتَحَوَّلِ  
وقد استوعبنا الكلام على النسيء فى الأعمال التى أبطلها الإسلام ، والمقام  
اقتضى إيراد شيء منه . ومنهم :

#### أبو سيرة العروانى

وهو رجل من بنى عدوان اسمه عميلة بن خالد الأعزل . وكان أحد خطباء  
العرب المذكورين وكان له حمار أسود أجاز الناس عليه من المزدلفة إلى منى أربعين  
سنة . وكان يقول : <sup>(١)</sup> أشرق ثبير ، كما نغير <sup>(٢)</sup> ويقول : لا هم إنى بائع بياعه ،  
إن كان إثم فعلى قضاءه . لا هم مالى فى الحمار الأسود . أصبحت بين العالمين أحسد .  
هلا يكاد ذو البعير الجاعد <sup>(٣)</sup> فق أباً سياره الحسد من شر كل حاسد إذا حسد .  
ومن أداة النافثات فى العقد . اللهم حبيب بين نساءنا . وبغض بين رعائنا . واجمل  
المال فى سمحائنا . وفيه يقول الشاعر :

(١) راجع الجزء الأول ص ٢٤٨ .

(٢) أى تسرع الى النحر . (٣) الصلب الشديد .

خلوا الطريقَ عن أبي سيارَةَ وعن مواليه بنى فزارَةَ  
حتى يحيز سالماً حماره مستقبل القبلة يدعو جَارَهُ  
فقد أجار الله من أجاره

وكان خالد بن صفوان والفضل بن عيسى الرقاشي يختاران ركوب الحمير على  
ركوب البراذين ويجعلان أبا سيارة لهما قدوة . ومنهم :

الحِمْزُ بن ذبيان بن لُجَا بن منهب البجلي

كان من مشاهير خطباء العرب وفصحائهم في عصره ؛ وله كلام مستحسن  
تسكلم به في المجمع والمشاهد العظيمة ، والخطوب الصعبة . روى أبو بكر بن دريد  
بسنده إلى ابن السكلي عن أبيه قال : اجتمع طَريف بن العاصي الدوسي وهو جدّ  
طفيل ذي النورين بن عمرو بن طريف والحِمْزُ بن ذُبيان بن لُجَا بن منهب وهو  
أحد المعمّرين عند بعض مَقَاوِلِ<sup>(١)</sup> حِمْزٍ فتفاخرا فقال الملك للحِمْزُ يا حارث ألا  
تخبرني بالسبب الذي أخرج هَجَينانَ مِنّا يَزْعِمَانِ غَنماً لهما فَتَشَاوَلَا<sup>(٢)</sup> بسيفيهما ، فأصاب  
صاحبهم عَقَبَ صاحبنا فمات<sup>(٣)</sup> فيه السيف فَتَزَفَ<sup>(٤)</sup> فمات ، فسألونا أخذ دية  
صاحبنا دية الهَجَينِ<sup>(٥)</sup> وهي نصف دية الصَّريحِ<sup>(٦)</sup> ، فأبى قومي وكان لنا رِبَاءُ<sup>(٧)</sup>  
عليهم فأبينا إلا دية الصريح وأبوا إلا دية الهَجَينِ . وكان اسم هَجَيننا ذُهَيْن بن زَبْرَاءَ  
واسم صاحبهم عَنَقَش بن مُهَيَّرَة ، وهي سوداء أيضاً<sup>(٨)</sup> فتفاقم<sup>(٩)</sup> الأمر بين الحَيَّينِ  
فقال رجل منا :

(١) المَقَاوِلُ والاقِيال هم الذين دون الملك الاعظم (٢) تضاربا

(٣) أي أفسد والعيث الفساد (٤) سال دمه حتى ضعف

(٥) الذي أبوه عربي وأمه ليست عربية (٦) الخالص .

(٧) الرِبَاءُ : الزيادة يقال أربى فلان على فلان في السبب يربى أرباءا  
زاد عليه (٨) كذا في الأصل ولم يتقدم الحكم على شيء بالسوداء فلعله سقط  
من قلم الناسخ عند قوله: زبراء «وهي سوداء» انظر أمالي القالي ج ١ ص ٧٣  
(٩) اشتد .

حُلُومِكُمْ (يا قوم) لا تُفَرِّقُوا بَيْنَهُمَا وَلَا تَقْطَعُوا أَرْحَامَكُمْ بِالتَّذَابُرِ (١)  
وَأَدُّوا إِلَى الْأَقْوَامِ عَقْلَ ابْنِ عَمِّهِمْ وَلَا تُرْهِقُوهُمْ سُبَّةً فِي الْعَشَائِرِ (٢)  
فَإِنْ ابْنُ زَبْرَاءَ الَّذِي فَادَ لَمْ يَكُنْ بِدُونِ مُخْلَيْفٍ أَوْ أَسِيدِ بْنِ جَابِرٍ (٣)  
فَإِنْ لَمْ تُعَاطُوا الْحَقَّ فَالْسَيْفُ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ وَالسَيْفُ أَجْوَرُ جَائِرٍ  
فَتَضَافَرُوا عَلَيْنَا حَسِداً فَأَجْمَعَ ذَوُو الْحِجَا مِنَّا أَنْ نَلْحَقَ بِأَمْنٍ بَطْنٍ مِنَ الْأَزْدِ  
فَلَحَقْنَا بِالْخَمْرِ بْنِ عُمَانَ ، فَوَاللَّهِ مَا قَتَلْتُ (٤) فِي أَعْضَادِنَا نَائِيْنَا مِنْهُمْ (٥) ، وَلَقَدْ أَثَارْنَا (٦)  
بِصَاحِبِنَا وَهُمْ رَاغِمُونَ . فَوَثِبَ طَرِيفُ بْنُ الْعَاصِي مِنْ مَجْلِسِهِ فَجَاسَ بِإِزَاءِ الْحَرْثِ ،  
ثُمَّ قَالَ : تَاللَّهِ مَا سَمِعْتُ كَالْيَوْمِ قَوْلَا أَعْبَدُ مِنْ صَوَابٍ ، وَلَا أَقْرَبُ مِنْ خُطْلٍ (٧)  
وَلَا أَجَابَ لِقَدَحٍ (٨) مِنْ قَوْلِ هَذَا ، وَاللَّهُ أَيُّهَا الْمَلِكُ ، مَا قَتَلُوا بِهِ جِيهِنَهُمْ بِذَاجَا (٩) ،  
وَلَا رَقَوَاهُ بِدَرَجَا ، وَلَا أَنْطَوُا (١٠) بِهِ عَقْلًا ، وَلَا اجْتَفَأُوا بِهِ خَشَلًا (١١) ، وَلَقَدْ أَخْرَجَهُمْ  
الْخَوْفُ عَنْ أَصْلِهِمْ ، وَأَجْلَاهُمْ عَنْ مَحَلِّهِمْ ، حَتَّى اسْتَلَانُوا خَشُونَةَ الْإِزْعَاجِ ، وَجَاءُوا إِلَى  
أَضِيقِ الْوِلَاجِ ، قُلًّا وَذُلًّا (١٢) ! فَقَالَ الْحَرْثُ : أَسْمِعْ يَا طَرِيفُ ؟ إِنِّي وَاللَّهِ مَا إِخْلَاكَ  
كَافَأَ غَرْبِ (١٣) لِسَانِكَ ، وَلَا مَنَّهُنَّهَا شِرَّةَ نَزَوَانِكَ (١٤) حَتَّى اسْطَوَوْا بِكَ سَطْوَةً تَكْفُ  
طِمَاحَكَ (١٥) ، وَتَرُدُّ جِهَاحَكَ ، وَتَكْبِتُ تَتْرُكُكَ (١٦) ، وَتَقْمَعُ تَسْرِعُكَ ! فَقَالَ  
طَرِيفُ : مَهْلًا يَا جَابِرُ لَا تُعْرِضْ لَطَحْمَةِ (١٧) اسْتَدْنَانِي ، وَذَرِّبْ لِسَانِي (١٨) ، وَغَرْبِ  
شِبَاتِي ، وَمَيْسَمِ سِنَانِي ، فَتَكُونُ كَالْأُظْلَى (١٩) الْمَوْطُوءِ ، وَالْعَجَبُ الْمَوْجُوءِ (٢٠) ! فَقَالَ

(١) عزب عنه حلمه وأعزب حلمه كقولك أضل بعيره ، وتدابير القوم :  
اختلفوا وتعادوا (٢) العقل : الدبة ، وأرهقت الرجل عسرا : كلفته ذلك .  
(٣) فاد يفود : مات ، وفاد يفيد : تبخر (٤) أو هن وأضعف  
(٥) وفي بعض النسخ « فأبنا عنهم » (٦) افتعننا من الثأر  
(٧) خطا (٨) الكلام القبيح (٩) خروفا وهو فارسي معرب وكذلك البرق  
فارسي معرب وهو الحمل (١٠) لغة في أعطوا (١١) اجتفأوا : صرعوا ،  
والخشل شجر المقل - وهذه أمثال كلها يريد أنهم لم ينالوا ثأره .  
(١٢) القل : القلة ، والذل : الذلة (١٣) قال الفيومي : الغرب الحدة من  
كل شيء نحو الفأس والسكين حتى قيل أقطع غرب أسانه أي حدته .  
(١٤) منهنها : كافا : والنزوان : الوثوب . وشرته : حدته ونسأطه .  
(١٥) بالكسر النشور والجماح (١٦) تسرعك إلى الشر (١٧) طحمتيه  
السييل بالضم والفتح دفعته (١٨) الذرب : الحدة (١٩) أسفل خف البعير .  
(٢٠) العجب : أصل الذنب ، والموجوء : المقطوع .

الحرث إياي تخاطب بمثل هذا القول ! والله لو وطئتكَ لأَسَخْتُكَ ، ولو وهضتكَ لأَوْهَطْتُكَ (١) ، ولو نَفَحْتُكَ لأَفْدْتُكَ ! فقال طريف . متمثلاً :

وإنَّ كلام المرء في غير كُنْهِهِ (٢) لَسَكَالْفَبْلِ تَهْوَى ليس فيها نِصَالُهَا (٣)  
أما والأصنام المحجوبة ، والأنصاب المنصوبة ! لئن لم تَرْبَعْ على ظَلَمِكَ (٤) ،  
وتَقِفْ عند قدرك ، لأَدَعَنَّ حَزَنَكَ (٥) سَهْلًا وَغَمْرَكَ ضَحْلًا (٦) ، وَصَفَاكَ (٧) وَحَلَا  
فقال الحرث : أما والله لو رُمْتُ ذلك لمرَّغْتَ بِالْحَضِيضِ (٨) وَأُغْصِضْتُ بِالْجَرِيضِ (٩)  
وضاقت عليك الرحاب (١٠) وتقطعت بك الأسباب (١١) ، ولأَلْفَيْتَ لقي تهاداه  
الرَّوَامِسِ (١٢) ، بالسَّهْبِ الطَّامِسِ (١٣) فقال طريف : دون ما ناجتكَ به نَفْسُكَ  
مُتَّارَعَةً أَبْطَالَ ، وحياض أهوال . وحفزة إعجال (١٤) يُمْنَعُ معه تطامن الإمهال ،  
فقال الملك : إيهًا عنك (١٥) فما رأيتُ كالِيَوْمِ مقال رجلين لم يَقْصِبَا (١٦) ولم يَثْلِبَا (١٧)  
ولم يَلْصُوا ولم يَقْفُوا (١٨) ! وشرح هذه الألفاظ يطول ، ومن أراد ذلك فليراجع  
كتب اللغة .

### وأما خطب أهل الصدر الأول من الإسلام

فهي الغاية في الفصاحة ، والمنتهى في البراعة والبلاغة ؛ وفي كتب الأدب  
الدائرة في الأيدى شيء كثير من خطب الخلفاء الراشدين وغيرهم مما تتحير

- (١) وهضتك : كسرتك ، وأوهطتك : اهلكتك وقيل صرعتك .  
(٢) أي في غير وقته (٣) جمع نصل وهو حديدة السهم .  
(٤) لم تربع : لم تكف وترفق . والظلع : الغمز (٥) الحزن : ما غلظ من  
الأرض بخلاف السهل (٦) الغمر : الماء الكثير ، والضحل الماء القليل .  
(٧) جمع صفاة وهي الصخرة (٨) القرار من الأرض إذا اتصل بالجبل  
وفي الحديث : أن العدو بعرة الجبل ونحن بحضيضه فالعرعة أعلاه  
والحضيض أسفله (٩) الريق : وفي المثل « حال الجريض ، دون القريض »  
وهو يضرب لامرء يعوق دونه عائق (١٠) الأراضي الواسعة (١١) أي الوصلات ،  
الواحد سبب ووصلته وأصل السبب الجبل يسند بالشيء فيجذب  
به ثم جعل كل ما جر شيئاً سبباً (١٢) الرياح النوى ترمس أي تدفن  
(١٣) السهب : المستوى من الأرض والطامس : الدارس  
(١٤) الحفز : الدفع (١٥) قال أبو زيد « إيهًا » نهى ، و « إيه » أمر  
(١٦) أي لم يشتما ، يقال قصبه يقصبه إذا وقع فيه وأصل القصب القطع  
(١٧) أي لم يعيبا وينقصا (١٨) لصاه : قذفه ، وقفاه يقفوه : قذفه  
بأمر عظيم .

منه أولو الألباب ، وتقضى منه العجب العجائب ؛ قد اشتملت على الحكم والأسرار وما يستوجب خيري الدنيا والآخرة دار القرار ، وما يقرب إلى مرضاة الله تعالى ويباعد عن دار البوار . هذا كتاب نهج البلاغة <sup>(١)</sup> قد استودع من خطب الإمام علي بن أبي طالب سلام الله عليه ما هو قبس من نور الكلام الإلهي ، وشمس أضيء بفصاحة المنطق النبوي ، وكذلك أهل القرن الثاني فليسوا بأقل فصاحة من العرب العرباء . ولأمن أولئك الخطباء . روى أبو بكر بسنده إلى ابن الكلبي عن أبيه قال : لما قتل عبد الملك مضعب بن الزبير دخل الكوفة فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ثم قال <sup>(٢)</sup> : أيها الناس إن الحرب صعبة مرة ، وإن السلم أمن ومسرّة ، وقد زبنتنا الحرب وزبناها <sup>(٣)</sup> فعرفناها وألفناها ، فنحن بنوها وهي أمنا . أيها الناس ! فاستقيموا على سبيل الهدى ، ودعوا الأهواء المردية ، وتجنبوا فراق جماعات المسلمين ، ولا تسكفونا أعمال المهاجرين الأولين ، وأنتم لا تعملون أعمالهم ولا أظنكم تزدادون بعد الموعظة إلا شراً وإن زداد بعد الإعذار إليكم والحجة عليكم إلا عقوبة ؛ فمن شاء منكم أن يعود بعد لئامها فليعد ، وإنما مثلى ومثلكم كما قال قيس بن رفاعه :

مَنْ يَصْلَ نَارِي بِلَا ذَنْبٍ وَلَا تَرَةٍ يَصْلَ بِنَارِ كَرِيمٍ غَيْرِ غَدَارٍ <sup>(٤)</sup>  
أَنَا النَّذِيرُ لَكُمْ مِنْ مُجَاهِرَةٍ كُنِيَ لَا أَلَامَ عَلَى نَهْيٍ وَإِنْ ذَارِي

(١) كان ابن سيرين يرى عامة ما يروون عن علي رضي الله عنه كذبا لا أصل له ولا سند . قال الشيخ العلامة القبلي في «العلم الشامخ» : وصدق ابن سيرين رحمه الله فان كل قلب سليم ، وعقل غير زائف عن الطريق القويم ، ولب تدرب في مقاصد سالكي الصراط المستقيم ، يشهد بكذب كثير مما في ( نهج البلاغة ) الذي صار عند الشيعة عديل كتاب الله بمجرد الهوى الذي أصاب كل عرق منهم ومفصل ، وليتهم سلكوا مسلك جلاميد الناس ، وأوصلوا ذلك إلى على برواية تسوغ عند الناس ، وجادلوا عن روايتها ولكن لم يبلغوا بها مصنفها . . الخ (٢) أوردتها القلقشندي في صبح الاعشى (ج ١ ص ٢١٥) ببعض اختلاف ، وعزاها لمعاوية رضي الله عنه (٣) أي دفعنا ودفعناها . (٤) صلى بالنار وصلبها صلى من باب تعب : وجد حرها ، والثر : الظلم .



فإن عصيتم مقال اليوم فاعترفوا أن سوف تَلَقَوْنَ خِزْيًا ظاهر العار<sup>(١)</sup>  
لَتَرْجِعُنَّ أَحَادِيثًا مُلَمَّنَةً لَهُوَ الْمُفِيمُ وَلَهُوَ الْمُدَاجِجِ السَّارِ<sup>(٢)</sup>  
من كان في نفسه حَوَاجًا يطلبها عندي فأني له رَهْنٌ بِاصْحَارِ<sup>(٣)</sup>  
أُفِيمٌ عَوَجَتُهُ إِنْ كَانَ ذَا عَوَجٍ كَمَا يُقَوْمُ قِدْحَ النَّبْعَةِ الْبَارِ  
وصاحبُ الْوَتْرِ لَيْسَ الدَّهْرُ مُدْرِكُهُ عِنْدِي وَإِنِّي لَدَرَّاكٌ لَأَوْتَارِي<sup>(٤)</sup>

وروى أبو بكر أيضاً . قال : ولَّى جعفر بن سليمان أعرابياً بعض مياهم  
خطبهم يوم الجمعة فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أما بعدُ فإن الدنيا دار بلاغ  
والآخرة دار قرار ، فخذوا لمقركم من ممركم ، ولا تهتكوا أستاركم ، عند من لا تخفى  
عليه أسراركم ، وأخرجوا من الدنيا قلوبكم قبل أن تخرج منها أبدانكم ، ففيها  
حييتم ، ولنغيرها خلقتكم ، إن الرجل إذا هلك ، قال الناس : ماترك ، وقالت  
الملائكة : ما قدم ، فله آباؤكم . قدّموا بعضاً ، يكن لكم قرصاً ، ولا تُخِلِّفُوا  
كُلاً ، يكن عليكم كُلاً ، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم . وروى أبو بكر  
قال حدثنا أبو عثمان عن التوزي عن أبي عبيدة قال : قعد المأمون الحارثي في نادي  
قومه فنظر إلى السماء والنجوم ثم فكر طويلاً ثم قال : أرعوني أسماعكم ، وأصغفوا  
إليّ قلوبكم ، يبلغ الوعظ منها حيث أريد . طمّح بالأهواء الأشر<sup>(٥)</sup> ، وران<sup>(٦)</sup>  
على قلوبكم السكدر ، وطخّطخ<sup>(٧)</sup> الجهلُ النظر ، إن فيما يرى لمعتبراً لمن اعتبر ،  
أرض موضوعة ، وسماء مرفوعة ، وشمس تطلع وتغرب ، ونجوم تسرى فتعزّب  
وقر تُطالع النّجور ، وتمتقه أدبار الشهور ، وعاجز منثر<sup>(٨)</sup> ، وقول مكدر ،  
وشاب محتضر ، ويفنّ قد غبر<sup>(٩)</sup> وراحلون لا يؤوبون ، وموقوفون لا يفرطون<sup>(١٠)</sup>

(١) الخزي : الهوان (٢) المدلج : الذي يسير من أول الليل . والساري :  
الذي يسير بالليل (٣) الحوجاء : الحاجة . وقوله « فاني له رهن ياصحار »  
أي بالبروز إلى الصحراء فلا استتر عنه ولا امتنع في الأماكن الحصينة .  
(٤) الوتر : الدحل والثار (٥) طمّح : ارتفع وعلا (٦) غلب (٧) أظلم  
(٨) في بعض النسخ : « وعاجز مشر ، وحول مكدر ، وشاب محتضر »  
والمحتضر الذي يموت حدثاً مأخوذ من الخضرة كأنه حصد أخضر .  
(٩) اليفن : الشيخ الكبير ، وغبر : مضى (١٠) أي لا يقدمون .

ومطر يُرْسَلُ بقدر ، فيحيي البشر ، ويورق الشجر ، ويُطلع الثمر ، ويُنبِت الزَّهر .  
وماء يتفجر من الصخر الأيِّر<sup>(١)</sup> ، فيصدع المدَر ، عن أفنان الخَضَر ، فيُحيي  
الأنام ، ويُشبع السَّوَام<sup>(٢)</sup> ، ويُنمي الأنعام ، إنَّ في ذلك لأوضح الدلائل على  
المدير المقدّر ، البارئ المصور ، يا أيها العتول النافرة ، والقلوب النائرة<sup>(٣)</sup> أني  
تؤفكون ، وعن أيّ سبيل تعمهون<sup>(٤)</sup> وفي أي حيرة تهيمون ، وإلى أيّ غاية  
تُوفِضُونَ<sup>(٥)</sup> ؟ لو كُشِفَتِ الأغطية عن القلوب ، وتجلَّت الغشاوة عن العيون ،  
لَصَرَحَ الشك عن اليقين ، وأفاق من نشوة الجهالة<sup>(٦)</sup> ، من استولت عليه الضلالة .  
وما ذكرناه من بديع الخطب ، ومستحسن كلام العرب ، وإن كان قطرة من  
مستعذب بحر ، ودرة فريدة من عقد نَحَر ، فهو كافٍ في هذا المقام ، وكافٍ بأداء  
المقصود والمرام . ومن علومهم :

## علم الانساب

وهو علم يتعرف به أنساب الناس . والعرب في الجاهلية كان لهم مزيد  
اعتناء بضبطه ومعرفة فإِنَّه أحد أسباب الألفة والتناصر . وهم كانوا أحوج شيء  
إلى ذلك حيث كانوا قبائل متفرقين ، وأحزاباً مختلفين ؛ لم تزل نيران الحروب  
متسعة بينهم ، والغارات نائرة فيهم ، فإِنَّهم امتنعوا عن سلطان يهزمهم ، ويكف  
الأذى عنهم ؛ فحفظوا أنسابهم ليكونوا متظافرين به على خصومهم ، ومتناصرين  
على من شاقهم وعاداهم ، لأن تعاطف الأرحام ، وحمية الأقارب ، يبعثان على التناصر  
والألفة ويمنعان من التخاذل والفرقة ، أنفة من استعلاء الأبعد على الأقارب ،  
وتوقياً من تسلط الغرباء الأجانب ؛ وقد روى عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم  
أنه قال « إنَّ الرَّحِمَ إذا تماسست تعاطفت » وقد بلغت العرب بألفة الانساب

(١) على مثال الاصم الصلب (٢) بالفتح الإبل الراعية (٣) يقلل نارت  
نائرة أي هاجت هائجة . (٤) تؤفكون : تصرفون عن الخير . وتعمهون :  
تتحيرون (٥) تسرعون (٦) أي سكرة الجهالة .

تناصرهما على القوى ، وتأيدت به ، واستحكمت به ركن مجدها العلى ، وقد أعذر نبي الله لوط عليه السلام نفسه حين عدم عشيرة تنصره فقال لمن بعث إليهم « لو أن لى بكم قوة أو آوى إلى ركن شديد » يعنى عشيرة مانعة . وقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم « ما بعث الله تعالى من بعده نبياً إلا فى ثروة من قومه » وقال وهب « لقد وردت الرسل على لوط وقالوا إن ركنك أشدُّ » وروى عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أنه كان لا يترك المرء مفرجاً حتى يضمه إلى قبيلة يكون منها . وكل ذلك حث منه صلى الله تعالى عليه وسلم على الألفة وكف عن الفرقة ولذلك قال صلى الله تعالى عليه وسلم « من كثر سواد قوم فهو منهم » وإذا كان النسب بهذه المنزلة من الألفة فقد تعرض له عوارض تمنع منها ، وتبعث على الفرقة المنافية لها ، فلزم أن نصف حال الأنساب ، وما يعرض لها من الأسباب فجعلنا الأنساب أنها تنقسم إلى ثلاثة أقسام : قسم والدون ، وقسم مولودون ، وقسم مناسبون ، ولكل قسم منهم منزلة من البر والصلة وعارض بطراً فيبعث على العقوق والقطيعة ، فأما والدون فهم الآباء والأمهات والأجداد والجندات ، وهم موسومون مع سلامة أحوالهم بخلقين : أحدهما لازم بالطبع . والثانى حادث باكتساب ، فأما ما كان لازماً بالطبع فهو الحذر والإشفاق ، وذلك لا ينتقل عن الوالد بحال ؛ وقد روى عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال « الولد مبخله مجبهة محزنة<sup>(١)</sup> » فأخبر أن الحذر عليه يكسب هذه الأوصاف ، ويحدث هذه الأخلاق ، وقد كره قوم طلب الولد كراهة لهذه الحالة التى لا يقدر على دفعها عن نفسه للزومها طبعاً ، وحدوثها حتماً ؛ وقيل ليحيى بن زكريا (عليهما السلام) ما بالك تسكره الولد ؟ فقال مالى وللولد ! إن عاش كدنى وإن مات هدى ! وقيل

(١) قال المناوى : هذا الحديث متواتر فقد جاء عن بضعة وعشرين من الصحابة ورووه هكذا : « الولد ثمرة القلب وانه مجبهة مبخله محزنة » قوله : « ثمرة القلب » أى لأن الثمرة تنتجها الشجرة والولد نتيجة الأب . وقوله « مجبهة » أى يجبن أبوه عن الجهاد خوف ضيعته ، وقوله « مبخله » أى يمتنع أبوه من الاتفاق فى الطاعة خوف فقره ، وقوله « محزنة » أى يحزن أبوه لمرضه خوف موته .

اعيسى بن مريم عليه السلام : ألا تنزوج ؟ فقال : إنما يحب التكاثر في دار البقاء ! وأما ما كان حادثاً بالاكتساب فهو المحبة التي تنمى مع الأوقات ، وتتغير مع تغير الحالات وروى عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال : « الولد أنوط » يعني أن حبه يلتصق بنياط القلب<sup>(١)</sup> وعنه صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال « لكل شيء ثمرة وثمره القلب الولد » فإن انصرف الوالد عن حب الولد فليس ذلك لبغض منه ولكن لسلوه حدثت عن عقوق ، أو تقصير مع بقاء الحذر والإشفاق الذي لا يزول عنه ولا ينتقل منه ، فقد قال محمد بن علي رضي الله تعالى عنهما : إن الله تعالى رضى الآباء للأبناء فحذرهم فنبههم ، ولم يوصهم بهم ، ولم يرض الأبناء للآباء فأوصاهم بهم ، وإن شر الأبناء من دعاهم التقصير إلى العقوق ، وشر الآباء من دعاهم البر إلى الإفراط . والأمهات أكثر إشفاقاً ، وأوفر حباً ، لما باشرن من الولادة ، وعانين من التريبة ، فإنهن أرق قلوباً ، وألين نفوساً ، وبحسب ذلك وجب أن يكون التعطف عليهن أوفر جزاء لفعلهن وكفاهم لحقهن ، وإن كان الله تعالى قد أشرك بينهما في البر ، وجمع بينهما في الوصية ، فقال تعالى « ووصينا الإنسان بوالديه حسناً » وقد روى أن رجلاً أتى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فقال : « إن لي أمّاً أنا مطيعها : أقمدها على ظهري ، ولا أصرف عنها وجهي ، وأرد إليها كسبي فهل جزيتها ؟ » قال : لا ولا بزفرة واحدة . قال : ولم ؟ قال : « لأنها كانت تخدمك وهي تحب حياتك وأنت تخدمها وتحب موتها » وقال الحسن البصري « حق الوالد أعظم ، وبر الوالد ألزم » . وروى عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال « أنها كم عن عقوق الأمهات ، ووأد البنات ، ومنع وهات » وروى خالد بن معدان عن المقداد قال « سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول : إن الله يوصيكم بأمهاتكم ثم يوصيكم بالأقرب فالأقرب » . وأما المولودون فهم الأولاد ، وأولاد الأولاد ، والعرب تسمى ولد الولد الصفوة ،

(١) النياط بالكسر عرق متصل بالقلب من الوتين إذا قطع مات صاحبه .

وهم مختصون مع سلامة أحوالهم بخلقين : أحدهما لازم ، والآخر منتقل . فأما .  
اللازم فهو الألفة للآباء من تهضم أو حول ، والألفة في الأبناء في مقابلة الإشفاق .  
في الآباء . وقد لحظ أبو تمام الطائي هذا المعنى بقوله :

فأصبحتُ يلقاني الزمانُ لأجله      بإعظامِ مولودٍ وإشفاقِ والدٍ

فأما المنتقل فهو الإدلال ، وهو أول حال الولد ، والإدلال في الأبناء أمس .  
وقد روى عن عمر رضى الله عنه أنه قال : قلت يا رسول الله ! ما بالنارِ نَزَقَ على  
أولادنا ولا يَرْقُونَ علينا ؟ قال «لأننا ولدناهم ولم يلدونا» . ثم الإدلال في الأبناء  
قد ينتقل مع الكبر إلى أحد أمرين : إما إلى البر والإعظام ، وإما إلى الجفاء والعقوق ؛  
فإن كان الولد رشيداً أو كان الأب برأ عطوفا صار الإدلال برأ وإعظماً . وقد  
روى أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال لجرير بن عبد الله : إن حق الوالد  
على الولد أن يخشع له عند الغضب ، ويؤثره على نفسه عند النصب والسغب ،  
فإن المسكافي ليس بالواصل ، ولكن الواصل من إذا قطعت رحمه وصلها ، وإن  
كان الولد غاوياً ، أو كان الوالد جافياً ، صار الإدلال قطيعة وعقوقاً . ولذلك  
قال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم «رحم الله امرأ أعان ولده على بره» . وبشر  
عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه بمولود فقال : ريحانة أشمها ثم هو عن قريب  
ولد بار ، أو عدو ضار ؛ وأما المناسبون فهم من عدا الآباء والأبناء ممن يرجع  
بتعصيب أو رحم ، والذي يختصون به الحمية الباعثة على النصرة وهي أدنى رتبة  
الألفة لأن الألفة تمنع من التهضم . وليس لها في كراهة الخمول نصيب إلا أن  
يقترن بها ما يبعث على الألفة . وحمية المناسبين إنما تدعو إلى النصرة على البعداء  
والأجانب . وهي معرضة لحسد الأعداء والأقارب ، موكولة إلى منافسة صاحب  
بالصاحب ، فإن حرست بالتواصل والتلاطف تأكدت أسبابها . واقترن  
بحمية النسب مصافاة المودة ، وذلك أوكد أسباب الألفة ، وقد قيل لبعض

قريش : أيما أحب إليك أخوك أو صديقك ؟ قال : أخى إذا كان صديقاً !  
وقال مسلمة بن عبد الملك : العيش في ثلاث : سعة المنزل ، وكثرة الخدم ، وموافقة  
الأهل . وقال بعض أهل العلم : البعيد قريب بمودته ، والقريب بعيد بعداوته ؛  
وإن أهملت الحال بين المتناسبين ثقة بلحمة النسب ، واعتماداً على حمية القرابة ،  
غلب عليها مقت الحسد ، ومنازعة التنافس ، فصارت المناسبة عداوة ، والقرابة  
بعداً . وقال الكندي في بعض رسائله : الأب ، رب ؛ والولد ، كمد ؛ والأخ ،  
فخ ؛ والعم غم ؛ والخال ، وبال ، والأقارب ، عقارب . وقال ابن المعتز في معنى  
ذلك :

لحومهم لحمى وهم يأكلونه وما داهيات المرء إلا أقاربه  
ومن أجل ذلك أمر الله تعالى بصلة الأرحام ، وأثنى على واصلها ، فقال تعالى  
« والذين يصلون ما أمر الله أن يوصل ويخشون ربهم ويخافون سوء الحساب »  
قال المفسرون : هى الرحم التى أمر الله بوصلها ، ويخشون ربهم فى قطعها ، ويخافون  
سوء الحساب فى المعاقبة عليها . وروى عن عبد الرحمن بن عوف أن رسول الله  
صلى الله تعالى عليه وسلم قال : يقول الله عز وجل أنا الرحمن وهى الرحم اشتدقت  
لها من اسمى اسماً فمن وصلها وصلته ومن قطعها قطعته . وروى عنه صلى الله تعالى  
عليه وسلم أنه قال : صلة الرحم منبأة للعدل ، مثرة للمال ، محبة فى الأهل ، منسأة  
فى الأجل . وقال الأزدى :

وحسبك من ذل وسوء صنعة معاواة ذى القربى وإن قيل قاطع  
ولكن أواسيه وأنسى ذنوبه لترجمه يوماً إلى الرواجع  
ولا يستوى فى الحكم عبدان واصل وعبد لأرحام القرابة قاطع

والمقصود أن اعتناء العرب بحفظ الأنساب لما يترتب عليه من مقاصدهم التى  
ذكرناها ، والشرعية أكدت ما كانوا عليه ، وندبت بنصوصها إليه ، خلافاً لمن  
زعم أن علم النسب علم لا ينفع وجهل لا يضر . وقد رد ابن حزم فى مقدمة كتاب

النسب على من زعم ذلك بأن في علم النسب ما هو فرض على كل أحد ، وما هو فرض على الكفاية ، وما هو مستحب ؛ قال : فمن ذلك أن يعلم أن محمداً رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم هو ابن عبد الله الهاشمي فمن زعم أنه لم يكن هاشمياً فهو كافر ؛ وأن يعلم أن الخليفة من قریش ، وأن يعرف من يلقاه بنسب في رحم محرمة ليجتنب تزويج ما يحرم عليه منهم ، وأن يعرف من يتصل به ممن يرثه أو يجب عليه بره من صلة أو نفقة أو معاونة ؛ وأن يعرف أمهات المؤمنين وأن نكاحهن حرام على المؤمنين ؛ وأن يعرف الصحابة وأن حبهم مطلوب ؛ وأن يعرف الأنصار ليحسن إليهم لثبوت الوصية بذلك ، ولأن حبهم إيمان وبغضهم نفاق . قال : ومن الفقهاء من يفرق في الجزية وفي الاسترقاق بين العرب والعجم فحاجته إلى علم النسب آكد . وكذا من يفرق بين نصارى بنى تغلب وغيرهم في الجزية وتضعيف الصدقة . قال : وما فرض عمر رضى الله تعالى عنه الديوان إلا على القبائل ، ولولا علم النسب ما تخلص له ذلك ؛ وقد تبعه على ذلك عثمان وعلى وغيرهما .

وقال ابن عبد البر في أول كتابه النسب : ولعمري لم ينصف من زعم أن علم النسب علم لا ينفع وجهل لا يضر ، وقال صاحب كتاب ( نهاية الأرب ، في معرفة قبائل العرب ) : لاختفاء أن المعرفة بعلم الأنساب من الأمور المطلوبة ، والمعارف المندوبة ، لما يترتب عليها من الأحكام الشرعية ، والمعالم الدينية ؛ فقد وردت الشريعة المطهرة باعتبارها في مواضع ، منها : العلم بنسب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وأنه النبي القرشي الهاشمي الذي كان بمكة وهاجر منها إلى المدينة المنورة فإنه لا بد لصحة الإيمان من معرفة ذلك ، ولا يعذر مسلم في الجهل به ، وناهيك بذلك ! ومنها : التعارف بين الناس حتى لا يعتزى أحد إلى غير آبائه ، ولا ينتسب إلى سوى أجداده ، وإلى ذلك الإشارة بقوله تعالى « يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا » وعلى هذا يقترب

أحكام الورثة فيحجب بعضهم بعضاً ، وأحكام الأولياء في النكاح ، فيقدم بعضهم على بعض ، وأحكام الوقف إذا خص الواقف بعض الأقارب ، أو بعض الطبقات دون بعض . وأحكام العاقلة في الدية حتى يضرب الدية على بعض العصابات ؛ وما يجرى مجرى ذلك . فلولا معرفة الأنساب لفات إدراك هذه الأمور وتعذر الوصول إليها ؛ ومنها : اعتبار النسب في كفاء الزوج والزوجة في النكاح ففي مذهب الإمام الشافعي لا يكافي الهاشمية والمطلبية غيرهما من قریش ، ولا يكافي الفرشية غيرها من العرب ممن ليس بقرشي ؛ وفي السكنانية وجهان أحدهما أن لا يكافئها غيرها ممن ليس بكناني ولا قرشي ؛ وفي اعتبار النسب في العجمي أيضاً وجهان أحدهما الاعتبار . وفي مذهب الإمام أبي حنيفة : قریش بعضهم أ كفاء بعض ؛ وبقية العرب بعضهم أ كفاء بعض ؛ وأما في العجم فلا يعتبر النسب عندهم . فإذا لم يعرف النسب تعذرت معرفة هذه الأحكام . ومنها : مراعاة النسب الشريف في المرأة المنكوحة فقد ثبت في الصحيح أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال : « تنكح المرأة لأربع : لدينها وحسبها ومالها وجمالها » فراعى صلى الله تعالى عليه وسلم في المرأة المنكوحة الحسب وهو الشرف في الآباء إلى غير ذلك من الأحكام الجارية هذا المجرى .

### طبقات الأنساب

قال الإمام الماردي في كتاب ( الأحكام السلطانية ) وقد رتبت أنساب العرب ست مراتب فجعلت طبقات أنسابهم وهي : شعب ، ثم قبيلة ، ثم عمارة ثم بطن ، ثم فخذ ، ثم فصيلة . فالشعب النسب الأبعد مثل عدنان وقحطان . سمي شعباً لأن القبائل منه تشعبت . ثم القبيلة وهي ما انقسم فيه أنساب الشعب مثل ربيعة ومضر سميت قبيلة لتقابل الأنساب فيها . ثم العمارة وهي ما انقسم فيه أنساب القبائل مثل قریش وكنانة . ثم البطن وهو ما انقسم فيه أنساب العمارة



مثل بنى عبد مناف وبنى مخزوم . ثم الفخذ وهو ما انقسم فيه أنساب البطن  
مثل بنى هاشم وبنى أمية . ثم الفصيلة وهى ما انقسم فيه أنساب الفخذ مثل بنى  
أبى طالب وبنى العباس . فالفخذ يجمع الفصائل . والبطن يجمع الأخاذ . والعمارة  
تجمع البطون . والقبيلة تجمع العائر . والشعب يجمع القبائل . وإذا تباعدت الأنساب  
صارت القبائل شعوباً . والعائر قبائل انتهى . وقد قسمها الزبير بن بكار فى كتاب  
النسب إلى شعب ، ثم قبيلة ؛ ثم عمارة ( بكسر العين ) ثم بطن ، ثم فخذ ثم فصيلة .  
وزاد غيره قبل الشعب الجذم ، وبعد الفصيلة العشيرة . ومنهم من زاد بعد  
العشيرة الأسرة ، ثم العترة فمثال الجذم عدنان ، ومثال الشعب مضر ، ومثال  
القبيلة كنانة ، ومثال العمارة قريش ، وأمثلة ما دون ذلك لا تحفى . قال : ويقع  
فى اعتباراتهم أشياء مرادفة لما تقدم كقولهم حىّ وبيت وعقيلة وأرومة وجرثومة  
ورھط وغير ذلك . ورتبها محمد بن أسعد النسابة المعروف بالحرانى جمعها وأردفها  
فقال : جذم ، ثم جمهور ، ثم شعب ، ثم قبيلة ، ثم عمارة ، ثم بطن ، ثم فخذ ،  
ثم عشيرة ، ثم فصيلة ، ثم رھط ، ثم أسرة ، ثم عترة ، ثم ذرية . وزاد غيره  
فى أثنائها ثلاثة وهى : بيت وحى وجماع . فزادت على ما ذكر الزبير عشرة .  
وقال أبو إسحق الزجاج : القبائل للعرب كالأسباط لبنى إسرائيل ، ومعنى القبيلة  
الجماعة . ويقال لسكل ما جمع على شىء واحد قبيلة أخذنا من قبائل الشجرة  
وهو غصونها . أو من قبائل الرأس وهو أعضاؤها ، سميت بذلك لاجتماعها ،  
والمراد بالشعوب فى الآية النسب البعيد . وهو قول مجاهد أخرجه الطبرى عنه .  
وذكر أبو عبيدة مثال الشعب مضر وربعة ، ومثال القبيلة من دون ذلك .  
وأشدد لعمر بن أحرر :

من شعب همدان أو سعد العشيرة أو خولان أو مذحج هاجوا له طرباً<sup>(١)</sup>

(١) همدان : يسكنون الميم قبيلة باليمن وجميع ما فى الصحابة والرواة  
ومصنفات الحديث هو نسبة لهذه القبيلة . وأما همدان البلد فهى بالتحريك  
والدال المعجمة ولا ينسب إليها أحد من الرواة لا فى الصحيحين ولا فى غيرهما

ويقال : المراد بالشعوب في الآية بطون العجم ، وبالقبائل بطون العرب ، والله أعلم . وترتيب الإمام الماورديّ هو الأولى بالاعتبار ، وكأن العرب رتبوا ذلك على بنية الإنسان فجعلوا الشعب منها بمثابة أعلى الرأس ، والقبائل بمثابة قبائل الرأس ، وهى القطع المشعوب بعضها إلى بعض يتصل بها الشئون وهى القنوات التى فى القحف لجريان الدمع : وقد ذكر الجوهري أن قبائل العرب إنما سميت بقبائل الرأس وجعلوا العماره تلو ذلك إقامة للشعب ، والقبيلة مقام الأساس من البناء ، وبعد الأساس تكون العماره ، وهى بمثابة العنق والصدر من الإنسان وجعلوا البطن تلو العماره لأنها الموجود من البدن بعد العنق والصدر ، وجعلوا الفخذ تلو البطن لأن الفخذ من الإنسان بعد البطن ، وجعلوا الفصيلة تلو الفخذ لأنها النسب الأدنى الذى يفصل عنه الرجل بمثابة الساق والقدم . إذ المراد بالفصيلة العشيرة الأدنى بدليل قوله تعالى ( وفصيلته التى تؤويه ) أى تضمه إليها ولا يضم الرجل إلا أقرب عشيرته . واعلم أن أكثر ما يدور على الألسنة من الطبقات الست المتقدمة : القبيلة ثم البطن ، وقل أن تذكر العماره ثم الفخذ والفصيلة . وربما عبر عن كل واحد من الطبقات الست بالحقى : إما على العموم مثل أن يقال حى<sup>١</sup> من العرب ، وإما على الخصوص مثل أن يقال حى من بنى فلان . ثم إن ترتيب العرب فى الديوان إذا أثبتوا فيه كالترتيب الذى فعله عمر رضى الله تعالى عنه حين دونهم فإنهم تجمعهم أنساب وتفرق بينهم أنساب ، فترتبت قبائلهم بالقربى من رسول الله صلى الله عليه وسلم فبدأ بالترتيب فى أصل النسب ثم بما تفرع عنه ، فالعرب عدنان وقحطان فقدم عدنان على قحطان لأن النبوة فيهم ، وعدنان تجمع ربيعة ومضر فقدم مضر على ربيعة لأن النبوة فيهم ، ومضر تجمع قريشاً وغير قريش فقدم قريشاً لأن النبوة فيهم ، وقريش تجمع بنى هاشم

---

من كتب الحديث الستة . . وبنو سعد العشيرة : حى من كهلان من القحطانية وجعل فى العبر سعد العشيرة بطناً من ملحج ، ومدحج قبيلة من كهلان . وخولان بطن من كهلان من القحطانية .

وغيرهم فقدم بنى هاشم لأن النبوة فيهم ، فيكون بنو هاشم قطب الترتيب ثم بمن يليهم من أقرب الأنساب إليهم حتى استوعب قریشاً ثم بمن يليهم في النسب حتى استوعب جميع عدنان ، والله يختص بفضله من يشاء .

### ما يجب للنظر في علم الأنساب

لابد للنظر في علم الأنساب من أمور منها ما ذكره الجوهري أن القبيلة هي بنو أب واحد . وقال ابن حزم . جميع قبائل العرب راجعة إلى أب واحد سوى ثلاث قبائل ، وهي : تنوخ ، والعنق ، وغسان ، فإن كل قبيلة منها مجتمعة من عدة بطون<sup>(١)</sup> نعم الأب الواحد قد يكون أباً لعدة بطون ؛ ثم أبو القبيلة قد يكون له عدة أولاد فيحدث عن بعضهم قبيلة أو قبائل فينسب إليه من هو منهم ويبقى بعضهم بلا ولد أو يولد له ولم يشتهر ولده فينسب إلى القبيلة الأولى ومنها إذا اشتمل النسب على طبقة فأكثر كهاشم وقریش ومضر وعدنان جاز لمن في الدرجة الأخيرة من النسب أن ينسب إلى الجميع فيجوز ابنى هاشم أن ينسبوا إلى هاشم وإلى قریش وإلى مضر وإلى عدنان . فيقال في أحدهم الهاشمي والقرشي والمضري والعدناني . بل قد قال الجوهري إن النسبة إلى الأعلى تغني عن النسبة إلى الأسفل فإذا قلت في النسبة إلى كلب بن وبرة السكابي استغنيت أن تنسبه إلى شيء من أصوله . وذكر غيره أنه يجوز الجمع في النسب بين الطبقة العليا والطبقة السفلى ثم بعضهم يرى تقديم العليا على السفلى . مثل أن يقال الأموي العثماني وبعضهم يرى تقديم السفلى على العليا فيقال العثماني الأموي ومنها : أن الرجل قد ينضم إلى غير قبيلته بالخلف والموالاة فينسب إليهم فيقال فلان حليف بنى فلان أو مولاهم . ومنها : أن الرجل إذا كان من قبيلة ثم دخل في قبيلة أخرى

---

(١) أقول : وذلك إن تنوخا اسم لعشر قبائل اجتمعوا وأقاموا بالبحرين . فسموا بتنوخ أخذوا من التنوخ وهو المقام ، والعنق جمع اجتمعوا على النبي صلى الله عليه وسلم فظهر بهم فاعتقهم فسموا بذلك ، وغسان عدة بطون من الاردنزلوا على ماء يسمى غسان فسموا به .

جاز أن ينسب إلى قبيلته الأولى وأن ينسب إلى القبيلة التي دخل فيها ، وأن ينسب إلى القبيلتين جميعاً مثل أن يقال التميمي ثم الوائلي ، أو الوائلي ثم التميمي وما أشبه ذلك . ومنها : أن القبائل في الغالب تسمى باسم الأب الوالد للقبيلة ، كربيعة ومضر والأوس والخزرج ونحو ذلك ، وقد تسمى القبيلة باسم أم القبيلة : كخندف وبجيلة ونحوهما . وقد تسمى باسم خاصة ( خصت أهل تلك القبيلة ) ونحو ذلك وربما وقع اللقب على القبيلة بحدوث سبب كغسان ، فإنهم نزلوا على ماء يسمى غسان فسموا به . وربما وقع اللقب الواحد عليه فسموا به . وقيل غير ذلك مما هو مذكور في كتب الأنساب . ومنها : إذا كان في القبيلة اسمان متوافقان كالحرث والحرث مثلاً وأحدهما من ولد الآخر وبعده في الوجود عبروا عن الوالد السابق منهما بالأكبر وعن اللاحق بالأصغر .

#### منهـب العرب في أسماء القبائل

أسماء القبائل في اصطلاح العرب على خمسة أوجه ( الأول ) أن يطلق على القبيلة لفظ الأب : كعادٍ وثمودٍ ومديّنٍ ، ومن شاكلهم ، وبذلك ورد القرآن كقوله تعالى ( وإلى عادٍ . وإلى ثمودٍ . وإلى مديّنٍ ) يريد بني عاد ، وبني ثمود ، وبني مدين ، ونحو ذلك ، وأكثر ما يكون ذلك في الشعوب والقبائل العظام لاسيما في الأزمان المتقدمة بخلاف البطون والأفخاذ ونحو ذلك ( الوجه الثاني ) أن يطلق على القبيلة لفظ البنوة فيقال بنو فلان . وأكثر ما يكون ذلك في البطون والأفخاذ والقبائل الصغار ، لاسيما في الأزمان المتأخرة ( الوجه الثالث ) أن ترد القبيلة بلفظ الجمع مع الألف واللام كالطالبيّين والجعافرة ونحوهما ، وأكثر ما يكون ذلك في المتأخرين دون غيرهم ( الوجه الرابع ) أن يعبر عنها بآل<sup>(١)</sup> فلان : كآل ربيعة ، وآل فضّل ، وآل عليّ وما أشبه ذلك ؛ وأكثر ما يكون هذا في الأزمنة المتأخرة ، لاسيما عرب الشام ( الوجه الخامس ) أن يعبر عنها

(١) المراد بالآل الأهل .

بأولاد فلان ، ولا يوجد ذلك إلا في المتأخرين من أخذ العرب على قلة : ( كقولهم  
أولاد زعازع ، وأولاد قريش ونحو ذلك ) .

### مذهب العرب في التسمية والسكنى

الغالب على العرب تسمية أبنائهم بمكروه الأسماء ككلب وحنظلة وضرار  
وحرب وما أشبه ذلك ، وتسمية عبيدهم بمحسوب الأسماء ، كفلاح ونجاح ونحوهما  
والسبب في ذلك ما حُكي أنه قيل لأبي الدقيش<sup>(١)</sup> السكلابي : لِمَ تسمون  
أبناءكم بشر الأسماء نحو كلب وذئب ، وعبيدكم بأحسن الأسماء نحو مرزوق  
ورباح ؟ فقال : إنما نسمي أبنائنا لأعدائنا وعبيدنا لأنفسنا ( يريد أن الأبناء  
معدة للأعداء ؛ فاخترنا لهم شر الأسماء والعبيد معدة لأنفسهم فاخترنا لهم  
خير الأسماء ) كذا في كتاب ( نهاية الأرب ) وقال الحافظ ابن القيم في كتاب  
مفتاح دار السعادة : كانت للعرب مذاهب في تسمية أولادهم ، فمنهم من سمي  
تفاؤلاً بالظفر على أعدائهم نحو غالب وغلاب ومالك وظالم وغارم ومنازل ومقاتل  
ومعارك ومسهر ومؤرق ومصبح وطارق . ومنهم من تفاؤل بنيل الحظوظ والسعادة  
كسعد وسعيد وأسعد ومسعود وسعدى وغانم ونحو ذلك . ومنهم من قصد  
التسمية بما غلظ وخشن من الأجسام تفاؤلاً بالقوة كحجر وصخر وفهر وجندل .  
ومنهم من كان يخرج من منزله وامراته تمخض فيسمى ما تلده باسم أول ما يلقاه  
كائناً ما كان من سبع أو ثعلب أو ضب أو ظبي أو كلب أو حشيش أو نحو ذلك  
وكان القوم على ذلك إلى أن جاء الله تعالى بالإسلام انتهى . وغالب أسماء العرب  
كما في النهاية منقولة عما يدور في خزانة خيالهم مما يخاطبونه ويجاوزونه ؛ إما من  
الحيوان كأسد وتمر ، وإما من النبات كنبت وحنظلة ، وإما من الحشرات كحية  
وحش ، وإما من أجزاء الأرض كنهـر وصخر ونحو ذلك . وزأيت في سبب

(١) أهمله في الأصل وصوابه الاعجام .

تسمية الموضع الذى قتل فيه الزبير بن العوام ( بوادى السباع ) وهو من نواحي الكوفة بين البصرة ومكة : أن أسماء بنت دُرَيْم بن النّزّين بن أهود بن بهراء كان يقال لها أم الأشبيع وولدها بنو وَبَرّة بن تغلب بن حُلوان بن عمران بن الخاف بن قضاة يقال لهم السباع ، وهم كلب وأسد والذئب والفهد وتغلب وسرحان ونزك<sup>(١)</sup> ( بفتح النون وسكون الزاي وهو الحريش<sup>(٢)</sup> ) ويقال له الكركز كدّن<sup>(٣)</sup> له قرن واحد يحمل الفيل على قرنه على ما قيل ( وخنم ( وهو الضبع ) والفزّر ( وهو البهر نوع من الضباع دون جرم الفهد إلا أنه أشد وأجراً منه ) وعنزة ( وهى دابة طويلة الخطم تُعدّ من رؤوس السباع تأتى الناقة فتدخل خطمها فى حياؤها وتأكل ما فى بطنها ، وتأتى البعير فتملخ عينيه ) وهر وصبيح والسبع ( بالكسر وهو ولد الذئب من الضبع ) ودَيْسَم ( وهو الثعلب وقيل ولد الذئب ) وتميس ( وهو دويبة فوق ابن عرس يأكل اللحم وهو أسود ملمع بياض ) والعقسر ( جنس من البئير ) وسيد<sup>(٤)</sup> والدلدل<sup>(٥)</sup> والظربان<sup>(٦)</sup> ( دويبة ) منتنة الفساء ( ووعّوع ( وهو ابن آوى الضخم ) وكانت تنزل مع أولادها بهذا الوادى فسمى ( وادى السباع ) بأولادها تغليبا ، فإن السباع جمع سبع ، وهو يقال على ماله ناب ويعدو على الناس والدواب فيفترسها مثل الأسد ، والذئب والنمر والفهد فأما الثعلب فإنه وإن كان له ناب فإنه ليس بسبع لأنه لا عدوان له وكذلك الضبع قال ابن حبيب : مرّ وائل بن قاسط بأسماء هذه أم ولد وَبَرّة ، وكانت امرأة جميلة وبنوها يرعون حولها فهمّ بها ، فقالت له : لعلك أسررت فى نفسك منى شيئا فقال : أجل ! فقالت : لئن لم تنهه لأستصرخن عليك أسبعي ، فقال ما أرى بالوادى أحدا ! فقالت : لو دعوت سباعه لمنعتنى منك ، وأعانتى عليك ! فقال : أو تفهم السباع عنك ؟ فقالت : نعم : ثم رفعت صوتها : يا كلب ! يا ذئب !

(١) قال المجد : النزك بالكسر ويفتح ذكر الضب والورل .

(٢) دويبة قدر الاصبح بارجل كثيرة أو هى دخال الاذن .

(٣) مشددة الدال والعامة تنشد النون (٤) ذئب (٥) القنفذ أو عظيمه

أو شبهه . (٦) راجع الجزء الاول من هذا الكتاب ص ١٢٧ .

يا فهد ايا دُبَّ ا يا سرحان ! يا أسد ا نجاءوا يتعادون ويقولون : ما خبرك يا أماء ؟ قالت : ضيفكم هذا أحسنوا قِراه ولم ترأن تفضح نفسك عند بنيتها فذبحوا له وأطعموه ، فقال وائل : ما هذا إلا وادى السباع ! فسمى بذلك انتهى ، وقد ذكرت هذه القصة أيضا في القاموس مع اختصار . . ومنهم من كان يسمى بعبد العزى وعبد ودّ وعبد مناة ونحو ذلك مما فيه إضافة العبودية لأحد أصنامهم ، ومنهم من كان يسمى ببیت شعر ونحوه مما يطول ذكره (وأما الكنى) فقد وقعت في كلامهم قديماً وحديثاً ، وكانت العرب تقصد بها التعظيم فإن بعض النفوس تأنف أن تخاطب باسمها ولذلك يجاء بها للانسان في مقام الإكرام والاحترام كما يشير إلى ذلك قول الشاعر :

أَكْنِيهِ حِينَ أُنَادِيهِ لِأَكْرِمِهِ وَلَا أَلْقِيهِ وَالسُّوَاةَ اللَّقْبَا<sup>(١)</sup>

وأصل الكنية من الكناية . وهو أن تتكلم بالشئ وتريد به غيره . ويقال كنىت وكنت بكذا وعن كذا كنية وكنية والجمع الكنى واكتنى فلان بكذا ويكنى بكذا ، وكنيته أبا كذا وبأبى كذا . وجاء التخفيف والتثقيب والتخفيف أكثر وفلان كنى فلان إذا شاركه في الكنية كما يقال سميته إذا شاركه في الاسم (وسبب الكنى في العرب) أن ملكاً من ملوكهم الأول ولد له ولد توسم فيه أمارات النجابة فشغف به فلما نشأ وترعرع<sup>(٢)</sup> وصلاح لأن يؤدب أدب الملوك أحب أن يفرد له موضعاً بعيداً من العارة يكون فيه مقبلاً يتخلق بأخلاق مؤدبيه ، ولا يعاشر من يضيع عليه بعض زمانه ، فبنى له في البرية منزلاً ونقله إليه ورتب له من يؤدبه بأنواع الآداب العلمية والمملكية ، وأقام له

(١) نسبه أبو تمام في مختار أشعار قبائل العرب لبعض الفزاريين ولم يسم قائله ، وأورد بعده هذا البيت :

كذلك أدبت حتى صار من خلقي انى وجدت ملاك الشبيعة الادبا  
والسواة منصوب على انه مفعول معه ، واللقب منصوب بالقبه . والملوك :  
اسم لما يملك به الشئ . والشبيعة : الغريزة والطبيعة . والأدب : اسم لما  
يفعله الانسان فيتزين به في الناس . (٢) أى تحرك ونشأ .

ما يحتاج إليه من أمر دنياه ، ثم أضاف إليه من هو من أقرانه وأضرابه من أولاد  
 بنى عمه وأمرائه ليؤنسوه ، ويتأدبوا بأدابه ، ويحببوا له التأديب بمواقفتهم له عليه  
 وكان الملك فى رأس كل سنة يمضى إلى ولده ويستصحب معه من أصحابه من له  
 ولد عند ولده ليبصروا أولادهم ، فكانوا إذا وصلوا إليهم سأل ابن الملك عن  
 أولئك الذين جاءوا مع أبيه ليعرفهم بأعيانهم ، فيقال له : هذا أبو فلان وهذا  
 أبو فلان ! يعنون آباء الصبيان الذين هم عنده ، فكان يعرفهم بإضافتهم إلى  
 آبائهم ، فمن هنالك ظهرت الكنى فى العرب ، ثم انتشرت واتسعت حتى صاروا  
 يكتنون كل إنسان باسم ابنه ، ثم اتسع الأمر فصاروا يكتنون من لم يكن له ابن وكان  
 له بنت بنته كما قيل لمسروق بن الأجدع : أبو عائشة ؛ ومن لم يكن له ابن ولا  
 بنت يكتنونه بأقرب الناس إليه ، كما كنى النبی صلی الله تعالى عليه وسلم عبد الله  
 ابن الزبير وهو وصي بأبي بكر وهو جد لأمه أسماء ، ثم لما ولد له ولد سماه خبيبا ،  
 وتسكنى به فصار له كنيستان ، وجروا فى كنى النساء بالأمهات هذا الجرى فقالوا :  
 أم سلمة ، وأم زينب فى الكنى بالأولاد ، وأم عبد الله فى كنية عائشة ( رضى الله  
 تعالى عنها ) يعنون عبد الله بن الزبير وهو ابن أختها أسماء حيث لم يكن لها ولد  
 ثم لما شارك الناس فى الولادة باقى الحيوانات كنوا ما كنوا منها بالآباء والأمهات  
 كأبي معاوية لابن آوى ؛ وأم عامر للضبع ، وأجروها فى ذلك مجرى الأناسى ،  
 وكذلك فعلوا فى إضافة الأبناء والبنت إكراما واحتراما لهم بإضافتهم إلى آبائهم  
 مع ترك أسمائهم فقالوا : ابن عباس ، وابن عمر ، وكانوا يقولون للحسين : ابن  
 بنت رسول الله ( صلى الله تعالى عليه وسلم ) كرامة له بأمه ، وأجروا غير الأناسى  
 مجراها فى ذلك فقالوا : ابن ققرة للحية ، وبنت حذف لضرب من غنم الحجاز ،  
 ولما توسعوا فى إجراء الحيوانات العجم مجرى الناس فى الكنى والأبناء حملوا  
 عليها بعض الجمادات فأجروها مجراها ، فقالوا : أبو جابر للخبز ، وأم قار للدهاية ،  
 وابن ذكاء للصبح ، وبنت الأرض للحصاة ، ثم إنهم يجروه على ستن واحد



فكنوا بالآباء مذكراً على الأصل فقالوا للذئب : أبو جمعة ، وللمر أبو جهل ،  
وكنوا بها مؤنثاً من الجمادات فقالوا للنار : أبو سريع ، وأبو حباب ، وكذلك  
في الأمهات فقالوا للقوس : أم السهام ، ولجبل معروف أم سخل ، وجروا في البنين  
والبنات هذا المجرى فقالوا للغراب : ابن دأية ، ولطائر معروف بذت الماء ، وقد جروا  
في الأسماء والكنى على قسمين : معتاد ، ونادر ، فمن المعتاد الكنية بالأولاد ،  
والنادر كابي تراب لعلّي (كرم الله تعالى وجهه) واستعملوها أيضاً في ذى وذات ،  
فمن المعتاد ذو الجلال ، وذات البروج ، ومن النادر ذو النون ، وذات النطاقين ،  
ومن الكنى والأبناء ما جعل علماً للمسمى لا لمعنى فيه ، ومنها ما جعل صفة لمعنى  
فيه . وينقسم ما سموه من هذه الأسماء والكنيات والإضافات إلى ثلاثة أقسام :  
الأول ما يلزم (أن) كابي الحرث للأسد ، وأبي الحصين للثعلب ، والثاني ما لا  
تدخله أل كابي جمعة ، وأم عامر ، وابن دأية ، وبنت طَبَق للحية ، والثالث  
ما يجوز إدخال أل فيه وإسقاطها : كابي مضاء للفرس ، وأم رثال للنعامة ، وابن ماء  
لطير الماء ، وقد اتسعوا في الأم أكثر من اتساعهم في الأب ، واتسعوا في الابن  
والبنت أكثر من اتساعهم في الأم ، حتى قالوا للقصيد من الشعر : هي ابنة ليلى  
وفلان ابن بطنه ، وابن فرجه ، إذا كان همه فيهما ، وابن يومه أى لا يتفكر في  
غده وقالوا هؤلاء أبناء فارس والروم ، وأبناء مكة وخراسان ، ولم يستعملوا هذا في  
الآباء والأمهات ، ولم يقصروا هذا التوسع في هذه الأسماء خاصة ، بل أجروه في  
غيرها ، فقالوا لمن صاحب شيئاً ، أو عاناه ، أو أكثر من استعماله : هو أخوه  
وأخته ، ومن ذلك قول الشاعر :

أخا الحرب لباساً إليها جلالها      وليس بولاج الخوالب أعقلا<sup>(١)</sup>

(١) أخو الحرب . المؤاخى والملازم لها ، ولباس : مبالغة في لباس ، والجلال :  
بكسر الجيم جمع جل بضمها وهو الدرع . والولاج : الكثير الولوج أى الدخول ،  
والخوالب : جمع خالقة وهى فى الأصل عماد البيت وأراد بها هنا البيت  
نفسه ، وأعقلا : بالعين المهملة والقاف مأخوذ من أعقل الرجل إذا اضطربت  
رجلاه من الفزع والخوف وهو حال من الضمير المستتر فى ولاج أو خبر ثان

وقول أبو الأسود الدؤلى فى الخمر والنبىذ :

فإلّا يكنّها أو تكتنّه فإنّه أخوها غذته أمه بلبنها<sup>(١)</sup>  
ومن الأشخاص من له اسم ولا كنية له وهو الأَكْثر ، ومن له اسم وكنية  
وهو دون الأول فى السكّنة ، ومن يكون له علم وكنية واسم جنس . كإسماء ،  
وأبى الحرث ، والأُسْد ؛ ومن له كنية وليس له اسم غيرها : كآبى براقش<sup>(٢)</sup> لحيوان  
معروف ، وأم رباح بالباء الموحدة لطائر أغبر أحمر الجناحين والظهر يأكل العنب ،  
ومن له كنيّتان فى حالين : كعاصم بن الطفيل كان يكنى فى السلم بأبى على وفى الحرب  
بأبى عقيل ، ومن يكون له كنيّتان أو أكثر فى حالة واحدة وهو كثير وقد ألف  
الإمام الثعالبي كتاباً حافلاً فى الكنى . وما يناسبها ، وهو كتاب جليل والله الموفق .

من اشتهر من العرب فى معرفة النسب

كان العرب لمزيد اعتنائها بمحفظ الأنساب أكثر الناس معرفة بها ولم تخلُ  
قبيلة من قبائلهم من نسبة يلحق الفروع بأصولها ، وينفى عنها من ليس منها ، حتى  
كادوا يكونون جميعاً على هذه الصفة . واستيعاب ذكركم فى هذا المقام مما لا يمكن  
غير أنا نذكر من ضرب به المثل فى هذا الباب . منهم :

دَعْقَل بن منظلة السروسى من بنى سُبَيّان

فمن أمثالهم « فلان أنسب من دَعْقَل » وهو رجل من بنى دُهَل بن ثعلبة  
ابن عكابة . كان أعلم أهل زمانه بالأُنساب . زعموا أن معاوية سأله عن أشياء

للبنس بناء على جواز تعدد خبرها والالف فيه للاطلاق . والبيت للقلال بن  
حزن يمدح نفسه .  
(١) قبله :

دع الخمر يشربها الغواة فأننى رأيت أخاها مغنيا لمكانها  
— يعنى بأخيها نبىذ الزبيب ، يقول : أن لم يكن الزبيبي الخمر أو يكون  
الزبيبي فأنهما أخوان غديا بلبن واحد ينوب أحدهما مناب الآخر .  
(٢) طائر صغير يرى كالقنفذ على ريشه أغر وأوسطه أحمر وأسفله أسود  
فاذا هيج انتفش فتغير لونه ألوانا شتى . قال الشاعر :  
كأبى براقش كل لو ن لونه يتخيّل

فخبره بها . فقال له : يَمَ علمت ؟ قال : بلسان سؤول ، وقلب عقول ، على أن لا علم آفة وإضاعة ، ونكداً واستجاعة فأفته النسيان ، وإضاعته أن تحدث به من ليس بأهله ، واستجاعته أن صاحبه منهوم لا يشيع ، ونكده الكذب فيه . وقيل هو دغفل بن حنظلة السدوسي أدرك النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ولم يسمع منه شيئاً . ووقف على معاوية وعنده قُامة بن جرّاد القرشي فنسبه دغفل حتى بلغ أباه الذي ولده . فقال وولد جرّاد رجلين أما أحدهما فشاعر سفيه والآخر ناسك فأيهما أنت ؟ قال : أنا الشاعر السفيه وقد أصبت في نسبتي وكل أمرى ! فأخبرني بأبي أنت متى أموت ؟ قال دغفل : أما هذا فليس عندي . وقتلته الأزارقة . قال الميداني عند الكلام على قولهم « إنَّ البلاءَ مُوَكَّلٌ بِالْمَنْطِقِ » روى عن المفضل أن أول من قال ذلك أبو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه فيما ذكره ابن عباس قال : حدثني على ابن أبي طالب رضي الله تعالى عنه لما أمر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أن يعرض نفسه على قبائل العرب وأنا معه وأبو بكر فدفعنا إلى مجلس من مجالس العرب فتقدم أبو بكر وكان نسابةً فسلم فردوا عليه السلام . فقال : ممن القوم ؟ قالوا : من ربيعة . فقال : أمن هامتها أم من هارمها ؟ قالوا : من هامتها العظمى . قال فأى هامتها العظمى أنتم ؟ قالوا : ذهل الأكبر . قال : أفنكم عوف الذي يقال له « لا حر بوادي عوف » ؟ قالوا : لا . قال : أفنكم بسطام<sup>(١)</sup> ذو اللواء ومنتهى الأحياء ؟ قالوا : لا . قال : أفنكم جسّاس بن مرة<sup>(٢)</sup> حامى الذمار ، وما نفع الجار ؟ قالوا : لا . قال : أفنكم الحوفزان<sup>(٣)</sup> قاتل الملوك وسالباها أنفسها ؟ قالوا : لا . قال : أفنكم المزدلف صاحب العمامة الفردة<sup>(٤)</sup> ؟ قالوا : لا . قال : أفنكم أخوال الملوك من كندة ؟ قالوا : لا . قال :

(١) هو ابن قيس وقصته في المفخرة بمحضر من كسرى مشهورة . .  
راجع الاغانى ١٧ - ١٠٦ ، ونهاية الارب النويرى ص ٣٦٦ ، والجزء الأول من هذا الكتاب . (٢) قاتل كليب وقصته مشهورة راجع الجزء الثانى ص ١٥١ (٣) هو الحرث بن شريك - انظر فهرس الجزء الأول والثانى .  
(٤) هو عمرو بن أبى ربيعة بن ذهل بن شيبان .

أفمنكم أصهار الملوك من لحم ؟ قالوا : لا . قال : فلستم ذهاباً إلا كبراً أتم ذهل الأصغر .  
فقام إليه غلام قد بقل وجهه<sup>(١)</sup> يقال له دغفل . فقال : —

إنَّ على سائلنا أن نسأله والعبد لا تعرفه أو تحمله<sup>(٢)</sup>

يا هذا : إنك قد سألنا فلم نكتمك شيئاً . فن الرجل ؟ قال : رجل من قریش  
قال : بَخْ بَخْ<sup>(٣)</sup> أهل الشرف والرياسة ! فمن أى قریش أنت ؟ قال : من تيم بن مرة  
قال : أمكنت والله الراى من صفا الثغرة<sup>(٤)</sup> أفمنكم قصي بن كلاب الذى جمع  
القبائل من فهر وكان يدعى مجمماً ؟ قال : لا . قال أفمنكم هاشم<sup>(٥)</sup> الذى هشم  
الثريد لعومه ورجال مكة مسنتون عجاف ؟ قال : لا . قال : أفمنكم شيبة الحمد<sup>(٦)</sup>  
مطعم طير السماء الذى كان فى وجهه فريضة فى ليل الظلام الداجى ؟ قال : لا .  
قال أفمن المفيضين بالناس أنت ؟ قال : لا . قال : أفمن أهل الندوة أنت ؟ قال : لا .  
قال : أفمن أهل الرفادة أنت ؟ قال : لا . قال : أفمن أهل الحجابة أنت ؟ قال : لا .  
قال : أفمن أهل السقاية<sup>(٧)</sup> أنت ؟ قال : لا . قال : فاجتذب أبو بكر زمام ناقته فرجع  
إلى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ، فقال دغفل :

صادف درء السيل درءاً يدفعه يهيضه حيناً وحيناً يصدعه

أما والله يا أخا قریش لو تثبت لأخبرتكَ أنك من زمعات<sup>(٨)</sup> قریش ولست  
من الذوائب<sup>(٩)</sup> أو ما أنا بدغفل ! قال فتبسم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم  
قال على رضى الله تعالى عنه : قلت لأبى بكر : لقد وقعت من الأعرجى على باقة<sup>(١٠)</sup>  
قال : أجل ! إن لكل طامة طامة وإن البلاء موكلٌ بالمنطق . . وكما كان هذا  
الرجل مشاراً إليه بالبنان فى معرفة أنساب العرب كذلك كان فى معرفة الأنواء

(١) أى خرج شعر وجهه (٢) ورد فى نهاية الارب للنويرى « والعى  
لا تعرفه أو تحمله » فليحقق (٣) بخ : كلمة تقال عند الرضا بالشىء وهى  
مبنية على الكسر والتنوين وتخفيف فى الاكسر (٤) الثغرة بالضم نقرة النحر بين  
الترقوتين (٥) ترجمته فى الجزء اثنى ص ٢٨٣ (٦) عبد المطلب بن هاشم  
(٧) يطلب تفسير هذه الكلمات فى الجزء الثانى ص ٢٨٣ و ٢٨٥ .  
(٨) الزممع محركة رذال الناس (٩) الرؤساء وأهل العز والشرف .  
(١٠) هو الرجل الداهية والذكى العارف الذى لا يفوته شىء ولا يدهى .

وعلم السماء ، وسائر علوم العرب ، وأحوال القبائل .

روى الهيثم بن عدي عن عوانة قال : سأل زياد دغفلاً عن العرب . فقال الجاهلية لئيم ، والإسلام لمضر ، والفتنة لربيعة . قال فأخبرني عن مضر . قال : فاخر بكنانة ، وكابر بتميم ، وحارب بقيس ، ففيها الفرسان والنجوم ، وأما أسد ففيها ذل وكيد . وقيل له : ماتقول في بني عامر بن صعصعة ؟ قال : أعناق ظباء وأعجاز نساء ... فما تقول في بني أسد ؟ قال : عافة قافة ، فصحاء كافة ... فما تقول في بني تميم ؟ قال : حجر أخشن إن صادفته آذاك وإن تركته أعفأك ... فما تقول في خزاعة ؟ قال : جوع وأحاديث ... فما تقول في اليمن ؟ قال : سيود أيوك . قال نصر ابن سيار :

إنا وهذا الحى من يمن عند الفخار أعزّة أكفاء  
قومٌ لهم فينا دماء جمة ولنا لديهم أجنة ودماء  
وربيعة الأذنان فيما بيننا لا هم لنا سلم ولا أعداء  
إن ينصرونا لا نعز بنصرهم أو يخذلونا فالسما سماء<sup>(١)</sup>

وعن ابن الأعرابي قال . بلغني أن جماعة وقفوا على دغفل النسابة بعد ما كف فسلموا عليه . فقال : من القوم ؟ فقالوا : سادة اليمن . قال : أمن مجدها القديم ، وشرفها العميم ، كندة ؟ قالوا : لا . قال : فأنتم الطوال قصباً ، المخفضون نسباً ، بنو عبد المدان ؟ قالوا : لا . قال : فأنتم أقودها للزحوف وأخرقها للصفوف ، وأضربها بالسيوف ، رهط عمرو بن معديكرب ؟ قالوا : لا . قال : فأنتم أحضرها قرى وأطيشها قنى ، وأشدها لقي ، رهط حاتم بن عبدالله الطائي ؟ قالوا : لا . قال : فأنتم الغارسون للنخل ، والمطعمون في الحل ، والقائلون بالعدل الأنصار ؟ قالوا : نعم ! فانظر إلى هذه الفطنة والذكاء . ومنهم .

(١) العقد الفريد ج ٢ ص ٢١٣ من طبعة الجمالية .

### ورقاء الأشعر

كان أيضاً ممن يضرب به المثل في معرفة أنساب العرب فمن أمثالهم ( أنسب من ابن لسان الحمرة ) وهو أحد بنى تيم اللات بن ثعلبة ، وكان من علماء زمانه واسمه ورقاء الأشعر ويكنى أبا كلاب . قال الميداني . وكان أنسب العرب وأعظمهم كبراً وفي القاموس : وابن لسان الحمرة كسكرة خطيب بليغ نسابة اسمه عبد الله بن حصين أو ورقاء بن الأشعر ، ومنهم :

### زبير بن الكيس النمرى

وهو من بنى عوف بن سعد بن تغلب بن وائل . قال في القاموس : كان نسابة . وقال أبو عبيدة : إن زيد بن الكيس ممن يقارب دغفلاً في العلم بالأنساب من العرب . وفيه وفي دغفل يقول مسكين بن عامر :

فحکم دغفلاً وارحل إليه ولا تدع المطى من الكلال<sup>(١)</sup>

أو ابن الكيس النمرى زيدا ولو أمسى بمنخرق الشمال<sup>(٢)</sup>

ومنهم :

### النخار بن أوس بن الحرث بن هنريم القضاعي

كان هذا الرجل أيضاً من المتقدمين في علم النسب . قال أبو عبيدة : إنه أنسب العرب . وفي القاموس وشرحه : وكشداد النخار بن أوس بن أبيير القضاعي أنسب العرب وهو من ولد سعد هذيم ودخل على معاوية فازدراه وكان عليه عبادة فقال . إن العبادة لا تكلمك . انتهى .

وروى عن أبي بكر بن دريد قال . حدثنا أبو حاتم عن أبي عبيدة قال . كان أبو زرارة بجبال بن حاجب العلقمي من ولد علقمة بن زرارة خرج يريد

---

(١) الاعياء (٢) مهب الشمال .

بنى شيبان<sup>(١)</sup> بن علقمة حاجاً فرأى حين شارفَ البلدَ شيخاً يحقّه ركب على إبل عتاق برحال ميسر<sup>(٢)</sup> مُلبسةٍ أدما . قال : فعَدَلْتُ وسلمت عليهم وبدأت به وقلت : من الرجل ومن القوم ؟ فأرَمَ القوم<sup>(٣)</sup> ينظرون إلى الشيخ هيبةً له . فقال الشيخ : رجل من مَهْرَة بن حيدان بن عمرو بن الحاف بن قضاة ، فقلت : حيّاكم الله ! وانصرفت . فقال الشيخ قف ! أيها الرجل نَسَبَتْنَا فانتسبنا لك ثم انصرفت ولم تكلمنا ، قال أبو بكر : وروى السكن بن سعيد عن محمد بن عباد شَاكَمَتْنَا مُشَاكَمَةُ الذئب الغنم ثم انصرفت ! قلتُ ما أنكرتُ سوءاً ، ولكنني ظننتكم من عشيرتي فأناصبكم فانتسبتم نسباً لا أعرفه ولا أراه يعرفني . قال : فأمال الشيخ لثامه ، وحَسَرَ عمامته ، وقال : لعمرى لئن كنت من جذم من أجذام العرب لأعرفنك فقلت : فإنني من أكرم أجذامها . قال : فإن العرب بنيت على أربعة أركان : ربيعة ومُضَرّ، واليمن ، وقضاة ، فمن أيهم أنت ؟ قلت : من مضر . قال : أفمن الأرحاء أنت أم من الفرسان ؟ فعلمت أن الأرحاء خندف . وأن الفرسان قيس . قلت : من الأرحاء . قال : فأنت إذاً من خندف . قلت : أجل ! قال : أفمن الأرنبة أم من الجحمة ؟ فعلمت أن الأرنبة مُدْرِكَةُ ، وأن الجحمة طابحة ، فقلت : من الجحمة . قال : فأنت إذاً من طابحة . قلت : أجل ! قال : أفمن الصميم أنت أم من الوشيظ<sup>(٤)</sup> ؟ فعلمت أن الصميم تميم ، وأن الوشيظ الرباب . قلت من الصميم . قال : فأنت إذاً من تميم . قلت : أجل ! قال : أفمن الأحلمين أم من الأكرمين أم من الأقلين ؟ فعلمت أن الأحلمين عمرو بن تميم ، وأن الأكرمين زيد مناة ، وأن الأقلين الحرث بن تميم . قلت : من الأكرمين قال : فأنت إذاً من زيد مناة . قلت : أجل ! قال : أفمن الجدود ، أم من البحور ، أم من الثماد<sup>(٥)</sup> ، فعلمت أن الجدود مالك ، وأن البحور سعد ،

(١) وفي نسخة : خرج يزيد بن شيبان . . الخ (٢) ضرب من الشجر يعمل منه الرحال (٣) سكتوا (٤) الجذم بالكسر الأصل ويفتح (٥) الخسيس من الرجال (٦) هو في اللغة الماء القليل الذي لا مادة له .

وأن الثماد امرؤ القيس بن زيد مناة . فقلت : من الجدود ! قال : فأنت إذا من بنى مالك . قلت : أجل ! قال أفمن الذُرَى أم من الأرداف ؟ فعلمت أن الذرى حنظلة ، وأن الأرداف ربيعة ومعاوية وهما الكُرْدُوسان . قلت : من الذرى . قال : فأنت إذا من بنى حنظلة . قلت : أجل ! قال : أفمن البدور أنت أم من الفرسان أم من الجرائيم ؟ فعلمت أن البدور مالك ، وأن الفرسان يربوع ، وأن الجرائيم البراجم . فقلت : من البدور : قال : فأنت إذا من بنى مالك بن حنظلة . قلت : أجل ! قال : أفمن الأرنبة أم من اللحيين أم من القفا ؟ فعلمت أن الأرنبة دارم ، وأن اللحيين طُهَيَّة والعَدَوِيَّة ، وأن القفا ربيعة بن مالك بن حنظلة . قلت : من الأرنبة . قال : فأنت إذا من دارم . قلت : أجل ! قال : أفمن اللُّباب ، أم من الهِضاب ، أم من الشهاب ؟ فعلمت أن اللباب عبد الله ، وأن الهضاب مجاشع ، وأن الشهاب نهشل . قلت : من اللباب . قل : فأنت إذا من بنى عبد الله ، قلت : أجل ! قال : أفمن البيت أم من الزوافر ؟ فعلمت أن البيت بنو زرارة ، وأن الزوافر الأحلاف قلت : من البيت قال : فأنت إذا من بنى زرارة . قلت : أجل ! قال : فإن زرارة ولد عشرة : حاجباً ، ولقيطاً ، وعلقمة ، ومعبداً . وخزيمة . وليبداً . وأبا الحرث . وعمراً . وعبد مناة . ومالكاً فمَن أيهم أنت ؟ قلت : من بنى علقمة . قال : فإن علقمة ولد شيبان ولم يلد غيره فتزوج شيبان ثلاث نسوة : مَهْد بنت حُحْران بن بشر بن عمرو بن مرثد فولدت له يزيد ، وتزوج عِكْرِشَة بنت حاجب بن زرارة بن عُدَس فولدت له المأمور<sup>(١)</sup> وتزوج عمرة بنت بشر بن بنت عمرو بن عدس فولدت له الْمُقْعَد فلا يُتَهَن أنت ؟ قلت : لمهدد . قال يا ابن أخى ما افتترقت فرقتان بعد مدركة إلا كنت فى أفضلهما حتى زاحمك أخواك فإنهما أن تَلِدَنى أمهما أحب إلى من أن تلدنى أمك ! يا ابن أخى أترانى عَرَفْتُكَ ؟ قالت : أى وأبيك أى معرفة ! فله تعالى در هذه النسابة وما بلغه

(١) كذا بالأصل وحرره .



من العلم ومعرفة الناس وأحوالهم ولو كان أباً لهم لربما اختلفت عليهم أحوال بعضهم وهم بهذا العدد الكثير، والجمع الغفير، ولكن المواهب الإلهية . والعنايات الربانية ، إذا توفق لها أحد سهلت عليه صعاب الأمور ، وبلغ مالم يبلغه الساعى وإن استوعب بمساعاه الدهور . ومنهم :

### صعصعة بن صوحان

قد كان صعصعة هذا من المشاهير بمعرفة أنساب العرب ، ومن القدمين بعلم أحوال قومه ، فى الجاهلية ، وقد أدرك الإسلام . فى كتاب الأمالى<sup>(١)</sup> روى عن أبى بكر بسنده إلى الشعبى قال : دخل صعصعة بن صوحان على معاوية رضى الله عنه أول ما دخل عليه وقد كان يبلغ معاوية عنه فقال له معاوية : بمن الرجل ؟ قال : رجل من نزار . قال : وما نزار ؟ قال : إذا غزا انحوش ، وإذا انصرف انكمش ، وإذا لقي افتش . قال : فمن أى ولده أنت ؟ قال : من ربيعة قال : وما ربيعة ؟ قال : كان يغزو بالحليل ، ويُغير بالليل ، ويُجود بالليل . قال فمن أى ولده أنت ؟ قال : من أسد . قال : وما أسد ؟ قال : كان إذا طلب أفضى<sup>(٢)</sup> وإذا أدرك رضى ، وإذا آب أنضى<sup>(٣)</sup> . قال : فمن أى ولده أنت ؟ قال : من جديلة . قال : وما جديلة ؟ قال : كان يطيل النجاد<sup>(٤)</sup> ، ويُعدّ الجياد ، ويُجيد الجلاد<sup>(٥)</sup> . قال : فمن أى ولده أنت ؟ قال : من دُعْمى . قال : وما دُعْمى ؟ قال : كان ناراً ساطعاً ، وشرّاً قاطعاً ، وخيراً نافعاً . قال : فمن أى ولده أنت ؟ قال : من أقصى . قال : وما أقصى ؟ قال : كان ينزل القارات<sup>(٦)</sup> ، ويكثر الغارات ويحمى الجارات . قال : فمن أى ولده أنت ؟ قال : من عبد القيس . قال : وما

(١) يريد أمالى القالى ج ٢ ص ٢٣٠ ٢١ وصل وبلغ (٢) أنضى بغيره : هزله بالسبب وانضى التوب ابتلاه وأخلقه بكثرة اللبس (٤) بالكسر حمائل السيف وفلان طويل النجاد كناية عن أنه طويل القامة (٥) المضاربة والمقاتلة . (٦) جمع قارة وهى الجبيل الصغير .

عبد القيس ؟ قال : أبطال ذادة ،<sup>(١)</sup> جَحَاجِحَة<sup>(٢)</sup> قادة ، صناديد<sup>(٣)</sup> سادة .  
قال : فمن أى ولده أنت ؟ قال من أقصى . قال : وما أقصى ؟ قال : كان ذا رماح  
مُسْرَعَة<sup>(٤)</sup> ، وقُدُور مُتْرَعَة<sup>(٥)</sup> ، وجفان<sup>(٦)</sup> مفرغة . قال : فمن أى ولده أنت ؟  
قال من لُكَيْز . قال : وما لُكَيْز ؟ قال كان يباشر القتال ، ويعانق الأبطال ،  
ويُبَدِّدُ الأموال ، قال فمن أى ولده أنت ؟ قال : من مجل . قال : وما عِجَل ؟  
قال : الليوث الضراغة<sup>(٧)</sup> ، الملوك الفماقة<sup>(٨)</sup> ، القروم القشاعة<sup>(٩)</sup> ، قال : فمن  
أى ولده أنت ؟ قال : من كعب . قال : وما كعب ؟ قال : كان يسعر الحرب ،  
ويجيد الضرب ، ويكشف الكرب . قال : فمن أى ولده أنت ؟ قال : من مالك .  
قال : وما مالك ؟ قال : الهام للهام ، والقَمَقَمُامُ للقمقام . قال معاوية : والله ما تركت لهذا  
الحى من قریش شيئاً . قال : بل تركت أكثره وأحبه قال : وما هو ؟ قال تركت  
لهم الوَبَرَ والمدَر ، والأبيض والأصفر ، والصفاء ، والمشعر ، والقبة والمفخر ، والسريبر  
والمُنْبِر ، والمُلْكَ إلى الحشر . فقال : أما والله لقد كان يسوؤنى أن أراك أسيراً .  
فقال : وأنا والله لقد كان يسوءونى أن أراك أميراً ، ثم خرج فبعث إليه فردّه ووصله  
وأكرمه . ولصعصعة هذا أخبار كثيرة يطول ذكرها . ومنهم :

#### عبد الله بن عبد الحَجَر بن عبد المَدَن

وهو النسابة الشهير ، وصاحب الفهم الغزير ، روى عن أبى بكر قال : أخبرنا  
السكن بن سعيد عن محمد بن عباد عن العباس بن هشام قال : سأل معاوية بعد  
الاستقامة عبد الله بن عبد الحَجَر بن عبد المدان وكان عبد الحَجَر وفدَّ على النبي  
صلى الله تعالى عليه وسلم فسماه عبد الله فقال له : كيف علمك بقومك ؟ قال .

(١) من الدود وهو الطرد والدفع (٢) جمع جججج وهو السيد .  
(٣) جمع صنديد وهو السيد الشجاع أو الحكيم أو الجواد أو الشريف  
(٤) مسددة (٥) ممثلة (٦) جمع جفنة وهى اناء (٧) جمع ضرقام  
وهو الاسد القوى الشديد (٨) جمع قمقام وهو السيد (٩) القروم :  
السادة ، والقشاعة جمع قشعم وهو المسن من الرجال .

كعلمى بنفسى ! قال : ما تقول فى مُراد ؟ قال : مُدْرِكُوا الأوتار<sup>(١)</sup> ، وحماة الذِّمار<sup>(٢)</sup> ومحرِّزو الخطار<sup>(٣)</sup> . قال : فما تقول فى النَّخَعِ ؟ قال : مانعو السَّرْبِ ، ومُسَيِّرُو الحرب<sup>(٤)</sup> ، وكاشفو الكرب . قال : فما تقول فى بنى الحرث بن كعب ؟ قال فَرَّاجُوا اللَّسَكَا<sup>(٥)</sup> ، وفرسان العراك ، ولزاز الضنكك ، تَرَاكِ تَرَاكِ<sup>(٦)</sup> . قال : فما تقول فى سعد العشيرة ؟ قال : مانعو الضمير ، وبانو الرِّيم<sup>(٧)</sup> ، وشافو الغيم<sup>(٨)</sup> . قال : ما تقول فى جُمُفَى ؟ قال : فرسان الصباح ، ومعملو السلاح ، ومبارزو الرياح ، قال : ما تقول فى بنى زبيد ؟ قال : كُتَاة أنجاد ، سادات أمجاد ، وقُرُ عند الدِّياد ، صُبُر عند الطراد ، قال ما تقول فى جَنْب ؟ قال : كُفَاة يمنعون عن الحرير ، ويفرجون عن السكظيم<sup>(٩)</sup> . قال : فما تقول فى صُدَاء ؟ قال : سمام الأعداء ، ومَسَاعِير الهبيجاء ، قال : فما تقول فى رَهَاء ؟ قال : ينههون عادية الفوارس<sup>(١٠)</sup> . وَيَرْدُون الموت وِرْدَ الخوامس<sup>(١١)</sup> . قال : أنت أعلم بقومك !

### ومن أمثال العرب قولهم : أنسب من كثير

أنسب هنا من النسب وهو ذكر الشاعر المرأة بالحسن ، والإخبار عن تصرف هواها به ، وليس هو الغزل . وإنما الغزل الاشتهار بمودات النساء ، والصبوة إليهن ، والنسب ذكر ذلك والخبر عنه ، وقولهم « أنسب من كثير » أخذ من قول الشاعر :  
وَكأنَّ قُسا في عُكَاظٍ يَخْطُبُ وابن المقفع فى اليتيمة يُسْهِبُ<sup>(١٢)</sup>

(١) جمع وتر وهو الذحل (٢) كل ما حميته فهو ذمار (٣) الشرف (٤) يقال « فلان مسعر حرب » أى هو آلة فى إيقاد الحرب (٥) الزحام . (٦) الضنكك : مثل اللكك سواء (٧) الريم : الدرجة ، قال أبو عمرو بن العلاء : أتيت دار قوم باليمن أسأل عن رجل فقال لى رجل منهم « اسمك فى الريم » أى اعل فى الدرجة (٨) العطش (٩) المكظوم وهو الذى قد رد نفسه الى جوفه (١٠) ينههون : يكفون (١١) الخمس بالكسر من اظماء الابل وهى أن ترعى ثلاثة أيام وترد الرابع وهى ابل خوامس (١٢) قس : هو ابن ساعدة الايادى الخطيب المشهور - ترجمته فى الجزء الثانى ص ٢٤٤ وعكاظ : سوق من أسواق - انظر فهرس الجزءين : ١ و ٢ وابن المقفع : هو أحد فحول البلاغة الذين عبدوا للناس طريق الترسل ورفعوا لهم معالم صناعة الانشاء . ولد حوالى سنة ١٠٦ هـ ونشأ بالبصرة على دين أبيه (المجوسية) ثم أسلم على =

وكان ليلى الأخيلىّة تندبُ وكثيرَ عزّة يومَ بَيْنِ يَنْسِبُ<sup>(١)</sup>

قال الجُمَحِيّ: كان لكثير في النسب نصيب وافر ، وكان له من فنون الشعر ما ليس لجليل ، راسمه ( بضم الكاف وفتح المثناة وكسر الياء المشددة التحتيّة ) وهو كثير بن عبد الرحمن بن أبي جمعة بن الأسود بن عامر ، وقال اللخمي : هو كثير بن أبي جمعة . وكانت أمه جمعة بنت الأشيم ، وكان الأشيم يكنى بابنته هذه فلذلك قيل كثير بن أبي جمعة ، وهو خزاعي ، وأبو خزاعة الصلت بن النضر بن كنانة . وفي ذلك يقول كثير :

أليس أبي بالنضر أم ليس والدي لكل يحيب من خزاعة أزهرًا ؟  
 فحق كثير أنه من قريش . وقيل إنه أودى من قحطان وهو شاعر حجازي من شعراء الدولة الأموية . ويكنى أبا صخر . واشتهر بكثير عزّة وهي محبوبته ، وغالب شعره مشبب بها ، وهي كما قال ابن السكبي : عزّة بنت حميد ( بضم المهملة ) ابن حفص من بني حاجب بن غفار ، وكذايتها أم عمرو الضُمَيْرِيّة نسبة إلى قبيلة ضمرة ، وكثيرا ما يطلق عليها الحاجبية نسبة إلى جدها الأعلى كقوله من قصيدة :  
 خليل ! إنّ الحاجبية طلّحتْ قُلُوصِيكُما وناقى قد أكلت<sup>(٢)</sup>

قال ابن قتيبة في كتاب الشعراء : بعثت عائشة بنت طلحة بن عبد الله إلى كثير : يا ابن أبي جمعة ما الذي يدعوك إلى ما تقول من الشعر في عزّة

يد. عيسى بن علي عم الخليفة أبي جعفر المنصور العباسي أيام ولايته على كرمان وتسمى ( عبد الله ) بدل ( روزبة ) ، ومات قتلًا بالبصرة سنة ١٤٢ قتلته سفيان بن معاوية وإلى البصرة لانهامه بالزندقة وكيدته للإسلام . ترجم ابن المقفع كتابا عدة من الفارسية إلى العربية من أشهرها كتاب كليله ودمنة وله كتاب الأدب الصغير ، والأدب الكبير ، والدرة اليتيمة ، وطبع الأدب الكبير معنونا الدرة اليتيمة خطأ ثم طبع في مصر مسمى باسمه الحقيقي . .

(١) ليلى الأخيلية : شاعرة مشهورة . كان توبة بن الحمير يهواها وخطبها إلى أبيها فأبى أن يزوجه إياها — والبيتان لأبى تمام في الحسن بن وهب .  
 (٢) طلّحت : اتعبت واجهدت ، والقُلُوص : الناقة الفتية .

وليست على ما نصف من الجلال؟ لو شئت صرفت ذلك إلى من هو أولى به منها أنا أو مثلى . وإنما أرادت تجربته بذلك . فقال :

إذا وصلتنا خلة كي تزيلها أينا وقلنا الحاجبية أول  
لها مهل لا يستطيع دراكه وسابقة ملحِب لا تتحول<sup>(١)</sup>  
سنؤليك عرفاً إن أردت وصالنا ونحن لتلك الحاجبية أوصل<sup>(٢)</sup> !  
فقلت : والله لقد سميتني لك خلة وما أنا لك وعرضت على وصالك  
وما أريد اهلاً قلت كما قال جميل :

يارب عارضة علينا وصلها بالجد تخطئه بقول الهازل  
فأجبتها بالرفق بعد تستر<sup>(٣)</sup> حي بثينة عن وصالك شاغلي  
لو كان في قلبي كقدر قلامة وصلتك كتي أو أتك رسائي<sup>(٤)</sup>  
وروى القالى في أماليه عن العنبي فقال : دخلت عزة على عبد الملك بن مروان  
فقال لها : أنت عزة كثير؟ فقالت : نعم ! قال لها : أتروين قول كثير :  
وقد زعمت أني تغبرت بمدّها ومن ذا الذي يا عزة لا يتغير؟  
تغير جسمي والخلقة كالتى عهدت ولم يخبر بسرّك مخبر<sup>(٥)</sup>  
قالت : إني لا أروى هذا ولكني أروى قوله :

كأنى أنادى صخرة حين أعرضت من الصمّ لو تمشى بها العضم زلت  
صفوحاً فما تلقاك إلا بحيلة فن مل منها ذلك الوصل ملّت<sup>(٦)</sup>  
وروى ابن قتيبة في كتاب الشعراء : أن عائشة بنت طلحة قالت لعزة أرايت  
قول كثير :

قضى كل ذي دين فوفى غريمه وهزة ممطول معنى غريمها

(١) ملحب : من الحب (٢) القلامة بالضم : المقلومة أى المقطوعة من طرف  
الظفر .

(٣) يروى « صفوح » موضع « صفوحا » والصفوح المعرض  
( ١٤ — ناك )

ما كان ذلك الدين؟ قالت: وعدته قبلة فتخرجت منها! فقالت اقضيها وعلى إثمها! وإنما صغر اسمه لشدة قصره وحقارته. قال الوقاصي: رأيت كثيراً يطوف بالبيت فمن حدثك أنه يزيد على ثلاثة أشبار فلا تصدقه. وهجاء الحر بن الكناني بقوله:

قصيرٌ قيسٌ فاحشٌ عند بنتهٍ    يعضُّ القُرَادَ باستهٍ وهو قائمٌ<sup>(١)</sup>

وكانت وفاته في خلافة يزيد بن عبد الملك بالمدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة وأكمل السلام. قال جويرية بن أسماء: مات كثير وعكرمة مولى ابن عباس في يوم واحد فقال الناس: اليوم مات أفقه الناس وأشعر الناس! ولم يتخلف رجل ولا امرأة عن جنازتهما. وذلك في سنة خمس أو سبع ومائة، وغلبت النساء على جنازة كثير. وقد أطنب الأصبهاني في الأغاني في ترجمته. والمقصود: أن لفظ أنسب في المثل من النسيب لا من النسب. وكذلك قولهم «أنسب من قطاة» هو من النسبة وذلك أنها إذا صوّتت فإنها تنتسب لأنها تصوت باسم نفسها فتقول قطا قطا. والقطاة طير معلوم، وهي مشهورة بسرعة الطيران والله أعلم.

## علم العرب بالأخبار

من تتبع شعر العرب واستقراه، ووقف على ما قالوه من مثل واستقصاه، تبين له ما كان للعرب الأولين، من اليد الطولى والقدم الراسخة في معرفة أخبار الأمم الماضية، وأخلاقهم وسيرهم، ودولهم وسياستهم، لا سيما شعرهم فهو سجل أخلاقهم، وخزانة معارفهم، ومستودع علومهم، وحافظ آدابهم

(١) رواه أبو تمام في ديوان الحماسة هكذا:

(أظن خليلي من تقارب شبخه \* الخ ...)

ولم يسم قائله. والاسم: العجز، ويراد به حلقة الدير، والقراذيم قرادة وهي دويبة تعلق بأعجاز الإبل والخيول.

ومَعْدِنُ أخبارهم ، ومرجعهم عند اختلافهم في الأنساب والحروب ، فلذلك قيل « الشعر ديوان العرب » وعليه قول قائلهم :

الشعر يحفظ ما أودى الزمان به    والشعر أخير ما ينبي عن الكرم <sup>(١)</sup>

لولا مقال زهير في قصائده    ما كنت تعرفُ جوداً كان في هرم <sup>(٢)</sup>

ومن شعرهم دون الناس أيامهم وحروبهم : كأبي عبيدة ، وأبي الفرج الأصبهاني ، وغيرها ، ومن شعرهم ألف أبو حاتم السجستاني ( كتاب المعمرين ) ! ومن شعرهم ألف من ألف في أحوال شعرائهم المتقدمين : ككتاب ( الشعر والشعراء ) لابن قتيبة ، ومن شعرهم ألف من ألف في جزيرة العرب ، ووصف ما فيها من البلاد ، والجبال ، والأودية ؛ والوهاد ، ومن شعرهم دونت الكتب المؤلفة في أخبار ملوكهم وأحوالهم ، ومن شعرهم أخذ ما ألف في الحيوان والنبات ككتاب ( الحيوان ) للجاحظ ، وكتاب ( النبات ) لأبي حنيفة الدينوري ، ومن شعرهم دونت الكتب المؤلفة في أحوالهم ، وأديانهم ، وما كانوا عليه أيام جاهليتهم ، ومن شعرهم ترجح القول بأن ذا القرنين كان من العرب ، فقد أكثروا ذكره في أشعارهم <sup>(٣)</sup> . قال أعشى بن ثعلبة :

والصعب ذو القرنين أمسى ثاوياً    بالحنو في جدثٍ هُناك مقيم <sup>(٤)</sup>

وقال الربيع بن ضبيع

والصعب ذو القرنين عمر ملكه    ألفين أمسى بعدَ ذاك رمياً <sup>(٥)</sup>

وقال قُسن بن ساعدة

والصعب ذو القرنين أصبح ثاوياً    بالأخذ بين ملاعب الأرياح <sup>(٦)</sup>

(١) أودى به : ذهب به . (٢) أخبار هرم في الجزء الأول من هذا الكتاب ص ٨٤ و ٨٥ و ٨٦ ، وزهير : هو ابن أبي سلمى الشاعر الشهير وأخباره متفرقة في هذا الكتاب انظر الفهارس .

(٣) الشواهد الآتية تقدمت في الجزء الأول ص ١٧٧ و ١٧٨ (٤) قال السهيلي في الروض الأنف ( ج ١ ص ١٩٥ ) : يريد بالحنو حنو قراقر الذي مات فيه ذوى القرنين بالعراق .

(٥) الرميم العظام البالية (٦) ملاعب الأرياح : مدارجها .

وقال تبع الحميري

قد كان ذو القرنين قبلي مسلماً ملكاً تدين له الملوك وتحشد<sup>(١)</sup>  
من بعده بلقيس كانت عمتي ملكتهم حتى أتاها الهذهد<sup>(٢)</sup>  
وقال بمض الحارثيين يفتخر بكون ذى القرنين من اليمن يخاطب قوماً  
من مضر:

سموا لنا واحداً منكم فنعرفه في الجاهلية لاسم الملك محتملاً  
كاتبين وذى القرنين<sup>(٣)</sup> يقبله أهل الحجا وأحق القول ما قبلنا  
وقال النعمان بن بشير الأنصاري

ومن ذا يعاديننا من الناس معشر كرام وذو القرنين منا وحاتم  
وقع ذكر ذى القرنين أيضاً في شعر امرئ القيس ، وأوس بن حجر ،  
وطرفة بن العبد وغيرهم ، ويؤخذ من أكثر هذه الشواهد أن الراجح في اسمه  
الصعب ، ومن شعرهم علمنا حال قس بن ساعدة وما كانت العرب تعتقده فيه  
حتى عظمته تعظيماً ، وضربت شعراؤها بحكمته الأمثال ، وفي كتاب الإصابة  
شواهد ذلك ، وهكذا حال لقمان بن عاد الأكبر ، والأصغر ، ولقيم بن لقمان ،  
وقد كانوا يعظمون شأنهم في النباهة ، وعلو القدر ، والعلم ، والحكم ، والالسان ،  
والحلم ، وهذان غير لقمان الحكيم المذكور في القرآن على ما يقول المفسرون ، ولا ارتفاع  
قدره ، وعظم شأنه ، قال النمر بن تولب :

لقيم بن لقمان من أخته فكان ابن أخت له وابنما<sup>(٤)</sup>  
ليالي مقيم فاستحصنت عليه ففر بها مظلماً<sup>(٥)</sup>

(١) أي تطيعه الملوك وتجيئه مسرعة وتخدمه (٢) بلقيس بالكسر ملكة سبأ  
(٣) في بعض الروايات — كما تقدم في الجزء الأول — «وذو القرنين» بالرفع  
(٤) لقيم : بضم اللام وفتح القاف ، و «أخته» اسمها صحر ، و «ابنم»  
ابن زيدت عليه الميم .

(٥) حمق : بضم الحاء وتشديد الميم ، أي أسكر حتى ذهب عقله ، ويرويه  
المفضل حمق بفتح الحاء وزعم أنه يقال إذا شرب الخمر ، يقال لها الحمق ،  
واستحصنت . بالبناء للفاعل أي أتنه وهي حصان كما تأتي المرأة وزوجها ،  
وقوله « ففربها » غر بضم الفين من الغرة وهي الغفلة ويروى موضعه  
«فجامصها» وقوله « مظلماً » بكسر اللام .



ففر بها رجل محكم فجاءت به رجلاً محكما<sup>(١)</sup>

وذلك أن أخت لقمان قالت لامرأة لقمان : إني امرأة محقة ، ولقمان رجل منجب محكم ، وأنا في ليلة طهرى ، فهى لى ليلتك ، ففعلت فباتت فى بيت امرأة لقمان ، فوقع عليها ، فأحبها بلقيم ، فلذلك قال النمر بن تولب ما قال ، والمرأة إذا ولدت الحقى فهى محقة ، ولا يعلم ذلك حتى يرى ولد زوجها من غيرها أكياساً ، وقد أطل القول فى لقمان ولقيم الجاحظ فى كتاب البيان ، وأورد شواهد العرب فى أحواله ، ومن شعرهم دونت الكتب المؤلفة فى الأضياف ، والفرسان ، وغير ذلك ، وقد بالغ العلامة الهمداني على ما ذكر فى كتاب ( الوشى المرقوم ) فقال : لم يصل إلى أحد خبر من أخبار العرب والعجم إلا من العرب ، وذلك لأن من سكن مكة أحاط بعلم العرب العاربة ، وأخبار أهل الكتاب ، وكانوا يدخلون البلاد للتجارات فيعرفون أخبار الناس ، وكذلك من سكن الحيرة ، وجاور الأعاجم ، علم أخبارهم ، وأيام حمير وسيرها فى البلاد ، وكذلك من سكن الشام خبر بأخبار الروم ، وبنى إسرائيل واليونان ، ومن وقع بالبحرين وعمان فعنه أتت أخبار السند وفارس ، ومن سكن اليمن علم أخبار الأمم جميعاً لأنه كان فى ظل الملك السيارة — إلى أن قال — والعرب أصحاب حفظ ورواية ، والمقصود أن العرب كما لا يخفى على من سبر أقوالهم ، وأشعارهم ، كان لهم حظ وافر من رواية الأخبار ، ومن طالع الكتب المؤلفة فى أمثالهم وقف على كثير من المواد التاريخية التى لا شبهة فيها .

---

(١) قوله « ففر بها رجل محكم » يروى فى موضعه « فأحبها رجل نابه » — ونابه من النباهة ارتفاع الذكر — وهو لقمان فجاءت ( أى أخته ) به ( أى بلقيم ) « ومحكما » بفتح الكاف أى حكيماً ، وهذه الأبيات من قصيدة للنمر عدد أبياتها نحو ٢٣ بيتاً . وقد كانت فى الأصل محرقة تحريفاً شائناً كما أنها وردت كذلك فى البيان والتبيين للجاحظ ( ج ١ ص ١٠٣ ط : مطبعة الفتوح الأدبية بمصر ) ومما زاد هناك فى الطين بلة أن المصحح الذى أخذ على عاتقه ضبط الكلمات بالشكل الكامل ، خلط فى الضبط خلطاً زاد به التحريف غموضاً واشكالا ولا حول ! . ومرجعنا فى تصحيح هذه الأبيات خزنة الأدب وتاج العروس .

### التاريخ عند العرب في الجاهلية

لما بسطنا القول على ما كان للعرب أيام جاهليتهم من السابقة في رواية الأخبار ومعرفة القرون الخالية ، وأحوال الأمم الماضية ، وسير الأجيال السالفة ، كما دل على ذلك شعرهم وأمثالهم وسائر أقوالهم ، أتبعناه بذكر مذهبهم في التاريخ ، وكيفية ضبطهم للوقائع ، ومبدأ الحوادث . وقد خلصت ذلك من كتاب ( أدب الكتاب ) للإمام أبي بكر الصولي وهو كتاب فريد في فنه ، فأقول ومنه المعونة : تاريخ كل شيء غايته ووقته الذي ينتهي إليه ، ومنه : فلان تاريخ قومه في الجود ، أى الذى انتهى إليه ذلك ، وسئل بعض أهل اللغة : ما معنى ذلك ؟ فقال : معناه التأخير . وقال آخر : هو إثبات الشيء . ويقال : ورخت الكتاب تورخا لغة تميم ، وأرخته تأريخا لغة قيس وتاريخ وتاريخان وتواريخ ، وأرخ كتابك هذا وورخه ، ولكل نبوة ومملكة تاريخ . فأما العرب فكانوا يؤرخون بالنجوم قديما ، وهو أصل ومنه صار الكتاب يقولون : نجمت على فلان كذا حتى يؤديه في نجوم وأنجمة جمع نجوم ، والعرب تخص بالنجم الثريا ، ومنه قولهم :

طلع النجم غديّه فابتغى الراعى كسيّه

والنجم بعد هذا سائر النجوم يدل الواحد على جميعها . كما يقال : أهلك الناس الدينار والدرهم يراد الجنس . وعلى هذا قرأ أبو عمرو بن العلاء ( وسيعلم الكافر لمن عقبي الدار ) والنجم ما نجم من النبات ، ومن الرأى ما ظهر وهو غير هذا ، وكانت العرب تؤرخ بكل عام يكون فيه أمر مشهور متعارف ، فأرخوا بعام الفيل ، وفيه ولد النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ، وكان في السنة الثامنة والثلاثين من ملك كسرى أنوشروان ( وقد مرت قصة الفيل في أوائل الجزء الأول عند ذكر مكة شرفها الله تعالى ) وأرخت العرب بعام الخنثان لأنهم تماوتوا فيه ، وعظم عندهم أمره . فقال النابغة الجعدي :

فمن يك سائلاً عنى فإنى من الشبان أيام الخنّان<sup>(١)</sup>  
مضت مائة لعام ولدت فيه وعشر بعد ذاك وحجتان  
وأرخت قریش بموت (هشام بن المغيرة المخزومي) لجلالته فيهم ، ولذلك  
قال شاعرهم .

وأصبح بطن مكة مقشعاً كأن الأرض ليس بها هشام<sup>(٢)</sup>  
وروى عن الزهرى والشعبي أن بنى إسماعيل<sup>(٣)</sup> أرخوا من نار إبراهيم عليه  
السلام إلى بناءه البيت حين بناء مع إسماعيل ، وإن بنى إسماعيل أرخوا من بنيان  
البيت إلى تفرق معد ( فكان كما خرج قوم أرخوا بمخرجهم ، ومن بقى بهامة  
من بنى إسماعيل يؤرخون من خروج سعد ونهد وجهينة بنى زيد من بهامة (٤) )  
ثم كانوا يؤرخون بشيء شئ إلى موت كعب بن لؤى ، ثم أرخوا بعام الفيل إلى  
أن أرخ عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه من هجرة النبي صلى الله تعالى عليه  
وسلم ، وكان سبب ذلك أن أبا موسى كتب إليه : إنه يأتينا من قبلك أمير المؤمنين  
كتب ليس لها تاريخ ، فلا ندرى على أيها نعمل ! وروى أيضاً أنه قرأ صكا  
محله شعبان فقال : أى الشعبانين الماضى أم الآتى ، فكان سبب التاريخ من  
الهجرة بعد أن قالوا : نؤرخ بعام الفيل ، وقالوا من المبعث ، ثم اجتمع رأى على

(١) الخنّان « فى الأصل بالناء بعد الخاء وهو تصحيف » . وإيام الخنّان :  
على ما يزعم الصولى والمرضى - أيام كانت للعرب قديمة هاج فيهم مرض  
فى أنوفهم وحلقهم . والمعروف أن الخنّان على وزن غراب زكام يأخذ الأبل  
فى مناخرها وتموت منه ، وزمنه كان فى عهد المنذر بن ماء السماء ! قال  
الأصمعى : كان الخنّان داء يأخذ الأبل فى مناخرها وتموت منه فصار ذلك  
تاريخاً لهم (٢) هشام : كان من أعظم بنى مخزوم وكان له ولبنيه صيت  
بمكة وذكر منتشرة ، وكان سيد قریش فى دهره ، قيل : لما هلك نادى مناد بمكة أن  
أشهدوا جنازة ربكم ! وهو والد أبى جهل . . يستشهد النحويون بهذا البيت  
على أن « كان » تكون للتحقيق عند الكوفيين ، وخرجه ابن مالك على أن الكاف  
للتعليل . . وفى التصريح : أنه لا حجة للكوفيين فى هذا البيت لأنه محمول  
على التشبيه فان الأرض ليس بها هشام حقيقة بل هو فيها مدفون .  
(٣) كذا الأصل والظاهر أن يكون « بنى اسحاق » فتدبر .  
(٤) هذه الجملة التى بين القوسين سقطت من نسخة ( أدب الكتاب )  
التي اعتمدنا عليها فى نشره .

الهجرة ، وقالوا : ما يكون أول التاريخ ؟ فقال بعضهم : شهر رمضان ، وقال بعضهم : رجب فإنه شهر حرام والعرب تعظمه ، ثم أجمعوا على الحرم . فقالوا : شهر حرام وهو منصرف الناس من الحج ، وكان آخر الأشهر الحرم ، فصيره أولاً لأنها عندهم ثلاثة سرد ذو القعدة وذو الحجة والحرم والفرد رجب ، فكانت الأربعة تقع في سنتين فلما صار الحرم أولاً وقعت في سنة . « قال الصولى » وسألت أبا ذكوان عن أرخت وورخت فقال : مثله أكدت الأمر تأكيداً ووكدته تأكيداً لغة تميم وبها نزل القرآن « ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها » وأما التاريخ بلغة قيس فهو الذى يستعمله الناس ، وأما التاريخ لغة تميم فاستعمله كاتب قط ، وإن كانت العرب تتكلم به . وغلبت العرب الليالى على الأيام فى التاريخ لأن ليلة الشهر سبقت يومه ولم يلدّها وولدتّه ، ولأن الأهلة لليالى دون الأيام ، وفيها دخول الشهر ، وما ذكرها الله عز وجل إلا قدم الليالى قال الله تعالى : « وواعدنا موسى ثلاثين ليلة وأتمناها بعشر فتم ميقات ربه أربعين ليلة » وقال : « سحرّها عليهم سبع ليالٍ وثمانية أيام حسوماً » وقال : « يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل » وقال : جل اسمه « سيروا فيها ليالى وأياماً آمنين » والعرب تستعمل الليل فى الأشياء التى يشاركه فيها النهار دون النهار لاستئناسهم الليل فيقولون أدركنى الليل بموضع كذا لهيبته ، وقال النابغة :

فإنك كالليل الذى هو مدركى وإن خِذْتُ أن المُنْتأى عنك واسع<sup>(١)</sup>  
وقالوا صمنا عشرًا من شهر رمضان . وإنما الصوم للأيام ، ولكنهم أجازوه إذ كان الليل أول شهر رمضان وأنشد أبو عبيدة .

فصامت ثلاثاً من مخافة ربّها ولو مكثتُ خمساً هناك لَصَلَّتِ  
وأما الشهور فإنها كلها مذكرة إلا جمادى الأولى ، وجمادى الآخرة ؛ ويكتبون من شهر كذا إلا فى ثلاثة أشهر يكتبون فى شهر رمضان لقول الله عز وجل : « ان كنتم تعلمون \* شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن » ويقولون شهر ربيع

(١) راجع من ١٠١ و ١٠٢ من هذا الجزء .

الأول ، وشهر ربيع الآخر ، لأن الربيع وقت من السنة يخافوا إذا قالوا من ربيع ولم يذكروا الشهر أن يظن أنه من الوقت ، قال الراعى :

شَهْرَى ربيع ما تذوقُ لبونَهُمْ إلا حوضاً وخمّةً وذويلاً

كل ما انكسر واسود من النبت فهو ذويل . فإذا رأوا الهلال أول ليلة كتبوا « وكتب ليلة الجمعة غرة كذا ومستهل كذا ومهل شهر كذا » لأنهم يقولون استهل الهلال وأهل الهلال ولا يقولون هل ولا أهل ولا استهل ومن قال ذلك فقد أخطأ ، والاستهل الصوت والصياح ، ومنه استهل الصبي صياحه وبكاؤه إذا ولد . فلما كانوا يكبرون عند رؤية القمر كل أول ليلة من الشهر ، وفي أول سائر الشهور لقربهم بمضى الخارج من وقت الحج وسرورهم بالموسم نسبوا الرؤية إلى فعلهم فقالوا استهل وأهل ، وسموا القمر هلالا لهذا المعنى . وكان أهل مكة يجتمعون ويوقدون النار وتلعب ولدانهم وعبيدهم عندها كل أول ليلة من سائر الشهور لفرحهم بقرب وقت الحج ، ويكتبون ليلة الإهلال لغرة كذا ولا يكتبون لليلة خلت ولا لليلة مضت إلا من الغد لأن الليلة قد مضت ، وإن كتبوا يوم الجمعة قالوا : أول يوم من شهر كذا . ولا يكتبون مستهل ولا مهل لأن الهلال إنما يرى بالليل . ويكتبون في اليوم الثانى لليلتين مضتا فإذا جاز ذلك كتبوا لثلاث خلون وأربع مضين . وكتبوا لثمان خلون فبحدفون الياء ويثبتون الألف في الخط فإذا أضافوا إلى الليالى أثبتوا الياء للإضافة لأنه لا يكون تنوين مع إضافة ، وإنما سقطت الياء للتنوين فيسقطون الألف عند ذلك في الخط فيكتبون لثمانى ليالى ومنهم من يثبتها ، وإنما أنشأوا إلى قولهم لعشر خلون لتقدم الليالى على الأيام كما سبق . فإذا جاوزوا العشرة قالوا لإحدى عشرة ليلة خلت ومضت ولا ثنتى عشرة ليلة . وإنما قالوا ههنا خلت ومضت لأن الترجمة بليلة فوحدوا الفعل لذلك : ويكتبون خمس عشرة ليلة (خلت) وإن شاءوا كتبوا للنصف من شهر كذا ، ولا يكتبون لخمس عشرة ليلة بقيت كرهوا ذلك لأنه

شبيه الاستثناء ولا يكون إلا أقل مما استثنى منه ، ولكن يكتبون بعد النصف  
يوم لأربع عشرة ليلة بقيت . وقد كره أهل الورع ذلك لأنهم لا يدركون كم بقي  
لنقصان الشهر وتماه فيكتبون لإحدى وعشرين ليلة خلت ، والكتاب على غير  
هذا . فإذا كان آخر ليلة من الشهر كتبوا سلخ كذا لأنهم يقولون : انسأخ  
الشهر انسأخا وسأخت أشهر كذا سلأخا وسلأخا . ولو كتب كاتب في ربيع  
الأول ولم يقل في شهر أو في رمضان ولم يقل في شهر جاز وليس بالخطأ . قال الشاعر :  
جارية في رمضان الماضي تُقَطِّعُ الحديث بالإيماء (١)

ولا يدخلون في شهر من الشهور الألف واللام إلا في الحرم لأنه أول السنة  
فعرفوه لذلك كأنهم قالوا هذا الذي يكون أبداً أول السنة . ولا يكتبون لليلة  
بقيت وأنت فيها كما لم يكتبوا لليلة خلت وأنت فيها . والعرب تسمى أول ليلة  
من الشهر ليلة البراء لتبرؤ القمر من الشمس . ويسمونها النخبة لأن الهلال نحرها  
أى رؤى في نحرها وأولها ، قال ابن أحر :  
ثم استمر عليها واكف همع في ليلة نحرت شعبان أوجها (٢)

نحرت شعبان كانت في نحرة وصدره لأنها أوله كما نحرها الهلال إذا رؤى  
في أولها ، ونخبة فعيلة من نحرت مثل قتلت فهي قتيلة « قال الصولى » قال بعض

(١) قال أبو عمرو المطرزي : معناه أنهم كانوا يتحدثون فنظرت اليهم  
فاشتغلوا بحسن نظرها عن الحديث ومضت ( أ هـ ) وقيل غير ذلك . وفي  
الروض الأنف للسهيلي : في قوله تعالى « شهر رمضان » اختار الكتاب والمؤثقون  
النطق بهذا اللفظ دون أن يقولوا « كتب في رمضان » وترجم البخاري  
والنووي على جواز اللفظين جميعاً ! وأورد الحديث « من صام رمضان » ولم  
يقول « شهر رمضان » . قال السهيلي : ولكل مقام مقال ، ولا بد من ذكر  
شهر في مقام وحذفه في مقام آخر ، والحكمة في ذكره إذا ذكر في القرآن  
وغيره ، والحكمة أيضاً في حذفه إذا حذف من اللفظ وأين يصلح الحذف ويكون  
أبلغ من الذكر : كل هذا قد بيناه في كتاب ( نتائج الفكر ) غير أنا نشير إلى  
بعضها فنقول : قال سيبويه — ومما لا يكون العمل إلا فيه كله المحرم وصفر ،  
يريد أن الاسم العلم يتناول اللفظ كله وكذلك إذا قلت الأحد والاثنين فإن  
قلت يوم الأحد أو شهر المحرم كان ظرفاً ولم يجر مجرى المفعولات وزال  
العموم من اللفظ لأنك تريد في الشهر وفي اليوم ، ولذلك قال صلى الله عليه  
وسلم « من صام رمضان » ولم يقل شهر رمضان ليكون العمل فيه كله .  
انتهى . (٢) الواكف : المطر ، وسحاب همع ككتف : مطر .

الكتاب . التاريخ عمود اليقين ، ونافى الشك ، وبه تعرف الحقوق ، وتحفظ العهود . قال : ولا يقع التاريخ في شيء من الكتب السلطانية من رئيس أو مروءوس إلا في أعجاز الكتب . وقد يؤرخ النظير والتابع ما خلاص من الكتب في صدورهما . وقيل : الكتاب بغير تاريخ نكرة بلا معرفة ، وغفل بغير سمة ؛ قال بعض الشعراء في تاريخ (شخص) توفي :

وكان يؤرخ علم القرون فهاهو ذا اليوم قد أُرْخا !  
فأما الذى يروى للمستوغر بن ربيعة فهو قوله وهو عجيب من العمر في مثل زمانه :  
ولقد سَمِعْتُ من الحياة وطولها      وازددت من عدد السنين سنينا  
مائة أتت من بعدها مائتان لى      وازددت من عدد الشهور مثينا  
هل ما بقى إلا كما قد فاتنا      يوم يكرّر وايلة تحذونا  
وقد ذكرنا عند الكلام على مجامعهم أسماء الأشهر — أيام العرب العرباء —  
وأسماءها لدى المستعربة وغير ذلك مما يناسبه . ثم إن الصولى — رحمه الله تعالى —  
أطنب في بيان ثنية الأيام والشهور وجموعهما ، وفي ذكر فوائد آخر تتعلق  
بفرضه ، وقد أهمل كثيراً مما كان العرب تؤرخ به . فقد كان لهم في الين والحجاز  
ونجد تواريخ كثيرة يتعارفونها خلفاً عن سلف ، وقد كان كل طائفة منهم تؤرخ  
بالحادثات المشهودة فيها ، وحيث إن استيعاب ذلك يطول اقتصرنا على بيان  
ما كان شائعاً عند جميعهم وهو ( زمن الفِطْحَل ) فلا بد من تفصيل القول فيه  
وبالله التوفيق :

### زمن الفِطْحَل

هو زمن كانوا يؤرخون به كل ما قدم عليه العهد ومرت عليه العصور والدهور  
واختلف أئمة اللغة في تفسيره فقال الخليل : هو الزمن الذى لم يخلق فيه الناس  
بعد ، ومنهم من قال : هو زمن نوح عليه السلام ، ومنهم من قال : هو الزمن الذى  
كانت الحجارة فيه رطاباً ، واذ كل شيء ينطق ، وبذلك أجاب رؤية حين سئل

عنه . وفي الصحاح : قال الجرمي سألت أبا عبيدة عنه فقال الأعرابي تقول ؛ هو زمن كانت الحجارة فيه رطبة . وهو معنى قول بعضهم زمن الفطحل إذ السلام رطاب . وقال أبو حنيفة الدينوري : تقول أتيتك عام الفطحل والهدملة يعني زمن الخصب والريف . وأنشد أبو عبيدة لرؤبة بن المعجاج وقد نزل ماء من المياه فأراد أن يتزوج امرأة فقالت له المرأة : ما سنك ما مالك ما كذا ما كذا فأنشأ يقول :

لما ازدرت نكدي وقلت إني تألفت واتصلت بمك<sup>(١)</sup>  
تسألني عن السنين كم لي فقلت لو عمرت عمر الحسل<sup>(٢)</sup>  
أو عمرت نوح زمن الفطحل والصخر مبتل كطين الوحل  
أو أني أوتيت علم الحكل علم سليمان كلام النمل  
كنت رهين هرم أو قتل

الحكل بالضم من الحيوان مالا يسمع صوته كالذر والنمل . وبعض أئمة اللغة يقول : هو العجم من الطيور والبهايم . وقال الليث : الحكل في رجز رؤبة اسم لسليمان عليه السلام ، وهو قوله :

لو أني أوتيت علم الحكل علمت منه مستسر الدخ<sup>(٣)</sup>  
علم سليمان كلام النمل ماردأزوي<sup>(٤)</sup> أبداً عن عدل  
قال الإمام الثعالبي<sup>(٥)</sup> نقلاً عن القاضي عبد الحسن<sup>(٦)</sup> . أما قولهم أيام كانت الحجارة رطبة وإذ كل شيء ينطق فهما من الأمور التي يتداولها جملة الأمم ،

(١) ازدرت نقده . راته قليلاً ، والنقد : الدراهم ، وتألفت : تلونت وتغيرت ، ويجوز أن يريد تنكرت وتخبت من قولهم « امرأة القة — بكسر اللام » الخبيثة الصخابة المنكرة ويجوز أن يكون من قولهم تألق البرق أي لمع : يريد أنه لما ذكر لها ما ذكر أنكرته وتعجبت منه فلوحت بثوبها إلى من يقرب منها ونادت « يال عكل ! » تستغيث بهم ليحضروا فيسمعوا ما تكلم به ، والاتصال : أن يعتزى الرجل إلى قبيلته (٢) الحسل : الضب وهو لا تسقط له سن ، ومن أمثالهم في التأييد « لا أفعله سن الحسل » والتقدير دوام سن الحسل أي مدة دوامه . وقد زعموا أن الضب يعيش ثلثمائة سنة وأنه والحية والقراد والسر أطول شيء عمراً ولذلك قالوا « أحيا من ضب لطول حياته » . (٣) الدخ : العيب الباطن (٤) تيس الجبل البري . (٥) المضاف والمنسوب ص ٥١٦ (٦) في المضاف والمنسوب « أبو الحسن ابن عبد العزيز » .



وهو الظاهر بين إغفال العرب هذا وأمية بن أبي الصلت وهو من حكماء العرب والمتخصصين منها بالرواية قال :

وإذ هم لا لبوس لهم عراة وإذ صمّ الصلاب لهم رطابُ  
بآية قام ينطقُ كلُّ شيءٍ وخان أمانةَ الديكِ الغرابُ  
وعن مقاتل بن سليمان أنه كان يقول : إذ الصخور كانت آينة ، وإذ قدم إبراهيم عليه السلام أثرت في صخرة المقام للين الصخور يومئذ ، قال الثعالبي ، وليس مذهب هؤلاء فيما رواه مذهب من جعلها أجزاء من الأرض تستصلب وتمكسر وتتججر ، فزعم أنها تيبس عن ندوة وتصلب بعد رخاوة ، ولو أرادوا ذلك لوجدوا متسعاً في القول ، لكن الأوهام التي صورت أن البهائم كانت ناطقة عاقلة ، وفروع السعدان <sup>(١)</sup> ملساء لينة ، وأغصان العوسج خضرة ناعمة — هي التي أدتهم لذلك ، ولا يبعد أن يكون القوم لما رأوا الحكماء قصدوا استعطاف الأوهام <sup>(٢)</sup> إلى الحكمة فوضعوا أمثالا ، ورشحوها ببعض المزل ، وأدرجوا الجد في أثناء المزح ليخف عن القلوب احتمالها ، ويسرع إليها التفتاتها — ظن من لم يقع من التمييز موقع الكمال بالبهائم أنها تنطق وتفصح ، وتبين عن نفسها وتعرب ؛ فاختلقوا أحاديث أضافوها إليها ، وكان للعرب في ذلك خصوصاً ما زادت به على سائر الأمم لفضل ما فيها من اللهج بالكلام ، وما أوتيت من القدرة على التصرف في المنطق ، فنظمت لها قريضاً ، وفصلت أسجاءه كالذي حكى عن الضب أنه قال في صبره على الماء ، وهو عندهم أصبر ذى نفس عليه : « أصبح قلبي صردا . لا يشتهي أن يرداً ، إلا عراداً عردا . وصلياناً بردا ، وعكناً ملتبدا <sup>(٣)</sup> » ، ومنهم

(١) نبت من أفضل مراعى الابل ، ومنه « مرعى ولا كالسعدان »

(٢) ن : القلوب

(٣) صرد كفرج يصرد صردا فهو صرد : وجد البرد سريها وقوله « الاعرادا عردا » قال في النوادر : عرد الشجر وأعرد إذا غلظ وكبر وعمراد عرد على المبالغة ثم أنشد « أصبح قلبي الخ » وقال : وإنما أراد عاردا وباردا فحذف للضرورة « عن أبي الهيثم » وقوله « عكنا » صوابه « هنكنا » وهو شجر يشنهي الضب . والصليان بكسرتين مشددة اللام والياء خفيفة ، نبت من الطريفة .

من يرويها هكذا : « آليت أن لا أُرِدا ، إلا عراداً عردا ، وصليانا صردا ،  
وعنكثاً ملتهدا » وزعموا أن القطا قال للحجل : « حجل حجل ، نفر في الجبل  
من خشية الوجل » فقالت لها الحجل : « قطا قطا ، أرى قفاك أمعظما<sup>(١)</sup> بيضك  
ثنتان وبيضى مئطا<sup>(٢)</sup> » هكذا جاءت الرواية والأمثال تجري على ألسانها . . وهذا  
الوجه الذى ذكره الثعالبي هو المتعين ، وأشباه ذلك فى كلامهم ومحاوراتهم كثيرة  
مذكورة فى كتب الأدب ؛ ومن ذلك ما حكاه أصحاب اللغة فى وجه تسمية بعض  
الكواكب وعدوه من أكاذيبها وخرافاتنا ، مع أن الوجه ما اختاره الثعالبي من  
أن ذلك لأغراض مقصودة لهم فقالوا : الشعرى كوكبان إحداها الشعرى العبور  
والأخرى الشعرى الغميصاء ، أما العبور فإنها من نجوم الجوزاء ويسمى كلب  
الجبار ، وسميت بالعبور لأنها كانت والغميصاء وسهيل مجتمعة فأنحدر سهيل فصار  
يمانياً ، وتبعته العبور فعبرت الحجرة ، وأقامت الغميصاء فبكت لفقد سهيل حتى  
غمصت ، والغمص فى العين نقص وضعف ، وأما الغميصاء فأقل نوراً من العبور  
وهى من نجوم الذراع المبسوطة ، وبينها وبين العبور والحجرة ؛ وأصحاب الصور يعدونها  
فى صورة الكلب الأكبر ؛ وهى تقطع السماء عرضاً ، وليس غيرها من الكواكب  
كذلك ؛ وهى التى عنها الله تعالى بقوله « وأنه رب الشعرى » وإنما خصها  
 بالذكر لأن خزاعة كانت تعبدها ، وأول من سن ذلك لهم أبو كبشة وهب بن  
 غالب جد وهب بن عبد مناف . وقالوا فى وجه تسمية كوكبي الدبران والعيوق :  
 إن العيوق عاق الدبران لما ساق إلى الثريا مهرأ وهى نجوم صغار مجتمعة فهو يتبعها  
أبدأً خاطباً لها ، والدبران يعوقه ؛ ولذلك سموها هذه النجوم القلاص ، وعاليه  
 قول الشاعر<sup>(٣)</sup> :

أما ابن طوق فقد أوفى بذمته كما وفى بقلاص النجم حاديه<sup>(٤)</sup>

(١) أى لأشعر عليه (٢) يريد « مائتان » وحذفت التون شذوذا  
(٣) هو طفيل الغنوى (٤) يقال : وفى بالعهد وأوفى وقد جمعهما طفيل فى  
بيته ، وحادى القلاص : هو الدبران . قال ذو الرمة :  
قلاص حادها راكب متعمم هجائن قد كادت عليه تفرق

ولو تنبعنا أمثال ما ذكر مما قصدوا به المعنى الشعري ، ولم يريدوا به الحقيقة لطلال الكلام ، وما أوردناه وافٍ بالمرام .

### ما كان للعرب من العلم بالسماء وكائنات الجو

كل ما استقصى شعر العرب الأولين ، وما صح عنهم من الأمثال والأقوال عرف أن أوائل العرب كان لهم بحث عن الأجرام العلوية ، والآثار الجوية ، وأنهم اشتغلوا بالرصد ، ومعرفة حركات الكواكب ، وطلوعها وغروبها ؛ لا سيما ما يتعلق بها غرضهم ، وتمس إليها حوائجهم ، وقد ألف السلف من أئمة اللغة فيما كان لهم من ذلك كتباً مفيدة جمعوا فيها ما كان للعرب من العلم بالسماء ، وهي كثيرة . منها : (كتاب الأنواء) لأبي فيد (مؤرخ) ابن عمر النحوي<sup>(١)</sup> وآخر لأبي بكر محمد بن حسن المعروف بابن دُرَيْد اللغوي<sup>(٢)</sup> وآخر لأبي عبد الله محمد بن زياد المعروف بابن الأعرابي<sup>(٣)</sup> وآخر لأبي الحسن النضر بن شُمَيْل النحوي<sup>(٤)</sup> وآخر لأبي إسحق إبراهيم بن محمد الزجاج النحوي<sup>(٥)</sup> وكل هذه الكتب مشتملة على مسائل مفيدة من مذاهب العرب واعتقاداتهم ، وأنهم فائدة كتاب أبي حنيفة الدينوري<sup>(٦)</sup> ، فإنه تضمن ما كان عند العرب من العلم بالسماء والأنواء ومهاب الرياح ، وتفصيل الأزمان وغير ذلك . وإنى مستعيناً بالله ذاكر في هذا المقام نبذة من ذلك عازياً كل مبحث أخلصه ههنا إلى محله مما عثرت عليه من كتب الفن ، لئلا يبقى جيد هذا الكتاب عاطلاً من هاتيك الفرائد الغالية الثمن .

---

(١) ترجمته في بغية الوعاء للسيوطي ص ٤٠٠ من طبعة ص .  
(٢) فهرست ابن النديم ص ٦١ و ٨٨ ونزهة الألباء لابن الأنباري ص ٢٢٣ والبغية ص ٣٠ و ٣١ و ٣٢ (٣) الفهرست ص ٨٨ والبغية ص ٤٢ وكتاب عبد الرحمن الصوفي ص ٣٢ . (٤) الفهرست ص ٥٢ ونزهة الألباء ص ١١١ والبغية ص ٤٥ (٥) الآثار الباقية للبيروني ص ٣٣٦ و ٣٤٤ و ٣٤٥ والفهرست ص ٨٨ (٦) الفهرست ص ٧٨ و ٨٨ وطبقات الحنفية لابن قطلوبغا ص ٩٥ والنزهة ص ٣٠٦ والآثار الباقية ص ٣٣٦ و ٣٤٧ إلى ٣٤٨

## السماءات والأفلاك

السماء عند العرب كل ما علاك فأظلك ، ولذلك قيل للسقف والسحاب ولأعلى  
الفرس سماء ، ومن أسمائها الجرباء لاشتباك كواكبها ، والخلقاء إذا لم تر نجومها  
كالملاء ، والرقيع ، وجربة النجوم ، قال قائلهم :

وَحَوَتْ جِرْبَةُ النُّجُومِ فَمَاتَتْ رَبُّ أَرْوِيَّةٍ بَمَرَى الْجَنُوبِ<sup>(١)</sup>  
وأصل الجربة القراح من الأرض<sup>(٢)</sup> وكانوا يعتقدون فيها اعتقاد المليون ،  
ويثبتون العرش والكرسى ، وكانوا يسمون السماء الدنيا الرقيع . والسماء الثالثة  
الصاقورة والحاقورة ، والسماء الرابعة الخضراء ، ويقولون لما ولينا منها بطن السماء  
وظهر السماء لما يخالفه ، والهواء الفتق بين السماء والأرض وهو الشكاك والشكاكة  
واللوح ، وعنان السماء ما عن منها إذا نظر إليها ولونها العوهق ، والهلك مدار  
النجوم الذى يضمها ، ومجرة السماء كأثر الحجر فيها يسمونها أم النجوم ، ومن  
كواكبها « الشمس » لأنها فى السماء الرابعة تشبهاً لها بشمس القلادة ، ويقال لها  
ذُكَاء وإلهة والضَّحَّ والجونة والغزاة والجارية والسراج والبيضاء وبوح وبراح  
ومهاة والشرق ، إلا أنه لا يقال غاب الشرق ولا غابت الغزاة ، قال قائلهم .  
تَرَوْحْنَا مِنَ اللَّعِبَاءِ قَصْرًا وَأَعْجَلْنَا إِلَاهَةً أَنْ تَوْبَاهَا<sup>(٣)</sup>

« وقال آخر »

نَمِ يَجْلُو الظَّلَامَ رَبُّ رَحِيمٍ بِمَهَادٍ شُعَاعُهَا مَنْشُورٌ<sup>(٤)</sup>

ودارتها الطفاوة ، وآياتها ضوؤها ولعابها ما ترام فى شدة الحر كنسج

---

(١) يقول : صارت كواكب السماء التى كان الناس يسقون بنوئها خالية  
من الغيث لم يكن عند سقوطها مطر ولم يكن فى القلادة يسير ماء تشرب منه  
الشاة الجبلية من الماء الذى تستدره ربيع الجنوب (٢) القراح كسحاب الأرض  
التي لا ماء بها ولا شجر أو المخلصة للزرع والفرس  
(٣) يقول خرجنا بعد الزوال من هذا المكان قرب العشى وبادرنا الى المقصد  
قبل ان تغرب الشمس (٤) يقول : ثم يكشف ظلمة الليل رب رحيم نظرنا  
لخلقه ليتصرفوا فى معاشهم بشمس نورها ينشر فى البلاد .

العنكبوت ينحدر من السماء كاللعاب من الحيوان ، ويقال شرقت الشمس وذرت ذروراً أى طلعت وأشرقت أى انساح ضوءها ، وكسفت ذهب ضوءها ، والفيء الظل بعد الزوال ، وظل دوم لا تنسخه الشمس ، وطفلت وجنحت مالت للغروب ودنقت أيضاً ، وأشفت غابت إلا شفاً أى قليلاً ، ووجبت غابت ، ودلكت اصفرت للغيوب ، وصامت الشمس ركدت نصف النهار كأن لها وقفةً وإبطاءً عن الزوال ، ودومت ، قال ذو الرمة :

مُعْرُورِيَا رَمَضَ الرِّضْرَاضَ يَرْكُضُهُ<sup>(١)</sup> وَالشَّمْسُ حَيْرَى لَهَا فِي الْجَوِّ تَدْوِيمٌ<sup>(٢)</sup>  
وَقَرْنَ الشَّمْسُ وَحَاجِبَهَا أَوَّلَ نَوَاحِيهَا ، وَالْمَشْرِقُ الْمَطْلَعُ ، وَالْمَغْرِبُ الْمَغِيبُ  
وهما مشرقان ومغربان : مشرق الصيف هو مطلع الشمس في أطول يوم ،  
ومشرق الشتاء وهو أخفض مطالعها في أقصر يوم ، والمغربان على ذلك ، ودرارى  
النجوم كبارها .

ومنها القمر

ويقال له أول ما يهمل ( هلال ) إلى ثلاث ليال ، ثم هو قمر إلى أن يهمل ثانياً ،  
قال قائلهم

ثم استمرَّت كَشْفَةُ الْقَمَرِ الْبَدْرُ رِخْفُوقِ الْأَحْشَاءِ وَالْكَبَدُ<sup>(٣)</sup>  
ويقال لكل ثلاث ليال من أول الإهلال إلى أن ينسلخ الشهر اسم ؛ فالأول  
عُرْرٌ ، وبعدها نُقْلٌ ؛ ثم تُسَعٌ ، ثم عُشْرٌ ؛ وثلاث بيض ، وثلاث درع ؛ وثلاث  
ظلم ؛ وثلاث حنادس ، وثلاث دَآدَىءٍ واحدتها دَآءٌ ؛ وثلاث محاق ، وقد نظمها  
بعضهم فقال :

(١) معروريا : راكبا والرمض محركة شدة وقع الشمس على الرمل وغيره .  
والرضراض : الحصى أو صفارها ، ويروى « رمض الرضاء » وهى الأرض  
الشديدة الحرارة ، ويركضه : يضربه برجله ، ومعنى قوله والشمس حيرى  
أن الشمس في كبد السماء واقفة متحيرة إلى أن تنحط وتجنح للغروب  
وذلك من مبدأ الزوال والبيت في وصف الجندب (٢) البيت في وصف بقرة .  
يقول : ثم استمرت هذه البقرة الوحشية من خوف الصائل وهى في بياضها  
كالنصف من البدر فجعة قلقة خوفاً من الرامى .

ثم ليالى الشهر قدماً عرفوا كل ثلاث بصفات تعرف  
فَغَرَّرَ وَنُفِّلَ وتسع وعُشْرُ فالبيض ثم الدرع  
وظَلَمَ حنادس دَآدى ثم الحاق لانحاق بآدى

وليلة السواء ليلة تمام القمر ، وهو وفاء ثلاث عشرة ، وبعدها ليلة البدر ؛  
ومئسان ليلة النصف ، تقول : أسوينا ، وأبدرنا ، وأنصفنا ، أى صرنا فى ذلك  
وهذه الليالى الثلاث بيض ثم يدرع الشهر ، أى تسود أوائل لياليه ، من قولك  
شاة درعاء إذا اسود مقدمها وابتيض سائرها ، ثم ينتقص القمر حتى يمتحق ؛ وهو  
أن يطلع مع الشمس فيحترق ، وليلة ثمان وعشرين الدعجاء ، وبعدها الدهاء ،  
وليلة الثلاثين اللياء ، وابنا جمير يومان فى الحاق يستمر فيهما القمر ، والبراء  
آخر ليلة من الشهر لتبرؤ القمر فيه من الشمس وهو السرار . وقيل : بل هو  
أول يوم من الشهر ؛ والناحر والنحير كذلك . . وقيل يقال للهلال ما أنت ابن ليله  
رضاع سُخَيْلِه<sup>(١)</sup> ، حلّ أهلها رُمَيْلِه ، ما أنت ابن ليلتين : حديث أمتين .  
بكذب ومين<sup>(٢)</sup> ، ما أنت ابن ثلاث : حديث فتيات ، غير مؤلفات<sup>(٣)</sup> ، ما أنت  
ابن أربع : عتمة أم ربيع<sup>(٤)</sup> لا جائع ولا مريض ، ما أنت ابن خمس ، عشاء خدافات  
قمس<sup>(٥)</sup> ، ما أنت ابن ست : سروبت<sup>(٦)</sup> ، ما أنت ابن سبع : دلجة الضبع ،  
ما أنت ابن ثمان : قر أضحيان<sup>(٧)</sup> ، ما أنت ابن تسع : ملتقط الجزع<sup>(٨)</sup> ، ما أنت

(١) سخيلىة : تصغير سخيلىة . المعنى : ان الهلال يبقى بقدر ما ينزل قوم  
فتضع شاتهم سخيلىة ثم ترضعها ويرتحلون ، فبقاؤه فى الافق كمقدار رضاع  
السخيلىة (٢) يريد ان بقاءه له قليل كمقدار ما تلقى الأمة فتحدثها فتكذب لها  
حديثاً ثم تفترقان (٣) يريد أنه يبقى بقاء فتيات أكار اجتمعن على غير ميعاد  
فتحدثن ساعة ثم انصرفن غير مؤلفات (٤) أم ربيع : الناقة . يريد أن بقاء  
مقدار ما تحلب ناقة لها ولد ولدته فى أول الربيع وهو أول النتاج ، وعتمت  
أبله إذا تأخرت ومن هذا سميت العتمة لأنها آخر الوقت (٥) الخلفات : هى  
التي اسنبن حملها ، والقمس جمع قعساء : وهى الداخلة الظهر الخارجة  
البطن (٦) أى سرفى وبت ، فأننى أبقي بقدر ما يبيت انسان ويسير  
(٧) مضى (٨) أراد أنه مضى أبلج أو انقطعت فيه مخنقة فتاة مفصلة  
بجزع ما ضاع منها شيء لضباطه ونقائه .

ابن عشر . ثلث الشهر ، ويقال إن ما بعدها موضوع ، وهو مذكور في كثير من كتب الأدب .

والدارة حول القمر (الهالة) ويقال حاق القمر . والقمر الليلة في الهالة وحجر إذا استدار بخط . ويقال للقمر الزبرقان والأزهر والشهر والساهور ، وقيل غلافه الذي يستتر فيه إذا خسف وفي التسع البواقي . وقال أمية بن أبي الصلت :

لا نقص فيه غير أن خفيه قر وساهور يسلى وينعد<sup>(١)</sup>

والشامة : السواد في القمر ، وبذلك ألغز بعضهم :

وما شامة سوداء في حر وجهه مجللة لا تنجلي لزمان

ويدرك في تسع وخمس شبابة ويهرم في سبع معاً وثمان<sup>(٢)</sup>

ويقولون أضاءت القمر ، وليلة قراء وضخياء صحنيانة وبياض ، والحمقات الليالي البيض تغيم فيها السماء فتري ضوءاً ولا ترى قرأ فتظن أنك مصبح وعليك ليل ، يقال غرنى غرور الحمقات ، وبزغ القمر : طلع ، وأفل : غاب ، والفخت : ضوء القمر ، ويقال : جلسنا في الفخت وقيل الدأداء الليلة التي يشك فيها أمن الشهر الماضي هي أم من الداخل ؛ وليلة غمى يحال فيها دون الهلال ، وأنشد شاعرهم .

وليلة مشتبه أهوالها ليلة غمى طامس هلالها<sup>(٣)</sup>

وقد سمى العرب كواكب كثيرة يطول استقصاؤها ، واقتصرنا على ذكر النيرين الأعظمين .

(١) يقول : القمر وغلافه مختلفان فمرة ينزع من غلافه فيكون بدراً كاملاً ومرة يرد إلى غلافه حتى يكون مستسراً ثم يبدو ملالاً فيترايد إلى أن يعود بدراً (٢) قوله : ويدرك الخ يروى « ويدرك في ست وتسع شبابه » . قال أبو محمد في شرح هذين البيتين : الذي عندي أنه أراد وماشى في حر وجهه شامة سوداء ، ويكون سؤاله عن القمر إلا أنه ألغز ، وإن حمل الكلام على ظاهره كان السؤال عن الشامة ما سببها ، والمجلة : التي جالت وجهه . لا تنجلي لزمان : لا تذهب في وقت من الأوقات ، وقوله « ويدرك في ست وتسع شبابه » يريد أنه يتناهي تمامه إلى خمس عشرة ليلة من الشهر ثم يتناقص من وقت تمامه إلى آخر الشهر ، وإنما أنث أسماء العدد لأنه أراد الليالي ( كنز الحفاظ في تهذيب الالفاظ ص ٤٠١ ) وحر الوجه . ما بدا منه . (٣) يقول . ورب ليلة مظلمة داجية إذا نظرت إليها رأيت من وحشة ظلمتها ما يهولك ويروعك وهي ليلة لا يرى فيها هلالها . وغمى : كحى وتمد وتضم الأولى مع القصر .

### منازل القمر وأنوارها

المنازل جمع منزل ، والمراد به المسافة التي يقطعها القمر في يوم وليلة ، وهي عند أهل الهند سبعة وعشرون لأن القمر يقطع فلك البروج في سبعة وعشرين يوماً وثلاث فخذوا الثلث لأنه ناقص عن النصف كما هو مصطلح أهل التنجيم ، وعند العرب وساكفي البدو ثمانية وعشرون لأنهم تمموا الثلث واحداً كما قال بعضهم بل لأنه لما كانت سنوهم باعتبار الأهلة مختلفة الأوائل لوقوعها في وسط الصيف تارة وفي وسط الشتاء أخرى ، وكذا أوقات تجارتهم وزمان أعيادهم ، احتاجوا إلى ضبط سنة الشمس لمعرفة فصول السنة حتى يشتغلوا في استقبال كل فصل بما يهمهم في ذلك الفصل من الانتقال إلى المراعى وغيرها ، فاحتالوا في ضبطها فنظروا أولاً إلى القمر ، فوجدوه يعود إلى وضع له من الشمس في قريب من ثلاثين يوماً ، ويختفي آخر الشهر لليلتين أو أقل أو أكثر ، فأسقطوا يومين من زمان الشهر فبقي ثمانية وعشرون ، وهو زمان ما بين أول ظهوره بالمشيات مستهلاً أول الشهر وآخر رؤيته بالغلوات مستتراً آخره ، فقسموا دور الفلك عليه ، فكان كل قسم اثنتي عشرة درجة وإحدى وخسين دقيقة تقريباً ، وهو ستة أسابيع درجة ، فنصيب كل برج منه منزلان وثلث ، ثم لما انضبط الدور بهذه القسمة احتالوا في ضبط سنة الشمس بكيفية قطعها لهذه المنازل فوجدوها تستتر دائماً ثلاثة منازل : ما هي فيه بشعاعها ، وما قبلها بضياء الفجر ، وما بعدها بضياء الشمس ، ورصدوا ظهور المستتر بضياء الفجر ، ثم بشعاعها ، ثم بضياء الشفق ، فوجدوا الزمان بين كل ظهور منزلتين ثلاثة عشر يوماً تقريباً ، فأيام جميع المنازل تكون ثلاثمائة وأربعة وستين ، ولكن الشمس تقطع جميعها في ثلاثمائة وخمس وستين فزادوا يوماً في أيام منزل (عَقَر) وزادوه هنا اصطلاحاً منهم ، أو لشرفه على ما تسمعه إن شاء الله . وقد يحتاج إلى زيادة يومين ليكون انقضاء الثمانية والعشرين مع انقضاء السنة ، ويرجع الأمر إلى النجم الأول ، واعلم أن العرب



جعلت علامات الأقسام الثمانية والعشرين من الكواكب الظاهرة القريبة من المنطقة مما يقارب طريقة القمر في ممره أو يجاذبه فيرى القمر كل ليلة نازلاً بقرب أحدها . وأحوال كواكب المنازل مع المنازل كأحوال كواكب البروج مع البروج عند أهل الهيئة من أنها مسامتة للمنازل ، وهي في فلك الأفلاك . وإذا أسرع القمر في سيره فقد يخلى منزلاً في الوسط ، وإن أبطأ فقد يبقى ليلتين في منزل أول الليلتين في أوله وآخرهما في آخره ، وقد يرى في بعض الليالي بين منزلتين ، وما يقال في الشهور أن الظاهر من المنازل في كل ليلة يكون أربعة عشر وكذا الخفي ، وإنه إذا طلع منزل غاب رقيقه وهو الخامس عشر من الطالع سمى به تشبيهاً له برقيق يرصده ليسقط في المغرب إذا ظهر ذلك في المشرق — ظاهر الفساد ، لأنها ليست على نفس المنطقة ولا أبعاد ما بينها متساوية ، ولهذا قد يكون الظاهر ستة عشر وسبعة عشر ، وقد يكون الخفي ثلاثة عشر .

\* \* \*

وللمنازل أنواع اختلف علماؤها فيها ، ولنذكر ملخص ما أورده أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحق الزجاجي في كتابه المؤلف في الأنواء . قال : السنة أربعة أجزاء ، لكل جزء منها سبعة أنواع ، لكل نوع ثلاثة عشر يوماً إلا نوع الجهة فإنه أربعة عشر يوماً ( زيد فيه يوم لتكمل السنة ثلثمائة وخمسة وستين يوماً ) وهو المقدار الذي تقطع فيه الشمس بروج الفلك الاثنى عشر ، لكل برج منزلتان وثلاث منزلة ، وكلما نزلت منزلة من هذه المنازل سترته لأنها تستر ثلاثين درجة : خمس عشرة من خلفها ، ومثلها من أمامها ، فإذا انتقلت عنها ظهرت ، هكذا قال الزجاجي ، فإذا اتفق أن تطلع منزلة من هذه المنازل مع الغداة ويغرب رقيقه فهو ( النوء ) ولا يتفق ذلك لكل منزلة منها إلا مرة واحدة في السنة ، وهو مأخوذ من ناء ينوء إذا نهض متثاقلاً ، والعرب تجعل النوء للغارب لأنه ينهض للغروب متثاقلاً ، وعلى ذلك أكثر أشعارها ، وتفسير بعض العلماء في قوله تعالى

( ما إنَّ مفاتيحه لتنوء بالعصبة أولى القوة ) أى تميل بهم إلى الأرض ، وهذا التفسير أوجه من قول من يجعل الكلمة من المقلوب . قال : وبعضهم يجعله للطالع وهذا مذهب المنجمين لأن الطالع له التأثير والقوة ، والغارب ساقط لا قوة له ولا تأثير . قال المبرد : النوء على الحقيقة للطالع من الكوكبين لا الغارب ، وهذه المنازل كلها يطلع بها الفلك من المشرق ويغرب في المغرب كل يوم وليلة ، وتلك دورة من دوراته .

### الربع الأول من السنة : الربيع

ابتدأؤه في تاسع عشر يوماً<sup>(١)</sup> من آذار ، وبعضهم يجعله في عشرين يوماً منه ، فيستوى حينئذ الليل والنهار ، ويطلع مع الغداة فرغ الدلو الأسفل وهو المؤخر ، وتسقط العواء وإليها ينسب النوء ، وهى تمتد وتقصر وصورتها<sup>(٢)</sup> خمسة كواكب كأنها ألف معطوفة الذنب إلى اليسار وبذلك سميت . تقول العرب عويت الشيء ( إذا ) عطفته ، وقال آخرون : بل هى كأنها خمسة أكلب تعوى خلف الأسد . وقال ابن دريد : بل دبر الأسد والعواء فى كلامهم الدبر . النوء الثانى ( السماك ) وهما سماكان : أحدهما الأعزل وهو نجم وقاد شبهوه بالأعزل من الرجال وهو الذى لا سلاح معه وهو منزل القمر . والآخر كوكب تقدمه آخر شبهوه بالرمح ، وهما ساقا الأسد وسمى سماكا لعلوه ولا يقال لغيره إذا علا « سماك » هكذا قال سيبويه فيما حكى الزجاجى عن أبى إسحق الزجاج غير أنه قال فى الأعزل : وقيل إنما سمي الأعزل لأن القمر لا ينزل فيه ، وهذا مخالف لما عليه جمع الناس ، النوء الثالث ( الغفر ) وهو ثلاثة كواكب غير زهر ، وبذلك سميت من قولك غفرت الشيء إذا غطيته ، ومنه سميت الغفارة التى تلبس ، وقيل إنما سمي غفراً من الغفرة وهى الشعر الذى فى طرف ذنب الأسد ، وقال

(١) فى العمدة ( ج ٢ ص ١٩٧ ) : « ابتدأؤه من سبعة عشر يوماً من آذار فليستدبر (٢) فى العمدة « وصفتها » .

أبو عبيدة : الغفر كل شعر صغر دون الكبير وكذلك هو في الريش ، وقال قوم : هو من النكس في المرض يقال أغفر المريض إذا نكس كأن النكس غطى العافية ، النوء الرابع ( الزبانان ) وهما كوكبان متعرقان وهما قرنا العقرب ، وقيل يداها ، وسميا زبائين لبعده كل واحد منهما عن صاحبه من قولهم زبنت كذا إذا دفعته لتبعده ، ومنه اشتقاق الزبانية لأنهم يدفعون أهل النار إليها ، النوء الخامس ( الإكليل ) وهو ثلاثة كواكب على رأس العقرب ولذلك سميت إكليلًا ، النوء السادس ( القلب ) وهو كواكب أحمر وقاد جعلوه للعقرب قلبًا على معنى التشبيه ، النوء السابع ( الشولة ) وهو كوكبان أحدهما أحق من الآخر ، وهما ذنب العقرب وذنب العقرب شائل أبداً فشبه به ، هذا قول بعضهم ، وبعضهم يجعل الشولة الإبرة التي في ذنب العقرب وهم أهل الحجاز فهو أصبح على مذهب من زعم أنهما كوكبان فقط .

#### الرابع الثاني : الصيف

أول أنوائه ( النعائم ) وهي ثمانية كواكب نيرة : أربعة منها في الحجر تسمى الواردة وأربعة خارجة منها تسمى الصادرة ، وشبهت بالخشب التي تكون على البئر تعلق بها البكرة والدلاء ، الثاني من الصيف ( البلدة ) وهي فرجة لطيفة لا شيء فيها لكن في جوارها كواكب تسمى القلادة ، وإنما قيل لذلك الفرجة بلدة تشبهها بالفرجة التي بين الحاجبين إذا لم يكونا مقرونين ، يقال منه رجل أبلد ، ويقال بل شبهت بالبلدة وهي باطن الراحة ، وقيل باطن ما بين السبابة والإبهام ، الثالث منه ( سعد الدابح ) وهما نجمان صغيران أحدهما مرتفع في الشمال معه كوكب آخر يقال له شائته التي تذبح<sup>(١)</sup> ، والآخر هابط في الجنوب ، الرابع منه ( سعد بلع ) وهما كوكبان صغيران مستويان في الحجر شبها بقم مفتوح يريد أن

(١) قلت : ولذلك جعلوا الدابح صفة لسعد بخلاف سائر السعود فانهم يضاف إليها ما بعدها كما قاله الزجاج في مقدمة أدب الكاتب .

يبتلع شيئاً ، وقيل إنما قيل له بُلَعَ لأنه كان قد بلع شاته وبلغ غير مصروف لأنه معدول عن بالغ مثل زُفَرٍ وَقُشَمٍ وسعد مضاف إليه . الخامس منه ( سعد السعود ) وهو كوكبان أحدهما أنور من الآخر سمي بذلك لأن وقت طلوعه ابتداء كمال الزرع وما يعيش به الحيوان من النبات . السادس منه ( سعد الأخبية ) وهو كوكبان عن شمال الخباء ، والأخبية أربعة كواكب واحد منها في وسطها يسمى الخباء لأنه على صورة الخباء ، وزعم ابن قتيبة أنه إنما سمي بذلك لطلوعه وقت انتشار الحيات والهوام وخروج ما كان مخبئاً منها . السابع منه ( فرغ الدلو الأعلى ) وهو المقدم وبعضهم يسميه العرقوة العليا تشبيهاً بعرقوة الدلو ، وهو كوكبان متفرقان نيران ، وقيل له « الفرغ <sup>(١)</sup> » لأنه تأتي به الأمطار العظيمة ، ويقال بل سميا بذلك لأنهما مثل صليب الدلو الذي يفرغ منه الماء .

### الرَّيْعُ الثَّالِثُ : الحَرِيفُ

أول أنوائه ( فرغ الدلو الأسفل ) وصورته كوكبان مضيئان بينهما بعد صالح يتبعان العرقوة العليا . ثم ( الحوت ) وهو كوكب أزهر نير في وسط السمكة مما يلي رأسها ويسمى قلب السمكة . ثم ( الشَّرَّاطَان ) وهو كوكبان مفترقان مع الشمالى منهما كوكب دونه في القدر ، وسميا شرطين لأن سقوطهما علامة ابتداء المطر واتصاله ، وكل من جمل لنفسه علامة فقد أشرطها ، ومنه سمي الشرط لأن لهم علامات يعرفون بها . ثم ( البطين ) وهو ثلاثة كواكب طمس خفيات وهو بطن الحمل إلا أنه قد صغر . ثم ( الثريا ) وهي النجم ، وصورتها ستة كواكب متقاربة حتى تكاد تتلاصق ، وأكثر الناس يجمعها سبعة ، وقد جاء الشعر بالقولين جميعاً ، سميت بذلك لأن مطرها عنه تكون الثروة ، وكثرة العدد والغنى ، وهي تصغير ثروى ، ولم ينطق بها إلا مصغرة . ثم ( الدبران ) وهو كوكب وقاد على أثر نجوم

---

(١) اهله ( الدلو ) كما في العمدة .

سمى (الإِص) وقيل له دبران لأنه دبر الثريا أى جاء خلفها، ويقال له أيضاً الراعى والتالى والتابع والحادى على التشبيه. ثم (الهَقْعَة) سميت بهذا تشبيها بالدائرة التى تكون عند عقب الفارس فى جنب الفرس<sup>(١)</sup>، وصورتها ثلاثة أنجم صغار متقاربة كآثار رؤوس أصابع ثلاثة فى ثرى إذا جمعت الوسطى والسبابة والإبهام وهى رأس الجوزاء.

#### الرابع الرابع : الشتاء

وهو آخر أرباع السنة. أول أنوائه (الهَنَعَة) سميت بذلك لأنها كوكبان مقتربان كل واحد منهما منعطف على صاحبه من قولك هنعته إذا عطفت بعضه على بعض، واقتراهما فى الحجرة بين الجوزاء والذراع المقبوضة. الثانى (ذراع الأسد المقبوضة) وقيل لها مقبوضة لانقباضها عن سمت الذراع المبسوطة والمقبوضة كوكبان نيران<sup>(٢)</sup> بينهما كواكب صغار تسمى الأظفار، وأنواء الأسد أحمد الأنواء ولذلك، كثر ذكرها فى الشعر بين العرب. قال الشاعر<sup>(٣)</sup> :

يا مَنْ رأى عارضاً أسراً به بينَ ذراعَى وجبهةِ الأسد<sup>(٤)</sup>

والذراعان والجهة من المنازل، فالذراعان أربعة كواكب كل كوكبين منها ذراع. قال أبو إسحق : ذراع الأسد المقبوضة كوكبان نيران بينهما كواكب صغار يقال لها الأظفار كأنها فى موضع مخالب الأسد فلذلك قيل لها الأظفار، وإنما قيل لها الذراع المقبوضة لأنها ليست على سمت الذراع الأخرى وهى مقبوضة عنها، ونوؤها يكون لليلتين تمضيان من كانون الثانى يسقط الذراع فى المغرب غدوة، وتطلع البلدة والنسر الطائر فى المشرق غدوة، وفيه يحمد الماء، ويشند

(١) أقول : وقال القلقشندي فى صبح الاعشى ج ٢ ص ١٥٧ : سميت بذلك تشبيها بدائرة تكون فى عنق الفرس (٢) وقال القلقشندي ج ٢ ص ١٥٨ : الذراع — كوكبان أحدهما نير والآخر مظلم بينهما قدر سوط فى رأى العين . الخ (٣) هو الفرزدق (٤) العارض السحاب الذى يعترض الأفق، وأسر: أفرح ويروى أكفكه أى أمسحه مرة بعد أخرى، ويروى أركت له أى سهرت من أجله. والبيت من شواهد النحو — انظر المفصل ص ١٠٠

البرد ، والجهة أربعة كواكب فيها عوج أحدها براق وهو اليماني منها ، وإنما سميت الجهة لأنها جهة الأسد ونوؤها يكون لعشر تمضي من شباط ، تسقط الجهة في المغرب غدوة ، ويطلع سعد السعود من المشرق غدوة ، وفيه تقع الحجر الثالثة ، ويتحرك أول العشب ، وبصوت الطير ، ويورق الشجر ، ويكون مطر جود ، ويسمى نوء الأسد لأنه يتصل بها كواكب في جهة الأسد ؛ وخص الشاعر هاتين المنزلتين لأن السحاب الذي ينشأ بنوء من منازل الأسد يكون مطره غزيراً فلذلك يسر به . قال الأعلم : وصف عارض سحاب اعترض بين نوء الذراع ونوء الجهة ، وهما من أنواء الأسد ، وأنواءه أحد الأنواء ، وذكر الذراعين والنوء إنما هو للذراع المقبوضة منهما لاشتراكهما في أعصاب الأسد ، ونظير هذا قوله تعالى ( يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان ) يريد من البحرين الملح والعذب ، وإنما يخرج اللؤلؤ من الملح لا منهما . وقال شاعر من بني سعد :

وخيفاء ألقى الليث فيها ذراعه فسرت وساءت كل ماش ومُصرم-  
تمشى بها الدرماء تسحب قُصْبَهَا كأن بطن حُبلى ذات أونين متمم-

الخيفاء : روضة فيها رطب ويبيس وهما لوان أخضر وأصفر . وكل لونين خيف ، وبه تسمى الفرس إذا كانت إحدى عينيها كحلاء والأخرى زرقاء ، وسمى الخيف خيفاً لأن فيه حجارة سوداً وبيضا . وقوله : « ألقى الليث فيها ذراعه » يقول : مطرت بنوء الذراع وهي ذراع الأسد فسرت الماشي ، أى صاحب الماشية ، وساءت المصرم الذي لا مال له لأن الماشي يرعيها ماشيته ، والمصرم يتلف على ما يرى من حسننها وليس له ما يرعيها . وقوله « تمشى بها الدرماء » يعنى الأرنب وإنما سميت الدرماء لتقارب خطوها ، وذلك لأن الأرنب تدرم درماً تقارب خطوها وتخفيه لثلاً يقص أنرها فيقال درماء وكان ينبغي أن يقول دارمة . وقوله « تسحب قصبها » وهذا مثل ، والقُصْب المَعى مقصور والجمع أقصاب ، وإنما أراد بالقصص البطن بعينه واستعاره يقول : فالأرنب قد عظم

بطنها من أكل السكلاُ وسمنت فكأنها حبلى ، والأونان العدلان ، يقول : كأن عليها عدلين لخروج جنبها وانتفاخهما ، ويقال أن الحمار وغيره إذا شرب حتى ينتفخ جنباه ومتئم اسم فاعل من أتأمت المرأة إذا وضعت اثنين في بطن فهي متئم ، والشعر في هذا الباب كثير ، الثالث من أنواء الشتاء ( النثرة ) وهي لطخة ضعيفة بين كوكبين ، وهي ما بين فم الأسد وأنفه ومن الإنسان فرجة ما بين الشاربين حيال وترة الأنف ، وقيل إنما سميت نثرة لأنها كقطعة سحاب نثرت الرابع ( الطرف ) وهو عينا الأسد وهما كوكبان صغيران بينهما نحو قامة في مرأى العين . الخامسة ( الجبهة ) وهو كما سبق أربعة كواكب معوجة في اليماني لها بريق وهي جبهة الأسد عندهم . السادس ( الزُّبْرَة ) وهو كوكبان نيران في زبرة الأسد وهي موضع الشعر في كتفيه ، ويقال لهما الخراتان كأنهما نفذا إلى جوف الأسد مشتق من الخرت وهو الثقب . وزعم قوم أنهما عجز الأسد ، والعيان يبطل ذلك كما قاله الزجاجي . السابع ( الصَّرْفَة ) وهو كوكب وقاد عبده كواكب طمس ، سمي بذلك لانصراف البرد بسقوطه والحر بطلوعه . فهذه عدة المنازل وصفاتها وإنما أضيفت إلى القمر دون الشمس وحظهما فيها واحد لظهورها معه . وتسمى ( نجوم الأخذ ) لأن الأرض تأخذ عنها بركات المطر ، وقيل لأخذ الشمس والقمر سمتها في سيرها .

#### أقسام الأنواء وأيامها لدى العرب

إعلم أن العرب قسمت المنازل بالنسبة إلى أنوائها إلى سبعة أقسام على غير الوجه الذي نقلناه عن أبي إسحق الزجاجي فيما سبق ( القسم الأول من الأنواء البدرى ) وهو أسعة وثلاثون يوماً من ثمانية أيام خلون من أيلول إلى سبعة عشر يوماً خلت من تشرين الأول ونوؤه على قول من يجعل النوء سقوط الكوكب في الغرب مع الغداة سقوط فرغ الدلو المقدم والفرغ المؤخر والحوت ( القسم

الثاني الوسمى) وهو اثنان وخمسون يوما ومبدؤه من سبعة عشر يوما خلت من تشرين الأول إلى تسعة أيام تمضي من كانون الأول ونوؤه سقوط الشرطين والبطين والثريا والدبران (القسم الثالث الولى) وهو مائة وثلاثون يوما ، ومبدؤه من تسعة أيام تمضي من كانون الأول إلى ثمانية عشر يوما تمضي من نيسان ونوؤه سقوط الهقعة والهنة والذراع والنثرة والطرف والجهة والزبرة والصرفة والحواء والسمك (القسم الرابع الغمير والمد) وهما متداخلان وهما اثنان وخمسون يوما ، ومبدؤه من ثمانية عشر يوما من نيسان إلى تسعة أيام تمضي من حزيران ونوؤه سقوط الغفر والزباني والإكليل والقلب (القسم الخامس البسرى) وهو ستة وعشرون يوما ، ومبدؤه تسعة أيام تمضي من حزيران إلى خمسة أيام تمضي من تموز وتسميه العامة الففاح لأنه يكبر فيه البلح فيصير بصرًا ، وكذلك الفواكه والسمك ونوؤه سقوط الشولة والنعائم (القسم السادس بارح القيظ) ويسمى أيضا رياح القيظ الشديدة وهى السموم وتسميه العامة الطباخ لأنه يطبخ البسر الذى ينفخه البسرى فيصير رطبًا ، وهو تسعة وثلاثون يوما ، ومبدؤه من خمسة أيام مضين من تموز إلى ثلاثة عشر يوما خلت من آب ، ونوؤه سقوط البلدة وسعد بلع وسعد الذابح (القسم السابع إحراق الهوى) وهو ستة وعشرون يوما من ثلاثة عشر يوما من آب إلى ثمانية أيام من أيلول ، ونوؤه سقوط سعد السعود وسعد الأخبية .

### البعد بين المنازل

إعلم أن البعد من الشرطين إلى البطين اثنى عشرة درجة ، ومن البطين إلى الثريا ثلاث عشرة درجة ، ومن الثريا إلى الدبران خمس عشرة درجة ، ومن الدبران إلى الهقعة أربع عشرة درجة ، ومن الهقعة إلى الهنة ست عشرة درجة ، ومن الهنة إلى الذراع كذلك ، ومن الذراع إلى النثرة ثلاث عشرة درجة ، ومن الطرف إلى الجهة عشر درجات ، ومن الجهة إلى الزبرة أربع عشرة درجة



من الزبرة إلى الصرفة ثلاث عشرة درجة ، ومن الصرفة إلى العواء ست عشرة درجة ، ومن العواء إلى السماك اثنتا عشرة درجة ، ومن السماك إلى الغفر مثل ذلك ، ومن الغفر إلى الزباني مثل ذلك أيضاً ، وتسمى هذه (متساوية الأبعاد) ومن الزباني إلى الإكليل أربع عشرة درجة ، ومن الإكليل إلى القلب خمس عشرة درجة ، ومن القلب إلى الشولة ست عشرة درجة ، ومن الشولة إلى النعائم عشرون درجة ، ومن النعائم إلى البلدة تسع درجات (وهي أوسط الأبعاد) ، ومن البلدة إلى سعد الذابح إحدى عشرة درجة ، ومن سعد الذابح إلى سعد بُلْع عشرة درجات ، ومن سعد بُلْع إلى سعد السعود مثل ذلك ، ومنه إلى سعد الأخبية مثل ذلك ، ومنه إلى الفرغ المقدم مثل ذلك ، (وهذه الأربعة متساوية الأبعاد) ومنه إلى الفرغ المؤخر تسع عشرة درجة .

### ما تقول العرب في طلوع المنازل والكواكب

قال ابن قتيبة في (كتاب الأنواء) يقول ساجع العرب (إذا طلع الشرطان) استوى الزمان ، وحضرت الأوطان ، وتهادى الجيران <sup>(١)</sup> (إذا طلع البطين) اقتضى الدين <sup>(٢)</sup> ، وظهر الزين <sup>(٣)</sup> ، واقتنى بالعطار والقيين <sup>(٤)</sup> (إذا طلع النجم) يعني الثريا فالحر في حزم <sup>(٥)</sup> ، والعُشب في حطم ، والعانات في كدم <sup>(٦)</sup> (إذا طلع الدبران) توقدت الحُرَّان <sup>(٧)</sup> ، وكرّهت الفيران ، واستعرت الذبان ،

(١) يريد أنهم يرجعون عن البوادي إلى أوطانهم ومياهم لأن الغدران بالبوادي حينئذ قد قلت والحر قد رق وكاد النبات يهيج بأقبال أوائل الحر، وتهادى الجيران يكون حينئذ لأنهم كانوا متفرقين في النجع ، وإذا رجعوا إلى مياهم التقوا وتقاربوا فأهدى بعضهم إلى بعض . (٢) اقتضاؤهم الدين عند طلوع البطين ، لأنهم يرجعون عن البوادي إلى أوطانهم — وإذا طلع الشرطان — فيتهدون ويتلاقون ولا يزالون كذلك (١٣) يوما حتى يطلع البطين فيطمئنون ويقتضى بعضهم بعضا ماله عليه من الدين . (٣) يريد أنهم عند التلاقي يتجملون بأحسن ما بقدره عليه . (٤) القين : الحداد . واقتفاؤهم بالعطار والقيين برهم بهما لحاجتهم إلى ابتياع الطيب من العطار ، وإصلاح الحداد مارث من آلاتهم وامنعتهم (٥) يريد أنه حينئذ يهيج وينكسر . (٦) أي تنعاض (٧) الأرضون الصلبة واحدها حزير وانما تتوقد لشدة وقع الشمس .

ويبيت الغدران ، ورمت بأنفسها حيث شاءت الصبيان <sup>(١)</sup> ( إذا طلعت الهقعة )  
تقوض الناس للقلعة ، ورجعوا عن النجعة <sup>(٢)</sup> ، وأردفها الهنعة <sup>(٣)</sup> ( إذا طلعت  
الجوزاء ) توقدت المعزاة <sup>(٤)</sup> ، وَكَنَسَتِ الظباء <sup>(٥)</sup> ، وعرقت العلباء <sup>(٦)</sup> ، وطاب  
الخباء <sup>(٧)</sup> ( إذا طلعت العذاة ) لم يبق بَعَمَانُ بسرة <sup>(٨)</sup> ، إلا رطبة أو تمر ( إذا  
طلع الذراع ) حمرت الشمس القناع <sup>(٩)</sup> ، وأشعلت في الأفق الشعاع ، وترقرق السراب  
بكل قاع <sup>(١٠)</sup> ، ( إذا طلعت الشعري ) نشف الثرى ، وأجن الصّرى ؛ وجمل صاحب  
النخل يرى <sup>(١١)</sup> ( إذا طلعت النثرة ) قفا البسرة ، وجنى النخل بكرة <sup>(١٢)</sup> ، وأوت المواشى  
حجرة <sup>(١٣)</sup> ولم تترك في ذات در قطرة ( إذا طلعت الطرفة ) بكرت الخرفة ، وكثرت الطرفة ،  
وهانت للضيف الكلفة <sup>(١٤)</sup> ( إذا طلعت الجبهة ) تحانت الولهة ، وتنازت السفهة ، وقلت في  
الأرض الرفهة <sup>(١٥)</sup> ، ( إذا طلعت الصرفة ) احتال كل ذى حرفة <sup>(١٦)</sup> ، وجفر كل ذى نطفة <sup>(١٧)</sup>

(١) ذلك لانهم لا يخافون بردا ولا مطرا (٢) قال المجد النجعة بالضم طالب  
الكلأ في موضعه (٣) أى مع طلوعها يرجع الناس الى مياههم .  
(٤) الأرض الصلبة تتوقد بحر الشمس (٥) يريد أنها تدخل الكنس في  
شدة الحر ، واحدها كناس وهو مستترة في الشجر (٦) يريد العلباوين في  
العنق (٧) لأنه يكن في الحر (٨) عمان كغراب بلدة باليمن شديدة الحر ،  
فاذا بسر النخل بالبصرة صرم بعمان (٩) أى كشفت القناع . يريد اشتداد  
حرارتها (١٠) ترقرق : تحرك ، والسراب : ما تراه نصف النهار كأنه ماء ،  
والقاع : أرض سهلة مطمئنة قد انفرجت عنها الجبال والآكام (١١) يريد تغير  
الماء المجتمع في الغدران والمناقع لشدة الحرارة وانقطاع المزارع عنه وتبين  
لصاحب النخل ثمرة نخله لأنه حينئذ يكثُر (١٢) يريد أشدّت حمرة البسرة  
حتى كادت تسود وذلك أول وقت الصرام فيجئون النخل بكرة لأنه في ذلك  
الوقت بارد ببرد الليل (١٣) أى ناحية منهم لحاجتهم الى ألبانها وانما يحلبونها  
في هذا الوقت ويستقصون ما في ضروعها لانهم هموا فيه بفصال الاولاد فلا  
يقفون في الضرور لها شيئا لتناول من الرعى وتسلبو عن الامهات (١٤) يريد ان  
خرفة التمر تبكر في وقت طلوعه، وتكثر الطرفة عندهم، وتهون الكلفة للضيف  
لكثرة التمر في ذلك الوقت وكثرة اللبن الذي يستقصونه من الضرور لفصال  
الاولاد عن الامهات (١٥) وانما تحانت الولهة لان اولادها قد ميزت عنها  
وفصلت ، فتسمع حنين الامهات ، ويكثر أيضا عند الفصال الموت في الاولاد  
والامهات تحن ، وتتناز السفهة لانهم في خصب من اللبن والتمر فيبطرون ،  
واذا تنازت السفهة قلت الرفهة أى الرحمة واحتاجوا الى حفظ أموالهم وجميع  
موانسيتهم ونعمهم خوف الغارة (١٦) يريد ان الشتاء قد أقبل وكل ذى حيلة  
يضطرب ويحتال للشتاء ما يصلحه فيه ، وكانت العرب تقول ( من غلى دماغه  
في الصيف غلت قدره في الشتاء ) (١٧) يريد عدل عن الضراب في هذا الوقت  
لان المخاض فيه وهى الحوامل من الابل قد ظهر بها الحمل وعظمت بطونها  
فليس يدنو منها الفحل .

وامتيز عن المياه زلفة<sup>(١)</sup> (إذا طلع العواء) ضرب الخباء ، وطاب الهواء ، وكره  
العراء<sup>(٢)</sup> وشنن السقاء<sup>(٣)</sup> (إذا طلع السمك) ذهب العكالك<sup>(٤)</sup> ، وقل عن الماء  
اللكالك<sup>(٥)</sup> (إذا طلع الغفر) اقشع السفر<sup>(٦)</sup> ، وتزيل النضر<sup>(٧)</sup> ، وحسن في العين  
الجر (إذا طلع الزباني) أحدثت لكل ذى عيال شأنا ، ولكل ماشية هوانا  
وقالوا كان وكانا ، فاجمع لأهلك ولا توائى<sup>(٨)</sup> (إذا طلع الأكليل) هاجت  
الفحول ، وثمرت الذبول ، وتخوفت السيول (إذا طلع القلب) جاء الشتاء  
كالسكلب ، وصار أهل البوادي في كرب ، ولم تمكن الفحل إلا ذات ثرب<sup>(٩)</sup>  
(إذا طلعت الشولة) أعجلت الشيخ البولة ، واشتدت على العائل العولة<sup>(١٠)</sup> وقيل  
شتوة زولة<sup>(١١)</sup> (إذا طلعت العقرب) جمس المذب<sup>(١٢)</sup> وقرب الأشيب ،  
ومات الجندب<sup>(١٣)</sup> ولم يصير الأخطب<sup>(١٤)</sup> (إذا طلعت النعائم) ثوسقت  
البهائم<sup>(١٥)</sup> وخلص البرد إلى كل نائم ، وتلاقت الرعاء بالتمائم<sup>(١٦)</sup> (إذا طلعت  
البلدة) حمت الجمعة<sup>(١٧)</sup> وأكلت القشدة<sup>(١٨)</sup> وقيل للبرد : إهده<sup>(١٩)</sup> (إذا  
طلع سعد الذابح) حتى أهله النابح<sup>(٢٠)</sup> ونفع أهله الراح<sup>(٢١)</sup> وتصبح السارح<sup>(٢٢)</sup>

(١) يريد أنهم يخرجون متبدين ويفارقون المياه التي كانوا عليها لطلب الكلا  
والانتجاع (٢) لان البرد حينئذ بالليل يؤذى ويكره الصراء يريد النوم في  
الصحاري الباردة (٣) أى ييس لانهم قد اقلوا استقاء الماء فيه .  
(٤) العكالك : الحر يريد أنه لا يبقى منه شيء عند طلوعه (٥) يريد الازدحام  
عليه لقلة شرب الأبل في ذلك الوقت (٦) المسافرين (٧) يريد ذهب  
النضارة عن الأرض والشجر بتغيير الكلا والورق (٨) يريد أن البرد قد هجم  
فشغل صاحب العيال وابتذل صاحب الماشية نفسه في تتبع مصالحتها ، وأنهم  
أكثروا الحديث والقول (٩) يريد ذات سمن وشحم لانها أحمل البرد من  
الهزيلة فهي تتقدمها (١٠) الحاجة (١١) عجيبه (١٢) جمد الماء في مذائب  
الأودية (١٣) الجراد (١٤) الشقراق أو الصرد ، والصر : الصياح .  
(١٥) أى تشعثت وتغيرت (١٦) لانهم حينئذ يفرغون ولا يشغلهم رعى  
فيتلاقون ويدس بعضهم الى بعض أخبار الناس (١٧) الجمعة : نبت ، يريد  
طلعت فاخضرت الأرض لها ، وحمم وجه الفلام اذا بقل ، وحمم الرأس اذا  
اسود بعد الحلق من غير أن يطول (١٨) هى الزبدة الرقيقة ، وتعرف عندنا  
بالعراق باسم (الكشوة) بالكاف الفارسية ، ولا شك أنها محرقة عن القشدة  
يريدان الزبد عندهم في ذلك الوقت يكثر (١٩) أى يقال « اهدأ عنا » لشدة  
ما يقاسون منه (٢٠) يريد : الكلب يلزم حينئذ أهله فلا يفارقهم لشدة  
البرد وكثرة اللبن فهو يحميمهم وينبج دونهم (٢١) أى أنهم يأتهم بالحطب  
اذا راح فينفعهم بذلك (٢٢) أى لم يبكر بماشيته لشدة البرد .

وظهر في الحى الأنافح <sup>(١)</sup> ( اذا طلع سعد بلع ) اقتحم الربيع <sup>(٢)</sup> ولحق الهبع <sup>(٣)</sup>  
 وصيد المَرَع <sup>(٤)</sup> وصار في الأرض لمع <sup>(٥)</sup> ( اذا طلع سعد السعدود ) نضر العود <sup>(٦)</sup>  
 ولانت الجلود <sup>(٧)</sup> وكره في الشمس القعود ( اذا طلع سعد الأخبية ) دهنت  
 الأسقية <sup>(٨)</sup> ونزلت الأحوية <sup>(٩)</sup> وتجاوزت الأبنية ( اذا طلع الدلو <sup>(١٠)</sup> ) هيب  
 الجذو <sup>(١١)</sup> وأنسل العفو <sup>(١٢)</sup> وطلب اللهو الخلو <sup>(١٣)</sup> ( اذا طلعت السمكة ) أمكنت  
 الحركة — وتعلقت بالثوب الحسكة <sup>(١٤)</sup> ونصبت الشبكة <sup>(١٥)</sup> وطاب الزمان للنسكة <sup>(١٦)</sup>  
 ولهم غير ذلك من الأسجاع في سائر الكواكب وأنوائها ؛ واستيعابها فيما أعدد  
 لها من الكتب.

### الطالع والفارب من المنازل والرقب منها

إعلم أن المنازل كلما كانت ثمانية وعشرين كانت ثلاثة عشر منها ظاهرة

- (١) جمع انفحة بكسر الهمزة وهى شئ يسخرج من بطن الجدى الرضيع.  
 اصفر فيعصر في صوفه مبتلة في اللبن فيغلظ كالجبين (٢) الربيع كصرد :  
 الفصيل ينتج في الربيع وهو أول النجاج ، يريد انه يقوى في مشيه ويسرع  
 فلا يضبط (٣) أى أن الهبع ايضا قد نوى شيئا فهو يلحقه ، وهو : ما نتج  
 في أول النجاج وهو ضعيف ، وإنما سمي هبعاً لانه اذا منى خلف أمه هبع  
 أى مد عنقه فيستعين بعنقه لضعفه (٤) جمع مرعة كهزمة وغرفة وهو  
 طائر يشبه الدراج ، كانه في هذا الوقت يقطع (٥) أى قطع من الكلا  
 (٦) يريد أن الماء قد جرى فيه قبل ذلك فصار ناضرا غضا .  
 (٧) وإنما لانت بذهاب يبس الشتاء وقحله (٨) وإنما تدهن الاسقية لأنها  
 في الشتاء قد يبست وشنتت لتركهم الاستقاء فيها فتدهن في هذا الوقت  
 عند الحاجة اليها (٩) جمع حواء وهى جماعات بيوت الناس ، والحلال منهن  
 وهى تكون من وبر وشعر كانهم في هذا الوقت ينتقلون من مسننهم ويتجاوزون  
 (١٠) جمع الساجع في سجمه القول للفرغين جميعا بذكره « الداو »  
 (١١) يريد أن الرطب جف وخيف أن لا تكتفى به الإبل من الماء  
 (١٢) أى سقط نسله أو حان أن يسقط وهو وبره الذى يستجد مكانه كل  
 سنة ، والعفو : ولد الحمار (١٣) يريد طلب التزويج ، واللهو : المراد . وهو  
 النكاح . قال الله تعالى ( لو أردنا أن نتخذ لهموا لاتخذناه من لدنا ) أى لو أردنا  
 صاحبة لاتخذنا ذلك عندنا ولم نتخذ عندكم أو كنا فاعلين ، وإنما يطلب  
 الخلو التزويج في هذا الوقت لانه قد خرج من ضيق الشتاء وشده ، وأمكنه  
 التصرف وابتغاء الرزق فطلب التزويج (١٤) يريد شوكة السعدان . يعنى  
 أن النبت قد اشتد وقوى فتعلقت الحسكة بالثوب وغيره (١٥) لان الطيور  
 حينئذ تسقط في الرياض وتصوت (١٦) يعنى للنسالك المتقلبين الذين  
 يسبحون في الارض ولا يبالون كيف أخذوا ولا ينادون بحر ولا برد .

في الأفق الأعلى ، وثلاثة عشر في الأفق الأسفل ، والطارع في حكم الطلوع ، والغارب في حكم الغروب ، فإذا عرفت الطالع كان رقيبہ الخامس عشر . وإنما سمي الغارب رقيباً تشبيهاً له برقيب يرصده ليسقط من المغرب إذا ظهر ذلك من المشرق ، والطارع والغارب كما يعدان لأهل الأفق الأعلى كذلك يعدان لأهل الأفق الأسفل ، وبقيّة الثلاثة عشر الظاهرة واحد منها متوسط في وسط السماء ، وستة منها إلى جهة المشرق ، وستة إلى المغرب ، وكذلك الثلاثة عشر السفلية ، فإذا غربت منزلة طلعت من المشرق أخرى فيتوسط ما بعد المتوسط في العدد ، وهما كان الطالع فالخامس عشر منه الغارب ، والثامن منه متوسط .

#### بروج الفلك الدُّنيا عشر

قسم العرب الفلك الى اثني عشر قسماً وسموا كل قسم برجاً ، وهي : الحملُ والثورُ والجوزاءُ ( ويسمى التوأمين ) والسرطانُ والأسدُ والسنبلةُ ( وتسمى العذراءُ أيضاً ) وهذه البروج الست شمالية ، والميزانُ والعقربُ والقوسُ ( ويسمى الرامي أيضاً ) والجدىُ والدلوُ ( ويسمى ساكب الماء والدالي أيضاً ) والحوتُ ( ويسمى السمكتين أيضاً ) وهذه الست جنوبية ، وجملوا كل ثلاثة منها لفصل من فصول السنة الأربعة . ونظم بعضهم هذه البروج على الترتيب المعتبر عندهم فقال :

حَمَلُ الثَّوْرِ جَوْزَاءُ السَّرَطَانُ ورعى الليث سُنْبُلُ المِيزَانِ  
ورمى عقرب بقوس جدياً نزحت دلوها بركة الحيتان<sup>(١)</sup>  
وهذه الأسماء المذكورة مأخوذة من صور توهمت على المنطقة من كواكب ثابتة تنظمها خطوط موهومة وقعت وقت التسمية في تلك الأقسام ( فللحمل ) ثلاثة عشر كوكباً على صورة كبش ذي قرنين مقدّمه إلى المغرب ومؤخره إلى

(١) كذا والرواية الصحيحة :

وزنوا عقرباً وقوساً بجدى ومن الدلو مشرب الحيتان  
( ١٦ — ثالث )

المشرق وظهره إلى الشمال ورجلاه في الجنوب وقد التفت إلى خلفه (وللثور) اثنان وثلاثون كوكباً على صورة مقدم نور مقطوع من سرته وقد نكس رأسه ، مقدمه إلى المشرق ومؤخره إلى المغرب ، ومن كواكبه الثريا والدبران (وللتوأمين) ثمانية عشر على صورة صبيين عريانيين معتنقين في جوز السماء (أى وسطها) رأسهما في الشمال والمشرق أى فيما بينهما ، وأرجلها إلى المغرب والجنوب (وللسرطان) تسعة كواكب على صورته مقدمه إلى المشرق والشمال ومؤخره إلى المغرب والجنوب (وللأسد) سبعة وعشرون على صورته وجهه إلى المغرب وظهره إلى الشمال والنير الذى هو فيها هو قلب الأسد ، ومنها الهلبة وهى كواكب مجتمعة متكاثفة من جملتها الضفيرة (وللعذراء) ستة وعشرون كوكباً على صورة جارية ذات جناحين أرسلت ذيلها ، رأسها إلى المغرب والشمال ، وقدمها إلى المشرق والجنوب ، ويدها اليسرى مسبلة مع جنبها ، واليمنى مرفوعة حذو منكبيها وقد قبضت بها سذلة والنير الذى على كفها اليسرى هو السماء الأعزل (وللميزان) ثمانية على صورة ميزان كفتاه نحو المغرب ، وعموده نحو المشرق (والعقرب) أحد وعشرون على صورتها ، رأسها إلى الشمال ، وحماتها<sup>(١)</sup> نحو الجنوب والمشرق ، والأحر الذى فيه هو قلب العقرب (وللراعى) أحد وثلاثون كوكباً على صورة كأنها جسد دابة إلى العنق وهوى المشرق ثم يخرج من مغرز العنق نصف رجل من عند الخنق<sup>(٢)</sup> عليه عمامة ذات ذوائب ، وقد وضع السهم في قوسه ، وأغرق في النزاع نحو المغرب (ولالجدي) ثمانية وعشرون كوكباً على صورة النصف المقدم من جدى ذى قرنين رأسه ويداه نحو المغرب وظهره إلى الشمال والباقي كمؤخر سمكة إلى ذنبها (ولساكب الماء) اثنان وأربعون كوكباً على صورة رجل قائم ، رأسه في الشمال ورجلاه في الجنوب متوجه إلى المشرق ماداً

---

(١) الحمة على وزن ثبة : الابرة التى تضرب بها العقرب

(٢) بالفتح ويكسر : الكشح أو الازار أو معقده .

اليدين بإحداها كوز قد قلبه وانصب الماء إلى مقام رجله وجرى من تحتها إلى  
فم الحوت ( وللمسكتين ) أربعة وثلاثون على صورة سمكتين قد وصل ذنب  
إحداها بذنب الأخرى بخيط طويل من كواكب على تعريج يسمى خيط  
الكتان إحداها وهى المتقدمة رأسها إلى المغرب وذنبها إلى المشرق ، ورأس  
الأخرى إلى الشمال وذنبها إلى الجنوب ، ولا يذهب عليك أن هذه الكواكب  
عند البروج متحركة بحركة الفلك الثامن فلا محالة تنتقل هذه الصور عن مواضعها  
في تلك الأقسام ، والله تعالى أعلم .

#### فصول السنة على مذهب العرب ، وما لهم فيها من الاختلاف

إعلم أن العرب قسموا السنة إلى أربعة أجزاء ( فجعلوا الجزء الأول الصيف )  
سموا مطره الوسمى ، وأوله عندهم سقوط عرقوة الدلو السفلى ، وآخره سقوط  
الهقمة ( وجعلوا الجزء الثانى الشتاء ) وأوله عندهم سقوط الهنمة ، وآخره سقوط  
الصرفة ( وجعلوا الجزء الثالث الصيف ) وأوله عندهم سقوط العواء ، وآخره  
سقوط الشولة ( وجعلوا الجزء الرابع القيظ ) وسموا مطره الخريف ، وأوله عندهم  
سقوط النعائم ، وآخره سقوط عرقوة الدلو العليا ، كذا فى كتاب ( درالآلى )  
وقال ابن قتيبة فى باب ما يضعه الناس فى غير موضعه وهو أول كتابه ( أدب  
الكاتب ) : ومن ذلك الربيع يذهب الناس إلى أنه الفصل الذى يتبع الشتاء ويأتى  
فيه الورد والنور ، ولا يعرفون الربيع غيره ، والعرب تختلف فى ذلك ، فمنهم من  
يجعل الربيع الفصل الذى تدرك فيه الثمار وهو الخريف وفصل الشتاء بعده ، ثم  
فصل الصيف بعد الشتاء وهو الوقت الذى تدعوه العامة الربيع ، ثم فصل القيظ  
بعده وهو الذى تدعوه العامة الصيف ، ومن العرب من يسمى الفصل الذى  
تدرك فيه الثمار وهو الخريف الربيع الأول ، ويسمى الفصل الذى يتلو الشتاء  
ويأتى فيه الكجأة والنور الربيع الثانى ؛ وكلهم مجمعون على أن الخريف هو الربيع

قال شارحه ابن السيد : مذهب العامة في الربيع هو مذهب المتقدمين ، لأنهم كانوا يجعلون حلول الشمس برأس الحمل أول الزمان وشبابه ، وأما العرب فإنهم جعلوا حلول الشمس برأس الميزان أول فصول السنة الأربعة ، وسموه الربيع . وأما حلول الشمس برأس الحمل فكان منهم من لا يجعله ربيعاً ثانياً فيكون في السنة على مذهبهم ربيعان ، وكان منهم من لا يجعله ربيعاً ثانياً فيكون في السنة على مذهبهم ربيع واحد ، وأما الربيعان من المشهور فلا خلاف بينهم أنهما اثنان ربيع الأول وربيع الآخر .

وقال المرزبانى في كتاب صنفه في الأنواء أنى فيه بفوائد كثيرة مقداره مائة وعشرون كراسة : ومن العرب من يقسم السنة نصفين ويسدأ بالشتاء لأنه ذكر ، والصيف أنثى ، قال : وإنما جعلوه أنثى لأن النبات يظهر فيه ، ثم يقسم الشتاء نصفين ، فيجعل الشتاء أوله ، والربيع آخره ، ويقسم الصيف نصفين فيجعل الصيف أوله ، والخريف آخره ، وفي بعض التعاليق أن من العرب من يجعل للسنة ستة أزمنة ( الأول الوسمى ) وحصته من السنة شهران ، ومن النجوم أربعة أنجم ، أولها العواء ( الزمن الثانى الشتاء ) وحصته من السنة شهران ، ومن النجوم أربعة وثلاثا نجم ( الزمن الثالث الربيع ) وحصته شهران ، ومن النجوم أربعة وثلاثا نجم ( الزمن الرابع الصيف ) وحصته شهران ، ومن النجوم أربعة وثلاثا نجم ( الخامس الحميم ) وحصته شهران ، وأربعة أنجم وثلاثا نجم ( السادس الخريف ) وحصته شهران وأربعة أنجم وثلاثا نجم . والذي عليه الغالب من العرب أن الفصول أربعة وهى المشهورة بين الناس وأن لكل فصل من فصول السنة سبعة منازل فللربيع من الشرطين إلى الذراع ، وللصيف من النثرة إلى السماء ، وللخريف من العقر إلى البلدة ، وللاشتاء من سعد الذابح إلى الرشا ، والأوائل من الأطباء وإن كانوا يقسمون السنة على أربعة أقسام إلا أنهم يجعلون الصيف والشتاء أطول زماناً من الربيع والخريف ، فيجعلون للشتاء أربعة أشهر ، وللصيف كذلك ، وللربيع



والخريف أربعة أشهر لكل شهران ، اسكونهما متوسطين بين الحر والبرد فكأنهما وصلتان بين الشتاء والصيف ، وقد أعرضنا عما يستشهد به من الشعر لكل مذهب ثلثا يطول الكلام .

### الجمرات وسقوطها ، وهل هى كواكب أم لا ؟

قال بعض من تسكلم فى الأنواء : إن بعض الأعراب كانوا إذا اشتد عليهم البرد دخلوا مغارات فى الجبال واسعة ، وأدخلوا معهم أغنامهم ومواشيهم من الإبل والبقر والغنم ونحو ذلك ، وخصوا لهم موضعاً ، وللأغنام موضعاً ، وانحوا البقر موضعاً ، وأوقدوا لكل ناراً دفعا لسورة البرد<sup>(١)</sup> ، فإذا أحسوا بتصرمه أطفأوا ناراً فناراً إلى أن يطفئوا الثلاث ، فعبروا عن ذلك بسقوط الجمرات ، وعن إطفاء كل نار بسقوط جمرة ، ونحوه ما قيل إن ملوك الملل ونحوهم من سكان البلاد كانوا إذا اشتد البرد وأوقدوا فى مجالسهم ثلاث مجامر ، فإذا أحسوا بتصرمه رفعوها واحدة فواحدة ، فعبروا عن ذلك بما ذكر ، وشاع استعماله فيما بين الناس غير أولئك الفريقين كناية عن انكسار سورة البرد فى الماء والهواء والتراب وعندى أن هذا الوجه فى غاية البعد فإن اللفظ من اللغة العربية وعوائد الملل لم تكن معهودة للعرب يومئذ ! ورأيت لبعض المحققين فى ذلك وهو الحرى بالإصغاء إليه أن الجمرات عبارة عن كواكب ثلاثة : رأس الحية وهو كوكب من كواكب الطرف ، والذراع الشامى وهو كوكب من كواكب الهنعة ، وقلب الأسد وهو كوكب من كواكب الجبهة ، وسميت بالجمرات لتوقدها وضربها إلى الحمرة ، وسقوطها ميالها للغروب ، وقد جرت عادة الله تعالى بظهور أثر الحرارة فى الماء عند سقوط رأس الحية فى الغداة سابع شباط وميله للغروب فى ذلك الوقت ، وبظهور أثرها فى الهواء عند سقوط الذراع الشامى فى الغداة أيضا فى رابع عشرة ،

(١) أى شدته .

وبظهوره في التراب عند سقوط قلب الأسد في ذلك الوقت في الواحد والعشرين منه ، ولهذا المناسبة قالوا للأولى : جرة الماء ، وللثانية جرة الهواء ، وللثالثة : جرة التراب ، وربما وقع في التقاويم في الترتيب سقوط جرة الماء ، ثم سقوط جرة التراب ، ثم سقوط جرة الهواء ، وفي بعضها سقوط جرة الهواء ، ثم سقوط جرة الماء ، ثم سقوط جرة التراب ، فلعل ذلك بناء على الاختلاف في ترتيب ظهور الآثار ، وفي تقييد السقوط بقوله بالغداة اندفع إشكال لا يخفى على من يعرف الطالع والغارب ، وذلك إذا أريد بالغداة ما يعم وقت طلوع الشمس وما بعده إلى الزوال ، وقد يقال الأمر أيضاً سهل إذا أريد بها وقت الطلوع بناء على أن قلب الأسد مثلاً في الدرجة الرابعة والعشرين من برجها ، وأنهم يبنون الأمر على الترتيب كما لا يخفى على من راجع كتب الأحكام ، من ذوى الأفهام ، وفي كتب الأنواء زيادة تفصيل لمثل هذه المطالب .

#### مخايل العرب في الأنواء

لما كانت العرب أيام جاهليتهم في ضنك من العيش ، وكلف من الحاجة ، وشدة من العوز ، ألحوا في تتبع مواقع القطر وأوغلوا في بطون الأودية ، وجابوا منابت الشجر ، سداً لهم حوائجهم ، وارتبداً لما يقوم بمؤنهم ، ويصلح لعلف دوابهم ، ومراعى إبلهم ، وسائر مواشيهم ، وكانت دارهم كثيرة القحط ، قليلة الأنهار والعيون ، فامتدت أعناقهم نحو السماء لمطالعة علام الظفر بمقصودهم ومطلوحيهم ، فكانت لهم مخايل لصوادر الأنواء لا تكذب ، فعرفوا السحاب المطر من غيره وميزوا البرق الخلب<sup>(١)</sup> عما سواه ، ووصفوا الغيث والمطر بأقسامه ، ووقفوا على الرياح وخواصها ، وأدركوا ما يعقبها من الحوادث من غير استناد إلى آله حدثت بعدهم بعدة قرون ، بل فهموا ذلك من علام ظهرت لهم ، وقد استوى في معرفتها صغيرهم وكبيرهم ، وذكرهم وأنثاهم ، ولذلك شواهد في

(١) المطمع الخلف .

منظوم كلامهم ومنثوره توقف الناظرين إليها في موقف الحيرة ، لما كان عليه القوم من فصاحة المنطق ، وذرب اللسان وحلاوة التعبير ، وسعة نطاق البيان ، بيد أنى أورد من ذلك غالب ما ذكره الإمام أبى بكر محمد بن الحسن الشهير بابن دريد الأزدي في كتاب (المطر والسحاب) محيلاً شرح الألفاظ إلى ذلك الكتاب روماً للاختصار ، وهو كتاب جليل جمع فيه ما ذكرته العرب في جاهليتها وإسلامها من وصف المطر والسحاب ، وما نعتته العرب الرواد من البقاع مع الشرح المبسوط لألفاظه (روى أبو بكر بن دريد بسنده) قال : بئنا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ذات يوم جالس مع أصحابه إذ نشأت سحابة ، فقالوا يا رسول الله : هذه سحابة ! قال : كيف ترون قواعدها<sup>(١)</sup> ؟ قالوا : ما أحسنها وأشدّ تمسكها ! قال : وكيف ترون راحها<sup>(٢)</sup> ؟ قالوا : ما أحسنها وأشدّ استدارتها . قال : وكيف ترون بواسقها<sup>(٣)</sup> ؟ قالوا : ما أحسنها وأشدّ استقامتها ! قال : وكيف ترون برقها أو مبيضها ، أم خفياً<sup>(٤)</sup> ، أم يشقّ شقاً ؟ قالوا : بل يشقّ شقاً . قال : وكيف ترون جوائنها<sup>(٥)</sup> ؟ قالوا : ما أحسنه وأشدّ سواده ! فقال : الحيا<sup>(٦)</sup> . فقالوا : يا رسول الله ما رأينا الذى هو منك أفصح ! قال : وما يمنعنى من ذلك وإنما أنزل القرآن بلسانى بلسان عربىّ مبين .

وروى بسنده عن الأصمى . قال : خرج معقر بن حماد البارقي ذات يوم وقد كفّ بصره وابنته تقوده فسمع رعداً ، فقال لابنته : ما ترين ؟ قالت : أراها حماء عقاقة<sup>(٧)</sup> ، كأنها حولاء ناقة<sup>(٨)</sup> ، لها سيروان وصدر دان . فقال : مرّى فلا بأس عليك ؟ ثم سمع رعداً آخر فقال : ما ترين ؟ فقالت : أراها كأنها لحمّ بثت :

(١) أسافلها واحداثها قاعدة (٢) وسطها ومعظمها وكذلك رعى الحرب . ومعظمها حيث استدار القوم (٣) ما علا منها وارتفع وكل شيء ارتفع وطال فقد بسق (٤) الوميض : اللمع الخفى ، والخفو : البرق الضعيف ، وقال أبو عمرو : خفى البرق خفياً إذا برق برقاً ضعيفاً (٥) أسودها ، والجون من الأضداد يكون الأسود ويكون الأبيض (٦) الغيث والخصب (٧) الحماء : السوداء تضرب إلى الحمرة ، والعقاقة : التى تنفق بالبرق . تريد ان البرق ينشق عقائق (٨) الحولاء : جلدة رقيقة تقع مع سيل الناقة كأنها مرآة .

منه مسيك ومنه منهرت<sup>(١)</sup> . فقال : وائلى<sup>(٢)</sup> الجئى بى إلى جانب قفلة<sup>(٣)</sup> فإنها لا تنبت إلا بمنجاة من السيل .

وروى بسنده إلى عم الأصمى . قال : سئل أعرابى عن مطر فقال : استقل<sup>(٤)</sup> سد<sup>(٥)</sup> مع انتشار الطفل<sup>(٦)</sup> ، فشصا واحزال<sup>(٧)</sup> ، ثم اكفهرت<sup>(٨)</sup> أرجاؤه<sup>(٩)</sup> ، واحمومت<sup>(١٠)</sup> أرجاؤه<sup>(١١)</sup> ، وابدعرت<sup>(١٢)</sup> قوارقه<sup>(١٣)</sup> ، وتضاحت بوارقه<sup>(١٤)</sup> واستطار وادقه<sup>(١٥)</sup> ، وارتتقت<sup>(١٦)</sup> جوبه<sup>(١٧)</sup> ، وارتعن<sup>(١٨)</sup> هيذبه<sup>(١٩)</sup> ، وحشكت<sup>(٢٠)</sup> أخلافه<sup>(٢١)</sup> واستقلت<sup>(٢٢)</sup> أردافه<sup>(٢٣)</sup> ، وانتشرت<sup>(٢٤)</sup> أكنافه<sup>(٢٥)</sup> ، فالرعد<sup>(٢٦)</sup> مرتجس<sup>(٢٧)</sup> ، والبرق مختلس<sup>(٢٨)</sup> ، والماء<sup>(٢٩)</sup> منبجس<sup>(٣٠)</sup> ، فأنزع<sup>(٣١)</sup> الغدر<sup>(٣٢)</sup> ، وانتبت<sup>(٣٣)</sup> الوجر<sup>(٣٤)</sup> ، وخلط<sup>(٣٥)</sup> الأوعال<sup>(٣٦)</sup> بالآجال<sup>(٣٧)</sup> ، وقرن<sup>(٣٨)</sup> الصيران<sup>(٣٩)</sup> بالرائل<sup>(٤٠)</sup> ، فللاودية<sup>(٤١)</sup> هدير<sup>(٤٢)</sup> ، وللشراج<sup>(٤٣)</sup> خرير<sup>(٤٤)</sup> ، وللتلاع<sup>(٤٥)</sup> زفير<sup>(٤٦)</sup> ، وحط<sup>(٤٧)</sup> النبع<sup>(٤٨)</sup> والعتم<sup>(٤٩)</sup> ، من القفل<sup>(٥٠)</sup>

(١) تريد : لحم مسترخ قد انتن فبعضه متماسك وبفضه متساقط  
(٢) بادرى (٣) ضرب من الشجر : (٤) استقل : ارتفع في الهواء ، والسد : السحاب الذى يسد الأفق ، والطفل : اختلاط الظلام بعد غروب الشمس .  
(٥) شصا : ارتفع يعنى السحاب ، واحزال : انتصب (٦) اكفهرت : تراكم ، وغلظ ، وأرجاؤه : نواحيه واحدها رجا مقصور (٧) احمومت : اسودت ، وأرجاؤه : أوساطه (٨) ابدعرت : تفرقت ، والفوارق جمع فارق وهو السحاب الذى ينقطع من معظم السحاب ، وهذا ملل وأصله في الابل ، يقال : ناقه فارق وهى التى تند عن الابل عند نتاجها حيث لا ترى فتنتج (٩) شبهة لثعان البرق بالضحك (١٠) استطار انتشار ، والوادي : الذى يكون فيه الودق وهو المطر العظيم القطر (١١) أى التامت فرجه (١٢) ارتعن : استرخى ، والهيذب الذى يتدلى ويدنو من الأرض مثل هذب القطيفة (١٣) هذا مثل ، يقال : حشك ضرع الناقة إذا امتلأ لبنا ، والأخلاف جمع خلف وهو الضرع الناقة خاصة (١٤) مآخيره (١٥) نواحيه (١٦) مصوت (١٧) كأنه يختلس البصر لشدة إهماله (١٨) منصب (١٩) أى ملأها والغدر جمع غدبر وهو القطعة من الماء بغادرها السيل (٢٠) أى أخرج نبشتها وهو تراب البئر والقبر . يريد أن هذا المطر لشدة هدم الوجر (وهى جمع وجار وهو سرب الثعالب والضبع) حتى أخرج مداخلها من التراب (٢١) الأوعال : الثيوس الجبلية ، والآجال : جمع أجل وهو القطيع من البقر . يريد أنه لشدة خجل الودعول وهى تسكن الجبال ، والبقر وهى تسكن القيعان والرمال فجمع بينهما .  
(٢٢) الصيران : جمع صوار وصيار أيضا وهو القطيع من البقر ، والرائل : فراخ النعام واحدها رال مهموز (٢٣) صوت كهدير الابل لكثرة السيل .  
(٢٤) الشراج : مجارى الماء من الحرار الى السهولة ، والخرير : صوت الماء (٢٥) النلاع : مجارى ما ارتفع الى بطن الوادى و « لها زفير » أى تزفر بالماء لفرط امتلائها (٢٦) النبع : شجر يتخذ منه القسى ينبت في الجبال ، والعتم : الزيتون الجبلى .

الشم<sup>(١)</sup> ، إلى القيعان الصَّخْم<sup>(٢)</sup> ، فلم يبق في القلل إلا مُقَصَّم مُجَرَّثَم<sup>(٣)</sup> ،  
أو داحص مُجَرَّجَم<sup>(٤)</sup> وذلك من فضل رَبِّ العالمين ، على عباده المجرمين .

(وروى بسنده عن الأصمعي) قال : سألت أعرابياً من بني عامر بن صعصعة  
عن مطر صاب<sup>(٥)</sup> بلادهم ، فقال : نشأ عارضا<sup>(٦)</sup> ، فطلع<sup>(٧)</sup> ناهضا ، ثم ابتسم  
وامضا<sup>(٨)</sup> . فأعس في الأفطار فأسحاهها<sup>(٩)</sup> ، وامتدَّ في الآفاق فغطاها ، ثم  
ارتجز فهمهم<sup>(١٠)</sup> ثم دوى فأظلم ، فأرك ووث<sup>(١١)</sup> ، وبغش وطش<sup>(١٢)</sup> ، ثم  
قطقط<sup>(١٣)</sup> فأفرط . ثم ديم فأغط<sup>(١٤)</sup> ، ثم ركبد فأنجم<sup>(١٥)</sup> ، ثم وبل فسجم<sup>(١٦)</sup>  
وجاد فأنعم<sup>(١٧)</sup> . فقمس الرى<sup>(١٨)</sup> ، وأفرط الرى<sup>(١٩)</sup> ، سبعا تباعا ، ما يزيد  
انقشاعا ، حتى إذا ارتوت<sup>(٢٠)</sup> الحزون<sup>(٢١)</sup> ، وتضحضحت المتون<sup>(٢٢)</sup> ، ساقه  
ربك إلى حيث شاء كما جلبه من حيث شاء .

(وروى بسنده عن عبد الرحمن عن عمه) قال : سئل رجل من العرب عن  
مطر كان بعد جذب ، فقال : نشأ حملاً سداً<sup>(٢٣)</sup> . متقاذف الأحضان<sup>(٢٤)</sup> .

- 
- (١) القلل : أعالي الجبال ، والشم : المرتفعة (٢) القيعان : جمع قاع وهي  
الأرض الطيبة الطين الحرة ، والصخم : التي نعلوها حمرة واحدها أصخم .  
(٣) المقصم : الذي قد تمسك بالجبال وامتنع فيها ، والمجرثم : المنقبض  
(٤) الداحص : الذي يفحص برجليه عند الموت ، والمجرجم : المصروع  
(٥) أى جاد والصبوب المطر الجود (٦) العارض : السحاب يعرض في أفق  
السماء (٧) أى ارتفع (٨) أى لامعا مائنا خفيا كالتيهسم (٩) قوله «فأعس»  
لعل صوابه «فقمس» أى دنا من الأرض في الإفطار ، «فأسحاهها» أى فملأها  
(١٠) ارتجز الرعد : صات ، والسحاب تحرك بطيئا لكثرة قدماته ، وهمهم  
الرعد : إذا سمع له صوت كههممة الأسد (١١) أرك : جاء بالرك-وهو المطر  
القليل أو هو فوق الدث (١٢) البغش : المطر الضعيف ، والطش : فوق البغش  
(١٣) أى تتابع قطره (١٤) ديم . مطر ديمة والديمة مطر يبقى أياما لا يقطع ،  
واغمط : دام (١٥) ركبد : دام ، وأنجم : أقام (١٦) السجم : الصب .  
(١٧) أى قباليغ (١٨) أى غوصها في الماء والرعى جمع ربوة (١٩) أى ملأها  
والزبي جمع زبية وهي حفير تحفر للأسد والنَّيْب ليصاد بها وهي لا تحفر  
الا في موضع مرتفع فاذا بلغ السيل الى موضع الزبية فقد بلغ الغاية  
(٢٠) افتعلت من الرى (٢١) جمع حزن وهو الغليظ من الأرض  
(٢٢) المتون جمع متن وهي صلابة من الأرض فيها ارتفاع ، وتضحضحت:  
صار فوقها ضحضاح من الماء وهو الماء يجري على وجه الأرض رقيقا .  
(٢٣) الحمل : السحاب الكثير الماء ، والسد : الذى قد سد الأفق  
(٢٤) يريد النواحي .

محموى الأركان<sup>(١)</sup> . لماع الأقرب<sup>(٢)</sup> ، مكفهر<sup>(٣)</sup> الرباب<sup>(٤)</sup> ، تحن<sup>(٥)</sup> رعوذه حنين . اضطراب ، وتزجر زجرة الليوث الغضاب<sup>(٦)</sup> لبوارقه التهاب ، ولرواعده اضطراب . فجاحت صدور الشفاف<sup>(٧)</sup> ، وركبت أمجازه القفاف<sup>(٨)</sup> ، ثم ألقى أعباءه<sup>(٩)</sup> وحط أثقاله ، فتألق وأصعق . وانبعس وانبعق<sup>(١٠)</sup> ، ثم أنجم<sup>(١١)</sup> فانطلق فغادر النهاء مترعة<sup>(١٢)</sup> ، والفيضان ممرعة<sup>(١٣)</sup> ، حباء للبلاد ، ورزقا للعباد .

( وروى بسنده عن الأصمى ) قال : سمعت أعرابيا من غنى يذكر مطرا صاب<sup>(١٤)</sup> بلادهم فى غيب جذب<sup>(١٥)</sup> فقال تدارك ربك خلّقه وقد كليّت الأمحال<sup>(١٦)</sup> وتقاصرت الآمال وعكف<sup>(١٧)</sup> الياس ، وكظمت الأنفاس<sup>(١٨)</sup> وأصبح الماشى مضرم<sup>(١٩)</sup> ، والمترب مضمدا<sup>(٢٠)</sup> ، وجفيت الحلائل<sup>(٢١)</sup> ، وامشئت العقائل<sup>(٢٢)</sup> فأنشأ الله سحابا نشأ ركاما<sup>(٢٣)</sup> ، كنهو<sup>(٢٤)</sup> سحابا<sup>(٢٥)</sup> ، بروقه متألقة ، ورعوذه متفهمة<sup>(٢٦)</sup> فسح<sup>(٢٧)</sup> ساجيا راكدا ثلاثا غير ذى فواق<sup>(٢٨)</sup> ، ثم أمر ربك الشمال فطحرت ركامه<sup>(٢٩)</sup> ، وفرقت جهامه<sup>(٣٠)</sup> ، فانقشع محمودا ؛ وقد أحيا فأغنى ،

(١) هو مفعول من الحما وهو سواد تخططه حمرة يسيرة وهو من قواهم  
فرس أحمر (٢) الخصور (٣) المكفهر : المتراكب ، والرباب سحاب تراه كأنه  
متعلق بالسحاب الواحدة ربابة (٤) زمجر الليث ( وهو السبع ) : ردد الزئير  
(٥) جاحت : زاحمت ودانت ، والشفاف : رؤوس الجبال (٦) جمع قف  
وهو الغلف من الأرض لا يبلغ أن يكون جبلا . يريد أن أعالي هذا السحاب  
مطل على الجبال وماخيره على القفاف دان من الأرض (٧) أى أثقاله يريد الماء  
(٨) الانبعاس : الانفجار بالماء . والانبعق : الصب الكثير فى سعة  
(٩) ألقع (١٠) غادر : ترك ، والنهاء : جمع نهى وهو الفدير أو شبهه .  
ومتربة : ملأى (١١) الفيضان : جمع غائط وهو البطن المظمن من الأرض ،  
وممرعة : مخصبة (١٢) من الصوب وهو المطر الجود (١٣) الغب بالكسر :  
عاقبة النىء . والجذب : المحل أى القحط (١٤) أى اشتد القحط .  
(١٥) أقام وثبت (١٦) أى ردت الى الاجواف (١٧) الماشى صاحب  
الماشية ، والعرب تقول امشى الرجل اذا كثرت ماشيته ، والمصرم . الذى  
لا مال له (١٨) المترب هنا الفنى المشرى ، والمعدم : الفقير (١٩) جمع حليلة  
وهى الزوجة (٢٠) أى استخدمت الكرائم (٢١) متراكما (٢٢) كنهو<sup>(٢٣)</sup>  
قطعا مثل الجبال ، سحابا : كثير الصب (٢٤) مصوثة (٢٥) سح : صب ،  
وساجيا : راكدا ثابتا ، و « غير ذى فواق » أى لا يصب صبه ثم يسكن ثم  
يصب أخرى ثم يسكن مثل فواق الناقة (٢٦) طحرت : ساقط وأبعدت ،  
والركام : المتراكم (٢٧) هو السحاب الذى قد اهرق ماءه .

وجاد فأزوى ، فالحمد لله الذى لا تُسَكَّتُ نعمه<sup>(١)</sup> ، ولا تَنفَدُ قسمه ، ولا يَحْبِبُ سائله . ولا يَنْزُرُ نائله<sup>(٢)</sup> .

وروى بسنده عن الأصمعى قال : كان شيخٌ من الأعراب فى خِبانِه وابنة له بالفناء<sup>(٣)</sup> إذ سمع رعداً ، فقال : ما ترين يا بنية ! فقالت : أراها حواء قرحاء<sup>(٤)</sup> كأنها أقرب أنان قرءاء<sup>(٥)</sup> ثم سمع راعدةً أخرى فقال : كيف ترينها ؟ قالت : أراها جمة الترجاف<sup>(٦)</sup> ، متساقطة الأكناف<sup>(٧)</sup> ، تتألق بالبرق الولاف<sup>(٨)</sup> . قال : هلمى المعرفة أنتى<sup>(٩)</sup> نؤيا<sup>(١٠)</sup> .

وعن الأصمعى أيضاً قال : وقف أعرابى على أبى المكنون النحوى ، وهو فى حلقة فسأله ، فقال له : مكانك حتى أفرغ لك ، فدعا واستسقى ، ثم قال : اللهم ربنا وإلهنا ومولانا صلِّ على نبينا محمد ومن أرادنا بسوء فأحط ذلك السوء به إحاطة القلائد ، بترائب الولائد<sup>(١١)</sup> ثم أرسخه<sup>(١٢)</sup> كرسوخ السجيل<sup>(١٣)</sup> ، على أصحاب الفيل<sup>(١٤)</sup> اللهم اسقنا غيثاً مزنًا طبقاً<sup>(١٥)</sup> مريعاً<sup>(١٦)</sup> تاماً مجلجلاً<sup>(١٧)</sup> مسخنراً<sup>(١٨)</sup> هزجاً<sup>(١٩)</sup> سحاً سفوحاً غدقاً مئعنجراً<sup>(٢٠)</sup> . قال : فولى الأعرابى

(١) أى لا تحصى نعمه (٢) أى لا يقل عطاؤه (٣) الفناء بالكسر ما اتسع من أمام الدار (٤) حواء : سوداء الى الحمرة كلون الفرس الاحوى ، قرحاء : يريد ان البرق فى أعاليها فكانها قرحاء مثل الفرس الاقروح (٥) الاقرباب : الخصور . شبهها يبطن الاتان القمراء والقمره بالضم لون الى الخضرة . او بياض فيه كدرة (٦) أى كثيرة الاضطراب (٧) الاكناف : النواحي . يريد قد استرخت نواحيها لكثرة مائها (٨) هو الذى يبرق ببرقتين متوالفتين . وهو لا يكاد يخلف (٩) المعرفة : المسحاة . والنؤى . الحفير الذى حول الخباء أو الخيمة يمنع السيل . ونأيته ونأيتيه ونأيتيه : عملته (١٠) الترائب : موضع القلادة (١١) أى أثبتته (١٢) هو الطين المتحجر (١٣) أصحاب الفيل : ورد ذكرهم فى التنزيل ، على سبيل العظة والاعتبار وقصتهم معروفة متواترة الرواية حتى أنهم جعلوها مبدأ تاريخ يحددون به أوقات الحوادث فيقولون ولد عام الفيل وحدث كذا لسنتين بعد عام الفيل ونحو ذلك ، وقد أوردها الاستاذ المؤلف فى الجزء الاول ص ٢٥١ ، وذكرنا ( فى شرح الضرائر المطبوع بمصر سنة ١٣٤١ ) ما اتفقت عليه الروايات ، ويصح الاعتقاد به من امرها ، كما فعل الامام الشيخ محمد عبده فى تفسير جزء عم (١٤) الطبق من المطر الذى يطبق الأرض (١٥) هو الذى يمرع أى يخصب (١٦) هو الذى تسمع لرمده جلجلة أى صوتاً وهدة (١٧) اسخنفر المطر : كثر (١٨) مصبوتاً (١٩) السح : الصب ، والسفوح : المنسفح ، والغدق : الكثير الماء ، والمئعنجراً : الجارى حتى يملأ الأرض .

مدبراً . فقال له : مكانك حتى أقضى حاجتك : قال الطوفان وربّ الكعبة حتى آوى عيالي إلى جبل يعصمهم من الماء .

(وروى بسنده عن الأصمعي) قال : مررت بغلة من الأعراب يتماقلون (١) في غدير ، فقلت لهم : أيكم يصف لي الغيث وأعطيه درهماً ، فخرجوا إلى فقالوا : كلنا ، وهم ثلاثة ، فقلت لهم صفوه فأبيكم ارتضيت وصفه أعطيته الدرهم ، فقال أحدهم : عنّا لنا عارض قصراً (٢) تسوقه الصبا ، وتحذوه الجنوب ، يحميهم الممّتك (٣) حتى إذا ازلامت (٤) صدوره ، وانتحلت خصوره ، ورجع هديره وأصعق زهيره ، واستقل أشاصه (٥) وتلام خصاصه (٦) وارتعج ارتعاصه (٧) وأوقدت سقابه (٨) وامتدت أطنابه (٩) — تدارك وذقه (١٠) وتأتق برقه ، وحفرت تواليه (١١) وانسفت عزاليه (١٢) فغادر الثرى عمداً (١٣) والعزاز ثمداً (١٤) والحث عقداً (١٥) والضحاضح متواصية (١٦) والشعاب متداعية ، وقال الآخر : تراءت الخايل (١٧) من الأفطار ، تحنّ حنين العشار ، وتترامى بشهب النار ، قواعدها متلاحكة (١٨) وبواسقها متضاحكة (١٩) وأرجاؤها متماذفة (٢٠) وأعجازها مترادفة وأرجاؤها مترادفة (٢١) فواصلت الغرب بالشرق (٢٢) والويل بالوذق . سحاً

(١) أي يتعاطلون في الماء، وامتقل : غاص مرارا (٢) عن : عرض، والعارض السحاب الذي يعترض في الأفق وأكثر ما يكون ذلك عند اقينال الليل . والقصر : العشي (٣) الحبور : دنو المصدر من الأرض ومن ذلك حيا الصبي إذا زحف وصدره دان من الأرض . والممّتك : البعير الذي يصعد في العانك من الرمل وهو الكنيب المتداخل الرمل يشق على الصاعد الصعود فيه والبعير إذا كلف صعوده زحف فشبه نهوض السحاب لنقله بما فيه من الماء به قال رؤية « أوديت ان لم تحب ونحبوا لمعتنك » (٤) انتصبت (٥) بالكسر والفتح ما انتصب من السحاب (٦) الخصاص : الفرج (٧) الارتعاج : تدارك الحركات ، والارتعاض : الاضطراب (٨) هذا مثل والسقاب اعمدة الخباء فشبهه بالخباء قد رفع . والايقاد : الرفع (٩) هي حبال الخباء التي تشد بالاوئاد (١٠) أي تتابع (١١) أي أعجلت ماخيره (١٢) العزالي : عزالي المازاد وهو مخارج الماء من أسافلها (١٣) أي رطباً يجتمع في اليد وغادر : ترك . (١٤) العزاز : الغلف من الأرض . ومكان ثمداً : ند (١٥) الحث : الرمل اليابس (١٦) الضحاضح : ما تضحضح على الأرض من الماء . ومتواصية : متواصلة (١٧) السحب التي تحسبها ماطرة (١٨) أي أسافلها متداخل بعضها في بعض (١٩) أي أعاليها متضاحكة بالبرق (٢٠) أي نواحيها متباعدة (٢١) أي أوساطها متراكمة قد انضم بعضها إلى بعض (٢٢) أي امتدت من المشرق إلى المغرب .



دراكا (١) متتابعا لكاكا (٢) فضحضحت الجفاجف (٣) وأنهرت الصفاصف (٤) وحوضت الأصائف (٥) ثم أقلمت محمودة الآثار ، موموقة الخيار . فقال الثالث : والله ما خلته بلغ خمسا (٦) ! فقال : هلم درهم أصف لك ؟ فقلت لا ، أو تقول كما قالوا ، قال : لأبزنهما وصفا ، ولأوقفنهما رصفا ، فقلت : هات لله أبوك ! فقال : بينما الحاضر بين اليباس والإبلاب (٧) قد غمرهم الإشفاق (٨) رهبة الإملاق (٩) وقد جفت الأنواء (١٠) ورقرق البلاء ، واستولى القنوط على القلوب ، وكثر الاستغفار من الذنوب ، — ارتاح ربك لعباده ، فأنشأ سحابة مستجهر كنهورا (١١) معنونا (١٢) محلولكا (١٣) ثم استقل واحزأل (١٤) ، فصار كالسما دون السماء (١٥) وكالأرض المدحوة (١٦) في لوح (١٧) الهواء ، فأخسب الشهبول (١٨) ، وأتاق الهيجول (١٩) ، وأحيا الرجاء ، وأمات الغراء ، وذلك من فضل رب العالمين . قال : فملا ( والله ) اليفع صدرى ، فأعطيت كل واحد درهما ، وكتبت كلامهم .

وروى عن أبي حاتم عن الأصمعي قال : سألت أعرابيا عن مطر أصابهم بعد جذب . فقال : ارتاح لنا ربك بعد ما استولى على الظنون ، وخامر القلب القنوط فأنشأ بنو الجبهة (٢٠) قزعة كالفرض من قبل العين (٢١) ، فاحزألت عند ترجل

(١) أى صبا متتابعا . (٢) متلاصقا بعضه ببعض (٣) جمع جفجف وهو الغليظ من الأرض وضحضحها جعلت فيها ضحضاح جمع ضحضاح وهو الماء السائح على وجه الأرض ليس بالكبير (٤) جمع صفصف وهو المستوى من الأرض (٥) جمع الصلفاء وهى ماصاب من الأرض . وحوضتها : جعلت فيها حياضا (٦) الظاهر أن العبارة ينبغى أن تكون هكذا : . . . فقال الثالث : والله ما خلته بلغ خمسا : هلم . . . (٧) الإبلاب : اليباس والتخير (٨) الجزع (٩) الافتقار (١٠) أى امسكت الامطار (١١) المستجهر : الأبيض ، والكنهوتور : القذى مثل قطع السحب (١٢) المعنونا : الذى قد تراكم حتى صار كالعائك ، والعائك : مر تفسيره قريبا ، والمحلولاك : الشديد السواد (١٢) أى انتصب وارتفع (١٤) أى من كثافته (١٥) الممسوطة وانما قال « كالارض » اغبرته وسواده (١٦) اللوح : الهواء نفسه (١٧) أى كفها (١٨) أتاق : ملا ، والهيجول جمع هجل ، وهو المظمئن من الارض (١٩) الشاب (٢٠) الجبهة : نجم من نجوم الاسد ونووها مخدود عقدهم . (٢١) القزعة : القطعة من السحاب صغيرة ، والفرض : الترس الصغير والعين : القبلة .

النهار<sup>(١)</sup>، لإِزْمِيم السَّارَر<sup>(٢)</sup>، حتى إذا نهضت في الأفق طالعة أمر مسخرها الجنوب، فتنسبت لها، فانتشرت أحضانها<sup>(٣)</sup>، واحومت<sup>(٤)</sup> أركانها، وبَسَقَ عَنَانُهَا<sup>(٥)</sup> واكفهرت رحاها<sup>(٦)</sup>، وانبعجت كلاها<sup>(٧)</sup>، وذمرت أخراها أولاهها<sup>(٨)</sup>، ثم استطارت عقائقا<sup>(٩)</sup> وارتمجت<sup>(١٠)</sup> بوارقها، وتعمّعت صواعقها، ثم ارتفعت جوانبها<sup>(١١)</sup>، وتداعت سواكبها<sup>(١٢)</sup>، وذرت حوالبها، فكانت الأرض طبقا، سح فهضب، وعم فأحسب<sup>(١٣)</sup>، فَعَلَّ القيَمَان<sup>(١٤)</sup>، وضحضح الغيظان<sup>(١٥)</sup>، وخوخ الأضواج<sup>(١٦)</sup>، وأترع الشِراج<sup>(١٧)</sup>، فالجد لله الذي جعل كفاء إساءتنا إحسانا، وجزاء ظلمنا غفرانا.

( وروى عن عبد الرحمن عن عمه ) قال : سمعت أعرابيا من بني عامر بن لؤي ابن صعصعة يَصِفُ مطرا ، فقال : نشأ عند القَصْرِ<sup>(١٨)</sup>، بنوء الغَفَرِ<sup>(١٩)</sup>، حَبِيَّاً عَارِضاً<sup>(٢٠)</sup>، ضاحكاً وامضاً، فسكلا ولا<sup>(٢١)</sup> ما كان، حتى شجيت به<sup>(٢٢)</sup>، أقطار الهواء، واحتجبت به السماء؛ ثم أطرق فاكفهر<sup>(٢٣)</sup>، وتراكم فادلهم<sup>(٢٤)</sup>، وبَسَقَ قازِلَامَ<sup>(٢٥)</sup>؛ ثم حدث به<sup>(٢٦)</sup> الريح فخنّ، فالبرق مرتعج<sup>(٢٧)</sup>، والرعْد

- 
- (١) أي عند انبساط الشمس (٢) الازمِيم بالكسر إحدى ليالي السرار وهي ثلاث ليال من آخر الشهر (٣) أي فانبسطت نواحيها (٤) اسودت . (٥) أي ارتفع سحابها (٦) اكفهرت : كثفت ، ورحاها : وسطها . (٧) هذا مثل والكلية من الزادة رقعة مستديرة تخرز عليها تحت العروة، وانبعجت : انشقت شبيهة بثني السقاء والقربة إذا رقت ورشح منه الماء فأراد أن مخارج المطر من السحاب مثل ذلك (٨) هذا مثل أيضا كأنه حض بعضها بعضا على المطر (٩) استطارت : انتشرت ، والعقائق جمع عقيقة وهي البرقة المستطيلة في عرض السحاب (١٠) أي تدارك بعضها في أثر بعض . (١١) أي استرخت لكثرة ما فيها من الماء (١٢) كأنه دعا بعضها بعضا بالماء (١٣) أي عم الأرض ولم يخص موضعاً دون موضع ، وأحسبها أي كفهاها واعطاها ما هو حسبها (١٤) العل : السقية الثانية (١٥) ضحضح : مر تفسيره قريبا ، والغيظان جمع غائط وهو البطن المظلم من الأرض وقد مر أيضا قريبا (١٦) أي هد الأجواف (١٧) أي ملاً مسایل الماء (١٨) العشي (١٩) من نجوم الاسد (٢٠) الجبي الداني من الأرض، والعارض : المعترض في الأفق (٢١) أي كقولك كلاولا في السرعة (٢٢) أي تضايقت به كما يشجى الغاص (٢٣) أطرق : تكاثف بعضه على بعض ، واكفهر : تراكم وغلظ (٢٤) أسود (٢٥) أي ارتفع فانتصب (٢٦) ساقته (٢٧) متدارك .

متبوج<sup>(١)</sup>، والخروج متبجع<sup>(٢)</sup>، فأنجم<sup>(٣)</sup> ثلاثاً، متحيزاً ههنا<sup>(٤)</sup>، أخلافه حاشكة<sup>(٥)</sup>،  
ودفعة متواشكة<sup>(٦)</sup>، وسوامه متعاركة<sup>(٧)</sup>، ثم ودع منجماً<sup>(٨)</sup>، وأقلع منجمها<sup>(٩)</sup>،  
محمود البلاء، مترع السماء<sup>(١٠)</sup>، مشكور النماء، بطول<sup>(١١)</sup> ذى الكبرياء .  
(وروى بسنده عن أشياخ من بنى الحرث بن كعب) قالوا: أجدبت بلاد  
مذحج، فأرسلوا رؤاداً<sup>(١٢)</sup> من كل بطن رجلاً، فبعث بنو زبيد رائداً، وبعثت  
جفني رائداً، وبعثت النخع رائداً، فلما رجع الرؤاد قيل لرائد بني زبيد: ما وراءك؟  
قال: رأيت أرضاً موشمة البقاع<sup>(١٣)</sup>، ناتحة البقاع<sup>(١٤)</sup>، مستحلسة الغيطان<sup>(١٥)</sup>،  
ضاحكة القران<sup>(١٦)</sup>، وأعدة وأخر يوفائها<sup>(١٧)</sup>، راضية أرضها عن سمائها،  
وقيل لرائد جفني: ما وراءك؟ فقال: رأيت أرضاً جمعت السماء أقطارها<sup>(١٨)</sup>،  
فأمرعت أصبارها<sup>(١٩)</sup>، وديدت أوعارها<sup>(٢٠)</sup>، فبطناتها غمقه<sup>(٢١)</sup>، وظفرانها  
غدقه<sup>(٢٢)</sup>، ورياضها مستوسقه<sup>(٢٣)</sup>، ورقاقها رائخ<sup>(٢٤)</sup>، وواطئها سائح<sup>(٢٥)</sup>،

(١) مرتفع الصوت (٢) الخروج: السحاب أول ما ينشأ، ومتبجع: متشقق (٣) أي دام وأقام متحيزاً كأنه قد تحير له وجه يقصده (٤) متداخلاً بعضه في بعض . وقال أبو بكر: الهنتة - اختلاط الصوت (٥) هذا مثل أخلاف الناقة: ضروعها، وحاشكة: ممثلة (٦) مسرعة (٧) هذا مثل السوام الابل السائمة أي الراعية . يشبه السحاب بالابل التي يعارك بعضها بعضاً أي يزاحم (٨) أي منقشعاً (٩) أي نحو تهامة . يقال: أنهم الرجل إذا أتى تهامة . وأنجد إذا أتى نجدا . وأعمن إذا أتى عمان وأعرق إذا أتى العراق (١٠) جمع نهى وهو الغدير (١١) بفضل (١٢) جمع رائد وهو المرسل في طلب الكلا (١٣) أو شمت الأرض إذا بدأ فيها نبت (١٤) ناتحة: راشحة . (١٥) المستحلسة: التي قد جللت الأرض بنباتها، وقال الاصمعي: استحلست النبت إذا غطى الأرض أو كاد يغطيها والمعنى واحد (١٦) مجارى الماء إلى الرياض مفردتها قرى (١٧) وأعدة: تعد تمام نباتها وخيرها . وأخر: اخلق (١٨) السماء: المطر ههنا، يريد أن المطر جاد بها فطال النبت فصار النبت كأنه قد جمع اكنافه . وأنشد ابن قتيبة:

إذا سقط السماء بأرض قوم رعيناه وإن كانوا غضاباً

(١٩) أمرت: امشيت وطال نباتها، والأصبار نواحي الوادي (٢٠) ديت: لينت، والأوعار جمع وعر وهو الغلظ والخشونة (٢١) البطنان: جمع بطن وهو ما غمض من الأرض، وغمقه: ندبة (٢٢) الظهران: جمع ظهر وهو ما ارتفع يسيراً، وغدقة: كثرة البلل والماء (٢٣) منتظمة (٢٤) الرفاق: الأرض اللينة من غير رمل، رائخ: مقرط اللين (٢٥) أي تسوخ رجلاه في الأرض من لينها .

وماشيها مسرور ، وهُضِرَ مِثْلُهَا محسور<sup>(١)</sup> ، وقيل للنخعي ، ما وراءك ؟ فقال : مَدَّاحِي سَنِيل<sup>(٢)</sup> ، وزُهَاء ليل<sup>(٣)</sup> ، وَغَيْلٌ يُوَاصِي غَيْل<sup>(٤)</sup> ، قد ارتوت أجرازاها<sup>(٥)</sup> ، ودُمَّتْ عَرَازُهَا<sup>(٦)</sup> ، والتبت أقوازها<sup>(٧)</sup> ، فرائدها أنق<sup>(٨)</sup> ، وراعيتها سنق<sup>(٩)</sup> ، فلا قَضَض ، ولا رَمَض<sup>(١٠)</sup> ، عازبها لا يُفَزَع<sup>(١١)</sup> وواردها لا يُنْكَع<sup>(١٢)</sup> ، فاختراروا مراد النخعي .

وروى عن عمه عن ابن الكلبي قال : خطب ابنة الخُسّ الإيادية<sup>(١٣)</sup> ثلاثة نفر من قومها ، وارتضت أنسابهم وجمالهم ، وأرادت أن تسبر عقولهم ، فقالت لهم : أريد أن ترتادوا لي مرعى ، فلما أتوها قالت لأحدهم : ما رأيت ؟ قال : رأيت بقلًا وبقيلًا<sup>(١٤)</sup> ، وماء غدقا سيلا ، يحسبه الجاهل ليلا<sup>(١٥)</sup> ، قالت : أمرعت . قال الآخر : رأيت ديمةً بعد ديمة<sup>(١٦)</sup> ، على عهد غير قديمة<sup>(١٧)</sup> ، فالتاب تشبع قبل الفطيمة<sup>(١٨)</sup> . قال الثالث : رأيت غيثًا ثعدًا ثعدًا<sup>(١٩)</sup> ، مترا كما جعدًا<sup>(٢٠)</sup> ، كالحاذ نساء بني سعد<sup>(٢١)</sup> ، تشبع منه الناب وهي تعد<sup>(٢٢)</sup> .

(١) الماشي : صاحب الماشية ، والمصرم : المقل المقارب المال (٢) يقول : قد جرى فيها السيل ودحاها أي بسطها حتى استوى ولان وجهها (٣) الزهاء : الشخص وانما جعل نباتها زهاء ليل لشدة خضرته (٤) الغيل : الماء الجاري على وجه الأرض . ويواصي : يواصل (٥) جمع جرز وهي التي لم يصبها المطر ، ويقال : التي قد اكل نباتها (٦) دمت : لين ، ودمت لان ، والعزاز : الأرض الصلبة الغليظة (٧) جمع قوز وهي رمال تستدير وتنعطف نحو الاحقاف (٨) الرائد : المرسل في طلب الكلاء ، وأنق : معجب بالمرعى (٩) راعيتها : الذي يرعاها ، والسنق : البشم من كثرة الرعى (١٠) القَضَض : والرمض : الصغار ، يريد ان النبات قد غطي الأرض فلا ترى هناك قَضَضًا ، والرمض : أن يحمي الحصى والحجارة من شدة الحر ، بقول فليس هناك رمض لان الأرض مجللة بالنبت فلا يرمض واطئها (١١) الذي يعزب بأبله أي يبعد بها في المرعى (١٢) أي لا يمنع (١٣) أخبارها في الجزء الأول ص ٣٣٩ و ٣٤٠ (١٤) يقول : بقل قد طال ، وتحت غمير قد نشأ (١٥) أي كثير يحسبه الجاهل إيلا من كثافته وشدة خضرته (١٦) الديمة : المطر يدوم أياما فيسكون ولين (١٧) العهد : أول ما يصيب الأرض من المطر (١٨) الناب : الناقة المسنة ، يريد ان العشب قد اكتهل وطال وتم . تشبع منه الناب قبل الصغيرة لانها تتناول الكلاء وهي قائمة لاتطلبه ولا تبرح من موقفها والفطيمة تتبع ماصفر من النبات (١٩) النعد : الغض من البقل ، ومعد : أنباع . ويقال : « ماله ثعد ولا معد » أي قليل ولا كثير (٢٠) الثرى الجعد : الذي قد كثر نداه فاذا ضمته بيدك اجتمع ودخل بعضه في بعض كالشعر الجعد (٢١) أراد في غلظ أفخاذ

(وروى عن أبي حاتم عن أبي عبيدة) قال : خرج النعمان في بعض أيامه في عقب سماء ، فلقى أعرابياً على ناقة فأمره فأتى به ، فقال : كيف تركت الأرض وراءك ؟ فقال : فيح رحاب<sup>(١)</sup> ، منها السيول ومنها الصعاب ، منشوطة بجبالها حاملة لأثقالها<sup>(٢)</sup> ! قال : إنما سألتك عن السماء ، قال : مُطلة مستقلة<sup>(٣)</sup> على غير سقاب ، ولا أطناب<sup>(٤)</sup> ، يختلفُ عصرها<sup>(٥)</sup> ، ويتعاقبُ سراجها<sup>(٦)</sup> ، قال : ليس عن هذا أسألك ، قال : فسل ما بدالك ! قال : هل صاب الأرض غيث ؟ قال : نعم ! أنغمت السماء<sup>(٧)</sup> ، في أرضنا ثلاثاً رهوا<sup>(٨)</sup> ، فثرت وأرزغت ورسفت<sup>(٩)</sup> ، ثم خرجت من أرض قومي أقرؤها<sup>(١٠)</sup> ، فإذا هي متواصية<sup>(١١)</sup> لا خطيطة<sup>(١٢)</sup> بينها حتى هبطت بعشار<sup>(١٣)</sup> ، فتداعى السحاب من الأقطار<sup>(١٤)</sup> ، فجاءنا بالسيول الخرار ، فعفا الآثار<sup>(١٥)</sup> ، وملأ الجفار<sup>(١٦)</sup> ، وقور<sup>(١٧)</sup> على الأشجار ، فأحجر الحصار<sup>(١٨)</sup> ، ومنع السفار ، ثم ألق عن نفع وإضرار<sup>(١٩)</sup> ، فلما اتلأبت<sup>(٢٠)</sup> لى القيعان ، ووضحت السبل في الغيطان<sup>(٢١)</sup> ، وفات العنان<sup>(٢٢)</sup> ، من أقطار الأعنان<sup>(٢٣)</sup> ، فلم أجد وزراً إلا الغيران<sup>(٢٤)</sup> ، ففات جار الضبع<sup>(٢٥)</sup> ، فغادرت السهول كالبحار ، تتلاطم بالتيار<sup>(٢٦)</sup> ، والحزون متلفعة بالغشاء<sup>(٢٧)</sup> ، والوحوش مقذوفة على

= بنى سعد (٢٢) هذا نحو الكلام الأول. يقول : النبات قد ارتفع وطل والناب الناقة المسنة تعدو وهي تأكل ولا تطأ رأسها .

(١) فيح : واسعة (٢) أى مثبتة لاتزول ، حاملة لانقالها : لمن عليها من الناس وغيرهم (٣) مطلة : مرتفعة ، وكذلك « مستقلة » (٤) السقاب أعمدة الخباء ، والأطناب : الحبال المشدودة الى الأوتاد ، وهذا مثل (٥) أى الليل والنهار (٦) أى الليل والنهار (٧) أى دام مطرها (٨) الرهو : السكون (٩) ثرت : تركت الأرض ثرية ، وأرزغت : تركت الأرض رزغة ، والرزغة : الوحل ، ورسفت : بلغ الماء الى الرسغ (١٠) أى اتبعتها (١١) متصل بعضها ببعض (١٢) الخطيطة : الأرض التى لم تمطر بين ممطورتين أو التى مطر بعضها (١٣) اسم موضع (١٤) النواحي (١٥) أى طمس الطرق (١٦) جمع جفر كسهم وهو البشر التى لم تطو (١٧) أى قطع أو اجتراح (١٨) أى ألزهم ييوتهم ، و « منع السفار » عن الحركة (١٩) يقول : نفعت عواقبه وضرت لكثرتة (٢٠) وضحت (٢١) جمع غائط وهو المطمئن من الأرض (٢٢) السحاب (٢٣) أى من نواحي السماء (٢٤) الوزر : الملجأ ، والغيران جمع غاري وهو الكهف فى الجبل (٢٥) أى فات من القى وهذا غاية ما يوصف به المطر فى الكثرة ، والمعنى أنه يجر الضبع من وجارها (٢٦) الموج (٢٧) الحزون : جمع حزن وهو ما غلظ من الأرض ، والغشاء : حميل السيل

الأرجاء<sup>(١)</sup>، فازلت أطأ السماء<sup>(٢)</sup>، وأخوض الماء، حتى وطئت أرضكم .  
(وروى عن أبي حاتم عن أنى عبدة) قال : وقف أعرابي على قوم من الحاج فقال : يا قومي بدا شأنى الذى أنفجنى<sup>(٣)</sup> إلى مسألتكم ، إن الغيث كان قد قوى<sup>(٤)</sup> عنا ، ثم تسكرنا السحاب<sup>(٥)</sup>، وشصا الرباب<sup>(٦)</sup>، وادلهم سيقه<sup>(٧)</sup>، فارتجس ريقه<sup>(٨)</sup>، وقلنا هذا عام باكر الوسمى<sup>(٩)</sup>، محمود السمي<sup>(١٠)</sup>، ثم هبت له الشمال ، فاحترألت طخايريه<sup>(١١)</sup>، وتقزع كرفته<sup>(١٢)</sup> متباشرا ؛ ثم تتابع لمعان البرق ، حيث تشينه الأبصار<sup>(١٣)</sup>، وتجده النظار ، وممرت<sup>(١٤)</sup> الجنوب ماءه ، فقووض الحى مزلثمين<sup>(١٥)</sup> نحوه ، فسرحننا المال<sup>(١٦)</sup> فيه ، وكان وخما وخيما ، وأساف المال<sup>(١٧)</sup>، وأضف الحال<sup>(١٨)</sup>، فرحم الله امرأ جاد يميز<sup>(١٩)</sup>، أودل على خير .

وروى أبو حاتم عن العتبي قال : حدثنى أبى قال : خرج الحجاج إلى ظهرنا هذا ، فلقى أعرابا قد انحدروا للميرة ، فقال : كيف تركتم السماء وراءكم ؟ فقال متكلمهم : أصابتنا سماؤنا بالمثل مثل القوائم<sup>(٢٠)</sup> حيث انقطع الرمث بضرب فيه

(١) يقول : قد غرقت الوحوش فهى مطروحة على أرجاء الأرض أى نواحيها  
(٢) أى أطأ المطر فالعرب تسمى آثار المطر فى الأرض السماء (٣) أى أحوجنى  
(٤) أى احتبس (٥) أى كثر وتراكم (٦) شصا : ارتفع ، والرباب : السحاب الأبيض (٧) ادلهم أسود ، والسيق : ككيس : السحاب الذى لاماء فيه  
(٨) تمخض ماؤه (٩) الوسمى : أول المطر يقع على الأرض وذلك عند اقبال الشتاء قبل الربيع سمي بذلك لأنه يسم الأرض . قال الأصمعى : أول المطر الخريف وهو الذى يأتى عند صرام النخل ، ثم الوسمى يلى ذلك وهو اقبال الشتاء ، ثم يليه الربيع ، ثم الصيف ثم الحميم (١٠) جمع سماء وهو المطر ، قال العجاج : « تلفه الأرواح والسمى » . (١١) احزالت ارتفعت ، والطحارير : جمع طخور - وهو بالخاء والحاء الطخ من السحاب القليل . قال الأزهري : وهى الطحارير والطحارير لقزع السحاب (١٢) تقزع : تقشع ، والكرفاء : قطع من السحاب متراكبة واحدها كرفئة (١٣) شمت البرق : رقبتة تنظر أين يصوب (١٤) استخرجت (١٥) مسرعين (١٦) أى الأبل (١٧) أى ذهب به وأهلكه (١٨) أى ضعضعها ، والضفف : الفقر والحاجة الى الناس (١٩) المير بالفتح كالميرة وهى الطعام يمتاره الانسان ، ويطلق ويراد به القوت (٢٠) المثل : بكسر اوله وسكون نانيه - موضع بفلج يقال له رحي المثل ، وقوله « مثل القوائم » أراد أن هذا الموضع قطره كمثل مواقع القوائم

نقير<sup>(١)</sup>، وهو على ذلك يعضد ويرسغ<sup>(٢)</sup>، ثم أصابتنا سماء « أميثل » منها تسيل الدماث والتلعة الزهيدة<sup>(٣)</sup>، فلما كننا حذاء ( الحفر ) أصابتنا ضرس جود ملأ الآخاد<sup>(٤)</sup>. فأقبل الحجاج على زياد بن عمرو العنكي فقال : ما يقول هذا الأعرابي ؟ قال : وما أنا وما يقول : إنما أنا صاحب سيف ورمح ! قال : بل أنت صاحب مجذاف وقلنس ، إسمي ! فجعل يفحص الثرى ويقول : لقد رأيتني وأن المصعب ليعطيني المائة ألف وما أنا أصبح بين يدي الحجاج !

وروى عن عبد الرحمن عن عمه . قال قال أبو مجيب وكان أعرابياً من بني ربيعة ابن مالك . لقد رأيتنا في أرض عجفاء<sup>(٥)</sup>، وزمان أعجم<sup>(٦)</sup>، وشجر أعسم<sup>(٧)</sup> في قف<sup>(٨)</sup> غليظ ، فبينما نحن كذلك إذ نشأ الله تعالى من السماء غيثاً مستكفاً نشؤه<sup>(٩)</sup>، مسيلة عزاليه<sup>(١٠)</sup>، ضخاماً قطره جرداً صوبه<sup>(١١)</sup>، زاكياً أنزله الله تعالى رزقاً لنا ، فتعش به أموالنا<sup>(١٢)</sup>، ووصل به طرقتنا ، وأصابنا وإنا لنبوطة بعيدة الأرجاء<sup>(١٣)</sup>، فاهرمع<sup>(١٤)</sup> مطرها حتى رأيتنا وما نرى غير السماء والماء ، وضهوات<sup>(١٥)</sup> الطلح ؛ وضرب السيل النجاف<sup>(١٦)</sup>، وملأ الأدوية فزعها<sup>(١٧)</sup> فما لبثنا إلا عشرأ حتى رأيتها روضة تندى .

(١) قال الأصمعي : الرمث — من شجر السهل اه فمعنى قوله « حيث انقطع الرمث » حيث أفضى من السهولة الى الحزونة « والضرب من المطر الضعيف الدائم ، والنقير في الأصل النكتة في ظهر النواة (٢) قوله « يعضد » أى يكسر ويصرم والمعنى ان هذا المطر مع ضعفه عظيم القطر فعظم قطره يعضد الشجر يدلك على ذلك قوله « بالمثل مثل القوائم » ولولا ذلك لما جاز أن يعضد الشجر مع ضعفه ، و « يرسغ » يبلغ طينه ومأؤه الرسغ (٣) الدماث : الأماكن اللينة السهلة ، والتلعة : ما ارتفع من الأرض وما انهبط منها ضد ، والتلعة : مسيل الماء وما اتسع من فوهة الوادى ، والزهيدة : الحفيرة (٤) الضرس : القطعة من الأمطار المتفرقة ، والجود المطر الغزير ، والآخاد : الأماكن التى تحبس الماء كالنقر في الحجارة والجوب من الأرضين (٥) القلنس : جبل ضخيم من ليف أو خوص أو غيرهما من قلوس سفن البحر (٦) أى لانبات بها (٧) يابس (٨) هو ماغلظ من الأرض وارتفع (٩) المستكف : المستدير والنشء : السحاب المرتفع أو أول مايشأ منه (١٠) مسيلة : ممطرة . والفزالي : أفواه السحاب وأصل ذلك في المزادة والقربة (١١) الصوب المطر (١٢) أى ابلنا (١٣) النوطة : المكان المرتفع عن الماء ، والنوطة : مكان في وسطه شجر وطر فاه لاشجر فيهما وهو مرتفع عن السيل والأرجاء : النواحي (١٤) أى در وأسرع (١٥) الضهوة : كالغار يجمع فيها ماء المطر (١٦) جمع نجفة وهو ما اشرف من الأرض (١٧) أى قملأها ، وكرر المعنى لما اختلف اللفظ توكيداً

وعن عبد الرحمن عن عمه قال شام (١) أعرابيٌّ بَرَقًا فقال لابنته : انظري أين ترينه ، فقالت :

أناخ بذى بَقَرٍ بركة كان على عَصْدِيهِ كِتَافاً (٢)  
ثم قال : عودى فشيمى ، فقالت :

نَحْتَهُ الصَّبَا وَمَرَّتَهُ الْجَنُوبُ وانتَجَفَتِ السَّمَاءُ انتَجَافاً (٣)

وروى بسنده عن الأصمعي قال : كان أعرابيٌّ ضرير تقوده ابنته وهى ترعى غنيمات لها ، فرأت سحابة ، فقالت : يا أبت جاءتك السماء ، فقال : كيف ترينها ؟ قالت : كأنها فرس دهاء تَجُرُّ جلالها ، قال : إرعى غنيماتك ، فرعت ملياً ، ثم قالت : يا أبت جاءتك السماء ، قال : كيف ترينها ؟ قالت : كأنها عين جبل طريف (٤) ، قال : إرعى غنيماتك ، فرعت ملياً ؛ ثم قالت : يا أبت جاءتك السماء ، قال : كيف ترينها ؟ قالت : سطحت وابيضت . قال : أدخلى غنيماتك ، قال : فجاءت السماء بشيء شطأ (٥) له الزرع وأينع (٦) ، وخضر ونضر (٧) .

وروى أبو الفرج الأصبهاني في الأغاني (٨) بسنده قال : كان من حديث زهير ابن جناب السكلي أنه كان قد بلغ عمراً طويلاً حتى ذهب عقله ، وكان يخرج تائهاً لا يدري أين يذهب فتلاحقه المرأة من أهله والصبي فيرده ، ويقول له : إني أخاف عليك الذئب أن يأكلك ! فأين تذهب ؟ فذهب يوماً من أيامه ، ولحقته ابنة له فردته فرجع معها يهدج (٩) كأنه رأل (١٠) ، وراحت عليهم سماء (١١) في الصيف فعلمتهم منها بغشة (١٢) ، ثم أردفها غيث منكر ؛ وسمع له زجلاً (١٣)

(١) أبصر (٢) ذو بقر : موضع . والبرك : الصدر . والكتاف ماكتف به الشيء (٣) نَحْتَهُ : صرفته . ومَرَّتَهُ : استخرجت ماءه وكذلك « انتَجَفَتِ » (٤) أى مطروف وهو الذى يستطرف الكَلأ لا يرعى فى مكان واحد كالمرأة المطروفة وهى التى تطرف الرجال لاتثبت على واحد (٥) أى أخرج نباته (٦) أينع النبات يונع ايناعاً إذا اخضر وينع الثمر ينعا وينيعاً وينوعاً إذا أدرك ونضج (٧) أى حسن (٨) - ج ٢١ ص ٦٥ (٩) أى يمشى فى ارتعاش (١٠) ولد النعام أو حوليه (١١) مطر (١٢) مطرة ضعيفة (١٣) صوتاً



منكرأ . فقال : ما هذا يا بنية ؟ فقالت عارض هائل <sup>(١)</sup> إن أصابنا دون أهلنا هلكنا . فقال : انعتيه لى ! فقالت : أراه منبطحاً مسنطحاً <sup>(٢)</sup> ، قد ضاق ذرعاً <sup>(٣)</sup> وركب ردعاً ، ذا هيدب <sup>(٤)</sup> يطير ، وهام <sup>(٥)</sup> وزفير ؛ ينهض نهض الكسير ، عليه مثل شباريق الساج <sup>(٦)</sup> ، فى ظلمة الليل الداج <sup>(٧)</sup> ؛ يتضحك مثل شعل النيران ، يهرب منه الطير ، ويوائل <sup>(٨)</sup> منه الحشرة . قال : أى بنية وائلى منه إلى عصر <sup>(٩)</sup> قبل أن لا عين ولا أثر . وفى هذا الغن كثير من المنظوم وقد ذكرت منه نبذة غير يسيرة فى كتاب جزيرة العرب للهمدانى ، والله ولى التوفيق .

ومن علومهم :

#### علم القيافة والعيافة

إعلم أن القيافة على قسمين : قيافة الأثر ويقال لها العيافة ، وقيافة البشر ، أما العيافة فهو علم باحث عن تتبع آثار الأقدام والأخفاف والحوافر فى المقابلة للأثر ، وهى التى تكون فى تربة حرة يتشكل بشكل القدم ؛ ونفع هذا العلم بين إذ القائف يجد بهذا العلم الفارق من الناس ، والضال من الحيوان بتتبع آثارها وقوائمها بقوة الباصرة ، وقوة الخيال والحافظة ، حتى يحكى أن بعضهم يفرق بين أثر قدم الشاب والشيخ ، وقدم الرجل والمرأة ، والبكر والثيب . وأما قيافة البشر فهى الاستدلال بهيئات أعضاء الشخصين على المشاركة والاتحاد بينهما فى النسب والولادة فى سائر أحوالهما وأخلاقهما . وقد فسرهما أبو الفاسم الأصفهاني فى كتاب الذريعة بتفسير أوجز فقال : والقيافة ضربان : أحدهما بتتبع أثر الأقدام ، والاستدلال به على السالكين ؛ والثانى الاستدلال بهيئة الإنسان وشكله على

(١) العارض : السحاب المعترض فى الأفق . (٢) واسمها عريضا (٣) يقال : ضاق فلان بالأمر ذرماً أى ضعفت طاقته ولم يجد من المكروه فيه مخلصاً . وركب ردعاً : خر لوجهه على دمه (٤) هو السحاب المتدلى أو ذيله (٥) أصوات (٦) قطع الطيلسان الأخضر أو الأسود (٧) المظلم (٨) وأعل : طلب النجاة والى المكان بادر (٩) هو الملجأ والمنجاة

نسبته وخص الاستدلال بالقيافة البشرية من العرب بنو مُذَلِّج<sup>(١)</sup> ، وبنو هُبَيْب<sup>(٢)</sup> وذلك لمناسبة طبيعية حاصلة فيهم لا بتعلم قال الاصفهاني : خص الله تعالى بذلك العرب ليكون سبباً لارتداع نسائهم عما يورث ثلب نسبهم ، وخبث حسبهم ، وفساد بذورهم ، وزروعهم ، صيانة للنسبة ؛ ولأجل حفظه تعالى نسبهم بذلك قال تعالى ( وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ) أى ليعرف بعضكم بعضاً بمعرفة أصله انتهى ، وبمثل ذلك قال بعض الحكماء ، وحصول هذا العلم بالحدس والتخمين لا بالاستدلال واليقين ، ولا يحصل بالمدارسة والتعليم ، فلذا لم يصنف فيه مصنف لا حادث ولا قديم ، والقيافة اليوم موجودة في بعض قبائل عرب نجد ، ويقال إنهم بنو مرة ، وهم أعلم الناس بها ، وقد نقل النقات عن سافر إلى بلاد نجد أن كثيراً منهم يرى الأثر فيقول : هذا أثر فلان وفلان ، وهذا أثر بعير فلان وفلان ، وهذا أثر أناس لم يطأوا الأرض الفلانية ، وهؤلاء أناس قدموا من كذا وكذا ، فلم يخلوا بشيء منها . وسمعت أن أعرابياً اتبع أثر حمار له سرقة اللصوص حتى دخل ( الحلة<sup>(٣)</sup> ) وهو ينشده حتى أوقفه أثره عليه من بين آثار حمير لا تحصى ، وإذا نظروا إلى عدة أشخاص ألحقوا الابن بأبيه ، والأخ بأخيه ، والقريب بقريبه ، وميزوا الأجنبي إذا كان بينهم ، وأهل مكة فيهم ، من يقارب هؤلاء ، فتري كثيراً منهم يميز بين العراقي والشامي ، والمصري والمدني ، والعربي والعجمي ، ولو لم يكن بزيه وهيئته ، وفي هذا الباب حكايات لولا تواترها لحكم عليها بما يقرب من الاستحالة ، والقيافة محكوم بها في الشرع وهي إحدى الطرق الحكيمة ، ففي الصحيح من حديث مجزز الأسلمي<sup>(٤)</sup> أنه دخل فرأى أسامة

(١) قبيلة من كنانة (٢) بطن من الازد . (٣) الحلة : علم لعدة مواضع . ويريد المؤلف حلة بنى مزيد مدينة من مدن العراق . كان أول من عمرها ونزلها سيف الدولة صدقة ابن منصور بن ديبس بن علي بن مزيد الاسدي ، وهي لاتزال عامرة أهلة بالسكان ، واغلب أهلها اليوم شيعة ، وفيها جامع لأهل السنة عامر لانظير له فيها يعرف بالجامع الكبير . وهي طيبة الهواء ، عذبة الماء ، ذات بساتين غناء ، ومروج خضراء ، تسر الناظرين ، وتهجج الرائيين . (٤) ترجمته في الاصابة للحافظ العسقلاني ج ٦ ص ٤٥ ط : المطبعة الشرفية .

ابن زيد وزيداً وعليهما قطيفة قد غطيا رؤوسهما وبدأت أقدامهما ، فنظر إليها مجزز الأسلمى وقال : إن هذه الأقدام بعضها من بعض ، فسرّ بذلك النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ، وهى ناشئة من كمال العظنة والذكاء ، ومن توابع غزارة العقل . ومن علومهم .

### علم الفراسة

وهو الاستدلال بهيئة الإنسان ، وأشكاله ، وألوانه ، وأقواله ، على أخلاقه ، وفضائله ورذائله ، وربما يقال : هى صناعة صيادة لمعرفة أخلاق الإنسان وأحواله وقد نبه الله تعالى على صدقها بقوله ( إن فى ذلك لآيات للمتوسمين ) وقوله : ( تعرفهم بسيماهم ) وقوله ( ولتعرفنهم فى لحن القول<sup>(١)</sup> ) ولفظها من قولهم فرس السبع الشاة فكان الفراسة اختلاص المعارف ، وذلك ضربان : ضرب يحصل للإنسان عن خاطر لا يعرف سببه ، وذلك ضرب من الإلهام ، بل ضرب من الوحي ، وإياه عنى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بقوله « المؤمن ينظر بنور الله » وهو الذى يسمى صاحبه المروع والمحدث . وقال عليه الصلاة والسلام « إن يكن فى هذه الأمة محدث فهو مُعَمَّرٌ » وقيل فى قوله تعالى ( وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا ) إنما كان وحياً بإلقائه فى الروح ، وذلك للأنبياء كما قال عز وجل ( نزل به الروح الأمين على قلبك ) وقد يكون بإلهام فى حال اليقظة ، وقد يكون فى حال المنام ولاجل ذلك قال عليه الصلاة والسلام « الرؤيا الصادقة جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة » .

( والضرب الثانى من الفراسة ) يكون بصناعة متعلمة ، وهى معرفة ما بين الألوان والأشكال ، وما بين الأمزجة ، والأخلاق ، والأفعال الطبيعية ، ومن عرف ذلك كان ذافهم ثاقب بالفراسة ، وقد عمل فى ذلك كتب كثيرة من تتبع الصحيح منها اطلع على صدق ماضئوه ، والفراسة ضرب من الظن ، وهى من توابع

---

(١) أى فى معنى القول . وفى مذهب القول .

العقل ، وكلما كان العقل أكل كانت الفراسة أقوى ، ولهذا كانت العرب فيها أوفر نصيباً من غيرهم . وما روى عنهم من عجائب هذا الباب شيء كثير . من ذلك ما ذكره الإمام الماوردي في كتاب ( أعلام النبوة<sup>(١)</sup> ) قال : إن أول من أسس لعدنان مجداً ، وشيد لهم ذكراً ، معد بن عدنان حين اصطفاه بختنصر وقد ملك أقاليم الأرض ، وكان قد همّ بقتله حين غزا بلاد العرب ، فأنذره نبيّ كان في وقته بأن النبوة في ولده ، فاستبقاه ، وأكرمه ، ومكّنه ، واستولى على تهامة بيد عالية ، وأمر مطاع ، وفيه يقول مهلهل الشاعر :

غنيت دارنا تهامة بالأمس وفيها بنو معدّ حلولا

ثم ازداد العز بولده نزار ، وانبسطت به اليد ، وتقدم عند ملوك الفرس واجتباها ( تستشف ) ملك الفرس ، وكان اسمه خلدان ، وكان مهزول البدن ، فقال الملك : مالك يا نزار ، وتفسيره في لغتهم يا مهزول ؟ فغلب عليه هذا الاسم فسمى نزاراً ، وفيه يقول قعدة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان :

جديسا خلفناه وطمّسا بأرضه فأكرم بنا عند الفخار فخارا

فنعن بنو عدنان خلدان جدنا فسماه ( تستشف ) الهمام نزارا

فسمى نزاراً بعد ما كان اسمه لدى العرب ( خلدان ) بنوه خيارا

وكان لنزار أربعة أولاد : مضر ، وربيعه ، وإياد ، وأنمار ، فلما حضرته الوفاة وصاهم . فقال : يا بنيّ هذه القبة الحمراء وما أشبهها لمضر ، وهذا الخباء الأسود وما أشبهه لربيعة ، وهذه الخادمة وما أشبهها لإياد ، وهذه الندوة والمجلس وما أشبهه لأنمار ، فإن أشكل عليكم واختلفتم ، فعليكم بالأفمى الجرهمي بنجران فاختلفوا في القسمة ، فتوجهوا إليه ، فبينما هم يسيرون إذ رأى مضر كلاً قد رعى فقال : إن البعير الذي رعى هذا الكلاً لأعور ! وقال ربيعة : هو أزور<sup>(٢)</sup> وقال إياد : هو أبت<sup>(٣)</sup> وقال أنمار هو شرود<sup>(٤)</sup> ! فلم يسيروا قليلاً حتى لقيهم

(١) ص ١١٨ (٢) أي به زور وهو عوج الزور أو اشراء احد جانبيه على الآخر (٣) مقطوع الذنب (٤) نفور

رجل يوضع<sup>(١)</sup> على راحلته<sup>(٢)</sup> ، فسألهم عن البعير . فقال مضر : هو أعور ! قال : نعم ! وقال ربيعة . هو أزور ! قال : نعم ! وقال إياد : هو أبترا ! قال : نعم ! وقال أنمار : هو شرود ! قال : نعم ! وهذه والله صفة بعيرى فدلونى عليه ، فقالوا والله ما رأيناه ، قال : قد وصفتموه بصفته فكيف لم تروه ؟ وسار معهم إلى نجران حتى نزلوا بالأففى الجرهمى ، فناداه صاحب البعير : هؤلاء أصحاب بعيرى وصفوه لى بصفته ، وقالوا لم نره ! فقال لهم الأففى الجرهمى : كيف وصفتموه ولم تروه ؟ فقال مضر : رأيته يرعى جانباً فعرفت أنه أعور ! وقال ربيعة : رأيته إحدى يديه ثابتة الأثر والأخرى فاسدة الأثر ، فعرفت أنه أزور ! وقال إياد : رأيته بعره مجتمماً فعرفت أنه أبترا ! وقال أنمار : رأيته يرعى للمكان الملتف ثم يجوز إلى غيره فعرفت أنه شرود ! فقال الجرهمى لصاحب البعير : ليسوا أصحاب بعيرك فاطلبه من غيرهم ! ثم سألهم : مَنْ هم ؟ فأخبروه أنهم بنو نزار بن معد ، فقال : أتحتاجون إلى وأتكم كما أرى ؟ فدعاهم بطعام ، فأكلوا وأكل ، وبشراب فشربوا وشرب ، فقال مضر : لم أر كاليوم خيراً أجود لولا أنها نبتت على قبر ! وقال ربيعة : لم أر كاليوم لحماً أطيب لولا أنه رعى بلبن كلب ! وقال إياد : لم أر كاليوم رجلاً أسرى لولا أنه يدعى لغير أبيه ! وقال أنمار : لم أر كاليوم كلاماً أنفع فى حاجتنا ! وسمع الجرهمى الكلام فتعجب لقولهم وأنى أمه فسألها ، فأخبرته أنها كانت تحت ملك لا ولد له فكرهت أن يذهب الملك فأمسكت رجلاً من نفسها كان نزل به فوطئها فحملت منه به ! وسأل القهرمان عن الخمر ، فقال : من كرمه غرسها على قبر أبيك ! وسأل الراعى عن اللحم ، فقال : شاة أرضعتها بلبن كلبية ، لأن الشاة حين ولدت مانت ، ولم يكن ولد فى الغنم شاة غيرها . فقيل لمضر : من أين عرفت الخمر ونباتها على قبر ، قال : لأنه أصابنى عليها عطش

(١) اوضع : اسرع فى سيره (٢) الراحلة : المركب من الابل ذكررا كان أو أنثى وبعضهم يقول — الراحلة — الناقة التى تصلح أن ترحل .

شديد ا وقيل لربيعه : من أين عرفت أن الشاة ارتضعت على ابن كلبة ؟ قال : لأنى شممت منها رائحة الكلب ! وقيل لإياد : من أين عرفت أن الرجل يدعى لغير أبيه ؟ قال : لأنى رأيته يتسكف ما يعمل . ثم اتاهم الجرهمي وقال : صفوا لى صفتكم ، فقصوا عليه ما أوصاهم به أبوه نزار ، فقضى لمضر بالقبه الحمراء والدنانير والإبل وهى حمر فسمى مضر الحمراء ، وقضى لربيعه بالخباء الأسود والخيول الدّم فسمى ربيعة الفرس ، وقضى لإياد بالخدمة الشمطاء والماشية الباق<sup>(١)</sup> ، وقضى لأنمار بالأرض والدرهم ، وهذا الذى ظهر فى أولاد نزار من قوة الذكاء وحدة الفطنة تأسيساً لتمييزهم بالفضل ، واختصاصهم بوفور العقل ، مقدمة لما يراد بهم انتهى . فانظر إلى هذه الفراسة التى كادت تصل إلى حد الإعجاز ؛ وكانت فى الوصول إلى مكنون الحقائق أقوم مجاز ، فله تعالى در العرب ، فهم مظهر كل عجب .

وقد ازدادت فيهم الفراسة بعد أن أشرقت أنوار الإسلام على قلوبهم ، فنظروا بنور الله تعالى المودع فى أعين بصائرهم ما خفى من غيوبهم ، فقد ذكر ابن القيم فى كتابه ( مفتاح دار السعادة ) أن الإمام الشافعى القرشى كان له النصيب الأوفى منها ، فقد حكى أنه ومحمد بن الحسن رأيا رجلاً فقال محمد إنه نجار ، وقال الشافعى إنه حداد ، فسألاه عن صنعته ، فقال : كنت حداداً والآن نجاراً . بل إن كثيراً من أعراب البادية اليوم من له حظ منها ، وسمعت أن كثيراً منهم إذا نظر إلى السحاب المهرق قال : أمطرت أرض كذا وكذا وسال وادى كذا وكذا ، ولم تمطر أرض كذا ، وابتدىء أرض كذا ، فيكون كما قال ؛ وعرب اليمن أوفر حظاً من غيرهم فى الضرب الثانى من الفراسة ، والإمام الشافعى أخذ ذلك عنهم ، وله فى هذا الفن طرائف ، فى ( مفتاح دار السعادة ) أن الإمام الشافعى قال : خرجت إلى اليمن فى طلب كتب الفراسة حتى كتبتها وجمعتها ،

---

(١) جمع ابلق وهو المرتفع التحجيل الى الفخذين

ثم لما كان انصرافى مررت فى الطريق برجل ، وهو مُحْتَبٍ (١) بِفناء داره ، أزرق العين نأتىء الجبهة ، فقلت له : هل من منزل ؟ قال نعم ! قال الشافعى : وهذا النعت أخبث ما يكون فى الفراسة ، فأنزلنى فرأيت أنه أكرم رجل : بعث إلى بعشاء وطيب وعلف للدواب وفراش ولخاف ، وجعلت أتقلب الليل أجمع ماذا أصنع بهذه الكتب فلما أصبحت قلت للغلام أسرج ، فأسرج ، فركبت ومررت عليه ، وقلت له إذا قدمت مكة ومررت بذى طوى ، فسل عن منزل محمد بن إدريس الشافعى . فقال لى الرجل أمولى لأبيك كنت أنا ؟ قلت : لا ! قال : فهل كانت لك عندى نعمة ؟ قلت : لا ؛ قال : فأين ما تكلفت لك البارحة ، قلت : وما هو ؟ قال : اشتريت لك طعاماً بدرهمين وأدماً بكذا . وعطراً بثلاثة دراهم ، وعلفاً لدوابك بدرهمين . وكرى الفراش واللاحاف درهمان ! قلت : فهل بقى شيء ؟ قال كرى المنزل فأنى وسعت عليك وضيقت على نفسى ! فغبطت نفسى حينئذ بتلك الكتب ! فقلت له بعد أن أعطيته ما طلب : هل بقى شيء ؟ قال . امض أخزأك الله فما رأيت شراً منك ! وفى الكتاب المذكور أيضاً عن الربيع أنه قال اشتريت للشافعى طيباً بدينار فقال لى : ممن اشتريته ؟ فقلت : من ذلك الأشقر الأزرق ، فقال ، أشقر أزرق ، اذهب فردّه . وعن حرمة قال : سمعت الشافعى يقول : احذروا من كل ذى عاهة فى بدنه فإنه شيطان ، قال حرمة قلت — من أولئك ؟ قال الأعرج والأحول ونحوهما انتهى .

قال الأصفهانى : فى الذريعة : ومن الفراسة علم الرؤيا وقد عظم الله تعالى أمرها فى جميع الكتب المنزلة ، وقال لنبيه صلى الله تعالى عليه وسلم ( وما جعلنا الرؤيا التى أريناك إلا فتنة للناس والشجرة الملعونة فى القرآن ) وقال ( إذ يريكم الله فى منامك قليلاً ) الآية . وقال فى قصة إبراهيم ( يا بنى إنى أرى فى المنام أنى أذبحك ) وقوله ( يا أبت إنى رأيت أحد عشر كوكباً ) والرؤيا : هى فعل النفس الناطقة

(١) أى مشتمل بشوب أو جامع بين ظهره وساقيه بعمامة ونحوها

ولو لم يكن لها حقيقة لم يكن لإيجاد هذه القوة في الإنسان فائدة ، والله يتعالى عن الباطل . وهى ضربان ضرب — وهو الأكثر — أضغاث أحلام ، وأحاديث النفس بالخواطر الرديئة لكون النفس في تلك الحال كالماء المتموج لا يقبل صورة وضرب — وهو الأقل — صحيح ، وذلك قسمان : قسم لا يحتاج إلى تأويل ، ولذلك يحتاج المعبر إلى مهارة يفرق بين الأضغاث وبين غيرها ، ولتمييز بين الكلمات الروحانية والجسمانية ويفرق بين طبقات الناس ، إذ كان فيهم من لا نصح له رؤيا . وفيهم من تصح رؤياه ثم من صح له ذلك منهم من يرشح أن تلقى إليه في المنام الأشياء العظيمة الخطيرة ، ومنهم من لا يرشح له ذلك ، ولهذا قال اليونانيون : يجب أن يشتغل المعبر بعبارة رؤيا الحكماء والملوك دون الطعام ، وذلك لأن له حظاً من النبوة . وقد قال عليه الصلاة والسلام : « الرؤيا الصادقة جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة » وهذا العلم لا يحتاج إلى مناسبة بين متحريه وبينه ، فرب حكيم لا يرزق حظاً فيه ، ورب نزر الحظ من الحكمة وسائر العلوم توجد له فيه قوة عجيبة .

ويحكى عن العرب في التعبير حكايات عجيبة حتى عن المولدين منهم . قال ابن القيم في (مفتاح دار السعادة) حكى عن المهدي أنه رأى رؤيا ونسبها ، فأصبح مغتماً بها ، فدل على رجل كان يعرف الزجر والقال والتعبير ، وكان حاذقاً ، واسمه خويلد ، فلما دخل عليه أخبره بالذي أراده له ، قال له : يا أمير المؤمنين صاحب الزجر والقال إلى الحركة ، فغضب المهدي وقال : سبحان الله أحكم يذكرك بعلم ولا يدري ما هو ! ومسح يده ووجهه ، وضرب بها على فخذه ، فقال له : أخبرك برؤياك يا أمير المؤمنين ! قال : هات ! قال : رأيت كأنك صعدت جبلاً ، فقال المهدي : لله أبوك يا سحار صدقت ! قال : ما أنا بسحار يا أمير المؤمنين غير أنك مسحت بيدك على رأسك فزجرت لك ، وعلمت أن الرأس ليس فوقه شيء إلا السماء فأولته بالجليل ، ثم نزلت بيدك إلى جبهتك ، فزجرت لك بنزولك إلى أرض ملساء فيها عينان مالحتان ثم انحدرت إلى سفح الجبل فلقيت رجلاً



من فخذك قر يش ، لأن أمير المؤمنين مسح بعد ذلك بيده على فخذة فعلت أن الرجل الذى لقيته من قرابتك ا قال : صدقت ، وأمر له ببال وأمر أن لا يحجب عنه ، ومثل هذه الحكاية كثير . قال الأصمهانى : والزكاة ضرب من الفراسة أيضاً ، وهى معرفة فعل باطن بفعل ظاهر بضرب من التوهم ؛ والقيانة ضرب من الزكاة لكنها أدق ، وقد ذكرناها سابقاً بقسميها ، والله ولى الهداية والتوفيق . ومن علومهم :

### علم الكهانة والعرافة

كان هذا العلم فى العرب أيام الجاهلية شائعاً فيهم ، وعليه مدار فصل خصوصياتهم ومنازعاتهم ؛ وقد تكلم فى الكهانة كثير من أهل العلم ، وبسطوا الكلام فيها وأوجزوا ، ونحن نلخص هنا ما وقفنا عليه فنقول : الكهانة بفتح الكاف ويجوز كسرهما ، قيل : هى ادعاء علم الغيب كالإخبار بما سيقع فى الأرض مع الاستناد إلى سبب ، والأصل فيها استراق الجنى السمع من كلام الملائكة فيلقيه فى أذن الكاهن ؛ والكاهن لفظ يطلق على العراف ، والذى يضرب بالخصى والنجم ، ويطلق على من يقوم بأمر آخر ، ويسمى فى قضاء حوائجه ، وقال فى الحكم . الكاهن القاضى بالغيب ، وقال فى الجامع : العرب تسمى كل من أذن بشئ قبل وقوعه كاهناً ، وقال الخطابى : الكهنة قوم لهم أذهان حادة ، ونفوس شريرة ، وطباع نارية ، فألفتهم الشياطين لما بينهم من التناسب فى هذه الأمور ، وساعدتهم بكل ما تصل قدرتهم إليه ، قال بعض الأفاضل : وكانت الكهانة فى الجاهلية فاشية خصوصاً فى العرب لانقطاع النبوة فيهم ، وهى على أصناف : منها ما يتلقونه من الجن ، فإن الجن كانوا يصعدون إلى جهة السماء فيركب بعضهم بعضاً إلى أن يدنو الأعلى بحيث يسمع الكلام فيلقيه إلى الذى يليه إلى أن يتلقاه من يلقىه فى أذن الكاهن فيزيد فيه ، فلما جاء الإسلام ونزل القرآن ، حرست السماء من الشياطين ، وأرسلت عليهم الشهب ، فبقى من استراقهم ما يتخطفه

الأعلى فيلقية إلى الأسفل قبل أن يصيبه الشهاب ، وإلى ذلك الإشارة بقوله تعالى (إلا من خطف الخطفة فأتبعه شهاب ثاقب) وكانت إصابة الكهان قبل الإسلام كثيرة جداً كما سنبين ذلك في أخبار شق وسطيح ونحوها ، وأما في الإسلام فقد ندر ذلك جداً حتى كاد يضمحل ؛ ثانياً ما يخبر به الجنى من يواليه بما غاب عن غيره مما لا يطلع عليه الإنسان غالباً ، أو يطلع عليه من قرب منه لا من بعد ؛ ثالثاً ما يستند إلى ظن وتخمين وحس ، وهذا قد يجعل الله تعالى فيه لبعض الناس قوة مع كثرة الكذب فيه ؛ رابعاً ما يستند إلى التجربة والعادة فيستدل على الحادث بما وقع قبل ذلك ؛ ومن هذا القسم الأخير ما يضاهى السحر ، وقد يعتضد بعضهم في ذلك بالزجر والطرق والنجوم .

وقال الإمام النووي في شرح صحيح مسلم : الكهانة في العرب ثلاثة أضرب أحدها أن يكون للإنسان رؤى<sup>(١)</sup> من الجن يخبره بما يسترقه من السمع من السماء وهذا القسم بطل من حين بعث النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ، الثاني أن يخبره بما يطرأ ويكون في أقطار الأرض ، وما خفي عنه مما قرب أو بعد ، وهذا لا يبعد وجوده . ونفت المعتزلة وبعض المتكلمين هذين الضربين وأحالوها ، ولا استحالة في ذلك ولا بعد في وجوده ، لكنهم يصدقون ويكذبون ، والنهي عن تصديقهم والسماع منهم عام ؛ الثالث المنجمون ، وهذا الضرب يخلق الله تعالى في بعض الناس قوة ما لكن الكذب فيه أغلب ، ومن هذا الفن العرافة فصاحبها عراف ؛ وهو الذي يستدل على الأمور بأسباب ومقدمات يدعى معرفتها بها : كالزجر والطرق بالحصى ؛ وهذه الأضراب كلها تسمى كهانة ، وقد أكلهم الشرع ، ونهى عن تصديقهم وإتيانهم انتهى . يريد بالنهي حديث « من أتى كاهناً أو عرافاً فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد » وأعل الحكمة في النهي عن ذلك لغلابة الكذب في كلامهم ولأن في تصديقهم فتحة باب يوصل إلى لظى ، إذ قد

(١) قال ابن الأثير : يقال التابع من الجن رأى ككفى وهو فعيل أو فحول . سمي به لأنه يتراعى لمتبوعه أو هو من الراى من قولهم فلان رأى قومهم اذا كان صاحب رأيهم .

يجر إلى تعطيل الشريعة والطعن فيها ، لا سيما من العوام ؛ واستثناء ما هو من جنس الكسوف لندرة خطئهم فيه ، بل لعدمه إذا أمكنوا الحساب ؛ ولا كذلك ما يخبرون به من الحوادث إذ قد بنوا ذلك على أوضاع السيارات بعضها مع بعض أو مع بعض الثوابت ، ولا شك أن ذلك لا يكفي في الغرض والوقوف على جميع الأوضاع ، وما تقتضيه مما يتعذر الوقوف عليه لغير علام الغيوب .

وقد أطل الكلام ابن خلدون في مقدمته على المدركات الغيبية ، ومنها الكهانة ، ومن كلامه فيها أنه قال<sup>(١)</sup> وأما الكهانة فهي أيضاً من خواص النفس الإنسانية وذلك أن للنفس الإنسانية استعداداً للانسلاخ من البشرية إلى الروحانية التي فوقها وأنه يحصل من ذلك لحظة للبشر في صنف الأنبياء بما فطروا عليه من ذلك وثقرر أنه يحصل لهم من غير اكتساب ولا استعانة بشيء من المدارك . ولا من التصورات ولا من الأفعال البدنية كلاماً أو حركة ، ولا بأمر من الأمور إنما هو انسلاخ من البشرية إلى الملكية بالفطرة في لحظة أقرب من لمح البصر ، وإذا كان كذلك وكان ذلك الاستعداد موجوداً في الطبيعة البشرية فيعطى التقسيم العقلي أن هنا صنفاً آخر من البشر ناقصاً عن رتبة الصنف الأول نقصان الضد عن ضده الكامل ، لأن عدم الاستعانة في ذلك الإدراك ضد الاستعانة فيه ، وشتان ما بينهما ! فإذا أعطى تقسيم الوجود أن هنا صنفاً آخر من البشر مفطوراً على أن تتحرك قوته العقلية حركتها الفكرية بالإرادة عند ما يبعثها النزوع لذلك وهي ناقصة عنه بالجبلة فيكون لها بالجبلة عندما يعوقها العجز عن ذلك تشبث بأمور جزئية محسوسة أو متخيلة كالأجسام الشفافة ، وعظام الحيوانات وسجع الكلام ، وما سنع من طير أو حيوان ، فيستديم ذلك الإحساس أو التحيل مستعيناً به في ذلك الانسلاخ الذي يقصده ، ويكون كالمشيح له ، وهذه القوة التي فيهم مبدأ لذلك الإدراك هي الكهانة ، ولكون هذه النفوس مفطورة على النقص

---

(١) المقدمة ص ٨٤ — ط بولاق

والقصور عن الكمال كان إدراكها في الجزئيات أكثر من الكلّيات ، ولذلك تكون الخيلة فيهم في غاية القوة ، لأنها آلة الجزئيات فتنفذ فيها نفوذاً تاماً في نوم أو يقظة ، وتكون عندها حاضرة عتيدة تحضرها بالخيلة . وتكون لها كالمرآة تنظر فيها دائماً ، ولا يقوى الكاهن على الكمال في إدراك المعقولات ، لأن وحيه من وحي الشيطان ، وأرفع أحوال هذا الصنف أن يستمعين بالكلام الذي فيه السجع والموازنة ليستغل به عن الحواس ، ويقوى بعض الشيء على ذلك الاتصال الناقص فيهم جس في قلبه في تلك الحركة ، والذي يشيعهما من ذلك الأجنبي ما يقذفه عن لسانه فربما صدق ووافق ، وربما كذب لأنه يتم نقصه بأمر أجنبي عن ذاته المدركة ، ومباين لها غير ملائم ؛ فيعرض له الصدق والكذب جميعاً ولا يكون موثقاً به ، وربما يفرغ إلى الظنون والتخمينات ، حرصاً على الظفر بالإدراك بزعمه ، وتمويهاً على السائلين ، وأصحاب هذا السجع هم الخصوصيون . باسم الكهان لأنهم أرفع سائر أصنافهم ، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم في مثله ( هذا من سجع الكهان ) فجعل السجع مختصاً بهم بمقتضى الإضافة ، وقد قال لابن صياد<sup>(١)</sup> حين سأله كاشفاً عن حاله بالاختبار : كيف يأتيك هذا الأمر ؟ قال : يأتيني صادق وكاذب ، فقال : خلط عليك الأمر يعني أن النبوة خاصتها الصدق فلا يعترىها الكذب بحال لأنها اتصال من ذات النبي بالملأ الأعلى من غير مشيع ولا استعانة بأجنبي ، والكهانة لما احتاج صاحبها بسبب عجزه إلى الاستعانة بالتصورات الأجنبية كانت داخلية في إدراكه ، والتبست بالإدراك الذي توجه إليه ، فصارت مختلطاً بها ، وطرقه الكذب من هذه الجهة فامتنع أن تكون نبوة ، وإنما قلنا : إن أرفع مراتب الكهانة حالة السجع لأن معنى السجع أخف من سائر المعينات من المراثيات والسموعات ، وتدلل خفة المعنى على قرب ذلك الاتصال والإدراك والبعد فيه عن العجز<sup>(٢)</sup> بعض الشيء .

(١) سندكر عنه شيئاً قريباً . (٢) كذا . وإعله سقط من قلم الناسخ لفظ « عن » .

وقد زعم بعض الناس أن هذه الكهانة قد انقطعت منذ زمن النبوة بما وقع من شأن رجم الشياطين بالشهب بين يدي البعثة ، وأن ذلك كان لمنفعهم من خبر السماء كما وقع في القرآن ، والكهان إنما يتعرفون أخبار السماء من الشياطين فبطلت الكهانة من يومئذ ، ولا يقوم من ذلك دليل ، لأن علوم الكهان كما تكون من الشياطين تكون من نفوسهم أيضاً كما قررناه ، وأيضاً فالآية إنما دلت على منع الشياطين من نوع واحد من أخبار السماء وهو ما يتعلق بخبر البعثة ، ولم يمنعوا مما سوى ذلك ، وأيضاً فإنما كان ذلك الانقطاع بين يدي النبوة فقط ، ولعلها عادت بعد ذلك إلى ما كانت عليه ، وهذا هو الظاهر لأن هذه المداير كلها تحمد في زمن النبوة كما تحمد الكواكب والسرّج عند وجود الشمس لأن النبوة هي النور الأعظم الذي يخفى معه كل نور ويذهب ، وقد زعم بعض الحكماء أنها إنما توجد بين يدي النبوة ثم تنقطع ، وهكذا مع كل نبوة وقعت لأن وجود النبوة لا بد له من وضع فلكي يقتضيه ، وفي تمام ذلك الوضع تمام تلك النبوة التي دل عليها ، ونقص ذلك الوضع عن التمام يقتضي وجود طبيعة من ذلك النوع الذي يقتضيه ناقصة ، وهو معنى الكهان على ما قررناه ، فقبل أن يتم ذلك الوضع الكامل يقع الوضع الناقص ويقتضي وجود الكهان إما واحداً أو متعدداً ، فإذا تم ذلك الوضع تم وجود النبي بكامله ، وانقضت الأوضاع الدالة على مثل تلك الطبيعة فلا يوجد منها شيء بعد ، وهذا بناء على أن بعض الوضع الفلكي يقتضي بعض أثره ، وهو غير مسلم ، فلعل الوضع إنما يقتضي ذلك الأثر بهيئته الخاصة ، ولو نقص بعض أجزائها فلا يقتضي شيئاً لا أنه يقتضي ذلك الأثر ناقصاً كما قالوه ؛ ثم إن هؤلاء الكهان إذا عاصروا زمن النبوة فإنهم عارفون بصدق النبي ، ودلالة معجزته ، لأن لهم بعض الوجدان من أمر النبوة كما لكل إنسان من أمر النوم ، ومعقولية تلك النسبة موجودة للكاهن بأشد مما للناسم ، ( ١٨ - ناك )

ولا يصددهم عن ذلك ويوقعهم في التشكيب إلا قوة المطامع في أنها نبوة لهم فيقعون في العناد كما وقع لأمية بن أبي الصلت فإنه كان يطمع أن يكون نبياً ، وكذا وقع لابن الصياد<sup>(١)</sup> ، ولمسيحة<sup>(٢)</sup> وغيرهم ؛ فإذا غلب الإيمان ، وانقطعت تلك الأمنى آمنوا أحسن إيمان كما وجب لطليحة الأسدي<sup>(٣)</sup> وسواد بن قارب<sup>(٤)</sup> وكان لهما في الفتوحات الإسلامية من الآثار الشاهدة بحسن الإيمان . انتهى المقصود من نقله .

### كلام في العرافة

والعرافة قسيمة للكهانة حسبما يفهم من كلام كثير من أهل العلم . قال الأصفهاني في كتاب الذريعة : الكهانة مختصة بالأمور المستقبلية ، والعرافة بالأمور الماضية . وعرفها بعضهم بقوله . العرافة الاستدلال ببعض الحوادث الحالية على الحوادث الآتية بالمناسبة ، أو المشابهة الخفية ، التي تكون بينهما ، أو الاختلاط ، أو الارتباط على أن يكونا معلولاً وأمر واحد ، أو يكون ما في الحال علة لما في المستقبل ؛ وشرط كون الارتباط المذكور خفياً لا يطلع عليه إلا الأفراد ، وذلك إما بالتجارب ، أو بالحالة المودعة في أنفسهم عند الفطرة ؛ وهي كثيرة في العرب جاهلية وإسلاماً . يحكى أنه كان في زمن هرون الرشيد رجل أعشى من أهل العرافة ، وكان يستدل على المسؤول عنه بكلام صدر عن الحاضرين عقب السؤال ، فسرق يوماً من خزانة الرشيد بعض من الأشياء ، فطلب الرجل ، وأمر أن لا يتكلم أحد بعد السؤال أصلاً ، ففعلوا كما أمر ، والأعشى ألقى سمعه ولم يسمع شيئاً فأمر يده على البسط

---

(١) قال الزبيدي : هو رجل من اليهود أو دخيل فيهم واسمه « صاف » قيساقيل . وكان عنده شيء من الكهانة أو السحر . وجملة أمره أنه كان فتنة آمنح الله بها عباده المؤمنين ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة . ثم أنه مات بالمدينة في الأكثر . وقيل أنه فقد يوم الحرة فلم يجدوه انتهى « الناجمادة صيد » (٢) انظر ص ١٩٦ من الجزء الأول (٣) هو طليحة بن خويلد بن نوفل بن نضلة الأسدي الفقعسي كان يعد بألف فارس بم تنبأ تم اسلم وحسن اسلامه (٤) سيأتى ذكره قريباً .

فوجد فيه نواة تمر ، فقال : إن المسئول عنه دروز برجد وياقوت ! فقال الرشيد أين هو ؟ قال : في بئر ، فوجدوه كما ذكر الأعمى ، فتحير الرشيد فيه فسئل عن سبب معرفته ، فقال : وجدت نواة تمر وطلع النخل أبيض ، وهو كالدر ، ثم يكون بمرأ وهو أخضر ولون الزمرد كذلك ، ثم يكون رطباً وهو أحمر ولون الياقوت كذلك ، ثم لما سألتهم عن مكان المسروق سمعت صوت دلو فعرفت أنه في بئر ! فاستحسن الرشيد استخراجهم وفراسته ، فأعطاه مالا جزيلا . وحكى أن أبا معشر وم صاحبه ذهباً إلى عراف فسألاه عن شيء . فقال إنكما سألتما عن مسجون ! فقالا : إنه يخلص ؟ قال : نعم يخلص ! فسألاه عن سبب معرفته ، فقال : إنكما لما سألتما وقع نظري على قربة ماء فعرفت أن السؤال عن مسجون ولما سألتما عن خلاصه نظرت فإذا هو قد فرغ قربة ، ولابن خلدون كلام في حقيقة العرافة ونحوها يستحسنه أهل النظر ، وعلنا نذكره في علم الزجر .

#### نبذة من أخبار بعض من اشتهر من السكهاة والعرافين

قد كان العرب على ما ذكرنا سابقاً يفرعون إلى السكهاة والعرافين في تعرف الحوادث ويتنافرون إليهم في الخصومات ، ليعرفوهم بالحق فيها من إدراك غيبهم وفي كتب أهل الأدب كثير من ذلك ، واشتهر منهم في الجاهلية جماعة معدودون ، منهم :

#### عزى سلمة السطاهن

روى هشام بن محمد الكلبي عن أبيه عن أبي صالح عن عقيل بن أبي طالب قال : كان عبد المطلب بن هاشم نديماً للحرث بن أمية حتى تنافرا إلى نفيل ابن عبد العزى ، فما نفر عبد المطلب فتنفقا ، ومات عبد المطلب وهو ابن عشرين ومائة سنة ، ومات قبل الفجار في الحرب التي بين هوازن ، ويقال بل تنافرا إلى عزى

ساعة الكاهن ، قالوا : كان لعبد المطلب ماء بالطائفت يقال له : ( ذو الهرم<sup>(١)</sup> )  
لجاء الثقفين فاحتفروه فخاصمهم عبد المطلب إلى عزى أو إلى نفيل ، فخرج عبد المطلب  
مع ابنه الحرث ، وليس له يومئذ غيره ، وخرج الثقفين مع صاحبهم وحرب  
ابن أمية معهم على عبد المطلب فنقد ماء عبد المطلب فطلب إليهم أن يسقوه ،  
فأبوا ، فبلغ العطش منهم كل مبلغ ، وأشفوا<sup>(٢)</sup> على الملاك ، فبينما عبد المطلب  
يثير بعيره ليركب إذ فجر الله له عيناً من تحت جِرائه<sup>(٣)</sup> . فحمد الله وعلم أن ذلك  
منه فشرب وشرب أصحابه ربيهم ، وتزودوا منه حاجتهم ، ونقد ماء الثقفين ،  
فطلبوا إلى عبد المطلب أن يسقيهم ، فأنعم لهم ، فقال له ابنه الحرث :  
لأنتحين على سيفي حتى يخرج من ظهري ! فقال عبد المطلب : لأسقيهم  
فلا تفعل ذلك بنفسك فسقام ثم أطلقوا حتى أتوا الكاهن ، وقد خبأوا له رأس  
جرادة في خرزة مزادة ، وجعلوه في قلادة كلب لهم يقال له : ( سوار ) فلما أتوا  
الكاهن إذا هم ببقرتين تسوقان بينهما بخرجا<sup>(٤)</sup> كلتاها تزعم أنه ولدها ،  
ولدتا في ليلة واحدة فأكل النمر أحد البخرجين فهما توأمان الباقي ، فلما وقفا بين  
يديه قال الكاهن : هل تدرون من تريد هاتان البقرتان ؟ قالوا لا : قال الكاهن :  
ذهب به ذو جسد أربد<sup>(٥)</sup> وشذق مرمع<sup>(٦)</sup> وناب معلق ، مال للصنرى في ولد  
الكبرى حق ، فقضى به للكبرى ، ثم قال : حاجتكم ، قالوا : قد خبأنا لك  
خبثاً فأنبئنا عنه ، ثم نخبرك بحاجتنا ، قال : خبأتكم لى شيئاً طار فسطع  
فتصوب فوقع ، فى الأرض منه بقع ، فقالوا : لاده أى بينه ، قال : هو شىء طار  
فاستطار ، ذو ذنب جرار ، وساق كالمنشار ، ورأس كالسمار . فقالوا لاده ، قال :

(١) بفتح فسكون . وضبطه بعضهم بكسر الراء . قال ياقوت : هكذا  
ضبطناه عن أهل العلم والصحيح عندى أنه ذو الهرم بالتحريك وله فيه قصة  
جاء فيها سجع يدل على ذلك . . . ومن ضبط الهرم بالفتح والفسكون قال  
أنه « مال » كان لعبد المطلب أو لأبى سفيان بالطائفت (٢) اشرفوا  
(٣) بالكسر مقدم عنقه من مذبحة الى منحرة .  
(٤) البخرج : ولد البقرة (٥) أى اسود مختلط (٦) الشذق : جانب  
الغى . ومرمع : مصفر متغير .



إن لاده فلاده ، هو رأس جراده ، في خرز مزاده ، في عنق (سوار) ذى القلاده ، قالوا : صدقت ، فأخبرنا فيما اختصمنا إليك فأخبرهم فانتسبوا له ففضى بينهم ورجعوا إلى منازلهم على حكمه . وقد أورد هذا القصة الميداني أيضاً عند الكلام على قولهم (إِلَادِهِ فَلَادِهِ) قال : وروى ابن الأعرابي إلامه فلاده ، ويروى أيضاً إلامه فلاده أى إن لم تُعط الاثنين لا تعطى العشرة ، قال أبو عبيد : يضربه الرجل يقول أريد كذا وكذا . فإن قيل له ليس يمكن ذا قال فكذا وكذا ، وقال الأصمعي : معناه إن لم يكن هذا الآن فلا يكون بعد الآن ، وقال : لا أدري ما أصله . قال : رؤية « وقولُ إلامه فلاده » قال المنذرى : قالوا معناه إلامه فلا هذه يعنى أن الأصل الاده فلاده بالذال المعجمة فعرب بالذال غير المعجمة ، كما قالوا يهود . ثم عرب فقيل يهود ، وقيل أصله إلامه أى إن لم تضرب فأدخل التنوين فسقط الياء وقبله .

فاليوم قد نهتهى تنهتهى وأولُ حلمٍ ليس بالمستفهِ  
وقولُ إلامه فلادهٍ وحقةٌ ليست بقول التره

يقول : زجرنى زواجر العقل ، ورجوع حلم ليس ينسب إلى السفه ، وقول أى ورجوع قول أى نساء قول يقلن إن لم يتب الآن مع هذه الدواعى لا يتب أبداً . وقوله : و « حقة » أى وقالة حقة يقال حق وحقة كما يقال أهل وأهله يريد الموت وقر به انتهى . وقال عبد القادر البغدادي في كتاب خزانة الأدب بعد أن أورد هذه الأبيات : وصف رؤية قبل هذه الأبيات شبابه ، وما كان فيه من مغازلة الغواني ومواصلة الأمانى — إلى أن قال — فاليوم قد زجرنى عما كنت فيه أربعة أشياء : الأول التنهته ، وهو مطاوع نهتهته عن كذا فتنهته . أى كففته وزجرته عنه فكف ، أى زجرنى زواجر العقل ، الثانى أول حلم أى رجوع عقل لا ينسب إلى السفه ، الثالث عدل القائلين إن لم تتب الآن مع هذه الدواعى إلى التوبة فلا تتوب أبداً فقوله « وقول » على حذف مضاف ، والرابع حقة أى خطة حقة ، فالوصوف محذوف ، وأراد بها الموت وقر به ، يقال حق وحقة كما يقال أهل وأهله ،

والتره اسم مفرد بمعنى الباطل ، يقال تره وترهه وجمع الأول تراريه ، وجمع الثاني ترهات . وقول الرضى ( دَه ) بفتح الدال وسكون الهاء إلى آخر ما ذكره هذا كلام شارح اللباب إسماعيل القسالى من غير زيادة ولا نقص ، ولا يخفى أنه إذا كان ده بمعنى اضرب فهو اسم فعل لا صوت ، والحق أنها فى لغة الفرس زجر لذى الخافر ليسرع ، أوليذهب وليست بمعنى اضرب ، وهذا أمر ظاهر من استعمالهم إلى الآن ، ولسكنهم أجمعوا على أنها بمعنى الضرب وحينئذ فيرد عليهم أنها تكون اسم فعل لا صوتاً قال صاحب اللباب : ذكر جار الله أن ده زجر للإبل مثل هيد وهاد ، وذكر فى أمثاله أن ده بفتح الدال وكسرهما فارسية معناها الضرب قد استعمالها العرب فى كلامهم ؛ وأصله أن الموتور يلقى واره فلا يتعرض له ، فيقال له : « إلا ده فلا ده » أى إناك إن لم تضربه الآن فإنك لا تضربه أبداً ، وتقديره إن لم يكن ده فلا يكون ده أى إن لم يوجد ضرب الساعة فلا يوجد ضرب أبداً ، ثم اتسعوا فيه فضر به مثلاً فى كل شيء لا يقدم عليه الرجل وقد حان حينه من قضاء دين قد حل ، أو حاجة طلبت ، أو ما أشبه ذلك من الأحوال التى لا يسوغ تأخيرها ؛ والحاصل أن قولهم إلا ده فلا ده قد اختلف فى ضبط لفظه وشرح معناه ، وجميع الأقوال على أنها كلمة فارسية معربة ؛ وقد أبى أبو محمد عبد الله الشهير بابن برى المقدسى أن تكون هذه الكلمة فى هذا المثل غير عربية ، وذهب إلى أنها صفة مشبهة من الدهاء وهو الفطنة ، ورد على ملك النخاعة فى زعمه أنها أعجمية فى الأصل بمعنى اسم الفعل ؛ ولقد أجاد ، فيما أفاد ، وحقق مدعاه فوق المراد ، وهو مذكور فى كتاب الخزانة ، ومنهم :

#### شوق بن أنمار بن نزار

كان شوق هذا شق لإنسان له يد واحدة ورجل واحدة وعين واحدة ، ذكر الحافظ ابن الجوزى : أن خالد بن عبد الله القهري كان من ولد شوق هذا ؛ وهذا

الاسم في الأصل اسم الحيوان وهو بكسر الشين ؛ قال القزويني . الشق من المتشيطنة صورته صورة نصف آدمي ! ويزعمون أن الناس مركب من الشق ومن الآدمي ، ويظهر للإنسان في أسفاره . وذكروا أن علقمة بن صفوان بن أمية خرج في بعض الليالي فانتهى إلى موضع فعرض له شق ، فقال علقمة : يا شق ! مالي ولك ، اغمد عني مُنْصَلُك<sup>(١)</sup> أتقتل من لا يمتلك ؟ فقال شق : هَيْتَ لك<sup>(٢)</sup> ، واصبر لما قد حُمَّ لك<sup>(٣)</sup> فضرب كل واحد منهما صاحبه فوق مبيتا ؛ وفي سيرة ابن هشام عن ابن إسحاق : أن مالك بن نصر اللخمي رأى رؤيا هالته ، فبعث إلى جميع السكمان والسحرة والمنجمين من رعيته فاجتمعوا إليه فقال : إني رأيت رؤيا هالتي وفطعت بها ، فقالوا : قصها علينا نخبرك بتأويلها ! فقال لهم إن أخبرتكم بها لم أطمئن إلى خبركم في تأويلها ، ولست أصدق في تأويلها إلا من عرفها قبل أن أخبره بها ، فقال بعضهم لبعض : إن هذا الذي يرومه الملك لا يجده إلا عند شق وسطيح ، فلما أخبروه بذلك أرسل الملك من أتاه بهما ، فسأل سطيحا فقال : أيها الملك إنك رأيت حممة<sup>(٤)</sup> خرجت من ظلمة فوقعت بأرض تهمة<sup>(٥)</sup> وأكلت منها كل ذات جمجمة<sup>(٦)</sup> ! فقال الملك ؛ ما أخطأت شيئا ، فما عندك في تأويلها ؟ فقال سطيح : أحلف بما بين الحرتين من حنش ، ليهبطن أرضكم الحبش ، وليلسكن ما بين أبين إلى جرش ! فقال الملك : وأبيك ياسطيح إن هذا لنا لغائظ موجه ، فمتى يكون ذلك أفي زمان أم بعده ؟ فقال : بل بعده بخين ، أكثر من ستين ، أو سبعين ، يمضين من السنين ، ثم يقتلون ويخرجون منها هاربين ! قال الملك : ومن الذي يلي ذلك من قتلهم وإخراجهم ؟ قال : يليه ابن ذى يزن<sup>(٧)</sup> يخرج عليهم من عدن ، فلا يترك أحدا منهم باليمن ! قال : أفيدوم ذلك من

(١) سيفك (٢) أي هلم (٣) أي قضى لك وقدر (٤) قطعة من نار  
(٥) منخفضة (٦) انما قال كل ذات جمجمة ولم يقل كل ذي جمجمة لأن  
القصد الى النفس والنسمة فهو أعم ويدخل فيه جميع ذوات الأرواح ولو  
جاء بالتذكير لكان اما خاصا بالانسان او عاما في كل شيء حي أو جماد .  
(٧) كذا والصواب « يليه ارم ذى يزن » .

سلطانه أم ينقطع ؟ قال : بل ينقطع ، قال : ومن يقطعه ؟ قال . نبيّ زكّيّ ، يأتيه الوحي من ربه العليّ ، قال . ومن هذا النبيّ ؟ قال . من ولد غالب بن فهر بن مالك ابن النضر ، يكون الملك في قومه إلى آخر الدهر ، فقال الملك : وهل للدهر من آخر ياسطيح ؟ قال . نعم ! يوم يجمع فيه الأولون والآخرون ، ويسعد فيه المحسنون ، ويشقى فيه المسيئون ، فقال الملك . أحق ماتقول ياسطيح ؟ قال : نعم ! والشفق<sup>(١)</sup> والغسق<sup>(٢)</sup> ، والفلق إذا اتسق<sup>(٣)</sup> ، إن ما أخبرتكم به لحق (ثم إن الملك) دعا شقاً فسأله كما سأل سطيحاً ، فقال له شق . إنك رأيت حمّة ، خرجت من ظلمة ، فوقعت بين روضة وأكمة<sup>(٤)</sup> . فأكلت كل ذات نسمة<sup>(٥)</sup> فلما سمع الملك مقالة شق قال له . ما أخطأت شيئاً فما عندك في تأويلها ؟ فقال شق . أحلف بما بين الحرتين من إنسان ، لينزلن أرضكم السودان ، فليغلبن على كلّ طفلة البنان<sup>(٦)</sup> ، وليلكن ما بين أبين إلى نجران ، فقال الملك وأبيك ياشق إن ذلك لنا لغائظ مؤلم فتى يكون ذلك أفى زمانى أم بعده ؟ فقال . بل بعده بزمان ، ثم يستنقذكم منه عظيم الشأن ، ويذيقهم أشد الهوان ، فقال الملك . من هو العظيم الشأن ؟ قال . غلام ليس بدنى ولا مدن<sup>(٧)</sup> يخرج عليهم من بيت ذى وزن ، فقال الملك . أفيدوم ذلك من سلطانه أم ينقطع ؟ قال . بل ينقطع برسول مرسل ، يأتي بالحق والعدل ، بين أهل الدين والفضل ، يكون الملك في قومه إلى يوم الفصل ، فقال الملك . وما يوم الفصل ؟ فقال شق . يوم يجزى فيه الولاة ، يدعى فيه من السماء بدعوات ، يسمعها الأحياء والأموات ، ويجمع فيه بين الناس للميقات ، ويكون فيه لمن اتقى الفوز والخيرات ، فقال الملك . أحق

(١) الحمرة في الافق من الغروب الى قريب العتمة (٢) ظلمة اول الليل .

(٣) أى انتظم (٤) شرفة كالراية (٥) النسمة في الاصل نفس الريح ثم سميت بها النفس بالسكون (٦) أى رخصة الاصابع ناعمتها (٧) الدنى : معروف والمدنى كمحدث الضعيف الخسيس الذى لا غناء عنده المقصر فى كل ما اخذ فيه نقله الازهرى وأنشد :

فلا وأبيك ما خلقى بوعر ولا انا بالمدنى ولا المدنى

ما تقول يا شق؟ قال . إى وربّ السماء والأرض ، وما بينهما من رفع وخفض ،  
إن ما أنبأتكم به لحق ما فيه أمض<sup>(١)</sup> ، فوقع ذلك فى نفس الملك لما رأى من  
تطابق شق وسطيح على ما ذكره ، فجهز أهل بيته إلى الحيرة فرّقاً من سلطان  
الحبشة . ومنهم :

### سطيح بن مازن بن عمار

كان سطيح يدرج كما يدرج الثوب ، ولا عظم فيه إلا الجمجمة ويقال إنه كان  
وجهه فى صدره ، ولم يكن له رأس ولا عنق ، وكان فى عصره من أشهر الكهان ،  
وأخباره فى التواريخ والسير كثيرة ؟ وكان هو وشق ولدا فى يوم واحد ، وكانا من  
المعمرين . قال كثير من أهل السير وبعضهم يروى عن ابن عباس رضى الله تعالى  
عنهما أنه قال . لما كانت الليلة التى ولد فيها النبی صلى الله تعالى عليه وسلم  
ارتجس<sup>(٢)</sup> أبواب كسرى فسقطت منه أربع عشرة شرافة ، فعظم ذلك  
على أهل مملكته ، فما كان أو شك أن كتب إليه صاحب اليم يخبره أن بحيرة  
ساوة غاضت تلك الليلة ، وكتب إليه صاحب السماوة يخبره أن وادى السماوة  
انقطع تلك الليلة ، وكتب إليه صاحب طبرية أن الماء لم يجر تلك الليلة فى بحيرة  
طبرية ، وكتب إليه صاحب فارس يخبره أن بيوت النيران خمدت تلك الليلة  
ولم تحمد قبل ذلك بألف سنة ، فلما تواترت الكتب أبرز سريره ، وظهر لأهل  
مملكته ، فأخبرهم الخبر ، فقال المؤبدان<sup>(٣)</sup> : أيها الملك إني رأيت تلك الليلة  
رؤيا هالتي ، قال له : وما رأيت ؟ قال رأيت إبلاً صعباً<sup>(٤)</sup> ، تقود خيلاً عراباً<sup>(٥)</sup>  
قد اقتحمت دجلة وانتشرت فى بلادنا ، قال : رأيت عظيماً فما عندك فى تأويلها ؟  
قال : ما عندى فيها ولا فى تأويلها شيء ، ولكن أرسل إلى عاملك بالحيرة يوجه

---

(١) أى ما فيه شك ولا مسراب (٢) رجف (٣) بضم الميم وفتح الباء  
فقيه الفرس وحاكم المجوس (٤) جمع صعب وهو من الدواب نقيض الدلول  
(٥) أى عربية منسوبة الى العرب .

إليك رجلاً من علمائهم ، فإنهم أصحاب علم بالحدثان ، فبعث إليه عبد المسيح بن بُقَيْلَةَ الغسانيّ ، فلما قدم عليه أخبره كسرى الخبر ، فقال له : أيها الملك : والله ما عندي فيها ولا في تأويلها شيء ، ولكن جهزني إلى خال لي بالشام يقال له (سطيح) قال : جهزه ، فلما قدم على سطيح وجده قد احتضر ، فناداه فلم يجبه وكلمه فلم يرد عليه ، فقال عبد المسيح :

أصمّ أم يسمع غَطْرِيفَ اليمّين يا فاضلَ الخطّة أعيّت مَنْ وَمَنْ<sup>(١)</sup>  
أناك شيخُ الحَيّ من آل سنن أبيض فضفاض الرداء والبدن<sup>(٢)</sup>  
رسول قَيْلِ المعجم يهوى للوثن لا يَرْهَبُ الرعد ولا رَيْبَ الزمن<sup>(٣)</sup>  
فرفع إليه رأسه ، وقال : عبد المسيح ، على جلّ مشيخ<sup>(٤)</sup> ، جاء إلى سطيح .  
وقد أوفى على الضريح ، بعثك ملك بنى ساسان ، لارتجاس الإيوان ، وخود  
النيران ، ورؤيا المؤبّدان ، رأى إبلاً صعباً ، تفود خيلاً عرباً ، قد اقتحمت في  
الواد ، وانتشرت في البلاد . ثم قال : يا عبد المسيح إذا ظهرت التلاوة ، وفاض  
وادی السماوة ، وظهر صاحب الهراوة<sup>(٥)</sup> فليست الشام لسطيح بشام ، يملك منهم  
ملوك وملكات ، عدد سقوط الشرفات ، وكلّ ما هو آت آت ، ثم قال :

إن كان ملك بنى ساسان أفرطهم فإن ذا الدهر أطواراً دهارير<sup>(٦)</sup>  
منهم بنو الصرح بهرام وإخوته والمهرزبان وسابور وسابور  
فربما أصبحوا يوماً بمنزلة تهاب صولهم الأسد المهاير  
حنوا المطى وجدوا في رحاهم فما يقوم لهم سرج ولا كُور<sup>(٧)</sup>  
والناس أولادُ علاتٍ فن علموا أن قد أقلّ فمحذور ومهجور<sup>(٨)</sup>

(١) الغطريف بالكسر السيد الشريف والسخي السرى (٢) الفضفاض  
الواسع (٣) القيل الملك أو هو دون الملك الأعلى (٤) جاد مسرع (٥) الهراوة:  
العصا ، وصاحب الهراوة : هو سيدنا ونبينا محمد صلى الله عليه وسلم .  
(٦) الدهارير : تصارييف الدهر ونوائبه منستق من لفظ الدهر ليس له  
واحد من لفظه كعبايد ويقال دهر دهارير أى شديد (٧) الكور بالضم :  
رجل البعير (٨) أولاد العلات : أولاد امهات شتى من رجل واحد .

والخير والشر مقرونان في قرن<sup>(١)</sup> فالخير متبع والشر محذور  
فلما قدم عبد المسيح على كسرى وأخبره ، قال كسرى : إلى أن يملك منا  
أربعة عشر ملكا تكون أمور ، ويدور الزمان ، فهلكوا كلهم في أربعين سنة ،  
والموابذة عند الفرس هم القضاة ، والمرايضة هم كاتلفاء للموابذة ، والأصهبيد حافظ  
الجيش وأمير الأمراء ، والمدار هو الوزير الأعلى ، والمرايضة حفظة الثغور وولاة  
المملكة ، كذا في كتب السير . وأخبار وشق وسطيح كثيرة . قال ابن خلدون في  
مقدمته : ومن مشهور الحكايات عنهما تأويل رؤيا ربيعة بن مضر وما أخبر به :  
من ملك الحبشة لليمن ، وملك مضر من بعدهم ، وظهور النبوة الحمدية في قریش ،  
ورؤيا الموبدان التي أولها سطيح لما بعث إليه بها كسرى عبد المسيح فأخبره بشأن  
النبوة ، وخراب ملك فارس ، وهذه كلها مشهورة ، ومنهم :

#### طريقة<sup>(٢)</sup> الظاهرة

كانت طريقة هذه من أشهر كهان عصرها ، وهي التي أنذرت عمرو بن عامر  
أحد ملوك اليمن بزوال ملكه ، وأخبرته بخراب سد مأرب ، وإتيان سيل العرم  
وإفساده الجنيتين ، بمقتضى ما ظهر لها من الكهانة ، قال عبد الملك في شرح قصيدة  
ابن عبدون : إن أرض سبأ من اليمن كانت العمارة فيها أزيد من مسيرة شهرين  
للراكب الجدد ، وكان أهلها يتبسون النار بعضهم من بعض مسيرة أربعة أشهر ،  
ففرقوا كل ممزق ، وكان أول من خرج من اليمن في أول الأمر عمرو بن عامر  
مزيقياء ، وكان سبب خروجه أنه كانت له زوجة كاهنة يقال لها طريقة الخير ،  
وكانت رأت في منامها أن سحابة غشيت أرضهم فأرعدت وأبرقت ، ثم صعقت  
فأحرقت كل ما وقعت عليه ، ففرغت طريقة لذلك فرعا شديداً ، وأتت الملك عمرأ

---

(١) أي مجموعان في حبل (٢) هكذا ضبطت في معجم البلدان « طبعة مصر » وضبطها بعضهم بفتح الطاء وكسر الراء .

وهى تقول : ما رأيت كالיום ، أزال عني النوم ، رأيت غيماً أرعد وأبرق ، وزجر وأصعق ، فما وقع على شيء إلا أحرق ، فلما رأى ما دخلها من الفزع سكنها ، ثم إن عمراً دخل على حديقة له ومعه جاريتان من جواريه ، فبلغ طريفة ، فخرجت إليه وخرج معها وصيف لها اسمه سنان ، فلما برزت من بيتها عرض لها ثلاث مناجد منتصبات على أرجلهن واضعات أيديهن على أعينهن ( وهى دواب تشبه اليرابيع ) فقعدت إلى الأرض واضعة يديها على عينيها ، وقالت لوصيفها : إذا ذهبت هذه المناجذ فأخبرني ، فلما ذهبت أخبرها ، فانطلقت مسرعة ، فلما عارضها الخليج الذى فى حديقة عمرو وثبت من الماء سلحفاة ، فوقعت على الطريق على ظهرها ، وجعلت تروم الانقلاب فلا تستطيع ، وتستعين بذنبها فتحشو التراب على بطنها من جنباته وتقذف بالبول على بطنها قذفاً ، فلما رأتها طريفة جلست إلى الأرض ، فلما عادت السلحفاة إلى الماء مضت طريفة إلى أن دخلت على عمرو وذلك حين انتصف النهار فى ساعة شديد حرها فإذا الشجر يتسكفاً من غير ريح ، فلما رآها استحميا منها وأمر الجاريتين بالانصراف إلى ناحية ، ثم قال لها : يا طريفة ، فكهنت وقالت : والنور والظلماء ، والأرض والسماء ، إن الشجر لهالك ، وليعودن الماء كما كان فى الزمن السالك ، قال عمرو : من أخبرك بهذا ؟ قالت : أخبرتنى المناجذ ، بسنين شذائد ، يقطع فيه الولد الوالد ، قال ما تقولين ؟ قالت أقول قول الندمان لهفأ ، لقد رأيت سلحفاً ، تجرف التراب جرفاً ، وتقذف بالبول قذفاً ، فدخلت الحديقة فإذا الشجر من غير ريح يتسكفاً ! قال : ما ترين فى ذلك ؟ قالت : هى داهية دهياء من أمور جسيمة ، ومصائب عظيمة ، قال : وما هو ويلك ؟ قالت : أجل وإن فيه الويل ، ومالك فيه من نيل ، وإن الويل فيما يحىء به السيل ، فألقى عمرو عن فراشه وقال : ما هذا يا طريفة ؟ قالت : خطب جليل ، وحزن طويل ، وخلف قليل ، قال : وما علامة ما تذكرين ؟ قالت : إذ ذهب إلى السد فإذا رأيت جرذاً يكثر بيديه فى السد الحفر ويقلب برجليه من أجل الصخر ، فاعلم أن العمر غمر ، وأنه قد وقع الأمر ، قال



وما الذى تذكرين ؟ قالت : وعد من الله تعالى نزل ، وباطل بطل ، ونكال بنا نكل فبغيرك يا عمرو يكون الشكل ، فانطلق عمرو فإذا الجرذ يقبل رجله صخرة ما يقلها خمسون رجلاً ، فرجع وهو يقول :

أبصرتُ أمراً عادنى منه ألمٌ وهَاجَ لى من هَوَ له بَرَحُ السقمِ<sup>(١)</sup>  
من جرذٍ كفحل خنزير الأجمِ أو كبش صرم من أفاويق الغنمِ<sup>(٢)</sup>  
يسحب قطراً من جلاميد العرم له مخالبُ وأنياب قضمِ<sup>(٣)</sup>  
ما فاته سحلاً من الصَّخَرِ قضمِ<sup>(٤)</sup>

فقالت طريفة : وإن من علامة ذلك الذى ذكرته لك أن تجلس فتأمر بزجاجة فتوضع بين يديك ، فإن الريح يملؤها من تراب البطحاء من سهل الوادى وحَزَنٍ ، وقد علمت أن الجنان مظلة لا يدخلها شمس ولا ريح ؛ فأمر عمر بزجاجة فوضعت بين يديه ، ولم تمسك إلا قليلا حتى امتلأت من التراب فأخبرها بذلك ، وقال لها : متى يكون ذلك الخراب الذى يحدث فى السد ؟ قالت : فيما بينى وبينك سبع سنين ! قال : ففى أيها يكون ؟ قالت : لا يعلم بذلك إلا الله تعالى ، ولو علمه أحد لعلمته ، وأنه لا تأتى على ليلة فيما بينى وبين السبع سنين إلا ظننت هلاكة فى غدها أو فى مساءها ؛ ثم رأى عمرو فى منامه سيل العرم ، وقيل له : إن آية ذلك أن ترى الحصباء قد ظهرت فى سعف النخل ، فنظر إليها ، فوجد الحصباء قد ظهرت فيها ، فعلم أنه واقع ، وأن بلادهم ستخرب ، فكنتم ذلك وأجمع على بيع كل شيء له بأرض مأرب ، وأن يخرج منها هو وولده ؛ ثم خشى أن تفكر الناس عليه ذلك ، فأمر أحد أولاده إذا دعاه لما يدعوه إليه أن يتأبى عليه ، وأن يفعل ذلك به فى الملأ من الناس ، وإذا لطمه يرفع هو يده

(١) البرح : الشدة (٢) الاجم : جمع اجمة وهى الشجر الكثير اللثف .  
والصرم : جمع صريمة وهى القطعة من الابل (٣) قضم قضمًا اكل باطراف  
سنايه (٤) سحله : قشره ونحنه . وقصمه : كسره .

ويلطمه ؛ ثم صنع عمرو طعاماً ، وبعث إلى أهل مأرب أن عمراً قد صنع طعاماً يوم مجد وذكر فاحضروا طعامه ؛ فلما جلس الناس للطعام جلس عنده ابنه الذي أمره بما قد أمره ، فجعل يأمره فيقأني عليه ، فرفع عمرو يده فطمه ، فطمه ابنه وكان اسمه مالكا ، فصاح عمرو واذلاه يوم فخر عمرو وبهيجته : صبي بضرب وجهه ! وحلف ليقتلنه ، فلم يزالوا يرغبون إليه حتى ترك ، وقال : والله لا أقيم بموضع صنع فيه بي هذا ، ولأبيعن أموالى حتى لا يرث بعدى منها شيئاً ! فقال الناس بعضهم لبعض : اغتنموا غيظ عمرو واشتروا منه أمواله قبل أن يرضى ، فابتاع الناس منه كل ماله بأرض مأرب وفشى بعض حديثه فيما بلغه من شأن سيل العرم ، فقام ناس من الأزدي فباعوا أموالهم ، فلما أكثروا البيع استنكر الناس ذلك فأمسكوا عن الشراء . فلما اجتمعت إلى عمرو أمواله أخبر الناس بشأن السيل وخرج ، فخرج لخروجه منها بشر كثير ، فنزلوا أرض ( عك ) فخاربهم عك ، فارتحلوا عن بلادهم ، ثم اصطلحوا وبقوا بها حتى مات عمرو ، وتفرقوا في البلاد : فمنهم من سار إلى الشام وهم أولاد جفنة عمرو بن عامر ، ومنهم من سار إلى يثرب وهم أبناء قبيلة الأوس والخزرج وأبوها حارثة بن ثعلبة بن عمرو ابن عامر ، وسارت أزد السراة إلى السراة ، وأزد عمان إلى عمان ، وسار مالك بن فهم إلى العراق ، ثم خرجت بعد عمرو بيسير من أرض اليمن طي . فنزلت أجأ وسلمى ، ونزلت أبناء ربيعة بن حارثة بن عامر بن عمرو تهامة وسموا خزاعة لانخزاعهم من إخوانهم ، ثم أرسل الله تعالى على السد السيل فهدمه ، وفي ذلك يقول ميمون بن قيس الأعشى :

وفي ذلك للمؤتى أسوة ومأرب عفى عليها العرم  
رُخام بَنَتَهُ لهم خَيْرٌ إذا جاء موّاره لم يرم  
فأروى الزروع وأعنا بها على ساعة ماؤم إذ قسم  
فصاروا أيادى ما يقدرو نّ منه على شرب طفل فطم

وذكر الميداني عند قول العرب في المثل « تفرقوا أيادي سبأ » عن فروة ابن مسيك ، قال أتيت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقلت : يا رسول الله أخبرني عن سبأ أرجل هو أم امرأة ، فقال : هو رجل من العرب ولد عشرة : تيامن منهم ستة ، وتشآم أربعة ، فأما الذين تيامنوا فالأزد والسكندة والمذحج والأشعرين وأنمار منهم بحيلة . وأما الذين تشآموا فعاملة وغسان ولخم وجذام ، وهم الذين أرسل عليهم سيل العرم ، وذلك أن الماء كان يأتي أرض سبأ من الشحر وأودية اليمن ، فردموا ردماً بين جبليين ، وحبسوا الماء وجعلوا في ذلك الردم ثلاثة أبواب بعضها فوق بعض ، فكانوا يسقون من الباب الأعلى ثم من الثاني ثم من الثالث ، فأخصبوا وكثرت أموالهم ، فلما كذبوا رسلهم بعث الله جرذاً نقبت ذلك الردم حتى انتفض ، فدخل الماء جنتيهم ، فغرقهما ودفن السيل بيوتهم ، فذلك قوله تعالى ( فأرسلنا عليهم سيل العرم ) والعرم : جمع عرمة وهو السكر الذي يحبس الماء . وقال ابن الأعرابي : العرم السيل الذي لا يطاق . وقال قتادة ومقاتل : العرم اسم وادي سبأ ، ثم ذكر الميداني عن الكلبي عن أبي صالح أن طريفة الكاهنة قد رأت في كهاتها أن سد مأبوس سيخرب ، وأنه سيأتي العرم فيخرب الجنتين ، فباع عمرو بن عامر أمواله ، وسار هو وقومه ، حتى انتهوا إلى مكة فأقاموا بها وبما حولها ، فأصابهم الحمى ، وكانوا ببلد لا يدرون فيه ما الحمى ، فدعوا طريفة فشكوا إليها الذي أصابهم ، فقالت لهم : قد أصابني الذين تشكون وهو مفرق بيننا . قالوا فماذا تأمرين ؟ قالت : من كان منكم ذا هم بعيد ، وجمل شديد ، ومزاد جديد فليلحق بقصر عمان المشيد ، فكانت أزد عمان . ثم قالت : من كان منكم ذا جلد وقصر ، وصبر على أزمات الدهر ، فعليه بالأراك من بطن مر ، فكانت خزاعة ثم قالت : من كان منكم يريد الراسيات في الوحل ، المطاعم في الحل ، فليلحق بيثرب ذات النخل ، فكانت الأوس والخزرج . ثم قالت : من كان منكم يريد الخمر والخير ، والملك والأسير ، ويلبس الديباج ، والحرير ، فليلحق ببضري وغوير ، وهما من أرض

الشام ، فكان الذين سكنوها آل جَفَنَة ، من غَسَّان . ثم قالت : من كان منكم يريد الثياب الرقاق ، والخليل العناق ؛ وكنوز الأرزاق ، والدم المهرق ، فليلحق بأرض العراق ، فكان الذين سكنوها آل جَذِيمَة الأبرش ، ومن كان بالحيرة وآل محرَّق . . . والمقصود أن طريفة كانت من مشاهير الكهان في زمنها ، ولها أخبار كثيرة ونوادر شهيرة . ومنهم :

### زبراء الكاهنة

كانت من الكهنة المذكورين عند العرب ، وكلامها له وقع في نفوسهم ، ولها في ذلك نوادر معجبة . روى القالى في أماليه<sup>(١)</sup> عن أبي بكر قال : حدثنا السكون بن سعيد عن محمد بن عباد عن أبي مخنف عن أشياخ من علماء قضاة قال : كان ثلاثة أبطن من قضاة مُجْتَوِرِينَ بين الشَّحْرِ وحَضْرَمَوْت : بنو ناعب وبنو داهن ، وبنو رثام وكانت بنو رثام ، أقلهم عدداً ، وأشجعهم لقاء ، وكانت لبني رثام عجوز تسمى خُوَيْلَة ، وكانت لها أمة من مولدات العرب تسمى ( زبراء ) وكان يدخل على خويلة أربعون رجلاً كلهم لها مخرمٌ بنو إخوة وبنو أخوات ، وكانت خويلة عقيماً ؛ وكانت بنو ناعب وبنو داهن متظاهرين على بني رثام ، فاجتمع بنو رثام ذات يوم في عُرْس لهم وهم سبعون رجلاً كلهم شجاعٌ بئيس ، فطعموا وأقبلوا على شرابهم ، وكانت زبراء كاهنة ، فقالت لخويلة انطلقى بنا إلى قومك أنذرهم ، فأقبلت خويلة تتوكأ على زبراء ، فلما أبصرها القوم قاموا لإجلالها ، فقالت يا ثمر الأكبادة ، وأنذاد الأولاد ، وشجا الحساد<sup>(٢)</sup> هذه زبراء ، تخبركم عن أنباء . قبل انحسار الظلماء ، بالمؤيد<sup>(٣)</sup> الشنعاء ، فاسمعوا ماتقول ا قالوا : ما تقولين يا زبراء ؟ فقالت : والليل العاسق<sup>(٤)</sup> ، والالوح<sup>(٥)</sup> الخافق ،

---

(١) ج ١ ص ١٢٦ (٢) الشجا : ما اعترض في الحلق من عظم ونحوه  
(٣) أى الداهية والامر العظيم (٤) أى الشديد الظلمة (٥) بالضم ، الهواء بين السماء والأرض ، وبالفتح العطش .

والصباح الشارق ، والنجم الطارق<sup>(١)</sup> . والمزن الوداق ، إن شجر الوادى ليأدو ختلا<sup>(٢)</sup> ، ويحرق أنياباً عُصلاً<sup>(٣)</sup> . وإن صخر الطود لينذر سُكلاً ، لا تجدون عنه مَعلاً<sup>(٤)</sup> ، فوافقت قوماً أشارى سُكارى<sup>(٥)</sup> فقالوا : ريح خَجُوج<sup>(٦)</sup> ، بعيدة ما بين الفروج ، أتت زبراه بالأبلاق النُتُوج<sup>(٧)</sup> ، فقالت زبراء : مهلاً يا بنى الأعزة ! والله إنى لأشتم دَفَرَ<sup>(٨)</sup> ، الرجال تحت الحديد ! فقال لها فتى منهم يقال له هُذَيْل بن مُنْقِد : يا خذاق<sup>(٩)</sup> ، والله ما تشمين إلّا دَفَرَ إِبْطِيك ! فانصرفت عنهم : فارتاب قوم من ذوى أسنانهم ، فانصرف منهم أربعون ، وبقي ثلاثون ، فرقدوا فى مشربهم ، وطرقتهم بنوداهن وبنو ناعب فقتلهم أجمعين ، وأقبلت خُوَيْلَة مع الصباح فوفقت على مصارعهم ، ثم عمدت إلى خناصرهم فقطعتهما ، وانتظمت منها قلادة ، وألقتها فى عنقها ، وخرجت حتى لحقت بمرضاوى بن سَعُوة المهرى وهو ابن أختها ، فأناخت بفنائها وأنشأت تقول :

ياخيرَ مُعْتَمِدٍ ، وأمنع ملجأ وأعرَّ منتقم وأدرَك طالِب  
جاءتك وافدةُ الشكالى تَغْتَلِي بسوادها فوق الفضاء الناصِب<sup>(١٠)</sup>

(١) الطارق : النجم سمي بذلك لانه بطرق أى يطلع ليلا (٢) أدوت له آدو أدوا اذا ختلته - والختل - الخدع - قال الشاعر :  
أدوت له لأختله فبهيات الفتى حذرا

(٣) حرق أنيابه : حك بعضها ببعض « والعرب تقول عند الغضب يفضبه الرجل على صاحبه » هو يحرق الأرم « أى الأسنان . والعصل : المعوجة .  
(٤) المعل : المنجى (٥) أشارى : جمع أشركمرح (٦) سريفة المر (٧) الأبلق لا يكون نتوجا ، والعرب يضرب هذا للشئ الذى لا ينال فتقول « طلب الأبلق العقوق ، فلما فاته أراد بيض الأنوق » والأنوق : الذكر من الرخم ولا بيض له . هذا قول بعض اللغويين وعامتهم يقولون : الأنوق : الرخمة وهى تبيض فى مكان لا يوصل فيه إلى بيضها إلا بعد عناء . فيراد على هذا القول أنه طلب ما لا يقدر عليه فلما لم ينله طلب ما يجوز أن يناله . وعلى الأول أنه طلب ما لا يمكن فلما لم يجد طلب أيضا ما لا يكون ولا يوجد ، والعقوق : الحامل (٨) الدفر : يكون فى التنن والطيب وهو حدة الريح . والدفر لا يكون إلا فى التنن (٩) خذاق : كناية عما يخرج من الانسان (١٠) المغلاة : المبالغة فى الرمى . والناصب : البعيد ، ومنه نصب الماء أى بعد عن أن ينال .

عَيْرَانَةَ سُرْحَ الْيَدَيْنِ شِمْلَةً      عُبْرُ الْهَوَاجِرِ كَالْهَزَفِ الْخَاضِبِ<sup>(١)</sup>  
هَذِي خَنَاصِرُ أُسْرَتِي مَسْرُودَةٌ      فِي الْجِيدِ مَنِي مِثْلُ سِمْطِ السَّكَابِ<sup>(٢)</sup>  
عَشْرُونَ مُقْتَبِلًا وَشَطْرُ عَدِيدِهِمْ      صُيَّابَةٌ مِلْقُومٍ غَيْرِ أَشَايِبِ<sup>(٣)</sup>  
طَرَقْتُهُمْ أُمُّ اللَّهِيمِ فَأَصْبَحُوا      تَسْتَنُّ فَوْقَهُمْ ذُيُولُ حَوَاصِبِ<sup>(٤)</sup>  
جَزَرًا لِعَافِيَةِ الْخَوَاصِمِ بَعْدَمَا      كَانُوا الْغِيَاثَ مِنَ الزَّمَانِ اللَّاحِبِ<sup>(٥)</sup>  
قَسَمْتُ رِجَالُ بَنِي أَبِيهِمْ بَيْنَهُمْ      جُرْعَ الرَّدَى بِمَخَارِصِ وَقَوَاصِبِ<sup>(٦)</sup>  
فَابْرُذُ غَلِيلِ خُوَيْلَةَ الشَّكْلَى الَّتِي      رُيِّتَ بِأَنْقَلٍ مِنْ صَخُورِ الصَّاقِبِ<sup>(٧)</sup>  
وَتَلَّافَ قَبْلَ الْمَوْتِ ثَارِي إِنَّهُ      عَلِقَ بِثَوْبِي دَاهِنٍ أَوْ نَاعِبِ  
فَقَالَ : حَجَرٌ<sup>(٨)</sup> عَلَى مَرَضَاوِي الْأَعْدَابِ وَالْأَحْمَرَانِ<sup>(٩)</sup> أَوْ يَقْتُلَ بَعْدِي

رثامٍ مِنْ دَاهِنٍ وَنَاعِبٍ أَنَّمْ قَالَ :

أَخَالَتَنَا سِرُّ النِّسَاءِ مُحَرَّمٌ      عَلَى وَتَشَهَّدُ النَّدَامَى عَلَى الْخُلْمِ<sup>(١٠)</sup>  
كَذَاكَ وَأَفْلَازُ الْفَثِيدِ وَمَا زَنَمْتُ      بِهِ بَنِي جَالِبَهَا الْوَيْيَةُ مِلْوَذِرِ<sup>(١١)</sup>  
لَئِنْ لَمْ أَصْبِحْ دَاهِنًا وَلَفِيْفَهَا      وَنَاعِبَهَا جَهْرًا بِرَاغِيَةِ الْبَكْرِ<sup>(١٢)</sup>

(١) عيرانة : تشبه العير لصلابتها . والسرْح : السهلة رجع اليدين .  
والشِمْلَة : السريعة الخفيفة . ويقال « ناقة عبر أسفار » إذا كانت قوية على  
السفر ، و « عبر الهواجر » إذا كانت قوية على الحر واصل هذا كأنه يعبر  
بها الهواجر والأسفار . والهزف : الظليم الجافي والخاضب : الذي قد أكل  
الربيع فأحمرت ظنبوباه وأطراف ريشه . والظنبوب مقدم عظم الساق .  
(٢) مسرودة : مشكوكة . والسِمْطُ قلادة أطول من المخنقة . والكاعب :  
التي نهد نديها (٣) مقتبل : مستأنف الشباب ، والصيابة : صميم القوم  
وخالصهم . وملقوم : من القوم . وأشايب : أخلاط من الناس (٤) أم اللهميم :  
الداهية . وتستن : تسير . والحواصب : الرياح التي تسفى الحصباء .  
(٥) الخوامع : الضباع . واللاحب : القاشر (٦) المخارص : جمع مخرص  
وهو سكين كبير مثل المنجل يقطع به الشجر (٧) الصاقب : جبل معروف  
(٨) حرام (٩) الأعْدَابان : النكاح والاكل . والاحمران : اللحم والخمر  
(١٠) السر : النكاح (١١) الأفلاذ : جمع فلذ وهو ما قطع طولاً من اللحم .  
والفثيد : الشواء وهو فعيل بمعنى مفعول يقال فادت اللحم إذا شويته .  
والجالان : الناحيتان من أعلاهما إلى أسفلهما . والوئية : القدر العظيمة .  
والوذر : من اللحم القطع الصغيرة التي لا عظم فيها (١٢) في الأساس : كانت  
عليهم كراغية البكر أي اشتدت عليهم كرهاً ثقب ناقة صالح ، قال الأخطل :  
لعمري لقد لاقت سليم وعامر على جانب الثرثار راغية البكر

فَوَارَى بَنَانَ الْقَوْمِ فِي غَامُضِ الثَّرَى وَصُورَى إِلَيْكَ مِنْ قَنَاعٍ وَمِنْ سِتْرِ<sup>(١)</sup>  
فَإِنِّي زَعِيمٌ أَنْ أُرَوِّى هَامَهُمْ وَأُظْمِئَ هَامَا مَا انْسَرَى اللَّيْلُ بِالْفَجْرِ<sup>(٢)</sup>  
ثُمَّ خَرَجَ فِي مَنَسَرٍ<sup>(٣)</sup> مِنْ قَوْمِهِ فَطَرَقَ دَاهِنًا وَنَاعِبًا فَأَوْجَعَ فِيهِمْ . وَمِنْهُمْ :

### خُنافر بن النُوأم الحميري

ذَكَرَ الْقَالِي فِي أُمَالِيهِ<sup>(٤)</sup> عَنْ أَبِي بَكْرٍ قَالَ : حَدَّثَنِي عَمِي عَنْ أَبِيهِ عَنْ ابْنِ  
الْكَلْبِيِّ عَنْ أَبِيهِ قَالَ : كَانَ خُنافر بن النُوأم الحميري كَاهِنًا ، وَكَانَ قَدْ أُوتِيَ  
بَسْطَةً فِي الْجَسَمِ ، وَسَعَةً فِي الْمَالِ ، وَكَانَ عَاتِيًا ، فَلَمَّا وَفَدَتْ وَفُودُ الْيَمَنِ عَلَى النَّبِيِّ  
صَلَّى اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَظَهَرَ الْإِسْلَامُ أَغَارَ عَلَى إِبْلِ لِمُرَادٍ فَانْتَسَحَهَا<sup>(٥)</sup> ، وَخَرَجَ  
بِأَهْلِهِ وَمَالِهِ ، وَلَحِقَ بِالشَّجَرِ ، فَخَالَفَ جَوْدَانَ بْنِ يَحْيَى الْفِرَاضِيَّ وَكَانَ سَيِّدًا مَنِيعًا ،  
وَنَزَلَ بِوَادٍ مِنْ أَوْدِيَةِ الشَّجَرِ مُخَصِّبًا كَثِيرَ الشَّجَرِ مِنَ الْأَيْكِ وَالْعَرِينِ<sup>(٦)</sup> ( قَالَ خُنافر )  
وَكَانَ رَأْيِي<sup>(٧)</sup> فِي الْجَاهِلِيَّةِ لَا يَكَادُ يَتَغَيَّبُ غَنًى ، فَلَمَّا شَاعَ الْإِسْلَامُ فَقَدَتْهُ مَسَدَةٌ  
طَوِيلَةٌ وَسَاءَنِي ذَلِكَ ، فَبَيْنَا أَنَا لَيْسَلَةٌ فِي ذَلِكَ الْوَادِي نَائِمًا إِذْ هَوَى هَوًى  
الْعُقَابُ فَقَالَ : خُنافر ! فَقُلْتُ : شِصَار ! فَقَالَ : إَسْمَعْ أَقْلُ ! فَقُلْتُ : قُلْ أَسْمَعْ .  
فَقَالَ : عَه تَغْنَمُ ، لِكُلِّ مَدَّةٍ نِهَايَةٌ ، وَكُلُّ ذِي أَمَدٍ إِلَى غَايَةٍ . قُلْتُ : أَجَل ! فَقَالَ :  
كُلُّ دَوْلَةٍ إِلَى أَجَلٍ ، ثُمَّ يُتَّاحُ لَهَا حَوْلٌ<sup>(٨)</sup> ، انْتَسَخَتْ النَّحْلُ ، وَرَجِمَتْ  
إِلَى حَقَائِقِهَا الْمَلَلُ ، إِنَّكَ سَجِيرٌ مُوصُولٌ<sup>(٩)</sup> ، وَالنَّصَحُ لَكَ مَبْذُولٌ ، وَإِنِّي

### أَيُّ الشُّؤْمِ وَالشَّدَةِ

(١) صُورَى : مِيلَى (٢) زَعِيمٌ : ضَامِنٌ وَكَذَلِكَ قَبِيلٌ وَحَمِيلٌ وَكَفِيلٌ وَضَمِينٌ  
وَاحِدٌ . وَقَوْلُهُ ( أُرَوِّى هَامَا ) كَانَتْ الْعَرَبُ تَقُولُ إِذَا قَتَلَ الرَّجُلُ فَلَمْ يَدْرِكْ  
بِشَارَهُ خَرَجَ مِنْ هَامَتِهِ طَائِرٌ يُسَمَّى ( الْهَامَةُ ) فَلَا يَزَالُ يَقُولُ : ( اسْقُونِي !  
اسْقُونِي ! ) حَتَّى يَقْتُلَ قَاتِلَهُ فَيَسْكُنُ . ( انْظُرِ الْجُزْءَ الثَّانِي ص ٣١١ وَ ٣١٢ )  
(٣) الْمَنَسَرُ : مِنَ الْخَيْلِ مَا بَيْنَ الثَّلَاثَةِ إِلَى الْعَشْرَةِ وَقِيلَ مَا بَيْنَ الثَّلَاثِينَ  
إِلَى الْأَرْبَعِينَ أَوْ مِنَ الْأَرْبَعِينَ إِلَى الْخَمْسِينَ أَوْ إِلَى السِّتِينَ أَوْ مِنَ الْمِائَةِ إِلَى الْمِائَتَيْنِ  
وَالْمَنَسَرُ أَيْضًا قِطْعَةٌ مِنَ النَّجْشِ ثَمَرٌ قَدَامَ الْجَبَسِ الْكَبِيرِ (٤) أُمَالِي الْقَالِي ج  
١ ص ١٣٣ (٥) كَنَسَهَا (٦) الْأَيْكُ : الشَّجَرُ الْمَلْتَفُ الْكَثِيرُ وَالْقِيْضَةُ تَنْسِتُ السَّيْدَرَ  
وَالْأَرَاكَ ، وَالْعَرِينُ : جَمَاعَةُ الشَّجَرِ (٧) الرَّئْيُ : مَا يَتَرَاءَى لِلْإِنْسَانِ مِنَ الْجَنِّ  
(٨) تَحْوُلٌ (٩) السَّجِيرُ : الصَّدِيقُ ، وَالسَّجِيرُ بِالشَّيْنِ مَعْجَمَةُ الْغَرِيبِ .  
وَقَدْ قَالَ بَعْضُ اللَّغَوِيِّينَ يُقَالُ السَّجِيرُ وَالشَّجِيرُ لِلصَّدِيقِ .

آتست<sup>(١)</sup> بأرض الشام ، نفرأ من آل المذام<sup>(٢)</sup> . حُكَّاماً على الحكام ، يذُبُّرون<sup>(٣)</sup> ذارونق من الكلام ؛ ليس بالشعر المؤلف ، ولا بالسجع المتكلف ، فأصغيت فزُجِرت ، فعاودت فظلمت<sup>(٤)</sup> ؛ فقلت : بم شهيمون<sup>(٥)</sup> ، وإلام تعزون<sup>(٦)</sup> قالوا خطابُ كُبَّار<sup>(٧)</sup> ، جاء من عند الملك الجبار ، فاسمع يا شِصار ، عن أصدق الأخبار واسلك أوضح الآثار ، تنجُ من أوار<sup>(٨)</sup> النار ! قلت : وما هذا الكلام ؟ قالوا : فراق بين الكفر والإيمان ، رسول من مُصّر ، من أهل المدر ، ابتعث فظهر ، فجاء بقول قد بهر ، وأوضح نهجاً قد دثر ، فيه مواعظ لمن اعتبر ، ومعاذ لمن ازدجر ، ألف بالآي الكُبر . قلت . ومن هذا المبعوث من مُصّر ؟ قال : أحمد خير البشر ، فإن آمنت أعطيت الشبر<sup>(٩)</sup> ، وإن خالفت أُصليت سقر ، فأمنت يا خُنافر ، وأقبلت إليك أبادر ، فجانب كل كافر ، وشايع كل مؤمن طاهر ، وإلا فهو الفراق لا عن تلاق . قلت : من أين أبغى هذا الدين ؟ قال : من ذات الإحريين<sup>(١٠)</sup> ، والنفر اليمانيين ، أهل الماء والطين ، قلت : أوضح . قال : الحق يثيرب ذات النخل ، والحرة ذات النمل<sup>(١١)</sup> ، فهناك أهل الطول والفضل ، والمواساة والبذل ، ثم أملت عنى فبت مذعوراً أراعى الصباح ، فلما برق لى النور امتطيت راحتي ، وآذنت<sup>(١٢)</sup> أعبدى ، واحتملت بأهلى ، حتى وردت الجوف ، فرددت الإبل على أربابها ، يحولها وسقابها<sup>(١٣)</sup> ، وأقبلت أريد صنعاء ، فأصبت بها معاذ بن جبل أمير الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم فبايعته على الإسلام ، وعلمنى سوراً من القرآن فمن الله على بالهدى بعد الضلالة ، والعلم بعد الجهالة ، وقلت فى ذلك :

(١) أى ابصرت (٢) قبيلة من الجن . كذا قال أبو بكر (٣) يقرأون (٤) منعت . قال الشاعر :

الم اظلف عن الشعراء عرضى كما ظلف الوسيقة بالكراع  
(٥) الهينة : الصوت الخفى (٦) تنتسبون (٧) كبير (٨) الأوار : شدة الحر .  
(٩) الشبر : الخير وحرك للسجع (١٠) قال الاصمعى : جمع الحرة حرار  
وحرون واحرون (١١) النمل : المكان الغليظ من الحرة (١٢) اعلمت (١٣) الحول : جمع حائل وهى الانثى من اولاد الابل . والسقاب : جمع سقب وهو الذكر



ألم تر أن الله عاد بفضلـه      وأنقذ من لفتح الزخـيخ خـنـافرا<sup>(١)</sup>  
وگشفت لي عن جـمعتي عماها      وأوصح لي نهجي وقد كان دائرا<sup>(٢)</sup>  
دعاني شصار لتي لو رفضتها      لأضليت جـرا من لطي الهوب واهرا<sup>(٣)</sup>  
فأصبحت والإسلام حشو جـوانحي      وجانبت من أمسى عن الحق نائرا<sup>(٤)</sup>  
وكان مضلي من هـديت برشده      فله مغو عاد بالرشد آسما  
نجوت (بحمد الله) من كل قـصـمة      ثورت هـلكا يوم شايعة شاصيرا<sup>(٥)</sup>  
وقد أمنتني بعد ذاك يحابر      بما كنت أغشى المنديات يحابرا<sup>(٦)</sup>  
فن مبلغ فتیان قومي ألوكـة      بانني من أقتال من كان كافرا<sup>(٧)</sup>  
عليكم سواء القصد لأفل حدكم      فقد أصبح الإسلام للكفر قاهرا  
ومنهم :

#### صواميات مصاد بن مـزـعـور القيني

روى عن أبي بكر بن دريد قال : حدثنا السكن بن سعيد عن العباس بن هشام عن أبيه . قال : كان مصاد بن مـزـعـور القيني رئيساً قد أخذ مـزـياع قومه دهرأ ( وهو ربع الغنيمة ) وكان ذا مال فندد ذود من أذواد له<sup>(٨)</sup> ، فخرج في بغائها<sup>(٩)</sup> قال فإني لفي طلبها إذ هبطت وادياً شجيراً<sup>(١٠)</sup> كثيف الظلال ، وقد تفسخت أيناً<sup>(١١)</sup> ، فأنخت راحلتي في ظل شجرة ، وحططت رحلي ، ورسفت بعيري<sup>(١٢)</sup> ، واضطجعت في برودي ، فاذا أربع جوار كأنهن اللآلي يرعين

(١) الزخـيخ بلغة أهل اليمن النار (٢) الجحمتان : العينان بلغتهم والنهج : الطريق الواضح (٣) الهوب : النار بلغتهم . والواهر : الساكن مع شدة الحر . وكل هذه الأحرف من لغتهم (٤) أي نافرا (٥) القحة : الشدة (٦) يحابر « كيقاتل مضارع قاتل » ابن مالك بن أدد أبو مراد القبيلة المشهورة تم سميت القبيلة يحابر ، والمنديات : المخزيات (٧) الألوكـة : الرسالة ، والاقـتال : الأعداء (٨) ند : شرد ، والدود : ما بين الثلاثة الى العشرة ، والعرب تقول : « الدود الى الدود ابل » يعنى اذا اجتمع القليل الى القليل صار كثيراً (٩) أي طلبها (١٠) كثير الشجر (١١) كلالا وتعبا (١٢) شددت رسفه

بهماً لهن<sup>١</sup> ، فلما خالطت عيني السنة أقبلن حتى جلسن قريباً مني ، وفي كيف كل واحدة حصيات تقلبهن ، فخطت إحداهن ثم طرقت فقالت : قلن يابنات عراف في صاحب الجبل النيف<sup>(١)</sup> والبرد السكاف<sup>(٢)</sup> والجرم الخفاف<sup>(٣)</sup> ثم طرقت الثانية فقالت : مُضِلُّ أذوادٍ علا كد<sup>(٤)</sup> ، كُومٍ صلاخد<sup>(٥)</sup> ، منهن ثلاث مقاحد<sup>(٦)</sup> وأربع جدائد<sup>(٧)</sup> شُسف<sup>(٨)</sup> صمارد<sup>(٩)</sup> ، ثم طرقت الثالثة فقالت : رعَيْنَ الفرع<sup>(١٠)</sup> ثم هبطن السكرع<sup>(١١)</sup> ، بين العقيدات والجرع<sup>(١٢)</sup> ، فقالت الرابعة : ليهبط الغائط الأفيح<sup>(١٣)</sup> ثم ليظهر في الملاء الصصح<sup>(١٤)</sup> ، بين سدير وأملح<sup>(١٥)</sup> ، فهناك الذود رتاع ، بمنعرج الأجرع ، قال : فقامت إلى جملي ، فشددت عليه رحله ، وركبت ، والله ما سألتهم من هن ولا بمن هن ؟ فلما أدبرت قالت إحداهن أبرح<sup>(١٦)</sup> فتى إن جد في طلب . فماله غيرهن نشب<sup>(١٧)</sup> ، وسينوب عن كشب<sup>(١٨)</sup> ، ففرع قلبي - والله - قولها ! فقلت : وكيف هذا وقد خلقت بوادي عرجاً عكامساً؟<sup>(١٩)</sup> فركبت السميت الذي وصفن لي حتى انتهيت إلى الموضع ، فإذا ذوذي رواتع ، فضربت أعجازهن حتى أشرفت على الوادي الذي فيه إبلي فإذا الرعاء تدعو بالويل ، فقلت : ماشأنكم ؟ قالوا : أغارت بهراء على إبلك فأسحقفها<sup>(٢٠)</sup> ، فأمسيت

(١) العالی (٢) أى الكثيف (٣) الجرم : الجسد . والخفاف : الخفيف (٤) صلاب والواحد صلاب (٥) الكوم : العظام الأسنة ، والصلاخد : العظام الشداد واحداً صلاخد بالضم وفيه لغات يقال بعير صلاخد وصلخدي وناقصة صلاخدة . (٦) جمع مقحاذ وهي الغليظة السنم والفقدة السنم ويقال أصل السنم (٧) جمع جدود وهي التي انقطع لبنها (٨) شسف : جمع شاسف وهو اليابس ضمراً وهزالاً . والصمارد جمع صمرد ، والصمرد والبيئة والدهين القليلة اللبن (٩) جمع فرعة وهي أعلى الجبل (١٠) هو ماء السماء ينزل فيستنقع وسمى كرعا لأن الماشية تكرر فيه (١١) العقدة : مانعقد من الرمل . والجرع : جمع جرعة وهي الرملة الطيبة المنبت لاوعوثة فيها ، أو الأرض ذات الحزونة تشاكل الرمل ، أو الدعص لاينبت كالأجرع (١٢) الغائط : المظمن من الأرض ، والأفيح : الواسع (١٣) الملاء : الفضاء والصصح : الصحراء (١٤) موضعان (١٥) أشد (١٦) هو المال الأصيل من الناطق والصامت (١٧) أى قرب (١٨) العرج : نحو خمسمائة من الإبل ، والعكابس والعكاس جميعاً الكثير (١٩) استأصلتها

والله مالى غير الذود، فرمى الله في نواصيهن بالرفس<sup>(١)</sup>، وإني اليوم لأكثر  
بني القين مالا، وفي ذلك أقول :

هو الدهر آس تارة ، ثم جرح سوانحه مبثوثة والبوارح<sup>(٢)</sup>  
فبينما الفتى في ظل نعاء غصة تباكره أفيائه وتراوح<sup>(٣)</sup>  
إلى أن رمته الحادثات بنكية تضيق به منها الرحاب الفسائح<sup>(٤)</sup>  
فأصبح نضوا لا ينوء كائما بأعظمه مما عراه القوادح<sup>(٥)</sup>  
فما خيلتني من بعد عرج عكاميس أقسس أذوادا وهن روازح<sup>(٦)</sup>  
حدابير ما ينهضن إلا تحاملا شوايف عوج أسرتها الجوائح<sup>(٧)</sup>  
فياوثقا بالدهر كن غير آمن لما تنتضيه الباهضات الفوادح<sup>(٨)</sup>  
فلست على أيامه بمحكم إذا ففرت فهاها الخطوب الكوالح<sup>(٩)</sup>  
تجبرك منه الصبر إن كنت صابرا وإلا كما يهوى العدو المكاشح<sup>(١٠)</sup>  
ومنهم :

### سلمى الهمدانية الحميرية

روى أبو على القالى في أماليه<sup>(١١)</sup> عن أبي بكر . قال : حدثنا السكن بن سعيد  
عن محمد بن عباد عن ابن الكلبي قال : أغار رجل من مراد يقال له حريم  
على إبل عمرو بن برة الهمداني وخيل له ، فذهب بها ، فأتى عمرو سلمى وكانت

(١) البركة والنماء . قال رؤبة :

دعوت رب العزة القدوسا دعاء من لا يقرع الناقوسا

حتى أرانا وجهك المرفوسا

(٢) آس : مدا ، والسانح والبارح : المبارك والنشوم (٣) غصة : طريقة  
ناعمة (٤) الفسائح : الواسعات (٥) نضوا : مهزولا . وينوء : ينهض بجهد  
ومشقة ، والقوادح جمع قاذحة وهى العيب فى العود والسن (٦) أقسس :  
اتبع . والروازح : التى قد سقطت من الهزال (٧) الحدابير : التى قد تقوسست  
من الهزال واحدها حدبار . والشوايف : مر معناها قريبا ، والجوائح :  
الشدائد (٨) فوادح الدهر : خطوبه . وبهضه الأمر : فدحه (٩) ففرت :  
فتحت . والكوالح : الشدائد . وكلح كلوحا وكلاحا : تكثر فى عبوس (١٠) كشح  
له بالعداوة وكاشحه : عاداه (١١) ج ٢ ص ١٢٢ و ١٢٣

بنت سيدهم وعن رأيها كانوا يَصُدُّون ، فأخبرها أن حريماً المرادى أغار على إبله وخيله ، فقالت : <sup>(١)</sup> والْخَفَوِ <sup>(٢)</sup> والْوَمِيزِ <sup>(٣)</sup> ، والشفق كالأخريض <sup>(٤)</sup> ، والقُلَّةِ والحضيض <sup>(٥)</sup> . إن حريماً لمنيع الحيز <sup>(٦)</sup> ، سيد مزيز <sup>(٧)</sup> ، ذو مَعْقِلِ حريز ، غير أن الحمة ستظفر منه بعثرة <sup>(٨)</sup> ، بطيئة الجبره ، فأغر ولا تُنْكَعَ <sup>(٩)</sup> ، فأغار عمرو فاستاق كل شيء له ، فأتى حَرِيمٌ بعد ذلك يطلب إلى عمرو أن يرد عليه بعض ما أخذ منه ، فامتنع ورجع ، فقال عمرو قصيدةً منها :

تقول سُلَيْمَى لا تَعْرِضْ لثَلْفَةٍ وَلَيْلِكَ عَن لَيْلِ الصَّعَالِيكِ نَائِمٌ <sup>(١٠)</sup>

ومنها :

#### عفراء الظاهرة الحميرية

ذكر رواية أخبار العرب نوادر طريفة لعفراء هذه . من ذلك ما أورده محمد بن ظفر في كتابه (خبر البشر بخير البشر) . قال : روى أن مرثد بن عبد كلال قفل من غزاة غزاها بفنائم عظيمة : فوفد عليه زعماء العرب وشعراؤها وخطباؤها يهنئونه ، ورفع الحجاب عن الوافدين ، وأوسعهم عطاء ، واشتد سروره بهم ، فبينما هو كذلك إذ نام يوماً فرأى رؤيا في المنام أخافته وأذعرتة ، وأهالته في حال منامه ، فلما انتبه نسيها حتى لم يذكر منها شيئاً وثبت ارتياعه في نفسه بها ، فانقلب سروره حزناً ، واحتجب عن الوفود حتى أساء به الوفود الظن ، ثم إنه حشر السكاهن ، فجعل يخلو بكاهن كاهن ثم يقول له : أخبرني عما أريد أن أسألك عنه ! فيجيبه السكاهن بأن لا علم عندي حتى لم يدع كاهناً علمه إلا كان إليه منه ذلك ، فتضاعف قلقه ، وطال أرقه <sup>(١١)</sup> ، وكانت أمه ، قد تسكهننت

(١) اللمعان الضعيف (٢) هو أشد من الخفو (٣) حجارة النورة (٤) القلة بالضم أعلى كل شيء . والحضيض : القرار في الأرض (٥) الناحية (٦) فاضل من قولهم هذا أمز من هذا أي أفضل منه (٧) الحمة : القدر وقيل هي واحد الحمام (٨) تنكع : تردع (٩) الصعاليك : الفقراء (١٠) الأرق السهر بالليل

فقلت له : أَيْتَ اللَّعْنِ <sup>(١)</sup> أَيُّهَا الْمَلِكُ ! إِنَّ السَّكَّاهِينَ أَهْدَى إِلَى مَا تَسْأَلُ عَنْهُ لَأَنَّ اتِّبَاعَ السَّكَّاهِينَ مِنَ الْجَانِّ ، أَلَطْفٌ وَأَظْرَفُ مِنْ اتِّبَاعِ السَّكَّاهِينَ ، فَأَمْسَ بِحُشْرِ السَّكَّاهِينَ إِلَيْهِ وَسَأَلَهُمْ كَمَا سَأَلَ السَّكَّاهِينَ فَلَمْ يَجِدْ عِنْدَ وَاحِدَةٍ مِنْهُمْ عِلْمًا مِمَّا أَرَادَ عِلْمَهُ ، وَلَمَّا يَأْسُ مِنْ طَلَبِهِ سَلَا عَنْهَا ، ثُمَّ إِنَّهُ بَعْدَ ذَلِكَ ذَهَبَ يَتَصِيدُ فَأَوْغَلَ \* <sup>(٢)</sup> ، فِي طَلَبِ الصَّيْدِ ، وَانْفَرَدَ عَنْ أَصْحَابِهِ ، فَرَفَعَتْ لَهُ آيَاتٌ مِنْ ذَرَى \* جَبَلٍ ، وَكَانَ قَدْ لَفَحَهُ الْهَجِيرُ <sup>(٣)</sup> ، فَعَدَلَ إِلَى الْآيَاتِ وَقَصَدَ بَيْتًا مِنْهَا كَانَ مَفْرَدًا عَنْهَا فَبَرَزَتْ إِلَيْهِ مِنْهُ عَجُوزٌ فَقَالَتْ لَهُ : انْزِلْ بِالرَّحْبِ وَالسَّعَةِ ، وَالْأَمْنِ وَالِدَعَةِ ، وَالْجَفْنَةِ <sup>(٤)</sup> الْمُدَّعَدَةِ \* ، وَالْعُلْبَةِ \* الْمُتَرَعَّةِ ، فَنَزَلَ عَنْ جَوَادِهِ وَدَخَلَ الْبَيْتَ ، فَلَمَّا احْتَجَبَ عَنِ الشَّمْسِ وَخَفَّتْ عَلَيْهِ الْأَرْوَاحُ \* نَامَ فَلَمْ يَسْتَيْقِظْ حَتَّى تَصْرَمَ الْهَجِيرُ ، فَجَاسَ يَمْسَحُ عَيْنَيْهِ ، فَإِذَا بَيْنَ يَدَيْهِ فَتَاةٌ لَمْ يَرَ مِثْلَهَا قَوَامًا وَلَا جِسَالًا ، فَقَالَتْ : أَيْتَ اللَّعْنِ أَيُّهَا الْمَلِكُ الْهَمَامُ ، هَلْ لَكَ فِي الطَّعَامِ ؟ فَاشْتَدَّ إِشْفَاؤُهُ وَخَافَ عَلَى نَفْسِهِ لَمَّا رَأَى أَنَّهَا عَرَفَتْهُ وَتَصَامَمَ عَنْ كَلِمَتِهَا ، فَقَالَتْ لَهُ : لَا حَذَرَ ، فَمَا ذَاكَ الْبَشَرُ فَجَدَّكَ الْأَكْبَرُ ، وَحَظْنَا بِكَ الْأَوْفَرَ ، ثُمَّ قَرَبَتْ إِلَيْهِ قُرَيْدًا وَقُرَيْدًا وَحَيْسًا <sup>(٥)</sup> ، وَقَامَتْ تَذُبُّ عَنْهُ حَتَّى انْتَهَى أَكْلُهُ ، ثُمَّ سَقَتْهُ لَبَنًا صَرِيقًا \* وَضَرِيبًا \* فَشَرِبَ مَا شَاءَ ، وَجَعَلَ يَتَأَمَّلُهَا مَقْبَلَةً وَمُدْبِرَةً فَلَأَتْ عَيْنَيْهِ حَسَنًا وَقَلْبُهُ هَوًى ، فَقَالَ لَهَا : مَا اسْمُكَ يَا جَارِيَّةُ ؟ قَالَتْ : اسْمِي (عَفِيرَاءُ) فَقَالَ لَهَا : يَا عَفِيرَاءُ مِنَ الَّذِي دَعَاكَ بِالْمَلِكِ الْهَمَامِ ؟ قَالَتْ : مَرْثِدُ الْعَظِيمِ الشَّانِ ، حَاشِرُ السَّكَّاهِينَ وَالسَّكَّاهِينَ ، لِمُعْضِلَةٍ <sup>(٦)</sup> بَعْدَ عَنْهَا الْجَانُّ \* ! فَقَالَ يَا عَفِيرَاءُ : أَتَعْلَمِينَ تِلْكَ الْمُعْضِلَةَ ؟ قَالَتْ : أَجَلُ أَيُّهَا الْمَلِكُ إِنَّهَا رَأَتْهَا مِنْسَامٌ ، لَيْسَتْ بِأَضْعَافِ أَحْلَامٍ ، قَالَ الْمَلِكُ : أَصَبْتَ يَا عَفِيرَاءُ ! فَمَا تِلْكَ

(١) انظر ص ١٩٣ من الجزء الثاني (٢) كل ما وضعنا إزاءه هذه النجمة واضربنا عن تفسيره فهو مشروح في الأصل (٣) لفحه : أحرقه والهجير : نصف النهار عند زوال الشمس مع الظهر أو من عند زوالها إلى العصر لأن الناس يستكنون في بيوتهم كأنهم قد تهاجروا . والهجير : شدة الحر (٤) الجفنة : القصعة (٥) القديد : اللحم المشرر المقطع . والعجيس : تمر واقط وسمن . انظر الجزء الأول ص ٣٨٤ (٦) المعضلة : السديدة

الرؤيا ؟ قالت : رأيت أعاصير زوايع \* ، بعضها لبعض تابع ، فيها لهب لامع ، ولها دخان ساطع \* : يقفوها نهر متدافع ، وسمعت فيما أنت سامع ، دعاء ذى جَرَس \* صاعد ، هلموا إلى المِشارع \* فروى جارح \* ، وغرق كارع \* فقال الملك : أجل هذه رؤياى فما تأويلها يا عفيراء ؟ قالت : الأعاصير الزوايع : ملوك تباع \* والنهر : علم واسع ، والداعى : نبي شافع ، والجارح ولى تابع ، والكارع : عدو منازع ، فقال الملك : يا عفيراء أسلم هذا النبي أم حرب ؟ فقالت : أقسم برفع السماء ومنزل الماء من السماء \* ، إنه لم يَطَلْ الدماء ، ومنطق العقائل نطق الإمام \* ، فقال الملك : إلآم يدعو يا عفيراء ؟ قالت إلى صلاة وصيام ، وصلة أرحام ، وكسر أصنام ، وتعطيل أزلام ، واجتناب آثام ، فقال الملك : يا عفيراء إذا ذبح قومه فن أعضاده \* ؟ قالت : أعضاده غطاريف \* يمانون ، طأرهم به ميمون ، يفزيهم فيغزون ، ويدمئ بهم الحزون ، وإلى نصره يعتزون ، فأطرق الملك يؤامر نفسه فى خطبتها ، فقالت : أبيت اللعن أيها الملك إن تابعى غيُور ، ولأمرى صبور . وناكى مشبور . والسكف بى ثبور ، فنهض الملك وجال ، فى صهوة جواده وانطلق ، فبعث إليها بمائة ناقة كوما .

\*\*\*

« قال محمد بن ظفر » أوغل فى طلب الصيد : أى بالغ فى ذلك وأمعن ، والوغل الدخول فى الشيء بقوة . وذرى جبل : بفتح الذال المعجمة السكن ، والمدعدة : هى التى ملئت بقوة ثم حركت حتى تراض ما فيها ثم ملئت بعد ذلك والعلبة بضم العين المهملة وإسكان اللام إناء من جلد والأرواح : هى الرياح وصريفاً : اللبن المحض يحدث آن الحلاب يصرف عن الضرع إلى الشارب . وضريباً : اللبن الرائب . وبعد عنها الجسان : أى جنبوا عنها ولم يطيقوها . وأعاصير زوايع : هى من الرياح ما يثير التراب فيعليه فى الجو ويديره . وساطع

أى مرتفع . ودعاء ذى جَرَسٍ صادع : الجرس الصوت . والمشارع : الداخل إلى  
النهر وجارع : أى من شرب جرعا أمن . وكارع : أى من أمن غرق . وتباع  
جمع تبع ، وهذا لقب للملوك الذين وهو من الأتباع لأن بعضهم كان يتبع فى الملك  
بعضاً . والعاء : هو الغيم والغمام . ومنطق العقائل : هن الكراآت من النساء أى  
يسبين فيشددن النطق على أوساطهن كالإماء المهنة والخدمة . والأعضاء :  
الأنصار . والطاريف : السادة . والتعطف التكبر . ويدمى : أى يسهل .  
ويؤامر نفسه : يراد به تعاضد الرأيين المتضادين فى النفس . وجل فى صهوة جواده :  
جال أى وثب ، والصهوة : مقعد الفارس من ظهر فرسه ، والكوماء : الناقة  
العظيمة السنام . ومنهم :

#### سواد بن قارب الدوسى

روى أبو بكر بن دريد قال : حدثنى عمى الحسين عن أبيه ابن الكلبي  
عن الديال بن نقر عن الطرمّاح بن حكيم قال : خرج خمسة نفر من طي<sup>١</sup> من  
ذوى الحجا والرأى منهم بُرج بن مُسَير وهو أحد المعمرين ، وأنيف بن حارثة  
ابن لأم ، وعبد الله بن سعد بن الحشرج أبو حاتم طي<sup>٢</sup> ، وعارق الشاعر ، ومُرة  
ابن عهد رضى ، يريدون ( سواد بن قارب الدوسى ) ليختبروا علمه ، فلما قربوا  
من السّرة قالوا : ليخبأ كل واحد منا خبيثاً ولا يخبر به صاحبه لنسأله عنه ، فإن  
أصاب عرفنا علمه ، وإن أخطأ ارتحلنا عنه ، فخبأ كل واحد منهم خبيثاً ، ثم  
صاروا إليه فأهدوا إليه إبلاً وطرفاً من طرف ( الحيرة ) فضرب عليهم قبة ونحر  
لهم ، فلما مضت ثلاث دعا بهم فدخلوا عليه ، فتكلم بُرج ، وكان أسنهم<sup>٣</sup> ، فقال :  
جارك السحاب ؛ وأمرع<sup>٤</sup> لك الجناب<sup>(١)</sup> ، وضفّت<sup>(٢)</sup> إليك الفعم الرّغاب<sup>(٣)</sup> ،

(١) أمرع : اخصب ، والجناب : ماحول الدار (٢) الضافى : السابغ الكثير .  
نقال : خير فلان ضاف على قومته أى سابغ عليهم . والرغاب : الواسعة الكثيرة

نحن أولو الآكال<sup>(١)</sup> ، والحدايق والأغيال<sup>(٢)</sup> ، والنعم الجفال<sup>(٣)</sup> ، ونحن أصهار الأملاك ، وفُرسان العراك ، يُورَى عنهم أنهم من بكر بن وائل ، فقال سَوَادٌ . والسماء والأرض ، والعمر والبرص<sup>(٤)</sup> ، والقرص والفرص<sup>(٥)</sup> ، إنكم لأهل الهضاب الشم<sup>(٦)</sup> ، والنخيل العم<sup>(٧)</sup> ، والصخور الصم ، من أجأ العيطاء ، وسلمى ذات الرقبة السطعاء<sup>(٨)</sup> ، قالوا إنا كذلك وقد خبأ لك كل رجل منا خبيثاً لتخبرنا باسمه وخبيثه فقال لبرج : أقسم بالضياء والخلك<sup>(٩)</sup> ، والنجوم والفلك ، والشروق والدلك<sup>(١٠)</sup> ، لقد خبئت بُرْثَنَ فَرْنَخ<sup>(١١)</sup> في أعليط مَرْنَخ<sup>(١٢)</sup> تحت آسرة الشرخ<sup>(١٣)</sup> ! فقال : ما أخطأت شيئاً ، فمن أنا ؟ قال : برج بن مُسْمَرِ عَصْرَةِ الْمُعْمَرِ<sup>(١٤)</sup> وثمان المُحَجَّرِ<sup>(١٥)</sup> ، ثم قام أنيف بن حارثة فقال : ما خبيثي وما اسمي ؟ فقال : والسحاب والتراب ، والأصباب والأحداب<sup>(١٦)</sup> ، والنعم الكتاب<sup>(١٧)</sup> ، لقد خبأت قُطَامَةَ فَسِيط<sup>(١٨)</sup> ، وقُدَّة مَرِيط<sup>(١٩)</sup> ، في مدرّة من مَدَى مَطِيط<sup>(٢٠)</sup> ، قال ما أخطأت شيئاً فمن أنا ؟ قال : أنيف ، قارى الضيف

(١) يقال : فلان ذو آكل ( بضم الهمزة وسكون الكاف ) أى ذو حظ ورزق في الدنيا والجمع آكال (٢) جمع غيل وهو الماء الجارى على وجه الأرض (٣) الكثيرة وهذا الجمع قليل جدا لم يأت منه إلا أحرف مثل رباب جمع ربي وهى الحديثة النجاج ، وفرار جمع فريز وهو ولد البقرة ، ونعم كتاب وهى الكثيرة ، وبراء جمع برىء (٤) العمر : الماء الكثير ، والبرص : الماء القليل وجمعه براض (٥) القرص : الدين ، والفرص الهبة (٦) الهضاب : جمع هضبة وهى الجبل المنبسط على وجه الأرض ، والشم : الطوال (٧) الطوال أيضا (٨) أجأ وسلمى : جبلا طبيئ ، والعيطاء : الطويلة وكذلك السطعاء (٩) الظلام (١٠) هو اصفار الشمس عند المغيب . وفى اللسان : الدلك وقت الدلوك الذى هو اصفار الشمس (١١) البرقن : ظفر كل مالا يصيد من السباع والطير مثل الحمام والضب والفأرة فإذا كان مما يصيد قيل لظفره مخلب (١٢) المرخ : شجر تقدح منه النار ، والاعليط : وعاء ثمر المرخ والعرب تشبه به آذان الخيل (١٣) الآسرة : القد الذى يشد به خشب الرجل ، وشرخا الرجل : جانباه (١٤) العصرة : المنجاة ، والمعر : الذى ذهب ماله (١٥) الثمال : الغياث الذى يقوم بأمر قومه ، والمحجر : الملجأ المضيق عليه (١٦) الأصباب جمع صيب وهو ما انخفض من الأرض ، والأحداب : جمع حدب وهو ما علا (١٧) الكثيرة (١٨) القطامة : ما قطمته بفيك ، والفسيط : قلامة الظفر (١٩) القدّة : الريشة . والمريط : من السهام الذى قد تمرط ريشه أى نتف (٢٠) المدرّة : قطعة طين يابسة . والمدى : جديول يجرى =



ومُعِلَّ السيف ، وخالط الشتاء بالصيف » ثم قام عبد الله بن سعد فقال : ما خبيثي وما اسمي ؟ فقال سواد . أقسمُ بالسَّوَامِ العازب<sup>(١)</sup> ، والوقير الكارب<sup>(٢)</sup> ، والمُجَدِّ الرَّاكِب ، والمشيح الحارب<sup>(٣)</sup> ، لقد خبأتُ نَفَاقَةً فَنَن<sup>(٤)</sup> ، في قطيع قد مَرَنَ<sup>(٥)</sup> ، أو أدبم قد جَرَنَ ، قال . ما أخطأت حرفاً فمن أنا ؟ قال . أنت ابن سعد النوال ، عطاؤك سِجَال<sup>(٦)</sup> ، وشرك عُضَال<sup>(٧)</sup> ، وعمدك طِوَال ، وبينك لا ينال ، ثم قام عارق . فقال . ما خبيثي وما اسمي ؟ فقال سواد . أقسم بنفنف اللُّوح<sup>(٨)</sup> ، والماء المَسْفُوح<sup>(٩)</sup> ، والفضاء المندوح<sup>(١٠)</sup> ، لقد خبأت رقعة طَلًّا أعفر<sup>(١١)</sup> ، في زِعْنَفَةِ أديم أحمر<sup>(١٢)</sup> ، تحت حِلْسٍ نضو أدبر<sup>(١٣)</sup> ، قال ما أخطأت شيئاً فمن أنا ؟ قال . أنت عارق ذو اللسان العَضْب<sup>(١٤)</sup> ، والقلب النَّدْب<sup>(١٥)</sup> ، والمضياء الغَرَب<sup>(١٦)</sup> ، مناع السَّرَب<sup>(١٧)</sup> ، ومبيح النَّهَب ، ثم قام مرة بن عبد رضى فقال . ما خبيثي ، وما اسمي ؟ فقال . سَوَاد . أقسم بالأرض والسماء ، والبروج والأنواء ، والظلمة والضياء ، لقد خبأت دِمَّةً في رِمَّة<sup>(١٨)</sup> ، تحت مُشِيطٍ لِمَّة<sup>(١٩)</sup> ، قال . ما أخطأت شيئاً فمن أنا ؟ قال : أنت مره ، السريع الكرَّه ، البطيء الفرَّه ، الشديد المرَّه<sup>(٢٠)</sup> ، قالوا . فأخبرنا بما رأينا في طريقنا إليك ، قال . والناظر

== منه ما سال مدهارق من الحوض . كذا قال الأصمعي وانسند « وعن مطيطات المدى المدعوق » . والمطيط : الماء الخائر في أسفل الحوض والمدعوق : الذي قد أكثر فيه الوطء (١) السوام : المال الراعى من الابل . والعازب : البعيد (٢) الوقير : الغنم التي بالسواد ، والكارب : القريب (٣) المشيح : الجاد في لغة هذيل . وفي غيرها الحاذر (٤) النفاقية : ما تنفثه من فيك . والفنن : واحد افنان الأشجار وهي أغصانها (٥) القطيع : الطائفة من الغنم والنعم ، ومرن وجرن : لان في صلابه (٦) كثير ، يقال أسجله أى أكثر له من العطاء وأعطاه سجله من كذا أى نصيبه (٧) شديد (٨) النفنف واللوح واحد وهما الهواء وإنما اُضيف لما اختلف اللفظان فكأنه اُضيف النوى الى غيره (٩) المصبوب (١٠) الراسع (١١) الطلا : ولد الظبي ساعة يولد ، والاعفر : الذى تعلق بياضه حمرة (١٢) الزعنفة : القطعة من الثوب ، وطرف الأديم (١٣) الحلس للبعير بمنزلة القرطاط للحافر وهو البرذعة . والنضو : المهزول من الابل وغيرها (١٤) أى الحديد الكلام (١٥) الذكى (١٦) الحد (١٧) بالفتح الماشية كلها وبالكسر القطيع من الظباء والنساء وغيرها (١٨) الدمة : القملة . والرمة : العظام البالية (١٩) اللمة : الشعر المجاوز شحمة الأذن (٢٠) القوة .

من حيث لا يُرَى ، والسامع قبل أن يتأجى ، والعالم بما لا يُدْرَى ، لقد عنت  
لكم عُقاب عَجْزَاء<sup>(١)</sup> ، فى شَفَانِيب دَوْحَةٍ جَرْدَاء<sup>(٢)</sup> ، تحمل جَدْلًا<sup>(٣)</sup> ،  
فتماريتم<sup>(٤)</sup> إِمَّا يَدًا وإِمَّا رَجَلًا ، فقالوا : كذلك ، ثم مَهْ ؟ قال سنح<sup>(٥)</sup> لكم قبل  
طلوع الشرق<sup>(٦)</sup> ، سَيِّدُ أَمَقَ<sup>(٧)</sup> ، على ماء طرق<sup>(٨)</sup> ، قالوا : ثم ماذا ؟ قال :  
تَيْسٌ أَفْرَقَ<sup>(٩)</sup> ، سَنَدَفَى أَبْرَقَ<sup>(١٠)</sup> ، فرماه الغلام الأزرق ، فأصاب بين  
الوابلة<sup>(١١)</sup> والمرِّقَى ، قالوا : صدقت وأنت أعلم من تحمل الأرض ! ثم ارتحلوا  
عنه ، فقال عارق :

ألا لله عِلْمٌ لا يحارى إلى الغايات فى جنَبِ سَوَادٍ  
أتيناه نُسائله امتحانا ونحسب أن سيعمد بالعناد  
فأبدى عن خنى مخبآت فأضحى سرها للناس بآدى  
حُسام لا يليق ولا يثأى عن القصد الميمم والسداد<sup>(١٢)</sup>  
كان خبيثنا لما انتجينا بعينيه بصرح أو ينادى  
فأقسم بالعتائر حيث فُلس ومن نسك الأقيصر ملعباد<sup>(١٣)</sup>  
لقد حُزَّتْ الكهانة عن (سطيح) و (شق) و (المُرْقَلِ) من إباد

سبب إسلام سواد بن قارب ، وقصته البديعة

كان سواد بن قارب من أعلم أهل وقته ، وأشهرهم فى الكهانة والشعر ،  
وأطولهم باعاً فى جميع المكارم . وقد وفد إلى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وأسلم

(١) هى التى ابيض ذنبها وقيل : التى كبرت عجيزتها (٢) الشفانيب :  
ما تداخل من الأغصان . والدوحة : الشجرة العظيمة (٣) عضوا (٤) تجادلتم  
(٥) عرض (٦) الشمس (٧) السيد : الذئب والامق : الطويل (٨) بولت فيه  
الابل (٩) هو البعيد ما بين قرنيه (١٠) سند : صعد ، والابرق : غلظ من  
الارض فيه حجارة ورمل وجبل ابرق اذا كان فيه لوان (١١) رأس العضد  
الذى يلى المنكب (١٢) يليق : يمسك . قال الاصمعى للرشيدي : ما الاقتنى  
ارض حتى خرجت اليك يا أمير المؤمنين . أى ما امسكتنى . وبثأى :  
يحبس . والميمم : المقصود (١٣) العتائر : جمع عتيرة وهو ذبح كان يذبح  
للأصنام فى الجاهلية . وفلس : صنم . والاقيصر : صنم أيضا . وملعباد  
من العباد

وكان رثيَّة قد أتاه ثلاث ليال في حال سِنْتِه يضربه برجله ، ويقول : قم ياسواد ابن قارب ، واعقل إن كنت تعقل إنه قد بعث نبي من لؤي بن غالب . وقد أورد قصته هذه مفصلة جمع من الثقات منهم الإمام الماوردي في كتابه (أعلام النبوة) قال بسنده : بينما عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه ذات يوم جالساً إذ مرَّ به رجل فقيل له : أتعرف هذا المار يا أمير المؤمنين ؟ قال : ومن هو ؟ قالوا : هذا سواد ابن قارب رجل من أهل اليمن ، وكان له رثى من الجن ، فأرسل إليه عمر فقال : أنت سواد بن قارب ؟ قال نعم يا أمير المؤمنين ، فقال : أنت الذى أتاك رثيك بظهور النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ؟ قال : نعم يا أمير المؤمنين بينما أنا ذات ليلة بين المنام واليقظان إذ أتانى رثي من الجن فضربنى برجله ، وقال : قم ياسواد ابن قارب فاسمع مقالى ، واعقل إن كنت تعقل ، إنه قد بعث رسول من لؤي ابن غالب يدعو إلى الله تعالى وإلى عبادته ، وأنشأ يقول :

عجبت للجنّ وتطلّابها      وشدّها العيس<sup>(١)</sup> بأقتابها  
تهوى إلى مكة تبغى الهدى      ما صادقُ الجنِّ ككذابها  
فارحل إلى الصفوة من هاشم      ليس قدامها كأذناها

فقلت له : دعنى فإنى أمسيت ناعساً ، ولم أرفع بما قال رأساً ؛ فلما كانت الليلة الثانية أتانى فضربنى برجله ، وقال : قم ياسواد بن قارب فاسمع مقالى واعقل إن كنت تعقل ، إنه قد بعث رسول من لؤي بن غالب يدعو إلى الله تعالى وإلى عبادته ، وأنشأ يقول :

عجبت للجنّ وتخبّارها      وشدّها العيس بأكوارها  
تهوى إلى مكة تبغى الهدى      مامؤمنو الجنِّ ككفارها  
فارحل إلى الصفوة من هاشم      بين روايبها وأحجارها  
فقلت : دعنى فقد أمسيت ناعساً ، ولم أرفع بما قال رأساً ؛ فلما كانت الليلة

(١) العيس : الأبل البيض

الثالثة أتاني فضر بني برجله ، وقال : قم ياسواد بن قارب فاسمع مقالتي ، واعقل إن كنت تعقل ، قد بعث رسول من لؤي بن غالب يدعو إلى الله تعالى وإلى عباده وأنشأ يقول :

عجبت للجن وتجسساها وشدها العيس بأحلاسها<sup>(١)</sup>  
تهوى إلى مكة تبغى الهدى ما خيرو الجن كأنجاسها  
فارحل إلى الصفوة من هاشم واسم بعينيك إلى رأسها  
قال : فأصبحت وقد امتحن الله قلبي للإسلام ، فرحلت ناقتي ، وأتيت المدينة ، فإذا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وأصحابه ، فقلت : اسمع مقالتي يا رسول الله ! قال : هات ! فأنشأت :

أتاني رأيي بعد هذه ورقدة ولم أك فيما قد بلوت بكاذب  
ثلاث ليال قوله كل ليلة أذاك رسول من لؤي بن غالب  
فشمرت عن ذيلي الإزارو وسطت بي الذعلب الوجناء بين السباسب  
فأشهد أن الله لا شيء غيره وأنك مأمون على كل غائب  
وأنك أدنى المرسلين وسيلة إلى الله يا ابن الأكرمين الأطايب  
فمرنا بما يأتيك ياخير مرسل وإن كان فيما جئت شيب الذوائب  
وكن لي شفيعا يوم لا ذو شفاعه بمن عن سواد بن قارب  
(الرأي : الخادم من الجن ، والهدء : السكون ، والذعلب بكسر الهمزة وسكون العين وكسر اللام : الناقة السريعة ، والوجناء : الشديدة ، والسباسب : جمع سباسب ، المفازة ) ففرح رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وأصحابه بمقالتي فرحاً شديداً حتى رؤى الفرح في وجوههم ، قال : فوثب إليه عمر فالتزمه ، وقال : قد كنت أحب أن أسمع منك هذا الحديث ، فهل يأتيك رأيك اليوم ؟ فقال مذكرات القرآن فلا ، ونعم العوض كتاب الله تعالى من الجن . وتتمام الكلام على أخباره في الاستيعاب والإصابة . ومنهم :

(١) جمع جلس وهو كساء على ظهر البعير

### فاطمة بنت مر الخثعمية

وهي كاهنة كانت بمكة ، ويحكى عنها أمور في باب الكهانة عجيبه ؛ ومن الأمثال الشائعة بين العرب « قد كان ذلك مرةً فاليومَ لا » قال الميداني : أول من قال ذلك فاطمة بنت مر الخثعمية ، قال : وكانت قد قرأت الكتب ، فأقبل عبد المطلب ومعه ابنه عبد الله يريد أن يزوجه آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب ، فمرَّ على فاطمة ، وهي بمكة ، فرأت نور النبوة في وجه عبد الله فقالت له : من أنت يا فتى ؟ قال أنا عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم ، فقالت : هل لك أن تقع على وأعطيك مائة من الإبل ؟ فقال :

أما الحرام فاللمات دونَه والحل لاحتل فاستبينه  
فكيف بالأمر الذي تنوينه ؟

ومضى مع أبيه فزوجه آمنة ، وظل عندها يومه وليلته ، فاشتملت بالنبي صلى الله تعالى عليه وسلم ، ثم انصرف ، وقد دعت نفسه إلى الإبل فأناها ، فلم ير منها حرصاً ، فقال لها : هل لك فيما قلت لي ؟ فقالت « قد كان ذلك مرةً فاليوم لا » فأرسلتها مثلاً يضرب في الندم والإنابة بعد الاحترام ، ثم قالت له : أى شيء صنعت بعدى ؟ قال : زوجنى أبى آمنة بنت وهب ، فكنت عندها . فقالت : رأيت في وجهك نور النبوة ، فأردت أن يكون ذلك في فأبى الله تعالى إلا أن يضعه حيث أحبه ، وقالت :

بنى هاشم قد غادرت من أخيك أمينة إذ للباء يعتلجان  
كما غادرَ المصباح بعد خبوة فئائل قد ميثت له بدهان  
وما كلُّ مانالٍ الفتى من نصيبه بحزمٍ ، ولا ما فاته يتوان  
فأجل إذا طالبت أمراً فإنه سيكفيكه جدان يضطرعان  
وقالت أيضاً .

إني رأيتُ مخيلةً نشأت فتلاأت بحناتم القطر

لله ما زهرية سلبت منك الذى استلبت وما تدرى  
وقد أورد هذه القصة الإمام الماوردى أيضاً فى كتاب (أعلام النبوة) مع  
بعض الزيادة . قولها « بعد خبوه » أى طفئته . والحيلة . السحابة التى هى مظنة  
المطر . قال فى الصحيح : وقد خالت السحاب وأخيلت وخايلت إذا كانت  
ترجى المطر وقد أخلت السحابة وأخيلتها إذا رأيتها بخيلة . والحناطم : سحائب  
سود لأن السواد عندهم خضرة ، والحنم : الجرة الخضراء . وزهرية : منسوبة  
إلى زهرة حى من قریش ، وهو اسم امرأة كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن  
غالب بن فهر نسب ولده إليها ، وهم أخوال النبی صلى الله تعالى عليه وسلم . .  
والكهان كثيرون يحتاج استيعابهم ، وما روى عنهم من الأخبار ، وما نطقوا  
به من السجع والرجز إلى سفر كبير<sup>(١)</sup> ؛ قال الأصفهانيّ عند الكلام على الكهانة :  
كان ذلك فى العرب كثيراً ، وآخر من وجد وروى عنه الأخبار العجيبة سطيح  
وسواد بن قارب ، قال : وكان وجود ذلك فى العرب أحد أسباب معجزات النبی  
صلى الله تعالى عليه وسلم لما كان يخبر به ، ويبحث على اتباعه .

#### العرافون

قال ابن خلدون فى مقدمته : العرافون — كان فى العرب منهم كثير ،  
وذكروهم فى أشعارهم ، قال قائلهم :

فقلتُ لعرّاف اليمامة داوئى      فإنّك إن داوئنى أطيبُ  
وقال الآخر .

جعلتُ لعرّاف اليمامة حكمه      وعرّاف نجد إن هاشمياي  
فقالا . شفاك الله ! والله ما لنا      بما حملت منك الضلوع يدان<sup>(٢)</sup>

---

(١) قلت : وقد ألف الخرائطى كتاباً فى هذا الباب حافلاً ، ومنه — على  
ما بلغنى — نسخة فى مكتبة الظاهر فى دمشق . (٢) انظر ص ٤

وعراف اليمامة . هو رباح بن عجلة ، وعراف نجد . الأبلق الأسدي انتهى .  
وبعض العرب يسمى الكاهن عرافاً أيضاً ، وبعضهم يطلق هذا اللفظ على الطبيب  
أيضاً ، قال الخطابي في شرح سنن أبي داود : الكاهن هو الذي يدعى مطالعة علم  
الغيب : ويخبر الناس عن الكوائن ، وكان في العرب كهنة يدعون أنهم يعرفون  
كثيراً من الأمور . فمنهم من كان يزعم أن له رؤياً من الجن وتابعه يلقي إليه  
الأخبار ، ومنهم من كان يدعى أنه يستدرك الأمور بفهم أعطيه ، قال : وكان  
منهم من يسمى عرافاً ، وهو الذي يزعم أنه يعرف الأمور بمقدمات أسباب يستدل  
بها على مواقعها . كالشيء يسرق فيعرف المظنون به السرقة ، وتتهم المرأة بالريبة  
فيعرف من صاحبها ، ونحو ذلك من الأمور . ومنهم من كان يسمى المنجم كاهناً ،  
والحديث قد يشتمل على النهي عن إتيان هؤلاء كلهم ، والرجوع إلى قولهم ،  
وتصديقهم على ما يدعونه من هذه الأمور ، ومنهم من كان يدعو الطبيب كاهناً ،  
وربما دعوه عرافاً . قال أبو ذؤيب :

يقولون لي : لو كان بالرمل لم يمت نشيية ، والكهان يكذب قيلها  
وقال آخر : جعلت لعراف اليمامة البيت . وهذا غير داخل في جملة النهي وإنما  
هو مغالطة في الأسماء . وقد أثبت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الطب ،  
وأباح العلاج والتداوي . ومن علومهم :

#### علم الزمهر والعيافنة

وهو الاستدلال بأصوات الحيوانات ، وحركاتها ، وسائر أحوالها ، على  
الحوادث ، واستعلام ماغاب عنهم . وقال ابن خلدون : وأما الزجر فهو ما يحدث  
من بعض الناس من التكلم بالغيب عند سنوح طائر أو حيوان ، والفكر فيه  
بعد مغيبه ، وهي قوة في النفس تبعث على الحرص والفكر فيما زجر فيه من مرئ  
أو مسموع ، وتسكون قوته الخيلة قوية فيبعثها في البحث ، مستعيناً بما رآه أو سمعه

فيؤديه ذلك إلى إدراك ما كما تفعله القوة التخيلية في النوم ، وعند ركود الحواس تتوسط بين المحسوس والمرئى في نقطة فتجده مع ما عقلته فيكون عنها الرؤيا انتهى وقد كان العرب أعلم الناس بهذا العلم ، وهو مدار أفعالهم ، وقانون حركاتهم وسكناتهم؛ وقد روى عنهم في هذا الباب ، روايات تحير ذوى الألباب ، قال ابن القيم في كتاب مفتاح دار السعادة<sup>(١)</sup> : يروى في حرب بنى تغلب أن تيم اللات أرسل بنيه في طلب مال له ، فلما أمسى سمع صوت الريح فقال لامرأته : انظري من أين نشأت السحاب ، ومن أين نشأت الريح ؟ فأخبرته بالواقع ، فقال : والله إنى لأرى ريحا تدهده الصخر ، وتمحق الأثر ، فلما دخل عليه بنوه قال لهم : ما لقيتم ؟ قالوا : سرنا من عندك فلما بلغنا دعص الشعثمين إذا بعفر جاثمات على دعص من رمل ، فقال : فماريحكم . ناطح أم دابر أم بارح أم سانح ؟ قالوا : ناطح ، فقال يخاطب نفسه : ياتيم اللات دعص الشعثمين والشعثم الشيخ الكبير وأنت شعثم بنى بكر وجوانم بدعص وريح نطحت فبرحت ، قال : ثم ماذا ؟ قالوا : ثم رأينا ذئبا قد دلع لسانه من فيه وهو يحرن وشعره عليه فقال : ذلك حران ثائر ذو لسان عذول حامى الظهر همه سفك الدماء وهو أرقم الأراقم يعنى مهلهلا ، قال : ثم ماذا ؟ قالوا : ثم رأينا ريحا وسحابا ، قال فهل مطرتم ؟ قالوا : بلى ! قال : يبرق ؟ قالوا : قد كان ذلك ، فقال أماء سائل ؟ فقالوا : نعم ، فقال : ذلك دم سائل وسرهفات . قال : ثم مه ؟ قالوا : ثم طلعت قلعة صنعاء ثم تصوبنا من تل فاران ، قال : فكنتم سواء أو مترادفين ؟ قالوا : بل سواء ، قال : فما سماؤكم ؟ قالوا : جناء . قال : فماريحكم ؟ قالوا : ناطح ، قال فما فعل الجيش الذين لقيتموهم ؟ قالوا : نجونا منه هربا وجدد القوم في أثرنا قال : ثم مه ؟ قالوا : ثم رأينا عقابا منقضة على عقاب فتشابكا وهويا إلى الارض ، قال : ذاك جمع رام جمعا فهو لاقية . قال : ثم مه ؟ قالوا : رأينا سبعا على سبع ينهشه وبه بقية لم يمت . فقال : ذرونى أما والله إنها لقبيلة مصروعة



مأ كولة من بنى وائل بعد عز وامتناع  
وذكروا أن تيم اللات ، هذا مريوماً يحمل أجرب ، وعليه ثلاث غرايب  
فقال لبنيه : ستقفون على مقتول ! فكان كما قال وقتل عن قريب ، وكذلك قول  
علقمة في مسيره مع أصحابه ، وقد مروا في الليل بشبح فقال : لقيم شيخاً كبيراً  
فانياً يغالب الدهر والدهر يغالبه يخبركم أنكم ستلقون قوماً فيهم ضعف ووهن ،  
ثم لقي سبعاً فقال : دلاج لا يغلب ؛ ثم رأى غراباً ينفذ بجؤجؤه فقال : أبشروا  
الأترون أنه يخبركم أن قد اطأنت بكم الدار ؟ فكان الأمر كذلك . وذكر  
المداثني قال : خرج رجل من لهب ، ولهم عيافة ، في حاجة ومعه سقاء من لبن  
فسار صدر يومه ثم عطش فأناخ بعيه ليشرب فإذا الغراب ينعب فأثار راحلته  
ومضى فلما أجهده العطش أناخ ليشرب فنعب الغراب فأثار راحلته ، ثم في الثالثة  
نعب الغراب وتمرغ في التراب فضرب الرجل السقاء بسيفه فإذا فيه أسود ضخم ،  
ثم مضى فإذا غراب على سدره فصاح به فوقع على سلمة فصاح به فوقع على صخرة  
فانتهى إليه فإذا تحت الشجرة كنزاً فلما رجع إلى أبيه قال له : ما صنعت ؟ قال :  
سرت صدر يومي ، ثم أناخت لأشرب فإذا الغراب ينعب ، قال : أثره وإلا  
فلست بابني ، قال : أثرته ، ثم أناخته لأشرب فإذا الغراب ينعب ، قال : أثره وإلا  
فلست بابني ! قال : أثرته ، ثم أناخته لأشرب فنعب الغراب وتمرغ في التراب ،  
قال : اضرب السقاء وإلا فلست بابني قال : فعلت فإذا أسود ضخم ، قال : ثم مه ؟  
قال : ثم رأيت غراباً واقفاً على سدره قال : أطره وإلا فلست بابني ، قال : أطرته  
ثم وقع على سلمة ، قال : أطره وإلا فلست بابني ، قال : أطرته فوقع على صخرة ،  
قال : أخبرني بما وجدت فأخبره . . وذكر أيضاً أن أعرابياً أضل له ذوداً وخادماً  
فخرج في طلبهما حتى إذا اشتدت عليه الشمس وحى النهار مرَّ برجل يحلب ناقه  
قال : أظنه من بنى أسد فسأله عن ضالته ، قال : أذنُ فاشرب من اللبن وأدلك على  
ضالتك قال . فاشرب ، ثم قال . ما سمعت حين خرجت ؟ قال . بكاء الصبيان ،

ونباح الكلاب ، وصراخ الديكة ، وثغاء الشاء ، قال : ينهالك عن الغدو ، ثم مه ؟ قال ثم ارتفع النهار فعرض له ذئب ، قال . كسوب ذو ظفر ، ثم مه ؟ قال . ثم عرضت لى نعامة ، قال ذات ريش واسمها حسن ، هل تركت فى أهلك مريضاً يعاد ؟ قال . نعم ! قال . ارجع إلى أهلك فذودك وخادمك عندهم فرجع فوجدهم .. وذكر أبو خالد التيمى قال . كنت آخذ الإبل بضمن فأرعاها فى ظهر البصرة فطردت فخرجت أقفوا أثرها حتى انتهيت إلى القادسية . فاختلفت على الآمار ، فقلت . لو دخلت الكوفة فتحسست منها ، فأنتيت الكنيسة فإذا الناس مجتمعون على عراف اليمامة فوقفت ، ثم قلت له . حاجتى ! فقال .

بعيدة أشطان الهوى جمعٌ مثلها على العاجز الباغى الغنى ذو تكاثف ولترجعن ! قال . فوجدتها فى الشام مع ابن عم لى فصالحات أصحابها عنها .. وقال المدائنى . كان بالسواد زاجر يقال له مهر فأخبر به بعض العمال فجعل يكذب زجره ، ثم أرسل إليه ، فلما أنهاه قال . إئنى قد بعثت بغنم إلى مكان كذا وكذا فانظر هل وصلت أم لم تصل ؟ وقد عرف العامل قبل ذلك أن بينهما وبين الكلا مرحلة ، فقال لغلामه : اخرج فانظر أى شىء تسمع ؟ قال . وكان العامل قد أمر غلامه أن يكمن فى ناحية ويصيح صياح ابن آوى ، فخرج غلام الزاجر ليسمع فصاح غلام العامل فرجع إلى الزاجر غلامه وأخبره بما سمع ، فقال للعامل . قد ذهبت عمك وقطع عليها الطريق فاستيقت . قال . فضحك العامل ! وقال . قد جاءنى خبرها أنها وصلت والصائح الذى صاح غلامى ! قال . إن كان الصائح الذى صاح ابن آوى فقد ذهبت الغنم ، وإن كان كلامك فقد ذهب الراعى أيضا ! قال : فبلغه بعد ذلك ذهاب الغنم وقتل الراعى .. وذكر العكلى أنه خرج فى تسعة نفر هو عاشرم ليصيبوا الطريق فرأى غرابا واقعا فوق بانه . فقال . يا قوم إنكم تصابون فى سفركم هذا فازدجروا وأطيعونى وارجعوا ! فأبوا عليه فأخذ قوسه وانصرف ، وقتلت التسعة ، وأنشأ يقول :

رأيتُ غراباً واقفاً فوق بانهٍ ينشش أعلى ريشه ويطايره  
 فقلت. غراب فاعتراب من النوى وبان فبين من حبيب يحاوره  
 فما أعيف العكلى لادرّ دَرّه ا وأزجره للطير لاعز ناصره  
 وذكر عن كثير عزة أنه خرج يريد مصر ، وكانت عزة بها ، فلقيه أعرابي  
 من نهد فقال . أين تريد ؟ قال . أريد عزة بمصر ، قال مارأيت في وجهك ؛  
 قال : رأيت غراباً ساقطاً فوق بانهٍ ينتف ريشه ، فقال . ماتت عزة ا فانهى ومضى  
 فوافى مصر والناس منصرفون من جنازتها ، فأنشأ يقول .

فأما غرابٌ فاغتراب وغربة وبان فبين من حبيب تعاشره  
 وذكر عنه أيضاً أنه هوى امرأة من قومه بعد عزة يقال لها ( أم الحويرث )  
 وكانت فائقة الجمال ، كثيرة المال ، فقالت له . اخرج فأصب مالاً فأتزوجك ا  
 فخرج إلى اليمن وكان عليها رجل من بنى مخزوم ، فلما كان ببعض الطريق عرض  
 له قوطٌ ( وهو الجماعة من الأطباء ) فمضى ، ثم عرض له غراب ينعب ويفحص  
 التراب على رأسه ، فأتى كثير حيا من الأزد ، ثم من بنى لُهب ، وهو من أزجر  
 العرب ، وفيهم شيخ قد سقط حاجباه على عينيه ، فقص عليه ما عرض له فقال .  
 إن كنت صادقاً لقد ماتت هذه المرأة أو تزوجت رجلاً من بنى كعب ! فاغتم  
 كثير لذلك وسقى بطنه ! فكان ذلك سبب موته ، وقال في ذلك :

تيممتُ لهباً أبتغى العلمَ عندهم وقد ردّ علم العائنين إلى لُهب<sup>(١)</sup>  
 فيممتُ شيخاً منهم ذو أمانة بصيراً بزجر الطير منحني الصلب  
 فقلت له : ماذا ترى في سوانح وصوت غراب يفحص الأرض بالترب ؟  
 فقال : جرى الطيرُ السنيحُ يَبِينُها ونادى غرابٌ بالفراق وبالسلب ا  
 فان لا تكن ماتت فقد حال دونها سواك حليل باطن من بنى كعب ا  
 وقال رجل من بنى أسد . تزوجت ابنة عم لي فخرجت أريدها ، فلقيني شيء

(١) تيممت : قصدت . ولهب : قبيلة من الأزد في اليمن وهم أعيف العرب

كالكلب مندلع لسانه في شق ، فقلت : أخفت ورب الكعبة ! فأثبت القوم فلم أصل إليها ، وناقرنى أهلها ، فخرجت عنهم ، فمكثت ثلاثة أيام ، ثم بدا لي فخرجت نحوهم ، فلقيت كلبة تنطف أطباؤها لبنا ، فقلت : أدركت ورب الكعبة ، فدخلت بأهلي وحملت منى بعلام ، ثم بآخر حتى ولدت أولاداً كثيرين ومارواه الثقات من الحكايات في هذا الباب لايقوم بها مثل هذا الكتاب من المختصرات .

#### كيفية الزجر عند العرب

قال ابن القيم في كتاب مفتاح دار السعادة عند الكلام على أصحاب الطير السانح والبارح والقعيد والناطح . وأصل هذا أن العرب كانوا يزجرون الطير والوحش ويثيرونها ، فما تيامن منها وأخذ ذات اليمين سموه سانحاً ، وماتياسر منها سموه بارحاً ، وما استقبلهم منها فهو الناطح ، وما جاءهم من خلفهم فهو القعيد فمن العرب من يتشاءم بالبارح لأنه لا يمكن رميه إلا بأن ينحرف إليه ، ويتبرك بالسانح ؛ ومنهم من يرى خلاف ذلك . قال المدائني . سألت رؤبة ابن العجاج ، ما السانح ؟ قال : ما ولاك ميامنه ، قال : قلت : فما البارح ؟ قال : ما ولاك مياسره قال : والذي يحىء من قدامك فهو الناطح والنطيج ، والذي يحىء من خلفك فهو القاعد والقعيد ، ونقل عن المفضل الضبي أن البارح ما يأتيك من اليمين يريد يسارك ، والسانح ما يأتيك عن اليسار فيمر على اليمين ، وإنما اختلفوا في مراتبها ومذاهبها ، لأنها خواطر وحدوس وتخمينات لا أصل لها ، فمن تبرك بشيء مدحه ، ومن تشاءم به ذمه<sup>(١)</sup> . . وقد ذكرنا سابقاً عند الكلام على تشاؤم العرب بالطيور أن أهل نجد تتيمن بالسانح وتتشاءم بالبارح ، وأهل العالية على عكس هذا ، وفي النهاية لابن الأثير : الزجر للطير هو التيمن والتشاؤم بها والتفاؤل بطيرانها كالسانح والبارح ، وهو نوع من السكينة والعيافة . وأقول .

(١) مفتاح دار السعادة ج ١ ص ٢٤٢

إنه قسيم للكهانة لا نوع منها، وظاهر كلامه يوم أنها والعيافة مترادفان، وهو أيضاً لا يسلم له وليس شيء من الطير إلا وهو يزجر إلا الرخم. قال الكميت يهجو رجلاً:

أنشأت تنطق في الأمور ر كواغد الرخم الدوائر  
إذ قيل: يا رَخْم انطقي في الطير إنك شر طائر  
فأتت بما هي أهله والعي من شلل الجاور  
وفي المثل « إنطقي يا رَخْم إنك من طير الله » يقال: إن أصله أن الطير  
صاحت فصاحت الرخم، فقيل لها يهزأ بها: إنك من طير الله فانطقي، يضرب  
للرجل لا يلتفت إليه ولا يسمع منه. والرخم طائر أبقع يشبه النسر في الحلقة  
يقال له الأنوق والجمع رخم وهو للجنس.

من اشتهر من العرب بالزجر والعيافة

قد كان في العرب جماعة يعرفون بذلك كعراف اليمامة، والأبلى الأسدي والأحليج، وعروة بن يزيد، وغيرهم ممن لا يحصى عدداً، فكانوا يحكمون بذلك ويعملون به ويتقدمون ويتأخرون في جميع ما يتقلبون فيه، ويتصرفون في حال الأمن والخوف والسعة والضيق والحرب والسلام، فإن نجحوا فيما يتفادون به مدحوه وداموا عليه، وأن عطبوا فيه تركوه وذموه، ومن اشتهر بإحسان الزجر عندهم ووجوهه حتى قصده الناس بالسؤال عن حوادثهم، وما أملوه من أعمالهم سموه عائفاً وعرافاً كما سموه زاجراً، وإنى ذا كر بحول الله تعالى في هذا المقام شيئاً من أخبار بعض من وقفت على ترجمته منهم على طريق الاختصار. منهم:

مسئل بن عامر<sup>(١)</sup> بن عميرة الهمداني

ومن حديثه أن عامراً بعث ابنه الحسل وعاجنة إلى تجارة، فلقى الحسل قوم من بني أسد فأخذوا ماله وأسروه، وسار عاجنة أياماً ثم وقع على مال في

---

(١) فرائد اللال: « حاتم بن عميرة... » .

طريقه من قبل أن يبلغ موضع متجره فأخذه ورجع ، وقال ذلك :  
 كفاني الله بعد السير ، إني رأيت الخير في السفر القريب  
 رأيت البعد فيه شقي ونأي<sup>١</sup> ووحشة كل منفرد غريب  
 فأسرعت الإياب بخير حال إلى حوراء خربة لهؤوب  
 وإني ليس يثنيبي إذا ما رحلت سنوح<sup>٢</sup> سحاج<sup>٣</sup> نعوب  
 ( قال في الصحاح : الحور شدة بياض العين في شدة سوادها ، وامرأة حوراء  
 بيضة الحور ، وجارية خربة وخرعوبة أى دقيقة العظام ناعمة ، وبغير سحاج :  
 يسحج الأرض بخفه أى يقشر ) .

فلما رجع تباشر به أهله ، وانتظروا الحسل ، فلما جاء إبانته الذي كان يحىء  
 فيه ولم يرجع رابهم أمره ، وبعث أبوه أخا له لم يكن من أمه يقال له شاكر في  
 طلبه والبحث عنه ، فلما دنا شاكر من الأرض التي بها الحسل وكان الحسل عائفاً  
 يزجره الطير فقال :

تخبرني بالنجاة القطاة وقول الغراب بها شاهم  
 يقول : ألا قد دنا نازح<sup>٤</sup> فداء له الطرف<sup>٥</sup> والتالد<sup>٦</sup> (١)  
 أخ لم تسكن أمنا أمه ولكن أبونا أب<sup>٧</sup> واحد  
 تداركني رافة حاتم ففيم<sup>٨</sup> المربب<sup>٩</sup> والوالد<sup>١٠</sup>  
 ثم إن شاكراً سأل عنه فأخبر بمكانه فاشتراه ممن أسره بأربعين بغيراً  
 فلما رجع به قال له أبوه « إسمع<sup>١١</sup> يجذك لا بكذك » فذهبت مثلاً . ومنهم .

#### أبو ذؤيب الهزلي الشاعر

ومن خبره ما حكى عنه أنه قال : بلغنا أن رسول الله صلى الله تعالى عليه  
 وسلم عليل فاستشعرت حزناً ، وبت بأطول ليلة لا ينجاب ديجورها ، ولا يطلع

(١) الطرف : المال المستحدث والتالد : القديم

نورها ، فبت أقاسى طولها ، حتى إذا كان وقت السحر أغفيت فهتف بي هاتف وهو يقول :

خطبَ أجلُّ أناسٍ بالإسلام بين النخيل ومقعد الآطام  
قبض النبيّ ( محمد ) فعيوننا تدرى الدموع عليه بالأسجام  
قال أبو ذؤيب : فوثبت من منامى فزعاً ، فنظرت إلى السماء ، فلم أر إلا  
سعد الذابح فأولته ذبحاً يقع في العرب ، وعلمت أن النبي صلى الله عليه وسلم  
قد قبض أو هو ميت من علته ، فركبت ناقتي وسرت ، فلما أصبحت طلبت  
شيئاً أزجر به فعرض لى شيهم « وهو ذكر القنأف » قد قبض على صلّ ( يعنى  
حية ) فهى تلتوى عليه ، والشيهم يقضمها حتى أكلها فزجرت ذلك وقلت شيهم  
شيء هم ، والتواء الصل تلوى الناس عن الحق على القائم بعد رسول الله صلى الله  
تعالى عليه وسلم ، ثم أولتُ أكل الشيهم إياها غلبة القائم بعد رسول الله صلى الله  
تعالى عليه وسلم على الأمر ، فخثت ناقتي حتى إذا كنت بالغابة زجرت الطائر  
فأخبرنى بوفاته صلى الله تعالى عليه وسلم ، ونعب غراب سأنح فنطق بمثل ذلك ،  
فتعوذت بالله من شر ما عنّ لى فى طريقى ، فقدمت المدينة ولها ضجيج بالبكاء  
كضجيج الحبيج إذا أهلوا بالإحرام فقلت : ما الخبر ؟ قالوا : قبض رسول الله  
صلى الله تعالى عليه وسلم ، فخثت إلى المسجد فوجدته خالياً فأتيت رسول الله  
صلى الله تعالى عليه وسلم فوجدت بابه مرتجاً أى مغلقاً ، وقيل : هو مسجى  
وقد خلا به أهله ، فقلت أين الناس ؟ فقيل : فى سقفة بنى ساعدة صاروا إلى  
الأنصار ، فخثت إلى السقفة فأصبت أبا بكر وعمر وأبا عبيدة بن الجراح وجماعة  
من قريش ، ورأيت الأنصار فيهم سعد بن عبادة وفيهم شعراؤهم حسان بن ثابت  
وكعب بن مالك ، فأويت إلى قريش ، وتكلمت الأنصار فأطالوا الخطاب ،  
وأطالوا الجواب ، وتكلم أبو بكر فله دره من رجل لا يطيل الكلام ويعلم مواضع  
فصل الخطاب ، والله لقد تكلم بكلام لا يسمعه سامع إلا انقاد له ومال إليه ، ثم

تكلم عمر رضى الله تعالى عنه بدون كلامه ، ثم قال لأبى بكر : مد يدك أبايك ،  
فمد يده فبايعه وبايعه الناس ، ورجع أبو بكر رضى الله تعالى عنه ورجعت معه .  
قال أبو ذؤيب : فشهدت الصلاة على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وشهدت  
دفنه . ومنهم :

#### جابر بن عمرو المازنى

ومن حديثه أنه كان يسير يوماً فى طريق إذ رأى أثر رجلين ، وكان عائقاً  
قائماً ، فقال أرى أثر رجلين شديداً كليهما ، غزيراً سلبهما ، و (الفرار بقرباب  
كيس) ثم مضى أى الذى يفر ومعه قراب سيفه إذا فاته السيف أكيس ممن  
أُيفيت القراب أيضاً<sup>(١)</sup> . قال الشاعر :

أقاتل حتى لا أرى لى مقاتلاً وأنجو إذا لم ينبج إلا المكيس  
ومنهم :

#### جندب بن الغنم بن عمرو بن نعيم

قال المفضل الضبي : إن جندباً هذا كان رجلاً دميماً<sup>(٢)</sup> فأحشأ ، وكان شجاعاً ،  
وأنه جلس هو وسعد بن زيد مناة يشربان ، فلما أخذ الشراب فيهما قال جندب  
لسعد وهو يمازحه : يا سعد لشرب ابن اللقاح<sup>(٣)</sup> ، وطول النكاح ، وحسن المزاج<sup>(٤)</sup>  
أحب إليك من الكفاح<sup>(٥)</sup> ، ودعس الرماح<sup>(٦)</sup> ، وركض الوقاح<sup>(٧)</sup> ، فقال  
سعد : كذبت والله إنى لأعمل العامل ، وأنحر البازل<sup>(٨)</sup> ، وأسكت القائل ، قال  
جندب : إنك لتعلم أنك لو فزعت دعوتنى محملاً ، وما ابتغيت لى بدلاً ، ولرايتنى

---

(١) وقيل فى معناه : ان فرارنا ونحن قراب من السلامة اكيس من ان  
نتورط فى المكروه بشياتنا (٢) أى قبيح المنظر صغير الجسم وكأنه مأخوذ من  
الدمة بالكسر وهى القملة أو النملة الصغيرة (٣) جمع لقحة وهى الناقة ذات  
اللبن (٤) المداعبة (٥) المقاتلة والمضاربة (٦) طعن الرماح (٧) الفرس الصلاب  
القوى (٨) البعير الذى فطرنه به بدخوله فى السنة التاسعة ويستوى فيه  
الذكر والأنثى



بطلاً : أركب العظيمة ، وأمنع السكرية ، وأحمى الحرية ، فغضب سعد وأنشأ يقول :

هل يسود الفتي اذا قبح الوجه وأمسى قراه غير عتيد<sup>(١)</sup>  
وإذا الناس في الندى رأوه ناطقاً قال قول غير سديد<sup>(٢)</sup>  
فأجابه جندب

ليس زين الفتي الجمال ولكن زينه الضرب بالحسام التليد<sup>(٣)</sup>  
إن ينلك الفتي فزين وإلا ربما ضن باليسير العتيد  
قال سعد : وكان عائفاً أيضاً : أما والذي أحلف به لتأسر نك طعنة ، بين  
العرينة والدهينة ، ولقد أخبرني طيري ، أنه لا يغيثك غيري ! فقال جندب :  
كلاً إنك لجبان ، تكره الطعان ، وتحب القيان<sup>(٤)</sup> ، فتفرقا على ذلك ، فغبرا  
حيناً ؛ ثم إن جندباً خرج على فرس له يطلب القنص فأتى على أمة لبني تميم يقال  
إن أصلها من جرم فقال : لمتكني مسرورة ، أو لتفهرن مجبورة ! قالت : مهلاً !  
فإن المرء من نوكه<sup>(٥)</sup> ، يشرب من سقاء لم يوكه<sup>(٦)</sup> ، فنزل إليها عن فرسه  
مدلاً ، فلما دانمها قبضت على يديه بيد واحدة فما زالت تعصرهما حتى تركته  
لا يستطيع أن يحركهما ، ثم كتفته بعنان فرسه ، وراحت به مع غنمها وهي تحدو  
به وتقول :

لا تأمننَّ بعدها الولائد فسوف تلقى بأسلاً موارد<sup>(٧)</sup>  
وحية تضحي لحي راصدا

قال : فر بسعد في إبله فقال : يا سعد أغثنى ! قال سعد « إن الجبان لا يغيث »  
فقال جندب :

---

(١) أي غير مهيباً (٢) الندى : المجلس . وغير سديد : غير مصيب بقونه  
(٣) الحسام : السيف القاطع . والتليد : كل مال قديم يورث عن الآباء .  
(٤) جمع قينة وهي الأمة البيضاء هكذا قيده ابن السكيت مغنية كانت  
أو غير مغنية وقيل تختص بالمغنية . (٥) حمقه (٦) لم يشد رأسه (٧) الولائد :  
الاماء . والباسل : الشجاع

يا أيها المرء الكريمُ المشكومُ انصُرْ أخاكَ ظالماً أو مظلوماً  
فأقبل إليه سعد فأطلقه . ثم قال : لولا أن يقال قتل امرأة لقتلتك ! قالت :  
كلا لم يكن ليكذب طيرك ، ويصدق غيرك ، قال : صدقت . . قوله : انصر  
أخاك الخ هو من الأمثال يعنى انصره ظالماً إن كنت خصمه ، ومظلوماً من جهة  
خصمه . أى لا تسلمه فى أى حال كنت . ومنهم :

#### مرة الأمدى

ومن خبره أنه كانت له امرأة من أجمل النساء فى زمانها ، وأنه غاب عنها  
أعواماً فهويت عبداً لها حامياً كان يرعى لها ماشيتها ، فلما همت به أقبلت على  
نفسها فقالت : يا نفس ! لا خير فى الشيرة <sup>(١)</sup> ، فإنها تفضح الحرة ، وتحدث العرة  
ثم أعرضت عنه حيناً ، ثم همت به فقالت : يا نفس مودة مريحة ، خير من الفضيحة  
وركوب القبيحة ، وإياك والعار ، ولبوس الشنار <sup>(٢)</sup> ، وسوء الشعر ، ولؤم  
الدثار <sup>(٣)</sup> ثم همت به وقالت : إن كانت مرة واحدة ، فقد تصالح الفاسدة ، وتكرم  
العائدة ؛ ثم جسرت على أمرها ، وقالت للعبد : احضر مبيتى الليلة ! فأثاها فواقها ،  
وكان زوجها عائفاً مardاً ، وكان قد غاب دهرأ ، ثم أقبل آيباً ، فبينما هو يطعم إذ  
نعب غراب فأخبره أن امرأته لم تفجر قط ولا تفجر إلا تلك الليلة ! فركب مرة  
فرسه وسار مسرعاً رجاء إن هو أحسبها أمنها أبداً ، فاتتهى إليها ، وقد قام العبد  
عنها ، وقد ندمت وهى تقول « خيرٌ قليلٌ وفضحت نفسى » فسمعها مرة  
فدخل عليها ، وهو يرعد لما به من الغيظ ، فقالت له : ما يرعدك ؟ قال مرة : ليعلم  
أنه قد علم خير قليل المثل ! فشبهت شهقة وماتت ! فقال مرة :  
لحى الله رب الناس ( فاقراً ) ميتةً وأهونُ بها مفقودة حين تُفقدُ

(١) شرة الشيب بالكسر نشاطه وإنما تفضح الحرة لأنها تهيج عليها  
شهوتها فلا تلبث أن تصير حتى يكون منها ما يكون فتحدث العرة وهى الخلة  
القبيحة (٢) العار (٣) الشعار : ماتحت الدثار من اللباس وهو يلى شمر  
الجسد . والدثار : ما فوق الشعار من الثياب .

لَعَمْرُكَ مَا تَعْتَادُنِي مِنْكَ لَوْعَةٌ وَلَا أَنَا مِنْ وَجْدٍ عَلَيْكَ مُسَهَّدٌ  
ثم قام إلى العبد فقتله . . والفارقة : الداهية<sup>(١)</sup> ، ولحاه الله . قبحه ولعنه .  
والمارد العاتى .

### من أنكر الزجر والطيرة من العرب

ومن العرب من أنكر الزجر ونحوه بقله ، وأبطل تأثيره بنظره ، وذم من  
اغتر به ، واعتمد في أمره عليه وتوهم تأثيره « منهم ضابى بن الحرث » وقد قال  
في ذلك .

وما عاجلات الطير تدنى من الفتى نجاحاً ولا عن ريتنٍ يخيب  
وربَّ أمور لا تضيرُكَ ضيرةٌ وللقب من مخشاشنٍ وجيب<sup>(٢)</sup>  
ولا خيرَ فيمن لا يوطنُ نفسهُ على نائبات الدهر حين تنوب  
قوله : وما عاجلات الطير الخ قال المبرد في الكامل يقول . إذا لم تعجل له طير  
سائحة فليس ذلك بمبعد خيراً عنه ، ولا إذا أبطأت خاب فعاجلها لا يأتىها بخير وآجلها  
لا يدفع عنه إنما له ما قدر له ، والعرب تزجر على السائح ، وتترك به ، وتكره البارح ،  
وتتشاءم به ، والسائح ما أتاك مياسرة فأمكن الصائد ، والبارح ما أتاك ميامنة فلم  
يمكن الصائد إلا أن يفحرف له . قال الشاعر :

لا يعلم المرء ليلاً ما يصيحه إلا كواذب مما يخبر أقال  
والقال والزجر والكهان كلهم مضللون ودون الغيب أقال  
وقال ابن خلف . إذا خرج الإنسان من منزله فأراد أن يزجر الطير فما مر به  
في أول ما يهر فهو عاجلات الطير ، وإن أبطأت عنه وانتظرها فقد رأت أى  
أبطأت ، والأول عندهم محمود ، والثانى مذموم يقول : ليس النجح بأن يعجل

---

(١) أقول : « فارقة » هنا اسم امرأة مرة ، ورخمها في البيت .  
(٢) ضاره الأمر : ضره وخشية خشيا وخشيته وخشاة ومختساة :  
خافتة . والوجيب : الخفقان

الطائر الطير الطيران كما يقول الذين يزجرون الطير، ولا الخيبة في إبطائها ، وهذا رد على مذهب الأعراب .

« ومنهم المرقش » وهو شاعر قديم ، ومن شعره :

ولقد غَدَوْتُ وكنت لا أَعْدُو على وَاقٍ وحائم<sup>(١)</sup>

فإذا الأشائمُ كالآيا منِ والأيامنِ كالأشائمِ

وكذاك لا خيرٌ ولا شرٌّ على أحدٍ بدائمٍ

لا يمنعُكَ من بفا ۖ خيرٌ تمقادُ التَّامِ<sup>(٢)</sup>

قد خط ذلك في السطو ر الأوليات القدامِ

« ومنهم : جهم الهذلي » وفي ذلك يقول من أبيات يرد بها على العائفين

في زجر الطير :

يظنانِ ظنًّا مرَّةً يُخطِئانه وأخرى على بعض الذي يصفان

قضى الله أن لا يعلم الغيب غيرهُ ففي أيِّ أمرٍ الله يمتريان<sup>(٣)</sup>

« ومنهم : ضابئ من حارث البرجمي » حيث يقول في شعره :

وما أنا ممن يزجر الطير همه أصاح غرابٍ أم تمرضَ ثعلب

ولا السانحات البارحات عشيةً أمرٌ سليم القرن أم مرٌّ أعضب

وقال آخر وهو لييد

لعمرك ما تدرى الطوارقُ بالخصى ولا زاجراتُ الطيرِ ما الله صانع

« ومنهم : الرقاص السكبي » وكان على إنكار الزجر واعتقاد بطلانه ، وهو

الذي يقول ، وقيل نخيثم بن عدي :

وجدت أباك الخبير (بحراً) بنجدة بناها له مجداً أشمُ قُمَاقِمُ<sup>(٤)</sup>

(١) الواقى : طائر ضخيم الراس يصطاد العصافير . والحائم : الغراب الأسود وغراب البين وهو أحمر المنقار والرجلين وسمى حائماً لأنه يحتم بالفراق (٢) التمايم : جمع تميمة وهي خرزة رقطاء تنظم في السير ثم يعقد في عنق الصبي « تعوده من العين فإذا كبر قطعت عنه . (٣) امترى فيه : شك (٤) بحر : اسم رجل والمخاطب ابنه مسعود . والاشم : السيد ذو الأنفة . القماقم السيد

وليس بهيباب إذا شدَّ رحله يقول عداني اليوم واقٍ وحاتم  
ولكنه يمضي على ذاك مُقدِّماً إذا صدَّ عن تلك الهفأة الخثارم  
والخثارم كعلايط : الرجل المتطير « ومنهم النابغة » فقد روى أنه خرج هو  
وزياد بن سيار يريدان الغزو فرأى زياد جرادة فقال : حرب ذات ألوان فرجع  
ومضى النابغة ، ولما رجع غائماً قال :

يلاحظ طيرة أبدأ ( زياد ) لتخيره وما فيها خبير  
أقام كأن لقمان بن عاد أشار له بحكمته مشير  
تعلم أنه لا طير إلا على متطير وهو الثبور  
بلى شيء يوافق بعض شيء أحياناً وباطله كثير

وقد شفت الشريعة الحمدية الأمة في الطيرة ، وقال النبي صلى الله تعالى  
عليه وسلم وقد سئل عنها : « ذاك شيء يجده أحدكم فلا يصدنه » . وذكر شراح  
الحديث أن ليس في سنوح الطير وبروحها ما يقتضي ما اعتقدوه ، وإنما هو تكلف  
بتعاطي ما لا أصل له ، إذ لا نطق للطير ولا تمييز فيستدل بفعله على مضمون معنى  
فيه ، وطلب العلم من غير مظانه جهل من فاعله ؛ وقد كان بعض عقلاء الجاهلية  
ينكر التطير ويتمدح بتركه كما سبق ، وكان أكثرهم يتطرون ويعتمدون على  
ذلك ، ويصح معهم غالباً لتزيين الشيطان ذلك ، وبقيت من ذلك بقايا في كثير  
من المسلمين . وبقى كلام في الطيرة ، والفأل والفرق بينهما ، وسبب تحريم أحدهما  
دون الآخر ، المذكور في شروح كتب الحديث . ومن عجيب أمر بعض قبائل  
العرب في الجاهلية أنهم لا يزوجون بناتهم إلا من اتصف بصفات : منها معرفته  
للزجر والعيافة حيث إن هذه المعرفة عندهم من الصفات العلية ، ففي كتاب مجمع  
الأمثال للميداني « عن الفضل الضبي : أن ابن أروى السكلاعي خرج تاجراً من  
اليمن إلى الشام فسار أياماً ، ثم حاد عن أصحابه فبقى مفرداً في تيه من الأرض حتى

( ٢١ - ثالث )

سقط إلى قوم لا يدري من هم ، فسأل عنهم فأخبر أنهم همدان ، فنزل بهم ، وكان طرياً<sup>(١)</sup> ظريفاً ، وأن امرأة منهم يقال لها ( عمرة بنت سبيع ) هويته وهويها ، فخطبها ابن أروى ، وكان اسمه ( الضب ) إلى أهل بيتها ، وكانوا لا يزوجون إلا شاعراً أو عاتقاً أو عالمًا بعيون الماء ، فسألوه عن ذلك ، فلم يعرف منها شيئاً ، فأبوا تزويجه ، فلم يزل بهم حتى أجابوه فتزوجها ؛ ثم إن حياً من أحياء العرب أرادوا الغارة عليهم فتطهروا بالضب فأخرجوه وامرأته ، وهى طامث<sup>(٢)</sup> ، فانطلقا ومع الضب سقاء من ماء ، فسارا يوماً وليلته وأمامهما عين يظنان أنهما يصبحانها ، فقالت له : ادفع إلى هذا السقاء حتى أغتسل فقد قاربنا العين . فدفع إليها السقاء فاغتسلت بما فيه ولم يكفها ، ثم صبحا العين فوجداهما ناضبة وأدركهما العطش ! فقال الضب ( لا ماءك أبقيت ولا حرك<sup>(٣)</sup> ) أنقيت ) ثم استظلا بشجرة حيال العين ، فأنشأ الضب يقول :

تا لله ما طلة أصاب بها      بعلاً سوى قوارع العطب<sup>(٤)</sup>  
وأى مهر يكون أنقل مما      طلبوه إذن من الضب  
ان يعرف الماء تحت صم الصفا      ويخبر الناس منطق الخطب<sup>(٥)</sup>  
أخرجنى قومها بأن الرحى      دارت بشؤم لهم على القطب

فلما سمعت امرأته ذلك فرحت وقالت : ارجع إلى القوم فإنك شاعر ! فانطلقا راجعين ، فلما وصلا خرج القوم إليهما ، وقصصدا ضربهما وردهما ، فقال لهم الضب : اسمعوا شعري ثم اقتلونى ! فأنشدهم شعره فنجا ، وصار فيهم آثر من بعضهم . قال الفرزدق :

وكنت كذات الحيض لم تُبق ماءها      ولا هى من ماء العذابة طاهر<sup>(٦)</sup>

(١) أى ذا منظر ورواء (٢) حائض (٣) الحر : بالكسر فرج المرأة (٤) الطلة : الزوجة . والبعل : الزوج . (٥) الصفا : جمع صفاة وهى الحجر الصلب الضخم الذى لا ينبت . والصم : الصلب (٦) العذابة : بالدال والذال الرجم ، وهذا البيت أورده الجوهري \* ولا هى مما بالعذابة طاهر \* قال ابن مكرم : وكذلك وجدته فى عدة نسخ . ويقال : امرأة طاهرة من الأدناس وطاهر من الحيض بغير هاء

### الطرق بالحصى والخط ونحو ذلك

كانت عند العرب أمور كثيرة يتوصلون بها إلى معرفة المغيبات بزعمهم كالطرق بالحصى والخط والحبوب وغير ذلك ، وهذه كلها من الكهانة على ما حققه أهل العلم ، والطرق له صورة مخصوصة فإن الكاهن إذا سئل عن حادثة أخرج حصيات قد أعدّها عنده فيطرق بعضها ببعض فيلوح له حينئذ ما يعلم به جواب السؤال ، وصورة الخط ما نقله ابن الأعرابي قال : يقعد الحازي<sup>(١)</sup> ويأمر غلاماً له بين يديه فيخط خطوطاً على رمل أو تراب ، ويكون ذلك منه في خفة وعجلة كي لا يدركها العدّ والإحصاء ، ثم يأمره فيمحوها خطين خطين وهو يقول : « ابني عيان . أسرع البيان ! » فإن كان آخر ما يبقى منها خطين فهو آية النجاح . وإن كان قد بقي خط واحد فهو علامة الخيبة والحرمان ، ورأيت في بعض كتب الأدب راجزاً قال يصف جندياً<sup>(٢)</sup> وهو ضرب من الجراد :

يحجل فيها مقلز الحجول بغيّاً على شقيه كالمشكول<sup>(٣)</sup>  
بخطّ لام ألف موصول والزاي والزاي أهمل

#### خط يد المستطرق المسؤول

أى بخط لام ألف كخط يد الكاهن المسؤول منه التكهّن ، والمستطرق : الذى يتكهّن فإذا سئل عن الشيء خط في التراب ونظر ، وقيل : المستطرق الكاهن الذى يطرق الحصى ببعضه ببعض ، وفي سنن أبي داود عن عطاء بن يسار عن معاوية بن الحكم السلمي قال : قلت يا رسول الله ومنا رجال يخطون ! قال كان نبي من الأنبياء يخط فمن وافق خطه فذاك ، وهذا يحتمل أن يكون معناه الزجر

---

(١) الكاهن . وانظر ص ١٥٩ من هذا الجزء . (٢) وقيل يصف غراباً  
(٣) حجل الغراب : نزا في مشيه كما يحجل البعير العقير على ثلاث وقوله « فيها » أى فى الدار . ويقال : انه لمقلز كمنبر أى وثاب عن ابن الأعرابي وأنشد :

وقلز الغراب والعصفور وتب وكل مالا يمشى مشياً فقد قلز  
وبغى فى مشيته اختال وأسرع . والمشكول : الذى شددت قوائمه بخيط

عنه إذا كان من بعده لا يوافق خطه ، ولا ينال حظه من الصواب ، لأن ذلك إنما كان آية لذلك النبي ومعجزة له ، فليس لمن بعده أن يتعاطاه طمعاً في نيله ، وقد ذكر بعض المفسرين في قوله تعالى ( أو أنارة من علم ) أن المراد به هذا العلم وهو المشهور اليوم بعلم الرمل ، وكل ذلك من قبيل الكهانة . قال ( ابن خلدون في مقدمته ) : إنا نجد في النوع الإنساني أشخاصاً يخبرون بالكائنات قبل وقوعها بطبيعة فيهم يتميز بها صنفهم عن سائر الناس ، ولا يرجعون في ذلك إلى صناعة ولا يستدلون عليه بأثر من النجوم ولا غيرها ، إنما نجد مداركهم في ذلك بمقتضى فطرتهم التي فطروا عليها ، وذلك مثل العرافين والناظرين في الأجسام الشفافة كالمرايا وطساس الماء ، والناظرين في قلوب الحيوانات وأكبادها وعظامها ، وأهل الزجر في الطير والسباع ، وأهل الطرق بالحصى والحبوب من الحنطة والنوى ، وهذه كلها موجودة في عالم الإنسان لا يسمع أحداً جحدتها ولا إنكارها وكذلك المجانين يلقي على ألسنتهم كلمات من العيب فيخبرون بها ، وكذلك النائم والميت لأول موته أو نومه يتكلم بالغيب ، وكذلك أهل الرياضيات من المتصوفة لهم مدارك في الغيب على سبيل الكرامة معروفة . قال : ونحن نتكلم على هذه الإدراكات كلها ، ونبتدىء منها بالكهانة . ثم نأتى عليها واحدة واحدة إلى آخرها وتقدم على ذلك مقدمة في النفس الإنسانية كيف تستعد للإدراك الغيب في جميع الأصناف التي ذكرناها ؛ وذلك أنها ذات روحانية موجودة بالقوة من بين سائر الروحانيات وإنما تخرج من القوة إلى الفعل بالبدن وأحواله ، وهذا أمر مدرك لكل أحد ، وكل ما بالقوة فله مادة وصورة ، وصورة هذه النفس التي بها يتم وجودها هو عين الإدراك والتعقل ، فهي توجد أولاً بالقوة مستعدة للإدراك وقبول الصور السكلية والجزئية ، ثم يتم نشؤها ووجودها بالفعل بمصاحبة البدن ، وما يعودها بوجود مدركاتها المحسوسة عليها ، وما تنتزع من تلك الإدراكات من المعاني السكلية فتتعقل الصور مرة بعد أخرى حتى يحصل لها الإدراك والتعقل طوراً



بالفعل فتم ذاتها وتبقى النفس كالمهيولى<sup>(١)</sup> والصور متعاقبة عليها بالإدراك واحدة بعد واحدة ؛ ولذلك نجد الصبى فى أول نشأته لا يقدر على الإدراك الذى لها من ذاتها لا بنوم ولا بكشف ولا بغيرها ، وذلك لأن صورتها التى هى عين ذاتها وهى الإدراك والتعقل لم يتم بعد ، بل لم يتم لها انتزاع السكليات ، ثم إذا تمت ذاتها بالفعل حصل لها مادامت مع البدن نوعان من الادراك : إدراك بآلات الجسم تؤديه إليها المدارك البدنية ، وإدراك بذاتها من غير واسطة ، وهى محجوبة عنه بالانغماس فى البدن والحواس وبشواغلها لأن الحواس أبداً جاذبة لها إلى الظاهر بما فطرت عليه أولاً من الإدراك الجسمانى ، وربما تنغمس من الظاهر إلى الباطن فيرتفع حجاب البدن لحظة إما بالخاصية التى للإنسان على الإطلاق مثل النوم أو بالخاصية الموجودة لبعض البشر مثل الكهانة والطرق ، أو بالرياضة مثل الصوفية ، فتلتفت حينئذ إلى الذوات التى فوقها من الملائ الأعلى لما بين أفعقها وأفقهم من الاتصال فى الوجود ، وتلك الذوات روحانية وهى إدراك محض وعقول بالفعل وفيها صور الموجودات وحقائقها فيتجلى فيها شيء من تلك الصور وتقتبس منها علوماً ، وربما رفعت تلك الصور المدركة إلى الخيال فيصرفه فى القوالب المعتادة ؛ ثم يراجع الحس بما أدركت إما مجرداً أو فى قوالبه فتخبر به . هذا هو شرح استعداد النفس لهذا الإدراك الغيبى . قال : ولنرجع إلى ما وعدنا به من بيان أصنافه فأما الناظرون فى الأجسام الشفافة من المرايا وطساس المياه وقلوب الحيوان وأكبادها وعظامها وأهل الطرق بالخصى والنوى فكلهم من قبيل الكهان إلا أنهم أضعف رتبة فيه فى أصل خلقهم لأن الكهان لا يحتاج فى رفع حجاب الحس إلى كثير معاناة ، وهؤلاء يعانونه بانحصار المدارك الحسية كلها فى نوع واحد منها ، وأشرفها البصر ، فيعكف على المرئى البسيط حتى يبدو له مدركه الذى يخبر به عنه ، وربما يظن أن مشاهدة هؤلاء لما يرونه

---

(١) تقدم تفسيرها فى ج ٢ ص ٢٣١

هو في سطح المرآة ، وليس كذلك بل لا يزالون ينظرون في سطح المرآة إلى أن يغيب عن البصر ، ويبعدو فيما بينهم وبين سطح المرآة حجاب كأنه غمام يتمثل فيه صور هي مداركهم ، فيشيرون إليهم بالمقصود لما يتوجهون إلى معرفته من نفي أو إثبات فيخبرون بذلك على نحو ما أدركوه ؛ وأما المرآة وما يدرك فيها من الصور فلا يدركونه في تلك الحال ، وإنما ينشأ لهم بها من هذا النوع الآخر من الإدراك ، وهو نفساني ليس من إدراك البصر بل يتشكل به المدرك النفساني للحس كما هو معروف ، ومثل ذلك ما يعرض للناظرين في قلوب الحيوانات وأكبادها وللناظرين في الماء والطساس وأمثال ذلك ، قال وقد شاهدنا من هؤلاء من يشعل الحس بالبخور فقط ، ثم بالعزائم للاستعداد ، ثم يخبر كما أدرك ويزعمون أنهم يرون الصور متشخصة في الهواء تحكي لهم أحوال ما يتوجهون إلى إدراكه بالمثل والإشارة ، وغيبة هؤلاء عن الحس أخف من الأولين ، والعالم أبو الغرائب ، ثم ذكر الزجر وسبب تكلم المجانين بأخبار الغيب ، ثم قال : وأما العرافون منهم المتعلقون بهذا الإدراك ، وليس لهم ذلك الاتصال ، فيساطون الفسك على الأمر الذي يتوجهون إليه ، يأخذون فيه بالظن والتخمين بناء على ما يتوهمونه من مبادئ ذلك الاتصال والإدراك ويدعون بذلك معرفة الغيب وليس منه على الحقيقة ، هذا تحصيل هذه الأمور . قال : وقد تكلم عليها المسعودي في مروج الذهب فما صادف تحقيقاً ولا إصابة ، ويظهر من كلام الرجل أنه كان بعيداً عن الرسوخ في المعارف فينتقل ما سمع من أهله ومن غير أهله ثم ذكر ما للعرب في ذلك من الاعتناء والاعتبار ، والمشاهير منهم في معرفة هذه الأمور ، وحقيقة ما يصدر من المتصوفة مما يطول ذكره . ومن علومهم :

## علم الطب

كان للعرب حظ وافر من معرفة الطب المبني في غالب الأمر على تجربة قاصرة على بعض الأشخاص متوارثاً عن مشايخ الحى وعجائزه ، وربما يصح منه البعض إلا أنه ليس على قانون طبيعى ، ولا على موافقة المزاج بعقاقير<sup>(١)</sup> وأدوية من نباتات وأغذية يحصل لغالبهم البرء العاجل باستعمالها ؛ وفي عرب البوادي اليوم كثير من ذلك ، وقد سمعنا عنهم في هذا الباب عجائب نقلها من شاهدها منهم من الثقات ، وكذلك في معالجة الجروح والعايات ، وقسم منهم يعالجون أدواءهم بالسكى فيحصل لهم البرء مما يشكون بأقل زمان وأيسر وقت ؛ وكذلك لهم العلم التام في معالجة الدواب من الخيل والبغال والخيول والإبل ونحو ذلك ، ومعرفة تربيتها على أحسن وجه مما لا يبلغهم به غيرهم ، كل ذلك مشهور عنهم مسلم لهم ، وقد دون المتقدمون كل ما بلغهم عنهم من هذه الفنون بكتب كثيرة . وقد كان في الجاهلية من العرب أطباء موسومون بالحداقة ، موصوفون بالرئاسة في الفن ، غير من كان منهم في اليمن وعند التبابعة ، فإن هؤلاء لا يمكن حصرهم ، وشأن لقمان وما بلغه من الحداقة أمر مشهور ؛ وكلامنا فيمن كان قبيل الإسلام بين مضر ومن جاورهم ؛ ونحن نذكر إن شاء الله نبذة منهم ، ومن أخبارهم ، وجملاً من كلامهم في هذا الفن ، مما يكون أنموذجاً ودليلاً واضحاً ، على من تردد في ذلك واستبعد ، وفضل الله تعالى ليس مقصوداً على أحد .

---

(١) قال الجوهري : العقاقير أصول الأدوية . وقال صاحب اللسان : ما يتداوى به من النبات والشجر . وقال الأزهري : الأدوية التي يستشفى بها . قال أبو الهيثم : العقار والعقاقير كل نبت ينبت مما فيه شفاء .

## مشاهير أطباء العرب

منهم :

### الحارث بن كلدة الثقفي

قال ابن أصيبعة في كتابه عيون الأنباء ، في طبقات الأطباء : كان الحارث هذا من الطائف ، وسافر إلى البلاد ، وتعلم الطب وعرف الداء والدواء ، وكان يضرب بالعود ، تعلم ذلك بفارس واليمن ، وبقي أيام رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وأيام أبي بكر وعمر وعثمان وعلى بن أبي طالب ومعاوية ، وقال له معاوية : ما الطب يا حارث ؟ فقال الأزم . يعني الجوع ذكر ذلك ابن جليجل . وقال الجوهري في الصحاح : الأزم المسك يقال أزم الرجل عن الشيء أمسك عنه ، وقال أبو زيد : الأزم الذي ضم شفتيه في الحديث ، وقد سأل عمر رضي الله تعالى عنه الحارث بن كلدة عن الداء ، فقال : الأزم يعني الحمية . قال : وكان طبيب العرب ، ويروى عن سعد بن أبي وقاص رضي الله تعالى عنه أنه مرض بمكة مرضاً فعاده رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال : ادعوا له الحارث بن كلدة فإنه رجل يتطبيب ، فلما عاده الحارث نظر إليه وقال : ليس عليه بأس اتخذوا له فريقة <sup>(١)</sup> بشيء من تمر عجوة <sup>(٢)</sup> وحلبة يطبخان ، فتحسأها <sup>(٣)</sup> فبرئ ؛ وكانت للحارث معالجات كثيرة ، ومعرفة بما كانت العرب تعتاده وتحتاج إليه من المداواة ؛ وله كلام مستحسن فيما يتعلق بالطب وغيره .

من ذلك أنه لما وفد على كسرى أنو شروان أذن له بالدخول عليه ، فلما وقف بين يديه منتصباً قال له : من أنت ؟ قال : أنا الحارث بن كلدة الثقفي .

---

(١) تمر يطبخ بحلبة للنفساء أو حلبة تطبخ من الحبوب لها . (٢) العجوة بالحجاز التمر المخشى وهي أم التمر الذي اليه المرجع كالشهيرز بالبصرة والتبى بالبحرين والجدامى باليمامة وأيضاً تمر بالمدينة يقال هو مما غرسه النبي (ص) بيده قال ابن الأثير : هي أكبر من الصيحاني يضرب الى السواد (٣) أي شربها شيئاً بعد شيء

قال : فما صناعتك ؟ قال : الطب . قال : أعرابي أنت ؟ قال : نعم من صميمها ،  
وُجُوحاً<sup>(١)</sup> دارها ، قال : فما تصنع العرب بطبيب مع جهلها ، وضعف عقولها ،  
وسوء أغذيتها ؟ قال : أيها الملك إذا كانت هذه صفتها كانت أحوج إلى من  
يصلح جهلها ، ويقيم عوجها ، وبسوس أبدانها ، ويعدل أمشاجها<sup>(٢)</sup> ، فإن العاقل  
يعرف ذلك من نفسه ! قال كسرى : فسكيف تعرف ما تورده عليها ولو عرفت  
الحلم لم تنسب إلى الجهل ؟ قال : الطفل يثاغى<sup>(٣)</sup> فيداوى ، والحية ترقى فتحاوى<sup>(٤)</sup> ،  
ثم قال : أيها الملك العقل من قسم الله تعالى قسمه بين عباده كقسمة الرزق فيهم  
فكل من قسمته أصاب ، وخص بها قوم وزاد ، فمنهم مثر ومعدم ، وجاهل وعالم ،  
وعاجز وحازم ، وذلك تقدير العزيز العليم ! فأعجب كسرى من كلامه ثم قال :  
فا الذى تَحَمَّدُ من أخلاقها ، ويعجبك من مذاهبها وسجاياها ؟ قال الحرث :  
أيها الملك لها أنفس سخية ، وقلوب جرية ، ولغة فصيحة ، وألسن بليغة ،  
وأنساب صحيحة ، وأحساب شريفة ، يمرق<sup>(٥)</sup> من أفواههم الكلام ، مروق السهم  
من نبعة الرّام ، أعذب من هواء الربيع ، وألين من سلسبيل المعين<sup>(٦)</sup> مُطعمو  
الطعام فى الجذب<sup>(٧)</sup> ، وضاربو الهام فى الحرب ، لا يرام عزّهم ، ولا يُضام جارهم ،  
ولا يستباح حريمهم ، ولا يذل كريمهم ، ولا يقرون بفضل للأنام ، إلا للملك  
الهام ، الذى لا يقاس به أحد . ولا يوازيه سوقة<sup>(٨)</sup> ولا ملك !

قال فاستوى كسرى جالسا ، وجرى ماء رياضة الحلم فى وجهه لما سمع من محكم  
كلامه ، وقال جلسائه : إني وجدته راجحاً ، ولقومه مادحاً ، وبفضيلتهم ناطقاً ،  
وبما يورده من لفظه صادقاً ، وكذا العاقل من أحكامه التجارب ! ثم أمره بالجلوس  
فجلس ، فقال :

(١) وسط (٢) الامشاج : الاخلاط . قال تعالى : انا خلقنا الانسان من  
نطفة امشاج نبتليه . قال ابن السكت : يريد النطفة لانها ممتزجة من أنواع  
ولذلك يولد الانسان ذا طبائع مختلفة (٣) أى يكلم بما يحذله . (٤) التحوية :  
القبض (٥) يخرج (٦) السلسبيل : اللين الذى لا خشونة فيه . والمعين : الماء  
الجارى (٧) القحط . (٨) السوقة عند العرب خلاف الملك وليس المراد من قولهم  
( رحل سوقة ) أنه من أهل الأسواق كما يتوهم عامة الكتاب والأدباء

كيف بصرك بالطب ؟ قال : ناهيك ! قال : فما أصل الطب ؟ قال : الأزم ، قال : فما الأزم ؟ قال : ضبط الشفتين ، والرفق باليدين ، قال : أصبت ، فما الداء الدوى ؟ قال : إدخال الطعام على الطعام هو الذى يفنى البرية ، ويهلك السباع فى جوف البرية ، قال فما الجرة التى تصطم منها الأدوية ؟ قال : هى التخممة إن بقيت فى الجوف قتلت ، وإن تحللت أسقمت ، قال : صدقت ، فما تقول فى الحجامة ؟ قال فى نقصان الهلال ، فى يوم صحو لا غيم فيه ، والنفس طيبة ، والعروق ساكنة ، لسرور يفاجؤك وهم يباعدك ، قال : فما تقول فى دخول الحمام ؟ قال : لاتدخله شعباناً ، ولا تغش أهلك سكراناً ، ولا تقم بالليل عرياناً ، ولا تقعد على الطعام غضباناً ، وارفق بنفسك يكن أرخى لبالك ، وقلل من طعامك يكن أهنأ لنومك ، قال : فما تقول فى الدواء ؟ قال ما لزمك الصحة فاجتنبه ، فإن هاج داء فاحسمه بما يردعه قبل استحكامه ، فإن البدن بمنزلة الأرض إن أصلحتها عمرت ، وإن تركتها خربت ، قال فما تقول فى الشراب ؟ قال : أطيبه أهنأ ، وأرقه أمراء ، وأعذبه أشبهاء ، لاتشربه صرفاً فيورثك صداعاً ، ويشير عليك من الأدوية أنواعاً ، قال : فأى اللخمان أفضل ؟ قال : الضأن الفقى ، والتقديد المالح مهلك للآكل ، واجتنب لحم الجزور والبقر ، قال : فما تقول فى الفواكه ؟ قال : كلها فى إقبالها وحين أوانها ، واتركها إذا أدبرت بولت وانقضى زمانها ، وأفضل الفواكه الرمان والأترج ، وأفضل الرياحين الورود والبنفسج ، وأفضل البقول الهندباء والخس ، قال : فما تقول فى شرب الماء ؟ قال هو حياة البدن ، وبه قوامه ينفع ما شرب منه بقدر الحاجة ، وشربه بعد النوم ضرر أفضله أسراه ، وأرقه أصفاه ، ومن عظام أنهار<sup>(١)</sup> البارد الزلال لم يختلط بماء الآجام والآكام<sup>(٢)</sup> ينزل من صradح<sup>(٣)</sup> المسطان ويتسلسل عن الرضراض<sup>(٤)</sup> ، وعظام الحصى فى الأيفاع<sup>(٥)</sup> قال : فما طعمه ؟ قال : لا يؤم له طعم إلا أنه مشتق من الحياة ،

(١) كذا (٢) الآجام : الحصون . والآكام : التلول (٣) الصradح : جمع صradح وهو المكان المستوى (٤) الحصى (٥) جمع يقع وهو المحل المرتفع

قال : فما لونه قال ، اشتبه عن الأبصار لونه ، لأنه يحكى لون كل شيء يكون فيه ،  
قال : أخبرنى عن أصل الإنسان ما هو : قال : أصله من حيث شرب الماء يعنى رأسه ،  
قال : فما هذا النور الذى فى العينين : قال : مركب من ثلاثة أشياء : فالبياض  
شحم ، والسواد ماء ، والناظر ريح : قال فعلى كم جبل وطبع هذا البدن ؟ قال : على  
أربع طبائع : المرة السوداء وهى باردة يابسة ، والمرة الصفراء وهى حارة يابسة  
والدم وهو حار رطب ، والبلغم وهو بارد رطب ؛ قال : فلم لم يكن من طبع واحد ؟  
قال : لو خلق من طبع واحد لم يأكل ولم يشرب ولم يمرض ولم يهلك ! قال : فمن  
طبيعتين لو كان اقتصر عليهما ؟ قال : لم يجز لأنهما ضدان يقتتلان ! قال : فمن  
ثلاث ؟ قال : لم يصلح موافقان ومخالف ! فالأربع هو الاعتدال والقيام ، قال :  
فأجمل لى الحار والبارد فى أحرف جامعة ؟ قال : كل حار حار وكل حامض بارد وكل  
حريف حار وكل مرّ معتدل وفى المرّ حار وبارد ، قال : فأفضل ما عولج به المرة  
الصفراء ؟ قال : كل بارد لين ، قال : فالمرة السوداء ؟ قال : كل حار لين ، قال :  
فالبلغم : قال : كل حار يابس ، قال : فالدم ؟ قال : إخراجه إذا زاد ، وتطفئته إذا  
سخن بالأشياء الباردة اليابسة ، قال : فالرياح ؟ قال بالحقن اللينة ، والأدهان الحارة  
اللينة : قال : أفتأمر بالحقنة ؟ قال : نعم ! قرأت فى بعض كتب الحكماء أن الحقنة  
تنقى الجوف ، وتكسح الأدواء عنه ، والعجب لمن احتقن كيف يهرم أو يعدم  
الولد ! وإن الجهل كل الجهل من أكل ما قد عرف مضرته ، ويؤثر شهوته على  
راحة بدنه ، قال : فما الحُمِيَّةُ ؟ قال : الاقتصاد فى كل شيء ، فإن الأكل فوق  
المقدار يضيق على الروح ساحتها ، ويسدّ مسامها ، قال : فما تقول فى النساء  
وإتيانهن ؟ قال : كثرة غشيانهن ردىء ، وإياك وإتيان المرأة المسنة ، فإنها  
كالشن<sup>(١)</sup> البالى تجذب قوتك ، وتسقم بدنك ، ماؤها سم قاتل ، ونفسها  
موت عاجل ، تأخذ منك الكلّ ، ولا تعطيك البعض ، والشابة ماؤها عذب

(١) القرية الخلق الصغيرة

زلال ، وعناقها غُنْج ودلال ، فوها بارد ، وريقها عذب ، وريحها طيب ، وَهَنَهَا<sup>(١)</sup> ضيق ، تزيدك قوة إلى قوتك ، ونشاطاً إلى نشاطك ، قال : فأيهن القلب إليها أميل ، والعين برؤيتها أسر ، قال إذا أصبتها المديدة القائمة ، العظيمة الهامة<sup>(٢)</sup> واسعة الجبين ، قنواء العرنين<sup>(٣)</sup> ، كحلاء<sup>(٤)</sup> لعساء<sup>(٥)</sup> صافية الخلد ، عريضة الصدر ، مليحة النحر<sup>(٦)</sup> في خدوها رقة ، وفي شففتها لعس ، مقرونة الحاجبين ناهدة الثديين ، لطيفة الخصر<sup>(٧)</sup> والقدمين ، بيضاء ، فرعاء<sup>(٨)</sup> جمعدة<sup>(٩)</sup> غضة بضة<sup>(١٠)</sup> تخالها في الظلمة بداراً زاهراً ، تبسم عن أقحوان<sup>(١١)</sup> وعن مبسم كالأرجوان<sup>(١٢)</sup> كأنها بيضة مكنونة ، ألين من الزبد ، وأحلى من الشهد ، وأنزه من الفردوس والخلد ، وأزكى ربحاً من الياسمين والورد ، تفرح بقربها ، وتسرك الخلوة معها قال : فاستضحك كسرى حتى اختلجت<sup>(١٣)</sup> كنفاه ! قال : ففى أى الأوقات إتيانهم أفضل ؟ قال : عند إدبار الليل يكون الجوف أخلى ، والنفس أهدأ ، والقلب أشهى ، والرحم أدفى ، فإن أردت الاستمتاع بها نهائراً تسرح عينك في جمال وجهها ، ويحتنى فوك من ثمرات حسنها ، ويعى سمعك من حلاوة لفظها ، وتسكن الجوارح كلها إليها ! قال كسرى : لله درك من أعرابى ! لقد أعطيت علماً ، وخصصت فطنة وفهما ! وأحسن صلته وأمر بتدوين ما نطق به .

وقال ( الواثق بالله ) فى كتابه المسمى ( بالبستان ) إن الحرث بن كلدة مر بقوم وهم فى الشمس ، فقال : عليكم بالظل فإن الشمس تنهج الثوب<sup>(١٤)</sup> وتنقل الريح وتشعب<sup>(١٥)</sup> اللون ، وتهيج الداء الدفين ، ومن كلام الحرث : البطنة بيت الداء

(١) فرجها (٢) الرأس (٣) قنواء : بينة القنا وهو ارتفاع أعلى الأنف واحديداب وسطه وسبوغ طرفه . والعرنين : الأنف كله أو ماصلب من عظمه . (٤) شديده سواد العين أو التى كأنها مكحولة وان لم تكحل (٥) فى شففتها ولتنها سواد (٦) أعلى الصدر أو موضع القلادة (٧) بفتح فسكون وسط الانسان (٨) تامة الشعر ومن سجعات الاساس : لابد للقرعاء ، من حسد للقرعاء . (٩) أى غير سبطة الشعر (١٠) ناعمة رخصة الجسد رقيقة الجلد ممثلة (١١) نبت من نبات الربيع مقرض الورق رقيق العيدان له نور أبيض كأنه ثغر جارية حديثه السن (١٢) صبغ أحمر (١٣) اضطربت وتحركت (١٤) أى تخلقه . (١٥) تغير



والحمية رأس الدواء ، وعودوا كل بدن ما اعتاد . وقيل : هو من كلام عبد الملك ابن أبجر ، وقد نسب قوم هذا الكلام إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأوله ( المعدة بيت الداء ) وهو أبلغ من لفظ البطنة . وروى عن أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب كرم الله تعالى وجهه أنه قال : من أراد البقاء ، ولا بقاء ، فليجود الغذاء ، وليتمش بعد العشاء ، ولا يبيت حتى يعرض نفسه على الخلاء ، ودخول الحمام على البطنة من شر الداء ، ودخلة إلى الحمام في الصيف خير من عشر في الشتاء ، وأكل القديد اليابس في الليل معين على الفناء ، ومجاعة العجوز تهدم أعمار الأحياء . وروى بعض هذه الكلمات عن الحرث بن كلدة وفيها : من سره النساء ولا نساء ، فليكر العشاء ، وليباكر الغذاء ، وليخفف الرداء ، وليقل غشيان النساء . ومعنى ( فليكر ) فليؤخر . والمراد بالرداء الدين ، وسمى الدين رداء لقولهم هو في عنقي وفي ذمتي فلما كانت العنق موضع الرداء سمي الدين رداء . وقد روى من طريق آخر وفيه ( تعجيل العشاء ) وهو أصح . وروى أبو عوانة : وليعجل العشاء وليخفف الرداء وليقل الجماع . وروى حرب بن محمد قال : حدثنا أبي قال قال الحرث بن كلدة : أربعة أشياء تهدم البدن : الغشيان على البطنة ، ودخول الحمام على الامتلاء ، وأكل القديد ، ومجاعة العجوز . وروى داود بن رشيد عن عمرو بن عوف قال : لما احتضر الحرث بن كلدة اجتمع إليه الناس فقالوا : مرنا بأمر ننتهي إليه من بعدك ، قال : لا تنزوجوا من النساء إلا شابة ولا تأكلوا الفاكهة إلا في أوان نضجها ، ولا يتعالجن أحد منكم ما احتمل بدنه الداء ؛ وعليكم بالنورة في كل شهر فإنها مذيبة للبلغم مهلكة للمرة منبثة للحم ؛ وإذا تغدى أحدكم فليبتنم على أثر غدائه ، وإذا تعشى فليتخط أربعين خطوة . ومن كلام الحرث أيضاً قال : دافع بالدواء ما وجدت مدفعاً ، ولا تشربه إلا من ضرورة ، فإنه لا يصلح شيئاً إلا أفسد مثله . وقال سليمان بن جلجل : أخبرنا الحسن بن الحسين ، قال : أخبرنا سعيد بن الأموى قال : أخبرنا عمي محمد بن سعيد بن عبد الملك بن عمير ،

قال : كان أخوان من ثقيف من بني كُنتَة يتحابان لم ير قط أحسن ألفَةً منهما ، فخرج الأكبر إلى سفر فأوصى الأصغر بأسرته ، فوقعت عينه عليها يوماً غير متعمد لذلك ، فهاها وضَيَّ<sup>(١)</sup> ، وقدم أخوه فجاءه بالأطباء ، فلم يعرفوا ما به إلى أن جاءه بالحرث بن كلدة ، فقال : أرى عينين محتجبتين وما أدري ما هذا الوجع ، وسأجرب ، فاسقوه نبيذاً ، فلما عمل النبيذ فيه قال :

ألا رفقا ألا رفقا قليلاً ما أكوننه  
ألياً بي على الأبيات بالخيف أزرهنة<sup>(٢)</sup>  
غزالاً ما رأيت إلا سيوم في دور بني كُنتَة  
أسيل الخلد مريبوب وفي منطقة غنة<sup>(٣)</sup>

فقالوا له : أنت أطب العرب ! ثم قال : ردوا النبيذ عليه فلما عمل فيه قال :

أيها الجيرة أسلموا وقفوا كئي تكلموا  
وتقضوا لبانةً وتحبوا وتنعموا<sup>(٤)</sup>  
خرجت مُزنة من البحر رياءً تجمجم<sup>(٥)</sup>  
هي ما كنتي وتر عمُ أئي لها نحو<sup>(٦)</sup>

فطلعتها أخوه . ثم قال : تزوج بها يا أخي ! فقال : والله ما تزوجتها ! فمات وما تزوجها . وللحرث بن كلدة النقي من الكتب ( كتاب المحاوراة ) في الطب بينه وبين كسرى أنوشروان . ومنهم :

(١) أي مرض مرضاً مخامراً كلما ظن برؤده نكس .  
(٢) الالمام : الزيارة غبا وقد ألم به والم عليه . والخيف : الناحية وما انحدر من غلظ الجبل وارتفع عن مسيل الماء . وهو اسم لمواضع كثيرة . (٣) الأسيل من الخدود الطويل اللين الخلق المسترسل . ورب الصبي : أحسن القيام عليه ووليه حتى فارق الطفولية . وهو مريبوب وريب . والفنة : صوت يخرج من الخيشوم والأغن الذي يتكلم من قبل خياشيمه (٤) اللبانة بالضم الحاجة (٥) قال المجد : الجمجمة أن لا يبين كلامه كالتجمجم . (٦) الكنة : بالفتح امرأه الأخ أو الابن والمراد هنا الأول . وحموا المرأة : أبو زوجها ومن كان من قبله كالأخ وغيره ، وحمو الرجل أبو امرأته أو أخوها أو عمها . أو الاحماء من قبلها خاصة وحمو من الاسماء التي لا تكون الا مضافة وقد جاء في هذا الشعر مفرداً

### النضر بن الحرث بن كلمة النقي

كان النضر ابن خالة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ، وكان قد سافر البلاد أيضاً كآبيه ، واجتمع مع الأفاضل والعلماء بمكة وغيرها ، وعاشر الأحرار والكهنة واشتغل وحصل من العلوم القديمة أشياء جليلة القدر ، واطلع على علوم الفلاسفة وأجزاء الحكمة ، وتعلم من آبيه أيضاً ما كان يعلمه من الطب وغيره ، وكان النضر يواتي<sup>(١)</sup> أبا سفيان في عداوة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لسكونه كان ثقيفاً كما قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم « قريش والأنصار حليفان ، وبنو أمية وثقيف حليفان » وكان النضر كثيراً لأذى والحسد للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم ، ويتكلم فيه بأشياء كثيرة كما يحط من قدره عند أهل مكة ، ويبطل ما أتى به بزعمه ، ولم يعلم بشقاوته أن النبوة أعظم ، والسعادة أقدر ، والعناية الآلهية أجل ، والأمور المقدرة أثبت ، وإنما النضر اعتقد أنه بمعلوماته وفصائله وحكمته يقاوم النبوة ، وأين الثرى من الثريا ؟ والحضيض من الأوج ؟ والشقي من السعيد ؟

ولما كان يوم بدر والتقى فيه المسلمون ومشركو قريش كان المقدم على المشركين أبي سفيان ، وعدتهم ما بين التسعمائة والألف ، والمسلمون يومئذ ثلاثمائة وثلاثة عشر ، وأيد الله تعالى الإسلام ، ونصر نبيه عليه الصلاة والسلام ، ووقعت الكسرة على المشركين ، وقتلت في جملتهم صناديد قريش ، وأسرى جماعة من المشركين ، فبعضهم استفسكوا أنفسهم ، وبعضهم أمر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بقتلهم . وكان من جملة المأسورين عقبة بن أبي معيط ، والنضر بن الحرث ابن كعدة ، فقتلها عليه الصلاة والسلام بعد منصرفه من بدر . قيل : قتل عقبة ابن أبي معيط صبراً ، أمر عاصم ابن ثابت بن أبي الأفلح الأنصاري فضرب عنقه ، ثم أقبل من بدر حتى إذا كان بالصفراء قتل النضر بن الحرث بن كعدة

---

(١) يوافق

الثقفي أحد بنى عبد الدار ، أمر على بن أبي طالب رضى الله تعالى عنه أن يضرب عنقه ، فقالت أخته قتيلة بنت الحرث .

أيا راكباً إن الأثيلَ مظنةً من أصبح خامسة وأنت موقوف<sup>(١)</sup>  
 ببلغ به ميمساً فإن تحيةً ما إن تزالُ بها الركائبُ تخفقُ  
 منى إليه ، وعبرةً مسفوحةً جادت لما نحاها وأخرى تخفق<sup>(٢)</sup>  
 فليسمعن النضرُ إن ناديةً إن كان يسمع ميمت أو ينطق<sup>(٣)</sup>  
 ظلت سيوفُ بنى أبيه تنوشهُ لله أرحامُ هناك تمزق<sup>(٤)</sup>  
 صبراً يقاد إلى المفية متعباً رسف المقيد وهو عانٍ موقوف<sup>(٥)</sup>  
 أمحمد ولأنت نسلُ نجبيةٍ في قومها والفحلُ خلٌّ مغرق<sup>(٦)</sup>  
 ما كان ضرك لو مننت وربما من الفتى وهو المغيظ المحنق<sup>(٧)</sup>  
 والنضرُ أقرب من أخذت بزلةٍ وأحقهم إن كان عتق يعق  
 لو كنت قابلَ فديةٍ لفديته بأعز ما يفدى به من ينفق

قال أبو الفرج الأصبهاني . فبلغنا أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال « لو سمعت هذا قبل أن أقتله ما قتلتنه » فيقال إن شعرها أكرم شعر وأعفه ، وأكفه وأحلمه ، وكأنه عليه الصلاة والسلام إنما أخر قتل النضر بن الحرث إلى أن وصل الصفراء ليتروى فيه ، ثم إنه رأى الصواب قتله فقتله . ومنهم .

(١) الأثيل : موضع فيه قبر النضر . والمظنة : موضع الظن . تريد أن الأثيل مظنة أن تصل إليه في صباح الليلة الخامسة أن وفقت إلى الطريق ولم تحد عنه . (٢) ان بعد « ما » زائدة ، وتخفق : تتحرك . ومسفوحة : مصبوبة . والمائع : النازل في البئر ليملا الدلو . ومعنى البيتين : إذا وصلت هذا المكان فبلغ ساكنه تحية لاتزال الركائب تتحرك بها منى إليه ، وبلغه عبرة مصبوبة استنزفها من العين ففقدته وأخرى أخذت بالخلق . (٣) تقول : إن كان الميت يسمع أو ينطق وهو محال فعلى النضر أن يسمع نداءك (٤) تنوشه : تتناولوه . واللام في (الله) التعجب . والمعنى لم يقتله أحد غير بنى أبيه فعجباً من أرحام تنقطع هناك (٥) المنية : الموت . ورسف المقيد : مشى المقيد إذا جاء يتحامل برجله مع القيد . (٦) النجبية : الكريمة . والمغرق : من له عرق في الكرم . ويروى « ضنء » موضع « نسل » وهو الولد . (٧) الحنق : الغيظ أو أشده - ومعنى هذه الأبيات ظاهر .

(١)  
ابن حذيم

كان ابن حذيم له قدم راسخة في علم الطب . وله فيه أطول باع . قال الزمخشري في المستقصى : ابن حذيم رجل كان من أطباء العرب . وقال أبو الندى : ابن حذيم رجل من تيم الرباب ، كان أطب العرب . وكان أطب من الحرث بن كلدة . وقال ابن الأثير في المرصع : ابن حذيم شاعر في قديم الدهر يقال إنه كان طبيباً حاذقاً يضرب به المثل في الطب . فيقال : أطب في السكى من ابن حذيم . وقال الميداني عند قولهم : أطب من حذيم : هذا رجل كان معروفاً بالحدق في الطب . ونقل ما ذكره أبو الندى من تفضيله على ابن كلدة وتقدمه . وأهل اللغة على ذلك ؛ وقد ذكره الشعراء في شعرهم ونوهوا بشأنه . ومنهم . الأوس بن حجر فإنه ذكره في أبيات قالها لبني الحرث بن سدوس بن شيبان . وهم أهل ( القرية ) بالجمامة حيث اقتسموا معزاه وقيل اقتسمها بنو حنيفة و بنو سحيم . وكان أوس بن حجر أغرى عليهم عمرو بن المنذر بن ماء السماء ، ثم جاور فيهم فاقتسموا معزاه . ومن الأبيات قوله :  
فهل لكم فيها إلى فإني طبيبٌ بما أعيى النطاسي حذيماً<sup>(٢)</sup>

---

(١) سماه جرجي زيدان في تاريخ آداب اللغة العربية ( ج ١ ص ١٧٧ ) : حذيم بالزاي وهو خطأ فاضح ولولا أنه كرره لكننا نحمله على أنه خطأ مطبعي !  
(٢) أورده المحقق الرضى في شرح الكافية على أن فيه حذف مضاف أى ابن حذيم فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه لأنه علم أنه العالم بالطب والمشهور لاحذيم فانه ورد في الأمثال « أطب من ابن حذيم » . . . قال العلامة البغدادى في الخزائن : وأورد صاحب الكشف هذا البيت عند قوله تعالى « شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن » على أن التسمية واقعة على المضاف والمضاف إليه جميعاً وأما ما برد من نحو قوله عليه الصلاة والسلام « من صام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه » فهو من باب الحذف لا من الالباس كما حذف الشاعر « ابن » من ابن حذيم . قال : وقد خالف كلامه هنا في ( الفصل ) فانه قال اذا أمنوا الالباس حذفوا المضاف وقد جاء اللبس في الشعر . قال ذو الرمة :

عشية فر الحارثيون بعد ما قضى نحيبه في ملتقى القوم هوبز  
وقال « بما أعيى النطاسى حذيماً » أى ابن هوبز وابن حذيم . وهو في قوله هذا تابع لأبى على في إيضاح الشعر — الى أن قال — وقد قال يعقوب ابن ( ٢٢ — ثالث )

فأخرجكم من ثوب شمطاء عارك مشهرة بأت أسافله دما  
ولو كان جار منكم في عشيرتي إذا كراؤا للجار حقا ومحرم  
ولو كان حولي من تميم عصابة لما كان مالي فيكم متقسما  
ألا تتقون الله إذ تعلقونها رصيخ النوى والعرض حولاً مجرماً  
وأعجبكم فيها أغر مشهر تلاد إذا نام الربيض تغمفاً  
قوله: فهل لكم فيها إلخ قال المفضل بن سلمة في الفاخر وابن الأنباري  
في الزاهر: الطب الفطنة والحدق ومنه سمي الطبيب لعمه وحذقه وأنشد هذا البيت،  
وأعياه الشيء إذا لم يهتد لوجهه، والطناسى بكسر النون قال ابن السكيت: العالم  
الشديد النظر في الأمور. قال أبو عبيد: ويروى النطاسى بفتح النون.  
قال الجوهري: التنطس المبالغة في التطهر. وكل من أدق النظر في الأمور، واستقصى  
علمها فهو متنطس، ومنه قيل للمتطهب نطيس كفسيق ونطاسى بكسر النون  
وفتحها. أي أننى طبيب حاذق بالداء الذى أعجز الأطباء في مداواته وعلاجه،  
وضمير فيها للمعزى، وفيه حذف مضاف أى فهل لكم ميل فى رد المعزى  
إلى. وقوله: فهل لكم فى ثوب شمطاء<sup>(١)</sup> إلخ. الشمطاء المرأة التى فى رأسها  
شمط بالتحريك، وهو بياض شعر الرأس يخالطه سواد والرجل أشمط. والعارك.  
الحائض، والشهرة: وضوح الأمر. يقول: هل لكم فى رد معزى فأخرجكم من  
سبة شعاء تلتخ أعراضكم وتدنسها كما تدنس الحائض ثوبها بالدم فأغسله عنكم،  
وهذا مثل ضربه. وقوله: ألا تتقون الله إلخ. يقول: لولا أنك سرقتها لأى

السكيت فى شرح هذا البيت من ديوان أوس بن حجر: حذيم رجل من تميم  
الرياب وكان متطببا عالما. هذا كلامه فعنده أن الطبيب هو حذيم لا ابن  
حذيم. وتبعه على هذا صاحب القاموس فلا حذف فيه ولا شاهد على  
ما ذكر.. وقوله «طبيب» روى ابن السكيت بدله «بصير» والبصير  
العالم، والنطاسى مفعول أعياء وحذيم بدل من النطاسى وفاعل أعياء ضمير  
ما الموصولة الواقعة على الداء. أي أننى طبيب حاذق بالداء الذى أعجز  
الأطباء فى مداواته وعلاجه. (١) قوله «شمطاء» ورد فى كتاب تهذيب  
الألفاظ ص ٥٤١ طبعة اليسوعيين — «شحطاء» وهو تحريف فاحذره!

شئ تعلقها يقول فردها ولا تعلقها . والرضيخ : بالضاد والخاء المعجمتين المدقوق ، يقال رضخت الحصى والنوى كسرتة . والعُضّ بضم العين المهملة وتشديد الضاد المعجمة . قال ابن السكيت : هو القت . وقال الجوهري : علف أهل الأمصار مثل الكسب والنوى المروض ، والمجرم بالجيم على وزن اسم المفعول التام والكامل . وقوله : وأعجبكم فيها أغر الخ . قال ابن السكيت : الأغر الأبيض ، والتلاد : القديم من المال . والرييض : ههنا الغنم . وقوله : تغمنا يعني هذا الأغر ، والغنمة : هبابه أى لا ينام وإنما يعرض بهم ويفترى عليهم ، وقد ذكر ابن أصيبعة كثيراً من أطباء العرب في كتابه الطبقات .

#### نبذة من أسماء العلل التي وصفها العرب

من تصفح كتب اللغة وجد فيها كثيراً من العلل التي وصفها قدماء العرب ووضعوها لها الأسماء الكثيرة ، ونحن نذكر هنا نبذة يسيرة من ذلك استدلالاً بها على ما كان للقوم من المعرفة بهذا الفن « الحمى » وتسكنى بأَمٍ مِلْدَم ، وهى الحرارة التي توجد من تعفن الأخلاط ، تقول حم حمى واحدة ، فلا تنون حمى ، وهو محموم وحم حمين وثلاثاً . والحمى أنواع كثيرة يقال : فلان يُحْمُ الغِبُّ إذا أخذته يوماً وتركته يوماً ، والربع أن تأخذه يوماً وتدعه يومين يقال رُبْعَ فهو مربوع وقد يقال أرْبَعَ حَوْلَ إلى الربع ، ومنهم من قال : حمى الربع هى التي تقع النوبة الثانية بعد النوبة الأولى بيومين فتسكون في اليوم الرابع ، ومن عدَّ النوبة ويوم الراحة دوراً مستقلاً سماها المثلثة ؛ ويحم الصالب التي معها الصداع ؛ والنافض والراجف التي معها رعدة وقد نفّضته الحمى . ويحم حمى مغبطة ومردمة أى دائمة عليه لا تقلع ؛ وتسمى الحمى المطبقة أيضاً ؛ ومن أنواعها حمى الروح وحمى الدق « السبات » أن يغشى عليه فى الحمى وهو مغشى عليه ومغشى عليه ؛ فإن كان مع الحمى يرسام فهو مؤوم ؛ والوَعَك : الحمى . وقد وُعِكَ

فهو موعوك ، وورد فهو مورود ، والورْد يومها . والقِلْد يوم يأتيه الرِّبْعُ وقد غبت الحمى ، وفلان شاكٍ وبه شكاة ، وموصَّم يجد تسكيراً في عظامه ، ووصب : وجع ؛ ومنهوك : براه المرض ، ومُثَبَّت : لا يبرح الفراش ، ونصب أسهره المرض ، والمُسْتَهْض : الذى يُنكس بعد ما يبرأ ، وأول ما يحس بالحمى فهو مسَّها ورَّسها ، فإن كانت هناك قِرَّة فهي العرَّواء ، والعرق فيها الرُّخضاء ، ووجد رمضة ومليلة للحرقة والتسكير .

ومن العلال : اليرقان وهو داء يصفر الإنسان « والصداع » وجع الرأس و « الشقيقة » وجع في شقه « والسعال » وجع في الصدر « والزكام » وهو اندفاع فضلات تحلبا من الزائدتين فهو أخص من النزلة لكونها تقال على ما اندفع مطلقاً « الزَّحِير » وهو من أمراض المعى وهو حركة من المستقيم تدعو إلى دفع البراز اضطراراً « الحَصْر » احتباس البطن « الأُسْر » احتباس البول « الحصى » يقال به حصاة وهي كالحجر في مجرى البول « الحكة » تغير سطح الجلد في اللمس مع لدغ مستلذ إذا حك . ومنهم من لم يفرق بينها وبين الجرب « الحَصَف » بثور شوكة مختلفة الأوضاع « الحَصْبَة » داء كالجُدْرِي يحمر منه الجلد « الحمرة » ورم حار شفاف براق يسهل غمره ويبيض به ثم يعود الجُدْرِي وهو من الأمراض العامة الوبائية وصورته نتوء يستدير غالباً ثم يطفو ومنه ما يتصل وما ينفصل ( الشرى ) بثَرُ بين الجلد واللحم يقال شرى شرى ( الخماق ) شيء كالجُدْرِي يصيب الرجل وحق أصابته الحقيقاء ( القُوباء ) بثرة يتقوّب عنها الجلد أى ينقطع من أصله ( والثُّؤُلُوف ) ما يخرج فوق الجلد ولا يسيراً بسرعة وجمعه نأكِل ( والجرب ) وهو من الأمراض العامة الظاهرة في سطح الجلد ( والعَر )<sup>(١)</sup> الجرب الأبيض « والجذام » داء معلوم وهو من الجذم وهو القطع سمي بذلك لأنه يقطع الأعضاء أو النسل أو العمر ، ويسمى أيضاً داء الأسد لجمعه سخنة

(١) انظر الفرق بين العر بالفتح ، والعر بالضم ، في ( ص ٣٠٥ ) من الجزء الثانى .



الإنسان كسحنة الأسد ، أو لأنه تعتريه ، أو يفترس البدن كافتراسه « وداء الثعلب » وهو نقص الشعر ، أو ذهابه وفساد منابته ، ويسمى أيضاً داء الحية ، وسمى بذلك لأنه يعترى هذين الحيوانين ، أو لأن الثعلب يفسد الزرع بتمرغه كما يفسد هذا الداء الشعر الذى هو زرع البدن . « داء الفيل » هو داء يعترى الرجلين فترمان من الركبة إلى النهاية ، وسمى بذلك لأنه يعترى الفيل ، أو لشبه الرجل فيه برجله « الدُّوَار » وهو أن يتخيل الشخص أنه دائر بحملة أجزائه ، أو أن المسكان دائر عليه « الوباء » وهو تغير يعرض للهواء يخرج به عن اعتدال الصحة إلى إيجاب المرض « الهَيْضَة » وتسمى الفَضْجَة وهى من أدواء البطن وهو ما يستوجب القيء والإسهال . قال الجوهري : يقال هاضنى الشيء إذا ردك فى مرضك ، ويقال بالرجل هَيْضَة أى به قِيَاء وقيام جميعاً « النملة » وهى بثور صغار مع ورم يسير ثم تتقرح فتتسع ، ويسمىها الأطباء الذباب ؛ وتقول الجوس : إن ولد الرجل إذا كان من أخته ثم خط على النملة شفى صاحبها . وقال :

ولا عَيْبَ فينا غيرُ عرقٍ لِمَعَشَرٍ كرايم وأنا لانخطَّ على النمل <sup>(١)</sup>  
والنملة أيضاً عيب من عيوب الخيل وهو شق فى الحافر من الأشعر إلى المقط ، وفرس نمل القوائم إذا كان لا يستقر « الجنون » داء يستوجب زوال العقل ، أو استتاره بحيث ينقص ، أو يعدم التمييز أو الشعور ، وهو إما مطبق

(١) قال ابن السيد : هذا البيت لا أعلم قائله ، وفيه روايتان ، نخط بالخاء معجمة ، ونخط بالخاء غير معجمة ؟ فمن رواه بالخاء معجمة أراد بالنمل القروح التى تخرج فى الجنب . يعرض برجل كان أخواله مجوسا . كذا قال ابن قتيبة فى كتاب المعانى وأنشد :

\* ولا عيب إلا نزع عرق لمعشر \* . ومن روى نخط بالخاء غير معجمة فله معنيان : أحدهما أن يكون الخط الدلك من قولهم حططت الجلد إذا دلكته فيكون معناه كالمعنى فى رواية من رواه بالخاء معجمة . والثانى أن يريد بالنمل الحيوان المعروف ولا يريد القروح فيكون تأويله أنا لانحفر بيوت النمل نستخرج مافيه مهانة وخساسة . فيكون على هذا قد عرض بقوم كانوا يفعلون ذلك . والتفسير الصحيح هو الأول ، وهذا التفسير الثانى ليس بشيء ، وقد أنكره ابن قتيبة انتهى وقال أبو أحمد العسكري أن الخاء المهملة تصحيف من ابن الأعرابى ذكره فى كتاب التصحيف من كتابه . وبقي فى البيت كلام يطلب من الاقتضاب ص ٢٩٠

أو منقطع أما بأدوار معلومة أولاً « البيضة » من أنواع الصَّدَاع وهي ماعم في قول  
أو خصَّ وسط الرأس « الخدر والفالج والإفلاج » وهي متقاربة معلومة « البثور »  
واحدها بثرة وهي عبارة عن تأكل الجلد أو نتوؤه على أوضاع مخصوصة  
« الحَزَاز » من أمراض الرأس الظاهرة وهي خشونة منفصلة تنسلخ قشوراً  
كالنخالة . وقد يطلق هذا الإسم على القوابي « الحدبة » خروج بعض فقرات  
الظهر عن السمات الطبيعي بخلط ونحوه فتبرز « الطرش » وهو نقص السمع  
أو زواله وكذلك الصمم « الطلق » هو تغير المزاج عند إرادة الوضع « الجُشاء »  
وهو من أمراض المعدة عند فساد حالة من حالاتها « الباسور » زيادات غير  
طبيعية جذبتها القوى الضعيفة على غير وجه طبيعي نحو الأغوار الباطنة  
كبطن الأنف والرحم والمقعدة وكثيراً ما يطلق فيراد به باسور المقعدة ويقيد  
غيره « والناصور » عرق يتفتق منه قرح دائم « البهق » وهو داء كالبرص  
ويسمى الأسود منه عند كثير القوابي والحزازة والتعطيش ويسمى الأبيض  
منه الوضع . وفي المبادئ : وبه بهق بياض كالنكتة غير ناصع « والبرص »  
إذا تقشرت جلده ونَصَعَ بياضه فإذا كان هناك وضع كالبرص قيل به  
برش ، وفسر البرص بأنه تغير اللون إلى بياض أو سواد غير طبيعيين « الكلف »  
كدرة تعلق الوجه « والمغس والمغص » وجع في الأمعاء وتقطع « والذُّبَجَة »  
الخناق وهي من تبليغ الدم أي هييجانه وغلبته « الاستسقاء » وهو من أمراض  
الكبد أو الطحال ، وهو اسم لما خبث من الخلط « الإغماء » وهو من  
أمراض الباطن ويكون عاماً وخاصاً ، وحقيقته عجز البدن أو العضو عن فعل  
ما من شأنه فعله ككلالته بواسطة ما انصبَّ إليه « الاختلاج » وهو حركة  
العضو والبدن غير إرادية تكون عن فاعل هو البخار ، ومادى هو الغذاء  
المبخر ، وصورى هو الاجتماع ، وغاذى هو الاندفاع « البَحَر » هو تغير رائحة الفم  
أو البدن بسبب تعفن الخلط « والقَوَاق » هو الذى يأخذ الإنسان عند النزاع ،

وكذلك الريح التي تشخص من صدره « والثوباء » نفس تفتح له فاك مع تمطر  
وفرة « والجشاة » نفس من الصدر على شبع أوري « والقدس » دسعة تخرج من  
الحلق عند الامتلاء . إلى غير ذلك مما يطول استقصاؤه ، وكانوا يعالجون هذه الأدواء  
ونحوها بمقاقير جر بها أو بكى أورية ، وفي كتاب ( زاد المعاد ) و ( الداء والدواء )  
تفصيل ذلك . والمقصود مما نقلناه أن القوم لم يكونوا غافلين عن هذا العلم الجليل غير  
أنهم لم يكونوا متقنين له كل الإتقان ، وذلك شأن كل من لم يتوغل في الحضارة  
وما تقتضيه ؛ وفي مقدمة ابن خلدون كلام مفيد على هذا الموضوع ، والله الموفق  
لما يرضيه . ومن علومهم :

### علم السرافة

وهو معرفة استنباط الماء من الأرض بواسطة بعض الأمارات الدالة على وجوده  
فيعرف بعده وقربه بشم التراب ، أو برائحة بعض النباتات فيه ، أو بحركة حيوان  
مخصوص ، وهو من فروع الفراسة ، وهي موجودة في بعض أعراب نجد ؛ وقد  
أخبرني بعض الثقات أنه شاهد بعض هؤلاء قال : يضع أذنه على الأرض فيخبر  
بما يتبين له من وجود الماء وعدمه وقربه وبعدة ، فإذا حفروا وجدوا الأسر كما  
وصف ؛ ويسمى من له هذه المعرفة بين العرب اليوم ( بالنصّات ) ولا ينبغي لمن  
لا استعداد له لهذه القوة أن ينسكرها فإن كل أمة من الأمم ، وكل قبيلة من  
القبائل ، وكل فرد من الأفراد ، يختص بأشياء وهبت له ، ومن بها عليه من  
العلوم والصنائع والمعرفة والأخلاق والسير والحاسن والقبائح . ونحن نرى ألوفاً من  
الناس يتعاطون صنعة واحدة ؛ ويتدارسون علماً واحداً ، فلا يبرع منهم إلا  
الواحد بعد الواحد ، وكل يفاض عليه على حسب استعداده . ومن علومهم :

### علم الهنداء في البرارى

وهو علم يتعرف به أحوال الأمكنة من غير دلالة عليه بالأمارات المحسوسة دلالة ظاهرة أو خفية بقوة الشامة فقط لا يعرفها إلا من تدرب فيها كالاستدلال برائحة التراب ، ومسامنة الكواكب الثابتة ، ومنازل القمر ، إذ لكل بقعة رائحة مخصوصة ، ولكل كوكب سمت يهتدى به كما قال الله تعالى ( وهو الذى جعل لكم النجوم لتهتدوا بها فى ظلمات البر والبحر ) ونفع هذا العلم عظيم بين وإلا هلكت القوافل . وضلت الجيوش ، فضاعت فى البرارى والقفار . والعرب لوقوفهم على معرفة الكواكب والأنواء ومهب الرياح وصفاتها ، ولوجانهم فى البرارى والقفار ، كانوا أعرف الناس بهذا العلم ؛ ولا بد من إيراد مثال لذلك ليعلم من وقف على هذا المقام كيفية اهتدائهم واستدلالهم . فمن أراد منهم أن يسافر إلى ( مكة ) نظر إلى أثبت النجوم دلالة وأقواها وهو القطب الشمالى لأنه لا يزول عن مكانه ، ويمكن لكل أحد معرفته لكن تختلف دلالاته باختلاف الأقاليم ، فبالعراق وما وراء النهر يجعله من قصد مكة من المسافرين خلف أذنه اليمنى ، وبمصر خلف أذنه اليسرى ، وباليمن قبالة مما يلي جانبه الأيسر ؛ وبالشام وراءه ، وقيل ينحرف بدمشق وما قاربها إلى الشرق قليلاً ، ثم بعد ذلك الجدى والفرقدان ، والقطب نجم شمالى خفى حوله أنجم دائرة كفراشة رضى أو كسمكة فى أحد طرفيها الفرقدان ، وفى الطرف الآخر الجدى ، والقطب فى وسط الفراشة لا يبرح من مكانه دائماً ، ولا يراه إلا حديد البصر فى الليلة الظلماء ، ويستدل عليه بالجدى والفرقدين فإنه بينهما ، والجدى هو الذى على طرف بنات نعش الصغرى ؛ فسكواكب بنات نعش الصغرى سبعة : أربعة منها على شكل منحرف يسمى نعشاً ؛ والنيران منهما يسميان الفرقدين ؛ وثلاثة على خط معوج تسمى بناتاً ؛ وطرف الثلاثة النير يسمى الجدى ؛ فالقطب فيما بين الجدى والفرقدين كما ذكرنا .

ومما يستدل به من قصد (الكعبة) من العرب الحجرة فإنها تكون في الشتاء أول الليل في ناحية السماء ممتدة شرقاً وغرباً على الكتف الأيسر من الإنسان إذا كان متوجهاً إلى المشرق ثم تصير في آخره ممتدة شرقاً وغرباً أيضاً على كتفه الأيمن ، وأما في الصيف فإنها تتوسط السماء لكن دالاتها أضعف من دلالة ما تقدم ، والحجرة كواكب صفار متقاربة متشابكة كثيرة جداً لا تتمايز حساً بل هي لشدة تكاثفها وصفرها صارت كأنها لطخات سحابة ، وقيل غير ذلك ، ومما يستدل به على (الكعبة) أيضاً الشمس والقمر ومنازلها الثمانية والعشرون وكذلك يستدل به بما تقتزن بهذه المنازل أو يقاربها فإنها كلها تطلع من مشرق وتغيب بمغرب . فالهلال يكون في أول الشهر إلى ثلاثة عن يمين قاصد الكعبة عند غروب الشمس ، وفي ثالث ليلة يكون عند غروب الشمس أمامه ، وفي عاشر ليلة يكون على سمت الكعبة وقت العشاء بعد مغيب الشفق الأحمر ، وفي الليلة الثانية والعشرين يكون على سمتها وقت طلوع الفجر ، وهذا كله على سبيل التقريب . ومما يستدل به الرياح ، ويعسر الاستدلال بها في الصحراء ، وأما بين الجبال والبنيان فتدور وتختلف فتبطل دالاتها ، ومما يستدل به على الكعبة الجبال الكبار فكلها ممتدة عن ميمنة قاصدها إلى ميسرتها ، ودالاتها قوية تدرك بالحس لكنها تضعف من حيث اشتباها على ذلك القاصد هل يحل ممتددا خلفه أو قدامه فتحصل الدلالة على جهتين والاشتبا على جهتين ، هذا إذا لم يعرف وجه الجبل فان عرفه استدبره لأن وجوها للكعبة ووجه الجبل ما فيه مصعبه ، إلى غير ذلك من الدلائل على كل جهة يقصدونها ؛ وكان من لم يعرف الطرق من العرب معيياً بينهم مذموماً عندهم : كل ذلك تحرزاً عن غلبة خصومهم وتطاول الأعداء عليهم ، والله الهادي إلى سواء السبيل .

### علم العرب بأدواء الخيل ودوائها وعيوبها ومحاسنها

قد سبق منا كلام موجز في ذلك أواخر الجزء الثاني من هذا الكتاب وحيث إننا بصدد تعداد معارفهم ، وذكر علومهم الفطرية ، اقتضى إعادة الكلام بأبسط مما ذكرناه أولاً . اعلم أن العرب كانوا في معرفة شؤون الخيل وأحوالها بمنزلة لم يصل إليها غيرهم وربما بقيت هذه المعرفة في أفراد منهم إلى اليوم جائلين في الفياق والقلوات فيعرفون أدواءها ودوائها معرفة حاذق متقن ، ولهم في ذلك قدم راسخة ، وباع طويل ، وروت عنهم ثقات الرواة أخباراً طريقة تستلذها الاسماع ؛ وقد جمع ما ورد عنهم في هذا العلم ، وما شخصوه من أدواء الخيل ، وسائر ذوات الأربع مع وصف دوائها على أتم وجه وأبينه .

وقد وجدت منه نسخة سقيمة الخط ، غير مأمونة من الغلط ، في خزانة كتب ( المدرسة الاحمدية ) إحدى مدارس بغداد الحمية ، فأمعنت النظر فيها ، والنقطة منها بعض الفرائد وغرر الفوائد ؛ وفي هذا العلم كثير من التصنيفات القديمة والحديثة ؛ ومن أحسنها وضعاً ، وأتمها جمعاً ، ( كتاب الخيل ) لأبي عبد الله محمد بن عبد الله الخطيب الإسكافي رحمه الله تعالى فإنه لم يهمل في كتابه هذا شيئاً مما يتعلق بالخيل وغيرها من الدواب ، وقد ذكر طرفاً من عيوبها ، وما يستحب منها في بابين من ذلك الكتاب ، ولعظم ما يترتب على هذين البابين من النفع للقارئین لخصتهما في هذا المقام رجاء المثوبة والفوز بالمغفرة .

### عيوب الخيل

العيوب في الخيل لا تحصى بعد ، ولا تعرف بحد ، فإن كل عضو من أعضائها من الممكن أن يعرض له ما يعيبه أو يحسنه ، غير أن الذي ثبت عن العرب تسميته مائة عيب : في جريها أربعة وعشرون ، وفي خلقتها ستة وخمسون وعشرون حادثة ، فأما التي في جريها « فالطموح » وهو السامى ببصره صعداً فلا

يبالى أين وقعت قوائمه « والمنكس » وهو الذى إذا جرى طأطأ رأسه من ضعف خلقته « والجوح » الصلب الرأس الذى يعتز فارسه على رأسه حتى يغلبه « والمعتزم » وهو الذى يجمع أحياناً وَيَدْعُ الجلاح أحياناً « والغرب » وهو المداد المتراعى الذى لا يُورَّعه الكف حتى يعمد بفارسه « والشموس » هو الذى يمنع السرج والمس « والحرون » هو الذى إذا درَّ جريه قام لاعن كلال « والبالح » إذا انقطع جريه ضعفاً « والضعن » وهو الذى يَتَلَكَّا<sup>(١)</sup> ويتوقف فى الحضر ويقصر عن الحران « والخفَّاش » وهو المنتسب حضراً ثم يرجع القهقرى « والرَّوَّاغ » وهو الذى يجدُّ فى حضره غير مستتب يميناً وشمالاً « والفَيُّوش » وهو الذى يظن به جرى وليس عنده شيء « والحبوص » وهو الذى يعدل يميناً وشمالاً فى استقامة حضر « والمشتق » وهو الذى يدع طريقه ويعدل ثم يمضى على عدوله لا يروغ ولا يحيص « والشبوب » وهو الذى يقوم على رجليه ويرفع يديه « والعاجر والمعاجر » وهو الذى يعجز برجليه كقِئْماص الحار وهو أن يرفع رجليه ثم يضعهما معاً « والمدوم والعضوض » وهو الذى يعرض ماسايره « والشادخ » وهو الذى يعدل عن طريقه ولا يبالى ماركب « والجور » وهو البطيء إعياء وقطافاً قِيُجَرُّ بالحبل « والمُنْعِثِل » وهو الذى يفرِّق بين قوائمه فإذا رفعها كأنما يَنْزِعُها من وَحَلٍ يخفق برأسه ولا تتبعه رجلاه « والجربذ » وهو الذى يقارب الخطو يقرب سنا بكة من الأرض ولا يرفعها رفعاً شديداً . قال الشاعر :

جربذت دونها يداك وأزرى بك لؤم الآباء والأجداد<sup>(٢)</sup>

« والمشاغر » وهو أن تطمح قوائمه جميعاً متفرقة ويكون بعيد القدر ولا ضَبْرَ له<sup>(٣)</sup> « والمتزاد » هو أن ينقص حضره من ابتداء مايجرى « والفاتر » هو الذى عجز عن نفسه وفتر فى حضره ولم تساعد قوائمه على مايطالب به

(١) تلكاً عليه اعتل . وعنه أبطأ (٢) يقول : ضعف جريك لما سابت وتقارب خطوك فعل الفرس المجربذ الذى لا يقوى على رفع قوائمه من الأرض شديداً ولحقك ضعف بآبائك وأجدادك ولؤمهم . (٣) الضبر : الوثب

نفسه « والموكل » وهو الذى لا يسير إلا بسير غيره وفيه وكال « والخروط » وهو الذى يخرط رسنه عن رأسه « والرّموح » وهو الذى يرمح بإحدى رجليه « والضروح » وهو الذى يرمح بكليتهما . وهذه الأربعة ليست من الباب ، وإنما بعضها من سوء العادة وفساد الرياضة .

### المعيوب التى تسكونه حلقة فى الخيل

وهى ستة وخمسون عيباً « الأخدعى » وهو المسترخى أصول الأذنين على الخلدتين « والأمعر » وهو الذى ذهب شعر ناصيته حتى لم يبق منه شيء « والأسفى » وهو الخفيف الناصية وهو محمود فى البغال « والأغم » وهو الذى تغطى الناصية عينيه « والأسعف » وهو الذى فى ناصيته بياض « والأحول » وهو الذى ابيض مؤخر عينيه وغار السواد من قبل مآقيه « والأزرق » الذى فى إحدى عينيه بياض أو فيهما « والأقنى » وهو الذى فى أنفه احديداب « والمغرب » وهو الذى تبيض أشفار عينيه مع زرقها « والأدن » وهو الذى اطمان عنقه من أصله « والأهنع » وهو الذى اطمان عنقه من وسطها « والأقصر » وهو الذى فى عنقه قصر وَيَبَسُّ معطف « والأكتف » وهو الذى فى أعالي كتفيه انفراج وانكشاف « والأزور » وهو أن تدخل إحدى فهدتي<sup>(١)</sup> صدره وتخرج الأخرى « والأقفس » وهو المطمئن الصلب من الصهوة<sup>(٢)</sup> المرتفع القطاة والحارك « والأبزخ » وهو المطمئن الصلب والقطاة « والمخطف » وهو الذى لحق ما خلف مخزيمه من بطنه « والأهضم » وهو المستقيم الضلوع الذى دخل أعاليه « والصقل » وهو الطويل الصقلّة « والأنجل » وهو الذى خرجت خاصرته ورق صيفاته وهو جلد البطن « والأفرق » وهو الذى أشرفت إحدى رجليه على الأخرى « والأرسح » وهو القليل لحم الصلا وهو ما أسهل من جانب

(١) فهدتا الفرس : لحمتان ناتئتان فى زوره . (٢) مقعد الفارس



الورك « والأعصل » وهو الملتوى عسيب الذنب حتى يبرز بعض باطنه الذى لا شعر عليه « والأكشف » وهو الذى التوى عسيب ذنبه حتى يصير على إحدى كاذتيه وهما لحم أعالي الوركين « والأصبغ » وهو المبيض الذنب « والأشعل » وهو الذى فى عرض ذنبه بياض « والأشرج » وهو ذو بيضة واحدة « والأفحج » وهو الذى تباعد كعباه « والأبد » وهو الذى تباعدت يداه « والأصلك » وهو الذى يصطك كعباه إذا مشى « والأحل » المنمسخ النسا الرخو السكب « والأفقد » وهو المنتصب الرئغ المقبل على الحافر وهو فى الرجل خاصة « والأصدف » وهو الذى تدانى ذراعه وتباعد حافراه فى التواء الرسغين و « المَوْجَه » وهو الذى به قليل صدَف قدر ما يشك فيه « والأقدر » وهو الملتوى الرسغ من عرضه الوحشى<sup>(١)</sup> « والأقسط » وهو الذى رجلاه منتصبتان غير منحنيّتين « والأمدش » وهو المصطك بواطن الرُسغين من شدة القدح « والأحنف » وهو الملتوى الحافرين يقبل كل واحد منهما على صاحبه فى التواء الرسغين « والتلقف » وهو الذى يخطب بيده فى استقامة لا يقبلها نحو بطنة « والأرجز » وهو المضطرب الرجل والكفل فإذا اضطربت فخذ « والشَّخْت » القليل اللحم الحش العظام<sup>(٢)</sup> « والرطل » وهو الضعيف الخفيف « والمكبون » وهو القصير الدوارج أى القوائم القريبة من الأرض الحبيب الجوف « والعش » وهو الضاحى العظام أى ظاهرها لقلة لحمه « والسَّغِل » وهو الصغير الجسم . قال سلامة يصف فرساً :

ليس بأسفى ولا أقفى ولا سَغِل يعطى دواء قفى السَّكْنِ مَرَبوبٍ<sup>(٣)</sup>

« والجأب » وهو القصير الغليظ . قال أبو ذؤاد :

أسيل سلجم المة بل لا شَخْت ولا جَابٍ<sup>(٤)</sup>

(١) الابسر (٢) أى الدقيق العظام (٣) يقول : ليس هذا الفرس بخفيف الناصية ولا صغير الجرم ولا من الخيل التى فى أنوفها أحديداب ، وهو يؤثر بما يعدلن يكرم من أهل البيت ويربى بمختار الطعام . (٤) يقول : رقيق الخد مستظليه مصدر غليظ المقدم لارقيق العظام ولا غليظها .

« واللواح » وهو الصغير السريع العطش « والصلود » وهو البطيء العرق « والضاوى » وهو الذى أضواه <sup>(١)</sup> أبواه « والمقرف » وهو الذى أمه عتيقة وأبوه غير عتيق « والمهجين » وهو الذى أبوه عتيق وأمّه ليست كذلك « والحملق وهو الذى لا ينتج منه إلا أحق » والسكوسى وهو الذى إذا جرى نكس فى إقراف كالحمار « والجاسى » وهو الذى ترى معاقده وفقار ظهره <sup>(٢)</sup> وعنقه فى تمعكه <sup>(٣)</sup> وتمرغه جاسية غير لينة .

### العيوب الخامة فى الخيل

وهى على ما سبق عشرون « الانتشار » وهو انتفاخ العصب للاتعاب حتى تنفثق وشأجه « والشطى » وهو تحرك العظم اللاصق بالركبة « والفتوق » وتسميه العامة البيض وهو انفتاق من العصب على الأوظفة ويشدها كالمسامير عليها « والدخس » وهو ورم فى أطرة الحافر « والزوائد » أطراف عصب تفرق عند العجاية « والعرن » جسوة ويبس فى رسغ الرجل خاصة لشقاق أو مشقة فيرم « والشقاق » تبزل يصيبه فى أرساغه وربما ارتفع إلى أوظفته ويسمى (الحلاوة) . « والجرد » ما حدث فى عرض عرقوبه ظاهراً وباطناً من تزايد وانتفاخ عصب ويكون مع المفصل طولاً كالموزة « والملح » انفتاق من العصب أسفل العرقوب لمادة تنصب إليه كالبلوطة « والقمع » عظم قعة العرقوب « والمشش » وهو كل ما شخص فى الوظيف وله حجم وليست له صلابة العظم « والارتهاش » وهو أن يصك بعرض حافره عرض عجائته من اليد الأخرى وربما أدمأها وذلك لضعف يصيب يده « والرخصة » وهو ماء يصير فى الحافر « والوحى » وهو ما يصيب الحافر من الخشونة والحجارة تأكله « والرقق » وهو ضعف ورقة فى الحافر « والنملة » وهو شق فى الحافر من الأشعر إلى طرف الشئبك « والسرطان »

(١) الضوى : دقة العظم وقلة الجسم خلقة أو الهزال (٢) الفقار : ما انتضد من عظام الصلب ، من لدن الكاهل إلى العجب (٣) التمعك : التمرغ وهو التقلب والتلوى من وجع يجده .

وهوداء يأخذ في الرسغ فيلبس عروقه حتى يقلب حافره (والعزل) وهو أن يعزل  
ذنبه في شق عادة (والخباق) صوت من طيبة الأنتى (والبجر) وهو أن تكون  
الرَّهَابَة غير ملتئمة فيعظم ما والاها من جلد السرّة (والرَّهَابَة) عظم مشرف  
على البطن .

### محاسن الخيل وما يستحب فيها من الخلق

مما يستحب فيها الأذن المؤلّلة<sup>(١)</sup> والناصية المعتدلة ، التي ليست بسفواء  
ولا غماء<sup>(٢)</sup> ، والجهة الواسعة ، والعين الطامحة السامية ، والخذ الأسيل ، ورحب  
المنخرين ، وهرت الشدقين<sup>(٣)</sup> وقود العنق<sup>(٤)</sup> ولينها حتى لا تكون جاسية ،  
ورقة الجحفتين<sup>(٥)</sup> ، وارتفاع الكتفين ، والحارك والكاهل ؛ ويستحب أن  
يشد سركب عنقه في كاهله لأنه يتساند إليه إذا أحضر ، وعرض الصدر ،  
وضيق الزور<sup>(٦)</sup> ، وارتفاع اللبان<sup>(٧)</sup> وأن يشد حقه<sup>(٨)</sup> لأنه معلق وركبه ورجليه  
في صلبه ، وعظم جوفه وجنبه ، وانطواء كشحه ، وإشراف القطة وقصر العسيب ،  
وطول الذنب ، وشنج النسا ( وهو التقبض في الجلد وغيره واستواء الكفل حتى  
لا يكون أفرق) وملاسة الكفل ، وقصر الساقين ، وطول الفخذين ، وتوتير الرجلين  
حتى لا يكون أقسط<sup>(٩)</sup> وتأنيف العرقوب<sup>(١٠)</sup> حتى لا يكون أقمع ، وغلظ  
الرُسخ ، وقصر الرُسخ ، وأن تكون الحوافر صلاباً سوداً أو خضراً . والشواهد  
على ذلك من كلام العرب مفصلة في محلها .

---

(١) المحددة (٢) السفواء : الخفيفة ، والغماء : الكثيرة الشعر حتى تضيق  
الجهة والقفا منه . (٣) الهرت : السعة . والشدق : جانب الفم (٤) القود :  
طول العنق (٥) الجحفلة بمنزلة الشفة للخيول والبغال والحمير . (٦) ملتقى  
أطراف عظام الصدر حيث اجتمعت (٧) الصدر (٨) كشحه (٩) هو الذي في  
رجليه انتصاب (١٠) العرقوب : من الدابة في رجلها بمنزلة الركبة في يدها .  
وتأنيفه : تحديد طرفه .

### ما ظاهراً للعرب من العلم بخلق الإنسان

قد مرت على العرب شؤون وأطوار مختلفة ، وأدوار متباينة ، في الترقى والانحطاط ، فلا يمكن أن يستدل على أحوالهم بدور من أدوارهم بل أن لغتهم وشعرهم وأمثالهم تخبر عما كانوا عليه . فننظر إلى الكتب المؤلفة في بيان خلق الإنسان ، وما ورد عنهم فيما اشتمل عليه بدن كل حيوان ، علم أن العرب في سابق قرونهم كانوا ممن له إلمام ومعرفة بكيفية تركيب أجزاء البدن وترتيبها ، وما فيه من العروق والأعصاب والغضاريف والعظام واللحم ، وغير ذلك من أحوال كل عضو ، وما تركب منه ، وما أعد له من الوظائف والمنافع ، وهو العلم المسمى لدى المتأخرين ( بعلم التشريح ) فلا ينبغي أن نسلب عنهم هذا العلم بما حدث له من الاسم ! والكتب المؤلفة في خلق الإنسان كثيرة ومن أحسن ما رأيت منها ( كتاب خلق الإنسان ) للإمام اللغوي أبي عبد الله محمد بن عبد الله الخطيب الإسكافي ، فإن كتابه جمع فأوعى حيث اشتمل على ترتيب سن الإنسان من حين ولادته إلى آخر عمره ، وأسماء جملة خلق الإنسان ، والرأس وما تركب منه وما له من الصفات ، والشعر وأقسامه وألوانه ، والأذن وما تركبت منه وأقسامها ، والوجه وما تركب منه ، والحاجب وأنواعه وما يحمد منه وما يذم ، والعين وأصنافها وطبقاتها ومجاري دمعها وغير ذلك مما اشتملت عليه ، والأنف وما تركب منه وبيان أقسامه ، والفم وما تركب منه ، والأسنان وعددها وأسماء أصنافها وأجزائها ومنابتها ، واللسان وما اشتمل عليه من الأجزاء والعظام التي في أسفله ، والحلق وبيان ما فيه من اللغaid ، واللغنين<sup>(١)</sup> والحنجرة<sup>(٢)</sup> والغلصمة<sup>(٣)</sup> والبلعوم ، والحلقوم واللحيان وبيان محلها وأسماء ما تركبها منه ، واللحية وأسماء أجزائها وأقسامها وألوانها وسائر

---

(١) جمع لفدود ولغنون وهما لحمة في الحلق (٢) الحلقوم (٣) اللحم بين الرأس والعنق ، أو العجزة على ملتقى اللهاة والمرىء أو أصل اللسان .

أوصافها ، والعنق وما تركبت منه ، والمنكب والكتف وما اشتملا عليه ، واليد وما تركبت منه من العظام والأعصاب والعضلات والعروق وما وضع لذلك من الأسماء والأصابع وأسمائها وأجزائها ، والظفر وأقسامه وأسمائه ، والصدر وما تركب منه ، والثديان وما فيهما ، والجنبان وعدد أضلاعهما وأسمائها وما يلحق ذلك ، والبطن وما حوى ، والجوف وما اشتمل عليه من القلب والكبد والطحال والرئة والكليتان والمصارين والأمعاء والأعفاج<sup>(١)</sup> والحشى والحوايا<sup>(٢)</sup> والكرش والمبرع وما فى هذه الجوارح من الأجزاء وأسمائها وأدواء البطن وما لها من الأسماء ، والظهر وما تركب منه من العظام والعصب والعروق وغير ذلك ، والركب وما تكونت منه ، والذكر وما تركب منه ومغزاه وما وضع لذلك من الأسماء ، والأنثيين وأسماء ما فيهما من الأجزاء ، وبيان ما يعرض لذلك من الأدوية والعلل ، والفرج وما تركب منه وأسمائه ، وما انفردت به المرأة دون الرجل ، والرحم وموضعه وما تركب منه ، والوركين وما فيهما ، والدبر وما فيه ، والفخذين وما فيهما من الأجزاء وأسمائها ، والساق وما فيه ، والقدم وما اشتملت عليه ، والحمل والولادة وما يتعلق بذلك ، وقد أطنب المؤلف فى بيان كل واحد مما ذكر ، وبين موضعه ، وما اشتمل عليه ، وما وضع له من لغة العرب ، واستشهد على ما ادعاه بالشعر الجاهلى ، وذلك مما لا يشك الواقف عليه أن للقوم الباع الطويل فى هذا العلم إذ لولاه لم يمكنهم الوقوف على مثل هذه الدقائق ، ووضع الأسماء لها ، لاسيما القلب وما فيه من العجائب ، ولغات الأمم شهود عدول على أحوال أربابها ومن علومهم :

---

(١) جمع عفج بفتح فسكون وهو ما يصير الطعام اليه بعد المعدة (٢) الأمعاء (٣٣ — ثالث)

### علم الرمي بالسهم

وهو علم يتعرف منه رمى النبال بالمزاولة ليكون عملها على وجه الإصابة ؛ وكان للعرب مزيد اعتناء بتعلم هذا العلم بالتلقي والعمل ، فإن القسي والرمي بالسهم كانت من أنكى أسلحتهم ، ولم تزل كذلك إلى أن ظهر ماظهر من الأسلحة ؛ وقد ألف أهل الفضل قديماً وحديثاً في علم الرمي بالقوس رسائل كثيرةً نظماً ونثراً ، وبينوا فيها كيف يقف الرامي ، وكيف يمسكها ، وحال الرمي قريباً وبعداً ارتفاعاً وانخفاضاً ، وبيان أحوال السهم ، وبرى النبال ، وغير ذلك مما هو مفصل في هاتيك الرسائل ؛ وهذا العلم في الشريعة معتنى بشأنه ، وقد وردت نصوص في الحث على تعلمه ؛ والمقصود من ذلك تعلم كل مايعين في الحرب ، ويكون من عدده وفنونه ، وكان العرب يتسابقون في أشياء كثيرة ، ولهم لعب شهيرة مشحون منها كتب اللغة وقد أبتل الشمرع السَّبق (بفتح الباء) وهو المال الذي يؤخذ على المسابقة في جميعها إلا ما استثناه الحديث وهو قوله عليه السلام (لا سَبَقَ إلا في خف أو حافر أو نصل) أراد بالخف المسابقة على الإبل ، وأراد بالحافر المسابقة على الخيل ، وأراد بالنصل المراماة بالسهم ، كل ذلك أباح فيه الخطر الذي كان عليه العرب أيام جاهليتهم لما في ذلك من المصالح والفوائد التي تعين في الحرب ، وتستوجب الفروسية ، ويجتري بها الإنسان على المناضلة والنزال ، والسبق في غير الأخير قد مرّ بيانه أثناء الكلام على الخيل ، وأما السبق بالنصل وهو المراماة بالسهم فهذا ملخص الكلام عليه من كتاب (عيون القنون) وبالله نستعين :

### المراماة بالسهم والسبق بالنصل

إعلم أن الإصابات على سبعة أوصاف . ذكر الإمام الشافعي رحمه الله تعالى منها أربعاً ، وذكر أصحابه ثلاثاً ؛ أما ما ذكره الشافعي فالخاضل والخازق والخاسق

والحايي : فالخاضل الذي يقرع الشن<sup>(١)</sup> ولا يחדشه ، والخازق الذي يחדشه ولا يثقبه ، والخاسق الذي يثقبه ويثبت فيه ، والحايي أن يدنى الراى يده من الأرض فيرميه فيمر على وجه الأرض فيصيب الغرض<sup>(٢)</sup> ؛ وأما ما ذكره الأصحاب فالمارق والخارم والمزدلف : فالمارق الذي يمرق الشن أى يثقبه وينفذ فيه ، والخارم الذي يحرم طرف الشن أى يقطعه ، والمزدلف الذي يسقط بقرب الغرض ثم يشتن فيصيب الغرض .

### النضال وأنواعه

النضال يتنوع ثلاثة أنواع : مبادرة ، ومحاطة ، ومناضلة ، فالمبادرة أن يشترطا إصابة عشرة من عشرين فيبتدر أحدهما إلى العشرة فينضل صاحبه ، والمحاطة أن يقولوا نرمى عشرين رشقا على أن من فضل صاحبه بخمس إصابات فقد نضله ، فاذا اشترطا ذلك ، ورمى كل واحد منهما عشرين رشقا وأصابا إصابات نظر إن استويا في الإصابة لم يحصل النضل ، وإن تفاوتتا في الإصابة حط الأقل عن الأكثر ، فإن بقي لصاحب الأكثر الخمس المشروطة فقد نضل صاحبه ، وإن بقي له أقل من الخمس المشروطة لم يحصل النضل ؛ والمناضلة أن يشترطا عشرة من عشرين على أن يستوفيا جميعا فيرميان معا جميع ذلك ، فإن أصاب كل واحد منهما عشرة أو فوقها أو دونها لم يحصل النضل ، وإن أصاب واحد منهما دون العشرة والآخر عشرة فما فوقها فقد نضل صاحبه .

### القوس وما وضع لها ودُجرائها من الأسماء

كانت العرب تتخذ القسي من شجر الضال والنبع والشوحط والسدر والشريان والسراء والتين والأشكال والحماط والتالب والنشم . وحيث كانت القوس لدى العرب بما ذكرناه من المنزلة وضعوا لها ولأجزائها أسماء كثيرة ،

---

(١) القربة الخلق الصغيرة (٢) الهدف يرمى فيه

ذلك شأن كل ما كان لهم به اعتناء ، ولخطوه بعين العناية ، فقالوا : القوس وكبدها ما بين طَرَفَيِ العِلاَقَةِ ، والكُلِيَّة تلى ذلك ، ثم الأبهري إلى السكلية ، ثم الطائف وهما طائفتان الأعلى والأسفل ، والسِّيَّة ما عُطِفَ من طَرَفٍ فيها ويدها أعلاها ورجلها أسفلها والعَجَس والمَعَجَس مقبضها ، وإنسيها ما أقبل على الراعى ، ووحشيتها ما إلى الصيد ، والفرض والفرضة الحزة التى يقع فيها طرف الوتر الملعقود ، وما فوق الفرضة الظافر ، والكَنْظَرَة والنعل العقبة التى تلبس ظهر السية ، والجلائز العقب على طائفيها وأصول سَنَتَيْهَا ، والخِلَالُ الجلود التى على ظهر السنتين ، والمذروان ما عن يمين المقبض وشماله ، والرصائع السيور المضفورة تشد إليها العلاقة وهى التى عُلقت به ، والغِفَارَةُ رقعة على الفرضة والسِّيَّة ليلف فوقها إطنابة الوتر ، وهى سِر يوصل بطرف الوتر ، قال الشاعر :

لها إطنابَةٌ ولها فضولٌ ثلاثٌ على الغِفَارَةِ من مُعالٍ<sup>(١)</sup>

أى من فوق . والشَّرْعَة الوتر ، والدَّرَكَة حلقة الوتر التى تقع فى الفرضة ، والمَعْتَل القسيّ الفارسيّة ، وقوس فُلَقى وشَريجة إذا كانت من شقة لاغصن صحيح والقضيب التى من غصن صحيح ، وقوس فَيَجَاء وفَيَجَوَاء ومُنْفَجَّة ، وفارَج وفُرجَ بَانَ وترّها عن كَبِدِهَا ، ويفعل ذلك بالتي للقتال لا الصيد يحتبس صاحبها بالتفريق ، والسَكْتُوم التى ليس فيها شق ، والماتسكة التى احترت قدماً ، والجَشَاء الخفيفة ، والمجدلة التى فيها ميل ، وزاغت انقلبت عن عطفها الذى عطف علىه ، وقوس عاطل ومعطلة بلاوتر وقد وترتها وحططت وترها ، وحط قوسك وانبطت عنها قرعتها للوتر ، ويقال أطَرَت القوس أى عطفها وحنوتها وهى حنية . ويقال للقواس الماسخى وأصله لرجل من أزد السّراة ، ثم اتسع فيه كما قيل لسكل حداد هالسكى ، قال الجعدى :

(١) يقول : لهذه القوس موصول مطرف الوتر ولها جلود تلف على الرقعة الجامعة لفرضتها وسلتها .



بَعِيسٍ تَعَطَّفُ أَعْنَاقُهَا كَمَا عَطَّفَ الْمَاسِيخِيُّ الْقِيَاسَا (١)

وتقول نزع في القوس ورميت عنها وعليها وبها ، وعروتا الوتر عقدها .

السهم وما وضع له من الأسماء وما يتعلق بذلك

السهم والنشأ والمنزع والنبيل سواء ، إلا أن النبيل جمع لا واحد له من لفظه ، ويجمع على نبال . والمرماة سهم الهدف ، والمرْيَخ سهم طويل له أربع آذان يُغَالَى به . قال الجعدي :

يَمْرُ كَمَرِيخٍ الْمَغَالَى انْتَحَتْ بِهِ شِمَالُ عِبَادِي عَلَا الرِّيحُ أَعْسَرَا

( يقول : يمر هذا القوس مر هذا السهم إذا أعمله في رميه يد رجل من هذه القبيلة أعسر ترمى شماله فتعين الريح على رفعه ) والمعْبِلَة والمَشَقَص سهم عريض النصل ، وخشبه قبل أن يعمل نَضِيٍّ وجمعه أنضاء فإذا خرق موضع نصله فهو قِدْح . والمَخْشُوب الذي لم يتم عمله ، وفوق السهم برد طرفه وجعل له فوق وهو موضع الوتر ، وإنفاق السهم انكسر فوقه ، وشرخا الفوق جانباه ، والأُطْرَة العَقَب الذي على الفوق ، والْحَقْو موضع الريش ومستدقه ، والزافرة مستغلظه والمتن وسطه ، والرُّعْظُ الخرق الذي يدخل فيه سِنَخُ النَّصْل ، والعَقَب الذي فوقه الرِّصَاف والواحدة رَصَفَة ، ويقال برى القوس . والسهم برى ، والطريدة قصبة يوضع فيها السكين فتبرى بها القداح والمغازل ، والقذذ ريش السهم ، والأقذ السهم الذي لا ريش له . والمرِيش ذو الريش ، وراش سهمه بظهار لؤام إذا صير بطن تذه وهو الشق الأطول إلى ظهر أخرى وهو الأقصر فيلتئم ، فإن التقى بطان أو ظهران فهو ريش لغب ولُغَاب ، قال بشر :

وإنَّ الْوَالِيَّ أَصَابَ قَلْبِي بِسَهْمٍ لَمْ يَكُنْ يَكْسِي لُغَابَا (٢)

(١) يقول بابل بيض تنحنى في السير أعناقها كانحناء هذه القسي التي يحنوها هذا القواس (٢) ويروى :

فان الوائلى أصاب قومي بسهم ريش لم يكس اللغابا

والمعرّاض سهم لا ريش عليه يذهب عرضاً ، والنكس الذى انكسر فوقه  
فجعل أسفله أعلاه فلا يزال ضعيفاً ، ويشبه به الرذل من الناس ، والحشور والحشر  
اللطيف القذذ ، ونبل قران وصيغة مستوية ، والمربط الذى تمرط ريشه وجمعه  
مرط وسهم طائش لا يقصد ، وممّاعظ مضطرب ، وزالج يمر على وجه الأرض ،  
وصادر نافذ ، وحابض يقع بين يدي الراى لخروج القوق من الوتر ، والدابر  
سهم يدبر الهدف دبراً أى يقع وراءه ، وصائف عادل عن الهدف ، وطالع  
يتجاوز وقاصره لا يبلغه ، قال الشاعر :

فما بُقيّاً على تركماني ولكن خفتما صرد النبال<sup>(١)</sup>

والخاسق والخازق المقرطس جميعاً ، ويسمى الغرض قرطاساً يقال : رى  
فقرطس إذا أصابه ، والأهزع سهم يبقى فى الكفانة ، ونصل السهم حديدته وله  
العير كالجديّ وسطه . وفى الصحاح : غير النصل الناقى منه فى وسطه ، وظبته  
وقرنته وحده وشفرته وغراره حداه ، والكليتان ما عن يمينه وشماله ، والقطبة  
نصل الهدف ، وكذلك القتره والسروة ، ونصل مُدَمَكٌ ليس له عرض ،  
والقِطْع : القصير العريض الحديدية ، وما يحفظ فيها السهام تسمى الجعبة والوفضة  
والكفانة . والقرن والجفير جعبة مشقوقة فى جنبها ، وإنما يفعل ذلك لئلى تدخل  
الريح على السهام فلا يأتكل ريشها . والله ولى التوفيق . ومن علومهم :

#### علم نزول الغيث

هو علم باحث عن كيفية الاستدلال بأحوال الرياح والسحاب والبرق على  
نزول المطر ، والعرب لهم مزيد اختصاص بهذا العلم لأنهم أحوج الناس إلى  
الغيث إذ به حصول معاشهم من السقى والرعى ، وقد حصل لهم هذا العلم بكثرة  
التجارب ، ودليله الدروان بين أحوال السحب والأمطار ؛ وقد ذكرنا عند  
الكلام على مخايل العرب فى الأنواء من كلامهم ما يوضح المقصود ويثبت به ،

(١) يقول : لم تتركمانى وتتركا قتالى طلبا للإبقاء على ولكن خفتما سهامى  
التي تنفذ فيكما .

ومالم يذكر من منظوم كلامهم ومنثوره في هذا الباب شيء كثير ! وفي الأغاني<sup>(١)</sup>  
لأبي الفرج الأصبهاني بسنده قال : خرج أعرابي مكفوف البصر ، ومعه ابنة  
عم له ، لرعى غنم لها فقال الشيخ : أجد ريح النسيم قد دنا فارفعي رأسك فانظري  
فقلت : أراها كأنها ربرب<sup>(٢)</sup> معزى هزلى ، قال : ارعى واحذرى ، ثم قال لها  
بعد ساعة : إني أجد ريح النسيم قد دنا فارفعي رأسك فانظري ، قالت : أراها  
كأنها بغال دهم تجر جلالها ، قال : ارعى واحذرى ، ثم مكث ساعة ثم قال : إني  
لأجد ريح النسيم قد دنا فانظري ، قالت : أراها كأنها بطن حمار أحمر ، فقال :  
ارعى واحذرى ، ثم مكث ساعة فقال : إني لأجد ريح النسيم فأتين ؟ قالت :  
أراها كما قال الشاعر :

دان مسفٌ فويق الأرض هَيْدَبُهُ      يكاد يَدْفَعُهُ مَنْ قَامَ بِالرَّاحِ<sup>(٣)</sup>  
كأنما بين أعلاه وأسفله      رِيْطٌ مَنْشَرَةٌ أَوْ ضَوْءٌ مَصْبَاحِ<sup>(٤)</sup>  
فمن بمحفله كمن بنجوته      والمستكن كمن يمشى بِقِرْوَاكِ

فقال : أنجى لا أبالك ! فما انقضى كلامه حتى هطلت السماء عليهما . ثم أخذ  
أبو الفرج يشرح تلك الألفاظ ؛ وملخص ذلك : أن الأصحر : الأبيض وفيه  
حرارة ، ومعنى فمن بمحفله كمن بنجوته : فمن هو بمحفله أى مجرى معظم السيل كمن  
بنجوته أى ناحية عنه سواء لكثرة المطر ، والقرواح الفضاء ، ومن تتبع كتاب  
الأغاني يجد كثيراً من ذلك ، وحيث إن الرياح وأوصافها ، والسحب وأنواعها ،  
والرعد والبرق ، من جملة ما يستدلون به على هذا العلم ، ويتوصلون به إلى معرفة  
نزول الغيث ، لابد من التعرض لذكر نبذة مما ورد عنهم في هذه الأمور مما رواه  
ثقات الرواة :

---

(١) ج ١٠ ص ٦ - طبعة مطبعة التقدم بمصر (٢) الربرب : القطيع من  
بقر الوحش (٣) المسف : الدانى من الأرض . والهيدب : السحاب الذى  
يتدلى ويدنو مثل هذب القطيفة . (٤) الریط : جمع ريطة وهى كل ثوب  
لين رقيق .

### الرياح وأوصافها

وأما الرياح أربع : الشمال ، والجنوب ، والصبّا ، والدبور ؛ وبذلك نطقت أشعارهم « فالشمال » مهبها من كرسى بنات نعل إلى مغرب الشمس صيفاً ، وكانت العرب تكبرها لبردها وذهابها بالقيم والحيا والخضب بزعمهم ، وهى عندهم الشامية ، ولم تزل العرب تمدح بالإفناق والسكرم إذا هبت هذه الرياح « والجنوب » مهبها من مطلع سهيل إلى مطلع الشمس شتاء « والصبّا » مهبها من مطلع الشمس إلى مطلع العيوق وهو كوكب نير أحمر شمال مطلع الثريا قدر ثلاث قامات ربح أو أرجح نظراً للرأى ويسمى رقيب الثريا ، وكانت العرب تحب الصبا من بين الرياح لرفتها ولأنها تجيء بالسحاب والمطر ، وفيها الرى والخضب وهى عندهم اليمانية . قيل : إنما سميت صبا لأن النفوس تصبو إليها لطيب نسيمها وروحها والصبوة الميل . يقال . صبا إلى كذا إذا مال إليه ، وفي الأثر ما بعث نبيّاً إلا والصبّا معه « وأما الدبور » فمهبها من مغرب الشمس إلى مطلع سهيل . وما بين كل واحدة من هذه الرياح الأربع نكباء وسميت بذلك لتنكبها طريق الرياح المعروفة . ولكل من هذه الرياح صفات وخواص يعرفها ذوو الخبرة منهم ، وتفصيل ذلك في كتب الأنواء . وقال الشيخ أبو عبد الله الإسكافي في كتاب المبادئ عند الكلام على الرياح . الشمال عن يمين المصلى ، وبازائها الجنوب ، والصبا من وراء المصلى ، والدبور تجاهه ؛ ولعل ذلك باعتبار بعض الأقطار ، وإلا فالأصل ما ذكرناه . ثم قال . وكل ريح عدلت عن مهابّ هذه الأربع فهى نكباء ، ونسبت الرياح تنسم نسيماً ونسيماً ضعفت في استقامة من غير أن تحرك شجراً أو تعفو أثراً . ويقال للشمال الجرباء ونحوه ونسع ونسع ، وفي الصحاح . الجرباء على فعلياء بالسكر والمد النكباء التى تجرى بين الشمال والدبور وهى ريح تقشع السحاب . قال ابن أحر :

يَهْجُلُ مِنْ قَسَا ذَفَرِ الْخَزَامَى تَهَادَى الْجُرَبِيَاءُ بِهِ الْحَنِينَا<sup>(١)</sup>

وَلِلْجَنُوبِ النَّعَامَى وَالْخَزَرْجِ وَالْأَزْيَبِ وَالْهَيْفِ ، وَلِلصَّبَا الْقَبُولِ وَإِيرَ  
وَهَيْرَ ، وَأِيرَ وَهَيْرَ ، وَقِيلَ لِلدُّبُورِ تَحْوَةَ ، وَمِنْ أَوْصَافِهَا الْغَالِبَةُ عَلَيْهَا :  
الْدِيدَانَةُ اللَّيْنَةُ كَالنَّسِيمِ ، وَالذَّارِيَّاتِ وَالْمَعْصِرَاتِ تَجِيءُ بِالْمَطَرِ ، وَقِيلَ . السَّاطِعَةُ  
بِالسَّمَاءِ مُسْتَدِيرَةٌ ، وَاللَّوَاقِحِ وَالْبُورَاحِ وَالرُّخَاءِ وَالْجُفُولِ الْمُسْرَعَةِ . وَالْجَالِفَةُ  
وَالْمُجْفَلُ وَالنَّائِجَةُ وَالْهُوْجِ وَالسَّوَافِ وَالْخَزُوقِ وَالْثَّوْجِ وَالْمُتَذَابَةُ الَّتِي تَجِيءُ مِنْ هُنَا  
وَتَمَّةٌ ، وَالْمُسْفِسْفَةُ تَجْرِي عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ ، وَالذَّرُوجُ هِيَ الَّتِي يَرَى لَهَا مِثْلَ ذَيْلِ  
الرَّسَنِ فِي الرَّمْلِ ، وَالْخُجُوجِ وَالسَّيْهُوجِ وَالسَّهْوَكِ وَالْهَقْفَاهُ وَالْهَنْبُوتِ  
وَالْمَذْعَذَعَةِ وَهَدُوجِ وَالْمَهْجُومِ وَالْعَانِيَةِ وَالْعَاصِفَةِ وَالْمَعْصِفَةِ وَالْقَاصِفَةِ : الَّتِي تَكْسِرُ كُلَّ  
شَيْءٍ ، وَالزَّعَازِعِ وَالْإِعْصَارِ وَالْخَنُونِ وَالزَّفَرَاةِ وَالرَّوَامِسِ وَالنَّالِجَةِ : أَوَّلُ كُلِّ رِيحٍ  
بَشْدَةٍ ( الرِّيحُ الْبَارِدَةُ ) الْحَرْجَفِ وَالصَّرَصِرِ وَالْعَرِيَّةِ وَخَازِمِ ، وَالتَّلِيلِ فِيهَا بَرْدٌ  
وَنَدَى ، وَالشَّقَاقِ وَالْهَلَّابِ وَالنَّضِيضَةُ وَهِيَ الَّتِي تَنْضُ بِالسَّمَاءِ فَيَسِيلُ ( الرِّيحُ  
الْحَارَّةُ ) السَّهَامِ وَالْهَيْفِ وَالْبَارِحِ وَالسَّمُومِ بِالنَّهَارِ وَقَدْ تَكُونُ بِاللَّيْلِ ، وَالْحُرُورُ بِاللَّيْلِ  
وَقَدْ تَكُونُ بِالنَّهَارِ وَالْمَعْمَعَانِ .

### السَّحَابُ وَأَنْوَاعُهَا

قَدْ ذَكَرَ النُّعَالِيُّ نَبْذَةً مِنْ أَنْوَاعِهِ وَأَسْمَائِهَا فِي الْقِسْمِ الْأَوَّلِ مِنْ كِتَابِ لِبَابِ  
الْأَدَابِ ، وَكَذَا الشَّيْخُ أَبُو اسْحَقَ الطَّرَابِلْسِيُّ فِي الْكِفَايَةِ ، وَالْأَسْكَفِيُّ فِي الْمُبَادِيءِ  
وغيرهم من أئمة اللغة . فَمِنْ السَّحَابِ « الْعَمَاءُ » وَهُوَ الْغَيْمُ الرَّقِيقُ وَكَذَلِكَ الطَّحَاءُ  
وَالطَّهَاءُ « وَالصَّبَرِ » السَّحَابُ الْأَبْيَضُ « وَالْحَبِي » السَّحَابُ الَّذِي يَعْتَرِضُ اعْتِرَاضَ  
الْجِبَلِ قَبْلَ أَنْ يَطْبُقَ السَّمَاءَ . قَالَ اسْمَرُؤُ الْقَيْسُ :

(١) الْهَجْلُ : الْمَطْمَشُ مِنَ الْأَرْضِ ، وَقَسَا : مَوْضِعٌ بَعَيْنُهُ . وَالْخَزَامَى :  
نَبْتُ طَيْبِ الرِّيحِ . وَالذَّفَرُ : الطَّيِّبُ الرِّيحِ . وَتَهَادَى الْجُرَبِيَاءُ : كَثُرَ حَنِينُهَا  
وَيُرْوَى « تَدَامَى الْجُرَبِيَاءُ » وَالبَيْتُ مِنْ أَبْيَاتِ لَخْلَفٍ فِي وَصْفِ ظَلِيمٍ . رَاجِعْ  
تَهْذِيبَ الْمَنْطِقِ لِلتَّبْرِيزِيِّ ج ١ ص ٧٣ مِنَ الطَّبْعَةِ الْمِصْرِيَّةِ .

أصاح ترى برقاً أريك وميضة كلع اليدين في حَيٍّ مكلل  
والحبا كعصا مثله . ويقال سمي به لدنوه من الأرض « والنشاص » السحاب  
المرتفع بعضه فوق بعض « والمكفهر » السحاب الغليظ المتراكب والكنهور  
نحوه « والجهام » وهو السحاب الذى قد أراق ماءه « والهف » الذى لا ماء فيه  
والزبرج نحوه « والضَّرَاد » سحاب بارد ندى وليس فيه ماء « والغمام والمزن »  
السحاب الأبيض « والرَّباب » السحاب الأبيض والأسود . وفي الكفاية : الرَّباب  
السحاب المتعلق دون السحاب « والسَّيْقُ » وهو السحاب الذى طردته الرياح  
« وأَلْدَقُ » السحاب الذى يرجى منه المطر « والنجاء » السحاب الذى يسرع  
« وأَلْهَيْدَب » ما يتدلى من السحاب كأنه هذب القطيفة « والجَلْبُ<sup>(١)</sup> » السحاب  
الرقيق الذى ليس فيه ماء . قال تأبط شراً :

ولست بِجَلْبٍ جلب ريح وقرّة ولا بصفا صلد عن الخير معزل<sup>(٢)</sup>  
وبعضهم يقول : هو السحاب الذى يعترض كأنه جبل وليس فيه ماء  
« والدجن » السحاب المثل على الأرض . قال أبو زيد : والدُّجَنَّة من الغيم  
المطبق تطبيقتا الريان المظلم الذى ليس فيه مطر ، يقال يوم دجن ويوم دجنة ،  
وكذلك الليلة على الوجهين بالوصف والإضافة . قال : والداجنة الماطرة المطبقة نحو  
الديمة ، قال : والدجن المطر الكثير وسحابة داجنة ومدجنة وأدجنت السماء دام  
مطرها قال لبيد :

من كل سارية وغادر مُدْجِنٍ وَعَشِيَةٍ متجاوبٍ إِرْزَامُهَا<sup>(٣)</sup>  
« والمرزم » السحاب المصوت بالرعد والإرزام صوت الرعد ، وكذلك الهزيم  
والمرتمس والأجش . وبعضهم يقول : هزيم الرعد صوته ، يقال تهزم الرعد تهزماً  
وغيث هزم متبعق لا يستمسك ، قال يزيد بن مفرغ :

(١) بالضم ويكسر (٢) يقول : لست برجل لانفع فيه ومع ذلك فيه اذى  
كذلك السحاب الذى فيه ريح وقر ( اى برد ) ولا مطر فيه . (٣) السارية :  
السحابة الماطرة ليلاً . والمدجن الملبس افاق السماء بظلامه لفرط كثافته .  
والارزام : التصويت .

سَقَى هَزِيمُ الإرعاد منبجسُ العرى منازلها من مسرُفانَ فسرُفاً<sup>(١)</sup>  
 « والقاصب » السحاب الشديد صوت الرعد « والبارق » السحاب الذى  
 فيه برق ، والقَلَمَةُ القطعة العظيمة من السحاب والجمع قلع ، قال ابن أحر :  
 تفقأ فوقه القَلْعُ السوارى وجُنَّ الخازِ بازُ به جُنونا<sup>(٢)</sup>  
 والقَزْعُ قطع من السحاب رقيقة الواحدة قزعة . قال ذو الرُّمَّة يصف ماء  
 فى فلاة :

ترى عُصَبَ القَطَا هملاً عليها كأنَّ رِحالَهُ قَزَعُ الجِهامِ<sup>(٣)</sup>  
 وفى الحديث : « كأنهم قَزَعُ الخريف » والضبابه سحابة تغطى الأرض  
 كال دخان والجمع الضباب .

#### الرعد والبرق

من جملة ما يستدلون به على نزول الغيث الرعد والبرق ، فإن الرعد إذا  
 أَرَزَم أى صوت صوتاً غير شديد استدلوا به على بعد المطر ، وإذا تَهَزَّمَ أى  
 صوت أشد صوت استدلوا به على قرب المطر ، والقعقة تتابع صوته فى شدة وله  
 دلالة أخرى على حال الغيث ، والرجسان وهو صوته الثقيل فإذا رَجَسَ علموا  
 أن المطر يكون بشدة ، وإذا أصعق أى رمى بالصاعقة وهى نار تسقط فى رعد  
 شديد ، وإذا أَرَزَّ ورزَّ أى صوت الرعد من بعيد ، قال الراجز :

جارتنا من وائلٍ ألا اسلمى ألا اسلمى أسقيتِ صوب الدَّيْمِ  
 صوبَ ربيعٍ باكرٍ لم ينم يرزُّ رزًّا من وراء الأكم

(١) مسرقان : نهر نحورستان عليه عدة قرى وبلدان يسقى ذلك كله  
 ومبده من تستر ، وسرق : كورة بالاهاواز ومدينتها ( دورق ) . وموضع  
 بظاهر مدينة سنجار . (٢) تفقأت السحابة عن مائها : تشققت وتبعجت .  
 والسوارى : جمع سارية وهى السحابة الماطرة لبلا والخاز باز : صوت الذباب  
 سمي الذباب نفسه به . والهاء فى ( فوقه ) و ( به ) عائدة الى ( هجل ) فى  
 البيت قبله وقد مر فى ص ٣٦١ . (٣) العصب : جمع عصبه وهى الجماعة  
 من الناس والخيول والطيور . وقوله « هملاً عليها » أى سدى ترعى بغير راع .  
 والرجال : الجماعات . والجهام : السحاب الذى لاماء فيه أو الذى قد  
 هراق ماءه .

### رَزَّ الرُّوَايَا بِالْمَزَادِ الْمُعْصَمِ<sup>(١)</sup>

« وأما البرق » فنه المستطير وهو المتفرق ، ومنه السلسلة وهي برقة دقيقة بالنهار ، ومنه الوميض وهو الضعيف من البرق ؛ ومنه الخافق وهو المضطرب ، والخفول لأخفى ما يرى منه ، ومنه المتكلمح ، وهو المستديم المتتابع ، ومنه الرامح والماصع وهو السريع الخفيف ، ومنه الخُلب وهو الذى ليس فيه مطر كأنه يخلب من تشيمه<sup>(٢)</sup> أى يخدعه ، ومنه البرق المنعق ، والانعماق تشق البرق ومثله التبوج ، وقد سبق فى الحديث وكثير من منشور العرب فى مخايل العرب فى الأنواء كيف استدلوا بذلك على الغيث ونزوله ، وما ذكرناه نبذة يسيرة ملخصة من كلام الأئمة فى بيان مقصدنا ، ومن أراد استيعاب ذلك فعليه بمفصلات كتب اللغة والأدب .

### ما ظر للعرب من المعرفة بعلم المروحة

إعلم أن من العرب من كان يسكن جزيرتهم سواحل بحر القلزم ، ومن جهة الجنوب بحر الهند المتصل به بحر القلزم ، ومن جهة الشرق بحر فارس الخارج من بحر الهند إلى جهة الشمال إلى بلاد البحرين ؛ وهناك بلاد كثيرة من اليمن والحجاز وعمان والبحرين ، وغير ذلك مما يطول ذكره ، وكان سكنت هذه الأقطار والبلاد كلهم من العرب ، ولهم متاجر فى الهند والحبشة والروم وغيرهم ، فكانوا ممن تمس حوائجهم إلى ركوب البحر ، ومعاناة سيره ، والقيام بما يعين على ذلك وهو ( علم الملاحة ) الذى أطنب المؤلفون الكلام عليه ؛ وفى عدة آيات من الكتاب الكريم دلالة على ركوبهم البحر ، وجرى الفلك بهم ، واهتدائهم

(١) يقول : يا أيتها المرأة المجاورة لنا من هذه القبيلة كونى فى سلامة وسقاك الله تعالى حيث حللت الحيا حتى تجنى ابلك ويسمن مالك مطرا لا ينقطع ولا بغفل عن سقى محلك بصوت من وراء الجبال الصغار لشدة وطئه كصوت الروايا المملوءة ماء اذا اضطرب الماء فيها فسمعت له طبطبة كطبطبة السيل (٢) شام البرق : نظر اليه أين يقصد وأين يمطر .



في سيرها إذا اشتد الظلام بنجوم السماء وكواكبها المألومة لديهم ؛ وكذلك في الأحاديث ما يفيد ذلك ، وفي شعرهم أيضاً ما يستدل به على ما ذكرنا . قال عمرو بن كلثوم التغلبي في معلقته :

ملأنا البرّ حتى ضاق عنا      وماء البحر نملؤه سفينا  
إذا بلغ الفطام لنا صبيٌّ      تخرُّ له الجبابرُ ساجدينَا  
يقول عمنا الدنيا برأ وبجرأ      فضايق البر عن بيوتنا والبحر عن سفينا ،  
وإذا بلغ صبينا وقت الفطام سجدت له الجبابر من غيرنا ؛ وقال طرفة بن العبد البكري :

كأنَّ حُدُوجَ المالكِيةِ غُدُوَّةٌ      خلايا سفينَ بالنواصف من دَدٍ<sup>(١)</sup>  
عَدُولِيَّةٌ أو من سفين ابن يامنٍ      يحوِّرُ بها الملاحُ طَوْرًا ويهتدي  
يَشُقُّ حُبَابَ الماءِ حيزومها بها      كما قَسَمَ الثُّرْبَ المفايلُ باليدِ<sup>(٢)</sup>

العدولية : سفينة منسوبة إلى قرية في البحرين يقال لها عَدُولَى ، وبعضهم يقول عدولى قبيلة من قبائل العرب والعدولى الملاح ، وابن يامن : رجل من أهل تلك القرية ، وروى أبو عبيدة ( ابن نبل ) وهو رجل آخر منهم ، والشعر في هذا الباب كثير ، وفي لغتهم أيضاً ما يستدل به على ما ذكرناه : فالركب اسم لما يركب في البر والبحر ، والسفينة وهي الجارية من سفنه يسفنه قشره ، وسميت بذلك لقشرها وجه الماء جمعها سفائن وسفن وسفين ، وصانعها سفان . وحرفته السفانة . والفسار واحد الفسار وهي خيوط تشد بها ألواح السفينة . ويقال هي

(١) الحدوج : جمع حُدُوج وهو مركب من مراكب النساء . والمالكية منسوبة إلى بني مالك قبيلة من كلب . والخلايا : جمع خلية وهي السفينة العظيمة . والسفين : جمع سفينة والنواصف : جمع ناصفة وهي أماكن تتسع من نواحي الأودية مثال السك وغيرها . ودد : قيل اسم واد في هذا البيت . وقيل : دد مثل يد اللهو واللعب . (٢) حباب الماء : أمواجه الواحدة حبابة : والحيزوم : الصدر . والفيايل : ضرب من اللعب وهو أن يجمع التراب فيدفع فيه شيء ثم يقسم نصفين ويسأل عن الدفين في أيهما هو ؟ فمن أصاب قمر ومن أخطأ قمر . شبه الشاعر شق السفن الماء بشق المفايل التراب المجموع بيده .

المسامير . وفي التنزيل ( وحملناه على ذات ألواح ودُسر ) ودُسر أيضاً مثل عُسر وعُسر . . قال بشر :

مُعَبَّدَةُ السقائف ذات دُسرٍ مُضَبَّرَةٍ جوانبها رداح<sup>(١)</sup>

والجداف ما تجدف به السفينة ، قال ابن دريد : مجداف السفينة بالبدال والذال جميعاً لغتان فصيحتان ، وهو مأخوذ من جدف الطائر يجدف جدوفاً إذا كان مقصوفاً فرأيته إذا طار كأنه يرد جناحيه إلى خلفه والقلع بالكسر الشراع والجمع قلاع ، قال قائلهم :

يكب الخلية ذات القلاع وقد كاد جَوْجُوها ينحطم<sup>(٢)</sup>

وسفن مُقْلَعَات إذا كان لها قلاع ، وأقْلَعَت السفينة رفعت شراعها ، والشراعة كالملاء الواسعة فوق خشبة تصفقه الريح فتَمْضِي بالسفينة ، جمعه أشرعة وشرع ، والدقل سهم السفينة وأصله الأول . والفلس حبلها ويسمى الجمل وهو حبل ضخ من ليف أو خوص من قلوب السفن والجَوْجُؤ صدرها ، والكَوْثُلُ ذنبها . والمردى والقيقلان خشبة تدفع بها السفينة ورأسها في الأرض ، قال شاعرهم :

وجارية قعدت على صلاها أدارى صدرها بالقيقلان<sup>(٣)</sup>

والمرساة آلة ترسى بها السفينة وتسميها الفرس ( لنكر ) وهي حديدة تلقى في الماء متصلة بالسفينة فتقف ، والمرساة بفتح الميم البقعة التي رست فيها السفينة . والرَّبَّان بالضم رئيس الملاحين كالرباني ، والثَوَاتِي الملاح والجمع النَوَاتِي ، والعَرَكَاتِي الملاح أيضاً ، والملاح الذي يلي الشراع ، والملاح ككتاب ريح تجرى بها السفينة والنوئل جُمْلُ السفينة . إلى غير ذلك مما هو معلوم للمتتبع ؛ ومن أسماء السفينة : الفلك ، والقرقور . والجارية . والخلية . أسماء للسفينة الكبيرة . ومن أسماء الصغيرة

(١) المعبد : السفينة المقيرة . والرداح : الواسعة (٢) الخلية : السفينة العظيمة . والجَوْجُؤ : الصدر . وينحطم : ينكسر (٣) يقول : ورب سفينة قعدت على مدفرها أقوم مقدمها بالمجداف .

الزورق والبوص وقال الجوهري : والبُوصى ضرب من سفن البحر وهو معرب ، قال الأعشى :

مثل الفرائى إذا ما طمى يقذف بالبُوصى والماهر<sup>(١)</sup>

والقارب سفينة صغيرة تكون مع أصحاب السفن البحرية تستخف لحوائجهم . وعلم الملاحة علم واسع موقوف على معارف كثيرة : منها معرفة سموت الأبحر ، ومعرفة مهاب الرياح وعواصفها ورخائها ومطرها وغير مطرها وسائر الأنواء ، ومعرفة مافى البحر من الجبال والجزر ، ومعرفة صناعة التجارة . فقد قال ابن خلدون : قد يحتاج إلى صناعة التجارة فى إنشاء المراكب البحرية ذات الألواح والدرس ، وهى أجرام هندسية صنعت على قلب الحوت ، واعتبار سبحة فى الماء بقواده وكلكله ؛ ليكون ذلك الشكل أعون لها فى مصادمة الماء ، وجعل لها عوض الحركة الحيوانية التى للسماك تحريك الرياح ؛ وربما أعينت بحركة المقاذيف كما فى الأساطيل إلى آخر ما قال . وأنت تعلم أن السفن فى قديم الزمان ، لم تكن صناعتها متقنة كل الإتقان ، فناء ولا كصداء<sup>(٢)</sup> ، ومرعى ولا كالسعدان<sup>(٣)</sup> .

#### كتابة العرب فى الجاهلية

كتابة العرب فى الجاهلية مما دل عليه شعرهم ولقنهم ، قال لبيد بن ربيعة :  
وجلا السيول عن الطلول كأنها زُرْ تَجِدُ مُتَوَّهَا أَقْلَامُهَا  
يقول : وكشفت السيول عن أطلال الديار فأظهرتها بعد ستر التراب إياها ، فكان الديار كتب تجدد الأقلام كتابتها ؛ شبه كشف السيول عن الأطلال

---

(١) الفرائى : الماء المنسوب الى الفرات . وطمى : ارتفع . والبوصى : يطلق على الزورق وعلى الملاح . والماهر : السابح المجيد . (٢) مثل يضرب لما يحمد بعض الحمد ويفضل عليه غيره . أى هذا مما لا بأس به ولكن ليس كماء صداء وهى بشر أوركية لم يكن عند العرب ماء أعذب من مائها . (٣) يضرب للشيء يفضل على أقرانه وأشكاله . والسعدان : نبت أخضر العشب لنا وإذا خثر لبن الراعية كان أفضل ما يكون واطيب وأدسم . ومنابت السعدان السهول وهو من أنجع المراعى فى المال ولا تحسن على نبتة حسنها عليه .

التي غطاها التراب بتجديد الكتاب الدارس ، وظهور الأطلال بعد دروسها بظهور السطور بعد دروسها ؛ وقال رجل كندى من دومة الجندل يمن على قریش :

(و) تَجَحَّدُوا نِعْمَاءَ بَشِيرٍ عَلَيْكُمْ      فَقَدْ كَانَ مَيِّمُونَ النَّقِيبَةَ أَزْهَرًا<sup>(١)</sup>  
أَنَا كَمْ بَخَطَ الْجَزْمَ حَتَّى حَفِظْتُمْ      مِنْ الْمَالِ مَا قَدْ كَانَ شَقِي مُبْعَثَرًا  
وَأَنْفَيْتُمْ مَا كَانَ بِالْمَالِ مَهْمَلًا      وَطَامَنْتُمْ مَا كَانَتْ مِنْهُ مَبْقَرًا  
فَأَجَرَيْتُمْ الْأَقْلَامَ عَوْدًا وَبَدَاءً      وَضَاهَيْتُمْ كِتَابَ كَسْرَى وَقَيْصَرًا  
وَأَغْنَيْتُمْ عَنْ مَسْنَدِ الْحَيِّ خَيْرًا      وَمَا زَبَرْتُ فِي الصَّحَفِ أَقْلَامَ حَيْرًا

فإن أول من كتب بخطنا هذا (وهو الجزم) مرامر بن مرة وأسلم بن سدره وعامر بن جدرة كما في القاموس ، وهم من طيء تعلموه من كاتب الوحي لهُود عليه السلام ، ثم علموه أهل الأنبار ، ومنهم انتشرت الكتابة في العراق والحيرة وغيرها ، فعلمها بشر بن عبد الملك أخو أكيدر بن عبد الملك صاحب دومة الجندل ، وكان له صحبة بحرب بن أمية لتجارته عندهم في بلاد العراق فتعلم حرب منه الكتابة ، ثم سافر معه بشر إلى مكة ، فتزوج (الصهباء بنت حرب أخت أبي سفيان) فتعلم منه جماعة من أهل مكة ، فلهذا كثرت الكتابة في قریش يومئذ فامتن الكندى على قریش بذلك . وسمى خط العرب بخط الجزم لأن الخط الكوفي كان أولاً يسمى الجزم قبل وجود الكوفة لأنه جزم أى اقتطع وولد من المسند الحميرى ، ومرامر هو الذى اقتطعه . . وقد تكلم الضولى في (أدب الكتاب) على هذه المسألة ، وأتى بباب مفيد لخص فيه ما ثبت لديه من الأقوال ، وكذا السيوطى في الزهر ، وجماعة من أهل الأدب ؛ وكتب ابن خلدون في مقدمته فصلاً مفيداً يتعلق بغرضنا ، وبين أن الكتابة في العرب كانت أعز من بيض الأنوق وأن أكثرهم كانوا أميين ولا سيما أهل البدو ؛ ومن قرأ منهم أو كتب كان خطه قاصراً وقراءته غير نافذة ؛ لأن هذه الصناعة من الصنائع

(١) ميمون النقيب . مبارك النفس مظفر بما يحاول

التابعة للعرمان ، ولهذا قد كان الخط العربي بالغاً مبالغه من الإحكام والاتقان والجودة في دولة التبابعة لما بلغت من الحضارة والترف وهو الخط المسمى بالخميري وانتقل منها إلى الحيرة لما كان بها من دولة آل المنذر نساء التبابعة في العصبية والمجديدين لملك العرب بالعراق ، ولم يكن الخط عندهم من الإجادة كما كان عند التبابعة لقصور ما بين الدولتين ، وكانت الحضارة وتوابعها من الصنائع وغيرها قاصرة عن ذلك . قال : ومن الحيرة لقنه أهل الطائف وقريش . ويقال : إن الذي تعلم الكتابة من الحيرة هو سفيان بن أمية أو حرب بن أمية ، وأخذها من أسلم بن سدره ؛ وهو قول ممكن وأقرب ممن ذهب إلى أنهم تعلموها من إياد أهل العراق لقول شاعرهم وهو أمية بن أبي الصلت النخعي :

قوى إياد لو أنهم أمم أولو أقاموا قهزل النعم  
قوم لهم ساحة العراق إذا ساروا جميعاً والخط والقلم

وهو قول بعيد لأن إياداً وإن نزلوا ساحة العراق فلم يزالوا على شأنهم من البداوة والخط من الصنائع الحضرية ، وإنما معنى قول الشاعر : أنهم أقرب إلى الخط والقلم من غيرهم من العرب لقربهم من ساحة الأمصار وضواحيها ، فالقول بأن أهل الحجاز إنما لقنوها من الحيرة ، ولقنها أهل الحيرة من التبابعة وحير هو الأليق من الأقوال ؛ وكان لخمير كتابة تسمى المسند حروفها متصلة ، وكانوا يمنعون من تعلمها إلا بأذنهم ، ومن حير تعلمت مضر الكتابة العربية إلا أنهم لم يكونوا مجيدين لها شأن الصنائع إذا وقعت بالبدو فلا تكون محكمة المذهب ، ولا ماثلة إلى الاتقان والتنميق لبون ما بين البدو والصناعة ، واستغناء البدو عنها في الأكثر ؛ وكانت كتابة العرب بدوية وأما مضر فكانوا أعرق في البدو ، وأبعد عن الحضرة من أهل اليمن وأهل العراق وأهل الشام ومصر ، فكان الخط العربي لأول الإسلام غير بالغ إلى الغاية من الإحكام والاتقان والإجادة ، ولا إلى التوسط ، لمكان العرب من البداوة ، وبعدهم عن الصنائع ، ( ٢٤ — ثالث )

ثم قال : واعلم أن الخط ليس بكمال في حقهم إذ الخط من جملة الصنائع المدنية المعاشية ، والكمال في الصنائع إضافي ، وليس بكمال مطلق إذ لا يعود نقصه على الذات في الدين ولا في الخلال ، وإنما يعود على أسباب المعاش ، وبحسب العمران والتعاون عليه لأجل دلالة على مافي النفوس ؛ وقد كان صلى الله تعالى عليه وسلم أمياً وكان ذلك كمالاً في حقه وبالنسبة إلى مقامه لشرفه وتنزهه عن الصنائع العملية التي هي أسباب المعاش والعمران كلها ، وليست الأمية كمالاً في حقنا نحن إذ هو منقطع إلى ربه ، ونحن متعاونون على الحياة الدنيا شأن الصنائع كلها حتى العلوم الاصطلاحية ، فان الكمال في حقه هو تنزهه عنها جملة بخلافنا .

### فوائد لغوية تتعلق بالكتابة وآلاتها

من أدلة وجود الكتابة في العرب مافي لغتهم من الألفاظ الموضوعة لآلات الكتابة والكتاب ، ولولم يعرفوها لم يضعوا تلك الألفاظ لمعانيتها ؛ فمن ذلك الدَّوَاةُ وجمعها دَوَى وَدَوَايَاتٌ وَدَوَى ، وقولهم لموضع المَلِيقِ مَمْلَقَةٌ خطأ والصواب مَلَاقَةٌ لأن المَلِيقَ ميمه زائدة وهو من لَمِيتُ الدَّوَاةَ أَلْقِيَهَا وَأَلْقَيْتُهَا ، والمَلِيقُ اسم القطن أو الصوف الذي يلصق به المداد ، وهو من قولك لاقَ به الشيء يليق إذا لصق به فلا تدخل ميم زائدة على ميم أخرى مزيده : وسمى المداد مداداً لأنه يمد الكاتب ، ومددت الدواة صببت فيها ماء ومدھا ، وتقول مُدَدْنِي أَيْ أَعْطَنِي مَدَّةً مِنَ الدَّوَاةِ . وقد خَثَرَتِ الدَّوَاةُ خُثُورَةً وَخَثَارَةً إِذَا تَخَنَّنَتْ نَفْسُهَا وَهُوَ الْمَدَادُ يُقَالُ نَفَسٌ وَأَنْفَاسٌ لِقَطْعِ مِنْهُ ، والقلم قبل أن تبريه أنبوبة فاذا بريته فهو قلم ، وما يسقط منه عند البري البراية ، وبطنت القلم رَقَقْتُ بَطْنَهُ وَأَنْفَتُهُ حَدَدْتُ طَرَفَهُ ، وشبَّاتُهُ حَدَّةً ، وَلَيَّطْتُهُ إِذَا وَضَعْتُ فِي شَقِّهِ لِيُطْعَمَ بِهَا ضَيْقُهُ ، واللَّيْطَةُ قَشْرُ الْقَصَبِ . وقَطَطْتُهُ قَطًّا ، وَالْمَقَطُّ مَا يُقَطُّ عَلَيْهِ ؛ وَالْقَطُّ الْقَطْعُ عَرْضًا ، وَالْقَدُّ أَنْ يُقَطَّ الشَّيْءُ طَوْلًا ، وَيَقُولُونَ قَلَمٌ رَشَاشٌ ؛ وَذَلِكَ إِذَا حَافَ الشَّقُّ عَلَى أَحَدِ جَانِبَيْهِ

فدقّ وتعرّ بِشَطَايا الكتاب ، ورشّش المداد ، وتقول كتبت كتاباً وهو مصدر ، ثم يسمّى المكتوب على السّعة كتاباً ، والكتابة صناعة الكاتب ، والطّرس الكتاب المحوّ الذي استطاع أن تعاد فيه الكتابة ، والتطريس فعلك به ، وطّرس الباب سوّده ، والطلّس باللام كتاب لم ينعم محوه فيصير طرساً ، والمجمّجّة تخليط الكتب وإفساده بالقلم كالجمجمة باللسان ، وهو أن لا يبين الكلام من غير عى ، والصّحف ما كان من جلود ، والقطّ الكتاب ، والمجلة صحيفة كانوا يكتبون فيها الحكمة . قال النّابغة :

تَجَلَّتْهُمْ ذَاتُ الْإِلَهِ وَدِينِهِمْ قَوِيْمٌ بِهِ يَرْجُونَ خَيْرَ الْعَوَاقِبِ<sup>(١)</sup>  
والعهدة كتاب الشراء ، وكتب له منشوراً وهو ما لا يشدّ ، ورُجعة الكتاب ورُجمانه جوابه ، ويقال أجابه في هامشة كتابه إذا كتب بين السطرين وهو من قولك تهاشم القوم إذا دخل بعضهم في بعض ، وهمش الجراد إذا تحرك ليثور ؛ وتقول نقطت الكتاب وأعجمته وشكّلته وقيدته فالنقط لما كان مدوّراً والنقطة الاسم ، وهذا كتاب غفل كقولك دابة غفل إذا لم يكن موسوماً ، والسجل كتاب العهد ، وتقول : أملت الكتاب وأملته واستملى إذا سأل أن يملى ، وكذلك استملّ والزبور والرقيم الكتاب ، وزبرت ورقمت كتبت وقرمت مطت قارت بين الحروف ، وطويت الكتاب وأدرجته وسحيته أسحاه سخياً إذا قلعت منه سحاة وهى القشرة تأخذها عن القرطاس ، وخزمته ثقبته وحزمته شدّدته ، ويقال ترّبت الكتاب وأترّبتّه وترّبتّه وطنّته أطينه طيناً ، وختمته والاسم الختام ، وعنونه أعنونه وأرخت الكتاب تاريخاً ، وهذه إضبارة من كتب وإضامة ، والكراسة ما تكررست أوراقه وتلبّدت ، والمصحف سمي مصحفاً لأنه أصحّف أى جعل جامعاً للمصحف المكتوبة بين الدفتين ، وهما اللوحان اللذان يكتنفانه ، وله الوعاء والغلاف وفيه العروتان ، والمعلق ما يعلّق

(١) يقول : صحيفتهم التى فيها وصاياهم مثبتة على طاعة الله ، ودينهم مستقيم يرجون به ثواب الله تعالى

به ، وفيه الفكوك والواحد فكّ وهو ما يستر الأوراق من جانبيه ، والعلاوة من أعلام والخلق واحدها حلقة . وفي الخلق الذوائب وهي السيور التي في أطرافها ، والأشراج والواحد شَرَج وهو السير المرصع أسفل الخلق والترسيم صغير السير على نحو معروف وفي المصحف الخارز وهي المواضع التي تُنحَرَزُ منه ، وله الأذان ، وفي الدفتين المسامير والكراكب ؛ فأما المِجْبَرَةُ والخَبْرِيَّةُ فالتى فيها الخبر وهو الزّاج ، ولها المِغْلَاق وهو خيط أو سير يشد إلى عراها ، والرَّشْقُ صوت القلم . والفشقة كقطنة في جوف القصبة ، وحَصْرَمَ القلم براه ، والمرْقَمَ القلم ؛ ومثل ذلك كثير في كتب اللغة والأدب لاسيما كتاب ( أدب الكتاب الصُّولى ) فقد ذكر فيه كل ما يتعلق بهذه الصناعة .

#### مطبات العرب ومراسلاتهم ومآلهم في ذلك من العوائد

خير الكلام لدى العرب ما أدى المقصود بكاله بلفظ وجيز ، وعبارة مختصرة ومدلر البلاغة عندهم على ذلك ؛ والكتب والمراسلات من ضروريات الأمم التي لا يمكن الاستغناء عنها ؛ وحيث أن الكتابة لم تكن في جميع العرب لقرهم يومئذ من البداوة قل الترسل فيما بينهم تحريراً قبل شيوع الكتابة فيهم ، وكانوا يستغنون عن ذلك بإرسال الرسل يبلغون عنهم مقاصدهم إلى من يرومون وربما ألغزوا عنها اخفاء لها إذا كانت مما يجب إخفاؤها وإسرارها .

وربما كتبوا أبياتاً من الشعر تؤدي مقاصدهم إذ الشعر كان يومئذ ديوان العرب ، وقد صادفت من ذلك ما لا يستقل ، ففي كتاب ( مروج الذهب ) عند ذكر سابور ذى الأكتاف وغلبة العرب على سواد العراق قال : وكانت جمة العرب ممن غلب على العراق ولد إياد بن نزار ، وكان يقال لها طبق لإطباقها على البلاد ، وملكها يومئذ الحرث بن الأغبر الأيادى ، فلما بلغ سابور من السن ست عشرة سنة أعد أساورته بالخروج إليهم والإيقاع بهم ؛ وكانت إياد تصيف



بالجزيرة وتشتو بالعراق ، وكان في حبس سابور رجل منهم يقال له لقيط فكتب إلى إياد شعراً يندرهم به ، ويعلمهم خبر من يقصدهم ، وهو :

سلامٌ في الصحيفة من لقيط      على من في الجزيرة من إياد  
بأنّ الليثَ يأتيكم دلاقاً      فلا يحسبكم شوكَ القتاد<sup>(١)</sup>  
أناكم منهم سبعون ألفاً      يجرّون الكتائب كالجراد<sup>(٢)</sup>  
على خيل ستأتيكم ، فهذا      أوان هلاككم كهلاك عاد

فلم يعبأوا بكتابه ، وسراياه تسكّر نحو العراق وتغير على السواد ، فلما تجهز القوم نحوهم أعاد إليهم كتاباً يخبرهم أن القوم قد عسكروا وتحشدوا لهم ، وأنهم سائرون إليهم ، وكتب إليهم شعراً أوله :

يا دارَ عبلة من تذكّرها الجزعا      هيّجت لي الهمّ والأحزان والوجعا  
أبلغ إياداً وحلل في سراتهم      إني أرى الرأي إن لم أعص قد نصعا<sup>(٣)</sup>  
أن لا تخافون قوماً ( لا أبالكم )      مشوا إليكم كأمثال الدّبي سرعا<sup>(٤)</sup>  
لو أن جمّعهم راموا بهدتهم      شمّ الشماريخ من شهلان لانصدعا<sup>(٥)</sup>  
فقدّوا أمركم لله دَرّكم      رحبّ الذراع بأمر الحرب مضطلعاً<sup>(٦)</sup>  
فأوقع بهم فعمهم القتل ، فما أفلت منهم إلا نفر لحقوا بأرض الروم ، وحلح بعد ذلك أكتاف العرب فسمى بعد ذلك سابور ذا الأكتاف ، وصحيفة المتلمس مشهورة ، وفي كتب الأدب مذكورة ، وكانت على ذلك الأسلوب أيضاً ، ولا بد من ذكر خبرها وقصتها المستطرفة .

(١) قوله « يأتيكم دلاقاً » أي مسرعاً مندفعاً . والقتاد : شجر صلب له شوكة كالابر . ويضرب به المنزل في الخشونة والشدة كما قال أبو تمام :  
نبا خبر كان القلب أمسى \* يجر به على شوك القتاد  
(٢) الكتائب جمع كتيبة وهي الطائفة من الجيش مجتمعة . (٣) السراة : جمع سرى وهو الرئيس ونصع الأمر : إذا وضح (٤) الدنى : أصغر الجراد والنمل (٥) الشماريخ : رؤوس الجبال . ونهلان : جبل (٦) أنظر ص ١١٤ من هذا الجزء

### صحيفة المتلمس

إن المتلمس ( وهو شاعر مشهور اسمه جرير بن عبد المسيح ) وفد هو وابن أخته طرفة بن العبد على عمرو المذکور ، فنزلا منه في خاصته ، وكانا يركبا معه للصيد فيركضان طول النهار فيتعبان ، وكان يشرب فيقفان على بابه النهار كله ولم يصلا إليه فضجر طرفة ، فقال فيه :

فَلَيْتَ لَنَا مَكَانَ الْمَلِكِ عَمْرٍو رَغْوًا حَوْلَ قَبْتِنَا تَمُورُ<sup>(١)</sup>  
لَعَمْرُكَ إِنْ قَابُوسَ بْنَ هَنْدٍ لَيَخْلِطُ مَلَكُهُ نُؤُكَ كَثِيرُ<sup>(٢)</sup>  
وقال أيضاً :

ولا خَيْرَ فِيهِ غَيْرَ أَنْ لَهُ غِي وَأَنَّ لَهُ كَشْحًا إِذَا قَامَ أَهْضَمًا<sup>(٣)</sup>  
تَظَلُّ نِسَاءَ الْحَى يَسْكُنْنَ حَوْلَهُ يَقْلُنَّ عَسِيبٌ مِنْ سَرَارَةٍ مَلْهَمًا<sup>(٤)</sup>  
في أبيات مشهورة ؛ فبلغ ذلك عمرو بن هند فهم بقتل طرفة ، وخاف من هجاء المتلمس له لأنهما كانا خاليين ، فقال لهما : لعلكما اشتقتما لأهلكما ! فقالا : نعم ! فكتب لهما بصحيفتين وختمهما ، وقال لهما : اذهبا إلى عاملي بالبحرين ، فقد أمرته أن يصلكما بجوائز ! فذهبا فرآ في طريقهما بشيخ يحدث وياً كل تمرأ ويقصع قلاً ، فقال المتلمس : ما رأيت شيخاً كالיום أحق من هذا ! فقال الشيخ : ما رأيت من حمقٍ أخرجُ خبيثاً وأدخل طيباً وأقتل عدواً ! وإنَّ أحقَّ مني من يحمل حنفته بيده وهو لا يدري ! فاستراب المتلمس بقوله وطلع عليهما غلام من أهل الحيرة فقال له المتلمس : أتقرأ يا غلام ؟ قال : نعم ! ففرض الصحيفة وقرأها فإذا فيها : إذا أتاكَ المتلمس فاقطع يديه ورجليه وادفنه حياً !

---

(١) الرغوت : كل مرضعة . وتخور : تصيح (٢) النوك : الحمق .  
(٣) الكشح : الخصر . والاهضم : الدقيق (٤) العسب : جريدة من النخل مستقيمة دقيقة بكشط خوصها والسراة : خيار الشيء وصفوته . وملهم : موضع كثير النخل . شبه كشحه الاهضم بجريدة نخل من خيار نخل هذا المكان

فقال لطرفة : ادفع إليك صحيفتك فإن فيها مثل هذا ! فقال : كلا ! لم يكن ليحترى على ! فقذف المتلمس بصحيفته في نهر الحيرة وقال :

قذفت بها في اليم من جنب كافرٍ كذلك أقنؤ كل قِطٍ مُضَلِّلٍ <sup>(١)</sup>  
رضيت لها بالماء لما رأيتهما يجولُ بها التَّيَّارُ في كل جَدْوَلٍ <sup>(٢)</sup>  
ثم مضى المتلمس إلى هشام ، وذهب طرفه إلى عامل البحرين فأعطاه صحيفته ،  
فقصده من أ كحليه فنزف <sup>(٣)</sup> حتى مات ، وقيل في قتله غير ذلك <sup>(٤)</sup> . ومن  
قوله في السجن يخاطب عمرو بن هند :

أبا منذرٍ كانت غروراً صحيفتي ولم أعطِكم بالطوع مالى ولا عرضي  
أبا منذرٍ أقنيت فاستبق بعضنا حنائيك بعض الشر أهون من بعض <sup>(٥)</sup>

### تغير أسلوبهم

ثم تغيرت عوائدهم في ذلك فكانوا يبتدئون في كتبهم بأسماء آلهتهم كالللات  
والعزى ثم يذكرون مقاصدهم ، وفي ( أدب الكاتب للضولي ) بسنده : أن قریشاً  
كانت تكتب في جاهليتها باسمك اللهم ، وكان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم  
كذلك ، ثم نزلت سورة هود وفيها : « بسم الله مجريها ومرساها » فأمر النبي  
صلى الله تعالى عليه وسلم أن يكتب في صدر كتبه : بسم الله ، ثم نزل في سورة  
بنى إسرائيل « قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أيا ما تدعوا فله الأسماء الحسنى »  
فكتب : بسم الله الرحمن ، ثم نزل في سورة النمل « إنه من سليمان وإنه بسم الله  
الرحمن الرحيم » فجعل ذلك في صدر الكتاب إلى الساعة ؛ وغير الضولي ذكر  
مثل ذلك أيضاً ؛ ونقل المسعودي في المروج عن جماعة منهم ابن السائب الكلابي

(١) أقنؤ : اتخذ ، والقط : الصك تكتب فيه الجائزة (٢) التيار : الموج ،  
والجدول : النهر الصغير . (٣) الأكحل : عرق في الذراع يفصد . ونزف دمه :  
سال حتى أفرط (٤) لهذه الحكاية مثال في تاريخ قدماء اليونان تعزى إلى  
بليروفون Bellérophon (٥) راجع ص ١١١ من هذا الجزء .

أن أول من كتب من قریش ( باسمك اللهم ) أمية بن أبی الصّلت الثقفی ، وذكر في سبب ذلك قصة طويلة لا غرض لنا في نقلها ؛ ومنهم من كان يكتب بعد البسملة : من فلان إلى فلان ، ثم التحية ، ثم يأتي ( بأما بعد ) ثم يذكر مقصده بأوجز عبارة ؛ وقد اختلف في أول من ابتداء ذلك على أقوال ذكرها الصّولي ، وعقد لذلك في كتابه باباً أطال الكلام فيه ؛ وعن أبی حاتم السجستاني في كتاب المعمرين عند ذكر قس بن ساعدة : أنه أول من آمن بالبعث من أهل الجاهلية ، وأول من توكأ على عصا ، وأول من قال : أما بعد ، وهو أول من كتب : إلى فلان ابن فلان ؛ ورجع الصّولي أن أول من قال « أما بعد » كعب بن لؤی وكان أول من سمى « الجمعة » وكانت تسمى « العروبة » قال : وهى فصل الخطاب ، ومعناه على هذا أنه إنما يكون بعد حمد الله ، أو بعد الدعاء ، أو بعد قولهم من فلان ابن فلان إلى فلان ، فيفصل بين الخطاب المتقدم وبين الخطاب الذى يجيء بعد ، ولا تقع إلا بعد ما ذكرناه ، ألا ترى قول سابق البربرى لعمر بن عبد العزيز :

باسم الذى أنزلت من عنده السور الحمد لله أما بعد يا عُمَرُ !  
فإن رضيت بما تأتى وما تذر فكن على حذرٍ ، قد ينفع الحذر !

قال : والمعنى فى أنها لا تقع مبتدأة أن المراد بها أما بعد هذا الكلام ( يعنى الذى تقدم ) فإن الخبر كذا وكذا . ثم أطال الكلام فى وجوب ذكر الفاء بعد أما بعد ، وبيان معناها ؛ وكان من عوائد العرب فى كتبهم أيام جاهليتهم إذا كتبوها نثراً لم يلتزموا فيها السجع بل أرسلوه إرسالاً ؛ والسجع لم يلتزمه منهم إلا السكّهان ، واستعملهم فى الخطب والوصايا قليل ، وذلك لأنهم جبلوا على الميل إلى السهل من كل شئ والنفرة من كل متكلف فى أفعالهم وأقوالهم وغير ذلك ، والسجع لكونه متكلف الألفاظ مما تنفر عنه الطباع ، وتمجّه الأسماع ، والمستحب منه هو مقدار يجرى من الكلام مجرى الطراز من الثوب ، والعلم

من المطرف<sup>(١)</sup> ، والخال<sup>(٢)</sup> من الوجه ، والعين من الإنسان ، والسواد من الحدقة ، والإشارة من الحركة ؛ وقد علمت أنه متى كثرت الخيلان من الوجه وغمرته كان ترادف أجزاء السواد ذاهباً ببهجة تمام الحسن .

وقد أخرج ابن أبي حاتم عن يزيد بن رومان أنه قال : كتب سليمان عليه السلام ( بسم الله الرحمن الرحيم من سليمان بن داود إلى بلقيس ابنة دى شرح وقومها : ألا تعلموا على وأتوني مسلمين ) وقد حكى ذلك الكتاب الكريم ، فلما وصل الكتاب إلى بلقيس ، واطلعت عليه ، وصفته بالكرم لكونه مخنوماً . وفي الحديث « كرم الكتاب ختمه » وعن ابن المقفع « من كتب إلى أخيه كتاباً ولم يختمه فقد استخف به » . وهكذا كان أسلوب العرب في مراسلاتهم ، ومكاتبات النبي صلى الله تعالى عليه وسلم إلى الملوك وغيرهم أيضاً على هذا الأسلوب ، وهكذا كان أسلوب أهل الصدر الأول والثاني ، وهكذا إلى أن تغير ذلك الوضع بما هو المذكور في كتب الإنشاء من الألفاظ المتكلفة ، والأساليب التي ينفر عنها الطبع ، وما أحسن ما كان عليه العرب ، وما أسهل ، وما أعذب وألطفه . وعرب نجد إلى اليوم على طريقة أسلافهم في ذلك الأسلوب . وقد ذكر الصولي في (أدب الكتاب) عوائد المتأخرين في سائر فنون مكاتباتهم ومراسلاتهم ، وكيف يخاطب الناس ملوكهم ، والملوك أمراءهم ورعاياهم ، وكيف يخاطب الناس بعضهم بعضاً ، وكيف المنشورات والتقاليد وغير ذلك من كتب العهد والتولية والقضاء ؛ وأفرد باباً في بيان ما بتكاتب به الناس في عصره ، وبقيت للعرب سنن وعوائد التزموها في كتبهم ، منها : الابتداء بالبسملة من حاشية القرطاس ، ثم التحية من تحتها ، ويستقبلون أن يخرج الكلام عن البسملة فاضلاً بقليل ، ولا يكتبونها وسطاً ويكون الدعاء فاضلاً ؛ وكان من الكتاب الإسلاميين من يرى أن يجعله وسطاً في أسفل الكتاب بعد انقضاء الدعاء الثاني ، والتاريخ إذا

---

(١) ثوب من خز له أعلام (٢) الشامة ، والجمع خيلان

احتاج إلى تبين نسخة كتاب متقدم أو حساب ليفرق بين منزلته من صدر الكتاب وبين مجزه ؛ وقد ذهب إليه قوم ، ولا يفسح ما بين البسملة وبين السطر الذي يتلوها من الدعاء ، ولكن يفسح ما بين الدعاء إذا استتم وبين سائر المحاطبة ولا يتجاوز بالدعاء ثلاثة أسطر ، ولا يستتم السطر الثالث على المشهور من مذاهب أجلاء الكتاب الإسلاميين ؛ ومنها ترتيب الكتاب وتطيينه ، وإعادة النظر عليه بعد الكتابة ، والخاتم وآدابه ، والعنوان ، وغير ذلك مما كانوا عليه ؛ وقد بسط الصولي الكلام على هذه الأمور في (أدب الكتاب) .

#### ما ظهر يكتب فيه العرب

لم يكن للعرب قبل الإسلام القرطاس المعهود اليوم ، وإنما ظهر هذا عند العرب سنة العشرين بعد المائة من الهجرة النبوية ، وهم الذين اخترعوه على قول بل كان القرطاس عندهم يومئذ كل ما يمكن أن يكتب عليه كالرق (بفتح الراء وهو جلد رقيق تحسن الكتابة عليه) وهو أغلب قراطيسهم ، وكذلك في صدر الإسلام ، ومنه قوله سبحانه ( والطور ، وكتاب مسطور ، في رق منشور ) وربما كانوا يكتبون على العصب والجريد وما شاكل ذلك ؛ وكما كانوا يسمون ما يكتب عليه بالقرطاس يسمونه (مُهَرَّقًا) و (صحيفة) و (سفرًا) وقد ورد ذكر القرطاس في التنزيل وكذلك الصحف والأسفار : وهو مما يدل على معرفتهم به وشيوعه بينهم ؛ وكانت العرب تشبه المنزل إذا خلا ودرجت عليه الريح وصار أرضاً بالمُهَرَّق ، قال الأعشى :

سلا دارَ ليلى هل تبين فتنتلق وأنى تردّ القولَ بيضاءَ سَمَلَقُ<sup>(١)</sup>  
وأنى تردّ القولَ دارُ كأنها لطول بلاها والتقدّم مُهَرَّقُ !  
وشبه أبو نواس الناقة البيضاء بالقرطاس فقال من أبيات :  
« يَقِقْ كقرطاس الوليد هجان<sup>(٢)</sup> »

---

(١) السملق : القاع الصفصف (٢) أبيض يقق : شديد البياض

خصّ قرطاس الوليد لأنه معه كالرسم لم يكتب فيه بعد ، والهجان :  
السكرام من الإبل وغيرها ، وقد استوفى جعفر بن حمدان الكتاب وصف القرطاس  
بقوله :

في يديه من القراطيس كالز نة جادت بوا كفي مدرار<sup>(١)</sup>  
كالملء الرحيض كالبيض بيض الهند ، كالبيض ، كالمياه الجوارى<sup>(٢)</sup>  
كالسراب الرقراق في عنقوان الصيف نصف النهار في أيار<sup>(٣)</sup>  
ما تبالي أجلت عينك فيه حين يطوى أم في خصوص العذارى ؟  
يسبح الخط فيه عفواً فما يك بو بوغث فيه ولا بجبار<sup>(٤)</sup>  
والكلام في هذا الباب يطول ، وما ذكرناه فيه الكفاية ، وبالله التوفيق .

### حساب العرب أيام جاهليتهم

كان للعرب حساب غير ما هو الممهود اليوم ، فإنه مما يحتاج إلى آلة فاجتنبوه  
ورأوا أن ما قلت آتته وانقرد الإنسان فيه بآلة من جسمه ، كان أسهل وأفيد  
وأنسب لغرضهم ، وهو حساب عقود الأصابع ، وقد وضعوا كلا منها بأزاء عدد  
مخصوص ، ثم رتبوا لأوضاع الأصابع آحاداً وعشرات ومئات وألوفاً ، ووضعوا  
قواعد يتعرف بها حساب الألوف فما فوقها بيد واحدة ، وقد ألف فيما ورد عنهم  
من ذلك عدة رسائل ، منها : رسالة شرف الدين اليزدي وهي من أحسن ما ألف  
في هذا العلم ، ونظم فيه أراجيز كثيرة ، منها : أرجوزة لطيفة لابن حرب أورد  
فيها ما يحتاج إليه من هذا العلم ، ومنها أرجوزة أبي الحسن علي الشهير بابن المغربي

---

(١) الواكف : المطر ، والمدرار : الكثير الدر ، أي السيلان (٢) الملء جمع  
ملاءة وهي الربطة ذات لفقين ، والرحيض : المفسول (٣) السراب : مآثره  
نصف النهار كأنه ماء ، والرقراق : المتحرك ، وعنقوان الشيء بالضم أوله أو  
أول بهجته . (٤) كبا يكتبو : انكب على وجهه ، والوغث : الطريق العسر ،  
والجبار : الاثر .

وقد شرحها عبد القادر بن علي بن شعبان العوفي ، وأورد في شرحه فوائد كثيرة تتعلق بهذا العلم <sup>(١)</sup> ، وما روى عن العرب من الشعر المشتمل على هذا الحساب ، ولشمس الدين محمد بن أحمد الموصلي الحنبلي رحمه الله منظومة موجزة في بيان قواعد هذا الحساب مشتملة على لب لبابه ، وهي هذه بعد البسملة :

يُحْمَدُكَ يَا رَبَّاهُ أَبْدَأُ أَوَّلًا	فَازَاتِ أَهْلًا لِلْمَحَامِدِ مَفْضَلًا
وَأَتَّبِعْ حَمْدِي بِالصَّلَاةِ عَلَى الرِّضَا	أَبِي الْقَاسِمِ الْمَهْدِيِّ خَيْرٍ مِنْ أَرْسَلَا
وَمِنْ بَعْدِ هَذَا أَيُّهَا السَّائِلُ اسْتَمِعْ	حِسَابَ الْيَدِ إِذْ عَنْهُ سَلَّتْ مَفْصَلَا
فَفِي عَدَدِ الْآحَادِ يَأْصَحُ أَفْرَدَنُ	لِيُنَيِّ يَدِيكَ اعْلَمْ وَإِيَّاكَ تَجْمَعَلَا
فَالْوَاحِدَ اقْبِضْ خَنْصِرًا ثُمَّ يَنْصِرًا	لِلْأَتْنَيْنِ وَالْوَسْطَى كَذَاكَ التَّكْمَلَا
بَعْدَ ثَلَاثِ ثُمَّ لِلْخَنْصِرِ أَرْفَعَنَّ	بِأَرْبَعَةٍ وَالْبَنْصِرِ الْخَمْسَةَ أَكْمَلَا
وَفِي السِّتَةِ اقْبِضْ بَنْصِرًا دُونَ كُلِّهَا	عَلَى طَرَفٍ لِلرَّاحَةِ اسْمَعُهُ وَانْقَلَا
وَفِي السَّبْعَةِ اقْبِضْ تَحْتَ الْإِبْهَامِ خَنْصِرًا	وَفِي طَرَفٍ لِلرَّاحَةِ الْقَبْضَ فَاجْعَلَا
وَلِلْبَنْصِرِ أَرْفَعَنَّ ثُمَّ فِي الثَّمَانِ اِضْمَنْ	إِلَى خَنْصِرٍ فِي الْقَبْضِ لِلْبَنْصِرِ اعْقَلَا
وَفِي التَّسْعَةِ الْوَسْطَى اِضْمَنْ مَعَهُمَا وَفِي	جَمِيعِ الْآحَادِ افْعَلَنَّ ذَا وَإِنْ عَلَا
وَفِي عَشْرَةٍ مَعَ عَقْدِ الْإِبْهَامِ فَاسْتَمِعْ	تَحَاقَ رَأْسًا لِمُسْبِحَةِ افْعَلَا
وَلِلظَّفَرِ مِنْ إِبْهَامِكَ اجْعَلْهُ بَيْنَ إِصْبِهِ	بِعَمِيكَ هِيَ الْعَشْرُونَ فَاعْلَمْهُ وَاعْمَلَا
وَمَا بَيْنَ رَأْسِ الْمُسْبِحَةِ اجْمَعْ	وَرَأْسَ لِلْإِبْهَامِ الثَّلَاثُونَ حَصَلَا
وَإِنْ تَرَكَبَ الْإِبْهَامُ يَأْصَحُ فَاحْتَفِظْ	لِسَبَابَةِ الْأَرْبَعِينَ مَكْمَلَا
وَإِبْهَامَكَ اجْعَلْ تَحْتَ سَبَابَةِ إِذَا	تَعَمَّدْتَ لِلْخَمْسِينَ فَاحْفَظْهُ تَكْمَلَا
وَتَرَكَبَ الْإِبْهَامِ الْمُسْبِحَةَ اسْتَمِعْ	كَقَبْضِ سَهْمٍ وَهِيَ سِتُونَ اِحْمَلَا
وَعَدَاكَ لِلْسَّبْعِينَ فِي بَطْنِ ثَالِثِ	لِسَبَابَةِ إِبْهَامِكَ اعْقِدْهُ تَجْمَعَلَا

(١) نشرتها ( أنا ) مع شرحها « لوح الحفظ » في الجزء الثاني من المجلد الخامس من مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق .



والإبهام من تحت المسبحة اجعلن<sup>١</sup>      بنانا على ظفر ثمانين أكلا  
وفي عدّ تسعين المسبحة اقبطن<sup>٢</sup>      لما بين إبهام وما بينها اجتلى  
وابهامك اجعل فوقها مثل حنية<sup>٣</sup>      تروم وثوباً والمئين الا اجعلا  
بيسراك كالآحاد ياذا العلوم من<sup>٤</sup>      يمينك فاحفظه وإياك تعولا  
كذا العشرات من يمينك انها      بيسراك يا هذا الوف على الولا  
وعشرة آلاف لابهامك اجعن<sup>٥</sup>      وذلك مع سبابة يا أخا العلا  
بيسراك وامهده كحلقة استمع      اذا طويّت والرأس فاجعله أسفلا  
وقد نجزت والحمد لله وحده      ميسرة تبغى أخا مفضلاً  
يسامحها فيما يرى من عيوبها      فما أحد عن ذاك يا صاح قد خلا  
فخذها عروساً قد سمت شمس ضحوة      وبدر ديار قد بدا مهلاً  
فإن تمتنع كالسكر عند امتناعها      على بعلها عند الزفاف تدلا  
فصفت لها ذهنًا غزيراً محوِّداً      وغصن في بحار السكر ثم تأتلا  
تري لمعانها بزوغاً ككوكب      ويأتيك منها العلم والفضل مقبلاً

— وبعض أهل الفضل ذكر في بيان مراتب الأعداد في العقد مانصه : عند  
العشرة تجعل السبابة حلقة ، والعشرين تجعل الإبهام بين السبابة والوسطى ،  
والثلاثين تجعل رأس السبابة على رأس الإبهام ، والأربعين تجعل رأس الإبهام  
خلف السبابة ، والخمسين تجعل الإبهام جالساً ، والستين تجعل ظهر رأس الإبهام على  
الفصل الأعلى من باطن السبابة ، والسبعين تجعل رأس الإبهام على الفصل  
الأسفل من باطن السبابة ، والثمانين تجعل رأس السبابة على ظفر الإبهام ، والتسعين  
تجعل السبابة حلقة غير مجوفة ؛ المائة تجعل رأس السبابة اليسرى كما جعلت اليمنى  
في العشرة ؛ المائتين تجعل الإبهام اليسرى كما جعلت اليمنى في العشرين ، وعلى  
هذا القياس إلى الألف في كل مائة كما في العشرات لكن اليد اليسرى ؛ ثم  
نأخذ الألف كما تأخذ الآحاد إلى العشرة من اليد اليسرى ، ثم تأخذ العشرة

الآلاف ، وهو أن تجعل جنب رأس الابهام على جنب رأس السبابة انتهى .  
وبقى كلام كثير يطلب من محله ؛ وقد ورد حساب اليد في عدة أحاديث ،  
وفي كلام كثير من رجال الصدر الأول وأجلة السلف ، وبه ينحل كثير من  
أبيات المعاني التي حيرت الأفهام . ( ومن العرب ) من كان يحسب بالخصى  
ويضبط عدده به كما دل عليه شعرهم . قال الأعشى ميمون من أبيات فضل  
فيها عامر بن الطفيل على علقمة بن علاثة :

إن ترجع الحق إلى أهله      فلست بالمسدى ولا النائر<sup>(١)</sup>  
ولست في السلم بذى نائل      ولست في الهيجاء بالجاسر<sup>(٢)</sup>  
ولست بالأكثر منهم حصي      وإنما العزة للكاثر  
ولست في الأثرين من مالك      ولا أبى بكر أولى الناصر<sup>(٣)</sup>  
هم هامة الحى إذا مادعوا      ومالك في السؤدد القاهر

الخصى : العدد والمراد به هنا عدد الاعوان والأنصار . قال بعض شارحي  
هذه الأبيات : وإنما أطلق الخصى على العدد لأن العرب أميون لا يعرفون  
الحساب بالقلم ، وإنما كانوا يعدون بالخصى وبه يحسبون المعداد ، واشتقوا منه فعلاً  
فقالوا : أحصيت ، ومن العرب من كان لا يحسن الحساب أصلاً حتى نقل الصولى  
في كتاب ( أدب الكتاب ) أن بعض العرب باع جوهرًا نفيسًا بألف درهم فقيل  
له : كان يساوى أكثر من هذا فقال : ما ظننت أن عددًا أكثر من ألف !

(١) المسدى : من السدى وهو مامد من النوب . والنائر : اسم فاعل من  
نرت الثوب نيرا بالفتح جعلت له نيرا بالكسر وهو علم الثوب وهدبه ولحمته .  
وهذا مثل يضرب في التبرى من الشيء كقولهم « لافى العير ولا فى النفير » وهذا  
خطاب مع علقمة (٢) النائل : بمعنى التوال وهو العطاء . والهيجاء : الحرب .  
والجاسر : من الجسارة وهى الجراءة والشجاعة .  
(٣) الاثرين : جمع أثرى جمع تصحيح بمعنى ذى ثروة . ومالك : هو  
جد عامر بن الطفيل بن مالك بن جعفر بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة .  
وأبو بكر : عم جده واسمه عبيد ( بالتضغير ) ابن كلاب بن ربيعة المذكور بأبو  
بكر أخو جعفر بن كلاب ...

فلذلك كانوا يمدحون من يحسن الحساب والعدد ، ويصفونه بالخلق ، وينسبونه الى حكمة وعدل ، قال النابغة للنعمان في اعتذاره :

واحكم كحكم فتاة الحى إذ نظّرتُ إلى حمام سِراجٍ وارد الثَّمَدِ<sup>(١)</sup>  
 قالت : ألا ليتما هذا الحمامُ لنا إلى حمامتنا أو نصفه فَقَدِ<sup>(٢)</sup>  
 فحسبوه فألفوه كما زعمتُ تسعاً وتسعين لم ينقص ولم يزدِ<sup>(٣)</sup>  
 فكملت مائة فيها حمامتها وأسرعتُ حِسبةً في ذلك العدد<sup>(٤)</sup>

يريد كُنْ حكيماً في إنصافى كما حكمت جارية كانت لها حمامة فرأت قطاً فخرزته ستاً وستين فقالت . ليت الحمام ليه ، الى حمامتيه ، أو نصفه قديهِ ، ثم الحمام ما به ! قالوا : وكانت لها قطاة ، وجعلت القطاة حماماً . وهذا قول الأصمعى ، وبعضهم قال : أراد النابغة أحكم علىَّ بعدل كما حكمت هذه الفتاة في العدد فأصابت ! والأول أجود . أفلا ترى إلى النابغة كيف حكى هذا ، ونسب تلك الفتاة إلى حكمة وعدل حين أحسنت العدد ؟ قال أبو عبيدة : وكان يقال للجارية (الزرقاء) واسمها (عز) وكانت من جدیس . وقال غيره : القائلة لهذا هند بنت الحس ، وقد مر الخلاف عند الكلام على حكيما العرب من الجزء الأول<sup>(٥)</sup> . . وكان حساب اليد مرجحاً على غيره بين الكتاب في الدولة العباسية على ما ذكره الصُولى فإنه قال : أجمع الحساب من كل جنس وملة بكل خط ولغة على أن تراكيب الحساب لا تمدو أربعة : عدد يضرب في عدد ، أو قسمة عدد على عدد ، أو إلقاء عدد من عدد ، أو زيادة عدد على عدد . وتكلموا في أوائل العدد ونهاياتها بكلام كثير أحسنه

(١) الثمد : الماء القليل . (٢) يستشهد النحويون بهذا على أن (ماء) اذا اتصلت بليت فالأكثر افعالها لعدم اختصاصها حينئذ بالاسماء ويجوز افعالها كما وردت الرواية في ( الحمام ) وقوله فقد أى فحسب . (٣) قوله : « فحسبوه » بعضهم يشدد السين لثلاث تنوالت أربع متحركات . وبعضهم يخففها ويقول بجوازها في ( البسيط ) وألفوه : وجدوه . (٤) انظر تعليقنا على هذه القصة في ص ٣٤١ من الجزء الاول . (٥) ص ٣٤٠ و ٣٤١ و ٣٤٢

ما قال الهند إن الأعداد تبتدى من واحدة وتنتهى إلى تسعة ثم تكون العشرة راجعة إلى حال الواحد على الرتبة ، وعلى هذا وضعوا حروفهم التسعة ، وقالوا : الحساب الهندى أخرج لكثير العدد إلا أن الكتاب اجتنبوه لأن له آلة ، ورأوا أن ما قلت آله وانفرد الإنسان فيه بآلة من جسمه كان أذهب فى السر ، وأليق بشأن الرئاسة ، وهو ما اقتصروا عليه من العقد بالبنان وإخراج رؤوس ( الجمل ) فى أواخر التطور ، وحط التفضيلات عنها واحداً دون آخر وفرعاً دون أصل . قال : وعُني بعض الكتاب بذلك حتى خف عقده ، وصار يلحق ببنايه مثل ما يلحق ببصره ولا يستبين الناظر مواقع أنامله ، قال : وقد شبه عبد الله بن أيوب أبو محمد التيمي وميض البرق بخفة يد الحاسب فقال :

أعنى على بارق ماطر      خفي كواحيك بالحاجب  
كان تالقه فى السما      يدا كاتب أويدها حاسب

وقال بعض الكتاب :

وناطق تخبر ألقاظه      عن نغمات العود بالزمر  
بيننا تراه عاقداً خمسة      وستة صار إلى عشر  
وصار من بعد إلى واحد      كحاسب أخطأ فى كسر

ومن أحسن ما قيل فى تشبيه يد الحاسب بوميض البرق بعد قول التيمي قول  
عنتر من أبيات :

وفرضت للناس الكتابة فاحتذوا      فيها مثالك والعلوم فرائض  
وإذا خططت فأنت غيث معشب      وإذا حسبت فأنت برق واميض  
وإذا نهضت فأنت نجم ثاقب      وإذا جلست فأنت ليث رايض  
فيك التمثل حين ينعت فاضل      وإليك يرجع حين يشكل غامض

### معايش العرب وأسبابها أيام جاهليتهم

كل أمة من الأمم لابد لها ما يقوم بضرورتها ، وسد فم حوائجها ، بأسباب متفاوتة ، وأعمال مختلفة ، يهديهم اليها خالقهم ، ويجعلها سبب أرزاقهم ؛ والعرب من الأمم القديمة التي مضى عليها عصر متطاولة ربما كانت السبب في خفاء كثير من أحوالهم على من بعدهم غير أن اللغة والشعر يقيدان كل شارذ ، وينطقان بشؤون كل ما أسدل عليه حجاب الخفاء ؛ ومن العلوم أن أسباب المعاش والكسب وأصولها منحصرة في أمور ، منها :

#### التجارة

وهي من أشرف الأسباب وأعلاها قدراً ، ولهذا ورد في الحديث ( التاجر الصدوق مع الكرام البررة ) ويدخل فيها كل بيع وشراء ، وكانت من أهم أسباب معاشهم لاسيما سكنة الحجاز ونجد وما شابهها من الأقطار المقحطة والبلاد القليلة الخصب ؛ وكانت العرب على ما ذكر في فتح الباري شرح صحيح البخاري تتماح بكسب المال ولاسيما قریش ، وكان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم محظوظاً في التجارة ، وكان لقریش في السنة رحل أربع على ما ذكره بعض المفسرين في تفسير سورة قریش ، فإن أصحاب الإيلاف كانوا أربعة إخوة وهم بنو عبد مناف : أحدهما هاشم وكان يؤالف ملك الشام حيث أخذ منه خيلاً فأمن به في تجارته إلى الشام . الثاني : عبد شمس وكان يؤالف إلى الحبشة . والثالث : المطلب وكان يرحل إلى اليمن . والرابع : نوفل وكان يرحل إلى فارس . وكان هؤلاء يسمون المتجربين ، فيختلف تجر قریش بخيل هؤلاء الأخوة فلا يتعرض لهم أحد . وفي هؤلاء الأخوة يقول الشاعر<sup>(١)</sup> :

---

(١) ج ٢ ص ٢٨٤

يا أيها الرجلُ المحوّلُ رحله هَلَا نزلتَ بآل عبد منافِ  
الآخذونَ العهدَ من آفاقها والراحلونَ لرحلة الإيلافِ  
والرائشونَ وليس يوجد رائشٌ والقائلونَ هَلُمّ للأضيافِ  
والخالطونَ غنيّهم بفقيرهم حتى يصيرَ غنيهم كالكافي  
« وقال مساور بن هند يهجو بني أسد »

زعمتم أن أخوتكم قريشٌ لهم ألف وليس لكم إلافٌ  
ألك أن أومنوا جوعاً وخوفاً وقد جاءت بنو أسدٍ وخافوا

ومن المفسرين من قال : كان لقريش رحلتان رحلة في الشتاء إلى اليمن ،  
ورحلة في الصيف إلى بصرى من أرض الشام ، كما روى عن ابن عباس رضي الله  
تعالى عنهما ؛ وكانوا في رحلتهم آمنين لأنهم أهل حرم الله تعالى ، وولاية بيته  
العزیز ، فلا يتعرض لهم ، والناس بين مختطف ومنهوب ؛ وعلى ذلك نزلت  
السورة الكريمة . وذكر عطاء عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما : أن السبب  
في هاتين الرحلتين هو أن قريشاً إذا أصاب واحداً منهم تخمصة خرج هو وعياله  
إلى موضع وضربوا على أنفسهم خباء حتى يموتوا<sup>(١)</sup> إلى أن جاء هاشم بن عبد  
مناف ، وكان سيد قومه ، وكان له ابن يقال له أسد ، وكان له ترب<sup>(٢)</sup> من بني

(١) هذا من أوابدهم في الجاهلية ويسمى ( الاعتقاد ) : قال الزمخشري في  
الاساس : « اعتقد الرجل إذا أغلق الباب على نفسه ليموت جوعاً ولا يسأل .  
ولقي رجل جرية تبكى فقال : مالك ؟ قالت : نريد أن نعتقد . وأنشد  
ابن الأعرابي :

وقائلة ذا زمان اعتقساد ومن ذاك يبقى على الاعتقاد »

وفي التاج وغيره عن محمد بن أنس « أنهم كانوا إذا اشتد بهم الجوع أغلقوا  
عليهم باباً وجعلوا حظيرة من شجرة يدخلون فيها ليموتوا جوعاً ، وقال  
النظار بن هاشم الاسدي :

صاح بهم على اعتقاد زمان معتقد قطاع بين الاقران  
قال شمر : وجدته في كتاب ابن بزرج : اعتقد الرجل بالقاف وذلك أن يغلق  
عليه باباً إذا احتاج حتى يموت » .

وقد كانوا يفعلون ذلك ترفعاً عن ذلة السؤال وخساسة الاجتداء . وقوله  
تعالى « ولا تقتلوا أنفسكم » وما ورد من مثله في الصحيح مبطل لهذه الفعلة  
الشنيعه ، والعادة الجاهلية الفظيعة . (٢) أي لدة ، وهما مترادفان الذكر  
والأنثى في ذلك سواء ، يقال : هذه ترب هذه أي لدها ، وقيل : الترب من  
ولد معك .

مخزوم يحبه ويلعب معه ، فشكا إليه الضر والمجاعة ، فدخل أسد على أمه يبكي ، فأرسلت إلى أولئك بدقيق وشحم فعاشوا فيه أياماً ، ثم أتى ترب أسد إليه مرة أخرى وشكا إليه من الجوع ، فقام هاشم خطيباً في قريش فقال : إنكم أجذبتم جدباً تفلون فيه وتذلون ، وأنتم أهل حرم الله وأشرف ولد آدم والناس لكم تبع ، قالوا : نحن تبع لك فليس عليك منا خلاف ، فجمع كل بني أب على الرحلتين في الشتاء إلى اليمن ، وفي الصيف إلى الشام للتجارات ، فما ربح الغنى قسمه بينه وبين الفقير حتى كان فقيرهم كغنيهم ، فجاء الإسلام وهم على ذلك ، فلم يكن في العرب بنو أب أكثر مالا ولا أعز من قريش . وهذا معنى قول شاعرهم فيهم :

والخالطون فقيرهم بغنيهم حتى يكون فقيرهم كالسكافي

هذا ما كان من أمر قريش ، وسائر أهل الحجاز . وأما أهل اليمن وعمان والبحرين وهجر فكانت تجاراتهم كثيرة ، ومعايشهم وافرة ، لما في بلادهم من من الخشب والرخاء ، والذخائر المتنوعة ، والمعادن الجيدة ، وغير ذلك من أسباب الثروة والغنى . وأما أهل نجد فكانوا دون غيرهم في الثروة والتجارة لما أن الغالب على أرضهم الرمال فكانت بلادهم دون بلاد سائر العرب في رفاهية العيش ، ورواج التجارة ، وكانوا يجتمعون في الأسواق ( كل سوق له موسم من السنة على ما أسلفناه في الجزء الأول ) فيجتمعون فيها للتجارات وغيرها . ولهم أسواق آخر غير ما ذكرناه لأجل ذلك . ويسمون السوق أيضاً القسيمة ، ويقولون : نفقت السوق أي راجت ، وانحسرت : كسدت ، والسوم : عرض السلعة على البيع ، وبعته ناجزاً بناجز<sup>(١)</sup> وبدأ بيد ، والناجش الذي يزيد في ثمن السلعة ، وليست من حاجته لينفقها على صاحبها . وقد ورد في الحديث النهي عن ذلك . ويقولون للذي يبيع البز : البزاز ، وللذي يبيع الثياب : السمسار وللذي يبيع الأكسية : الكساء ، وللذي يبيع الفراء : الفراء وللذي يبيع الرق : الرقاق ، وللذي يبيع الخل : الخلال ، وللذي يبيع البقول :

(١) أي تعجيلاً بتعجيل ، وهو منصوب بأبيعك ونحوه . ويروى بالرفع .

البقال . وللذى يبيع الدهن : الدهان ، وللذى يبيع الرؤوس الرأس ، ولا يقال له رواس ؛ وللذى يبيع الطير الجدال ، والزجال الذى يرسلها من مكان إلى مكان ، وللذى يبيع العطر العطار ، وللذى يبيع الأدوية الصيدلانى والصيدنان ، وللذى يبيع اللؤلؤ اللال ، وللذى يبيع الآلية اللاء . ومنها :

### الصنائع

وهى أيضاً من أسباب المعاش المحمود ، وورد فيها « الحرفة أمان من الفقر » وكان فى العرب صنائع تقوم بما تمس إليه حوائجهم ، وتقتضيه ضرورياتهم ، ولا بد لهم منها ، لاسيما البلاد التى قدم عليها عهد الحضارة . وقد تكلم ابن خلدون فى مقدمته على هذا الموضوع ، وذكر أن العرب أبعد الناس عن الصنائع ، وعلم ذلك بأنهم أعرق فى البدو . وأبعد عن العمران الحضري ، وما يدغوا إليه من الصنائع وغيرها ، وقد أطنب فى بيان ذلك إلى أن قال : وأما اليمن والبحرين وعمان والجزيرة وإن ملكه العرب إلا أنهم تداولوا ملكه آلافاً من السنين فى أمم كثيرين منهم ، واختطوا أمصاره ومدنه ، وبلغوا الغاية من الحضارة والترفع مثل عاد وثمود والعمالة وخير من بعدهم والتبابعة والأذواء ، فطال أمد الملك والحضارة ، واستحكمت صبغتها ، وتوفرت الصنائع ورسخت ، فلم تبلى ببلى الدولة ، فبقيت مستجدة حتى الآن ، واختصت بذلك الوطن كصناعة الوشى والعصب وما يستجد من حوك الثياب والحرير فيها . وذكر رحمه الله فصولاً مهمة فى هذا الباب لها من الحقيقة أوفر نصيب ؛ بيد أنى أذكر ما كان للعرب من أمهات الصنائع التى زاولوها للقيام بحاجاتهم ، وإن قلت فيهم ، ولم تصل إلى نهاية الاتقان ، ولم تبلغ نصاب الكمال فإنى بصدد بيان أسباب معاشهم على أن الكثير منهم كان بمعزل عن ذلك لما جبلوا عليه من الميل إلى المعالى ، والتفاخر بالشجاعة والفروسية ، والتفاضل بالإقدام والجراءة ، والوفاء بالعهود ،



والقيام بواجب الأضياف ، وحفظ الدمار والذمام والكرم ، وغير ذلك من الشيم  
وعلو الهمم ؛ والقائم بأمر الصناعة لديهم دون غيره في المكنة والتشرف فدونك  
ما كان لديهم من الصنائع التي مست إليها حوائجهم ، وهدتنا إليها لغتهم — فمنها :

#### صناعة البناء

هذه الصناعة كانت منحصرة لأهل الحضر من العرب لأنهم الذين تمس  
إليها حوائجهم . وهي معرفة العمل في اتخاذ البيوت والمنازل للكن والمساوى  
للأبدان في المدن . وعلل ذلك ابن خلدون في مقدمته : بأن الإنسان لما جبل  
عليه من الفكر في عواقب أحواله لا بد أن يفكر فيما يدفع عنه الأذى من الحر  
والبرد كاتخاذ البيوت المكثفة بالسقف والحيطان من سائر جهاتها ، ثم ذكر  
كلاماً مفيداً يتعلق بهذه الصناعة ليس من غرضنا ، والقائمون بهذه الصناعة من  
العرب متفاوتون فيها فمنهم البصير الماهر ، ومنهم القاصر ؛ وكانت في اليمن أبنية  
عظيمة ، وقصور مشيدة ، وكذلك في غيرها كما ذكره الأصبهاني في كتاب  
(جزيرة العرب) وأبنيتهم كانت متفاوتة . فمنها البناء بالحجارة ، ومنها البناء  
باللبن ، ومنها البناء بالآجر ، ومنها البناء بالطين والتراب ؛ وهي على أوضاع  
مختلفة ، وأشكال متفاوتة ، وتفصيل ذلك لا يليق بهذا المختصر . فمن أبنيتهم  
الدار . ويقال لها : الدارة والمنزل والمنزلة والمبأة والمعان والوطن والمغنى والمشوى  
والمربع ، ويقال لصحن الدار : حرّ الدار وقاعتها وباحتها وساحتها وصرحتها  
وبمبوحاتها ؛ وفي الدار البيت وجمعه أبيت والكثير البيوت ، والمخدع البيت  
في البيت ، والنفق والسرب البيت تحت البيت ، والغرفة فرقه وهي العلية وجمعها  
علالي ، والخزانة وهي التي يحفظ فيها الشيء ، قال امرؤ القيس :

إذا المرء لم يخزن عليه لسانه فليس على شيء سواه بخزان<sup>(١)</sup>

---

(١) راجع ص ١٠١

والمرقد المضجع والحائط والجدار ما أطاف من البناء بالشئ ، والأسُّ أصل الحائط والرَّهص البناء من الطين الموطوء يُنَضَّدُ بعضه فوق بعض طريقة طريقة ويقال لكل عرق من الحائط دِمَص ما خلا العرق الأسفل فإنه رهص ، والخط الواحد منه ساف والجمع أسؤف وسؤف . ويقال للصف الواحد من اللبن أيضاً ساف فإذا أقيم الأجر بعضه فوق بعض فهو السميطة ، ويقولون : ارتفع الحائط إذا بلغ أن يوضع عليه عقد الأزج أو أن يغمى أو أن يقبب أو أن يسمن ، وبيت مغمى إذا سقف بالخشب ، والغماء ما يغمى به ، وبيت مقبب ومسم على هيئة السنام في تضايق أعلاه واتساع أسفله ، والبرزخ الفُرْجَةُ بين الأزجين في صهوة البيت ، والهدف مُرْس الأزج .

وفي الدار الصُّغَة وجهها صِفاف ، ومنها الشرقية التي تقابل المشرق ، والغربية التي تقابل المغرب ، والفراشية التي لا تقع الشمس فيها رأساً ، والمقنوعة مكان ظله دوم كالأماكن التي يجمد فيها الماء ، وبجذائها المشرقة ، والزاوية ملتقى الحائطين في البيت ، والسكوة الثقب في أعلى البيت ينفذ ، ويقال لها : الشاروق ، والمشكاة التي في الحائط يقال لها الأوقة ويقال بيت مأوَّق . قال امرؤ القيس :

وبيت يفوح المسك في حجراته بعيد من الآفات غير مأوَّق

ويقال للسطح : الإجار والصهوة ، وسقف البيت أعلاه الداخل ، وسمكه ما بين قراره إلى سقفه . والطاية السطح ومبرد التمر . والدرج ما يرتقى فيه إلى السطح فإن كان من خشب فهو السلم ، والعَتَب الدَّرج وكل مِرْقاة منها عتبة والجمع عتب وعتبات ، والفَرع الخلاء بين المِرقاتين ، والتفاريح والطُف آجر أو نحوه يمنح به أعلى الحائط ليقية المطر أن يسيل عليه ، وهو السكنة والإفريز وأفرز حائطه وطُفّه ، وفي نحوه ، قال الهذلي :

وما ضَرَبَ بيضاه يأوى مليكها إلى طُفٍّ أعيا براقٍ ونازلٍ<sup>(١)</sup>

(١) الضرب : العسل الأبيض .

والعلاوة أعلى الحائط الذى لا يُعْمَى ، وقد يكون الطنف قراميد ، ويقال واحدها قرمد وهو الأجر الطويل . قال :

أَوْ دُمِيَّةٌ فِي مَرْمَرٍ مَرْفُوعَةٍ مُبْنِيَّتٌ بِأَجَرٍ يُشَادُ بِقَرْمَدٍ<sup>(١)</sup>

ويقال : المرادة من الخشب لأعلى الحيطان ، والنَّجيرة سقيفة بخشب لا يخالطها غيره ، والمرس حائط أو اسطوانة يقام فى البيت يوضع عليها طرف الجائز وهو العارضة ، والروافد خشب فوق العارضة ، واللبن واحدته لبنة ، واللَّبان الذى يضربه ، والملمن الذى يضرب به ؛ والسابل الذى ينقل عليه ، والسميقان والأسمقة خشبات يدخلن فى السابل ، والطوب الأجر والطواب الذى يطبخ أثونه ، والأطيمة أتون الجرار والقصاع ونحوهما ، والتبلاط الحجارة تُفَرَّشُ بها الأرض ، يقال : دهليز مُبَلَّطٌ ودار مفروشة بالأجر والبلاط ، ويمال للبناء : الهاجرى . قل لبيد :

كَمَقَرِّ الْمَاجِرِيِّ إِذَا بَنَاهُ بِأَشْيَاهِ حُدَيْنٍ عَلَى مِثَالٍ<sup>(٢)</sup>

والهاجرى : نسبة إلى قبيلة ، وأول من بنى كان من هذه القبيلة ، وقال الجوهري : وهاجرى نسبة إلى هجر ، ومنه قيل للبناء هاجرى ، والطَّيَّان الذى يطين الحائط والسطح ونحوها ، والملاط مارق من الطين ونحوه السياع ، ويقال للمالج الذى يمسح به وجه الحائط المِسْمِعةُ والمِسْجَةُ والمَطْمَرُ الحيط الذى يقدر به البناء ، والشيد والقص الحص ، والخصاصة موضع الحص ، والملاحة تجمّد الملح . والثلاجة مكبس الثلج ، والجيار والسكرس الصاروج . قال الجوهري : الصاروج النورة وأخلطها فارسى معرب ، وكذلك كل كلمة فيها صاد وجيم لأنهما لا يجتمعان فى كلمة واحدة من كلام العرب .

وفى الدار الكنيف وأصله الحظيرة ، ويقال له الحُسُّ ولُستَرَاخُ والخرج ، فأما الكرياس فالكنيف على السطح بقناة إلى الأرض وربما كان ناتئاً مكشوفاً

(١) الدمية : الصورة المنقشة من الرخام . ويشاد : يبنى (٢) العقر : القصر

والمرحاض المغتسل ، وللأرزاب والميزاب جميعاً المُنْعَب ، ويكون من خشب وغيره ؛ والبالوعة ثقب في وسط الدار ، وكذلك البالوعة والجمع البلاليع ، ويقال للأسطوانة الآسية والسارية . قال جرير :

وجدنا بيتَ ضَبَّةٍ في مَعْدٍ كبيت الضَّبِّ ليس له سوار (١)  
وطوار الدارِ فَنَاوُها ، ومثله الجَنَاب والذِرَّة ، وجعلت اسماً لما يقوم عنه الإنسان إذا كان يُلقَى بها ، والنَّوَى حاجز حول الخيمة يُحَقَّرُ للمطر ، والدَّمن آثار الدار والسكرس ما تلبد من الأبوال والأبعار ، والطلل ما شَخَص من الآثار ، والزَّوسَم الرِّسَم وهو كل أثر لا شخص له .

وفي الدار المطبخُ وهو موضع الطبخ ، والخبز موضع التنور ، والمُسَعَرُ والوطيس والتنور والهيلم واحد ، والكرامة طبق التنور ، والمناقة حُجْرُهُ ، والساعور تنور في الأرض صغير .

ومما يتصل بالدار الإِصْطَبْلُ ويجمع على اصطبلات وأساطب ، وفيه المَرْبُط وهو الموضع الذي تربط فيه الدواب ، والمَرْبُط بكسر الميم الحبيل الذي تربط به الدابة ، وفيه المعلق وهو موضع العلف ، والآري والآخية محبس الدابة ، يقال تأرى أى تحبس .

وفي الدار القصر ويقال له المِجْدَل والفَدَن والفقر والصرح وهو كل بناء مرتفع . والأطلم والأجم الحصن وجمعهما آطام وآجام . قال قيس بن الخطيم :

فلولا ذرى الآطام قد تعلمونه وترك الفلاشور كتم في السكواعب (٢)  
والسُّور حائط الحصن ، والرَّيْض حائط حول السور ، والشَّرَفُ ما أشرف فوق الحائط واستشرف الناس من ورائه أى رفعوا رؤوسهم ، والبلد ، ثم المدينة

(١) يقول : وجدنا شرف هذه القبيلة شرفاً غريباً ضعيفاً وأهياً فيما بين العرب كبيت الضب الذي هو حجر في الأرض لا دعامة له فإذا ضرب بأصغر معول نهدم عليه فكذلك بيت شرف هذه القبيلة . (٢) يقول : لولا أعالي الحصون التي عرفتكم التجاءكم إليها وهربكم من الصحراء — أسبينا نساءكم وشركناكم في النواهد منهم .

وهي أصغر من البلد ، ثم القرية وهي أصغر من المدينة ؛ ومن أبنيتهم البرأة والقترّة والناموس والدّجّية والقُرْمُوص وهي مواضع يستتر فيها من الصيد ، والمَرْقَب : موضع الطليعة وهو الدَّيْدَبَان<sup>(١)</sup> ، والحِوَاء مكان الحَيّ الحِلَال ، والموسم مكان الشُّوق . والمَخْفِل مجمع الرجال ، والماتم مجمع النساء ، والنَّدِيّ مجمعهم للسَّمَر والحديث والمصطبة مجتمعهم لعظام الأمور ، والخان مكان مبيت المسافرين ، والخانوت مكان الشراء والبيع ، والسُدّة مابني أمام الخانوت ، والعِضادة خانوت صغير قدام الخانوت الكبير ، والحانة مكان التسوّق في الخمر ، والماخور مكان الشرب في منازل الخمارين ، والديماس الحمام ، والآتون موقد ناره ، هذا كله مما يدلّك على أن القوم ممن كان له في هذه الصناعة اليد الطولى ، والقدم الراسخة كيف لا وفي أرضهم المبانى القديمة ، والقصور المشيدة ! وقد بقيت إلى اليوم أطلالها ، ولم يَح من وجه البسيطة رسمها ولا مثالها !

#### بيوت أهل البادية من العرب

بيوت العرب على عشرة أنحاء : خِباء من صوف ، وبجاد من وبر ، وفُسْطَاط من شعر ، وسُرَادِق من قطن ، وقال الجوهري السرداق واحد السردقات التي تمتد فوق صحن الدار ، وكل بيت من كرسف القطن فهو سرادق ، قال رؤبة :  
يا حكم بن المنذر بن الجارود سرادق الجحد عليك ممدود  
ويقال بيت مسردق ، قال الشاعر يذكر أبرويز وقتله النعمان بن المنذر تحت أرجل الفيلة :

هو المدخل النعمان بيتاً سماؤه صدور الفيول بعد بيت مُسَرْدَقِ  
ومن بيوتهم القشع وكانوا يتخذونه من الجلود ، والقشع : الجلد اليابس ، قال متمم بن نويرة يرثي أخاه مالكا :

(١) العراقيون اليوم يبدلون الياء زاياء فيقولون : « الدزدبان » .

ولا بَرَمًا تهدي النساء لعرسه إذ القشع من برد الشتاء تقمععا<sup>(١)</sup>  
والطّراف بيت كان الأغنياء منهم يتخذونه من الأديم ، قال قائلهم :  
رأيت بني الغبراء لا ينكروني ولا أهل هذاك الطّراف الممدّد  
وبنو الغبراء : هم الفقراء ، يريد أن المدحوع يعرفه الفقراء والأغنياء .  
والخطيرة بيت كانوا يتخذونه من شَذَب وهو جمع شذبة بالتحريك وهو ما يقطع  
مما تفرق من أغصان الشجر ولم يكن في لبه ، قال الجوهري : والخطار الخطيرة  
تعمل للابل من شجر لتقيها الريح والبرد ، والمحتظر الذي يعمل الخطيرة ،  
والخيمة بيت تبنيه العرب من عيدان الشجر ، والجمع خيمات وخيم مثل بدرة  
وبدر ، والخيم مثل الخيمة والجمع خيام مثل فرخ وفراخ ، وتخيم بمكان كذا ضرب  
خيمته به والأفنة بيت يبني من حجر والجمع أقن مثل ركبة وركب قال الطّرمّاح :  
في شَنَاظي أقنٍ بينها عُرّة الطائر كصوم النعام<sup>(٢)</sup>  
والكبة بيت يبني من لبن . وهذه البيوت العشرة لم يشفق عليها أهل اللغة  
بل اختلجوا في بعضها ، وهذه البيوت لأهل البوادي أحب لديهم من القصور  
المشيّدة والبيوت المزخرفة ، وفي ذلك يقول قائلهم :  
كَبَيْتُ تُخَفِّقُ الأرواح فيه أَحَبُّ إِلَيَّ من قصرٍ مُنِيفٍ<sup>(٣)</sup>

( وقال آخر )

الحسن يظهر في شَيْثَيْن رَوْنَقَهُ بيت من الشّعراو بيت من الشّعرا  
وسبحان من تصرف في قلوب عباده كما شاء واختار ، ومنها :

(١) ج ١ ص ٧١ (٢) شَنَاظ كتمان جمع شَنْظُوة وهي أعلى الجبل  
و«بينها» بروى في موضعه «دونها» وعرة الطير: ذرقه. وعرة الطير يعر: سلح.  
والصوم: سلح النعام (٣) البيت لميسون امرأة معاوية رضى الله عنه .  
وسياتي عند الكلام على ( سكنة البوادي من العرب وما امتسازوا به عن  
الحضرين ) .

### صناعة التجارة

هذه الصناعة من ضروريات كل أمة من الأمم لاسيما أهل العمران ، وقد بينا أن العرب منهم أهل حضر وحاجتهم إلى هذه الصناعة من الضروري ، فانه لا بد لهم من السقف لبيوتهم ، والأغلاق لأبوابهم والكراسى لجلوسهم ؛ ومنهم سكنة البوادي وهم الأعراب ، ولا بد لهم من العمد والأوتاد لخيماهم ، والحدوج لظعائهم ، والرماح والقسي والسهام لسلاحهم إلى غير ذلك وكل واحدة من هذه الأمور فالخشب مادة لها ، ولا تصير إلى الصورة الخاصة بها إلا بالصناعة ، والصناعة المتكفلة بذلك المحصلة لكل واحد من صورها هي التجارة على اختلاف رتبها . قال ابن خلدون : فيحتاج صاحبها إلى تفصيل الخشب أولا إما بخشب أصغر منه أو ألواح ، ثم تتركب تلك الفصائل بحسب الصورة المطلوبة ، وهو في كل ذلك يحاول بصنعيته إعداد تلك الفصائل بالانتظام إلى أن تصير أعضاء لذلك الشكل المخصوص ؛ والقائم على هذه الصناعة هو النجار ، وهو ضرورى في العمران ، ثم إذا عظمت الحضارة ، وجاء الترف ، وتأنق الناس فيما يتخذونه من كل صنف : من سقف أو باب أو كرسي أو ماعون ، حدث التألق في صناعة ذلك ، واستجداته بفرائب من الصناعة كالية ليست من الضروري في شيء مثل التخطيط في الأبواب والكراسى ، ومثل تهئية القطع من الخشب بصناعة الخراط بحكم بريها وتشكيلها ، ثم تؤلف على نسب مقدرة ، وتلحم بالدهان فتبدو لرأى العين ملتحمة ، وقد أخذ منها اختلاف الأشكال على تناسب يصنع هذا في كل شيء يتخذ من الخشب فيجىء آنق ما يكون ، وكذلك في جميع ما يحتاج إليه من الآلات المتخذة من الخشب من أى نوع كان ، ثم بين الأمور التى تحتاج إلى هذه الصناعة ، وما تتوقف هى عليه من المعارف ، ومن تعاطى هذه الصناعة من الأوائل والأقدمين ، والمقصود من نقل كلامه بيان حقيقة هذه الصناعة

وتعريفها ، فإنه لم يعرج على بيانها غيره ، وأن العرب كان منهم من زاول هذه الصناعة ومارسها وتقدم فيها على حسب استعداده وقابليته ؛ وقد رأيت في كلام الأئمة من أهل اللغة في ذكر أسماء أوصال الصور والأشكال المخصوصة ما يفيد كمال وقوفهم على هذه الصناعة ، وكذلك ما ورد عنهم من أسماء آلات النجارة ما لو لم يمارسوها لما عرجوا عليها ، ولنورد مما ذكره شيئاً من القسمين لازدياد البصيرة : —

#### أوصال الباب ، وأسماء أجزائها

الباب من ضروريات الدار ، ومن الأمور التي لا بد منها ؛ وهي إنما تتكون بصناعة النجارة ، والعرب قد وضعوا لكل جزء مما تركب منه اسماً كما وضعوا لجلتها أسماء ، فمن أسمائها : الباب والزجاج ، قال امرؤ القيس :

له كَفَلْ كَالدَّغْصِ لَبْدَهُ النَّدى إِلَى ثَبِيجٍ مِثْلَ الرِّتَاجِ الْمُضَبِّبِ (١)

ويقال له إذا كان واحداً فرد ، فإن كان زوجاً فها مصراعان ، وهي أبواب أفراد وأبواب مصاريع ، ومن أسماء الأوصال : ففي الباب ألواح والواحد لوح ففيه المنكبان وهما جانباه ، والمِزْدَم والمِزْدَى ما يضم أسفل المنكبين ، والمِقْعَم ما يضم أعلاهما وهو اللوح المعروض بينهما ويقال له المِلْحَام ، والصفائح الألواح العراض بينهما والواحدة صفيحة ، والزافر الذي يقال له أنف الباب ، ويد الباب أعلاه الذي يدور في الحُقّ الأعلى ، ورجله الذي يدور في الحُقّ الأسفل ، فإن كان من حديد فهو قطب ! ويقال للحق الأسفل الجَيْرور والنَّجْران . قال الشاعر :

صَبَدْتُ الْمَاءَ فِي النَّجْرَانِ صَبًّا تَرَكْتُ الْبَابَ لَيْسَ لَهُ صَرِيرُ

وصريه صريفه وهو صوته ، والفائز الخشبة المثقوبة التي تدور فيها يد الباب ، ويروى في الأناغاز :

(١) أى لهذا الفرس كفّل كالرمل المتراكب . لبده الندى : أى ركب المطر بعضه على بعض . إلى ثبيج : أى مع ثبيج وهو مغرز الكاهل . والمضبيب : الذي عليه ضببات الحديد .



وما عَزِيزُ سرٍّ يوماً فَمَعْطَبٌ وفائِزٌ والنَّارُ فيه تَلْتَهَبُ<sup>(١)</sup> ؟

وللباب العِصَادَتَانِ وهما خشبتان تَكْتَنِفَانِه ، والأسْكُفَةُ الخَشْبَةُ التي تضم العِصَادَتَيْنِ من أسفل ، والعَتَبَةُ التي تضمها من فوق ؛ وهذه الأربع إذا أدخل بعضها في بعض فصارت مربعة فهي إطارُ الباب كما يقال إطار المنخل . والسَّقِيفَةُ ما فوق العتبة من الخشبة التي توصل بها ، وإياد الباب وسَنَدَه وَمَلَاذَتَه خشبة تتركب على ظهره تنفذُ إليها أذنان المسامير ، وتوثقُ بها ألواح الباب ؛ والمسامير ما كان من حديد والواحد مسمار ، والوَدَّ الوَتْدُ من خشب وجمعه أوتاد ، والبوان خالقة الباب ، وفي الجمل : البوان عمود البيت ، وقال الجوهري : البوان بكسر الباء وضمتها عمود من أعمدة الخباء والجمع بُون بالضم ؛ وللباب حَلَقَتُهُ وَمِقْرَعَتُهُ وهي التي يقرع بها الباب ، قال الشاعر :

من قَرَعَ البابَ وَلَمْ يَعْجِزْ عن القَرعِ دَخَلَ<sup>(٢)</sup>

فإذا كان مكانها سَيْرٌ فهو وَدَمٌ ، والرزة الحلقة التي يقع فيها الزُفَيْنِ إذا أغلق ، وكثائف الباب وَضَبَاتُهُ ما يركب عليه من الحديد والواحدة ضَبَّةٌ ، والكثيفة الورد ، والأَوَلَبَ حديدتان متركبتان ذكر وأُنثى ، والمِغْلَقُ موضع المِغْلَاقِ والمِغْلَاقُ ما يفتح بالمفتاح ، والمِغْلَاقُ بالعين غير معجمة ما لا يحتاج إلى مفتاح ، والقَمَوجُ حجر النلق ؛ وفي الغلق البلاطيط والواحد بلطاط ، وهي الخشبات التي تقع في الثُقْبِ التي ينغلق الباب بها ، ويقال : قَلَقِلَ الغَلَقُ حتى تقع البلاطيط في أقماعها ، والمِقْلَادُ المفتاح وجمعه مقاليد ، وأسنان المفتاح هي التي ترفع البلاطيط عن الأقماع للفتح ، وأَخْرَقَ في الباب يسمى الصير وهو الشق ، وفي الحديث « من نظر في صير

(١) يقول : ما ولد كريم على والديه قطعت سرتة فكان سبب هلاكه ؟ وهذا ما ألغز به الشعراء لأنه يتوهم أن « سرٌّ » من السرور ، وإنما يراد به قطع السرة ، والسرور لا يكون سبباً للعطب كما يكون قطع السرة سبباً له . وقوله « فائز » يقول : وما فائز تحرقه النار ؟ والفائز الذي ينال الفوز فكيف يفوز من التهربت فيه النار ؟ وإنما المراد بالفائز الخشبة التي في الباب .  
(٢) يريد أن من دام على طلب أمر ولم يفتر عنه وصل إلى مراده منه .

باب ففقت عينه فهو هَدَر « فإن كانت في الباب خروق فهو مخرق ، فإذا لم تكن ألواحه متضامّة ، وكانت بينها فرج ، قيل : باب مُضَلَّعٌ ومُخَلَّلٌ ، ويقال لما كان كذلك من خشب غير ألواح مشبك ، وباب مصّحح إذا كان من صفائح عراض حسب ، وتقول : أصفقت الباب وسفّقتّه إذا ألصقته بالعتبة ، وأجفّته إذا تركت فيه فرجة ؛ وقد رددت الباب فهو مردود غير مصقّق ، وبلقت الباب فتحتته وانبلق انفتح ، والبلق الباب المفتوح ، وأغلقتّه فهو مغلق ، والمحسن القفل وقد أفلّته فهو مقفل ، وللقفل عموده وهو حديدته الطويلة ، والفراشة التي تعيب في مغلق القفل منشب ، ونعام الفراشة الحداث المستطيلة المركبة عليها ، وأعيار الفراشة ما تتأمنها والواحد عير . ويقال للقفل : الجلازة ، وقش القفل إذا عالج به شيء يحشوه به فيفتح من غير مفتاح .

### أدوات التجارين وآلاتهم

لا يخفى أن لهذه الصناعة أدوات كثيرة لا يمكننا استيعابها في مثل هذا المقام ، وإنما نذكر بعضاً منها استدلالاً على مقصدنا . فنأتيهم ( الفأس ) وهي مؤنثة وجمعها أفؤس وفؤوس ( والخصين ) بالحاء معجمة والصاد غير معجمة : فأس ذات خلف واحد ( والخدأة ) ذات رأسين والجمع حدأ ، قال الشاعر :

يُبَاكِرُونَ الْعِصَاةَ بِمِقْنِمَاتٍ نَوَاجِدُهُنَّ كَالْحَدَا الْوَقِيعِ<sup>(١)</sup>

أي الحدود المضروب بالمطارق ( والصابور ) الفأس العظيمة التي لها رأس واحد دقيق تكسر به الحجارة وهو المِعْوَلُ أيضاً ، وقد صقرت الحجارة صقراً إذا كسرتها بالصافور ( والكرزن ) والكرزين بالكسر فأس عظيمة يقطع بها الشجر ومثله الكَرْزَمُ والكرزيم والكرزوم ، قال جرير :

وَأُورِثَكَ الْقَيْنَ الْعَلَاةَ وَمَرْجَلًا وَأَصْلَاحَ الْفُؤُوسِ الْكَرَازِمَا<sup>(٢)</sup>

(١) يقول : تغدو هذه الأبل إلى العضاة - وهو شجر له شوك - فتتنفض أغصانها كأنما أسنانها التي تعمل فيها فؤوس قد حددت وضربت بالمطارق .  
(٢) القين : الحداد . والعلاة : السندان . والمرجل : القدر .

(والقدوم) الفأس الصغيرة ، وهى مخففة ، قال الشاعر :  
 تُذِنِفُ برأسٍ في الزمام كأنه قَدُومٌ فُؤوسٍ ماجٍ فيها نِصابُها<sup>(١)</sup>  
 وقال الجوهرى : والقدوم التى ينحت بها مخففة ؛ والجمع قدم ، قال الأعشى :  
 أقام به شاهبور الجنو د حولين تضرب فيه القدم  
 وجمع القدم قدائم مثل قاص وقلائص ؛ وأُنْزِرَتْ ثقب الفأس ، ونصابها  
 خشبتها ، ويسمى الفِعال . وأنشد ابن الأعرابي :

أنته وهى جانحة يداها جنوح الهبرقى على الفِعال<sup>(٢)</sup>  
 وغرابها حذها ، والوشيطلة والنخاسة عويد يجعل فى خُرَّتْها أوفى فتق نصابها  
 ليضيق ، وذلك إذا ضم النصاب ولم يتماسك ، يقال وشطته ونخسته ، وقلقت الفأس ،  
 وماجت إذا اتسع خُرَّتْها واضطربت فى نصابها ، فإن خرجت منه قيل نَصَلَتْ  
 تنصل نصولا . قال الراعى :

فى مَهْمَةٍ قلقت به هاماتها قَلَقَ الفُؤوس إذا أَرَدَنَ نصولا<sup>(٣)</sup>  
 ومنها ( المِشْشار ) وهو ما ينشر به الخشب أى يقطع ويقال نشرته وأشرته  
 ووشرته ، ولذلك يقال أيضاً مِشْشار ، والنشارة ما سقط منه ، ومنها ( المِخْفَرَة )  
 وهى آلة يحفر بها الخشب ، ومثلها المنقار ونقرت الشئ إذا ثقبته بالمِشْشار ، ومنها  
 ( المِسْحَلُ ) وهو مِبْرَدٌ أخشن من مبرد الحديد ، وهو الذى يسجل به الخشب  
 أى ينحت ، والصغير من ذلك مِسْرَدٌ ، ومنها ( المِثْقَب ) وهى آلة يثقب بها  
 الخشب ، ومنها ( الكلبتان ) وهى آلة يجذب بها النجار المسمار من الخشب ،  
 ويأخذ بها الحداد الحديد المحمى ؛ ومنها ( العتلة ) وهى آلة من حديد كأنها رأس  
 فأس ( ويرم النجار ) وتطلق أيضاً على العصا الضخمة من الحديد لها رأس

(١) يقول : ترفع مع الزمام رأسا يشبهه فى رفته وإبصاله بعنق كأنها حديدة  
 فأس مع نصالها وهى تضطرب فيه . (٢) يقول : جاءت وهى معتمدة يديها  
 كاعتماد الهبرقى ( أى الحداد ) على النصاب إذا أراد أن يعمل بحديده فيه .  
 (٣) يقول : اضطربت رؤوس هذه الابل فى هذه الصحراء كما تضطرب  
 الفؤوس إذا أرادت الخروج .

مفلطح يهدم بها الحائط . إلى غير ذلك من الآلات والأدوات المفصلة في كتب اللغة ، ولولا معرفتهم بهذه الصناعة لم يستعملوا تلك الأسماء لهذه الأدوات ، ومنها :

#### الحرارة

وهذه الصناعة أيضاً من ضروريات الأمم ، ولا يمكنهم الاستغناء عنها بوجه ومنافع الحديد للناس في معاشهم ومصالحهم ليست بخفية على أحد ، إذ ما من صناعة من الصنائع ولا عمل من الأعمال إلا والحديد أو ما يعمل به آلتها ، وفي التنزيل : « وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس وليعلم الله من ينصره ورسوله بالغيب إن الله قوي عزيز » وهذه الصناعة من الصنائع القديمة في العالم ، وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما نزل مع آدم عليه السلام الميعة والسندان والكلبتان . وروى أنه نزل ومعه المر والمسحاة . وفي خبر نزل ومعه خمسة أشياء من الحديد السندان والكلبتان والإبرة والمطرقة والميعة وفسرت بالمسن وتجيء بمعنى المطرقة أو العظيمة منها أو ما تحدد به الرحي . وفي حديث ابن عباس نزل آدم عليه السلام من الجنة بالبأسنة وهي آلات الصنائع أو سكة الحرث وليس بعربي محض . وكانت العرب تسمى صاحب هذه الصنعة القين : قال الجوهري : القين الحداد والجمع القيون . وعن ابن السكيت يقال للحداد ما كان قين ولقد كان يقين قينا . يقال قن اناءك هذا عند القين . وقتت الشيء أقينه قينا لمته وأصلحته ، وأنشد :

ولى كيدٌ مجروحةٌ قد بدا بها صدوع الهوى لو كان قينٌ يقينها

وفي المثل ( إذا سمعت بسرى القين فإنه مصبح ) وهو سعد القين . صار مثلاً في الكذب والباطل يقال دهدرين . سعد القين . ويقال لبنى القين من بنى أسد بلقين كما قالوا بلحرث وبلهجم وهو من شواذ التخفيف . وكان القيون مختلفين في الأعمال فمنهم من كان يعمل اللجم والازمة لدوابهم وهي مشتملة على أجزاء كثيرة وأوصال مختلفة ، قال أبو عبد الله الإسكافي في كتاب المبادئ :

في اللجام الشكيمة وهي الحديدة المعترضة في الفم ، والفأس الحديدة المنتصبة من الشكيمة ، والفراشتان جانبا الشكيمة ، وإليهما يربط العذاران وألخطافان والشا كلتان حديدتان مُعَقَّمَتَانِ للعنان والسكاوبان خُرْتَانِ يدخل فيهما طرفا العنان ، والحكمة الحديدية التي تستدير حول الأنف والحسك الأسفل وهما حكمتان ، والمسخلان حديدتان تكتنفان الشدقين ، والحديدية الواقعة على الصدغ صدغ ، والطرف ما في أطراف السيور وقد يكون من فضة والنكل الجلم البغال . وقد أطنب في الكلام عن اللجام وما اشتمل عليه . والمقصود بيان أن هذه الصناعة كانت راسخة فيهم حتى تمكنوا من صنعة دقائقها ، ومنهم من كان يعمل لهم السيوف . وقد اشتهر بهذا العمل رجل اسمه سريح كان ماهراً في صنعها متقناً لها . والسيوف . السريحيات نسبة إليه ، وكانوا يسمون الذي يطبعها أى يعملها الطباع والصيقل هو الذي يصقلها . وفي ذكر أسماء ما اشتمل عليه السيف يعلم دقة صنعتها وما يحتاج إليه من زيادة المعرفة في هذه الصناعة . فحديدته هي النصل والسيلان سِنَخه في القائم ، ومتن السيف ظهر النصل يقال سَخَنَ متنه أى أحماه ، وصدر السيف مقدمه ، وعرضاه وصفحاه وصفحتاه وأللاه بطنه وظهره ؛ فأما حدها فهما الدلقان والذبابان والغراران والشفرتان ، ومَضْرِبُهُ ما تُضْرَبُ به الضريبة وظُبَّتُهُ طرف المضربة ، وشباته طرف الطبة ، وصَبِيَّا السيف ناحيتا الشبابة ، وعَبْرَاهُ حرفان مرتفعان وسط متنه يقال سيف مُعَبَّر . والعُرْصَان ما بين العبر إلى الحديد ، ورونقه ماؤه وفرندُهُ ، وأثْرُهُ كدبيب النمل في متنه وهو مأثور ، وسيف مشطوب ومشطوب في متنه شطبة وهي طريقة فيه مرتفعة عنه ، وتسمى سِفْسِقة السيف ، أو السِفْقَةُ ما بين الشطبتين على صفحة السيف طولاً ، ولل سيف القائم وهو مقبضه ، وفي القائم القبيعة وهي الفضة أو الحديدية في طرفه كالكرة ، ويسمى أعلى القبيعة القلّة ، يقال : سيف مقلّ . قال الهذلي :

ولقد شهدتُ الحىَّ بعد رقادهم تُفلى جاجهم بكلِّ مَقْلَلٍ  
 والمسمار الذى فى طرفى القبيعة وفى القائمِ السكب والحرباء ، والشعيرتان  
 طرفا الحرباء وفى إحداها حلقة فيها السير الذى يسمى القلس والنقعة والذؤابة  
 والعلاقة ، والمسمار الذى فى وسط القائمِ أيضاً حرباء وكلب وفى كل قائمِ كلبان ،  
 والسفن الجلد الأحرش الحبيب الحشن يلبس القائم . والرأس من فضة أو حديد  
 يجمع بين طرفى السفن ، وقد يسمى القائمِ رأساً . قال مُعَوَّر بن حمار البارقى :  
 هما بَطْلانِ يعترانِ كلاهما يُريدُ رأسَ السيفِ والسيفِ نادرُ<sup>(١)</sup>  
 وغاشية القائمِ فضة أو حديد تُوارى رأسَ الجفنِ إذا أُغمد ، وشارباه طرفا  
 الغاشية وما تحت الغاشية من الجفن الزافر ، والأسائن جمع أسِنَّةٍ وهى سيور  
 أدخل بعضها فى بعض وضُفِرَتْ على القائمِ ، والجفنُ الغمدُ والقرباب ، وإزاره  
 الجلد الذى يلبس ظاهراً ، وخِلْتُهُ جلد يبطن به ، والنعل حديدة أسفل الجفن .  
 والمِحْمَلُ والحملالة والنِجَاد وهو السير الذى يركب العاتق ويحمل به . قال الشاعر :  
 إلى مَلِكٍ لا تَنْصُفُ النعلُ ساقَهُ أَجَلٌ لا وإن كانت طوالاً محامِلُهُ<sup>(٢)</sup>  
 أى لا تبلغ نعل سيفه نصف ساقه لطول قامته ، قال الشاعر :  
 كأنَّ علمها خِلَّةٌ فارسيَّةٌ يُقَطِّعُها بين الجفون الصياقلُ<sup>(٣)</sup>  
 لأنَّ الخِلَّةَ كانت جلوداً منقوشة . والرصائع جمع رضيعة وهى سيور تُضَفَرُ  
 بين الجفن والنجاد قال الشنفرى :

مَتَوَفٍ مِنَ الْمَلَسِ الْمَتُونِ بِرَبِّهَا رَصْعٌ قَدْ نَيْطَتْ إِلَيْهَا وَمِحْمَلُ<sup>(٤)</sup>  
 وَالْبَسَكِرَاتِ الْخَلْقِ الَّتِي فِي النِّجَادِ كَفُؤُخِ النِّسَاءِ وَهِيَ مُدَوَّرَاتٌ فِي أَطْرَافِ

(١) يقول : هما شجاعان يسقط كل واحد منهما صاحبه ويريد أن يعتمد  
 على الرأس والتصل قد خرج قائمه . (٢) أى إلى ملك تام القامة فإذا تقلد  
 السيف لم تبلغ نعل سيفه نصف ساقه وإن كانت جماله طويلة .  
 (٣) يقول : لم يبق من آثار هذه الدار إلا آثار كأنها جلود منقوشة يقطعها  
 الصياقل ليغشوا جفون السيوف . (٤) يقول : قوس ترن إذا جذب وترها  
 من القسي اللينة الليط . ويزينها ما رصع به جعبتها ومحمل سيف مقرون بها .  
 والرصائع : سيور تضفر بين الجفون والنجاد .

الحسائل مُتمسِك القيود ، والقيود حلق في أحد جانبي الجَفْن ، والزوائد أطراف القيود ، وقد يشد فيها السيور ، فإذا سهل خروجه من غمده قيل سَلَسَ ودَلَقَ ، وإن تعسر قيل نَصَبَ وَلَحِجَ ، فإن ارتدَّ عن الضريبة قيل نَبَا ، فإن انكسر قيل انقصف ، وقيل صابيته أملت طرفه نحو الأرض كمُصَابَاة الرماح ، وهرزته فاهتزَّ أى اضطرب . . ومنهم من كان يصنع لهم النبال والمسامير والسكاكين والأواني وسائر الأدوات والآلات ، والسكرام في بسط ذلك يطول ، وقد أطنب في بيان ذلك أبو عبد الله الإسكافي في كتاب المبادئ ، وكذا غيره من أئمة اللغة .

#### أدوات الحدادين وآلاتهم

من جملة آلاتهم وأدواتهم ، القرْزُم والعلاة ، وهى السندانة ، وعن ابن دريد أنَّ القرزم بالقاف مضمومة لوح الإسكاف المدور ، ( والمطرقة ) وهى آلة يضرب بها الحديد ، و ( الفطيس ) أكبر منها وهى الميعة أيضاً ، يقال : وقعت الحديدة أقمها وقعاً ( والمبرد ) الذى يبرد به الحديد . والبرادة ، اسقط منه ، وفسالة الحديد ما تنثر منه عند الضرب إذا طبع ( والمشخذ ) مبرد للحديد أعظمها وأخشنها . وقال الجوهري : المشخذ المسنن ، والمفراص ، للحديد كالمفراض للثوب . وقال الجوهري : والمقرص والمفراص الذى يقطع به الفضة ، قال الأعشى :

وأدفع عن أعراضكم وأعيركم لساناً كمفراص الخفاجى ملحبا

( والخفاجى ) نسبة إلى خفاجة . بالفتح حى من بنى عاصر مشهورين بهذه الصنعة ( والمنفاخة ) ما ينفخ به الكير . والكير الذى ينفخ فيه . وفى الصحاح : كير الحداد زق أو جلد غليظ ذو حافات ، وأما المنيى من الطين فهو الكور ( والمُشْرِجُ ) مطرّق لا حروف لنواحيه ، ومطرقة مشرّجة أى مطولة لا حروف لنواحيها ، وإذا كان الشيء مرّبعا فأمسرت بنحت حروفه قلت شَرْجِمُهُ ( والعَسَقَلَان ) آلة

للصائغ وهو أصغر مطرقاته ، والغدّاف الحديدية التي يدخل في أحد طرفيها الخاتم ويركزها على الجبأة وهي الخشبة التي بين يديه ؛ قال الشاعر :

\* كَوَقِعَ الْعَسَقَةَ لَأَن عَلَى الْغَدَافِ \* وَالْجَلَّاحِ : منفاخه وهو حديدته مجوّفة ينفخ فيها الصائغ إذا أراد النفخ في كبره وله السكابتان والمثقب . ومنها :

### الجباكة والنسيج

هذه الصناعة من الصناعات التي كانت من مكاسب العرب ، وهي أيضاً من ضروريات الأمم ، فإن كل أمة ولاسيما أهل الحضارة يحتاجون لهذه الصناعة لأجل لبوسهم وفرشهم وحمل أثقالهم ونحو ذلك ؛ وقد امتن الله تعالى عليهم بقوله : ( ومن الأنعام حمولة وفرشاً ) الآية . وبهذه الصناعة يعرف كيفية نسج الغزل من الصوف والسكتان والقطن سداً في الطول والحاماً في العرض لذلك النسج بالالتحام الشديد فيتم منها قطع مقدرة ، فمنها الأكسية من الصوف للاشمال ، ومنها الثياب من القطن والسكتان للباس . وبلاد العرب من العمران المعتدل فالدفء ضرورى لهم ولا بد لهم من سراويل تقيهم الحر والبرد ، وربما استغنى عن هذه الصناعة أهل البلاد المنحرفة إلى الحر كما ينقل عن كثير من السودان أنهم عراة في الغالب . وسيجيء إن شاء الله ذكر ما كان ينسجه العرب ، وكان من المستجداد لديهم نسج اليمين .

### أدوات الجباكة والنسيج

كل حرفة من الحرف ، وصناعة من الصناعات ، لابد لها من آلات تخصها ، وأدوات تتوقف عليها ، فمن آلات هذه الصناعة عند العرب : « الحفّ » وهو الذى تلمّظ به اللحم أى تلتقم ويصفق ليلتقمها السدى ، والجمع الحففة . وقال الجوهري نقلاً عن الأصمعي : الحفة المنوال ، وهو الخشبة التي يلف عليها الحائك الثوب . قال والذى يقال له الحفّ هو المنسج ، ونقل عن أبى سعيد : الحفة



المنوال ، ولا يقال له حف وإنما الحف المنسج ؛ ومن أدواتها ( الوشعة ) وهى المنسج وهى قصبة فى طرفها قرن يُدخل الغزل فى جوفها وتسمى السهم ، وقال الجوهري : الوشعة لفيفة من غزل وتسمى القصبة التى تجعل النساج فيها لحة الثوب للنسج وشيعة ، قال ذو الرُّمَّة :

به ملعبٌ من معصفات نَسَجَتْهُ كَنَسَجِ الْيَمَانِي بَرْدَهُ بِالْوَشَائِ

( والمَشْبَعَةُ ) ما يلف عليه الغزل ( والثنايَة ) التى يثنى عليها الثوب ( والعَدْل ) خشبة لها أسنان كأَسنان المِذْشَار يقسم بها السدى ليعتدل ( والصيصة ) عود من طرفاء كلما رُمى بالسهم فألحمه أقبل بالصيصة وأدبر بها . وفى الصحاح : الصيصة شَوْكَة الحائك التى يسوى بها السداة واللحمة . قال دُرَيْدُ بْنُ الصَّمَّة :

فَجِثْتُ إِلَيْهِ وَالرَّمَا حُ تَنْفُوشُهُ<sup>(١)</sup> كَوَقَعِ الصَّيَّاصُ فِي النَّسِيجِ الْمَدَدَ

ومنه صيصة الديك التى فى رجله ( والنير ) الخشبة المعترضة التى فيها الغزل وثوب منير ذو نيرين مضاعف النسج ، ومن اللغويين من يقول : النير لحة الثوب فاذا نسج على نيرين كان أصفق وأبقى ( والمداد ) عصاً فى طرفيها صِغَارَتَانِ يمدد بها الثوب ( والصنارة ) رأس المغزل ( والسكفة ) الخشبة المعترضة فى أسفل السدى ( والحاران ) يوضعان تحتها ليرفع السدى من الأرض ، والمُهرَةُ والرَّفِيدُ بالفارسية تَلَّةٌ ( والمثلث ) قصبات ثلاث تسمى بالفارسية سِكَانَهُ ( والمبرم والمبريم ) الحبل الذى جمع بين مفتولين ففتلاً حبلاً واحداً ، والمبرم من الثياب المفتول الغزل طاقين ومنه سى المبرم وهو جنس من الثياب . وسدَّى الثوب تسديَّةً إذا مد الغزل ليسقيه الخزيرة وهى كالخساء من دقيق ( والشَّقْشَقَةُ ) والشفاشق قصب يُشَقُّ ويوضع فى السدى عَرَضاً لئتمكن به من السقى ( والدعائم ) خشبات تنصب ويمد عليها السدى ، والسدى والسقى واحد وسدَّى مبرم وسدى سرحيل

(١) أى تناوشه وتأخذه .

واللحمة بالفتح ما يُلَحَم به ، وأداة الحائك المنصوبة تسمى ( المنوال ) وهو النول  
أيضاً قال قائلهم :

حوكت على نولين إذ تحاك وتخبط الشوك ولا تشاك<sup>(١)</sup>  
ومنها :

### الخصاية

وهذه الصناعة أيضاً من ضروريات العمران ؛ وكانت من مكاسب العرب  
وأحد أسباب معاشهم ، وعرفها ( ابن خلدون ) بأنها تقدير المنسوجات على  
اختلاف الأشكال والعوائد تفصل قطعاً مناسبة للأعضاء البدنية ، ثم تلحم تلك  
القطع بالخصاية المحككة وصلالاً أو تنبيتاً أو تفسخاً على حسب نوع الصناعة . قال :  
وهذه الصناعة مختصة بالعمران الحضري لما أن أهل البدو يستغنون عنها ، وإنما  
يشتملون الأثواب اشتمالاً ، وإنما تفصيل الثياب وتقديرها وإلحامها بالخصاية  
لللباس من مذاهب الحضارة وفنونها . ثم بين سر تحريم الخيط في الحج ، وقدم  
هذه الصنعة ، والتي قبلها ومن ابتدأ بها ، ومن وقف على كسوة العرب وما كانت  
تلبسه وتقرشه وما ورد عنهم فيها من الأسماء تبين له كمال وقوفهم على هذه الصناعة ،  
وهذه نبذة منها : —

### كسوة العرب

الكسوة هي الثياب التي تلبس ، وقد ذكرنا أوائل الجزء الأول من هذا  
الكتاب أن أهل البادية من العرب ( وهم الرجل الذين لا يقيمون بمحل ، كان  
شعارهم لبس الخيط في الغالب ، ولبس العائم تيجاناً على رؤوسهم ، وربما ألقوا  
رداءً على ظهورهم واتزرؤا بإزار ، وأما أهل الحضر وسكنة المدر منهم فكانوا

(١) يصف رداءة نسجت على نيرين فهي في غاية من القوة والمتانة حتى أنها  
تضرب الشوك ضرباً شديداً ولا يخرقها ولا يؤثر فيها لصفاتها .

يتفننون في لبوسهم ، ويختلفون في كسوتهم ، فكان الكاهن لا يلبس المصبغ والعرّاف لا يدع تذييل قميصه وسحب رداؤه ، والحكم لا يفارق الوبر ؛ والشاعر منهم كان إذا أراد الهجاء دهن إحدى شقي رأسه ، وأرخی إزاره ، وانتعل نعلًا واحدة ، وكان لحرائر النساء زىّ ، ولسكل مملوك زى ولذوات الرايات زى<sup>(١)</sup> وكانت سيماء أهل الحرم إذا خرجوا من الحرم يتقلدوا القلائد ، ويعلقوا عليهم العلائق ، وإذا أذوم<sup>(٢)</sup> أحدهم الحج تز يا بزى الحاج ، وإذا ساق بدنة أشعرها<sup>(٣)</sup> حتى إنهم خالفوا بين سمات الإبل والغنم ، وأعلموا البهيرة بغير علم السائبة وأعلموا الحامى بغير علم الفحول ، وكذلك الفرع والرجبية<sup>(٤)</sup> والوصيلة والعتيرة من الغنم ، وكذلك سائر الأغنام السائمة ، وإذا كانت الإبل من حباء ملك غرزوا في أسنمتها الریش والخرق ، ولذلك قال الشاعر :

يَهْبُ الهِجَانُ بِرِيشِهَا وَرِعَاثِهَا كَاللَّيْلِ قَبْلَ صَبَاحِهِ الْمَتَبَلِّجِ  
وإذا بلغت الإبل ألفاً فقأوا عين الفحل ، فإن زادت فقأوا العين الأخرى  
فذلك هو المعقأ والمععى ، وقال شاعرهم :

فَقَاتُ لَهَا عَيْنَ الْفَحِيلِ تَعَيَّمًا وَفِيهِنَّ رَعْلَاءُ الْمَسَامِعِ وَالْحَامِ<sup>(٥)</sup>  
وقال الآخر :

وَهَبْ لَنَا وَأَنْتِ ذُو امْتِنَانٍ تَفْقَأُ فِيهَا أَعْيُنُ الْبُعْرَانِ  
وقال الآخر :

فَكَانَ شُكْرُ الْقَوْمِ عِنْدَ الْمَنَنِ كَنَى الصَّحِيحَاتِ وَقَفَّءُ الْأَعْيُنِ  
والمقصود أنهم مختلفون في اللباس والزى والسيماء ، حتى أنهم اعتبروا

(١) مر ذكرهن في الجزء الثانى ص ٤ ٥ (٢) أو ذم الحج : أو جبهه على نفسه (٣) البدنة : ناقة أو بقرة تنحر بمكة ، وأشعرها : أعلمها أى جعل لها علامة وهو أن يشق جلدها أو يطمنها في سنامها حتى يظهر الدم ويعرف أنها هدى . (٤) الرجبية : شاة كانوا يذبحونها في رجب لآلهتهم . وشرح الكلمات الباقية : في أوائل هذا الجزء . (٥) التعييف : التكهن وزجر الطير . والرعلاء : الطويلة الاذن ، والناقاة تشق جلدة من أذنّها فتعلق في مؤخرها .

ذلك في غيرهم مما يخصهم ولو بسطنا الكلام على ملابسهم، وما قالوا فيها من الشعر، وما ورد عنهم من الأسماء، لأدى ذلك إلى سفر كبير؛ وكذلك الكلام على فرشهم، وأرائكهم، وما يتصل بذلك، فإنه يطول جداً، ونخص الكلام على ما ورد عنهم في العمام والمهرا، وكان ذلك من زيههم العام : —

### العمام وما ورد عنهم فيها من الشعر

كانت العمام تيجانهم وبها عزمهم، وفي الحديث « كانت عمام العرب محفكة » أى طرف منها تحت الحنك، ومن أسماء العامة : العصاية، والمقطعة، والمعجبر، والمشوذ، والكوارة، وفي الحديث أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بعث سرية فأمرهم أن يمسحوا على المشاوذ والتساخين . وهى العمام والخفاف، وفلان حسن الشيذة : أى حسن العمة ؛ وفي ﴿ كتاب لباب الآداب ﴾ : وكانت السادة من العرب تلبس العمام المهرأة وهى الصفرة، قال الشاعر :

رأيتك هربت العمام بعدما عمرت زماناً حاسراً لم تعتم  
فزعم الأزهرى أن تلك العمام المهرأة كانت تحمل إلى بلاد العرب  
من هراة فاشتقوا لها وصفاً من اسمها، وأحسبه اخترع هذا الاشتقاق تعصباً لبلده  
هراة كما زعم حمزة الأصبهاني وهو أن السام الفضة وهو معرب عن سيم؛ وإنما تقول  
هذا التعريب وأمثاله تكثيراً لسواد العربات من لغات الفرس وتعصباً لهم .  
وكان الزبرقان يصبغ عمامته بصفرة، وذكره الشاعر<sup>(١)</sup> فقال :

وأشهد من عوف حُلُولاً كثيرةً يحجون سبب الزبرقان المصفراً<sup>(٢)</sup>  
وكان أبو أحيحة سعيد بن العاصي<sup>(٣)</sup> إذا اغتم بمكة لم يعم مع أحد هكذا

(١) هو المخيل السعدي (٢) السبب : الخمار والعمامة، ويروى (المزغفرا) بدل « المصفرا » (٣) كذا والصواب « العاصي » وقد رأيت كثيراً من المؤلفين والطابعين يغلطون فيقولون « العاصي » بالياء في هذا الرجل ( أنظر البيان والتبيين : ج ٣ ص ٥١ وفي عمرو بن العاص وغيرهما من أبناء هذا البيت . والحقيقة أنه من « العوص » لا من « العصيان » ولذلك يقال لهم الاعياص .

في الشعر . ولعل ذلك أن يكون مقصوراً في بني عبد شمس . وقال أبو قيس ابن الأسلت :

وكان أبو أحيحة ، قد علمت بمكة غير مهتضم ذميم  
إذا شدد المصابة ذات يوم وقام إلى المجالس والخصوم  
فقد حرمت على من كان يمشى بمكة غير مدخل سقيم<sup>(١)</sup>  
وكان البختري غداة جمع يدافعهم بنقمان الحكيم<sup>(٢)</sup>  
بأزهر من سرة بني لؤي كبدل الليل راق على النجوم<sup>(٣)</sup>  
هو البيت الذي بُذيت عليه قرش السر في الزمن القديم  
وسطت ذوايب الفرعين منهم فانت لُباب سِرهم الصميم<sup>(٤)</sup>  
وقال غيلان بن خرشة للأحنف : يا أبا بحر ! ما بقاء ما فيه العرب ؟ قال : إذا  
تقلدوا السيوف ، وشدوا العمام ، واستجادوا النعال ، ولم تأخذهم حية الأوغاد ! قال :  
وما حية الأوغاد ؟ قال : أن يمدوا التواهب ذلاً ! قال الجاحظ<sup>(٥)</sup> : وإذا قالوا سيد  
معهم فإنما يريدون أن كل جنانية يحتننها الجاني في تلك العشيرة فهي معصوبة برأسه .  
قال دريد بن الصمة :

أبلغ نعيماً وأوفى إن لقيتهما إن لم يكن كان في شئيهما صميم  
فلا يزال شهاباً يستضاء به يهدي المقانِبَ ما لم تهلك الصمم<sup>(٦)</sup>  
عاري الأشاجع معصوباً بلمته أمر الزعامة في عز نينه شمم<sup>(٧)</sup>  
وقال الكناني :

(١) وفي هذا المعنى يقول الآخر :  
أبو أحيحة من يعم عمتيه يضرب وإن كان ذا مال وذا عدد  
ويزعم الزبيريون أن هذا البيت باطل موضوع ( الكامل للمبرد ج ١ ص ١٦٥ )  
طبع مطبعة التقدم بمصر . (٢) البختري : الحسن المشي والجسم .  
(٣) سرة : جمع سري وهو الشريف . (٤) أي توسطت فكنت أنت  
الواسطة بين الفرعين . (٥) البيان والتبيين ج ٣ ص ٥٢ (٦) المقانِب : جمع  
مقنب وهو الجيش ، والصمم : جمع صمة وهو الشجاع . (٧) الأشاجع :  
جمع الأشجع وهي عروق ظاهر الكف . واللمة : الشعر المجاوز لشحمة  
الأذن . والمرنين : الأنف ، والشمم : الارتفاع .

تَذَخَّرْتُهَا لِلنَّسْلِ وَهِيَ غَرِيبَةٌ فَجَاءَتْ بِهِ كَالْبَدْرِ خِرْقًا مَعْمًا<sup>(١)</sup>  
 فلو شاتم الفتيان في الحى ظالمًا لَمَّا وجدوا غيرَ التَّكْذِبِ مَشْمًا  
 ولذلك قيل لسعيد بن العاصي « ذو العصابة » وقد قال القائل<sup>(٢)</sup> :  
 كَعَابُ أَبُوهَا ذُو الْعِصَابَةِ وَابْنُهُ عُثْمَانُ مَا أَكْفَاؤُهَا بِكَثِيرٍ  
 وقيل لأعرابي : إنك لتكثر لبس العمامة ! قال : إن شيئاً فيه السمع والبصر  
 لجدير أن يوقى من القر . وذكرت العمامة عند أبي الأسود الدؤلي . فقال : مُجَنَّةٌ  
 في الحرب ، ومكنة من الحر ، ومدفأة من القر ، ووقار في الندى<sup>(٣)</sup> ، وواقية  
 من الأحداث ، وزيادة في القامة . وهي تعد عادة من عادات العرب . قال عمرو  
 ابن امرئ القيس :

يَا مَالِ وَالسَّيِّدِ الْمَعْمَمُ قَدْ يَبْطِرُهُ بَعْدَ رَأْيِهِ الشَّرَفُ<sup>(٤)</sup>  
 نَحْنُ بِمَا عِنْدَنَا وَأَنْتِ بِمَا عِنْدَكَ رَاضٍ وَالرَّأْيُ مُخْتَلِفٌ

وكان من عادة فرسان العرب في المواسم والجموع ، وفي أسواق العرب  
 كأيام عكاظ وذى الحجاز ، وما أشبه ذلك التفتُّعُ إلا ما كان من أبي سليط طريف  
 ابن تميم أحد بني عمرو بن جندب فإنه كان لا ينقنع ، ولا يبالي أن يثبت عينه جميع  
 فرسان العرب<sup>(٥)</sup> : وكانوا يكرهون أن يعرفوا فلا يكون فرسان عدوهم هم غيرهم ،  
 فكان هذا من شأنهم ، وربما مع ذلك أعلم الفارس منهم نفسه بسياء : كان حمزة  
 يوم بدر معلمًا بريشة نعامة حمراء ، وكان الزبير معلمًا بعمامة صفراء ، ولذلك قال  
 درهم بن زيد :

(١) الخرق: الفتى الحسن الكريم الخليفة (٢) هو خالد بن يزيد بن معاوية .  
 والبيت من بيتين قالهما في زوجته آمنة بنت سعيد بن العاص بن أمية حينما  
 طلقها وتزوجها الوليد بن عبد الملك . والبيت الثاني :  
 فان تفتلتها والخلافة تنقلب بأكرم علقى منبر وسرير  
 — ومعنى تفتلتها : تأخذها فجأة . (٣) المجلس (٤) يمال : ترخيم  
 « يمالك » (٥) انظر الشرح في ص ١٨٥ من الجزء الثاني .

إنك لاقِ غداً غواةً بنى الملكاء فانظر ما أنت مُزْدَهِفٌ<sup>(١)</sup>  
يمشون في البَيْضِ والدروع كما تمشى جمال مصاعبٍ قُطِفُ<sup>(٢)</sup>  
فأبدي سِيَاكَ يَعْرِفُوكَ كما يبدو سِيَاهُ فَتَعْرِفُ  
وقال آخر:

إذا المرء أترى ثم قال لقومه : أنا السيد الْمُقْضَى إليه المَعْمُ  
ولم يُعْطِهِمْ شيئاً أبوا أن يَسُودَهُمْ وهانَ عليهم زَعْمُهُ وهو الوَمُ<sup>(٣)</sup>  
وقال آخر:

إذا كَشَفَ اليومُ العَمَاسُ من اسْتِه فلا يرتدى مثلى ولا يتعمم<sup>(٤)</sup>  
قالوا : وكان مصعب بن الزبير يتعمم العقداء وهو أن يعقد العمامة في القفاء ،  
وكان منهم من يعمم الملياء ، قال الفرزدق في محمد بن سعد بن أبي وقاص :

ولو شَهِدَ الخليلَ ابنُ سَعْدٍ لَقَنَعُوا عمامته المِلياءَ عَضْبًا مُنْهَدًا<sup>(٥)</sup>  
وقال شملة بن أخضر الضبي :

جَلَبْنَا الخيلَ من أطرافِ فُلْجٍ ترى فيها من الفَزْوِ اقْوِارًا<sup>(٦)</sup>  
بكلِّ طِمْرَةٍ وبكلِّ طَرْفٍ يَزِينُ سِوَادُ مُقْلَتِهِ العِذارِ<sup>(٧)</sup>  
حوالى عاصبٍ بالتاجِ مِنَّا جبينَ أغرَّ يستلبُ الدُّوَارَ<sup>(٨)</sup>  
رئيسٌ ما يَنَازِعُهُ رئيسٌ سوى ضربِ القِدَاحِ إذا استشارا  
وأنشد :

إذا لبسوا عمامتهم طَوَوْها على كَرَمٍ ، وإن سَفَرُوا أناروا

(١) الازدهاف : الدنو والتقمم في النسر والعداوة والاهلاك (٢) البَيْضُ : جمع بيضة وهي هنا بيضة الحديد . ومصاعب : جمع مصعب وهو الفحل الذي تركته فلم تركبه ولم يمسسه جبل حتى صار صعبا . والقطف : جمع قطف وهي الداية التي تسمى السير . (٣) أى وهو حقيق بأن يلام .  
(٤) يوم عماس : أى شديد . وكشف من أسته : كناية عن الشدة والمكروه (٥) قنَعُوا : ضربوا والعضب المهند : السيف المعمول في الهند .  
(٦) فلج : اسم بلد . والاقوار : الضمور والنغير (٧) الطمرة : الفرس الجواد المستعد للوثوب والعدو . والطرف : الكريم الطرفين من الآباء والامهات . والمقلة : الحديقة . والعدار من اللجام ما سال على خد الفرس (٨) الدوار : شبه الدوران يأخذ في الرأس فيخيّل لصاحبه ان المنظورات تدور عليه .

يَبِيعُ وَيَشْتَرِي لَمْ سَوَاهُمْ وَلَكِنْ بِالطَّعَانِ مُمْ تَجَارُ  
إِذَا مَا كُنْتَ جَارَ بَنِي لُؤَيٍّ فَأَنْتَ لِأَكْرَمِ الثَّقَلَيْنِ جَارُ  
وربما جعلوا العمامة لواءً ، ألا ترى أن الأحنف بن قيس يوم مسعود بن عمر  
حين عقد لعيس بن طلق اللواء إنما نزع عمامته من رأسه فمقدّها له ، وعلى ذلك قول  
زيد بن كثوة العنبري :

مَنْعَتَ مِنَ الْعُهَّارِ أَطْهَارَ أُمِّهِ وَبَعْضَ الرِّجَالِ الْمُدَّعِينَ زَنَاءَ<sup>(١)</sup>  
فَجَاءَتْ بِهِ عَبَلُ الْقَوَامِ كَأَنَّمَا عَمَامَتُهُ فَوْقَ الرِّجَالِ لَوَاءَ<sup>(٢)</sup>  
وربما شدوا بالعمائم أوساطهم عند المجاهدة ، وإذا طالت العقبة ، ولذلك قال  
شاعرهم :

فَسِيرُوا فَقَدْ جَنَّ الظَّلَامُ عَلَيْكُمْ فَبَاسَتْ الَّذِي يَرْجُو الْقَرَىٰ عَنَا عَاصِمُ  
دَفَعْنَا إِلَيْهِ وَهُوَ كَالذَّيْخِ حَاطِيًا نَشَدَّ عَلَى أَكْبَادِنَا بِالْعِمَائِمِ<sup>(٣)</sup>  
وقال الفرزدق :  
بَنِي عَاصِمٍ إِنْ تَلَحُّبُوهَا فَإِنَّكُمْ مَلَاحِي لِلْسُوءَاتِ دُسْمُ الْعِمَائِمِ<sup>(٤)</sup>  
وقال آخر :

خَلِيلِي شُدًّا لِي بِفَضْلِ عِمَامَتِي عَلَى كَيْدِي لَمْ يَبْقَ إِلَّا صَمِيمُهَا  
وقد ورد في العمامة شعر كثير . وفي العمامة الكور والجمع أكوار وهي  
الطرائق التي يعصب بها الرأس ؛ ولائها : أدارها حول رأسه . والصوقة مدخل  
الرأس في العمامة . والدّوابة ما أرسل منها على الظهر ، والقفدة أعلى العمامة ، واعتم  
القفداء كنفها على رأسه ولم يسدّها ، واعتم عمة عجزاء أي ضخمة ، وتلحّاها أدار  
دوراً منها تحت الذقن وهو المأمور به ، واقتطعها لأنها على رأسه ولم يدرها تحت

(١) العهار : الفجار . والزناء : الضيق . (٢) عبلى : ضحك . (٣) الذبيح .  
الذئب الجريء وذكر الضباع وخطا يخطو : مشى الخطيا وهو مشى رويد  
(٤) لحب الطريق : سلكه ، والمرأة جامعها . ودسم العمام : سود العمام .



الخنك وهو المنهى عنه ، فإذا أدارها على بعض فمه فذلك اللثام ، وإذا أدارها على فمه فهو اللغام ، فإن بلغ بها أصل فمه فذلك النقاب ، فإذا لم يظهر منه إلا العينان فهو الاحتجار والتوصيص .

### ما ورد عنهم من الشعر في النعال

العرب لم تزل تلهج بذكر النعال ، والفرس تلهج بذكر الخفاف ، وفي الحديث المأثور : إن أصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كانوا ينهون نساءهم عن لبس الخفاف الحمر والصقر ، ويقولون : هو من زينة نساء آل فرعون . وأما قول شاعرهم :

إذا اخضرتُ نعال بني غرابٍ      بَغَوْا ووجدتهمُ أسرى لثاما  
فلم يرد صفة النعل ، وإنما أراد بأنهم إذا اخضرت الأرض وأخصبوا ، طغوا وبغوا ، كما قال الآخر :

وأطول في دار الحفاظ إقامة      وأوزن أحلاماً إذا النعل أخضلاً  
ومثله قوله :

يا ابن هشام أهلك الناس الآبى      فكلامهم يسعى بسيفٍ وقرن<sup>(١)</sup>  
وأما قول الآخر :

وكيف أَرَجَى أن أسود عشيرتي      وأُمِّي من سلى أبوها وخالها  
رأيتكم سُوداً جَعَاداً ومالكٌ      مَخْصَرَةٌ بِيضٌ سِبَاطٌ نَعَالُهَا  
فلم يذهب إلى مديح النعال في أنفسها ، وإنما ذهب إلى سباطة أرجلهم وأقدامهم ، ونفي الجعودة والقصر عنهم . وقال النابغة :

رفاق النعال طيبٌ حُجْزَاتِهِمْ      يَحْيَوْنَ بِالرَّيْحَانِ يومَ السَّبَاسِبِ<sup>(٢)</sup>

---

(١) القرن : حد السيف والنصل (٢) قوله « طيب حُجْزَاتِهِمْ » أى اغفاء والحجزة : معقد الأزار . والسباسب : أيام السعائين أو الشعائين من أعياد النصرى . انظر ص ٣٤٨ من الجزء الأول .

يَصُونُونَ أَجْسَاداً قَدِيمَ نَعِيمِهَا بِخَالِصَةِ الْأُرْدَانِ مُخَضَّرِ الْمَنَاكِبِ  
وَبَنُو الْحَرِثِ بْنِ سَدُوسٍ لَمْ تَرْتَبِطْ حَمَاراً قَطْ ، وَلَمْ تَلْبَسِ نَعْلًا قَطْ إِذَا نَقَبْتَ  
وَقَدْ قَالَ قَائِلُهُمْ :

وَنُلْقَى النِّعَالُ إِذَا نَقَبْتَ وَلَا تَسْتَعِينُ بِأَخْلَاقِهَا  
وَنَحْنُ الدُّؤَابَةُ مِنْ وَائِلٍ إِلَيْنَا تَمُدُّ بِأَعْمَاقِهَا<sup>(١)</sup>  
وَهُمْ رَهْطُ خَالِدِ بْنِ مَعْمَرٍ الَّذِي يَقُولُ فِيهِ شَاعِرُهُمْ :  
مُعَاوِيَ أَقْرَ خَالِدِ بْنِ مَعْمَرٍ فَإِنَّكَ لَوْلَا خَالِدٌ لَمْ تَوْفِّرِ  
وَقَائِلُهُمْ يَقُولُ :

أَغَاضِبُهُ عَمْرُو بْنُ شَيْبَانَ إِنْ رَأَتْ عَدِيدِينَ مِنْ جَرِثُومَةٍ وَدَخِيسٍ<sup>(٢)</sup>  
فَلَوْ شَاءَ رَبِّي كَانَ أَيْرُ أَبِيكُمْ طَوِيلًا كَأَيْرِ الْحَرِثِ بْنِ سَدُوسٍ<sup>(٣)</sup>  
وَأَمَّا قَوْلُ الْآخَرِ :

يَا لَيْتَ لِي نَعْلَيْنِ مِنْ جِلْدِ الضَّبُعِ وَشَرَكَا مِنْ اسْتِهَا لَا تَنْقَطِعُ  
كُلُّ الْحِذَاءِ يَخْتَنِذِي الْخَافِي الْوَقْعَ<sup>(٤)</sup>

فَهَذَا كَلَامٌ مَحْتَاجٌ ، وَالْحَتَّاجُ يَتَجَوَّزُ ، وَقَالَ النَّجَاشِيُّ لَهْنَسِدِ بْنِ عَاصِمٍ :  
إِذَا اللَّهُ حَيًّا صَالِحًا مِنْ عِبَادِهِ كَرِيمًا فَخَيَّا اللَّهُ هِنْدَ بْنَ عَاصِمٍ  
وَكُلُّ سُلُوفٍ إِذَا مَا لَقِيَتْهُ سَرِيعٌ إِلَى دَارِ النَّدَى وَالْمَكَارِمِ  
وَلَا يَأْكُلُ الْكَلْبُ الدَّسْرُوقَ نَعْلَهُمْ وَلَا تَلْتَقِي الْمَتْنُ الَّذِي فِي الْجَاهِجِ<sup>(٥)</sup>

(١) الدُّؤَابَةُ : من العز والشرف وكل شيء أعلاه (٢) الجرثومة : الاصل .  
وَالدَخِيسُ : العدد الكثير (٣) أَيْرُ الْحَرِثِ : يضرب به المثل في كثرة الاولاد وكان  
له أحد وعشرون ذكراً . والعرب تقول « فلان طويل الاير » اذا كان كثير الاولاد .  
ومما ينسب الى علي رضي الله عنه « من يطل أير أبيه ينطق به » أي من  
كثرت أخوته استظهر بهم وضرب المنطقة اذ كانت تشد الظهر مثلاً لذلك .  
(٤) هذا الرجز ينسب الى ابي المقدام جساس بن قطيب . . والشرك :  
جمع شرك وهو سير النعل . والاسْت : الدبر . وقوله : كل الحذاء الخ مثل  
يضرب عند الحاجة تحمل على التعلق بما يقدر عليه . ووقع الرجل يوقع  
وقعا اذا حفى من مره على الحجارة (٥) انتقى العظم : استخرج مخه .

قال يونس « كانوا لا يأكلون الأدمغة ولا ينتعلون إلا بالسُّبَّتِ<sup>(١)</sup> »  
وقال كثير:

إذا نُبِذَتْ لم تُطَبِّ السَّكَبَ رِيحُهَا وإن وُضِعَتْ في مجاسِ القومِ شُمَّتِ  
وقال قتيبة بن الحرث:

إلى مَعَشَرٍ لا يَخْصِفُونَ نِعَالَهُمْ ولا يَلْبَسُونَ السُّبَّتَ ما لم يُخَصِّرِ  
وقال الأحنف « استجيدوا النعال ، فانها خلال الرجال » واذا مدح الشاعر  
النعل بالجودة فقد بدأ يمدح لابسها قبل أن يمدحها ومعنى قول قائلهم :  
(و) قام بناني بالنعال حواسراً وألصقن وقع السُّبَّتِ تحت القلائدِ  
أن النساء ذوات المصائب إذا قن في المناحات كنّ يضربن صدورهن بالنعال ،  
وقال خلف الأحمر :

سقى حجاجنا نوى الثرى على ما كان من مظلٍ ومُخْلِ  
هُمُ جمعوا النعال فأحرزوها وسدوا دونها باباً بقُفْلٍ  
إذا أهديتُ فاكهةً وشاةً وعشَرَ دجائجٍ بعثوا بفعلٍ  
ومسوا كبنٍ طولها ذراعٌ وعشر من ردى المقل خَشِلِ<sup>(٢)</sup>  
فان أهديت ذاك لتحملوني على نعلٍ فدقَّ الله رجلي  
وقال كثير:

كأنَّ ابنَ ليلى حين يبدو فتنجلى شجوفُ الخباءِ عن مَهَيْبِ مشمَّتِ<sup>(٣)</sup>  
مقاربُ خطوٍ لا يغيِّرُ نعلَه رهيِّفُ الشُّراكِ سهلةً المتسمَّتِ<sup>(٤)</sup>  
إذا طُرِحَتْ لم تطبِّ السَّكَبَ رِيحُهَا وإن وُضِعَتْ في مجلسِ القومِ شُمَّتِ

(١) جلود البقر وكل جلد مدبوغ (٢) المقل: شمر شجر الدوم . والدوم: شجرة تشبه النخلة في حالاتها . ويقال للمقل خشل إذا كان يابساً  
(٣) الشجوف: جمع سجع وهو الستر . ومليكا مشمت . أى محبى  
من معنى حياه إذا دعا له بالتحية (٤) رهيِّف الشراك: رقيق سير النعل  
ومسمت النعل: أسفل من مخصرها الى طرفها .

وقال بشار :

إذا وُضعتْ في مجلس القوم نعلُها تَضَوَّعَ مِسْكاً ما أصابتْ وعنبها  
ولما قال علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه لصمصعة بن صوحان في  
المنذر الجارود ما قال ، قال صمصعة « يا أمير المؤمنين ! اثن قلت ذاك انه لنظَّار  
في عطفه ، تقال في شراكه ، تعجبه حمرة بُردِيه » وذمَّ رجل ابن التوأم فقال :  
رأيتُه مشحَم النعل ، دَرِنَ الجورب<sup>(١)</sup> ، مَغْضَنُ<sup>(٢)</sup> الخلف ، دقيق الجربان<sup>(٣)</sup> »  
وقال المهيم « يمين لا يحلف بها إلا الأعرابي أبداً أن يقول : لا أورد الله لك صادراً ،  
ولا أصدر لك وارداً ، حططت رحلك ، ولا خلعت نعلك » .

وقال آخر :

عَلِقَ الفؤاد بِرَيْقِ الْجَهْلِ<sup>(٤)</sup> وَأَبْرَّ واستعصى على الأهل  
وصبا وقد شابت مفارقة سَفَهًا وكيف إصابة الكهل<sup>(٥)</sup>  
أدركت مُعْتَصِرِي وأدركني حلمي وَيَسَّرَ فائدي نَعْلِي<sup>(٦)</sup>

وقال آخر :

كم أرى من مُسْتَعْجِب من نعال ورضائي منها بلبس البوالى  
كلُّ جَرْدَاءٍ قد تحيفها الخُصْفُ بأقطارها بِسُرورِ النعال<sup>(٧)</sup>  
لا تُدَانِي وليس تشبه في الخِلقة إنْ أُبْرَزْتَ نعال الموالى  
لا ولا عن تقادم العهد منها بليت لا ولا لِكُرِّ الليالى  
ولقد قلت حين أوترُ ذا الودِّ عليها بِثُرْوَتِي وبمالي  
منْ يُغَالِي من الرجال بنعلٍ ؟ فسوائى إِذْنُ بهنْ يُغَالِي  
أوْ بَغَاهُنْ لِلْجَمَالِ فَإِنِّي فِي سِوَاهُنَّ زِينَتِي وَجَمَالِي

(١) وسخ (٢) مجعد (٣) جربان القميص : طوقه الذي فيه الازرار مخيطة  
فاذا اريد ضمه ادخلت الازرار في العرا فقصم الصدر الى النحر  
(٤) ريق كل شيء : اوله واصله (٥) المفارق : جمع مفرق وهو وسط الراس  
الذي يفرق فيه الشعر . والكهل : من خطه الشيب (٦) المعتصر : الهرم  
والعمر (٧) الجرداء : المجردة من الشعر . وتحيفها : تنقصها من اطرافها .

في إخواني وفي وفائي ورأيي وعفائي ومنطقي وقمالي  
ما وفائي الحفا وبلغني الحفا جنة منها فاني لا أبالي

وشعر العرب المشعر بلبسهم للنعال ، وإيثارهم لها على غيرها مما يلبس بالأرجل  
لا يمكن استيعابه في مثل هذا المقام ، وما ذكرناه وافٍ بالمقصود . ومنها :

#### الفقرة

وهي من أسباب معاش العرب العامة ، لا سيما سكة اليمن والبحرين وعمان  
وهجر وغالب بلاد نجد ، فسكة هذه البلاد كلها غالب معاشهم من الحرث  
والغرس ، ولهم في غرس النخيل اهتمام وأي اهتمام ! وما ورد عنهم في شأنه كلام  
طويل ، ومعرفتهم بشؤونه كمعرفتهم بالخليل ؛ وحيث أن أرضهم وبلادهم صالحة  
لإنبات أكثر نبات العالم ، وشجر الدنيا ، اتسع نطاق معارفهم في هذه الصناعة ومن  
تتبع الكتب المؤلفة في النبات والشجر لاسيما كتاب (أبي حنيفة الدينوري) اعترف  
بما ذكرناه مع ما في لغتهم من الشهود العدول عليه ؛ وغالب من تعاطى هذه الصناعة  
سكة البوادي منهم ؛ وبين السبب في ذلك ابن خلدون فقال : اعلم أن اختلاف  
الأجيال في أحوالهم إنما هو باختلاف نحلته من المعاش ، فإن اجتماعهم إنما هو  
للتعاون على تحصيله ، والابتداء بما هو ضروري منه ، ونشيط قبل الحاجي  
والسكالي ، فمنهم من يستعمل الفلح من الفراسة والزراعة ، ومنهم من ينتحل  
القيام على الحيوان من الغنم والبقر والمعز والنحل والدود لتقاجها ، واستخراج  
فضلاتها ، وهؤلاء القائمون على الفلح والحيوان تدعوهم الضرورة ولا بد إلى  
البدو ، لأنه متسع لما لا يتسع له الخواضر من المزارع والقدن والمسارح للحيوان  
وغير ذلك ، فكان اختصاص هؤلاء بالبدو أمراً ضرورياً لهم ، وكان حينئذ  
اجتماعهم وتعاونهم في حاجاتهم ومعاشهم وعمرانهم من القوت والكن والدفع  
إنما هو بالمقدار الذي يحفظ الحياة ، ويحصل بُلغة العيش من غير مزيد عليه ،  
( ٢٧ — ثالث )

للعجز عما وراء ذلك ؛ ثم أخذ يذكر أسباب الحضارة وموجباتها ، والحاصل أن ما ذكرناه غالب مدار معاش العرب ، وما يقوم بدفع ضرورتهم ، وما تمس اليه حوائجهم ؛ ولهم أسباب آخر كالغوص على اللؤلؤ ؛ وإلى اليوم سكنة البحرين وهجر وغير ذلك من سكنة السواحل يعيشون عليه ، والبحث على اللؤلؤ والأصداف ، وكيفية صيده ، وما ورد عن العرب في ذلك مما لا يسعه المقام ، ومنهم من كان يعيش على صيد البر والبحر ، ولهم فيه مذاهب وعوائد مفصلة في كتب الحديث ، ومنهم من كان يعتاش بالواشي والأنعام ، كالغنم والبقر والإبل ، ولهم في القيام عليها وتربيتها قدم راسخة ، وعلم واسع .

#### ما أوجب تقدم العرب

من وقف على أحوال العرب ، وتصفح كتب أخبارهم ، وعرف شؤونهم على اختلاف طبقاتهم وأزمانهم ، تبين له أن العرب أمة قديمة مضى عليها أمد طويل ، وأتى عليها حين من الدهر لا يعلم له مبدأ معين ؛ وهم في كل ذلك ما بين ارتفاع وانحطاط ، وترقٍ وهبوط ، واختلف واختلاف ، وسعادة وشقاء ، وعزٍّ وذل ، وعسر ويسر ، ومن استقرأ أحوالهم تبين أن مدار تقدمهم وارتقائهم على منصة السؤدد ، وذروة العز ، أمور ( منها : بالعلم ) فإن العلم على اختلاف فنونه ، وتشعب غصونه ، من أعظم أسباب سعادة الانسان ، وهو نور محض به يهتدى أولو البصائر والعرفان ، ولا نغنى به إلا العلم النافع الدافع لحاجات النوع الإنساني وضرورياته ، فدخل فيه جميع العلوم العقلية والنقلية ، الفرعية منها والأصلية . وأما الجهل فهو أساس كل بلاء ، وأصل كل جهد وعناء ، فلذا ترى كل أمة استنارت عقولها بالعلم ، وتحلت بحلى الفضل ، لم تزل تتدرج في مدارج الارتقاء ، وتتلاها منها أنوار الهداية لسلوك سواء السبيل ، وكل أمة امتد عليها رواق ظلام

الجهل ، واستحكم فيها داء الغباوة ، انسدت عيون بصائرهم ، وفسدت نتائج أفكارها ، فضلت عن سلوك الجادة ، وحرمت اجتناء ثمار السعادة ، وانصرفت بالصفات الذميمة ، وتخلقت بالاخلاق الغير المستقيمة ، وتاهت في بيداء الحرمان وجاءها موج البلاء من كل مكان ، فبالعلم النافع تسكون الثروة ، وبالعلم تهذب الأخلاق ، وبالعلم يسود الدليل ، وبالعلم ينتصر على العدو ، وبالعلم يقهر الخصم الألد ، وبالعلم تفك أغلال الأعناق من أسر التقليد ، وبالعلم تدرك الأمانى ، وينال كل مقصد بعيد ، ومن باد من العرب وهلك إنما كان من الجهل بعد العلم والغنى بعد الهدى » « ألم تر كيف فعل ربك بعاد إرم ذات العماد التي لم يخلق مثلها في البلاد<sup>(١)</sup> وتمدود الذين جابوا الصخر بالواد<sup>(٢)</sup> وفرعون ذى الأوتاد<sup>(٣)</sup> »

(١) عاد : جيل من العرب العاربة أو البائدة ، يقول النسابون انه من ولد غوص بن ارم بن سام بن نوح عليه السلام . قال الشيخ محمد عبده : وسواء صح النسب ام لم يصح فقد كان ذلك الجيل معروفا باسم عاد ويلقب أيضا بآرم وبقي مشهورا عند العرب بذلك ، قال : وذات العماد وصف لآرم التي هى قبيلة عاد نفسها ، ومعنى ذات العماد سكان الخيام حلا وارتحالا أو ذات العماد الرفيعة والقوة المنيعة . عبر بالعماد عن العلو والشرف والقوة . وكانت منازلهم بالرمال والاحقاف الى حضر موت ، وقد بلغت عاد من الشدة والقوة مبلغا لم يصل اليه سواها في عهدها ولذلك قال : انى لم يخلق مثلها في البلاد . والاستفهام فى « ألم تر كيف فعل ربك بعاد » للتذكير والتقرير انتهى . وهذا هو التحقيق الذى يقطع به العقل السليم . ولضعفه المفسرين الذين أصيب الاسلام منهم بداهية دهياء وفاقرة عظمى ورزية كبرى ، حكايات خرافية واقاصيص منحولة وأساطير مفتعلة فى تصوير آرم ذات العماد يسود من ذكرها وجه القرطاس وتلك البراعة فى الجرى بها واللسان فى تلاوتها . وكان يجب ان ينزه عنها كتاب الله الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ولكن انى اتلكم العقول السخيفة والادمغة المعصبة الجافة ان تتحرر من أغلال التقليد الاعمى فتتمتع فى نعمة العقل تحت ظلال الحق . . ؟

فاذا وقع اليك ايها الاخ اللبيب شيء من كتب أولئك « المخلوقين » فانبذه وراءك ظهريا وايك وان تفرك الكنى والالقاب ! (٢) تمدود : قبيلة من العرب البائدة . وجابوا الصخر : قطعوه ونحتوه كما قال تعالى « وتنحتون من الجبال بيوتا فارحين » فقد انعم الله عليهم بالقوة والعقل حتى صنعوا لانفسهم بيوتا من الصخر بذلك الوادى الذى كانوا يقيمون فيه . وقد يصح ما قال بعضهم ان معنى جابوا الصخر بالواد انهم قطعوا الصخر واتخذوا منه واديا يخزنون فيه الماء لمنافعهم . ولا يفعل ذلك الا اهل القوة والفهم من الامم . (٣) فرعون : حاكم مصر فى عهد موسى عليه السلام . والأتاد : المباني العظيمة . وللشيخ منزع غريب فى اختيار تفسير الأوتاد بالمباني العظيمة لم أره لغيره .

الذين طغوا في البلاد فأكثروا فيها الفساد فصب عليهم ربك سوط عذاب<sup>(١)</sup>  
 إن ربك لبالمرصاد<sup>(٢)</sup> . وهكذا من بقي منهم إنما تفرق جمعهم ، وتشتت شملهم  
 وأدركهم الذل والهوان ، والفقر والخسران ، بعد أن ضاقت عنهم الحزون  
 والسمول ، ودوخوا البلاد والأقطار ، بسيوف لم يصبها فلول ، لما خيم عليهم  
 غمام الجبل ، وعصفت عليهم عواصف الغواية ، واتباع الأهواء كما هو مفصل  
 في كتب التفسير والحديث . هؤلاء أولاد اسماعيل عليه السلام ، ولا سيما قريش  
 منهم إنما كانوا من العز بمكان مكين ، ومن السؤدد بحصن حصين ، بسبب  
 ما كان لهم من العلم أوفر نصيب ، فأزین منه بالقدهح المعلى والرقيب فذلت  
 لهم يومئذ القبائل ، ودانت لهم البلاد ، فلم يكن دونها حائل ، وبذلك سموا  
 قريشاً كما قال الشاعر :

وقريشٌ هي التي تسكنُ البحـ رَ بها سُـمِّيَتْ قُرَيْشٌ قُرَيْشاً  
 تأكلُ الغنَّ والسَّمينَ ولا تـ رـك فيه لذي جَنَاحَيْنِ ريشاً  
 هكذا في البلادِ حتى قريشُ يـأكلونَ البلادَ أَكْلاً كَيْشاً<sup>(٣)</sup>

ولم يزالوا على عزهم ومجدهم ، وأقبالهم وشرفهم ؛ إلى أن تناقص منهم العلم  
 وتقلص عنهم ظل المعارف والفضائل ، وذلك قبيل الإسلام بنحو ثلثمائة سنة ،  
 وهو المعنى بزمان الجاهلية على قول منصور ، فحينئذ شاع فيهم الجهل ، واختلت  
 منهم الأحوال ، وفسد منهم أكثر الخلق المحمود ، وارتفعت منهم البركات ،  
 وفشى فيهم المنسكر ، وتعاقدت منهم المهمة ، وفترت منهم العزائم ، وتفرق منهم  
 الشمل ، وكثرت فيهم البدع والأهواء ؛ إلى أن أشرقت عليهم أنوار بدر

(١) السوط : لفظ شاع استعماله في الجلد المضفور الذي يضرب به وإن  
 كان في الأصل اسماً للخلط والمزج . وصب السوط انزاله بشدة مع توالى  
 ضرباته بلا انقطاع (٢) هو المكان الذي يقوم به الرصد وهو القوم الذين  
 يرصدون أى يرقبون بالخير أو الشر . والكلام على التمثيل أى إن ربك القائم  
 بتدبير أمرك رقيب على عباده لا يغفونه من شسئونهم شيء ، ثم هو مجاز كل  
 عامل بعمله فلا يغفلته أحد فلا يظن أهل الطغيان الذين يكثرون في الأرض  
 الفساد أن يتفلسوا من الله وعقابه . (٣) سريعاً .



الإسلام ، وبعث الله تعالى من أنفسهم رسولاً مؤيِّداً بالآيات الباهرة ، والمعجزات الظاهرة ، مكرماً بطهارة الأعراق ، مشرفاً بما جبل عليه من مكارم الأخلاق ، التي نقض بها عوائد الفطر ، وباين لها جميع البشر : من فروسيته وشجاعته وبأسه ونجدته ، وعزمه وهمته ، وعلمه وحلمه ، وزهده وعبادته ، ورضاه وصبره ، وحمده وشكره ، وذكره وفكرته ، واعتباره وتبصره ، وخوفه وخشوعه ، وتواضعه وخضوعه ، وكرم آبائه وجدوده ، وسخائه وجوده ، وفصاحته وصدق لهجته ، ورعايته للعهد ، ووفائه بالوعد ، وأمانته وشفقته ، وحسن خلقه وخلقه ، وحيائه ولينه ، وثقته ويقينه ، وعفوه ورحمته ، وصفحه ورأفته ، إلى غير ذلك من الصفات الحميدة ، والشاغل السديدة ؛ فوجدهم إذ ذاك ما بين عابد أو ثان ، ومستمرٍّ على إيقاد النيران ، وجاهد في تخريب البلاد ، وتعذيب العباد ؛ وجائهم على السجود للشجر ، والخضوع للحجر ، إلى غير ذلك من الضلال والمنكر ، هذا مع ما كانوا عليه من الاستعداد والقابلية لقبول الخير ، ورجاحة الأحلام ، وصحة العقول ؛ فجد حينئذ بدعائهم إلى مافيه سعادتهم ، وكابد ما كابد في تغيير عوائدهم ، لاسيما قومه وعشيرته ، فقد نال منهم ما تشيب منه النواصي ، وتنهده الصياصي ، فإن العرب ولا سيما قريشاً — كما وصفهم الكتاب الكريم — كانوا من الدهاء واللدد عند الخصومة وخلابة الألسنة ، وبلاغة المنطق ، والتسلك بما ألفوه من العوائد ، على جانب عظيم — إلى أن جمعهم على كلمة الإيمان ، وعلمهم من المعارف والكمالات ما فيه سعادتهم دنيا وأخرى ، ومرتهم على محاسن الأخلاق ، وحثهم على السعى والتكسب ، وأصلح لهم ما أفسدوه ، وجدد لهم ما بدلوه وغيروه ، حتى نبعت من قلوبهم ينابيع الحكم الجمة ، والمعارف النورانية ، وقاضت على الصدور والألسنة ، وامتلا منها الكتب والدفاتر ؛ وأصبحوا أعلم من في الأرض ، فاما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا وكان لهم به علم ومعرفة ! وبذلك تقدموا

يومئذ ذلك التقدم الذى بهر العقول ؛ واستولوا على غالب أقطار المعمورة ، وجلبوا عن القلوب ظلماتها ، وأشادوا الدين الحق على أمتن أساس ، وأنقذوا العالم من لجج الفساد .

### ومن أسباب تقدمهم اتفاق كلمتهم

من المعلوم الذى لا يستراب فيه أن القوم متى اتفقت آراؤهم ، واجتمعت كلمتهم . صاروا يداً واحدة على من سواهم ، وانتصروا على عدوهم ، وتشيد بنيان مجدهم ، وهابهم من سواهم ؛ وكان العرب أيام جاهليتهم لا تجمعهم كلمة ، ولا ينظمهم سلك نظام ، وعادى بعضهم بعضاً ، وانتشرت بينهم الحروب والمنازعات ، كما أخبرت بذلك كتب أيامهم<sup>(١)</sup> فلذلك فشى فيهم يومئذ الذل والصغار ، وطمعهم الهوان ، إلى أن أخذت العناية الإلهية بأيديهم من ذلك العناء ، وجمع شملهم بكلمة الحق وأوجب عليهم الدين المبين الاعتصام بحبل الله ، وأن لا ينفرقوا ، وأمرهم أن يكونوا كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضاً ، وكالجسد الواحد إذا شكا عضو منه شكا جميعه ؛ وكان بين الاوس والخزرج حروب أيام الجاهلية تطاولت نحو مائة وعشرين سنة حتى قارب أن يفتى الحيان ؛ فلما جاءهم الإسلام ، وتشرفوا به ، ارتفعت الشحناء من بينهم ، وأصبحوا يداً واحدة على من سواهم ، وذلك قوله عز اسمه ( يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتنَّ إلا وأنتم مسلمون . واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فأآف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمة إخواناً وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله آياته للناس لعلهم يتقون ) فلما ألف الله كلمة العرب على الإسلام ، وتوجهوا لطلب مافى أيدي الأمم من الملك ، لم يكن دونه حى ولا وزر ، فكان لهم من الملك الواسع ما هو معلوم لمتبعي كتب الأخبار ؛ فلذلك كان خطبائهم وحكائهم ينادون عليهم بالألفة ،

(١) أى حروبهم .

ويحذرونهم من التفريق واختلاف الكرامة ، وينذرونهم بما يستتبع ذلك من العواقب  
الوخيمة والتأنيج الفاسدة ؛ وقد ذكرنا فيما تقدم من هذا الكتاب ما دل على ذلك  
من شعرهم وخطبهم ووصاياهم ما فيه الكفاية ومنها :

### العدل

العدل إذا كان شاملاً فهو أحد قواعد الدنيا التي لا انتظام لها إلا به ،  
ولا صلاح فيها إلا معه ، وهو الداعي إلى الألفة ، والباعث على الطاعة ، وبه تتعمر  
البلاد ، وبه تدمى الأموال ، ومعه يكثر النسل ، وبه يأمن السلطان ، وليس شيء  
أسرع في خراب الأرض ، ولا أفسد لضمائر الخلق من الجور ، لأنه ليس يقف  
على حد ، ولا ينتهي إلى غاية ، ولكل جزء منه قسط من الفساد حتى يستكمل ؛  
والعرب لما استناروا بنور الدين المبين ، وجمعت متبدد شملهم كلمة الحق ، ودان  
لهم من دان من الأمم ، شملوا الناس بالعدل في أحكامهم إذ كان من أهم مقاصد  
الشرعة الغراء ، وأعظم مطالبها وأجلّ قضايها ؛ وبذلك نطق آيات التنزيل .  
منها : ( إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ  
أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا ) وفي الحديث  
« بُئْسَ الزَّادُ إِلَى الْمَعَادِ ، الْعَدْوَانُ عَلَى الْعِبَادِ » إلى غير ذلك من النصوص التي  
يضيّق عنها المجال ، وعن وقف على سير الخلفاء الراشدين وغيرهم من أمراء  
العدل من العرب ، تبين له أن ما كان من استقامة ملكهم واتساعه إنما هو بالعدل  
الشامل ، ووضع الأمور في مواضعها ؛ والعدل باب واسع يجرى في أمور كثيرة  
ومرجعه إلى عدل الإنسان في نفسه ، ثم عدله في غيره ، فأما عدله في نفسه فيكون  
بحملها على المصالح ، وكفها عن القبايح ؛ ثم بالوقوف في أحوالها على أعدل الأمرين  
من تجاوز أو تقصير ، فإن التجاوز فيها جور ، والتقصير فيها ظلم ومن ظلم نفسه فهو  
لغيره أظلم ، ومن جار عليها فهو على غيره أجور ؛ وأما عدله في غيره فهو غلى أقسام :

منها عدل الإنسان فيمن دونه : كالسلطان في رعيته ، والرئيس مع صحابته ، ويدخل فيه الرجل مع أهل بيته ، والأستاذ مع تلامذته ، والسيد مع خدامه وأرقائه ، ففي الحديث « كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته » والعدل ههنا يكون باتباع الميسور ، وحذف المعسور ، وترك التسلط بالقوة وابتغاء الحق في الميسور ، فإن اتباع الميسور أდوم ، وحذف المعسور أسلم ، وترك التسلط أعطف على المحبة ، وابتغاء الحق أبعث على النصره ؛ وهذه أمور إن لم تسلم للزعيم المدبر كان الفساد بنظره أكثر ، والاختلاف بتدييره أظهر ، وفي الحديث « أشد الناس عذاباً يوم القيامة من أشركه الله في سلطانه فجار في حكمه » وعن بعضهم « ليس للجائر جار ، ولا تعم له دار » وعن آخر « أقرب الأشياء سرعة الظلوم ، وأنفذ السهام دعوة المظلوم » ومنها : « عدل الإنسان مع من فوقه كالرعية مع سلطانها ، والصحابة مع رئيسها ، وعائلة الرجل معه » وغير ذلك ، فقد يكون بإخلاص الطاعة ، وبذل النصره ، وصدق الولاء ، فان إخلاص الطاعة أجمع للشمل ، وبذل النصره أدفع للوهن ، وصدق الولاء أنقى لسوء الظن وهذه أمور إن لم تجتمع في المرء تسلط عليه من كان يدفع عنه ، واضطر إلى اتقاء من يتقى به ، قال البخاري :

مَنْ أَحْوَجَ ذَا كَرَمٍ تَخَطَّى إِلَيْكَ بِيَعُضِ أَخْلَاقِ اللَّئِمِ  
وفي استمرار هذا حل نظام جامع ، وفساد صلاح شامل ، قال بعض الأكابر « أطلع من فوقك يطعمك من دونك » ومنها : عدل الإنسان مع أ كفائه ، وذلك بترك الاستطالة ، ومجانبة الإدلال ، وكف الأذى ، لأن ترك الاستطالة آلف ومجانبة الإدلال أعطف ، وكف الأذى أنصف ؛ وهذه أمور إن لم تخلص في الأكفاء أسرع فيهم تقاطع الأعداء ففسدوا وأفسدوا ؛ وهذا كلام إجمالي على العدل وأقسامه ، والمتكفل بتفصيله ، واستيعاب جزئياته كتب الشريعة ؛ والمقصود هنا بيان أن من جملة ما أوجب تقدم العرب بعد انحطاطهم

لزومهم جادة العدالة ، والاتحاد عن مسالك الظلم ، والبغى والعدوان ، وقد تنبه بعض أكابرهم أيام الجاهلية لما يترتب على العدل من المصالح فتعاهدوا بينهم على مجانبة الظلم ، والمباعدة عن الجور ، وترك البغى على الناس ، فعقدوا حلف الفضول وغيره في مكة على ما سبق بيانه أوائل السكتاب ، وقد أعرضت عن ذكر أمور آخر أوجبت تقدمهم فإنها تترتب على ما ذكر من الأصول الثلاثة التي هي منشأ كل خير ، وبالله التوفيق .

سكنة البوادي من العرب وما امتازوا به عن الحضريين

البادية هي الأرض التي ليس فيها بناء من دور وقصور وغير ذلك ، وهي البدو أيضاً والنسبة إليه بدوى ، وفي الحديث « من بدا جفا » أى من نزل البادية صار فيه جفاء الأعراب . والبداوة الإقامة بالبادية وهو خلاف الحضارة ، والمبدى خلاف الحضرة ؛ ولما كان سكنى البادية تقتضى صيانة العز والشرف رجحها غالب العرب على الحضرة ، وكثر حنينهم إليها ، وذكر وحشها وطيرها ورياضها ونبتها وشجرها وأغوارها وأنجادها ورياحها ومياهها ، ولا زالوا يفخرون في شعرهم بسكنائها قال القطامي<sup>(١)</sup> :

وَمَنْ تَكُنِ الحَضَارَةُ أَعْجَبَتْهُ فَأَيُّ رِجَالٍ بَادِيَةٍ تَرَانَا<sup>(٢)</sup>

(١) بفتح القاف وضمها كما نص عليه ابن الشجري في أماليه ، والمجد في قاموسه ، وعبد الرحيم العباسي في معاهده ، وقول إبراهيم اليازجي في مجلة الضياء : أن الصواب الضم ، وهم من أوهامه الناشئة من غروره وهوسه ، وقلة تتبعه ودرسه ! والقطامي لقب غلب عليه واسمه عمير بن شبيب ، وهو شاعر إسلامي مقل ، رقيق الحواشي ، كثير الأمثال ، حسن التشبيب . . وهو صاحب هذا البيت :

أنا محيوك فاسلم أيها الطلل وان بليت وان طال بك الطيل  
الذي انتحل صدره جميل الزهاوى المتفلسف فقال في مدح أمير عربي :  
أنا محيوك فاسلم أيها الملك ومصطفوك أعرش شاءه الفلك !!  
(٢) يقول : ان كل ما أعجبك من رجال الحضرة فهو أكثر بيننا منهم وان كنا أهل بادية .

وَمَنْ رَبطَ الجَحاشَ فإِنَّ فِينا قَنّا سُلُباً وأُفْراساً حِساناً<sup>(١)</sup>  
وَكُنْ إذا أَعَزَّنَ على جَنابِ وَأَعَوَزَهُنَّ نُهَبٌ حَيْثُ كانا<sup>(٢)</sup>  
أَعَزَّنَ من الضَّبَابِ على حُلُولِ وَضَبَّةٌ إِنَّهُ مِنْ حانَ حاناً<sup>(٣)</sup>  
وأحياناً على بكرٍ أحياناً إذا ما لم نجدْ إلا أخاناً<sup>(٤)</sup>  
وقال آخر من قصيدة يمدح بها قوماً من سكة البادية :

للموقدونَ بنجدٍ نارَ باديةٍ لا يحضرون وقد العز في الحضر  
وقال آخر :

هذا أبو الصقرِ فرداً في محاسنِهِ من نَسَلِ شيبانَ بين الضَّالِّ والسَّلمِ<sup>(٥)</sup>  
— وروى أن ميسون بنت بحدل لما اتصلت بمعاوية ، ونقلها من البدو إلى  
الشام ، وكانت تسكن الحنين إلى أناسها ، والتذكر لمسقط رأسها ، فاستمع عليها  
ذات يوم وهي تنشد هذه الأبيات : —

لَبَيْتٌ تَخْفُقُ الأرواحُ فيه أَحَبُّ إلى من قصر مُنيفٍ<sup>(٦)</sup>  
ولبس عباةٍ وتقرَّ عيني أَحَبُّ إلى من لبس الشفوفِ<sup>(٧)</sup>

(١) يقول : وإذا رضى أهل الحضر باقتناء الحمير وربطها فانا لا نرضى إلا  
بما عندنا من الرماح التي تسلب النفوس والخيول الحسان التي تعين على  
دفع الأعداء . (٢) وكن : أى الخيل أنزلها منزلة أربابها وهم المغيرون . وجواب  
إذا أول البيت بعده والجملة خبر كن (٣) معنى البيتين ذاك وهذا : أن أرباب  
الخيول منا كانوا إذا أغاروا على ناحية ، وتعسر عليهم السلب والنهب من  
الاباعد عطفوا على الأقارب : الضباب وبكر وغيرهم . والحلول . الذين يكونون  
في مكان واحد وقوله « انه من حان حاناً » هذا التفتات كأنه التفت إلى  
انسان وقال له : انه من هلك بفزونا فقد هلك (٤) «على بكر» متعلق بفعل  
مضممر دل عليه ما قبله كأنه قال : وأحياناً أغر على بكر . (٥) شيبان : بن ذهل  
ونسيبان بن ثعلبة قبيلتان . والضال والسلم : شجرتان من شجر البادية .  
وفردا : منصوب على المدح أو الحال . والمعنى : هذا المشار اليه صاحب الاسم  
المشهور إذا ذكر رجلاً فرداً في محاسنه وفضائله من نسل شيبان وأولاد هذه  
القبيلة المقيمين بالبادية والاقامة بها مما تتمدح به العرب لأن فقد العز في الحضر!  
والبيت من نسوهد المعاني . وقائله ابن الرومي الشاعر المشهور صاحب النظم  
العجيب ، والتوليد الغريب ، (٦) قوله «لبيت» اللام لام الابتداء وتخفق : تضطرب  
والأرواح والأرياح : جمع ريح . والمنيف العالى . (٧) تقر : منصوب بأن مضمومة بعد  
الواو ، و « أن تقر » في تأويل مصدر معطوف على مصدر وهو «ولبس عباة»  
والشفوف جمع شف وهو الثوب الرقيق سمي بذلك لأنه يرق فيحكى ماتحته .

وأكل كُسيرة في كسر بيتي أحبُّ إلىَّ من أكل الرغيف<sup>(١)</sup>  
 وأصوات الرياح بكلِّ فجٍّ أحبُّ إلىَّ من نقر الدُّفوفِ  
 وكلب يذبح الطُّراقَ دوني أحبُّ إلىَّ من قطر ألوف<sup>(٢)</sup>  
 وبكر يتبع الأظعان صعب أحبُّ إلىَّ من بغل زفوف<sup>(٣)</sup>  
 وخرق من بني عمي نحيف أحبُّ إلىَّ من عِلج عليف<sup>(٤)</sup>

فلما سمع معاوية الأبيات قال لها : ما رزيت ابنة بجْدَل حتى جعلتني عِلجاً  
 عنيفاً ؟ وهذا من حنين أهل البادية إليها ، والتبعية من الحضر ، وذكر الراغب  
 أن امرأة ضبية تسمى حسانة قعدت على بركة في روضة بين الرياحين والأزهار  
 في أطف وقت وأبهجه — وكانت قد احتملت من البادية إلى الحضر — فقيل  
 لها : كيف حالك هنا ؟ أليس هذا أطيب مما كنت فيه بالبادية ؟ فأطرقت ساعة ،  
 ثم تنفست وقالت : —

أقولُ لأدنى صاحبي أسيرُهُ وللعين دمع يُخدِرُ الكحل ساكبهُ :  
 لعمري لَهْرٌ باللوى نازح القذى بعيد النواحي غير طَرَقٍ مشاربه<sup>(٥)</sup>  
 أحبُّ إلينا من صهاريج مُلئت للعب ولم تملُحْ لدى ملاءبه<sup>(٦)</sup>  
 فيأحبُّذا نجدُ وطيبُ ترابه إذا هضبتَه بالعشى هواضبه<sup>(٧)</sup>

(١) الكسيرة ( بالتصغير ) القطعة من الخبز . والكسر : طرف الخباء من الأرض (٢) الطراق : جمع طارق وهو الذي يأتي ليلاً . (٣) البكر : ( بفتح الموحدة ) الفتى من الأبل . والأظعان : جمع ظعينة وهي المرأة ما دامت في الهودج وقيل غير ذلك ( انظر ج ٢ ص ١٣٤ ) وصعب : صفة لبكر . وروى سقب وهو الذكر من ولد الناقة . والزفوف : المسرع (٤) الخرق : الفتى الحسن الكريم الخليفة والعليج : الرجل الضخم ، ويحتمل أن تريد أن الامرد أحب إليها من ذي اللحية . قال أبو زيد : يقال لكل ذي لحية عليج ولا يقال الغلام إذا كان أمرد عليج . والاول أنسب لقولها ( عليف ) أي مسمن بالعلف . قال الأعلام : تعنى به معاوية لقوته وشدته ، مع سمنه ونعمته (٥) اللوى : ما التوى من الرمال . والنازح : القذى الصافي الذي لا يشوبه كدر والطرق : الماء الذي خاضته الأبل وبالت فيه (٦) الصهاريج جمع صهريج وهو حوض يجتمع فيه الماء وبركة مصهجة معمولة بالصاروج وهو شيء يخلط بالنورة ويطلّى به الحياض ونحوها وهو معرب (٧) هضبت السماء : فاضت ، وأهاضبة : السحابة .

وريح صَبَاً بُجْدٍ إِذَا مَا تَنَسَّمت ضحى أوسرت جنح الظلامِ جَنَابُهُ<sup>(١)</sup>  
 وأقسمُ لا أنساه مادمت حيةً وما دام ليل من نهار يعاقبه  
 ولا زال هذا القطرُ يُسْفِرُ لوعةً بذاكره حتى يترك الماء شاربه  
 وقال آخر<sup>(٢)</sup> وقد تذكر بعض أودية البوادي فصبا إليه :—  
 وحَبْدًا حين تُمسى الريحُ باردةً وادى أَشَى وَفَتِيَانٌ به هُضمٌ<sup>(٣)</sup>  
 ياليتَ شعري عن جَنَبِيٍّ مُكشَّحةٍ وحيثُ تُبْنَى من الحنَاءِ الأُطمُ<sup>(٤)</sup>  
 عن الإِشَاءِ هل زالتِ مخارِهُها وهل تَغَيَّرَ من آرامها إِرَمٌ<sup>(٥)</sup>  
 وجنة ما يذم الدهر حاضرها جبارها بالندى والحمل محتزم<sup>(٦)</sup>  
 وقال أعرابي انتقل من البداوة إلى الحضارة فرأى المكاء (وهو طائر برى)  
 في الخضر ، وكان قد عهد به يفرخ على شجر الألاء والأرطى<sup>(٧)</sup> ، فقال لهذا  
 الطائر : فارق هذا المكان فإنه ليس لك فيه الشجر الذى تعشش عليه ، وأشفق  
 من أن تمرض كما مرضت ؛ وذلك معنى قوله :  
 ألا أيها المكاء مالك ههنا ألاء ولا أرطى ، فأين تبيض ؟

(١) الجنائب : ريح تهب من مطلع سهيل في الجنوب الى مطلع الثريا .  
 (٢) هو زياد بن حمل بن سعد بن عميرة بن حريث ، ويقال له زياد بن منقذ  
 أحد بنى عدى من بنى تميم ، وكان قد نزل ( صنعاء ) فاستوطنها ، وكان  
 منزله بنجد في ( وادى أشى ) فنظم قصيدة مطربة مشجية يشوق فيها الى  
 بلاده ، ومنها هذه الابيات . وقد أوردتها أبو تمام في باب النسيب من ديوان  
 الحماسة . . (٣) برد الريح يدل على القحط لوقوعه شتاء . ووادى أشى :  
 موضع بالوشم . والوشم : واد باليمامة فيه نخل . وهضم . جمع هضوم  
 وهو الذى يصرف ماله ويبدله كيفما شاء في الضيافة (٤) مكشحة : موضع  
 باليمامة يشتمل على خمس قرى عليها سور واحد من لبن وفيه نخيل وزروع .  
 وقال الحفصى : هو نخل في جزع الوادى قريبا من أشى ، والحناء : رمل من  
 رمال عالج ، والأطم : الحصن . (٥) من الإِشَاءِ : بدل من « جنبى مكشحة »  
 وهو موضع أيضا والمخارم : الطرق في الجبال . والارم : الطريق — وممنى  
 البيتين : ياليت علمى بأحوال هذه المواضع هل هى باقية على ما عهدتها أم  
 تغيرت (٦) الجبار : النخلة الطويلة ، والندى : الرطوبة . والحمل : الطلع .  
 والاحتزام : الالتفاف والمراد فيها الخصب . يقول : واستخبر أيضا عن أحوال  
 جنة تحمل أبدا وتدوم مخضرة معمورة بالنخل التى يجتنى منها الثمر .  
 (٧) الألاء : كسحاب شجر مر دائم الخضرة . والأرطى : شجر كنور  
 الخلاف وثمره كالعنب مرة تأكلها الإبل غضة وعروقه حمر .



فاصعد إلى أرض المسكاكى واجتنب قري مصر، لا تُصبح وأنت مريض  
وقال عبد بنى قريط يقال له (مطير) اشتاق إلى أرضه :

ألا ليت شعري هل أئينن ليلةً (صداء) منى و(البياض) بعيد<sup>(١)</sup>  
بوادٍ من اللباء أعلاه عوسجٌ وأسفلهُ رُمثٌ عليه جهيد<sup>(٢)</sup>  
وهل أسمعن الدهر أصوات فتيةٍ بذى الهوزوى من ناشئ ووليد  
وقال آخر :

أيا جبلى غورى تهامة كلما تطاللت نجداً أشرقت لى ذرا كما  
عدمكما لا يونس الناظر الذى به الشوق شيئاً دونه قلتاً كما  
أصابكما من حبّ نجد حرارةً وغلّ فلا يروى بماء صدا كما  
وقال قائد بن حكيم متشوقاً إلى أرضه :

متى العيس من مصر بنا رافعاتنا إلى نجد أو باد لعينى قلالها<sup>(٣)</sup>  
ومزج إليها الطرف حتى يرده قوس القرى فى البعد يخفق آلهـا<sup>(٤)</sup>  
على متن عادى كأن أماره رجال تنادى أفلتها جمالها  
وقال :

خلى إن حانت بمصر منيتى وأزمعما أن تحفرا لى بها قبرا  
فلا تنسيا أن تقرآلى على الفضى ونجد سلاماً لا قليلاً ولا نژرا  
وإن سرت ياسبعان ربى بالفضى أو المرت من نجد مخيسة صعرا  
وقال آخر :

ألا ليت شعري هل أئينن ليلةً بصحراء ما بين الجثوم إلى شعر ؟

(١) صداء : ماء معروف ( بالبياض ) وهو بلد بين سعد بن زيد مناة وكعب  
ابن كلاب - عن نصر (٢) الرمث : مرعى للأبل من الحمض وشجر يشبه  
الفضى . ومرعى جهيد : جهده المال . وهذا كالأبل يجهد المال إذا كان يلح على  
رعيته (٣) العيس : الأبل البيض يخالط بياضها شقرة (٤) يقال : قمست  
الأكام فى السراب ( وهو الآل ) إذا ارتفعت فرائتها كأنها تطفو (٥) المرت :  
المفازة بلا نبات أو الأرض لا يجف ثراها ولا ينبت مرعاها . والمخيسة : الأبل  
التي لم تسرح ولكنها حبست للنحر أو القسم .

وهل أَرَدَنَ العَيْنَ والشَّمْلُ جامعٌ  
وهل أَرَيْنَ الرَّمْلَ يا أُمَّ خَالِدٍ  
فكَيْفَ ولم أَصْبَحْ أَحَدُثَ فِتْيَةٍ  
حَمَى سِرِّهِمْ فِي كُلِّ يَوْمٍ كَرِيهَةٍ  
وقال آخر :

أَلَا يا دِيَارَ الحَيِّ والحَيِّ جَسِيرَةٍ  
سَقَتَكَ نِجَالًا مِنْ رِيْعٍ تَتَابَعَتْ  
أَلَا لَيْتَ شَعْرَى هَلْ يَعودُنَّ مَاضِي  
لَنَا فَيْكَ ، أُمْ هَلْ تَغْفِرُنَّ ذُنُوبَهَا ؟  
وقال آخر :

لَقَدْ كَانَ بِالدهْنِ حَيَاةً لَذِيذَةً وَمَحْتَطَبٌ لَا يَشْتَرَى بِالدَّرَاهِمِ

وقال صدقة بن نافع العقيلي متشوقاً إلى دياره وكان بالجزيرة :  
أُرْقَتْ بِحِرَانِ الجزيرة مَوْهِنًا لِهَرَقٍ بِدَالِي نَاضِبٍ مَتَعَالٍ (١)  
بَدَا مِثْلَ تَلْمَاعِ الْفَتَاةِ بِكُفِّهَا وَمِنْ دُونِهِ نَأَى وَغَيْرَ قَلَالٍ  
فَبِتُّ كَأَنَّ الْعَيْنَ تَكْحُلُ فَلَفَلَا وَبَى عَسَ حَمِى بَيْنَ وَمَلَالٍ  
فَهَلْ يَرْجِعُنَّ عَيْشَ مَضَى لِسَبِيلِهِ وَأُظْلَالَ سَدْرٍ يَانِعٍ وَسَيَّالٍ ؟  
وَهَلْ تَرْجِعُنَّ أَيَّامَنَا بِمُتَالِجٍ وَشَرِبَ بِأَوْشَالٍ لَهْنٍ ظِلَالٍ ؟  
وَبِيضٍ كَأَمْثَالِ الْمَاءِ يَسْتَبِينُنَا بِقِيلٍ ، وَمَا مَعَ قِيلِهِنَّ فَعَالٍ ؟  
إلى غير ذلك من الشعر المشتمل على الحنين إلى البادية وما فيها ، والشعراء  
الإسلاميون سبقوا الجاهليين إذا سلكوا مسلكهم ومنهجهم ، والأموى في نجدياته  
وعراقياته أتى بما لم يسبق إليه . من ذلك قوله :  
وَأَسْرَى بِعَيْسٍ كَالْأَهْلَةِ فَوْقَهَا وَجَوْهُ مِنْ الْأَقَارِ أَبْهَى وَأَنُورُ

(١) السرب : القطع من الظباء والنساء وغيرها (٢) النجاء ككتاب جمع النجوى للسحاب (٣) الموهن : نحو من نصف الليل أو بعد ساعة منه .

ويعجبني نفعُ العَرَارِ ورُبُّمَا شَمَخْتُ بِعَرِينِي وَقَدْ فَاحَ عَنبرٌ<sup>(١)</sup>  
ويخدش غمدي بالحمى صفحة الثرى إِذَا جَرَّ من أَذْيَالِهِ الْمُتَحَضَّرُ  
فما العيش إلى الضَّبِّ يحرشه الفتى وورد بِمَسْتَقٍّ الْيَرَابِيعِ أَكْدَرُ<sup>(٢)</sup>  
بحيث يلفّ الرء أطناب بيته على العز والسكوم المراسيل تنحر<sup>(٣)</sup>  
ويغشى ثراه حين يستعم القرى ويسمو إليه الطارق المتنور<sup>(٤)</sup>  
وقوله :

خليل هذا ربُّع ليلي بذى الفضى سقى الله ليلي والفضى وسقا كما !  
وقد كنّا لى مسعدين على البكا فما لكما لا تسعدان أخا كما ؟  
أظّلّ وحيداً لا أرى من أحبه فهل بالحمى لى من خليل سوا كما  
ولو غاب عني واحدٌ منكما وهت قوَى الصبر لا أوهى الزمان قوا كما  
فكيف أذود الهم عني تجلداً وقد غبتما عن أرض نجدٍ كلا كما  
وقوله :

بمنشط الشيخ من نجد لنا وطنٌ لم تجر ذكره إلا حنّ مُعْتَرِبٌ<sup>(٥)</sup>  
إذا رأى الأفق بالظلماء مختمراً أمسى وناظره بالدمع منتقب  
ونشقة من عَرَارٍ هزّ لنته رويحة في سراها مسها لقب  
تشقى غليلاً بصدري لا يزحزحه دمعٌ تهيب به الأشواق منسكب<sup>(٦)</sup>  
وقوله :

ونفحة من ربّي ذى الأثل قابلى بها نسيم يزيد القلب أحزانا  
ولم يطب تربها من روضة أنف فهاجَ رياه أطراباً وأشجاناً<sup>(٧)</sup>  
لكنّ ذا الأثل طاب الواديان به حيث الرّباب تجر الذيلَ أحيانا

(١) العَرَار : بها والبر والعرين : الاتف (٢) حرش الضب يحرشه : صاده  
(٣) الكوم : القطعة من الابل . وناقاة كوما : عظيمة السنام طويلته .  
والمراسيل : الخفاف التى تعطيك ما عندها عفوا (٤) الطارق : الزائر ليلا .  
(٥) منشط مفعول من نشط اذا خرج . والشيخ : نبت (٦) أهاب به ،  
زجره (٧) روضة انف : لم ترع .

ولم يكن لى أكناف الحمى وطنًا ولا الفوارس من نهبان جيرانا إلى غير ذلك مما يطول ذكره ، وقد أطنب المسعودى فى اختيار العرب سكنى البوادر وسببه ( وهذا ملخص ما ذكره ) قال : رأت العرب أن جولان الأرض وتخير بقاعها على الأيام أشبه بالعز ، وأليق بذى الأنفة ، وقالوا نكون محكمين فى الأرض نسكن حيث نشاء أصلح من غيره . قال : وذكر آخرون أن القدماء من العرب لما ركبهم الله من سمو الأخطار ، وتيل الهمم والأفداز ، وشدة الأنفة والحمية من المعرة والحرب من العار ، بدأت التفكير فى المنازل ، والتقدير للمواطن فتأملوا شأن المدن والأبنية فوجدوا فيها معرة ونقصاً ، ومنهم من قال : إن الأرضين تمرض كما تمرض الأجسام ، وتلحقها الآفات ، والواجب تخير المواضع بحسب أحوالها من الصلاح إذ الهواء ربما قوى فأضر بأجسام سكانه ، وأحال أمرجة قطانه ، ومنهم من قال إن الأبنية والتحويط حصر عن التصرف فى الأرض ، ومقطعة عن الجولان ، وتقييد للهمم ، وحبس لما فى الفرائز من المسابقة إلى الشرف ، ولا خير فى اللبث على هذه الحالة ، وقالوا إن الأبنية والأطلال تحصر الغذاء ، وتمنع اتساع الهواء ، وتسد سרוحه على المرور ، وقذاه عن السلوك ، فسكنوا البر الأفيح الذى لا يخافون فيه من حصر ، ولا من منازلة ضر ، هذا مع ارتفاع الأقداء ، وسماحة الأهواء ، واعتزال الوباء ، وتهذيب الأحلام فى هذه المواطن ، ونقاء القرائح فى التنقل فى المساكن ، وصحة الأمرجة وقوة الفطنة ، وصفاء الألوان ، وصيانة الأجسام ، فإن العقول والآراء ، تتولد من حيث تولد الهواء . وطبع الهواء الفضاء ، وفى هذا أمن من العاهات والأسقام والعلل والالام ؛ فآثرت العرب سكنى البوادر والحلول فى البيداء ، فهم أقوى الناس همما ، وأشد هم أحلاما ، وأصحهم أجساماً ، وأعزهم جارا ، وأحماهم ذماراً ، وأفضلهم جواراً ، وأجودهم فطناً ، لما أكسبهم إياه صفاء الجو ، ونقاء الفضاء ، لأن الأبدان تحتوى أجزاءها على متكائف الأكدار ، وعناء

الأقذار ، بما يرتفع إليه ، ويتلاطم في عرصاته ، واقفة من جميع المستحيالات والمستنقعات من المياه ، ففي أكنافه جميع ما يتصعد إليه ، وكذلك تراكيب الأقداء والأدواء والعاهات في أهل المدن ، وتركبت في أجسامهم ، وتضاعفت في أشعارهم وأنتارهم ، ففضلت العرب على سائر ما عداها من بوادي الأمم المعترضة ، لما ذكر من تخيرها الأماكن ، وارتياذ المواطن ، قال المسعودي : وكذلك جانبوا فضاضة الأكراد ، وسكان الجبال ، من الأجيال الجافية ، وغيرهم الذين سكنوا خروت الأرض ودهاسها ، وذلك لأن هذه الأمم الساكنة هذه الجبال والأودية تناسب أخلاقها مساكنها في انخفاضها وارتفاعها لعدم استقامة الاعتدال في أرضها ، فلذلك كانت أخلاق قاطناتها على ما هي عليه من الغلظ :

وقد وفد على كسرى أنوشروان بعض خطباء العرب فسأله كسرى عن شأن العرب وسكنائها واختيارها البدو ؟ فقال : أيها الملك ملكوا الأرض ولم تملككم ، وأمنوا من التحصين بالأسوار ، واعتمدوا على المهرقات الباترة ، والرماح السامرة ، فمن ملك قطعة من الأرض فكأنها كلها له يردون منها خيارها ويقصدون ألقافها ، قال : فأين حظوظهم من الفلك ؟ قال : من تحت الفرقدين ورأس المجرة وسعد الجدى مشرفين على الأرض بحسب ذلك ! قال : فما رياحها ؟ قال : أكثرها النكباء بالليل والصبا عند انقلاب الشمس ، قال فكم الرياح ؟ قال أربع فإذا انحرقت واحدة منهم قيل نكباء ، وما بين سهيل إلى طرف بياض الفجر جنوب ، وما بازائها مما يستقبلها من المغرب شمال ، وما جاء من وراء الكعبة فهي دبور ، وما جاء من قبل ذلك فهي صبا ، قال : فما أكثر غذائهم ؟ قال : اللحم واللبن والنبيد والتمر ، قال فما خلائقهم ؟ قال : العز والشرف والمكارم وقرى الضيف واذمار الجار وإجارة الخائف وأداء الحملات<sup>(١)</sup> وبذل المهج في المكرمات ،

---

(١) الحملة : الدية والغرامة .

وهم سراة الليل ، وليوث القيل ، وعمار البر ، وأنس القفر ، ألفوا القناعة ، وسبقوا الضراعة ، لم الأخذ بالثار ، والأنفة من العار ، والحماية للذمار ! قال كسرى : لقد وصفت هذا الجيل كرمًا ونبلًا ، وما أولانا بأنجاح ذلك فيهم ! فتخيرت العرب البرارى والمهامه والمصاف ، فمنهم المنجد والمتهم ممن سكن أغوار الأرض كغور بيسان وغور غزة من أرض الشام من بلاد فلسطين والأردن ومن سكنه من لحم وجذام ؛ ولجميع العرب مياه يجتمعون عليها وقطع من الأرض يعرجون عليها كالرها والسماوة والتهاثم وأنجاد الأرض والبقاع والقيعان والوهاد ، ولست ترى قبيلة من العرب توغل عن الأماكن المعروفة لهم ، والمياه المشهورة بهم ، كماء ضارج وماء العقيق والسباط وما أشبه ذلك من المياه وقد استوفاهما الزخشرى وأبو لغدة الأصفهاني وغيرهما من الأئمة في كتبهم المشهورة .

#### ما امتاز به عرب البوادي عن أهل الحضار

الفرق بين سكتة البوادي وبين سكان البلاد والقرى مما يظهر لكل أحد وذلك في الأجسام والحواس الظاهرة والباطنة والصور والأخلاق والقوة والضعف ولهجة اللسان وسماحة اليد والجرأة والشجاعة وغير ذلك مما يطول ذكره حتى إن من وازن بين نبات البادية ونبات البلد وجد بينهما فرقا من وجوه مختلفة ، وكذلك وحشه ودوارجه وطيره وسائر ما يكون في البر فإنه ممتاز عما يتكون في البلد في الخواص والأوصاف ، وقد ذكر ابن خلدون في مقدمته عدة فصول مشتملة على فروق بين الفريقين .

« منها » أن البدو أقدم من الحضار وسابق عليه ، وأن البادية أصل العمران والأمصار مدد لها لأن البدو هم المقتصرون على الضروري في أحوالهم العاجزون عما فوقه ، وأن الحضار المعتنون بحاجات الترف والسكال في أحوالهم وعوائدهم ولا شك أن الضروري أقدم من الحاجي والسكال وسابق عليه ، ولأن الضروري

أصل والكمالى فرع ناشئ ، فالبدو أصل للمدن والحضر وسابق عليهما لأن أول مطالب الإنسان الضرورى ، ولا ينتهى إلا الكمال والترف إلا إذا كان الضرورى حاصلاً فخشونة البداوة قبل رقة الحضارة ، وأطال الكلام فى بيان ذلك .

« ومنها » أن أهل البدو أقرب إلى الخير من أهل الحضر ، وذلك لأن النفس إذا كانت على الفطرة الأولى كانت متهيئة لقبول ما يرد عليها وينطبع فيها من خير أو شر ، وبقدر ما سبق إليها من أحد الخلقين تبعد عن الآخر ، ويصعب عليها اكتسابه ، فصاحب الخير إذا سبقت إلى نفسه عوائد الخير ، وحصلت له ملكته بعد عن الشر وصعب عليه طريقه ، وكذا صاحب الشر لمذا سبقت إليه أيضاً عوائده :

« ومنها » أن أهل البدو أقرب للشجاعة من أهل الحضر ، وذلك لأن أهل الحضر ألقوا جنوبهم على مهاد الراحة والدعة ، وانغمسوا فى النعيم والترف ووكلوا أمرهم فى المدافعة عن أموالهم وأنفسهم إلى واليهم ، والحاكم الذى يسوسهم والحامية التى تولت حراستهم ، واستنماوا إلى الأسوار التى تحوطهم والحرز الذى يحول دونهم ، فلا تهيجهم هيلة ، ولا ينفّرهم صيد ، فهم غارون آمنون قد ألقوا السلاح ، وتوالت على ذلك منهم الأجيال ، وتنزلوا منزلة النساء والولدان الذين هم عيال على أبى مثوهم ، حتى صار ذلك خلقاً يتنزل منزلة الطبيعة ، وأهل البدو لتفردهم عن المجتمع ، وتوحشهم فى الضواحي ، وبعدهم عن الحامية ، وانتبأهم عن الأسوار والأبواب ، قائمون بالمدافعة عن أنفسهم لا يكلونها إلى سوامهم ، ولا يثقون فيها بغيرهم ، فهم دائماً يحملون السلاح ، ويتلفتون عن كل جانب فى الطرق ، ويتجافون عن الهجوع إلا غراراً فى المجالس وعلى الرجال وفوق الاقتاب ، ويتوجسون للنبأت والهيئات ، ويتفردون فى القفر والبيداء ، مدلين ببأسهم ، واثقين بأنفسهم ، قد صار لهم اليأس خلقاً ،

والشجاعة سجية ، يرجعون إليها متى دعاهم داع أو استنفروهم صارخ ، وأهل الحضرة متى خاطبهم في البادية أو صاحبهم في السفر فهم عيال عليهم لا يملكون عليهم شيئاً من أمر أنفسهم ، وذلك مشاهد بالعيان حتى في معرفة النواحي والجهات وموارد المياه ومشارع السبل .

« ومنها » أن معاناة أهل الحضرة للأحكام مفسدة للبأس فيهم ، ذاهبة بالمنفعة منهم ، وأن الحضرة لا يمكنه سكنى البدو بل لا يمكن أن يسكنه إلا القبائل ، وأن الصريح من النسب إنما يوجد لأهل البادية من العرب لا أهل الحضرة منهم ، وأن أهل البادية أقدر على التغلب ممن سواهم ، وأن الأمة إذا كانت بدوية وحشية كان ملكها أوسع ، وأن أهل البادية من العرب لا يتغلبون إلا على البسائط ، وأن البدويين إذا تغلبوا على الأوطان أسرع إليها الخراب بخلاف أهل الحضرة ، وأن أهل البادية من العرب أبعد الأمم عن سياسة الملك ، وأن أهل البادية من القبائل والعصائب مغلوبون لأهل الأمصار ، وأن أهل البادية قاصرون عن سكنى المصر الكثير العمران . وقد أطنب في الكلام على بيان أسباب هذه الفروق مما لا حاجة إلى نقله ، ومن أمعن النظر ، ودقق في أحوال الفريقين ، ظهرت له فروق أخرى ، وسبحان من ميز كل قوم بخصائص لا توجد في غيرهم ، وصفات لا تتعداهم إلى من سواهم ( ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم إن في ذلك لآياتٍ للعالمين ) .

## خاتمة الكتاب

هذا آخر ما يسره ولي التوفيق والآنعام ، من بيان ما كان عليه العرب قبل الاسلام ؛ وقد جاء بحمد الله تعالى بهجةً للناظرين ، ونزهةً للقارئين ، بيد أن ما أوردته في كل باب ، درةً عقدٍ نحر وقطرة من بحر عباب ، فإن أحوال طبقة واحدة من طبقات أولئك الأخيار ، لا يقوم باستيعابها عدة أسفار ، ولو



سلك القلم سبيل الاختصار ، وعسى الله تعالى أن يقيض لإنجاز هذا المرام ، بعض ذوى الهمم العلية من أئمة الأدب الأعلام ، فقد سهل الطريق ، على من ساعده التوفيق ، فالعرب ممن ينبغي الاعتناء بذكرهم ، ويفحص عن طيب خبرهم فهم أهل المآثر ، وأصل الفضائل والمفاخر ، بمزايهم تزينت صفحات الطُّرُوس ، وبحميد سجايهم تبسم وجه الدهر العيوس ؛ وسنفرد إن شاء الله تعالى أحسن كتاب ، يستوعب أحوال من بقى اليوم من أولئك القوم الأنجاء ، وقد انتشروا في البلاد ، وملأوا الأغوار والأنجاد ، وفيهم مما كان عليه أسلافهم بقايا ، وفيهم من هاتيك المسكارم والسجايا ولست أعنى بهم كل من تكلم بلغتهم أو سكن في خطتهم ، واتسم بسمتهم :

فما كلّ مخضوب البنان بثينة ولا كل مصقول الحديد يمانى  
وأسأل الله تعالى الأجر الجزيل ، والذكر الجليل ، إذا فنى الجسم ، ونسى  
منى الاسم ، والحمد لله ذى الأنعام ، فى البدء والختام ، وهو الأول بلا عدد ،  
والآخر بلا أمد ، الحكيم بغير توقيف من أحد ، الذى أحسن لما أَدب ، وأجزل  
لما وهب ، حمداً متصل المدد ، جارياً على الأبد ، وصلى الله على النبی الأمّیّ ،  
ذی الأصل الزكىّ ، والقلب الذكىّ ، والسكف الندىّ ، والزند الورىّ ، ذی الرسالة  
الصاعدة ، والمقالة الناصعة ، والعترة الصالحة ، والأسرة الناصحة ، صلاة جامعة بينه  
وبين أهله الطاهرين الأبرار ، الطيبين الأخيار .

وكان الفراغ من تسويده غرة جماد الآخرة من السنة الرابعة بعد الثلاثمائة  
والألف من الهجرة ١٣٠٤ ، وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين ؟

أنظر الفهارس

بلوغ الأرب — الجزء الثالث

---

## ثلاثة فهارس

---

الفهرس الأول — فى موضوعات الكتاب

---

الفهرس الثانى — فى أسماء الرجال والنساء

---

الفهرس الثالث — فى أسماء البلدان والقبائل وغيرها

---

## الفهرس الأول

في موضوعات الكتاب

صفحة	صفحة
٧٦	الغائب إذا لم يقفوا على خبره ٣٠
٨٠	ما يطفىء نار الحرب بزعمهم ٤
٨٢	مذاهبهم في الخرزات والرقى ٥
٨٤	مذاهبهم في الوشم ١٠
٨٥	النياحة والتدب ١١
أنفة شعراءهم من التكسب ١٣	النعى
٩٠	قولهم المبيت لا تبعد ١٤
٩٣	جز النواهي ١٥
٩٣	شد اللسان ١٧
٩٧	خصاب النحر ١٨
١٠١	التعقية ١٨
١٠٤	حمل الملوك على الأعناق إذا مرضوا ٢٠
١٠٤	دية الملوك وغيرهم ٢٢
١٠٥	تحريم الخمر إلى أن يأخذوا بالثار ٢٤
١٠٧	مذاهبهم في الخليلع والرجل العين ٢٧
١٠٧	المعاقرة في الإبل ٣٠
١٠٨	تفرد العزيز بالحمى ٣١
١٠٩	البحيرة والسائبة ٣٦
١١٠	الفرع والعتيرة ٤٠
١١٢	وأد البنات ٤٢
١١٣	مذاهبهم في المسر ٥٣
١١٤	الاستقسام بالأزلام ٦٦
١١٤	مذاهبهم في النسيء ٧٠
١١٥	

صفحة		صفحة	
١٤١	المنخل الهذلي	١١٥	عمرو بن كلثوم
١٤٢	أبو صخر الهذلي	١١٦	عنزة بن شداد
١٤٣	تميم بن مقبل	١١٧	طفيل الغنوي
١٤٣	عبدة بن الطيب	١١٨	الأضبط بن قريع
١٤٣	حميد بن ثور	١١٩	عدي بن زيد
١٤٤	متمم بن نوبة	١٢١	الحرث بن حلزة
١٤٤	دريد بن الصمة	١٢١	أمية بن أبي الصامت
١٤٥	سويد بن أبي كاهل	١٢٢	قس بن ساعدة
١٤٦	النجاشي الحرثي	١٢٣	عائذ بن محسن
١٤٦	الشمخ بن ضرار	١٢٤	الممزق العبدى
١٤٦	عمرو بن معد يكرب	١٢٥	عبد قيس بن خفاف
١٤٧	عمرو بن الاهتم	١٢٦	الشنفرى
١٤٧	سحيم عبد بنى الحسحاس	١٢٦	عروة بن الورد
١٤٧	أبو محجن الثقفي	١٢٦	أفتون التغلبي
١٤٨	كعب بن سعد	١٢٧	شيص بن الخطيم
١٤٨	معن بن أوس	١٢٧	أحيحة بن الجلاح
١٤٨	كعب بن جعبل	١٢٨	عامر بن الطفيل
١٤٨	زياد بن زيد	١٢٨	أبو الطمجان القيني
١٤٨	أبو الأسود الدؤلي	١٢٩	الاعشى
١٤٨	زفر بن الحرث	١٣٠	ليبد بن ربيعة
١٥٠	عبد الله بن قيس	١٣٢	كعب بن زهير
١٥٠	المتوكل الليثي	١٣٣	الغلاء بن الحضرمي
١٥١	عاداتهم في الخطب والوصايا	١٣٤	النمر بن قلاب
١٥٥	خطباء العرب في الجاهلية	١٣٥	حسان بن ثابت
١٥٥	قس بن ساعدة	١٣٧	النابعة الجعدى
١٥٦	سحبان وائل	١٣٨	الخطيئة
١٥٧	دويد بن زيد	١٤٠	أبو ذؤيب الهذلي
١٥٩	زهير بن جناب	١٤٠	أبو خراش الهذلي

صفحة		صفحة	
٢١٤	التاريخ عند العرب	١٦١	مرثد الخير الحميري
٢١٩	زمن الفطحل	١٦٤	الحرث بن كعب المذحجي
٢٢٣	علم العرب بالسماء وكائنات الجو	١٦٥	قيس بن زهير العبسي
٢٢٤	السموات والأفلاك	١٦٦	الربيع بن ضبيع
٢٢٨	منازل القمر وأنوارها	١٦٨	أبو الطمجان القيني
٢٣٥	أقسام الأنواء وأيامها	١٦٩	ذو الاصبح العدواني
٢٣٦	البعد بين المنازل	١٧٠	الاؤس بن حارثة
٢٣٧	ما تقول العرب في طلوع المنازل	١٧٢	أكثم بن صيفي التميمي
	والسكواكب	١٧٣	قيس بن عاصم المنقري
٢٤٠	الطالع والغارب من المنازل	١٧٤	عمرو بن كلثوم
٢٤١	بروج الفلك	١٧٥	نعيم بن ثعلبة الكناني
٢٤٣	فصول السنة والاختلاف فيها	١٧٦	أبو سيارة العدواني
٢٤٥	الجمرات وسقوطها	١٧٧	الحرث بن ذبيان
٢٤٦	مخايل العرب في الأنواء	١٧٩	الخطب في صدر الإسلام
٢٦١	علم القيامة والعبادة	١٨٢	علم الانساب
٢٦٣	علم الفراسة	١٨٨	طبقات الانساب
٢٦٩	علم الكهانة والعرافة	١٩١	ما يجب للنظر في علم الانساب
٢٧٤	كلام في العرافة	١٩٢	مذهب العرب في أسماء القبائل
٢٧٥	من اشتهر من الكهان والعرافين	١٩٣	مذهبهم في التسمية والسكنى
٢٧٥	عزى سلبه الكاهن	١٩٨	من اشتهر في معرفة النسب
٢٧٨	شق بن انمار	١٩٨	دغفل بن حنظلة السدوسي
٢٨١	سطيح بن مازن	٢٠٢	ورقاء الاشعر
٢٨٣	طريقة الكاهنة	٢٠٢	زيد بن الكيس النمرى
٢٨٨	زبراء الكاهنة	٢٠٢	النخار بن أوس
٢٩١	خنافر بن التوأم	٢٠٥	صعصعة بن صوحان
٢٩٣	صواحبات مصاد بن مذعور	٢٠٦	عبد الله بن عبد الحجير
٢٩٥	سلمى الهمدانية	٢٠٧	أمثال العرب في النسب
٢٩٦	عفيرة الكاهنة	٢١٠	علم العرب بالاخبار

صفحة	صفحة
٣٥١	سواد بن قارب
٣٥٢	سبب إسلامه وقصته
٣٥٤	فاطمة بنت مر
٣٥٤	العرافون
٣٥٥	علم الزجر والعيافة
٣٥٥	كيفية الزجر عند العرب
٣٥٧	من اشتهر منهم بالزجر والعيافة
٣٥٨	حسل بن عامر
٣٦٠	أبو ذؤيب الهذلي
٣٦١	جابر بن عمرو
٣٦٣	جندب بن العنبر
٣٦٤	مرة الأسدي
٣٦٧	من أنكر الزجر والطيرة منهم
٣٧٠	الطريق بالحصى والخط
٣٧٢	علم الطب
٣٧٤	مشاهير أطباء العرب
٣٧٥	الحارث بن كلدة
٣٧٨	النضر بن الحارث
٣٧٩	ابن حذيم
٣٨٥	نبذة من أسماء العلل
٣٨٥	علم الريافة
٣٨٨	علم الاهتداء في البرارى
٣٨٩	علم العرب بأدواء الخيل
٣٩٣	عيوب الخيل
٣٩٥	عيوبها التي تكون خلقة فيها
٣٩٦	العيوب الحادثة فيها
	٣٥٠
محاسن الخيل وما يستحب فيها	
علم العرب بخلق الإنسان	
علم الرمي بالسهم	
المراعاة بالسهم وغيره	
النضال وأنواعه	
القوس وما وضع لها	
السهم وما وضع لها	
علم نزول الغيث	
الرياح وأوصافها	
السحب وأنواعها	
الرعد والبرق	
معرفةهم بعلم الملاحة	
كتابة العرب في الجاهلية	
فوائد لغوية بالكتابة وآلاتها	
مكتابات العرب ومراسلاتهم	
صحيفة المتلوس	
تغير أسلوبهم	
ما كان يكتب فيه العرب	
حساب العرب أيام جاهليتهم	
معايش العرب وأسبابها	
التجارة	
الصنائع	
صناعة البناء	
بيوت أهل البادية	
صناعة التجارة	
أوصال الباب وأسماء أجزائها	

صفحة		صفحة	
٤١٧	الفلاحة	٣٩٨	أدوات النجارين وآلاتهم
٤١٨	ما أوجب تقدم العرب	٤٠٠	الحدادة
٤٢٢	أسباب التقدم في اتفاق الكلمة	٤٠٣	أدوات الحدادين وآلاتهم
٤٢٣	العدل	٤٠٤	الحياكة والنسج
٤٢٥	سكنة البوادي وما امتازوا به	٤٠٤	أدوات الحياكة والنسج
	ما امتاز به عرب البوادي عن	٤٠٦	الخطاطة
٤٣٤	الحضر	٤٠٦	كسوة العرب
٤٣٦	خاتمة الكتاب	٤٠٨	العمائم وما ورد عنهم فيها من الشعر
		٤١٣	ما ورد عنهم من الشعر في النعال

## أنظر الفهرس الثاني



(1)

(١)

ابن الحجاب ٥٨ و١٥٧  
ابن السكيت ٦، ١٠٧ و ١١٠ و ١٣٦ و ٣٢٩ و ٣٣٨ و ٣٣٩  
ابن بزي ٦، ٦٤ و ٤٨ و ٢٧٨  
ابن السيد ٦٤ و ١١٣ و ١٢١ و ٢٤٤ و ٢٤١  
ابن القيم ٦٩ و ١٩٣ و ٢٦٦ و ٢٦٨ و ٣٠٨ و ٣١٢  
ابن اسحق ٧٢ و ٢٧٩  
ابن مردويه ٧٣  
ابن النحاس ٧٨  
ابن رشيقي ٨٢ و ٨٦  
ابن سلام الجمحي ٨٥ و ٨٨ و ٩٠  
ابن الاثير ٨٦ و ١١٩ و ٢٧٠ و ٢١٢ و ٣٢٨ و ٣٣٧  
ابن حزام ٨٦ و ٨٧  
ابن شميل ١٥٩  
ابن عساكر ١٥٠  
ابن الحنفية ١١٦  
ابن المعتز ١٨٦  
ابن حزم ١٨٦ و ١٩١  
ابن هرمة ٩٠  
ابن ولاد ١٠٣  
ابن سلام ١٠٧  
ابن الرومي ١١٣ و ٤٢٦  
ابن اذينة ١٢٦  
ابن عبد البر ١٣٣ و ١٨٧  
ابن الكلبي ١٣٦ و ١٦٥ و ١٧٤ و ١٧٧ و ١٨٠  
و ٢٥٥ و ٢٩١ و ٢٩٥ و ٢٩٩  
ابن الزبير ١٣٨  
ابن حبيب ١٩٤  
ابن احمر ٢١٨ و ٣٦٠ و ٣٦٣  
ابن النديم ٢٢٣  
ابن فطوفا ٢٢٣  
ابن صياد ٢٧٢ و ٢٧٤  
ابن هشام ٢٧٦  
ابن ذي يزن ٢٧٩  
ابن عيرون ٢٨٣  
ابراهيم ( عليه السلام ) ٣٦ و ٣٩ و ٤٧ و ٤٨ و ٥١ و ٥٢ و ٥٣ و ٥٤ و ٥٥ و ٥٦ و ٥٧ و ٥٨ و ٥٩ و ٦٠ و ٦١ و ٦٢ و ٦٣ و ٦٤ و ٦٥ و ٦٦ و ٦٧ و ٦٨ و ٦٩ و ٧٠ و ٧١ و ٧٢ و ٧٣ و ٧٤ و ٧٥ و ٧٦ و ٧٧ و ٧٨ و ٧٩ و ٨٠ و ٨١ و ٨٢ و ٨٣ و ٨٤ و ٨٥ و ٨٦ و ٨٧ و ٨٨ و ٨٩ و ٩٠ و ٩١ و ٩٢ و ٩٣ و ٩٤ و ٩٥ و ٩٦ و ٩٧ و ٩٨ و ٩٩ و ١٠٠ و ١٠١ و ١٠٢ و ١٠٣ و ١٠٤ و ١٠٥ و ١٠٦ و ١٠٧ و ١٠٨ و ١٠٩ و ١١٠ و ١١١ و ١١٢ و ١١٣ و ١١٤ و ١١٥ و ١١٦ و ١١٧ و ١١٨ و ١١٩ و ١٢٠ و ١٢١ و ١٢٢ و ١٢٣ و ١٢٤ و ١٢٥ و ١٢٦ و ١٢٧ و ١٢٨ و ١٢٩ و ١٣٠ و ١٣١ و ١٣٢ و ١٣٣ و ١٣٤ و ١٣٥ و ١٣٦ و ١٣٧ و ١٣٨ و ١٣٩ و ١٤٠ و ١٤١ و ١٤٢ و ١٤٣ و ١٤٤ و ١٤٥ و ١٤٦ و ١٤٧ و ١٤٨ و ١٤٩ و ١٥٠ و ١٥١ و ١٥٢ و ١٥٣ و ١٥٤ و ١٥٥ و ١٥٦ و ١٥٧ و ١٥٨ و ١٥٩ و ١٦٠ و ١٦١ و ١٦٢ و ١٦٣ و ١٦٤ و ١٦٥ و ١٦٦ و ١٦٧ و ١٦٨ و ١٦٩ و ١٧٠ و ١٧١ و ١٧٢ و ١٧٣ و ١٧٤ و ١٧٥ و ١٧٦ و ١٧٧ و ١٧٨ و ١٧٩ و ١٨٠ و ١٨١ و ١٨٢ و ١٨٣ و ١٨٤ و ١٨٥ و ١٨٦ و ١٨٧ و ١٨٨ و ١٨٩ و ١٩٠ و ١٩١ و ١٩٢ و ١٩٣ و ١٩٤ و ١٩٥ و ١٩٦ و ١٩٧ و ١٩٨ و ١٩٩ و ٢٠٠ و ٢٠١ و ٢٠٢ و ٢٠٣ و ٢٠٤ و ٢٠٥ و ٢٠٦ و ٢٠٧ و ٢٠٨ و ٢٠٩ و ٢١٠ و ٢١١ و ٢١٢ و ٢١٣ و ٢١٤ و ٢١٥ و ٢١٦ و ٢١٧ و ٢١٨ و ٢١٩ و ٢٢٠ و ٢٢١ و ٢٢٢ و ٢٢٣ و ٢٢٤ و ٢٢٥ و ٢٢٦ و ٢٢٧ و ٢٢٨ و ٢٢٩ و ٢٣٠ و ٢٣١ و ٢٣٢ و ٢٣٣ و ٢٣٤ و ٢٣٥ و ٢٣٦ و ٢٣٧ و ٢٣٨ و ٢٣٩ و ٢٤٠ و ٢٤١ و ٢٤٢ و ٢٤٣ و ٢٤٤ و ٢٤٥ و ٢٤٦ و ٢٤٧ و ٢٤٨ و ٢٤٩ و ٢٥٠ و ٢٥١ و ٢٥٢ و ٢٥٣ و ٢٥٤ و ٢٥٥ و ٢٥٦ و ٢٥٧ و ٢٥٨ و ٢٥٩ و ٢٦٠ و ٢٦١ و ٢٦٢ و ٢٦٣ و ٢٦٤ و ٢٦٥ و ٢٦٦ و ٢٦٧ و ٢٦٨ و ٢٦٩ و ٢٧٠ و ٢٧١ و ٢٧٢ و ٢٧٣ و ٢٧٤ و ٢٧٥ و ٢٧٦ و ٢٧٧ و ٢٧٨ و ٢٧٩ و ٢٨٠ و ٢٨١ و ٢٨٢ و ٢٨٣ و ٢٨٤ و ٢٨٥ و ٢٨٦ و ٢٨٧ و ٢٨٨ و ٢٨٩ و ٢٩٠ و ٢٩١ و ٢٩٢ و ٢٩٣ و ٢٩٤ و ٢٩٥ و ٢٩٦ و ٢٩٧ و ٢٩٨ و ٢٩٩ و ٣٠٠ و ٣٠١ و ٣٠٢ و ٣٠٣ و ٣٠٤ و ٣٠٥ و ٣٠٦ و ٣٠٧ و ٣٠٨ و ٣٠٩ و ٣١٠ و ٣١١ و ٣١٢ و ٣١٣ و ٣١٤ و ٣١٥ و ٣١٦ و ٣١٧ و ٣١٨ و ٣١٩ و ٣٢٠ و ٣٢١ و ٣٢٢ و ٣٢٣ و ٣٢٤ و ٣٢٥ و ٣٢٦ و ٣٢٧ و ٣٢٨ و ٣٢٩ و ٣٣٠ و ٣٣١ و ٣٣٢ و ٣٣٣ و ٣٣٤ و ٣٣٥ و ٣٣٦ و ٣٣٧ و ٣٣٨ و ٣٣٩ و ٣٤٠ و ٣٤١ و ٣٤٢ و ٣٤٣ و ٣٤٤ و ٣٤٥ و ٣٤٦ و ٣٤٧ و ٣٤٨ و ٣٤٩ و ٣٥٠ و ٣٥١ و ٣٥٢ و ٣٥٣ و ٣٥٤ و ٣٥٥ و ٣٥٦ و ٣٥٧ و ٣٥٨ و ٣٥٩ و ٣٦٠ و ٣٦١ و ٣٦٢ و ٣٦٣ و ٣٦٤ و ٣٦٥ و ٣٦٦ و ٣٦٧ و ٣٦٨ و ٣٦٩ و ٣٧٠ و ٣٧١ و ٣٧٢ و ٣٧٣ و ٣٧٤ و ٣٧٥ و ٣٧٦ و ٣٧٧ و ٣٧٨ و ٣٧٩ و ٣٨٠ و ٣٨١ و ٣٨٢ و ٣٨٣ و ٣٨٤ و ٣٨٥ و ٣٨٦ و ٣٨٧ و ٣٨٨ و ٣٨٩ و ٣٩٠ و ٣٩١ و ٣٩٢ و ٣٩٣ و ٣٩٤ و ٣٩٥ و ٣٩٦ و ٣٩٧ و ٣٩٨ و ٣٩٩ و ٤٠٠ و ٤٠١ و ٤٠٢ و ٤٠٣ و ٤٠٤ و ٤٠٥ و ٤٠٦ و ٤٠٧ و ٤٠٨ و ٤٠٩ و ٤١٠ و ٤١١ و ٤١٢ و ٤١٣ و ٤١٤ و ٤١٥ و ٤١٦ و ٤١٧ و ٤١٨ و ٤١٩ و ٤٢٠ و ٤٢١ و ٤٢٢ و ٤٢٣ و ٤٢٤ و ٤٢٥ و ٤٢٦ و ٤٢٧ و ٤٢٨ و ٤٢٩ و ٤٣٠ و ٤٣١ و ٤٣٢ و ٤٣٣ و ٤٣٤ و ٤٣٥ و ٤٣٦ و ٤٣٧ و ٤٣٨ و ٤٣٩ و ٤٤٠ و ٤٤١ و ٤٤٢ و ٤٤٣ و ٤٤٤ و ٤٤٥ و ٤٤٦ و ٤٤٧ و ٤٤٨ و ٤٤٩ و ٤٥٠ و ٤٥١ و ٤٥٢ و ٤٥٣ و ٤٥٤ و ٤٥٥ و ٤٥٦ و ٤٥٧ و ٤٥٨ و ٤٥٩ و ٤٦٠ و ٤٦١ و ٤٦٢ و ٤٦٣ و ٤٦٤ و ٤٦٥ و ٤٦٦ و ٤٦٧ و ٤٦٨ و ٤٦٩

ابو شمر بن حجر ٦٠	ابن خلف ٣١٩
ابو عبيد بن سلام ٦٣	ابن اروي الكلاءى ( الصب ) ٣٢١ و ٣٢٢
ابو حمزة الضبي ٥١	ابن مكرم ٣٢٢
ابو بكر الخلال ٦٩	ابن اصيبعة ٣٢٨ و ٣٢٩
ابو عبد الله ٧٠	ابن حديم ٨٦ و ٣٣٧ و ٣٣٨
ابو منصور ٧٠	ابن حريم ٣٣٧
ابو ثمامة بن حديفة ٧٣	ابن يامن ٣٦٥
ابو حاتم ١٦٨ و ٢٥٣ و ٢٥٧ و ٢٥٨	ابن نبتل ٣٦٥
ابو محجن الثقفي ١٤٧	ابن السائب الكلبى ٣٧٥
ابن الاسود الدؤلى ١٤٩ و ١٥٠ و ١٩٨ و ٤١٠	ابن ابي حاتم ٣٧٧
ابن المخش ١٥٣	ابن المقفع ٣٧٧
ابو الطمحن القيني ١٢٨ و ١٦٨	ابن بزرج ٣٨٦
ابو بكر الانبارى ١٧٥	ابن التوام ٤١٦
ابو سياره العدوانى ١٧٦ و ١٧٧	انسة الخس ٢٥٦
ابو عثمان ١٨١	ابو لغدة الاصفهاني ٤٣٤
ابو زيد ٨٨ و ٣٢٢ و ٤٢٧	ابو النجم العجلي ٤ و ٦
ابو نواس ٨٩ و ١٠٨ و ٣٧٨	ابو على القالى ٥ و ١٥ و ١٨ و ١٩ و ٢٨ و ٢٩
ابو الشيص ٨٩	٣١ و ٤٠ و ٦٠ و ١٧١ و ٢٠٩ و ٢٨٨ و ٢٩١
ابو تمام ٨٩ و ١٠٤ و ١٤٢ و ١٨٥ و ١٩٥ و ٢١٠	و ٢٩٥
و ٣٧٣ و ٤٢٨	ابو داود ٩ و ٣٠ و ٣٢ و ٥٣ و ٧٠ و ٣٠٧ و ٣٢٣
ابو فراس الحمداني ٨٩	ابو ذؤيب ٩ و ٨٨ و ١٠٥ و ٣٠٧
ابو فديك الحرورى ٨٩	ابو موسى الاشعري ١٢ و ١٠٠
ابو بكر ١٠١ و ١٠٢ و ١٠٣ و ١٦١ و ١٨٠ و ١٨١	ابو عبيدة ١٢ و ٢٠ و ٢٢ و ٢٣ و ٢٤ و ٣٧ و ٣٨
و ٢٨٨ و ٢٩١ و ٢٩٢ و ٢٩٥	و ٤٥ و ٨٦ و ٩٠ و ١٢٠ و ١٢١ و ١٢٥ و ١٣٦
ابو جعفر ١٠٢	و ١٥٤ و ١٨١ و ٢١١ و ٢١٦ و ٢٢٠ و ٢٣١
ابو قابوس ( النعمان ) ١٠٢	و ٢٥٧ و ٢٥٨ و ٣٦٥ و ٣٨٣
ابو الحسن ١٠٣	ابو على ١٢
ابو العلاء المعرى ١٠٧	ابو هريرة ١٢ و ٣٩
ابو دؤاد الايادى ١١٠ و ١١٤	ابو عبيد البكرى ١٩ و ٢٨ و ٢٩
ابو جعفر ١٣٣	ابو عمرو ٢٢ و ٤٠ و ٦٢ و ٨٨ و ١٠٧ و ١١٠
ابو حاتم السجستاني ١٢٣ و ١٣٤ و ١٥٨	و ٢٤٧
١٦٤ و ١٦٨ و ٢١١ و ٣٧٦	ابو زكريا الخطيب ٢٤ و ٣٢
ابو سفيان بن الحرث ١٢٥	ابو محمد الاعرابى ٢٤ و ٥٤
ابو شمر بن المنذر ١٣٦	ابو الندى ٢٤ و ٣٢٧
ابو الحسن الحسنى ١٣٧	ابو عبيد ٣٤ و ٤١ و ٦٢ و ٢٧٧ و ٣٣٨
ابو ذؤيب الهذلى ١٤٠ و ٣١٤ و ٣١٥ و ٣١٦	ابو بكر ( رضى الله عنه ) ٣٤ و ٧٤ و ١١٧
ابو خراش الهذلى ١٤٠ و ١٤١	و ١٩٩ و ٢٠٠ و ٣١٥ و ٣١٦ و ٣٢٨
ابو صخر الهذلى ١٤٢	ابو سلامة مولى ابو بكر ٣٤
ابو عمرو بن العلاء ٨٣ و ٨٨ و ٨٩ و ٩١ و ١٠٤	ابو حيان ٤٢
ابو الويثيق ٨٦	ابو المشمرج البسكرى ٤٢
ابو موسى ٢١٥	ابو بكر النقاش ٤٤
ابو جهل ٢١٥	ابو الحسن الهمداني ٥٨

- أبو ذكوان ٢١٦  
 أبو الحسن بن عبد العزيز ٢٢٠  
 أبو الهيثم ٢٢١ و ٢٢٧  
 أبو كبشة ٢٢٢  
 أبو فيد النخوى ٢٢٣  
 أبو الحسن بن شميل ٢٢٣  
 أبو محمد ٢٢٧  
 أبو اسحق ٢٣٣  
 أبو المكنون النخوى ٢٥١  
 أبو معشر ٢٧٥  
 أبو صالح ٢٧٥ و ٢٨٧  
 أبو سفیان ٢٧٦ و ٢٣٥ و ٣٦٨  
 أبو مخنف ٢٨٨  
 أبو خالد التيمي ٣١٠  
 أبو عبيدة بن الجراح ٣١٥  
 أبو عؤنة ٣٣٣  
 أبو دؤاد ٣٤٩  
 أبو اسحق الطرابلسي ٣٦١  
 أبو الحسن بن المغربي ٣٧٩  
 أبو عبد الله الاسكافي ٤٠٠ و ٤٠٣  
 أبو سعيد ٤٠٤  
 أبو أحيدة سعيد بن العاصي ٤٠٨ و ٤٠٩  
 أبو قيس بن الاسات ٤٠٩  
 أبو حنيفة الدينوري ٤١٧  
 أبو سعيد السكري ٢٥  
 أبو موسى ٢٧  
 الأثرم ٧٠  
 أئيلة ابن المتنخل ١٣  
 الأجلح ٣١٣  
 أحمد تيمور باشا ١٠٧  
 أحمد بن عبيد ١٢٤  
 الأحنف ٤١٥  
 الأحنف بن قيس ٤١٢  
 أحيدة بن الجلاح ١٢٧  
 الأخصري ٧  
 الأخطل ١٥٠ و ٢٩٠  
 آدم ( عليه السلام ) ١٥٨ و ٤٠٠  
 آدم ذي وزن ٢٧٩  
 الأزدي ١٨٦  
 الأزهرى ٢٢ و ٨٥ و ٢٥٨ و ٢٨٠ و ٣٢٧  
 أسامة بن زيد ٢٦٢  
 اسحق بن راهويه ٧٠  
 أسد بن خزيمة ١٦٤  
 أسد بن هاشم ٢٨٦  
 أسد بن وبرة ١٩٤ و ١٩٥  
 اسماعيل ( عليه السلام ) ٣٦ و ٤٦ و ٤٨ و ٤٩  
 و ٧١ و ٧٥ و ٨١ و ١١٥ و ٤٢٠  
 اسماعيل بن هبة الله ٢٦  
 الأسود بن يعفر ١٠٩  
 الأسود بن المنذر ٢٣  
 أسماء بنت دريم ١٩٤  
 أسماء بنت أبي بكر ١٩٦  
 أسلم بن سبرة ٣٦٨ و ٣٦٩  
 أسيد بن ذى الاصبع ١٧٠  
 الأشعر الجعفي ١٩  
 الأشموني ٢١  
 الأشهب بن زميلة ٣٠  
 الأصغر بن روم ١١٩  
 الأصفهاني ١٧ و ٢٤ و ٦٧ و ١٠٨ و ١٧٠ و ٢١٠  
 و ٢١١ و ٢٦٠ و ٢٦٢ و ٢٦٧ و ٢٦٩ و ٢٧٤ و ٣٠٦  
 و ٣٣٦ و ٣٥٩  
 الأصمعي ٩ و ١٢ و ٣١ و ٤٠ و ٥١ و ٨٨ و ٩٧  
 و ١٢١ و ١٤٠ و ١٥٦ و ١٥٧ و ٢١٥ و ٢٤٧ و ٢٤٨  
 و ٢٤٩ و ٢٥٠ و ٢٥١ و ٢٥٢ و ٢٥٣ و ٢٥٨ و ٢٥٩  
 و ٢٦٠ و ٢٧٧ و ٢٩٢ و ٣٠٠ و ٣٠٢ و ٤٠٤  
 الأصبط بن قريح ١١٨  
 الأعشى ٥٧ و ٨٨ و ٩١ و ٩٧ و ٩٨ و ١٢٠ و ١٢٩  
 و ١٣٠ و ١٤٦ و ١٤٧ و ٢٧٨ و ٢٨٢ و ٣٩٩ و ٤٠٣  
 الأعشى بن ثعلبة ٢١١  
 الأعلم ١٤ و ٩٤ و ٢٣٤  
 الأعور العجلي ٢٦  
 أغسطس ( الملك ) أغيطش أغشطش ٧١  
 الأغلب العجاني ٨٣ و ٩٠  
 الأفعى الجرهمي ٢٦٤ و ٢٦٥ و ٢٦٦  
 أفنون التقلبي ١٢٦  
 الإفوه الأودي ١٠٥  
 الأقرع بن حابس ٤٥  
 أكرم بن الجون ٢٩  
 أكرم بن صيفي ١٧٢  
 أكيد بن عبد الملك ٣٦٨  
 الإمام أحمد ٥٣  
 الأمدي ٨٦ و ١٢٤

امرو القيس ٢٥ و ٢٦ و ٢٧ و ٤٤ و ٥٥ و ٨٢  
 و ٨٥ و ٨٦ و ٨٧ و ٨٨ و ٨٩ و ٩٠ و ٩٣ و ٩٤ و ٩٧  
 و ٩٨ و ١٠ و ١٣ و ١٤ و ١٦ و ١٧ و ٢١ و ٢٢ و ٢٦ و ٢٨  
 و ٢٩ و ٣٦

( ت )

تابط شرا ٢٤ و ٢٦  
 التبريزي ٢٢ و ٢٦  
 تبع الحميري ٢٢  
 تستشف ( ملك الفرس ) ٢٦  
 تميم بن مقليل ١٤٣  
 تميم بن مر ١٦٤  
 التنويزي ١٨١  
 تميم اللات ٣.٨ و ٣.٩

( ث )

ثابت بن جابر ٢٤  
 الثعالبي ٥٦ و ١٣٨ و ١٩٨ و ٢٢٠ و ٢٢١ و ٢٢٢  
 و ٣٦١  
 ثعلب ١٨ و ٩٩  
 ثعلب بن وبرة ١٩٤

( ج )

جابر بن عبد الله ٩  
 جابر بن سحيم ٥٤  
 جابر بن عمرو ٣١٦  
 الجاحظ ١٧ و ١٥ و ٨٦ و ١.٧ و ١١٨ و ١٤٨  
 و ١٥٣ و ٢١١ و ٢١٢ و ٤.٩  
 جبلة بن المنذر ١٣٦  
 جبلة بن الايهم ١٣٦  
 جرجي زيدان ٢٣٧  
 الجرمي ٢٢٠  
 جرويل بن مالك ١٢٨  
 جريز ٩ و ٢.٠ و ٢.٠ و ٣٩٢ و ٣٩٨  
 جريز بن عبد المسيح ( التلمس ) ٣٧٤ و ٨٨  
 جريز بن عبد الله ١٨٥  
 جزء بن ضرار ٨٨  
 جزء بن غالب ٢٢٢  
 جساس بن مرة ٢٣  
 جساس بن قطيب ٤١٤  
 جسيم بن الخزرج ١٧١  
 جعفر بن كلاب ١١

امرو القيس بن عمرو ١.٩  
 امرو القيس بن حمام ٨٦ و ٨٧  
 أم عطية ١٢  
 أم الحويرث صاحبة كثر ٣١١  
 أمية بنت وهب ٢.٥ و ٤٤  
 أمية بنت سعيد ٤١  
 أمية بن حذيفة ٧٢  
 أمية بن أبي الصامت ١٢١ و ٢٢٧ و ٢٧٤ و ٢٦٩  
 و ٢٧٦

انمار بن نزار ٢٦٤ و ٢٦٥ و ٢٦٦  
 انيف بن حارثة ٢٩٩ و ٣.٠  
 الازهم بن سنان ٢٤  
 أوس بن حجر ٤.٠ و ٦.٠ و ٨٨ و ١.٤ و ١٦٢  
 و ١٦٩ و ٢١٨ و ٢٣٧ و ٣٣٨  
 أوس بن حارثة ١٥٨ و ١٧.٠ و ١٧١  
 اياد بن نزار ١.٩ و ٢٦٤ و ٢٦٥ و ٢٦٦ و ٢٧٢  
 و ٢٧٣  
 اياد بن سود ١.٩

( ب )

بجير بن زهير ٩٩  
 البهنزي ٨٩ و ٤٢٤  
 البخاري ٣٤ و ٥٥ و ٦٩ و ٢١٨  
 بختنصر ( الملك ) ٢٦٤  
 بدر بن هنان ١٤  
 برج بن مسهر ٢٩٩ و ٣.٠  
 بسطام بن قيس ١٩٩  
 بشار بن برد ١٣١ و ٤١٦  
 بشر بن أبي خازم ١٥ و ١٦ و ١.٤  
 بشر بن عمرو ٥٤  
 بشر ٣٥٧ و ٣٦٦  
 بشر بن عبد الملك ٣٦٨  
 البطلوسي ؟  
 البغدادي ٢٣ و ٥٦ و ٨٦ و ٨٩ و ١٢٢ و ١٥٧  
 و ٢٧٧ و ٢٣٧  
 البقاعي ٦٤  
 البكري ١٩  
 بكير بن محمد ٧٠

الحريث بن كلفة ٢٢٨ و ٢٢٩ و ٢٢٢ و ٢٢٣  
 و ٢٢٤ و ٢٢٧  
 الحريث بن الاغر ٢٧٢  
 الحريث بن سدوس ٤١٤  
 حرملة ٢٦٧  
 حسان بن ثابت ٢٢ و ٨٨ و ٨٩ و ٩٣ و ١٢٥  
 و ٣١٥  
 حسل بن عامر ٣١٣ و ٣١٤  
 الحسن ( عليه السلام ) ١١٦  
 الحسين ( عليه السلام ) ١١٠ و ١١٦ و ١٩٦  
 الحسن بن الحسين ٢٣٣  
 الحطيئة ٩١ و ١١٤ و ١٣٨ و ١٤٠ و ١٦٠  
 الحفص ٤٢٨  
 الحكم بن المنذر ٣٩٣  
 حلمة بن اسد ٢٥  
 حمزة بن عبد المطلب ٨٤  
 حمزة الاصماني ١٥٦  
 حمزة ٤١٠  
 الحموي ١١٠  
 الحميدى ٤١  
 حميد بن ثور ١٤٣  
 حنظلة بن مالك ١٢٥  
 حنظلة بن الشرقي ١٢٨ و ١٦٨  
 حيان بن الحكم ١٥

### ( خ )

خالد بن صفوان ١٧٧  
 خالد بن معدان ١٨٤  
 خالد بن عبد الله ٢٧٨  
 خالد بن يزيد ٤١٠  
 خالد بن معمر ٤١٤  
 خدأش بن زهير ٨٨  
 خثعم بن وبرة ١٩٤  
 الخرائطي ٣٠٦  
 الخرنق بنت بدر ١٤  
 الخزيمى ١٦٩  
 الخزرج ١٧٠ و ١٧١  
 الخطابي ٩ و ٣٠ و ٣٣ و ٢٦٩ و ٣٠٧  
 الخطيب الاسكافي ٢٤٦ و ٢٥٢ و ٣٦٠ و ٣٦١  
 الخفاجى ٧٥  
 خلف الاحمر ٢٤ و ٤١٥  
 الخليل ٢١٩

( ٢٩ — ثالث )

جعفر بن سليمان ١٨١  
 جعفر بن حمدان ٣٧٩  
 الجعدى ٣٥٧  
 جفنة بن عمرو ١٣٦  
 جميل بشينة ٢٠٩  
 جميل الزهاوى ٤٢٥  
 جنادة بن عوف ٧٣  
 جنب بن عمرو ١٠٨  
 جندب بن العنبر ٢١٦ و ٢١٧  
 جهم الهذلي ٣٢٠  
 جهينة بن زيد ٢١٥  
 جودان بن يحيى ٢٩١  
 الجوهري ٦٠ و ٦٤ و ٧٣ و ٨٦ و ١٢٤ و ١٩٠  
 و ١٩١ و ٣٢٢ و ٣٢٧ و ٣٢٨ و ٣٢٨ و ٣٢٨ و ٣٦٧  
 و ٣٩١ و ٣٩٣ و ٣٩٤ و ٣٩٧ و ٤٠٤  
 جويرة بن اسماء ٢١٠

### ( ح )

حاتم الطائي ١١٥  
 الحانمى ١٥٠  
 حارثة بن ثعلبة ٢٨٦  
 حاتم بن عميرة ٣١٣  
 حاجب بن زراراة ٢٣  
 الحاكم ٤١  
 الحاجاج بن يوسف ٥٦ و ٢٥٨ و ٢٥٩  
 حجر ابا امرا القيس ١٦٦  
 حذيفة بن فقيم ( القلمس ) ٧٢  
 الحر بن الكنانى ٢١٠  
 حرب بن محمد ٣٣٣  
 حرب بن امية ٣٦٨ و ٣٦٩  
 الحريث بن عمرو ملك كندة ٢٠  
 الحريث بن ظالم ٢٣  
 الحريث بن سفيان ٢٣  
 الحريث بن حنزة ٨٣ و ٨٧ و ١٢١  
 الحريث بن عباد ٨٧ و ١٠٩  
 الحريث الامرج ١٣٦  
 الحريث بن كمب ١٦٤  
 الحريث بن الخزرج ١٧١  
 الحريث بن ذبيان ١٧٧ و ١٧٨ و ١٧٩  
 الحريث بن شريك ١٩٩  
 الحريث بن امية ٢٧٥ و ٢٧٦

( ز )

الزيرفان بن بدر ١٣٩  
زبراء الكاهنة ٢٨٨ و ٢٨٩  
الزيرفان ٤٠٨  
الزبيدي ٥ و ٥٢ و ٦ و ٨٦ و ١٠٩ و ١١٤  
و ١٢٦ و ١٣٠ و ١٤٠ و ١٥٩ و ٢٧٤  
الزبير بن عبد الطيب ٨٤ و ٨٥  
الزبير بن بكار ١٨٩  
الزبير بن العوام ١٩٤  
الزبير ٤١٠  
الزجاج ٣ و ٣٦ و ٣٧ و ٣٨ و ١٨٩ و ٢٢٣ و ٢٣٠  
الزجاجي ٢٢٩ و ٢٣٠ و ٢٣٥  
الزرقاء ٣٨٣  
زفر بن الحرث ١٢٩  
الزيمشري ٣٣٧ و ٣٨٦ و ٤٢٤  
الزهرى ٤٧ و ٢١٥  
زهرة امرأة كلاب بن مرة ٣٠٦  
زهير بن ابي سلمى ١٤ و ١٦ و ٨٣ و ٨٨ و ٩١  
و ٩٧ و ٩٨ و ٩٩ و ١٠٠ و ١٠١ و ١٠٤ و ١٢٩  
و ١٣٨ و ٢١١  
زهير بن جناب ٨٦ و ٨٧ و ١٥٩ و ١٦٠ و ٢٦٠  
الزولنى ٢٧ و ٩٥ و ٩٦  
زيد الاصم ٨٤  
زيد بن معاوية ( النابغة ) ١٠١  
زيد بن زيد العلوى ١٤٩  
زيد بن عمرو ٢٥٩  
زيد بن سيار ٣٢١  
زيد بن حمل ٤٢٨  
زيد بن اسلم ٣٩  
زيد بن عمرو ٤٥  
زيد بن كثوة ٤١٢

( س )

سابق البربرى ١٥٠ و ٢٧٦  
سابور ١١٩  
سابور ذى الانتاف ٣٧٢ و ٣٧٣  
ساطرون بن اسطرون ١١٩  
سالم بن وابصة ١٥  
سبيع بن الحرث ١٦١ و ١٦٢  
سحبان وائل ١٥٢ و ١٥٦  
سحنون اليبودي ٧٠  
سحيم ٢٠ و ٣١

خنافس بن التوام ٢٩١  
الخنساء ٩٩ و ١٤٥  
الخوانزمرى ١٢ و ١٢٨  
خويلد بن خالد ٩  
خيشم بن عدى ٢٢٠

( د )

داود بن رشيد ٣٢٣  
درهم بن زيد ٤١٠  
دريد بن الصمة ١٤٤ و ١٥٥ و ١٠٩  
دمبل ٨٩  
دمبل بن حنظلة ١٩٨ و ١٩٩ و ٢٠٠  
الدمامينى ١٢٣  
الدمهوى ٩٤  
دودان بن اسد ٢٥ و ٢٦  
دويد بن زيد ١٥٧ و ١٥٨  
الدينورى ٢١١ و ٢٢٠ و ٢٢٣

( ذ )

ذو الرمة ٦٠ و ٨٩ و ٢٢٢ و ٢٢٥ و ٢٢٧ و ٢٦٣  
و ٤٠٥  
ذو الاصبع المدوانى ١٤٢ و ١٦٣ و ١٦٩ و ١٧٠  
ذو القرنين ٢١١ و ٢١٢  
ذئب بن وبرة ١٩٤ و ١٩٥  
الذيال بن نقر ٢٩٩

( ر )

الراجز ٥ و ١٥٩ و ٣٦٢  
الراغب ٤٤ و ٢٧٧  
الراعى ٢١٧ و ٢٩٩  
رياح بن عجلة ٦ و ٢٠٧  
ربيعة بن سفيان ٨٧ و ١٠٧  
الربيع بن صبيح ١٦٦ و ١٦٧ و ٢١١  
ربيعة بن نزال ٢٦٤ و ٢٦٥ و ٢٦٦  
رياح بن ربيعة ١٦٠  
الرسشمى ١١٢  
الرشيد ٣٠٢  
الرقى ٣٢٧  
الرقاص الكلبى ٢٢٠  
رهم بن عامر ١٠٥  
رؤبة بن المعجاج ٨٩ و ٢٢٠ و ٢٢٧ و ٢٩٥ و ٢١٢  
و ٢٩٢  
ردم بن يعصو ١٢٠  
الريان اخو التعمان ٤٢

الشافعي ٣٣ و ٣٨ و ٦٩ و ٨٨ و ٢٦٦ و ٢٦٧  
 شاكِر بن عامر ٢١٤  
 شبيب ١٥٤  
 شرف الدين اليزدي ٣٧٩  
 شعبة بن قمبر ٦٣  
 الشعبي ٢١٤  
 شعيب ( عليه السلام ) ١٦٤  
 شق بن امار ٢٧٨ و ٢٩٧ و ٢٨٠ و ٢٨١  
 و ٢٨٣ و ٢٠٢  
 الشماخ بن ضار ٢٨ و ١٤٦ و ٢٩٨  
 شهر ٢٨٦  
 الشمردل ٦  
 شمس الدين الموصلي ٣٨٠  
 شمعة بن اخضر ٤١١  
 الشنفرى ٢٤ و ١٢٦ و ٤٠٢  
 ( ص )  
 الصابي ٧٥  
 الصاحب بن عباد ٨٩  
 صالح بن كيسان ٤٧  
 الصبان ٢١  
 صدقة بن نافع ٤٣٠  
 صعب بن جثامة ٣٤  
 صفصعة بن ناجية ٤٥ و ٤٦  
 صفصعة بن صوحان ٤١٦  
 صفية بنت عبد المطلب ٣٢  
 سلامة بن عمرو ١٠٥  
 صمراخت لقيم بن لقمان ٢١٢ و ٢١٣  
 الصهباء بنت حرب ٣٦٨  
 الصولى ١٢١ و ٢١٤ و ٢١٦ و ٢١٨ و ٢١٩ و ٣٦٨  
 و ٢٧٢ و ٢٧٥ و ٢٧٦ و ٢٧٧ و ٣٨٢  
 ( ض )  
 ضابىء بن الحرث ٢١٩  
 ضابىء بن حارث البرجمي ٣٢٠  
 ضبة بن اود ١٠٥  
 الضبي ١١٣  
 الضحالك ٧٣  
 ( ط )  
 الطبراني ٤٦  
 طرفة بن العبد ١١ و ١٤ و ٦٠ و ٨٧ و ٨٨ و ١٠٧  
 و ١١٠ و ١١١ و ١٢١ و ١٣١ و ٢١٢ و ٣٦٥ و ٣٧٤  
 و ٣٧٥

سحيم بن وليل ٥٤  
 سحيم عبد بنى الحساس ١٤٧  
 السخاوى ٦٠  
 سرحان بن وبرة ١٩٤ و ١٩٥  
 سطيج بن مازن ٢٧٩ و ٢٨٠ و ٢٨١ و ٢٨٢ و ٢٨٣  
 و ٢٠٢ و ٣٠٦  
 السعد التفتازانى ١٠  
 سعد بن مالك ٨٧  
 سعد بن الصباب ٩٠  
 سعد بن زيد ٢١٥  
 سعد بن عبادة ٣١٥  
 سعد بن زيدمئة ٣١٦ و ٣١٧ و ٣١٨  
 سعد بن ابي وقاص ٣٢٨  
 سعد بن الافوى ٣٣٣  
 سعد بن المسيب ٧٠  
 سعد بن جبير ٧٠  
 سعيد بن عبد الرحمن ١٣٧  
 سعيد بن عثمان ١٥٦  
 سعيد بن العاصي ٤١٠  
 سفيان بن امية ٣٦٩  
 السكرى ٥٢ و ٨٦ و ١٤٢  
 السكين بن سعيد ٢٨٨ و ٢٩٣ و ٢٩٥  
 سلكن ١١٠  
 سلمى الهمدانية ٢٩٥  
 سليمان ( عليه السلام ) ٢٢٠ و ٣٧٧  
 سليمان بن عبد الملك ٢٤  
 سليمان بن جلجل ٣٣٣  
 سليمة بن مالك ١٤٨  
 سنان بن خالد ٢٤  
 السهيلي ٧٤ و ٢١١ و ٢١٨  
 سواد بن قارب ٢٧٤ و ٢٩٩ و ٣٠٠ و ٣٠٢  
 و ٣٠٣ و ٣٠٤ و ٣٠٦  
 سمودة بنت زهرة ٤٣ و ٤٤  
 سويد بن ابي كاهل ١٤٥  
 سياب بن عمرو ٢٣  
 سيبويه ١٤ و ٢٦ و ٩٤ و ٢١٨ و ٢٣٠  
 لسبد المرتضى ١١ و ٢٦ و ١٣٦ و ١٤٢ و ١٥٩  
 و ١٦٧  
 سيف الدولة صدقة بن منصور ٢٦٢  
 السيوطى ٢٦ و ١٥٠ و ٢٢٣ و ٢٦٨  
 ( ش )  
 شاس بن نهار ١٢٤

١٨٠ و ٢٠٩  
عبد الله بن الزبيرى ٨٤  
عبد الله بن قيس الرقيات ١٥٠  
عبد الرحمن بن ابي عيسى ١٧٠  
عبد المسيح بن بقليلة ٢٨٢ و ٢٨٣  
عبد الله بن ايوب ٣٨٤  
عبد الرحيم العباسى ١٠٢ و ٤٢٥  
عبد القاهر الجرجاني ٩٧  
عبد الله بن الزبير ١٦٧ و ١٩٦  
عبد الله بن جدمان ١٢١  
عبد قيس بن خفاف ١٢٥  
عبد الرحمن بن حسان ١٣٧  
عبد الله بن عباس ١٦٧  
عبد الله بن جعفر ١٦٧  
عبد القادر العوفي ٢٨٠  
عبد الرحمن بن عوف ١٨٦  
عبد الرحمن الصوفي ٢٢٢  
عبد الله بن سعد ٢٩٩ و ٢٠١  
عبد الملك بن ابيجر ٣٢٣  
عبد بن الطبيب ١١٣ و ١٤٣  
عبد شمس ٢٨٥  
عيسى بن مطلق ٤١٢  
عبيد الله بن زياد ١٤٩  
عبيد بن الابصر ١٠٧  
عبيدة بن ربيعة ٨٤  
العنبي ٢٠٩ و ٢٥٨  
عثمان ( رضى الله عنه ) ٩٨ و ١٨٧ و ٣٢٨  
المعاج ٨٣ و ٨٩ و ٢٥٨  
العجير السلولى ١٥٤  
عدى بن زيد ١٠٧  
عدى بن ربيعة ١٠٨  
عدى بن زيد الايادى ١١٩  
عرابة بن اوس ٢٨ و ١٤٦  
عراف اليمامة ٣٠٧ و ٣١٢  
عروة بن حزام ٥  
عروة بن الورد ١٢٦  
عروة الهذلى ١٤٠ و ١٤١  
عروة بن يزيد ٣١٣  
عزة صاحبة كثر ٢٠٩  
عزى سلمة الكاهن ٢٧٥ و ٢٧٦  
العسقلاني ٥٦ و ٧٤ و ٨٨ و ٢٦٢  
المسكرى ٨٧ و ٢٤١

طريف بن الماصى ١٧٧ و ١٧٨ و ١٧٩  
طريفة الكاهنة ( طريفة النخير ) ٢٨٣ و ٢٨٤  
٢٨٥ و ٢٨٧ و ٢٨٨  
الطرماع الاجيى ٦٠ و ١٥٠  
الطرماع بن حكيم ٢٩٩  
الطرماع ٣٩٤  
طفيل الغنوى ١١٧ و ٢٢٢  
طفيل ذى النورين ١٧٧  
طلحة الطلحات ١٥٧  
طلحة بن عبد الله ١٥٧  
طلحة النخير ١٥٧  
طلحة الفياض ١٥٧  
طلحة الجود ١٥٧  
طلحة الدراهم ١٥٧  
طلحة اللدى ١٥٧  
طليحة بن خويلد ٢٧٤

( ظ )

ظبية بنت الكيس النمري ١٦٥

( ع )

عاجنة بن عامر ٣١٢  
عارق الشاعر ٢٩٩ و ٣٠٠ و ٣٠٢  
عاصم بن ثابت ٣٣٥  
عامر بن جذرة ٣٦٨  
عامر بن رهم ١٠٥  
عامر بن الطفيل ١٢٨ و ١٩٨ و ٣٨٢  
عائشة ( رضى الله عنها ) ١٩٦  
عائشة بنت طلحة ٢٠٩  
عائذ بن محسن ١٢٣  
العباس بن مرداس ٣٢  
عباد بن حذيفة ٧٢  
العباس بن هشام ٢٩٢  
عبد الله بن عمر ٩ و ١٦٧  
عبد يثوث القحطاني ١٧  
عبد نفوث بن وقاص ١٧  
عبد الرزاق ٣٩  
عبد المطلب بن هاشم ٤٤ و ٤٦ و ٤٧ و ٤٨ و ٤٩  
٢٠٠ و ٢٧٥ و ٢٧٦ و ٣٠٥  
عبد الله بن حكيم ٤٥  
عبد الله بن عبد المطلب ٤٧ و ٤٩ و ٣٠٥  
عبد الملك بن مروان ٥٦ و ٨٩ و ١٦٦ و ١٦٧



عمرو بن شيبان ٤١٤	عصام الكندي ٢٠
عمر بن عبد العزيز ٣٧٦	عصام بن شهر ٢٠ و ٢١ و ٢٢
عمرو بن امرئ القيس ٤١٠	عطارد بن حاجب ٤٥
عمرو بن عبيد الله ٨٩	عطاء ٣٨٦
عمرو بن حرملة ١٠٧	عطاء بن يسار ٣٢٣
عمرو بن عدى ١١٦	عفر بن بنت عقال ٥
عمرو بن شيبه ١٣٧	عفر بن الكاهنة ٢٩٦ و ٢٩٧ و ٢٩٨
عمرو بن معد يكرب ١٤٦	العفيفي ٧
عمرو بن الاعم ١٤٦	عقال بن معاصر ٥
عمرو بن الخزرج ١٧٠	عقبة بن ابي معيط ٣٣٥
عمرو بن احمر ١٨٩	عقيل بن علقمة ١٤٨
عمرو بن ابي ربيعة ١٩٩	عقيل بن ابي طالب ٢٧٥
عمرو بن عامر مزنياء ٢٨٣ و ٢٨٤ و ٢٨٥ و ٢٨٦ و ٢٨٧	عقيل بن فالج ١٤٤
عمرو بن براءة ٢٩٥ و ٢٩٦	عكرمة مولى ابن عباس ٢١٠
عمرة بنت سبيع ٣٢٢	العكلى ٣١٠
عمر بن قيس ٧٢	العلاء بن الحضرمي ١٢٣
عمر بن شبيب ٤٢٥	علس ( لو جدن ) ١٦١
عمرو بن جميل ١٤٨	علقمة الفحل ٩٧
عمرو بن عقيل ١٤٨	علقمة بن عبيد ١٠٧
عملية بن خالد ١٧٦	علقمة بن عبدة ١١٣
عنبرة ٢٨٤	علقمة بن علانة ١٢٩ و ٢٨٢
عنبرة العيسى ٩٦ و ١١٦ و ١١٧	علقمة بن صفوان ٢٧٩
عنبرة بن وبرة ١٩٤	على ( رضى الله عنه ) ٣٠ و ٣١ و ١١٦ و ١٤٦
عوص بن ارم ٤١٩	و ١٨٠ و ١٨٧ و ١٩٧ و ١٩٩ و ٢٠٠ و ٢٠٤ و ٣٠٢ و ٣٠٤
عوف بن محلم ٢٠	و ٣٢٨ و ٣٢٣ و ٣٣٦ و ٤١٤ و ٤١٦
عوف بن عمرو ٥٤	على بن جبلة ١٠٢
عوف بن حذيفة ٧٣	علياء بن الحرث ٢٦
عوف بن سعد ٨٧	عمر بن الخطاب ( رضى الله عنه ) ٣١ و ٣٤
عوف بن الخزرج ١٧٠	و ٥٦ و ٨٢ و ٨٤ و ٩١ و ١٠٠ و ١٠٢ و ١١٥
عويمر الهذلي ١٤١	١٣٤ و ١٣٧ و ١٤٣ و ١٨٥ و ١٨٧ و ١٨٩ و ٢١٥
عيسى ( عليه السلام ) ١٦٧ و ١٨٤	و ٢٦٣ و ٢١٥ و ٢١٦ و ٢٢٨
العينى ٢٣ و ١١٨	عمرو بن اسد ٢٥
( غ )	عمرو بن لحي ٣٦ و ٣٩ و ٧١ و ٨١
غالب أبو الفرزدق ٣٠ و ٣١	عمرو بن سعيد الاشقي ١٥٣
غالب بن شهر ٢٨٠	عمرو بن كلثوم ٤٥ و ٨٧ و ١١٥ و ١١٦ و ١٢١
الغنوي ٥٩	و ١٧٤ و ٣٦٥
غيلان بن خرشة ٤٠٩	عمرو بن قميئة ٥٥ و ٨٧
( ف )	عمرو بن عداء ٦٣ و ٦٤
فاطمة بنت قيس ٤٤	عمرو بن عتبة ٦٤
فاطمة بنت المنذر ١٠٨	عمرو بن العاص ٨٤ و ٨٨
	عمرو بن المنذر ٣٣٧
	عمرو بن هند ١١٠ و ١١١ و ١١٦ و ٣٧٤ و ٣٧٥

فاطمة بنت مر النخعيه ٢٠٥

فاهره امراه مرة الاسدي ٢١٨ و ٢١٩

المرء ٢ و ٢٨ و ٩٤

الفرار السلمى ١٥

المرزوق ٢٢ و ٢٤ و ٢٠ و ٤٥ و ٤٦ و ٨٤ و ٨٧

و ١٢١ و ٢٢٢ و ٤١١ و ٤١٢

فروه بن مسيك ٢٨٧

فزر بن وبرة ١٩٤

فضالة بن كعدة ٤٠

الفضل بن عبد الصمد ٦٩

الفضل بن عيسى ١٧٧

فقيم بن نعلبة ٧٣

فهد بن وبرة ١٩٤ و ١٩٥

الميموى ١٧ و ١٧٨

#### (ق)

قابوس بن هند ٣٧٤

القاضي عياض ٢٤

القاضي عبد الحسن ٢٢٠

قائد بن حكيم ٤٢٩

قادة ٢٦ و ٥٢ و ٦٩ و ٢٨٧

قتيبة بن مسلم ٥٦

قتيلة بنت الحرث ٣٣٦

قتيلة بن الحرث ٤١٥

قدامة بن جراد ١٩٩

فراد بن حنش ٢٢ و ٢٣

الفزوبنى ٢٧٩

قس بن ساعدة ١٢٢ و ١٥٥ و ٢١١ و ٢١٢ و ٣٧٦

قصي بن كلاب ٢٠٠

الخطامى ٤٢٥

القننبي ١٣٦

القلاخ بن حزن ١٩٨

قلع بن حذيفة ٧٢

القلقشندى ١٨٠ و ١٩٩ و ٢٠٠ و ٢٢٣

قمة بن الياس ٢٦٤

قيس بن عاصم ٤٣ و ١٤٣ و ١٧٣

قيس بن الخطيم ١٢٧ و ٣٩٢

قيس بن عبد الله ١٣٧ و ١٣٨

قيس بن زهير ١٣٩

قيس بن مضر ١٥٦

قيس بن خارجة ١٥٢

قيس بن زهير العبسى ١٦٥

قيس بن ربيعة ١٨٠

#### (ك)

كاهل بن اسد ٢٥

كثير غزة ٢٠٩ و ٢١٠ و ٢١١

كثير ٤١٥

كسرى ١١ و ١١٩ و ١٩٩ و ٢٨١ و ٢٨٢ و ٢٨٣

كسرى انو نروان ٢١٤ و ٢٢٨ و ٢٢٩ و ٢٣٢

و ٢٣٤ و ٢٣٤

كعب بن زهير ٨٨ و ٩٩ و ١٠١ و ١٢٣

كعب بن مامة ١١٠

كعب بن سعد ١٤٨

كعب بن جعيل ١٤٨

كعب بن الخزرج ١٧١

كعب بن لؤى ٢١٥ و ٢٧٦

كعب بن مالك ٢١٥

كلاب بن مرة ٧٨

كلب بن وبرة ١٩١ و ١٩٢

الكلبي ٢٥ و ٧٣ و ٢٨٧

كليبين وائل ٢١ و ٢٢ و ٢٣ و ١٠٩ و ١١١ و ١٥٩

الكميت ٧٣ و ٢١٣

#### (ل)

لبيد ١١ و ٥٤ و ٩١ و ٩٣ و ١٢٠ و ١٣١ و ١٣٢

و ١٥٢ و ٢٢٠ و ٣٦٢ و ٣٩١

لبيد بن ربيعة ٣٦٧

اللبخاني ٥ و ٦٠

اللبخى ١٥٠

لقمان بن عاد الاكبر ٢١٢ و ٢١٣

لقمان بن عاد الاصغر ٢١٢

لقمان الحكيم ٢١٢ و ٤٠٩

لقيط بن معبد ١١٤

لقيم بن لقمان ٢١٢ و ٢١٣

لوس نسيخو اليسوعى ١٠٧

لوط ( عليه السلام ) ١٨٣

الليث ١٧ و ١٥٩ و ٢٢٠

#### (م)

مارية بنت ظالم ١٣٦

مارية بنت ارقم ١٣٦

مالك بن اسد ٢٥ و ٢٦

مالك بن نويرة ٥٩ و ٦٥ و ١٤٤ و ٣٩٣

- مالك بن الربيع ٦٠  
مالك بن هالج ١٤٤  
مالك بن فهيم ١٤٨ و ٢٨٦  
مالك بن زهير ١٦٦  
مالك بن الاوس ١٧٠ و ١٧١  
مالك بن نصر ٢٧٩  
مامة ملك اباد ١١٠  
الماوردي ٣٤ و ٣٧ و ١٨٨ و ١٩٠ و ٢٦٤ و ٣٠٣ و ٣٠٦  
ماوية امرأة حاتم ١١٥  
المامون الحارثي ١٨١  
المبرد ٢٦ و ١٣٤ و ٣١٩ و ٤٠٩  
المنهبي ١٥ و ٨٩  
المنخل الهذلي ١٣ و ١٤١  
متمم بن نويرة ٥٩ و ٦٥ و ١٤٤ و ٣٩٣  
المنلمس ( جبر بن عبد المسيح ) ٨٧ و ١١١ و ١١٢ و ٣٧٣ و ٣٧٤ و ٣٧٥  
المتوكل الليثي ١٥٠  
المنقب ١٢٤  
مجاهد ٣٦  
الحجد ٨١ و ٨٦ و ١٦١ و ١٩٤ و ٢٣٨ و ٤٢٥  
مجزر الاسلامي ٢٦٢ و ٢٦٣  
معنب الدين الخطيب ٦٤  
محمد (عليه الصلاة والسلام) ٩ و ١٢ و ٣٠ و ٣١ و ٣٣ و ٣٤ و ٣٥ و ٣٩ و ٤١ و ٤٥ و ٤٦ و ٤٩ و ٥٢ و ٥٣ و ٦٨ و ٦٩ و ٧٢ و ٧٤ و ٨٢ و ٨٣ و ٨٨ و ٩٠ و ٩٣ و ٩٩ و ١٠١ و ١٠٥ و ١١٦ و ١١٧ و ١٢١ و ١٢٢ و ١٢٩ و ١٣٢ و ١٣٤ و ١٣٥ و ١٣٦ و ١٣٨ و ١٥٥ و ١٥٤ و ١٧٤ و ١٨٠ و ١٨٢ و ١٨٤ و ١٨٥ و ١٨٦ و ١٨٧ و ١٨٠ و ١٩٠ و ١٩١ و ١٩٦ و ١٩٩ و ٢٠٠ و ٢١٤ و ٢١٥ و ٢١٨ و ٢٤٧ و ٢٥١ و ٢٦٣ و ٢٦٧ و ٢٦٨ و ٢٧٠ و ٢٧٤ و ٢٨١ و ٢٨٢ و ٢٨٧ و ٢٩١ و ٢٩٢ و ٣٠٢ و ٣٠٣ و ٣٠٤ و ٣٠٥ و ٣٠٦ و ٣٠٧ و ٣١٤ و ٣١٥ و ٣١٦ و ٣٢١ و ٣٢٣ و ٣٢٨ و ٣٣٣ و ٣٣٤ و ٣٣٦ و ٣٣٧ و ٣٧٠ و ٣٧٥ و ٣٧٧ و ٣٨٥ و ٤٠٨ و ٤١٣ و ٤٣٧  
محمد بن اسحق ٣٦ و ٣٨  
محمد بن الحنفية ١١٦  
محمد عبده ٢٥١ و ٤١٩  
محمد بن سعد ٤١١  
محمد بن علي ١٨٤  
محمد بن اسعد الحراني ١٨٩  
محمد بن الحسن ٢٦٦  
محمد بن عباد ٢٨٨ و ٢٩٥  
محمد بن ظفر ٢٩٦ و ٢٩٨  
محمد بن سعيد ٣٣٣  
محمد بن انس ٢٨٦  
محمود شهاب الدين الالوسي (الجدة) ٥٠ و ٦٨  
محمود شكري الالوسي (المؤلف) ١١٨  
المخبل السعدي ٤٠٨  
المدائني ٣٠٩ و ٣١٠ و ٣١٢  
مرامر بن مرة ٣٦٨  
مرند بن كلال ٢٩٦  
مرند الخير الحميري ١٦١  
مرند بن ابي حمران ١٩  
المرزباني ٢٤٤  
المرفل ٣٠٢  
المرفس ٥٥ و ٧١ و ١٠٧ و ٢٢٠  
مرة بن عبد رضى ٢٩٩ و ٣٠٠  
مرة الاسدي ٣١٨  
مريم (عليها السلام) ٦٩  
مساوي بن هند ٢٨٦  
المستوفى بن ربيعة ٢١٩  
مسروق بن الاجدع ١٩٦  
مسعود بن عمرو ٤٥ و ٤١٢  
مسعود بن القفاص ٣٢٠  
المرفضي ٤٢ و ١٦٨  
المسعودي ٢٢٦ و ٣٧٥ و ٤٣٢ و ٤٣٣  
مسلم ١٣ و ٥٣  
مسلم بن الوليد ٨٩  
مسلمة بن عبد الملك ١٨٦  
المسيب بن علس ٨٨  
مسيلمة الكتاب ٢٧٤  
مصاد بن مذعور ٢٩٣  
مصعب بن الزبير ١٨٠ و ٤١١  
مضر بن نزار ٢٦٤ و ٢٦٥ و ٢٦٦  
المضرب بن كعب ٩٩  
المطرزي ٢١٨  
المطلب بن عبد مناف ٣٨٥  
معاذ بن جبل ٢٩٢  
معاوية ٦٣ و ١٣٢ و ١٣٣ و ١٥٢ و ١٥٦ و ١٦٧ و ١٨٠ و ١٩٨ و ١٩٩ و ٢٢٨ و ٢٢٦ و ٢٢٧ و ٢٢٣  
معاوية بن الحكم ٢٢٣  
معبد أخو طرفة ١١

٢٥٧ و ٢٨٣ و ٢٩٢  
 نعمان بن عاد ٦٠  
 النعمان بن بشير ٢١٢  
 نعيم بن نعلية ١٧٥  
 نفييل بن عبد العزيز ٢٧٥ و ٢٧٦  
 النمرى ٢٤  
 النمر بن نولب الحكلى ١٢٤ و ٢١٢ و ٢١٣  
 النمر بن قاسط ١٢٤ و ١٦٥  
 النمر بن عتبان ١٧٧  
 نهد بن سعد ٢١٥  
 نوح (عليه السلام) ٢١٩  
 نولل بن عبد مناف ٢٨٥  
 النوى ٢١٨ و ٢٧٠  
 النويرى ٨٩

( ه )

هاشم بن عبد مناف ٨٣ و ٢٨٥ و ٢٨٦ و ٢٨٧  
 الهذلى ١٩ و ٢٩٠ و ٤٠١  
 هذيل بن مدركة ٢٨  
 هرم بن سنان ١٦ و ٩١ و ١٠٠ و ٢١١  
 هرون الرشيد ٢٧٤ و ٢٧٥  
 هشام بن محمد ١٧ و ٢٧٥  
 هشام بن المغيرة ٢١٥  
 هشام والد أبي جهل ٢١٥  
 هشام ٣٧٥  
 الهمداني ٢١٣ و ٢٦١  
 هند بنت الخس ٣٨٢  
 هند بنت عاصم ٤١٤  
 هنى مولى عمر (رضي) ٣٤  
 هود (عليه السلام) ٣٦٨  
 الهيثم بن عدى ٤٢  
 الهيثم ٤١٦

( و )

الوائلى بالله ٢٢٢  
 الواحدى ٥٤  
 والى بن قاسط ١٩٤  
 وبرة بن تغلب ١٩٤  
 الوفاصى ٢١٠  
 الوليد بن عتبة ٩٢

معبد بن سبعة ٢٢  
 معبد بن ضبة ٢٣  
 معبد بن عتبان ٢٦٥  
 معمر بن حماد ٢٤٧  
 معمر بن حماد البارقي ٤٠٢  
 معد بن أوس ١٤٨  
 المغيرة بن عبد الله ٤٨  
 الفضل الغصبي ١٢٤ و ١٩٩ و ٢١٦ و ٢٢١  
 الفضل بن سلمة ٣٣٨  
 مقاتل ٢٨٧  
 مقاتل بن سليمان ٢٢١  
 المفضل ١٨٠  
 المزيق العبدى ١٢٤  
 المنارى ١٨٣  
 المنذر بن ماء السماء ٩٠  
 المنذر بن محرل ١٢٧  
 المنذرى ٢٧٧  
 المنذر بن المنذر ١٣٦  
 المهدي ٢٦٨  
 مهمل أخو كليب ٢٢  
 مهمل بن دبيعة ٨٣ و ٨٥ و ٨٧ و ٨٩ و ١٠٨ و ١٥٤  
 مهمل الشاعر ٢٦٤  
 موسى (عليه السلام) ٢١٦  
 مبشم بن مشوب ١٦١ و ١٩٢  
 الميداني ٢٦ و ٢٢ و ٤٠ و ٤٢ و ٦٠ و ١٥٨ و ١٩٩  
 و ٢٧٧ و ٢٨٧ و ٣٠٥ و ٣١١ و ٣٣٧  
 ميمونة بنت الحارث ٢٤  
 ميمون بن عيسى ١٢٩ و ٢٨٦

( ن )

النابغة الحمدي ١٢٧ و ١٣٨ و ٢١٤  
 النابغة الذبياني ٢٠ و ٢١ و ٢٢ و ٨٨ و ٩٠ و ٩٧  
 و ٩٨ و ١٠١ و ١٠٢ و ١٠٣ و ١٠٤ و ١٣٧ و ٢١٦  
 و ٣٢١ و ٣٧١ و ٣٨٣ و ٤١٣  
 النجاشي الشاعر ٥٦ و ١٢٣ و ١٤٦ و ١٤٧  
 نزار بن معد ٢٦٤ و ٢٦٥ و ٢٦٦  
 نزهة بن زبرة ١٩٤  
 النضر بن الحرث ٣٣٤ و ٣٣٦  
 النظار بن هاشم ٣٨٦  
 النعمان بن المنذر ٢٠ و ٢١ و ٢٢ و ٤٢ و ٩٠ و ٩١  
 و ١٠١ و ١٠٢ و ١٠٩ و ١٢٠ و ١٢٤ و ١٣٦ و ١٣٧

زيد بن رومان ٤٧ و ٣٧٧	الوليد بن عبد الملك ٤١٠
يزيد بن عمرو ١٠٣	وهب ابو آمنة ٤٤
يزيد بن ضبة ١٠٧	وهب ١٨٣
يزيد بن المهلب ١٧٢	وهب بن عبد مناف ٢٢٢
يزيد بن عبد الملك ٢١٠	( ي )
يزيد بن مفرغ ٣٦٢	ياقوت الحموى ٣١ و ٢٧٦
يوسف بن عبد الملك ٧٢	يحيى بن مالك بن ادد ٢٩٢
يونس ( عليه السلام ) ٦٩	يحيى بن زكريا ١٨٣
يونس النحوى ١١٩ و ١٤٥	يذكر بن عنترة ١٠٥
يونس بن حبيب ١٦٨	يزيد بن يزيد ١٤
يونس ٤١٥	

---

انظر الفهرس الثالث

---

## الفهرس الثالث

### في أسماء البلدان والقبائل وغيرها

بنو هذيل ٢٨	( ١ )	الاحفاف ٤١٩
» كلب ٣٠		الاراك ٢٨٧
» رياح ٣١		الاردن ٤٣٤
» بكر بن وائل ٤٢		الاشاءة ٤٢٨
» زهرة ٤٤		انقرة ١١٠
» عمرو بن جندب ٤٥		الامان ٦٤
» مخدوم ٤٨ و ١٨٩ و ٢١٥ و ٣١١ و ٣٨٦		الاميلج ١٩
» اسرائيل ٦٧ و ١٨٩ و ٢١٣		الانبار ٣٦٨
» عبد القيس ٨٤		
» قصي ٨٤	( ب )	
» ثعلب ٨٦ و ٨٧ و ١٨٧ و ٣٠٨		بارق ١٠٩
» قريظ ٤٢٩		بحر القلزم ٣٦٤
» بكر ٨٧		بحر الهند ٣٦٤
» عبد الله بن غطفان ٨٨		بحر فارس ٣٦٤
» تيم ٩٠		البحرين ١٩١ و ٢١٣ و ٢٢٨ و ٣٦٤ و ٣٧٤
» عبد شمس ٩٢		و ٣٧٥ و ٣٨٧ و ٤١٧ و ٤١٨
» حام ٩٢		بحيرة طبرية ٢٨١
» عامر ١٠٣ و ١٢٨		بحيرة ساوة ٢٨١
» الحرث بن كعب ١٠٣		بدر ٢٣٥
» اياد ١٠٩ و ١١٠ و ١١٤ و ٢٦٤ و ٣٦٩		برلين ٦٤
» معد ١٠٩ و ٢١٥		البصرة ١٠٩ و ٢٠٧ و ٢٠٨ و ٢٣٨ و ٣١٠ و ٣٢٨
» سعد بن زيد مناة ١١٩ و ٤٢٩		بصرى ٢٨٦ و ٢٨٧
» العجلان ١٤٣		بغداد ١١٩ و ٢٤٦
» قيس ١٥٦ و ٢٠١ و ٢١٤ و ٢١٦		بنو لام ١٥
» الانصار ٣٣٥		» فزارة ١٥ و ١٦ و ٢٣ و ١٧٧
» عبد الدار ٣٣٦		» اسد ١٦ و ٢٥ و ٢٠١ و ٣٠٩ و ٣١١ و ٣١٣
» تيم الرباب ٣٣٧		» بدر ١٦ و ١٦٦
» الحرث بن سدوس ٣٣٧		» طيء ١٦ و ٢٨٦ و ٢٩٩ و ٣٦٨
» حنيفه ٣٣٧		» صادرة ٢٢
» سحيم ٣٣٧		» مرة بن عوف ٢٢
» جديس ٣٨٣		» ثميم ٢٤ و ٣٠ و ٤٢ و ٤٥ و ١٧٢ و ١٧٣
» عاصم ٤١٢		و ٢٠١ و ٢٠٣ و ٢١٤ و ٢١٦ و ٢٢٨
» امية ١٦٦ و ١٨٩ و ٣٣٥		بنو حمير ٢٥
» باهلة ١٥٧		بنو كندة ٢٠ و ٢٥ و ٤٢ و ٨٩ و ٢٠١ و ٢٨٧
» ربيع ١٦٧		بنو كاهل بن اسد ٢٦
بنو كنانة بن القين ١٦٨		

بنو الخزرج ١٧١	بنو النخع ٢٥٥
» بكر بن وائل ١٧٤	» غنى ٢٥٠
» كنانة ١٧٥ و ١٨٩ و ٢٠١ و ٢٦٢	» ربيعة بن مالك ٢٥٩
» شيبان بن ثعلبة ٤٢٦	» مدلج ٢٦٢
» عدوان ١٧٦	» لهب ٢٦٢ و ٣١١
» عبد مناف ١٨٩	» الازد ٢٦٢ و ٢٨٧ و ٣١١
» هاشم ١٨٩ و ١٩٠ و ١٩١ و ٢٠٥	» مزيد ٢٦٢
» ابي طالب ١٨٩	» الانمار ٢٦٤ و ٢٨٧
» العباس ١٨٩	» نزار بن معد ٢٦٥
» همدان ١٨٩ و ٣٢٢	» ساسان ٢٨٢
» مدحج ١٨٩ و ٢٨٧	» الاوس والخزرج ٢٨٦ و ٢٨٧
» عدنان ١٩٠ و ١٩١	» بجيلة ٢٨٧
» نمود ١٩٢	» عاملة ٢٨٧
» مدين ١٩٢	» غسان ٢٨٧ و ٢٨٨
» عامر بن صعصعة ٢٠١	» لخم ٢٨٧ و ٤٣٤
» خزاعة ٢٠١ و ٢٨٦ و ٢٨٧	» جذام ٢٨٧ و ٤٣٤
» عبد المदान ٢٠١	» شيبان بن ذهل ٤٣٦
» بيم اللات ٢٠٢	» عدى ٤٢٨
» عوف بن سعد ٢٠٢	» ناعب ٢٨٨
» شيبان ٢٠٣	» داهن ٢٨٨
» قضاعة ٢٠٣ و ٢٨٨	» واثم ٢٨٨
» خندف ٢٠٣	» مالك بن آدد ٢٩٣
» مدركة ٢٠٣	» يحابر ٢٩٣
» الرباب ٢٠٣	» كعب ٣١١
» مالك ٢٠٤ و ٣٦٥	» ساعدة ٣١٥
» حنظلة ٢٠٤	» ثقيف ٣٣٤ و ٣٣٥
» يربوع ٢٠٤	» كنة ٣٣٤
» البراجم ٢٠٤	» اليباض ٤٢٩
» مالك بن حنظلة ٢٠٤	» بيروت ٣٣
» دارم ٢٠٤	( ت )
» كعب بن ربيعة ٤٢٩	» التباينة ٢٢٧ و ٣٦٩
» عبد الله ٢٠٤	» نكرت ١١٩
» زوارة ٢٠٤	» التنعيم ٣٤
» علقمة ٢٠٤	» تهامة ٢١٥ و ٢٥٥ و ٢٨٦ و ٤٢٩
» الحرب بن كعب ٢٠٧ و ٢٥٥	» التهائم ٤٣٤
» زبيد ٢٠٧ و ٢٥٥	( ث )
» حاجب بن غفار ٢٠٨	» نبيير ١٧٦
» اسمعيل ٢١٥	» نمود ٨٠
» زبد ٢١٥	» نهلان ٣٧٣
» اسحق ٢١٥	
» عامر بن لؤى ٢٥٤	
بنو جعفي ٢٥٥	

دبيلة ١١ و ١٢ و ٤٢ و ٧٢ و ٨٥ و ٨٩ و ١٨٩ و ١٩٢ و ٢٠١ و ٢٠٢ و ٢٠٤ و ٢٦٤	(ج)	جديس ٨٠
الرفعة ١١٩		جرجان ١٧٣
الرها ٤٣٤		الجزيرة ٢١١ و ٢٦١ و ٢٧٣ و ٤٣٠
الروم ١١٠ و ١١٩ و ٢١٢ و ٢٦٤ و ٢٧٢		الجافرة ١٩٢
(ز)	(ح)	
زرنج ١٥٧		الحبشة ٢٧٩ و ٢٨١ و ٢٨٢ و ٢٦٤ و ٢٨٥
(س)		الحجاز ٣١ و ٢١٩ و ٢٢٨ و ٢٦٤ و ٢٦٩ و ٢٨٧
سبا ٨٠ و ٢١٢ و ٢٨٣ و ٢٨٧		الحجون ٤٣
سجستان ١٥٧		حران ٤٣٠
سد مارب ٢٨٣ و ٢٨٤ و ٢٨٦ و ٢٨٧		الحضر ١١٩
السدير ١٠٩ و ١٢٠		حضر موت ٢٨٨ و ٤١٩
السرقة ٢٨٦		الحلة ٢٦٢
سرف ٢٤		حمير ٢١٣ و ٢٨٦ و ٢٦٩
سلمى ٢٢		الحشادة ٤٢٨
سماوة ٣٠ و ٢٨١ و ٤٢٤		حنو قراقير ٢١١
السند ٢١٢		الحيرة ٢١ و ١٠٩ و ١١٠ و ٢١٣ و ٢٨١ و ٢٨٨
سنداد ١٠٩ و ١١٠		و ٢٩٩ و ٣٦٨ و ٣٦٩
السواد ٢١٠	(خ)	
السودان ٩٢		الخابور ١١٩
(ش)		خراسان ١٧٣
شالون ١١٠		الخورنق ١٠٩ و ١٢٠
الشم ٢١ و ٢٨ و ٤٨ و ١٢٦ و ١٩٢ و ٢١٢ و ٢٨٢	(د)	
و ٢٨٦ و ٢٨٨ و ٢٩٢ و ٣٠٦ و ٣١٠ و ٣٢١ و ٣٤٤		دجلة ١١٩
و ٣٦٩ و ٣٨٥ و ٣٨٦ و ٣٨٧ و ٤٢٤ و ٤٢٦		دد ٣٦٥
الشحر ٢٨٧ و ٢٨٨ و ٢٩١		دومة الجندل ٢٦٨
الشرف ٣٤	(ذ)	
(ص)		ذات العماد ٤١٩
صنداء ٤٢٩		ذو الاثل ٤٣١
الصفا ٧١		ذو الخلصة ٦٧
الصفراء ٢٣٥		ذو الشرى ٣١
صنماء ٢٩٢ و ٤٢٨		ذو طوى ٢٦٧
صوار ٣٠		ذر الهرم ٢٧٦
(ض)	(ر)	
ضاح ٢٢		راس العين ١١٩
ضربة ٣١		الريذة ٣١ و ٢٤



( ط )

الطالبيون ١٩٢  
الطائف ٨٥ و ٢٧٦ و ٢٢٨ و ٢٦٩  
طبرستان ١٧٣  
طبرية ٢٨١  
طسم ٨٥

( ع )

عاد ٨٥ و ١٩٢ و ٤١٩  
العالية ٣١٢  
العجم (الفرس) ١٥٦ و ١٨٧ و ١٨٨ و ٢١٣ و ٢٦٤  
و ٢٨١ و ٢٨٣ و ٢٢٨ و ٢٨٥  
عدن ٢٧٩  
عدنان ٨٥ و ٨١  
عدولي ٣٦٥  
الذيب ١٠٩  
العراق ١٠٩ و ١١٠ و ٢١١ و ٢٥٥ و ٢٦٢ و ٢٨٦  
و ٢٨٨ و ٢٤٤ و ٢٦٨ و ٢٦٩ و ٢٧٢ و ٢٧٣  
عرفاته ٢٤ و ١٣  
العرم ٢٨٧  
العقبة ٧٣  
عكاظ ٨٥  
عمان ٢١٣ و ٢٢٨ و ٢٥٥ و ٢٨٦ و ٣٦٤ و ٣٨٧  
و ٤١٧

( غ )

غمار ١٦٦  
غوربستان ٤٣٤  
غور غرة ٤٣٤  
غوير ٢٨٧

( ق )

الفرات ١١٠ و ١١٩ و ٣٦٧  
فرنسا ١١٠  
فلسطين ٤٣٤  
فيد ٣١

( ك )

القادسية ١٠٩ و ٣١٠  
قحطان ٨٥  
القرية ٣٣٧  
قريش ٤٤ و ٤٨ و ٦٦ و ٦٨ و ١٦٧ و ١٨٦ و ١٨٧  
و ١٨٨ و ١٨٩ و ١٩٠ و ١٩١ و ٢٠٦ و ٢٠٨ و ٢١٥

و ٢٨٢ و ٣٠٦ و ٣١٥ و ٣٢٥ و ٣٦٨ و ٣٦٩ و ٣٧٥  
و ٢٧٦ و ٢٨٥ و ٢٨٦ و ٢٨٧ و ٤٢٠  
قصر عمان ٢٨٧

( ك )

كيب ٤٣  
الكمية (الشرقية) ٤٧ و ٦٦ و ٦٨ و ٢٥٢ و ٣١٢ و ٣٤٥  
الكلا ٣١٠  
الكوفة ٣٠ و ٢١ و ٨٩ و ١٠٩ و ١٨٠ و ٢١٠ و ٢٦٨

( ل )

ليبسك ١٩

( م )

ماء السباط ٤٣٤  
ماء ضارح ٤٣٤  
ماء العقيق ٤٣٤  
المصعب ٢٣  
المدينة المنورة ٢٤ و ٣١ و ٢٢ و ٨٦ و ١٨٧ و ٢١٠  
و ٢٧٤ و ٣٠٤ و ٣١٥ و ٣٢٨  
المررة ٧١  
الزلفة ١٧٦  
مشارف ه  
مصر ٢٠ و ٦٢ و ٦٩ و ١١٨ و ١٤٨ و ١٧٦ و ٢٠٨  
و ٢١٣ و ٢٢٢ و ٢٤١ و ٢٨٣ و ٢١١ و ٢٤٤ و ٢٥٩  
و ٣٦٩ و ٤٠٩ و ٤١٦ و ٤٢٩  
مضر ١١ و ١٢ و ٧٢ و ١٠٤ و ١٨٩ و ١٩١ و ١٩٢  
و ٢٠١ و ٢٠٢ و ٢١٢ و ٢٩٢ و ٣٢٧ و ٣٦٩  
ممفر ١١٠  
مكة المكرمة ٢٣ و ٢٤ و ٣١ و ٣٤ و ٦٦ و ٨٥ و ١٣٠  
و ١٨٧ و ٢١٣ و ٢١٤ و ٢١٥ و ٢٦٢ و ٢٦٧ و ٢٨٧  
و ٢٠٤ و ٢٠٥ و ٢٤٤ و ٢٦٨ و ٤٠٧  
منى ٢٢ و ٧٣ و ١٧٥ و ١٧٦  
مكشج ٤٢٨  
مقوصل ١١٩

( ن )

نجد ه ٢٥٥ و ٢٦٢ و ٢١٢ و ٢٨٧ و ٤١٧ و ٤٢٦  
و ٤١٧ و ٤٢٨ و ٤٢٩ و ٤٣١  
نجران ه ٤٤ و ٢٦٤ و ٢٦٥  
نحلة ٨٥  
النصارى ١٨٧

وادی الوشم ٢٢٨

( ی )

یشرب ٧١ و ٢٨٦ و ٢٨٧ و ٢٩٢  
الیمامة ٦ و ٣٠٦ و ٣٠٧ و ٣١٠ و ١١٣ و ٣٢٨  
و ٣٣٧ و ٤٢٨  
الیمن ٥ و ٢٨ و ٨٠ و ٨١ و ٨٨ و ١٠٣ و ١٠٩  
و ١٧٣ و ١٨٩ و ٢٠١ و ٢٠٣ و ٢١٢ و ٢١٣ و ٢١٩  
و ٢٢٨ و ٢٦٦ و ٢٧٩ و ٢٨١ و ٢٨٣ و ٢٨٦ و ٢٨٧  
و ٢٩٣ و ٣٠٣ و ٣١١ و ٣٢١ و ٣٢٧ و ٣٢٨ و ٣٤٤  
و ٣٦٤ و ٣٦٩ و ٣٨٥ و ٣٨٦ و ٣٨٧ و ٤١٧  
الیهود ٧١ و ٢٧٤  
الیونان ٢١٣ و ٣٧٥

النقیع ٣١ و ٣٣ و ٣٤

نهر الحيرة ٣٧٥

النیر ٣١

( هـ )

هجر ٣٨٧ و ٤١٧ و ٤١٨

همدان ١٨٩

الهند ١٢٠ و ٣٦٤ و ٣٨٤

( و )

وادی أنشی ٤٢٨

وادی سبا ٢٨٧

وادی السماوة ٢٨١

## ملحق

يشتمل على الشروح والفوائد — بقلم الشارح

## الجزء الأول

صفحة سطر

١١ — ١٣ ( الأندلس ) في ضبط هذه الكلمة اختلاف ، ولعل ضبطنا الذى اعتمدنا به على التاج أصبح من غيره .

٣٩ — ١٢ ( دردى وزير المعارف الخ ) كذا فى الأصل ، والصواب : دوروى Victor Durwy كما جاء فى محاضرة ( الجامعة السورية ) لصدیقنا الاستاذ الشيخ محمد بهجة البيطار الدمشقي .

١٣٧ — ٥ ( اذ سامه الخ ) سامه الأمر : كلفه إياه وأكثر ما يستعمل فى الشر والعذاب . والخطبة بالضم : الأمر والطريقة . والخسف : الذل والقهر وتحميل الانسان ما يكره . وجار صوابه : حار ، أى يا حارث فهو منادى مرخم بحذف آخره .

١٧٤ — ١٤ ( لفضلنا النساء . . . ) المشهور : لفضلت النساء . . .

« ١٦ — ( سيما ) كذا بسقوط أداة النفي ( لا ) . وقد نصوا على وجوبها واستشهدوا بقول امرئ القيس « ولا سيما يوم بدارة جلجل » وقال أئمة اللغة : إن من أهمها فقد أخطأ . انظر مادة ( س وى ) فى تاج العروس . وخاتمة الأشمونى فى باب الاستثناء .

٢١٨ — ٩ ( الجذ ) هو الكاتب البليغ ، والأديب الضليع ، واللغوى المفسر الشهير السيد محمود شهاب الدين بن السيد عبد الله الألوسى : صاحب تفسير ( روح المعانى ) وغيره من المؤلفات الجليلة .

صفحة سطر

- وترجمته مفصلة في كتابينا ( ذكرى الامام الألومى ) و ( مشاهير  
العراق فى القرن الثالث عشر والرابع عشر ) .  
٢٤٣ — ١٤ ( أبا جارتا . . . ) انظر الجزء الثانى ص ٤٩  
٢٤٤ — ٩ ( اليوم يبدو . . . ) انظر الجزء الثانى ص ٢٩١  
٢٤٦ — ٦ ( الناسا ) وردت فى معجم البلدان ( ٨ : ١٤٠ — مصر ) :  
« النسناسة » خطأ . فليقتبه !  
٢٤٨ — ٥ ( أشرق ثبير ) توجيه معناه فى ( ثبير ) من معجم البلدان .  
٢٦٨ — ٣ ( حولى أسيد . . . ) هكذا هى الرواية المشهورة . ورواية ابن برى :  
حولى فوارس من أسيد شجمة وإذا نزلت فحول بيتى خضم  
وقد فسرنا ( خضمًا ) بالجمع الكثير من الناس كما هو المشهور .  
وقيل : بل خضم هنا لقب للعنبر بن عمرو بن تميم وغلب على القبيلة  
وانما سمو بذلك لكثرة أكلهم ومضغهم بالأضراس ، وأسيد :  
قبيلة من قبائل عمرو بن تميم .  
٢٧٦ — ١٤ ( تيم بن مرة . . . ) البيتين . هكذا هما فى الأصل . ووردا فى  
كتاب الأحكام السلطانية ( ص ٦٦ ) لأبى الحسن الماوردى كذلك  
وعلق المصحح عليهما هذه العبارة : « هكذا فى الأصل ولم نقف  
على تصحيح ذلك فليحذر » .  
٢٨١ — ٢ ( لعمري . . . الايات ) الشجى : ما اعترض فى الخلق من عظم  
ونحوه . والندى : الجود . والجدا : العطية .  
٣٨١ — ٦ ( روى بن الكلبي ) انظر صبح الاعشى ( ١ : ٣٧٨ ) .  
٢٨٣ — ٨ ( واناليوث . البيت ) قوله ( والكللا ) هكذا ورد فى ( نهاية

صفحة سطر

الأرب للاملشندي ، وغيرها ، والصواب. « انطلى » وهى الأناق أو أصولها .

٣٣٩-٥ ( جمعة ) وردت هذه الكلمة فى الطبعة الأولى ( خمسة ) بالخاء المعجمة ولما رجعنا إلى الأصول المعتمدة : كاقاموس ، وتاج العروس ، واللسان ، والبيان والتبيين ، والأغانى ، و ( تذييل فى نساء العرب ) للمستشرق Perron وغيرها - وجدناها كلها تقول جمعة بالجيم فأذعنا لها وحملنا ما فى الكتاب على الخطأ المطبعى ثم بعد طبع الكتاب اطلعنا فى مجلة لغة العرب البغدادية على تحقيق هذه الكلمة للاستاذ رحمه الله فإذا به يثبت أنها ( خمسة ) كما أوردها فى بلوغ الأرب . وهذا نص عبارته ( اليوم وجدت فرصة لنقل ما ذكرت لكم فذهبت إلى خزانة كتب مدرسة السلطانية وراجعت شرح حديث أم زرع للقاضى عياض ، وذكر فى هذا الشرح على سبيل الاستطراد نبذة يسيرة من كلام من اشتهر بالفصاحة من نساء الجاهلية فقال : ومنهن خمسة بضم الخاء وفتح الميم والعين المهملة كما ضبطه صاحب العباب والمحكم وابن الشجرى فى كتابه ما اتفق لفظه واختلف معناه . يقال خمع فى مشيته أى ظلع وبه خماع أى ظلع والخامعة الضبيع - إلى أن قال : واختلف فى نسبها والمشهور أنها ابنة الخس ، أخت هند ، وقيل غير ذلك ) انتهى

٣٥٥-١ ( أردشير ) هكذا بالزاي وهو خطأ مشهور ، والصواب ( أردشير )

و١٤١١٩٣٦٣ بالراء .

٣٥٩-٦ ( كنيسة القيامة ) كنيسة للنصارى بالبيت المقدس . قال ياقوت وغيره واللفظ له : وصفها لا ينضبط حسناً وكثرة مال وتنبت عمارة وهى وسط البلد والصور يحيط بها ولهم فيها مقبرة يسمونها ( ٣٠ - نالت )

صفحة سطر

القيامة لا اعتقادهم أن المسيح قامت قيامته فيها . والصحيح أن اسمها ( قامة ) لأنها كانت مزبلة أهل البلد . وكان في ظاهر المدينة يقطع بها أيدي المفسدين ويصلب بها اللصوص فلما صلب المسيح في هذا الموضع عظموه كما ترى . . . الخ .

٣٥٩ — ١٩ ( الأحد الجديد ) : وورد في صبح الأعشى ( ج ٢ ص ٤١٨ ) : ( حد الحدود ) . ولعل الأول أصح ، وذلك لأنهم — كما قالوا — يحددون فيه الآلات وأثاث البيوت واللباس . . .

٣٦١ — ١٩ ( عيد المظال ) ويقال عيد المظلة . وقد ذكر الأستاذ المصنف أنه ثمانية أيام . وفي صبح الأعشى ( ٢ : ٤٢٦ ) هو سبعة أيام .

٣٦٣ — ٦ ( عيد الفور ) ورد في الصبح ( ٢ : ٤٢٧ ) : عيد الفوز بالزاي !

٣٨٧ — ١٣ ( وقد تقدمت الخنساء . . . الخ ) تقدم لنا في ص ٢٥ نقد هذه الرواية فأغنى عن إعادته .

## الجزء الثاني

صفحة سطر

١٣ — ١٥ ( ولن نصادف . . البيت ) ضبطنا كلمة ( المنتجع ) فيه بالفتح وهي المنزل في طلب السكلاء . ولعل الأولى ( منتجع ) بكسر الجيم اسم فاعل . يقال : انتجع فلان أى طلب السكلاء في موضعه ، ( الأعياص ) هم أولاد أمية بن عبد شمس الأكبر بن عبد مناف وهم : العاص ، وأبو العاص ، والعيص ، وأبو العيص ، وهم أخوة حرب وأبي حرب وسفيان وأبي سفيان ويقال لهؤلاء ( العنابس ) قال أبو النجم العجاني .

صفحة سطر

لكن إخلأني بنو الأعياص هم النواصي و بنو النواصي  
منهم سعيد وأبوه العاصي ؟

وقال الليث : أعياص قریش كرامهم ينتمون إلى عيص وعيص  
في آبائهم .

١٢٢ - ١١ ( ولأنت أشجع من أسامة الخ ) نسبة هذا البيت إلى الأعشى

لا تصح وإنما هو للمسيب بن علس وبعضهم يرويه هكذا :  
ولأنت أشجع من أسامة إذ دعيت نزال ولج في الذعر  
ويعزوه لزهير ابن أبي سلمى وهو وهم قديم لصاحب الصحاح وغيره  
والصواب الذي عليه المحققون أنه مركب من بيتين أحدهما لزهير  
والثاني للمسيب بن علس . قال الشيخ عبد القادر البغدادي :  
( هو مركب من بيتين فإن البيت الذي فيه دعيت نزال وهو  
لزهير صدره كذا ) :

ولنعم حشو الدرع أنت إذا دعيت نزال ولج في الذعر  
وقوله « ولأنت أشجع من أسامة إذ » إنما هو صدر بيت للمسيب  
ابن علس ، وعجزه « يقع الصراخ ولج في الذعر » وهذا ليس فيه  
دعيت نزال . والبيت الشاهد كما ذكرناه هو رواية سيبويه وسائر  
النحويين . وبين المسيب بن علس على ما ترتبناه هو رواية الجاحظ  
في كتاب البيان والتبيين . وقد رأيت البيت في ديوانيهما كذلك  
انتهى . وفي تصحيح لسان العرب للعلامة أحمد تيمور باشا زيادة  
تفصيل لذلك . . .

١٤٦ - ١٠ « لا تقبروني .. البيت » قبره ، دفنه وواراه في التراب . وأقبره .

جعل له قبراً . قال القراء : وقوله تعالى « ثم أماته فأقبره » أي

صفحة سطر

جعلله مقبوراً ممن يقبر ولم يجعله ممن يلقى للطير والسباع كأن القبر  
مما أكرم به بنو آدم ، ولم يقل فقيره لأن القابر هو الدافن بيده ،  
والمقبر هو الله لأنه صيره ذا قبر وليس فعله كفعل الآدمي .  
ويقال : أقبر القوم أى أعطاهم قتيلاًهم ليقبروه .

١٥٧-١٤ (من مباح الحمين الخ) أنظر الجزء الأول ص ٣٣ .

٢١٢ - ٢ (القليس) انظر الشرح فى ص ٢٥١ من الجزء الأول .

٢٣٦ - ٩ (يا أقرع بن حابس . البيت) مر فى الجزء الأول ص ٣٠١ وغيرها  
ولم نتعرض له بشىء ، وقد كتبنا فى هذا المقام ما فيه الكفاية .

٣٠١ - ٥ (سنة أزمة . الأبيات) هذه الأبيات — الا الأخير منها — مدحجة  
مداخلة ، وقد أساء المنضد ترتيبها على الوجه الصحيح . فإيذنته !

٣١٩-٢١ (نجسته لا ينفع التبخيس) لعل الأولى : نجسته لو ينفع التبخيس .